

ذخائر العرب

٣٠

تاريخ الطبركة

تاريخ الرسل والملوك

لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري

٢٢٤-٢١٠ هـ

الجزء السادس

محقق

محمد أبو الفضل إبراهيم



دار المعارف

تاريخ الطب في

ذخائر العرب

٣٠

تاريخ الطبرك

تاريخ الرسل والملوك

لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري

٢٢٤ - ٨٢١٠

الجزء السادس

تحقيق

محمد أبو الفضل إبراهيم

الطبعة الرابعة



دار المعارف

الناشر: دار المعارف - ١١١٩ كوربيش النيل - القاهرة ج. م. ع.

بيان

من الأصول الخطيَّة التي اعتمدت عليها في تحقيق هذا الكتاب ، أجزاء متفرقة ، مختلفة الخطوط ، من نسخة مصورة عن النسخة المحفوظة بمكتبة أحمد الثالث بإستانبول برقم ٢٩٢٩ ، وقد رجعتُ إلى جزء منها في تحقيق الجزء الأول ، ومن هذه النسخة جزء يشتمل على ذكر حوادث سنة ٦٥ إلى آخر حوادث سنة ٨٠ هـ ؛ رجعت إليه فيما يقابله من هذا الجزء ، وأثبتت الفروق في الحواشي مع بعض فروق النسخ التي رجع إليها مصححو طبعة ليدن ؛ ورمزت إلى نسخة أحمد الثالث بالحرف « ا » ، كما مرّ ذكره في مقدمة الجزء الأول ، وقد وقعت فيها على تصويبات هامة ، وتوجيهات مفيدة .

وضع هذا الجزء على أساس تجزئة خاصة للناسخ . وعلى صفحة العنوان : « الجزء التاسع من كتاب تاريخ الملوك وأخبارهم ومواليد الرسل وأنباهم والكائين كان في زمن كل واحد منهم ، تأليف أبي جعفر محمد بن جرير بن يزيد الطبري رحمة الله عليه » وآخره : « تمّ الجزء التاسع بعون الله تعالى وتوفيقه من التاريخ يتلوه في الجزء العاشر : ثم دخلت سنة إحدى وثمانين . والحمد لله وحده ، وصلى الله على خير خلقه سيدنا محمد نبيه وعلى آله الطاهرين وصحبه الأكرمين . وسلم وحسبنا الله ونعم الوكيل » . كتب بخط نسخي جلي واضح ، يميل إلى الجودة والإتقان ، وضبطت بعض كلماته ضبطاً صحيحاً في الغالب ، وفيه علامات الوقف والمراجعة ، ويبدو أنه كتب في القرن السادس الهجري . وعدد أوراقه ٢٢٤ ورقة ، وعدد الأسطر ١٩ سطراً لكل صفحة ، في كل سطر ١٠ كلمات تقريباً .

وقد عنيت عناية تامة بإثبات جميع التصويبات والاستدراكات والكثير من التعليقات التي وضعها مصححو طبعة ليدن في مجلد خاص ؛ وهي في مجموعها تحققت كثيراً من أعلام الأشخاص والبلدان ونصوص الشعر ؛ وذلك ممّا لم يشته ناشره هذا الكتاب في الطبعتين المصريتين .

أما باقى التعليقات فقد جرى الأمر فيها على نحو ما جرى فى الأجزاء السابقة من الرجوع إلى أمتهات كتب التاريخ واللغة والأدب ودواوين الشعر ؛ مما أرجو أن يوضع فى ثبت خاص مع البيانات الكافية فى آخر الكتاب إن شاء الله .

والله الموفق والمعين .

محمد أبو الفضل إبراهيم

المحرم سنة ١٣٨٤

مايو سنة ١٩٦٤

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

ثم دخلت سنة ست وستين

ذكر الخبر عن الكائن الذي كان فيها من الأمور الجليلة

فمما كان فيها من ذلك وثوب المختار بن أبي عبيد بالكوفة طالباً بدم الحسين بن علي بن أبي طالب وإخراجه منها عامل ابن الزبير عبد الله بن مطيع العدوي .

* ذكر الخبر عما كان من أمرهما في ذلك وظهور المختار للدعوة إلى ما دعا إليه الشيعة بالكوفة :

ذكر هشام بن محمد ، عن أبي مخنف ، أن فضيل بن خديج ، حدثه عن عبيدة بن عمرو وإسماعيل بن كثير من بني هند ، أن أصحاب سليمان بن صرد لما قدموا كتب إليهم المختار :

أما بعد ؛ فإن الله أعظم لكم الأجر ، وخط عنكم الوزر ، بمفارقة القاسطين ، وجهاد المُحَلِّين ؛ إنكم لم تنفقوا نفقة ، ولم تقطعوا عقبة^(١) ، ولم تخطوا خطوة إلا رفع الله لكم بها درجة ، وكتب لكم بها حسنة ، إلى ما لا يحصيه^(٢) إلا الله من التضعيف ؛ فأبشروا فإنني لو قد خرجت إليكم قد^(٣) جردت فيما بين المشرق والمغرب في عدوكم السيف^(٤) بإذن الله ، فجعلتهم^(٥) بإذن الله ركاماً ؛ وقتلتهم فذأ وثؤاماً ؛ فرحب الله بمن قارب منكم واهتدى ؛ ولا يبعد الله إلا من عصى وأبى ؛ والسلام يا أهل الهدى .

فجاءهم بهذا الكتاب سيحان بن عمرو ، من بني ليث من عبد القيس قد أدخله في قلسوته فيما بين الظهارة والبيطانة^(٦) ؛ فأق بالكتاب رفاعة بن شداد

(١) ف : « وادياً » . (٢) ف : « لم يحصه » .

(٣) ف : « لقد » . (٤) ا : « من عدوكم » ، ف : « السيف في عدوكم » .

(٥) ا : « يحملهم » . (٦) ا : « الظاهرة والباطنة » .

والمُثنَى بن مُخَرَّبَةَ العبدىّ وسعد بن حُذَيْفَةَ بن اليَمَّانَ ويزيد بن أنس وأحمر بن شُمَيْطَ الأحمسىّ وعبد الله بن شدّاد البَجَلِيّ وعبد الله بن كامل ؛ فقرأ عليهم الكتاب ؛ فبعثوا إليه ابن كامل ؛ فقالوا : قل له : قد قرأنا الكتاب^(١) ؛ ونحن حيث يسرك ؛ فإن شئت أن نأتيك حتى نخرجك فعلنا . فأتاه ، فدخل عليه السجن ؛ فأخبره بما أرسل إليه به ؛ فسُرَّ باجتماع الشيعة له ؛ وقال لهم : لا تريدوا هذا ؛ فإني أخرج في أيّامى هذه .

٦٠٠/٢ قال : وكان المختار قد بعث غلاماً يدعى زربياً إلى عبد الله بن عمر ابن الخطّاب ، وكتب إليه :

أمّا بعد : فإني قد حبست مظلوماً ، وظنّ بي الولاةُ ظنوناً كاذبة ؛ فاكتب فيّ يرحمك الله إلى هذين الظالمين كتاباً لطيفاً ؛ عسى الله أن يخلصني من أيديهما بلطفك وبركتك ويؤمنك^(٢) ؛ والسلام عليك .

فكتب إليهما عبد الله بن عمر :

أمّا بعد ؛ فقد علمتُما اللّذى بينى وبين المختار بن أبى عبيد من الصّهر ، واللّذى بينى وبينكما من الودّ ؛ فأقسمت عليكم بحقّ ما بينى وبينكما لسمّاً تحلّيتما سبيله حين تنظران في كتابى هذا ، والسلام عليكم ورحمة الله .

فلما أتى عبد الله بن يزيد وإبراهيم بن محمد بن طلحة كتابُ عبد الله ابن عمر دعواً للمختار بكفّسلاء يضمّنونه بنفسه^(٣) ، فأتاه أناس من أصحابه كثير ، فقال يزيد بن الحارث بن يزيد بن رؤيّم لعبد الله بن يزيد : ما تصنع بضمان هؤلاء كلّهم ! ضمّنته عشرة منهم أشرافاً معروفين ، ودّع سائرهم . ففعل ذلك ، فلما ضمّنوه ، دعا به عبد الله بن يزيد وإبراهيم بن محمد بن طلحة فحلّفاه بالله الذى لا إله إلا هو عالم الغيب والشهادة الرحمن الرحيم ؛ لا يبغيهما غائلة ، ولا يخرج عليهما ما كان لهما سلطان ؛ فإن هو فعل فعليه ألف بدنة

(١) ف : « كتابك » .

(٢) ط : « بمنك » ، تحريف ، صياحه من ا ، وفيها : « ببركتك ويمنك » .

(٣) ا : « فضمّنوه بنفسه » .

ينحرها لدى رِتاحِ الكعبة ؛ ومما ليكنه كلهم ذكرهم وأنثاهم أحراراً . فحلف لهما بذلك ، ثم خرج فجاها داره فنزلها .

قال أبو مخنف : فحدثني يحيى بن أبي عيسى ، عن حُמיד بن مسلم ، قال : سمعت المختار بعد ذلك يقول ^(١) : قاتلهم الله ! ما أحققهم حين يروُن أننى أفى لهم بأيمانهم هذه ! أمّا حلفي لهم بالله ؛ فإنه ينبغي لى إذا حلفت على يمين فرأيت ما هو خير منها أن أدع ما حلفت عليه وآتى الذى هو خير ؛ ٦٠١/٢ وأكفر يمينى ، وخروجى عليهم خير من كفى عنهم ؛ وأكفر يمينى ؛ وأمّا هدى ألف بدنة فهو أهون على من بصقة ؛ وما ثمن ألف بدنة فيهلوسى ! وأمّا عتق مماليكى فوالله لو ددت أنه قد استتب لى أمرى ، ثم لم أملك مملوكاً أبداً .

قال : ولمّا نزل المختار داره عند خروجه من السّجن ، اختلف ^(٢) إليه الشيعة واجتمعت عليه ؛ واتفق رأبها ^(٣) على الرضا به ، وكان الذى يبايع له الناس وهو فى السّجن خمسة نفر : السائب بن مالك الأشعرى ، ويزيد بن أنس ، وأحمر بن شُمَيْط ، ورفاعة بن شدّاد الفستيانى ، وعبد الله بن شدّاد الجشسى . قال : فلم تزل أصحابه يكثرون ، وأمره يقوى ويشتد حتى عزل ابن الزبير عبد الله بن يزيد وإبراهيم بن محمد بن طلحة ، وبعث عبد الله بن مطيع على عملهما إلى الكوفة .

قال أبو مخنف : فحدثني الصّقعب بن زهير ، عن عمر بن عبد الرحمن ابن الحارث بن هشام ، قال : دعا ابن الزبير عبد الله بن مطيع أخابنى عدى ابن كعب والحارث بن عبد الله بن أبى ربيعة المخزومى ؛ فبعث عبد الله بن مطيع على الكوفة ، وبعث الحارث بن عبد الله بن أبى ربيعة على البصرة . قال : فبلغ ذلك بسّحير بن ريسان الحميرى ؛ فلقبهما ، فقال لهما : يا هذان ؛ إن القمر الليلة بالناطح ^(٤) ، فلا تسيرا . فأما ابن أبى ربيعة ؛ فأطاعه ؛ فأقام يسيرا ٦٠٢/٢

(١) ف : « يقول بعد ذلك » .

(٢) ١ : « اختلفت » .

(٣) ف : « رأبهم » . ١ : « رأبها »

(٤) الناطح والناطح : من منازل القمر مما يتشامم به .

ثم شخص إلى عمله فسلم ؛ وأما عبد الله بن مطيع فقال له : وهل نطلب إلا النطح ! قال : فلي والله نطحاً وبسطحاً ، قال : يقول عمر : والبلاء موكل بالقول .

قال عمر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام : بلغ عبد الملك بن مروان أن ابن الزبير بعث عمالا على البلاد ؛ فقال : من بعث على البصرة ؟ فقيل : بعث عليها الحارث بن عبد الله بن أبي ربيعة ؛ قال : لا حراً بوادي عوف ، بعث عوفاً وجلساً ثم قال : من بعث على الكوفة ؟ قالوا : عبد الله بن مطيع ، قال : حازم وكثيراً ما يسقط ، وشجاع وما يكره أن يفر ، قال : من بعث على المدينة ؟ قالوا : بعث أخاه مصعب بن الزبير ، قال : ذاك الليث النهدي ، وهو رجل أهل بيته .

قال هشام : قال أبو مخنف : وقدم عبد الله بن مطيع الكوفة في رمضان سنة خمس وستين يوم الخميس لحمس بقين من شهر رمضان ، فقال لعبد الله ابن يزيد : إن أحببت أن تقيم معي أحسنت صحبتك ، وأكرمت مثوك ؛ وإن لحقت بأمر المؤمنين عبد الله بن الزبير فبك عليه كرامة ، وعلى من قبله من المسلمين . وقال لإبراهيم بن محمد بن طلحة : الحق بأمر المؤمنين ؛ فخرج إبراهيم حتى قدم المدينة ، وكسر على ابن الزبير الخراج ؛ وقال : إن شاء كانت فتنة ؛ فكف عنه ابن الزبير .

قال : وأقام ابن مطيع على الكوفة على الصلاة والخراج ؛ وبعث على شرطته إياس بن مضارب العجلي ، وأمره أن يحسن السيرة والشدة على المريب .

قال أبو مخنف : فحدثني حصيرة بن عبد الله بن الحارث بن دريد ٦٠٣/٢

الأزدى - وكان قد أدرك ذلك الزمان ، وشهد قتل مصعب بن الزبير - قال : إنى لشاهد المسجد حيث قدم عبد الله بن مطيع ، فصعد المنبر ، فحمد الله وأثنى عليه ، وقال : أما بعد ؛ فإن أمير المؤمنين عبد الله بن الزبير بعثنى على مصركم وثغوركم ، وأمرني بجباية فيثكم ؛ وألا أحمل فضل فيثكم عنكم إلا برضاً منكم ، ووصية عمر بن الخطاب التي أوصى بها عند وفاته ، وبسيرة عثمان ابن عفان التي سار بها في المسلمين ؛ فاتقوا الله واستقيموا ولا تختلفوا ، وخذوا

على أيدي سفهاثكم ؛ ولألا تفعلوا فلوهموا أنفسكم ولا تلوموني ؛ فوالله لأوقعن بالسقيم العاصي ؛ ولأقيمن درء^(١) الأصعر المرتاب. فقام إليه السائب بن مالك الأشعري ، فقال : أمّا أمر ابن الزبير إيتاك ألاّ تُحْمَل فضل فيثنا عنّا إلاّ برضانا فإننا نشهدك^(٢) أننا لا نرضى أن تحمل^(٢) فضل فيثنا عنّا ؛ وألاّ يقسم إلاّ فينا ؛ وألاّ يُسار فينا إلاّ بسيرة عليّ بن أبي طالب التي سار بها في بلادنا هذه حتى هلك رحمة الله عليه ، ولا حاجة لنا في سيرة عثمان في فيثنا ولا في أنفسنا ؛ فإنها إنما كانت أثرة وهوى ، ولا في سيرة عمر بن الخطاب في فيثنا ؛ وإن كانت أهون السيرتين علينا ضرراً ؛ وقد كان لا يألو الناس خيراً . فقال يزيد ابن أنس : صدق السائب بن مالك وبرّ ، رأينا مثل رأيه ، وقولنا مثل قوله . ٦٠٤/٢ . فقال ابن مطيع : نسير فيكم بكلّ سيرة أحببتموها وهويتموها ثم نزل . فقال : يزيد بن أنس الأسديّ : ذهبت بفضلها يا سائب ؛ لا يعدمك المسلمون ! أما والله لقد قمتُ وإني لأريد أن أقوم فأقول له نحواً من مقاتلك ، وما أحبّ أن الله وليّ الردّ عليه رجلا من أهل المصّر ليس من شيعتنا .

وجاء إياس بن مضارب إلى ابن مطيع ، فقال له : إنّ السائب بن مالك من رعوس أصحاب المختار ، ولست آمنُ المختار ؛ فابعث إليه فليأتك ؛ فإذا جاءك فاحبسه في سجنك حتى يستقيم أمر الناس ؛ فإن عيوني قد أتتني فخبرتني أنّ أمره قد استجمع له ؛ وكأنه قد وثب بالمصّر . قال : فبعث إليه ابن مطيع زائدة بن قدامة وحسين بن عبد الله البرسسيّ من همدان . فدخلا عليه ، فقالا : أجب الأمير ، فدعا بشيابه وأمر بإسراج دابّته ، وتحشّش^(٣) للذهاب معهما ؛ فلما رأى زائدة بن قدامة ذلك قرأ قول الله تبارك وتعالى :

﴿ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ ﴾^(٤) ، ففهمها المختار ، فجلس ثم ألقى ثيابه عنه ، ثم قال : ألقواعلىّ القطيفة ؛ ما أراي إلاّ قد وُعيت ؛ إني لأجد قففة

(١) الدرر : الميل والعوج . (٢) ف : « نشهد »

(٣) التحشش : الحركة ، وفي ط : « تحشش » ، والصواب ما أثبتته من أ .

(٤) سورة الأنفال : ٣٠ .

شديدة ، ثم تمثّل قول عبد العزّرى بن صُهَيْل الأزديّ :

إِذَا مَا مَعْشَرٌ تَرَكَوْا نَدَاهُمْ وَلَمْ يَأْتُوا الْكَرْيَهَةَ لَمْ يَهَابُوا

ارجعنا إلى ابن مطيع ، فأعلمناه حالى التى أنا عليها . فقال له زائدة بن ٦٠٥/٢ قدامة: أمّا أنا ففاعل؛ [فقال: (١)] وأنت يا أخاهمّ مدان فاعذرني عنده فإنه خير لك .

قال أبو مخنف : فحدثني إسماعيل بن نُعَيْم الهمدانيّ ، عن حسين بن عبد الله ، قال : قلت في نفسى : والله إن أنا لم أبلغ عن هذا ما يُرضيه ما أنا بآمنٍ من أن يظهر غداً فيهلكنى . قال : فقلت له ، نعم ، أنا أضع (٢) عند ابن مطيع عذرك ، وأبلغه كلّ ما تحبّ ؛ فخرجنا من عنده ؛ فإذا أصحابه على بابهِ ، وفي داره منهم جماعة كثيرة . قال : فأقبلنا نحو ابن مطيع ، فقلت لزائدة بن قدامة : أما إني قد فهمت قولك حين قرأت تلك الآية ؛ وعلمت ما أردت بها ، وقد علمت أنها هي تَبَسَّطته عن الخروج معنا بعد ما كان قد لبس ثيابه ، وأسرج دابّته ؛ وعلمت حين تمثّل البيت الذى تمثّل أنما أراد يخبرك أنه قد فهم عنك ما أردت أن تُفهمه ، وأنه لن يأتيه . قال : فجاحدني أن يكون أراد شيئاً من ذلك ؛ فقلت له : لا تحلف ؛ فوالله ما كنت لأبُلِّغ عنك ولا عنه شيئاً تكرهانه ؛ ولقد علمت أنّك مشفق عليه ، تجد له ما يجد المرء لابن عمه . فأقبلنا إلى ابن مطيع ؛ فأخبرناه بعلّته وشكواه ؛ فصدّقنا ولها عنه . قال : وبعث المختار إلى أصحابه ؛ فأخذ يجمعهم في الدُّور حوله ، وأراد أن يشبّ بالكوفة في المحرم ؛ فجاء رجل من أصحابه من شِبَّام (٣) — وكان عظيم الشرف يقال له عبد الرحمن بن شريح — فلقى سعيد بن منقذ الشورىّ وسعر ابن أبي سِعر الحنفيّ والأسود بن جَرّاد الكنديّ وقدامة بن مالك الجشميّ ؛ فاجتمعوا في منزل سِعر الحنفيّ ، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال :

أمّا بعد ؛ فإنّ المختار يريد أن يخرج بنا ، وقد بايعناه ولا ندرى أرسله إلينا ابن الحنفية أم لا ؛ فانهضوا بنا إلى ابن الحنفية فلنخبره بما قدم علينا به

(١) تكلمة من ا .

(٢) كذا في ا ، س ، وفي ط : « اصنع » .

(٣) ابن الأثير : « وشبام : حى من همدان » .

وبما دعانا إليه ؛ فإن رخص لنا في اتباعه اتبعناه ؛ وإن نهانا عنه اجتنبناه ؛ فوالله ما ينبغي أن يكون شيء من أمر الدنيا أثر عندنا من سلامة ديننا . فقالوا^(١) له : أرشدك الله ! فقد أصبت ووفقت ؛ اخرج بنا إذا شئت . فأجمع رأيهم على أن يخرجوا من أيامهم ، فخرجوا ، فلحقوا بابن الحنفية ؛ وكان إمامهم عبد الرحمن بن شريح ، فلما قدموا عليه سألهم عن حال الناس فخبروه عن حالهم وما هم عليه .

قال أبو مخنف : فحدثني خليفة بن ورقاء ، عن الأسود بن جراد الكندي قال : قلنا لابن الحنفية ؛ إن لنا إليك حاجة ؛ قال : فسر^(٢) هي أم علانية؟ قال : قلنا : لا ؛ بل سر ، قال : فرويدا إذا ؛ قال : فكث قليلا ، ثم تحي جانباً فدعانا فقمنا إليه ، فبدأ عبد الرحمن بن شريح ، فتكلم ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : أمّا بعد ؛ فإنكم أهل بيت خصكم الله بالفضيلة ، وشرفكم بالنبوة ، وعظّم حقكم على هذه الأمة ؛ فلا يجهل حقكم إلا مغبون الرأي ، محسوس النصيب ؛ قد أصبتم بحسين رحمة الله عليه . عظمت مصيبة اختصصتم^(٣) بها ، بعد^(٤) ما عم بها المسلمون ، وقد قدم علينا المختار بن أبي عبيد يزعم لنا أنه قد جاءنا من تلقائكم ، وقد دعانا إلى كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم ؛ والطلب بدماء^(٥) أهل البيت ، والدفع عن الضعفاء ؛ فبايعناه على ذلك . ثم إننا رأينا أن نأتيك فنذكر لك ما دعانا إليه ، وندبنا له ؛ فإن أمرتنا باتباعه اتبعناه ، وإن نهيتنا عنه اجتنبناه .

ثم تكلمنا واحداً واحداً بنحو مما تكلم به صاحبنا ؛ وهو يسمع ، حتى إذا فرغنا حمد الله وأثنى عليه ، وصلّى على النبي صلى الله عليه وسلّم ، ثم قال : أمّا بعد ؛ فأما ما ذكرتم مما خصصنا الله^(٦) به من فضل ؛ فإن الله يؤتبه من يشاء والله ذو الفضل العظيم ؛ فله الحمد ! وأمّا ما ذكرتم من مصيبتنا بحسين ؛ فإن ذلك كان في الذكر الحكيم

(١) ف : « قالوا » .

(٢) كذا في ف ، وفي ط : « ما قد خصكم » . (٤) كذا في ا ، وفي ط : « فقد عم »

(٥) ف : « بدم » . (٦) ف : « خصنا » .

وهي ملحمة كتبت عليه ، وكرامة أهداها الله له ، رفع بما كان منها درجات قوم عنده ، ووضع بها آخرين ، وكان أمر الله مفعولا ، وكان أمر الله قدراً مقدوراً . وأما ما ذكرتم من دعاء من دعاكم إلى الطلب بدمائنا ؛ فوالله لو ددت أن الله انتصر لنا من عدونا بمن شاء من خلقه ؛ أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم .

قال : فخرجنا من عنده ، ونحن نقول : قد أذن لنا ؛ قد قال : لو ددت

أن الله انتصر لنا من عدونا بمن شاء من خلقه ، ولو كره لقال : لا تفعلوا .

قال : فجتنا وأناس من الشيعة ينتظرون مقدمنا (١) ممن كنا قد أعلمناه بمخرجنا وأطلعناه على ذات أنفسنا ؛ ممن كان على رأينا من إخواننا ؛ وقد كان بلغ المختار

مخرجنا ، فشق ذلك عليه ، وخشى أن تأتيه بأمر يُخذل الشيعة عنه ؛

فكان قد أرادهم على أن ينهض بهم قبل قدومنا (٢) ؛ فلم يتهيأ ذلك له (٣) ؛ فكان

المختار يقول : إن نفيراً منكم ارتابوا وتحيروا ونابوا ؛ فإن هم أصابوا أقبلوا

وأنا بوا ؛ وإن هم كبوا (٤) وهابوا ، واعترضوا وانجابوا ، فقد تَبَرَّوا ونابوا ؛ فلم يكن

إلا شهراً (٥) وزيادة شيء ؛ حتى أقبل القوم على رواحلهم ، حتى دخلوا

على المختار قبل دخولهم إلى رحالهم ، فقال لهم : ما وراءكم ؟ فقد فُتِنْتُمْ وارتبتم ،

فقالوا له : قد أمرنا بنصرتك فقال : الله أكبر ! أنا أبو إسحاق ، اجتمعوا إلى

الشيعة ، فجمع له منهم من كان منه قريباً فقال : يا معشر الشيعة ؛ إن

نفرأ منكم أحببوا أن يعلموا مصداق ما جئت به ، فرحلوا إلى إمام الهدى ، والنجيب

المرتضى ابن خير من طشي (٦) ومشي ؛ حاشا النبي المحجبي ؛ فسألوه عما قدمت

به عليكم ؛ فنبأهم أني وزيره وظهيره . ورسوله وخليته ؛ وأمركم باتباعي وطاعتي فيما

دعوتكم إليه من قتال المحلئين ، والطلب بدماء أهل بيت (٧) نبيكم المصطفين .

فقام عبد الرحمن بن شريح ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : أما بعد

يا معشر الشيعة ؛ فإننا قد كنا أحببنا أن نستثبت لأنفسنا خاصة ولجميع

إخواننا عامة ؛ فقدمنا على المهدي بن علي ، فسألناه عن حربنا هذه ، وعمأ

دعانا إليه المختار منها ، فأمرنا بمظاهرة ومؤازرته وإجابته إلى ما دعانا إليه ،

(١) كذا في أ ، وفي ط : « لقدومنا » . (٢) ف : مقدما . (٣) ف : له ذلك .

(٤) ف : « نكسوا » . (٥) ف : « غير شهر » .

(٦) كذا في ط ، وفي اللسان : « تطشى المريض ، برئ » . (٧) ف : « بدم أهل البيت » .

فأقبلنا طيبة أنفسنا ، منشرحة صدورنا ، قد أذهب الله منها الشك والغيل^١ والريب ، واستقامت لنا بصيرتنا في قتال عدونا ؛ فليبلغ ذلك شاهدكم ، ٦٠٩/٢ غائبكم ، واستعدوا وتأهبوا . ثم جلس وقمنا رجلا فرجلا^(١)؛ فتكلمنا بنحو من كلامه ؛ فاستجمعت له الشيعة^(٢) وحدث عليه .

قال أبو مخنف : فحدثني نُمَيْر بن وَعَلَّة والمَشْرَقِي . عن عامر الشَّعْبِي ، قال : كنت أنا وأبي أَوْلَ من أجاب المختار . قال : فلما تهيأ أمره ودنا خروجه ؛ قال له أحمر بن شُمَيْط ويزيد بن أنس وعبد الله بن كامل وعبد الله بن شداد : إن أشرف أهل الكوفة مجتمعون على قتالك مع ابن مطيع ؛ فإن جامعنا على أمرنا إبراهيم بن الأشتر رجونا بإذن الله القوة على عدونا ، وألا يضرنا خلاف من خالفنا ، فإنه فتي بثيس ، وابن رجل شريف بعيد الصيت ؛ وله عشيرة ذات عز وعدد . قال لهم المختار : فالتوه فادعوه . وأعلموه الذي أمرنا به من الطلّب بدم الحسين وأهل بيته .

قال الشعبي : فخرجوا إليه وأنا فيهم ، وأبي ، فتكلم يزيد بن أنس ، فقال له : إننا قد أتيناك في أمر نعرضه عليك ، وندعوك إليه ؛ فإن قبلته كان خيرا لك ؛ وإن تركته فقد أدبنا إليك فيه النصيحة ؛ ونحن نحب أن يكون عندك مستورا . فقال لهم إبراهيم بن الأشتر : وإن مثلي لا تخاف غائلته ولا سعائته ؛ ولا التقرب إلى سلطانه باغتياب الناس ، إنما أولئك الصغار الأخطار الدقاق همما . فقال له : إننا ندعوك إلى أمر قد أجمع عليه رأى الملا من الشيعة ؛ إلى كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه ، والطلّب بدماء أهل البيت ، وقاتل المحلّين ، والدفع عن الضعفاء . قال : ثم تكلم أحمر بن شُمَيْط ، فقال له : إني ٦١٠/٢ لك ناصح ، ولحظك محب ، وإن أباك قد هلك وهو سيّد [الناس]^(٣) وفيك منه إن رعيت حق الله خسّف ؛ قد دعوناك إلى أمر إن أحببتنا إليه عادت لك منزلة أبيك في الناس ، وأحييت من ذلك أمرا قد مات ؛ إنما يكفي مثلك اليسير حتى تبلغ الغاية التي لا مذهب وراءها ، إنه قد بنى لك أولك مفتخرًا^(٤) . وأقبل القوم

(١) ف : « رجلا رجلا » . (٢) ف : « لنا الشيعة وله » .

(٣) تكلمة من ا . (٤) ط : « فتحري » ، والصواب ما أثبتته من ا .

كلّهم عليه^(١) يدعونه إلى أمرهم ويرغبونه فيه. فقال لهم إبراهيم بن الأشتر :
 فإني قد أجبتمكم إلى ما دعوتموني إليه من الطلب بدم الحسين وأهل بيته، على
 أن تولّوني الأمر، فقالوا : أنت لذلك أهل ؛ ولكن ليس إلى ذلك سبيل ؛ هذا
 المختار قد جاءنا من قبيل المهديّ ؛ وهو الرسول والمأمور بالقتال ؛ وقد أمرنا
 بطاعته . فسكت عنهم ابن الأشتر ولم يجبههم . فانصرفنا من عنده إلى المختار
 فأخبرناه بما ردّ علينا ؛ قال : فغبر ثلاثاً ؛ ثم إن المختار دعا بضعة عشر
 رجلاً من وجوه أصحابه — قال الشعبي : أنا وأبي فيهم — قال : فسار بنا ومضى أمانا
 يقصد بنا بيوت الكوفة قدماً لا ندرى أين يريد، حتى وقف على باب إبراهيم بن
 الأشتر ؛ فاستأذناً عليه فأذن لنا، وألقيت لنا وسائلاً ؛ فجلسنا عليها وجلس المختار
 معه على فراشه ؛ فقال المختار :

الحمد لله ، وأشهد أن لا إله إلا الله ، وصلى الله على محمد ، والسلام
 عليه ، أمّا بعد ، فإنّ هذا كتاب إليك من المهديّ محمد بن أمير المؤمنين
 الوصيّ ؛ وهو خير أهل الأرض اليوم، وابن خير أهل الأرض كلّها قبل اليوم
 بعد أنبياء الله ورسله ؛ وهو يسألك أن تنصرنا وتؤازرنا ، فإن فعلت اغتبطت ،
 وإن لم تفعل فهذا الكتاب حجة عليك، وسيغني الله المهديّ محمدًا وأوليائه عنك .
 قال الشعبيّ : وكان المختار قد دفع الكتاب إلى حين نخرج من منزله ؛
 فلما قضى كلامه قال لي : ادفع الكتاب إليه ، فدفعته إليه ، فدعا بالمصباح وقضّ
 خاتمه ، وقرأه فإذا هو :

بسم الله الرحمن الرحيم . من محمد المهديّ إلى إبراهيم بن مالك
 الأشتر ، سلام عليك ؛ فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو ؛ أما بعد
 فإني قد بعثت إليكم بوزيري وأميني ونجيبتي الذي ارتضيته لنفسي ، وقد
 أمرته^(٢) بقتال عدوي والطلب بدماء أهل بيتي ؛ فانفضّ معه بنفسك
 وعشيرتك ومنّ أطاعك ؛ فإنك إن نصرته وأجبت دعوتي وساعدت وزيري
 كانت لك عندي بذلك^(٣) فضيلة ؛ ولك بذلك أعتة الخيل وكلّ جيش
 غازٍ ، وكلّ مصر ومنبر وثغر ظهرت عليه فيما بين الكوفة وأقصى بلاد أهل

(١) ف : « عليه كلهم » .

(٢) ف : « وأمرته » .

(٣) ف : « بلك عندي » .

الشأم، على الوفاء بذلك على عهد الله؛ فإن فعلت ذلك نلت به عند الله أفضل الكرامة، وإن أبيت هلكت هلاكاً لا تستقبله أبداً، والسلام عليك.

فلما قضى إبراهيم قراءة الكتاب، قال: لقد كتب إلى ابن الحنفية؛ وقد كتبت^(١) إليه قبل اليوم؛ فما كان يكتب إلى إلا باسمه واسم أبيه، قال له ٦١٢/٢ المختار: إن ذلك زمان وهذا زمان، قال إبراهيم: فمن يعلم أن هذا كتاب ابن الحنفية إلى؟ فقال له: يزيد بن أنس وأحمر بن شميطة وعبد الله بن كامل وجماعتهم - قال الشعبي: إلا أنا وأبي - فقالوا: نشهد أن هذا كتاب محمد ابن علي إليك، فتأخر إبراهيم عند ذلك عن صدر الفرائش فأجلس المختار عليه، فقال: ابسط يدك أبيعتك؛ فبسط المختار يده فبايعه إبراهيم، ودعا لنا بفاكهة، فأصبنا منها؛ ودعا لنا بشراب من عسل فشربنا ثم نهضنا؛ وخرج معنا ابن الأشر؛ فركب مع المختار حتى دخل رحله؛ فلما رجع إبراهيم منصرفاً أخذ بيدي، فقال: انصرف بنا يا شعبي، قال: فانصرفت معه ومضى بي حتى دخل بي رحله، فقال: يا شعبي، إني قد حفظت أنك لم تشهد أنت ولا أبوك؛ أفرى هؤلاء شهدوا على حق؟ قال: قلت له: قد شهدوا على ما رأيت وهم سادة القراء ومشايخة المصر وفسان العرب، ولا أرى مثل هؤلاء يقولون إلا حقاً. قال: فقلت له هذه المقالة؛ وأنا والله لهم على شهادتهم متهم؛ غير أني يعجبني الخروج وأنا أرى رأي القوم؛ وأحب تمام ذلك الأمر^(٢)؛ فلم أطلع على ما في نفسي من ذلك؛ فقال لي ابن الأشر: اكتب لي أسماءهم فلاني ليس كلهم أعرف. ودعا بصحيفة ودواة، وكتب فيها:

بسم الله الرحمن الرحيم؛ هذا ما شهد عليه السائب بن مالك الأشعري، ويزيد بن أنس الأسدي وأحمر بن شميطة الأحمسي ومالك بن عمرو النهدي؛ حتى أتى على أسماء القوم؛ ثم كتب: شهدوا أن محمد بن علي كتب إلى إبراهيم بن الأشر يأمره بموازرة المختار ومظاهرتة على قتال المحلّين، والطلب بدماء أهل البيت، وشهد على هؤلاء النفر الذين شهدوا على هذه الشهادة شرّاحيل ابن عبد - وهو أبو عامر الشعبي الفقيه - وعبد الرحمن بن عبد الله النخعي،

(٢) بعدها في ف: «لم».

(١) ف: «وكتبت».

وعامر بن شراحيل الشعبي . فقلت له : ما تصنع بهذا رحمك الله ؟ فقال :
دعنه يكون . قال : ودعا إبراهيم عشيرته وإخوانه ومن أطاعه ، وأقبل يختلف إلى
المختار .

* * *

قال هشام بن محمد : قال أبو مخنف : حدثني يحيى بن أبي عيسى الأزدي ،
قال : كان حميد بن مسلم الأزدي صديقاً لإبراهيم بن الأشتر ؛ وكان
يختلف إليه ؛ ويذهب به معه ؛ وكان إبراهيم يروح في كل عشية عند المساء ،
فيأتي المختار ، فيمكث عنده حتى تصوب النجوم ، ثم ينصرف ؛ فمكثوا بذلك
يدبرون أمورهم ؛ حتى اجتمع رأيهم على أن يخرجوا ليلة الخميس لأربع
عشرة من ربيع الأول سنة ست وستين ، ووطن على ذلك شيعتهم ومن أجابهم .
فلما كان عند غروب الشمس ، قام إبراهيم بن الأشتر ؛ فأذن ؛ ثم إنه
استقدم ، فصلّى بنا المغرب ، ثم خرج بنا بعد المغرب حين قلت : أخوك أو
الذئب^(١) - وهو يريد المختار ، فأقبلنا علينا السلاح ، وقد أتى إياس بن مضارب
عبد الله بن مطيع فقال : إن المختار خارج عليك إحدى الليلتين ؛ قال :
فخرج إياس في الشرط^(٢) ، فبعث ابنه راشداً إلى الكناسة ، وأقبل يسير
حول السوق في الشرط .

ثم إن إياس بن مضارب دخل على ابن مطيع ، فقال له : إنى قد بعثت
ابني إلى الكناسة ، فلو بعثت في كل جبانة بالكوفة عظيمة رجلاً من
أصحابك في جماعة من أهل الطاعة ؛ هاب المريب الخروج عليك . قال :
فبعث ابن مطيع عبد الرحمن بن سعيد بن قيس إلى جبانة السبيع ، وقال :
اكفني قوهك ، لا أوتين من قبيلك ، وأحكيم أمر الجبانة التي وجهتك إليها ،
لا يحدثن بها حديث ؛ فأوليك العجز والوهن . وبعث كعب بن أبي كعب
الخنعمي إلى جبانة بشر ، وبعث زحر بن قيس إلى جبانة كندة ، وبعث
شمير بن ذى الجوشن إلى جبانة سالم ، وبعث عبد الرحمن بن مخنف بن سليم إلى
جبانة الصائديين ، وبعث يزيد بن الحارث بن رؤيم أبا حوشب إلى جبانة مراد ،

(١) يقال : أخوك أو الذئب ؛ إذا اشتد الظلام . (٢) ف : « الشرطة » .

وأوصى كلَّ رجل أن يكفيه قومه ، وألاً يؤتَى من قبَله ، وأن يحكم الوجه الذي وجَّهه فيه ؛ وبعث شَبَث بن رِبْعَى إلى السَّبَخَةِ ، وقال : إذا سمعت صوت القوم فوجَّه نحوهم ؛ فكان هؤلاء قد خرجوا يوم الاثنين ؛ فنزلوا هذه الجبايين ، وخرج إبراهيم بن الأشتر من رحله بعد المغرب يريد إتيان المختار ؛ ٦١٥/٢ وقد بلغه أن الجبايين قد حُشيت رجالا ، وأن الشرط قد أحاطت بالسوق والقصر .

قال أبو مخنف : فحدثني يحيى بن أبي عيسى . عن حميد بن مسلم . قال : خرجت مع إبراهيم من منزله بعد المغرب ليلة الثلاثاء حتى مررنا بدار عمرو بن حريث ، ونحن مع ابن الأشتر كتيبة نحو من مائة ، علينا الدروع . قد كفرنا^(١) عليها بالأقبية ، ونحو متقلدو السيوف ؛ ليس معنا سلاحٌ إلا السيوف في عواتقنا ، والدروع قد سترناها بأقبيتنا ؛ فلمَّا مررنا بدار سعيد بن تيس فجزئناها إلى دار أسامة ، قلنا : مرَّ بنا على دار خالد بن عرفة ، ثم امض بنا إلى بسجيلة ، فلنمرَّ في دورهم حتى نخرج إلى دار المختار — وكان إبراهيم فتى حداثاً شجاعاً ؛ فكان لا يكره أن يلقاهم — فقال : والله لأمرنَّ على دار عمرو بن حريث إلى جانب القصر وسط السوق ، ولأرعبن به عدونا ولأرينَّهم هوانهم علينا . قال : فأخذنا على باب الفيل على دار ابن هبار^(٢) ؛ ثم أخذ ذات اليمين على دار عمرو بن حريث ؛ حتى إذا جاوزها ألفينا إياس بن مضارب في الشرط مظهرين السلاح ، فقال لنا : من أنتم ؟ ما أنتم ؟ فقال له إبراهيم : أنا إبراهيم بن الأشتر ، فقال له ابن مضارب : ما هذا الجمع معك ؟ وما تريد ؟ والله إنَّ أمرك لمريب ! وقد بلغني أنك تمرَّ كلَّ عشية ها هنا ، وما أنا بتاركك حتى آتي بك الأمير فيرى فيك رأيه . فقال إبراهيم : لأبا لغيرك ! نحلَّ سبيلنا ، فقال : كلاً والله لا أفعل — ومع إياس بن مضارب رجل من همدان ، يقال له أبو قطن ، كان يكون مع إمرة الشرط فهم يكرمونه ويؤثرونه ، وكان لابن الأشتر صديقاً — فقال له ابن الأشتر : يا أبا قطن ، ادنُ مني — ومع أبي قطن رمح له طويل — ؛ فدنا منه أبو قطن ، ومع الرمح ؛

(١) كفرنا ، أى سترنا . (٢) ط : « هبار » ، وانظر الجزء الرابع ص ٢٧٣ .

وهو يرى أن ابن الأشر يطلب إليه أن يشفع له إلى ابن مضارب ليخلى سبيله ؛ فقال إبراهيم - وتناول الرمح من يده (١) : إن رمحك هذا لطويل ؛ فحمل به إبراهيم على ابن مضارب ، فطعنه في ثُغرة نحره فصرعه ، وقال لرجل من قومه : انزل [عليه] (٢) ، فاحتز رأسه ، فنزل إليه فاحتز رأسه ، وتفرق أصحابه ورجعوا إلى ابن مطيع . فبعث ابن مطيع ابنه راشد بن إياس مكان أبيه (٣) على الشرطة ، وبعثه مكان راشد بن إياس إلى الكُناسة تلك الليلة سوويد بن عبد الرحمن المُنقرى أبا القعقاع بن سوويد . وأقبل إبراهيم بن الأشر إلى المختار ليلة الأربعاء ، فدخل عليه فقال له إبراهيم : إننا اتعدنا للخروج للمقابلة ليلة الخميس . وقد حدث أمرٌ لا بدّ من الخروج الليلة ، قال المختار : ما هو ؟ قال : عرض لي إياس بن مضارب في الطريق ليحبسني بزعمه ، فقتلته ؛ وهذا رأسه مع أصحابي على الباب . فقال المختار : فبشرك الله بخير ! فهذا طير صالح ، وهذا أول الفتح إن شاء الله . ثم قال (٤) المختار : قم يا سعيد بن منقذ ، فأشعل في الهردى (٥) النيران ثم ارفعها للمسلمين ، وقم أنت يا عبد الله بن شداد ؛ فناد : « يا منصور أمت » ؛ وقم أنت يا سفيان بن ليل ، وأنت يا قدامة ابن مالك ، فناد : يا لثارات الحسين ! ثم قال المختار : على بدرعى وسلاحى ، فأتى به ؛ فأخذ يلبس سلاحه ويقول :

٦١٧/٢ قَدْ عَلِمْتَ بِيَضَاءِ حَسَنَاءِ الظَّلَلِ وَاضِحَةِ الخَدَّيْنِ عَجَزَاءِ الكَمَلِ

* أَنَى غَدَاةَ الرُّوعِ مِقْدَامٌ بَطَلٌ *

ثم إن إبراهيم قال للمختار : إن هؤلاء الرؤوس اللذين وضعهم ابن مطيع في الجبابين يمنعون إخواننا أن يأتونا ، ويضيقون عليهم ؛ فلو أنى خرجت بمنى معي من أصحابي حتى آتى قومي ؛ فيأتيني كل منى قد بايعني من قومي ، ثم سرت بهم في نواحي الكوفة . ودعوت بشعارنا ؛ فخرج إلى منى أراد الخروج إلينا ، ومنى قدر على إتيانك من الناس ؛ فمن أتاك حبسته عندك إلى منى

(١) ف : « بيده » . (٢) من ف .

(٣) ف « راشد مكان أبيه إياس » . (٤) كذا في ف : وفي ط : « فقال » .

(٥) في اللسان : « الهردية : قصبات تضم ملوية بطاقات الكرم ، تحمل عليها قضبانها » .

معك ولم تفرّقهم ؛ فإن عوجلت فأتيت كان معك من تمتنع به ؛ وأنا لو قد فرغت من هذا الأمر عجلت إليك في الخيل والرجال . قال له . إمّالا^(١) فاعجل وإيّاك أن تسير إلى أميرهم تقاتله . ولا تقاتل أحداً وأنت تستطيع ألا تقاتل ، واحفظ ما أوصيتك به إلا أن يبدئك أحد بقتال . فخرج إبراهيم بن الأشتر من عنده في الكتيبة التي أقبل فيها ؛ حتى أتى قومه ، واجتمع إليه جلّ من كان بايعه وأجابه . ثم إنّه سار بهم في سيكك الكوفة طويلاً من الليل ؛ وهو في ذلك يتجنّب السيك التي فيها الأمراء ، فجاء إلى الذين معهم الجماعات الذين وضع ابن مطيع في الجبابين وأفواه الطرق العظام ، حتّى انتهى إلى مسجد السكون ، وعجلت إليه خيل من خيل زحر بن قيس الجعفي ليس لهم قائد ولا عليهم أمير . فشدّ عليهم إبراهيم بن الأشتر وأصحابه ، فكشفوهم حتّى دخلوا جبانة كندة ، فقال إبراهيم : من صاحب الخيل في ٢١٨/٢ جبانة كندة ؟ فشدّ إبراهيم وأصحابه عليهم ، وهو يقول : اللهم إنك تعلم أنا غضبنا لأهل بيت نبيك ، وثرنا لهم : فانصرنا عليهم : وتمّم لنا دعوتنا ؛ حتّى انتهى إليهم هو وأصحابه ، فخالطوهم وكشفوهم فقبل له : زحر بن قيس ؛ فقال : انصرفوا بنا عنهم ، فركب بعضهم بعضاً كلّما لقيهم زقاق دخل منهم طائفة ، فانصرفوا يسرون .

ثم خرج إبراهيم يسير حتّى انتهى إلى جبانة أثير ، فوقف فيها طويلاً ، ونادى أصحابه بشعارهم ، فبلغ سويد بن عبد الرحمن المنقري مكانهم^(٢) في جبانة أثير ، فرجا أن يصيبهم فيحطى بذلك عند ابن مطيع ، فلم يشعر ابن الأشتر إلا وهم معه في الجبانة ، فلمّا رأى ذلك ابن الأشتر قال لأصحابه : يا شرطّة الله ، انزلوا فإنكم أولى بالنصر من الله من هؤلاء الفساق الذين خاضوا دماء أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم . فنزلوا . ثم شدّ عليهم إبراهيم ، فضر بهم حتّى أخرجهم من الصحراء ، وولّوا منهزمين يركب بعضهم بعضاً ، وهم يتلاومون ، فقال قاتل منهم : إن هذا الأمر يراد ، ما يلقون لنا جماعة

(١) إمّالا ، أى إن كنت لا تفعل غير ذلك .

(٢) ف : « حديثهم ومكانهم » .

لَا هَزْمُوهُم ! فلم يزل يَهْزِمُهُمْ حَتَّى أَدْخَلَهُمُ الْكُنُاسَةَ . وقال أصحاب إبراهيم لإبراهيم : اتَّبِعْهُمْ وَاجْتَنِبْ مَا قَدْ دَخَلَهُمْ مِنَ الرَّعْبِ ، فقد علم الله إلى مَنْ نَدَعُو وَمَا نَطْلُبُ ، وإلى مَنْ يَدْعُونَ وَمَا يَطْلُبُونَ ! قال : لا ، ولكن سِيرُوا بِنَا إِلَى صَاحِبِنَا حَتَّى يُؤْمِنَ اللَّهُ بِنَا وَحَشْتَنَ ، ونكون من أمره على عِلمٍ ، ويعلم هو أيضاً ما كان من عَسَائِنَا ، فيزداد هو وأصحابه قُوَّةً وَبَصِيرَةً إِلَى قَوَاهِمِ وَبَصِيرَتِهِمْ ، مع أني لا آمن أن يكون قد أتى . ٦١٩/٢

فأقبل إبراهيمُ في أصحابه حتَّى مرَّ بمسجد الأشعث ، فوقفَ به ساعة ، ثمَّ مضى حتَّى أتى دار المختار ، فوجد الأصواتَ عاليةً ، والقومَ يقتتلون ، وقد جاء شَبَثُ بن ربيعٍ من قبَلِ السَّبْحَةِ ، فعَيَّ له المختارُ يزيد بن أنس ، وجاء حجَّارُ بن أبيجر العجلى : فجعل المختار في وجهه أحمر بن شميظ ، فالناس يقتتلون ، وجاء إبراهيم من قبل القصر ، فبلغ حجَّاراً وأصحابه أن إبراهيم قد جاءهم من ورائهم ، فتفرقوا قبل أن يأتيهم إبراهيم ، وذهبوا في الأزقة والسكك ، وجاء قيس بن طهفة في قريب من مائة رجل من بني نهْد من أصحاب المختار ، فحمل على شَبَثِ بن ربيعٍ وهو يقاتل يزيد بن أنس ، فخلَّى لهم الطريق حتَّى اجتمعوا جميعاً . ثمَّ إن شَبَثَ بن ربيعٍ ترك لهم السكَّةَ ، وأقبل حتَّى لقي ابن مطيع ، فقال : ابعث إلى أمراء الجسَّابين فرهم فليأتوك ، فاجمع إليك جميع الناس ، ثمَّ انهض إلى هؤلاء القوم فقاتلهم وابعث إليهم من تثق به فليكفك قتلهم ، فإن أمر القوم قد قوى ، وقد خرج المختار وظهر ، واجتمع له أمره . فلماً بلغ ذلك المختار من مشورة شَبَثِ بن ربيعٍ على ابن مطيع خرج المختار في جماعة من أصحابه حتَّى نزل في ظهر ديسر هند ممساً يلي بُسْتَانِ زائدة في السَّبْحَةِ .

قال : وخرج أبو عثمان النهدي فنادى في شاكر وهم مجتمعون في دورهم ، يخافون أن يظهروا في الميدان لقرب كعب بن أبي كعب الخثعمي منهم ، وكان كعب في جبَّانة بشر ، فلماً بلغه أن شاكرًا تخرج جاء يسير^(١) حتى نزل بالميدان ، وأخذ عليهم بأفواه سيككهم وطرقهم . قال : فلماً أتاهم أبو عثمان النهدي

(١) : « أقبل يسير » .

في عصابة من أصحابه ، نادى : يا لثارات الحسين ! يا منصورُ أمت !
 يأتيها الحى المهتدون ، ألا إن أمير آل محمد ووزيرهم . قد خرج فنزل
 ديرَ هند ، وبعثنى إليكم داعياً ومبشراً ، فاخرجوا إليه يرحمكم الله ! قال :
 فخرجوا من الدور يتداعون : يا لثارات الحسين ! ثم ضاربوا كعب بن
 أبى كعب حتى نخلّى لهم الطريق ، فأقبلوا إلى المختار حتى نزلوا معه في
 عسكره ، وخرج عبد الله بن قراد الخثعمي في جماعة من نختم نحو المائتين
 حتى لحق بالمختار ، فنزلوا معه في عسكره ، وقد كان عرض له كعب بن
 أبى كعب فصافه ، فلما عرفهم ورأى أنهم قومه نخلّى عنهم . ولم
 يقاتلهم .

وخرجت شيبام من آخر ليلتهم فاجتمعوا إلى جبانة مراد ، فلما
 بلغ ذلك عبد الرحمن بن سعيد بن قيس بعث إليهم : إن كنتم تريدون السحاق
 بالمختار فلا تمروا على جبانة السبيع ، فلتحرقوا بالمختار ، فتوافى إلى المختار
 ثلاثة آلاف وثمانمائة من اثني عشر ألفاً كانوا بايعوه ، فاستجمعوا له قبل
 انفجار الفجر ، فأصبح قد فرغ من تعبته .

قال أبو مخنف : فحدثني الوالي قال : خرجت أنا وحميد بن مسلم ،
 والنعمان بن أبى الجعد إلى المختار ليلة نخرج ، فأتيناها في داره ، وخرجنا معه
 إلى معسكره ؛ قال : فوالله ما انفجر الفجر حتى فرغ من تعبته ؛ فلما ٦٢١/٢
 أصبح استقدم ، فصلّى بنا الغداة بغلّس ، ثم قرأ « والنازعات » و« عبس وتولى » ،
 قال : فما سمعنا إماماً أمّ قوماً أفصح لهجةً منه .

قال أبو مخنف : حدثني حصيرة بن عبد الله ، أن ابن مطيع بعث إلى
 أهل الجبايين ، فأمرهم أن ينضموا إلى المسجد ، وقال لراشد بن إياس بن
 مضارب : ناد في الناس فليأتوا المسجد ، فنادى المنادى : ألا برئت الذمة
 من رجل لم يحضر المسجد الليلة ! فتوافى الناس في المسجد ، فلما اجتمعوا
 بعث ابن مطيع شبيب بن ربعي في نحو من ثلاثة آلاف إلى المختار ، وبعث
 راشد بن إياس في أربعة آلاف من الشرط .

قال أبو مخنف : فحدثني أبو الصلت التيمي عن أبى سعيد الصيقل ،

قال : لما صلّيتُ المختار الغداةَ ثم انصرف سَمَعْنَا أصواتًا مرتفعة فيما بين
 بنى سُلَيْمٍ وسكّة البريد ، فقال المختار : مَنْ يعلم لنا علم هؤلاء ما هم ؟
 فقلت له : أنا أصلحك الله ! فقال المختار : إمامًا لا (١) فألقى سلاحك وانطلق
 حتى تدخل فيهم كأنك نظار ، ثم تأتيني بخبرهم . قال : ففعلتُ ، فلما
 دنوت منهم إذا مؤذنين يقيم ، فجئت حتى دنوتُ منهم فإذا شَبَّث بن
 رِبْعِيٍّ معه نخيل عظيمة ، وعلى نخيله شَيْبَان بن حُرَيْث الضبيّ ، وهو في
 الرجالة معه منهم كثرة ، فلما أقام مؤذنينهم تقدّم فصلّي بأصحابه ، فقرأ : ﴿ إِذَا
 زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ﴾ ، فقلت في نفسي : أما والله إنى لأرجو أن يزلزل الله بكم ،
 وقرأ : ﴿ وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا ﴾ ، فقال أناس من أصحابه : لو كنت قرأت سورتين هما
 ٦٢٢/٢ أطول من هاتين (٢) شيئًا اِفْقال شَبَّث : ترون الذي لم قد نزلت بساحتكم ،
 وأنتم تقولون : لو قرأت سورة « البقرة » و « آل عمران » ! قال : وكانوا ثلاثة آلاف ،
 قال : فأقبلت سريعًا حتى أتيت المختار فأخبرته بخبر (٣) شَبَّث وأصحابه ،
 وأتاه معي ساعة أتيت (٤) سَعْر بن أبي سعر الحنفيّ يركض من قبيل مراد ،
 وكان ممن بايع المختار فلم يقدر على الخروج معه ليلة خرج مخافة الحرس ،
 فلما أصبح أقبل على فرسه ، فرّ بجبانة مراد ؛ وفيها راشد بن إياس ، فقالوا :
 كما أنت ! ومن أنت ؟ فراكضهم حتى جاء المختار ، فأخبره خبر راشد ، وأخبرته
 أنا خبر شَبَّث ، قال : فسرح إبراهيم بن الأشتر قبيل راشد بن إياس في تسعمائة—
 ويقال ستمائة فارس وستائة راجل — وبعث نعيم بن هبيرة أخا مصقلة بن هبيرة
 في ثلثمائة فارس وستائة راجل ، وقال لهما : امضيا حتى تلقيا عدوكم ، فإذا
 لقيتاهم فانزلا في الرجال وعجلا الفترّاغ وابدأهم بالإقدام ، ولا تستهدفا لهم ؛
 فإنهم أكثر منكم ، ولا ترجعا إلىّ حتى تظهرا أو تقتلا . فتوجه إبراهيم إلى
 راشد ، وقدم المختار يزيد بن أنس في موضع مسجد شَبَّث في تسعمائة أمامه .
 وتوجه نعيم بن هبيرة قبيل شَبَّث .

قال أبو مخنف : قال أبو سعيد الصيقل : كنت أنا فيمن توجه مع نعيم

(١) إما لا ، أي إن كنت لاتفعل غير ذلك . (٢) ف : « منها » .

(٣) ف : « خبر » . (٤) ف : « وافيته » .

ابن هبيرة إلى شَبَّهت ومعى سِعْر بن أبي سَعْر الحنفيّ ، فلما انتهينا إليه قاتلناه ٦٢٣/٢ قتالا شديداً ، فجعل نعيم بن هبيرة سَعْر بن أبي سَعْر الحنفيّ على الخيل ، ومشى هو في الرجال فقاتلهم حتى أشرقت الشمس وانبسطت ، فضر بناهم حتى أدخلناهم البيوت ؛ ثم إنَّ شَبَّهت بن رِبْعَى ناداهم : يا حماة السوء ! بشس فرسان الحقائق (١) أنتم ! أمينٌ عبيدكم تهريون (٢) ! قال : فتابت إليه منهم جماعة (٣) فشدّ علينا وقد تفرّقنا فهزمتنا ، وصبر نعيم بن هبيرة فقتل ، ونزل سَعْر فأسير وأسيرت أنا وخليد مولى حسان بن محدوج (٤) ، فقال شَبَّهت لخليد - وكان وسيماً جسيماً : من أنت ؟ فقال : (٥) خليد مولى حسان بن محدوج الذهلي ، فقال له شَبَّهت : يا بن المستكاء ، تركت بيع الصّحاة (٦) بالكُناسة وكان جزاء من أعتقك أن تعدو عليه بسيفك تضرب رقابه ! اضربوا عنقه ، فقتل ، ورأى سَعْر الحنفيّ فعرفه ، فقال : أخو بني حنيفة ؟ فقال له : نعم ؛ فقال : ويحك ! ما أردت إلى اتباع هذه السبئية ! قبح الله رأيك ، دعوا ذا . فقلت في نفسي : قتلت المولّي وتترك العربيّ ؛ إن علم والله إنّي مولى قتلى . فلما عُرِضت عليه قال : من أنت ؟ فقلت : من بني تيم الله ؛ قال : أعربيّ أنت أو مولّي ؟ فقلت : لا بل عربيّ ، أنا من آل زياد بن خصّفة ، فقال : يخ بخ ! ذكرت الشريف المعروف ، الحقُّ بأهلك . قال : فأقبلتُ حتّى انتهيت إلى الحمراء ، ٦٢٤/٢ وكانت لي في قتال القومِ بصيرة ، فجئت حتى انتهيت إلى المختار ؛ وقلت في نفسي : والله لآتين أصحابي فلا وأسينّهم بنفسي ، فقبح الله العيشَ بعدهم ! قال : فأثبتهم وقد سبقني إليهم سَعْر الحنفيّ ، وأقبلتُ إليه خيلٌ شَبَّهت ، وجاءه قتلُ نعيم بن هبيرة ، فدخل من ذلك أصحاب المختار أمرٌ كبير ؛ قال : فدزوتُ من المختار ، فأخبرته بالذي كان من أمرى ، فقال لي : اسكت ، فليس هذا بمكان الحديث . وجاء شَبَّهت حتّى أحاط بالمختار وبيزيد بن أنس

(١) ف : « الحقيقة » . (٢) ف : « تفرون » .

(٣) ف : « جماعة منهم » .

(٤) ط : « يخذح » ، والصواب ما أثبتته ؛ وانظر الاشتقاق ٣٤٧ . (٥) ف : « قال » .

(٦) المتكأ من النساء : هي التي لم تخفض ؛ وهو من السب عندهم . وفي اللسان : « الصحناء

بالكسر : إدام يتخذ من السلمك ، يمد ويقصر ، والصحاة أخص منه » .

وبعث ابن مطيع يزيد بن الحارث بن رؤيم في ألفين من قبل سكة لحام جرير، فوقفوا في أفواه تلك السكك، وولّى المختار يزيد بن أنس خيلته، وخرج هو في الرجالة.

قال أبو مخنف: فحدثني الحارث بن كعب الوالبي؛ والبة الأزدي، قال: حملت علينا خيل شبيب بن ربيعة حملتين، فما يزول منا رجل من مكانه، فقال يزيد بن أنس لنا: يا معشر الشيعة، قد كنتم تقتلون وتقطع أيديكم وأرجلكم، وتسمّل أعينكم، وتُرفعون على جذوع النخل في حُبّ أهل بيت نبيكم؛ وأنتم مقيمون في بيوتكم، وطاعة عدوكم، فما ظنكم بهؤلاء القوم إن ظهروا عليكم اليوم! إذًا والله لا يدعون منكم عينًا تطرف، وليقتلنكم صبرًا، ولترؤن منهم في أولادكم وأزواجكم وأموالكم ما الموت خير منه، والله لا يسجّيكم منهم إلا الصدق والصبر، والظعن الصائب في أعينهم، والضرب الدراك^(١) على هامهم. فتيسروا للشدة، وتهيئوا للحملة، فإذا حرّكت رأيتي مرتين فاحملوا. قال الحارث: فتهيئنا وتيسرنا، وجئونا على الركب، وانتظرنا أمره.

قال أبو مخنف: وحدثني فضيل بن خديج الكندي أن إبراهيم بن الأشتر كان حين توجه إلى راشد بن إياس، مضى حتى لقيه في مراد، فإذا معه أربعة آلاف، فقال لإبراهيم لأصحابه: لا يهولنكم كثرة هؤلاء، فوالله لرُبّ رجل خير من عشرة، ولرُبّ فئة قليلة قد غلبت فئة كثيرة بإذن الله والله مع الصابرين، ثم قال: يا خزيمة بن نصر، سرّ إليهم في الخيل. ونزل هو يمشي في الرجال، ورايته مع مزاحم بن طفيل، فأخذ إبراهيم يقول له: ازدكف برايتك، امض بها قُدماً قُدماً. واقتل الناس، فاشتد قتالهم، وبصر خزيمة بن نصر العبسي براشد بن إياس، فحمل عليه

(١) الظعن الدارك: المتتابع.

فقطعنه ، فقتلته ، ثم نادى : قتلْتُ راشداً وربَّ الكعبة . وانهزم أصحابُ راشد ، وأقبل إبراهيمُ بن الأشر و خزيمة بن نصر ومن كان معهم بعد قتل راشد نحو المختار ، وبعث النعمانُ بن أبي الجعد يبشِّر المختار بالفتح عليه وبقتل راشد ، فلماً أن جاءهم البشير بذلك كبروا ، واشتدَّت أنفسهم ، ودخل أصحاب ابن مطيع الفسَّسَل ، وسرح ابن مطيع حسان بن فائد بن بكير العبسي في جيش كثيف نحو من ألفين . فاعترض إبراهيم بن الأشر فوَّيق الحمراء ليرده عمَّن في السبحة من أصحاب ابن مطيع ، فقصدَّم إبراهيم خزيمة بن نصر إلى حسان بن فائد في الخيل ، ومشى إبراهيم نحوه في الرجال . فقال :

والله ما اطعنا برمح ، ولا اضطرنا بسيف ، حتَّى انهزموا . وتخلَّف

حسان بن فائد في أخريات الناس يحميهم ، وحمل عليه خزيمة بن نصر ، ١٢٦/٢
فلماً رآه عرفه ، فقال له : يا حسان بن فائد ، أما والله لولا القرابة لعرفت أني سألتمس قتلك بجهدى ، ولكن النجاء ، فعثر بحسان فرسه فوق ، فقال : تعساً لك ؛ أبا عبد الله ! وابتدره الناس فأحاطوا به ، فصار بهم ساعة بسيفه ، فناداه خزيمة بن نصر ، قال : إنك آمن يا أبا عبد الله ، لا تقتل نفسك ، وجاء حتَّى وقف عليه ونهته الناس عنه ، ومرَّ به إبراهيم ، فقال له خزيمة : هذا ابن عمِّي وقد آمنته ؛ فقال له إبراهيم : أحسنت ، فأمر خزيمة بطلب فرسه حتَّى أتى به ، فحمله عليه ، وقال : الحق بأهلك .

قال : وأقبل إبراهيم نحو المختار ، وشبَّت محيط بالمختار ويزيد بن أنس ، فلماً رآه يزيد بن الحارث وهو على أفواه سلكك الكوفة التي تلى السبحة ، وإبراهيم مقبل نحو شبَّت ، أقبل نحوه ليصدّه عن شبَّت وأصحابه ، فبعث إبراهيم طائفة من أصحابه مع خزيمة بن نصر ، فقال : أغنرنا يزيد بن الحارث ، وصمَّده هو في بقية أصحابه نحو شبَّت بن ربعمي .

قال أبو مخنف : فحدثني الحارث بن كعب أن إبراهيم لمَّا أقبل نحونا رأينا شبَّتاً وأصحابه ينكصون وراءهم رويداً رويداً ، فلماً دنا إبراهيم من شبَّت وأصحابه ، حمل عليهم ، وأمرنا يزيد بن أنس بالحملة عليهم ،

فحملنا عليهم ، فانكشفوا حتّى انتهوا إلى أبيات الكوفة ، وحمل خزيمة ابن نصر على يزيد بن الحارث بن رؤيم فهزمه ، وازدحموا على أفواه السكك ، وقد كان يزيد بن الحارث وضع رامية على أفواه السكك فوق البيوت ، وأقبل المختار في جماعة الناس إلى يزيد بن الحارث ، فلما انتهى أصحاب المختار إلى أفواه السكك رمته تلك الرامية^(١) بالنبل ، فصدّوهم عن دخول الكوفة من ذلك الوجه ، ورجع الناس من السبّخة منهزمين إلى ابن مطيع ، وجاءه قتل راشد بن إياس ، فأسقط في يده .

قال أبو مخنف : فحدثني يحيى بن هاني ، قال : قال عمرو بن الحجاج الزبيدي لابن مطيع : أيها الرجل لا يسقط في خلك ، ولا تلتق بيديك ، أخرج إلى الناس فاندبهم إلى عدوك فاغزهم ، فإن الناس كثير عدوهم . وكلهم معك إلا هذه الطاغية التي خرجت على الناس ، والله محزبها ومهلكها ، وأنا أول مستدب ، فاندب معي طائفة ، ومع غيري طائفة . قال : فخرج ابن مطيع ، فقام في الناس ، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : أيها الناس ، إن من أعجب العجائب عجزكم عن عصابة منكم قليل عدوها ، خبيث دينها . ضالّة مضلّة . اخرجوا إليهم فامنعوا عنهم حرّيمكم وقاتلوهم عن ميصركم ، وامنعوا منهم فسيثكم ، وإلا والله ليشاركسكم في فسيثكم من لا حق له فيه . والله لقد بلغني أن فيهم خمسمائة رجل من محرريكم عليهم أمير منهم ، وإنما ذهب عزكم وسلطانكم وتغير دينكم حين يكثرون . ثم نزل .

قال : ومنعهم يزيد بن الحارث أن يدخلوا الكوفة . قال : ومضى المختار من السبّخة حتّى ظهر على الجبّانة ، ثم ارتفع إلى البيوت ، بيوت مزينة وأحمس وبارق ، فنزل عند مسجدهم وبيوتهم ، وبيوتهم شاذّة منفردة من بيوت أهل الكوفة ، فاستقبلوه بالماء ، فسقى أصحابه ، وأبى المختار أن يشرب . قال : فظن أصحابه أنه صائم ، وقال أحمر بن هديج من همدان

(١) ف : « الرامية » .

لابن كامل : أتري الأُمسِيرَ صائمًا؟ فقال له : نعم ، هو صائم ، فقال له : فلو أنه كان في هذا اليوم مفطرًا كان أقوى له ؛ فقال له : إنه معصوم ، وهو أعلم بما يصنع ؛ فقال له : صدقت . أستغفر الله . وقال المختار : نعم ، مكان المقاتل هذا ، فقال له : لإبراهيم بن الأشتر : قد هزمهم الله وفلسهم ، وأدخل الرعبَ قلوبهم . وتنزل هاهنا! سيربنا ؛ فوالله ما دون القصر أحدٌ يمنع ، ولا يتمتع كبير امتناع ؛ فقال المختار : لِيُتَمَّعَ ها هنا كل شيخ ضعيف وذى علّة ، وضعوا ما كان لكم من ثَمَلٍ ومَتَاعٍ بهذا الموضع حتى تسيروا إلى عدوتنا . ففعلوا ، فاستخلف المختار عليهم أبا عثمان النهدي ، وقدم إبراهيم بن الأشتر أمامه ، وعبى أصحابه على الحال التي كانوا عليها في السَّبِيحَةِ .

قال : وبعث عبد الله بن مطيع عمرو بن الحجّاج في ألفي رجل ، فخرج عليهم من سكة الثوريين ، فبعث المختار إلى إبراهيم أن اطوه ولا تقم عليه . فطواه إبراهيم ، ودعا المختار يزيد بن أنس ، فأمره أن يصمد لعمرو بن الحجّاج ، ففضى نحوه ، وذهب المختار في أثر إبراهيم ، ففضوا جميعاً حتى إذا انتهى المختار إلى موضع مصلّى نخالد بن عبد الله وقف ، وأمر إبراهيم أن يمضي على وجهه حتى يدخل الكوفة من قبيل الكناسة ، ففضى ، فخرج إليه من سكة ابن محرز ، وأقبل شمر بن ذى الجشوشن في ألفين ، فسرح المختار إليه سعيد بن منقذ المهدي فواقعه ، وبعث إلى إبراهيم أن اطوه ، وامض ٢٢٩/٢ على وجهك . ففضى حتى انتهى إلى سكة شبت ، وإذا (١) نوفل بن مساحق بن عبد الله بن مخرمة في نحو من ألفين - أو قال : خمسة آلاف . وهو الصحيح - وقد أمر ابن مطيع سويد بن عبد الرحمن فنادى في الناس : أن الحقوا بابن مساحق . قال : واستخلف شهبث بن ربعي على القصر ، وخرج ابن مطيع حتى وقف بالكناسة .

قال أبو مخنف (٢) : حدثني حصيرة بن عبد الله ، قال : إني لأنظر إلى ابن الأشتر حين أقبل في أصحابه ، حتى إذا دنا منهم قال لهم : انزلوا ، فنزلوا ، فقال :

(١) ف : « فإذا » .

(٢) بعدها في ف : « لوط بن يحيى » .

قربوا خيولكم بعضها إلى بعض ، ثم امشوا إليهم مصليتين بالسيوف ، ولا يهولنكم أن يقال : جاءكم شبيب بن ربعي وآل عتيبة بن النخاس وآل الأشعث وآل فلان وآل يزيد بن الحارث ... قال : فسَمِّي بيوتات من بيوتات أهل الكوفة ، ثم قال : إن هؤلاء لو قد وجدوا لهم حرَّ السيوف قد انصفقوا عن ابن مطيع انصفاق المعزى عن الذئب . قال حصيرة : فإني لأنظر إليه وإلى أصحابه حين قربوا خيولهم وحين أخذ ابن الأشتر أسفل قبائهِ فرفعه فأدخله في منطقة له حمراء من حواشي البرود ، وقد شدَّ بها على القباء ، وقد كثرَ بالقباء على الدرع ، ثم قال لأصحابه : شدوا عليهم فدعى لكم عمى وخالى ! قال : فوالله ما لبثهم أن هزَمهم ؛ فركب بعضهم بعضاً على فم السكة وازدحموا ، وانتهى ابنُ الأشتر إلى ابن مساحق ، فأخذ بلسجام دابته ، ورفع السيفَ عليه ، فقال له ابن مساحق : يا ابن الأشتر ، أنشدك الله ، أنظليني بثأراً ! هل بيني وبينك من إحنة ! فخلتني ابن الأشتر سبيله ، وقال له : اذكُرْها ؛ فكان بعد ذلك ابن مساحق يذكرها لابن الأشتر ، وأقبلوا يسرون حتى دخلوا الكُناسة في آثار القوم حتى دخلوا السوق والمسجد ، وحصروا ابن مطيع ثلاثاً .

قال أبو مخنف : وحدَّثني النضر بن صالح أن ابن مطيع مكث ثلاثاً ، يورزُق أصحابه في القصر حيث حُصر الدقيق ، ومعه أشراف الناس ، إلا ما كان من عمرو بن حريث ، فإنه أتى داره ولم يلزم نفسه الحصار ، ثم خرج حتى نزل البر ، وجاء المختار حتى نزل بجانب السوق ، وولّى حصار القصر لإبراهيم بن الأشتر ، ويزيد بن أنس ، وأحمر بن شُميط ، فكان ابن الأشتر ممّاً يلي المسجد وباب القصر ، ويزيدُ بن أنس ممّاً يلي بني حذيفة وسكة دار الروميين ، وأحمر بن شُميط ممّاً يلي دار عمارة ودار أبي موسى . فلماً اشتدَّ الحصار على ابن مطيع وأصحابه كلّمه الأشراف ، فقام إليه شبيب فقال : أصلح الله الأمير ! انظر لنفسك ولن معك ، فوالله ما عندهم غنَاء عنك ولا عن أنفسهم . قال ابن مطيع : هاتوا ، أشيروا علىّ برأيكم ؛

قال شَيْبَتٌ : الرَّأْيُ أَنْ تَأْخُذَ لِنَفْسِكَ مِنْ هَذَا الرَّجُلِ أَمَانًا وَلَنَا ، وَتُخْرِجَ
وَلَا تُهْلِكَ نَفْسَكَ وَمِنْ مَعَكَ . قَالَ ابْنُ مَطِيحٍ : وَاللَّهِ إِنِّي لِأَكْرَهُ أَنْ آخُذَ مِنْهُ
أَمَانًا وَالْأُمُورَ مُسْتَقِيمَةً لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ بِالْحِجَازِ كُلِّهِ وَبِأَرْضِ الْبَصْرَةِ ؛ قَالَ : ٦٣١/٢
فَتُخْرِجَ لَا يَشْعُرُ بِكَ أَحَدٌ حَتَّى تَنْزِلَ مِنْزِلًا بِالْكَوْفَةِ عِنْدَ مَنْ تَسْتَنْصِحُهُ وَتَشِيقَ بِهِ ،
وَلَا يَعْلَمُ بِمَكَانِكَ حَتَّى تَخْرُجَ فَتَلْحَقَ بِصَاحِبِكَ ؛ فَقَالَ لِأَسْمَاءَ بِنِ خَارِجَةَ
وَعَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنِ مَخْنَفٍ وَعَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنِ سَعِيدِ بْنِ قَيْسٍ وَأَشْرَافَ أَهْلِ الْكَوْفَةِ :
مَا تَرَوْنَ فِي هَذَا الرَّأْيِ الَّذِي أَشَارَ بِهِ عَلَيَّ شَيْبَتٌ ؟ فَقَالُوا : مَا نَرَى الرَّأْيَ إِلَّا
مَا أَشَارَ بِهِ عَلَيْكَ ، قَالَ : فَرُويدًا حَتَّى أَمْسِي .

قال أبو مخنف : فحدثني أبو المغلس الليثي ، أن عبد الله بن عبد الله
الليثي أشرف على أصحاب المختار من القصر من العشي يشتمهم ، وينتحي له
مالك بن عمرو أبو نمران^(١) النهدي بسهم ، فيمر بحلقه ، فقطع جلدة من حلقه
فقال فوقه ؛ قال : ثم لأنه قام وبرأ بعد ؛ وقال النهدي حين أصابه : خذها
من مالك ، من فاعل كذا .

قال أبو مخنف : وحدثني النضر بن صالح ، عن حسبان بن فائد بن
بكير ، قال : لما أمسينا في القصر في اليوم الثالث ، دعانا ابن مطيع ، فذكر
الله بما هو أهله ، وصلى على نبيه صلى الله عليه وسلم وقال : أما بعد ،
فقد علمت الذين صنعوا هذا منكم من هم ؛ وقد علمت أنما هم أراد لكم
وسفهاؤكم وطغامكم وأحسادكم ، ما عدا الرجل أو الرجلين ، وأن أشرافكم
وأهل الفضل منكم لم يزالوا سامعين مطيعين مناصحين ، وأنا مبلغ ذلك صاحبي ،
ومعلمه طاعتكم وجهادكم عدوة ، حتى كان الله الغالب على أمره ، وقد كان ٦٣٢/٢
من رأيكم وما أشتم به علي ما قد علمتم ، وقد رأيت أن أخرج الساعة . فقال
له شيبته : جزاك الله من أمير خيرًا ! فقد والله عفت عن أموالنا ، وأكرمت
أشرفنا ، ونصحت لصاحبك ، وقضيت الذي عليك ، والله ما كنا لنفارقك أبدًا
إلا ونحن منك في إذن ، فقال : جزاكم الله خيرًا ، أخذ امرؤ حيث أحب ، ثم خرج
من نحو دروب الروميين حتى أتى دار أبي موسى ، وخلص القصر ، وفتح أصحابه

(١) ط : « نمر » ، وانظر الفهرس .

الباب، فقالوا: يا بن الأشر، آمنون نحن؟ قال: أتم آمنون؛ فخرجوا فبايعوا المختار.

قال أبو مخنف: فحدثني موسى بن عامر العدوي؛ من عدى جهينة - وهو أبو الأشعر - أن المختار جاء حتى دخل القصر، فبات به، وأصبح أشرف الناس في المسجد وعلى باب القصر، وخرج المختار فصعد المنبر، فحمد الله وأثنى عليه، فقال: الحمد لله الذي وعد وليه النصر، وعدوه الخسر، وجعله فيه إلى آخر الدهر، وعدداً مفعولاً، وقضاءً مقضياً، وقد خاب من افتري. أيها الناس، إنّه رفعت لنا راية، ومُدّت لنا غاية، فقبل لنا في الولاية: أن ارفعوها ولا تضعوها، وفي الغاية: أن اجروا إليها ولا تتعدوها، فسمعنا دعوة الداعي، ومقالة الواعي؛ فكم من ناع وناعية، لقتلى في الولاية! وبعداً لمن طغى وأدبر، وعصى وكذب وتولى، ألا فادخلوا أيها الناس فبايعوا بيعة هدى، فلا واللّذي جعل السماء سقفاً مكفوفاً، والأرض فجاً سبلاً، ما بايعتم بعد بيعة عليّ بن أبي طالب وآل عليّ منها.

ثم نزل فدخل، ودخلنا عليه وأشرف الناس، فبسط يده، وابتدروا^(١) الناس فبايعوه، وجعل^(٢) يقول: تبايعوني على كتاب الله وسنة نبيه، والطلب بدماء أهل البيت، وجهاد المحلّين، والدفع عن الضعفاء، وقتال من قاتلنا، وسلم من سلمنا، والوفاء ببيعتنا، لا نقيلكم ولا نستقيلكم؛ فإذا قال الرجل: نعم، بايعه. قال: فكأنى والله أنظر إلى المنذر بن حسان بن ضرار الضبي إذ أتاه حتى سلّم عليه بالإمرة، ثم بايعه وانصرف عنه، فلمّا خرج من القصر استقبل سعيد بن منقذ الثوري في عصابة من الشيعة واقفاً عند المصطبة، فلمّا رآه ومعه ابنه حيسان بن المنذر، قال رجل من سفهائهم: هذا والله من رعويس الجبارين، فشدوا عليه وعلى ابنه، فقتلوهما، فصاح بهم سعيد بن منقذ: لا تعجلوا، لا تعجلوا حتى ننظر ما رأى أميركم فيه. قال: وبلغ المختار ذلك، فكرهه حتى رثى ذلك في وجهه، وأقبل المختار يمتنى الناس، ويستجروا مودّتهم ومودة الأشراف، ويحسن السيرة جهده.

(١) ف: «ابتدروا». (٢) ا، ف: «فجعل».

قال : وجاءه ابن كامل فقال للمختار ، أعلمتَ أن ابن مطيع في دار أبي موسى ؟ فلم يُجبه بشيء ، فأعادها عليه ثلاثَ مرّات فلم يُجبه ، ثمّ أعادها فلم يُجبه ، فظنّ ابن كامل أن ذلك لا يوافقُه ، وكان ابن مطيع قبلُ للمختار صِدِّيقًا ، فلمّا أمسى بعث إلى ابن مطيع بمائة ألف درهم ، فقال له : تجهّزْ بهذه واخرج ؛ فإني قد شعرتُ بمكانك ، وقد ظننتُ أنّه لم يمنعك من الخروج إلّا أنّه ليس في يدك ما يقويك على الخروج . وأصاب ٦٣٤/٢ المختار تسعة آلاف ألف في بيت مال الكوفة ، فأعطى أصحابه الذين قاتل بهم حين حصر ابن مطيع في القصر - وهم ثلاثة آلاف وثمانمائة (١) رجل - كلّ رجل خمسمائة درهم خمسمائة درهم ، وأعطى ستّة آلاف من أصحابه أتوه بعد ما أحاط بالقصر ، فأقاموا معه تلك الليلة وتلك الثلاثة الأيام حتّى دخل القصر مائتين مائتين ، واستقبل الناس بخير ، وسنّاهم العدل وحسن السيرة ، وأدنى الأشراف ، فكانوا جلساءه وحُدّاثه ، واستعمل على شُرطته عبد الله بن كامل الشّاكريّ ، وعلى حرسه كيسان أبا عمّرة مولى عُرينة ؛ فقام ذات يوم على رأسه ، فرأى الأشراف يحدّثونه ، ورآه قد أقبل بوجهه وحديثه عليهم ، فقال لأبي عمّرة بعض أصحابه من الموالى : أما ترى أبا إسحاق قد أقبل على العرب ما ينظر إلينا ! فدعاه المختار فقال له : ما يقول لك أولئك الذين رأيتهم يكلّمونك ؟ فقال له - وأسرّ إليه : شقّ عليهم أصلحك الله صرّفك وجهك عنهم إلى العرب ، فقال له : قُلْ لهم : لا يشقّن ذلك عليكم ، فأنتم مني وأنا منكم . ثمّ سكت طويلا ، ثمّ قرأ :

﴿ إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ ﴾ (٢) . قال : فحدّثني أبو الأشعر موسى بن عامر قال : ما هو إلّا أن سمعها الموالى منه ، فقال بعضهم لبعض : أبشروا ، كأنكم والله به قد قتلتم .

قال أبو مخنف : حدّثني حصيرة بن عبد الله الأزديّ وفُضَيْل بن خنْدِيج الكنديّ والنضر بن صالح العبسيّ ، قالوا : أوّل رجل عقد له المختار

(١) ف : « وخمسمائة » .

(٢) سورة السجدة : ٢٢ .

٦٣٥/٢ راية عبد الله بن الحارث أخو الأشتر ، عتق له على أرمينية ، وبعث محمد بن عمير بن عطارد على آذربيجان ، وبعث عبد الرحمن بن سعيد بن قيس على الموصل ، وبعث إسحاق بن مسعود على المدائن وأرض جُوخَى ، وبعث قدامة بن أبي عيسى بن ربيعة النصرى ، وهو حليف لثقيف على بهتقباد الأعلى ، وبعث محمد بن كعب بن قمرظة على بهتقباد الأوسط ، وبعث حبيب بن منقذ الثورى على بهتقباد الأسفل ، وبعث سعد بن حذيفة بن اليمسان على حلوان ، وكان مع سعد بن حذيفة ألفاً فارس بحلوان . قال : ورزقه ألف درهم في كل شهر ، وأمره بقتال الأكراد ، وإقامة الطرق ، وكتب إلى عماله على الجبال يأمرهم أن يحملوا أموال كورهم إلى سعد بن حذيفة بحلوان ، وكان عبد الله بن الزبير قد بعث محمد بن الأشعث بن قيس على الموصل ، وأمره بمكاتبة ابن مطيع وبالسمع له والطاعة ، غير أن ابن مطيع لا يقدر على عزله إلا بأمر ابن الزبير ، وكان قبل ذلك في إمارة عبد الله بن يزيد ، وإبراهيم بن محمد منقطعاً بإمارة الموصل ، لا يكتب أحداً دون ابن الزبير .

فلما قدم عليه عبد الرحمن بن سعيد بن قيس من قبل المختار أميراً تنحى له عن الموصل ، وأقبل حتى نزل تكريت ، وأقام بها مع أناس من أشرف قومه وغيرهم ، وهو معتزل ينظر ما يصنع الناس ، وإلى ما يصير أمرهم ، ثم شخص إلى المختار فبايع له^(١) ، ودخل فيما دخل فيه أهل بلده .

٦٣٦/٢ قال أبو مخنف : وحدثني صلة بن زهير النهدي ، عن مسلم بن عبد الله الضبائي ، قال : لما ظهر المختار واستمكن ، ونفى ابن مطيع وبعث عماله ، أقبل يجلس للناس غدوة^(٢) وعشيّة ، فيقضى بين الخصمين ، ثم قال : والله إن لي فيما أزال وأحاول لشغلاً عن القضاء بين الناس ، قال : فأجلس للناس شريحاً ، وقصّي بين الناس ، ثم إنه خافهم فتمارض ، وكانوا يقولون : إنه عثمانى ، وإنه ممن شهد على حنجر بن عدى ، وإنه لم يبلغ عن هاني ابن عروة ما أرسلته به — وقد كان على بن أبي طالب عزله عن القضاء — فلما

(١) ف : « فبايعه » .

(٢) ف : « بكره » .

أن سمع بذلك ورآهم يذمتونه ويُسندون إليه مثل هذا القول تسمارص، وجعل المختار مكانه عبد الله بن عتبة بن مسعود. ثم إن عبد الله مرض، فجعل مكانه عبد الله بن مالك الطائي قاضياً.

قال مسلم بن عبد الله: وكان عبد الله بن همام سمع أبا عمرة يذكر الشيعة وينال من عثمان بن عفان، فقتلته بالسوط، فلما ظهر المختار كان معتزلاً حتى استأمن له عبد الله بن شداد، فجاء إلى المختار ذات يوم فقال:

أَلَا انْتَسَأْتُ بِالوُدِّ عِنكَ وَأَذْبَرْتُ
وَحَمَلَهَا وَأَسَى سَعَى غَيْرِ مُؤْتَلٍ
فَحَفْضُ عَلَيْكَ الشَّانَ لَا يُرَدُّكَ الْهَوَى
وَفِي لَيْلَةِ الْمُخْتَارِ مَا يُذْهِلُ الْفَتَى
دَعَا يَا لَشَارَاتِ الْحُسَيْنِ فَأَقْبَلْتُ
وَمِنْ مَذْحِجِ جَاءِ الرَّئِيسِ ابْنُ مَالِكٍ
وَمِنْ أَسَدِ وَافَى يَزِيدُ لِنَصْرِهِ
وَجَاءَ نَعِيمٌ خَيْرُ شَيْبَانَ كُلِّهَا
وَمَا ابْنُ شَمِيطٍ إِذْ يُحَرِّضُ قَوْمَهُ
وَلَا قَيْسَ نَهْدٍ لَا وَلَا ابْنَ هَوَازِنِ
وَسَارَ أَبُو النُّعْمَانِ لِلَّهِ سَعِيَهُ
بِخَيْلٍ عَلَيْهَا يَوْمَ هَيْجَا دُرُوعِهَا
فَكَرَّ الْخَيْولُ كَرَةً ثَفِيفَتُهُمْ
فَوَلَّى بِضَرْبِ يَشْدَخُ الْهَامِ وَقَعُهُ
فَحُوصِرَ فِي دَارِ الْإِمَارَةِ بَائِياً
فَمَنْ وَزِيرُ ابْنِ الْوَصِيِّ عَلَيْهِمْ

مُعَالِنَةً بِالْهَجْرِ أَمْ سَرِيعٍ (١)
فَأُبْتُ بِهِمْ فِي الْفُؤَادِ جَمِيعٍ
فَلَيْسَ انْتِقَالُ خَلَّةٍ بِبِدِيعٍ
وَيُلْهِمُهُ عَنِ رُودِ الشَّبَابِ شَمُوعٍ
كَتَائِبُ مِنْ هَمْدَانَ بَعْدَ هَزِيعٍ
يَقُودُ جُمُوعاً عُبِيَّتَ بِجُمُوعٍ
بِكُلِّ فَتَى حَامِي الدَّمَارِ مَنِيعٍ
بِأَمْرِ لَدَى الْهَيْجَا أَحَدٌ جَمِيعٍ
هَنَّاكَ بِمَخْذُولٍ وَلَا بِمُضْهِيعٍ
وَكُلُّ أَخُو إِنْجَابَةٍ وَخُشُوعٍ
إِلَى ابْنِ إِيَّاسٍ مُضْجِرّاً لَوْقُوعٍ
وَأُخْرَى حُسُوراً غَيْرَ ذَاتِ دُرُوعٍ
وَشَدَّ بِأَوْلَاهَا عَلَى ابْنِ مُطِيعٍ
وَطَعَنَ غَدَاةَ السُّكْتَيْنِ وَجِيعٍ
بِذُلِّ وَإِرْغَامٍ لَهُ وَخُضُوعٍ
وَكَانَ لَهُمْ فِي النَّاسِ خَيْرَ شَفِيعٍ

٦٣٧/٢
٦٣٨/٢

وَأَبَ الْهَدَى حَقًّا إِلَى مُسْتَقَرِّهِ بِخَيْرِ إِيَابِ آتِهِ وَرُجُوعِ
إِلَى الْهَاشِمِيِّ الْمَهْتَدِيِّ الْمَهْتَدَى بِهِ فَحَنُّ لَهُ مِنْ سَامِعٍ وَمُطِيعٍ
قال : فلمَّا أنشدھا المختارَ قال المختار لأصحابه : قد أثنى عليكم كما
تسمعون ، وقد أحسن الثناء عليكم ، فأحسنوا له الجزاء . ثم قام المختار ،
فدخل وقال لأصحابه : لا تبرحوا حتى أخرج إليكم ؛ قال : وقال عبد الله
ابن شداد الجششمي : يا بن همام : إن لك عندي فرسًا ومُطْرَفًا ، وقال
قيس بن طهفة النهدي - وكانت عنده الرباب بنت الأشعث : فإن لك عندي
فرسًا ومُطْرَفًا ، واستحيا أن يعطيه (صاحبُه شيئًا لا يعطى مثله ، فقال^(١)) ٦٣٩/٢
ليزيد بن أنس : فما تعطيه ؟ فقال يزيد : إن كان ثواب الله أراد بقوله فما عند
الله خيرٌ له ، وإن كان إنمَّا اعترى بهذا القول أموالنا ، فوالله ما في أموالنا
ما يسعه ؛ قد^(٢) كانت بقيت من عطائي بقيت فقويت بها إخواني ؛ فقال
أحمر بن شُمَيْط مبادرًا لهم قبل أن يكلموه : يا بن همام ، إن كنت أردت
بهذا القول وجه الله فاطلب ثوابك من الله ، وإن كنت إنمَّا اعترت به رضا
الناسِ وطلب أموالهم ، فاكدم الجندل ؛ فوالله ما من قال قولًا لغير الله وفي
غير ذات الله بأهلٍ أن يُسْحَلَ ، ولا يوصل ؛ فقال له : عضضت بأير أبيك !
فرفع يزيد بن أنس السوط وقال لابن همام : تقول هذا القول يا فاسق !
وقال لابن شُمَيْط : اضربه بالسيف ، فرفع ابن شُمَيْط عليه السيف^(٣) ووثب
ووثب أصحابهما يتفلسون على ابن همام . وأخذ بيده إبراهيم بن الأشتر فألقاه
وراءه ، وقال : أنا له جار ، لِمَ تَأْتُونِ إِلَيْهِ مَا أَرَى ! فوالله إنَّه لو اصل الولاية ،
راضين بما نحن عليه ، حسن الثناء ، فإن أنتم لم تكافئوه بحسن ثنائه ، فلا تشتموا
عرضه ، ولا تسفكوا دمه . ووثبت مَدْحِجٌ فحالت دونه ، وقالوا :
أجاره ابن الأشتر ، لا والله لا يوصل إليه . قال : وسمع لَمَعَطَهُمُ
المختار^(٤) ، فخرج إليهم ، وأوبأ بيده إليهم ، أن اجلسوا ، فجلسوا ، فقال لهم :
٦٤٠/٢ إذا قيل لكم خير فاقبلوه ، وإن قدرتم على مكافأة فافعلوا ، وإن لم تقدرُوا

(١ - ١) ف : « دون عطية صاحبه وقال » . (٢) ف : « وقد » .

(٣) ف : « السيف عليه » . (٤) ف : « المختار لفظهم » .

على مكافأة فتنصّلوا ، واتقوا لسانَ الشاعر ، فإنَّ شرَّه حاضر ، وقولته فاجر ،
وسعيته بائر ، وهو بكم غداً غادر . فقالوا^(١) : أفلا نقتله ؟ قال : إنّنا قد
أمّنا وأجرناه ، وقد أجاره أخوكم إبراهيم بن الأشتر ، فجلس مع الناس .
قال : ثمَّ إنّ إبراهيم قام فانصرف إلى منزله فأعطاه ألفاً وفرساً ومطرفاً
فرجع بها وقال : لا والله ، لا تجاوزت هؤلاء أبداً وأقبلت هوازنُ وغضبتُ
واجتمعتُ في المسجد غضباً لابن همام . فبعث إليهم المختار فسألهم أن يصفحوا
عمّا اجتمعوا له ، ففعلوا ، وقال ابن همام لابن الأشتر يمدحه :

أطفأ عني نارَ كلِّبِينِ ألبا على الكلابِ ذو الفِعالِ ابنُ مالكِ
فتى حينَ يلتقي الخيلَ يفرقُ بينها بطعنِ دِرّاكٍ أو بضربِ مُواشِكِ
وقد غضبتُ لي من هوازنِ عُصبةٌ طوالُ الدِّرا فيها عراضِ المَبَارِكِ
إذا ابنُ شَمِيطِ أو يزيدُ تعرّضا لها وقعا في مُستَحارِ المِهاالكِ^(٢) ٦٤١/٢
وثبتنمُ علينا يا موالِي طيِّبِي مع ابنِ شَمِيطِ شرِّمَاشِ وراثِكِ^(٣)
وأعظمُ ديارِ على اللهِ فِرِيَّةٌ وما مُفتَرِ طاغٍ كماخَرَ ناسِكِ
فيا عجباً من أحَمَسِ ابنةِ أَحَمَسِ^(٤) توثَّبُ حوْلِي بالقنا والنِّيازِكِ^(٥)
كأنكمُ في العِزِّ قيسٌ ونخعمُ وهل أنتمُ إلّا لثامُ عَوَارِكِ^(٦)
وأقبل عبد الله بن شدّاد من الغد فجلس في المسجد يقول : علينا توثَّبُ
بنو أسد وأحمس ! والله لا نرضى بهذا أبداً . فبلغ ذلك المختار ، فبعث إليه
فدعاه ، ودعا بيزيد^(٧) بن أنس وباين^(٨) شميطة ، فحمّد الله وأثنى عليه
وقال^(٨) : يا بن شدّاد ، إنّ اللّدي فعلت نَزْغَةً من نَزْغَاتِ الشيطان ، فثب
إلى الله ، قال : قد تُبِيت ، وقال : إنّ هذين أخواك ، فأقبل إليهما ، وأقبل
منهما ، وهب لي هذا الأمر ؛ قال : فهو لك ، وكان ابن همام قد قال قصيدةً

(١) ف : « قالوا » .
(٢) ف : « موبقات المهاالك » .
(٣) الرتك : منشية فيها اهتزاز .
(٤) ف : « وما عجب » .
(٥) ف : « تولت قتالي » .
(٦) ف : « وما أنتم غير الإمام العوارك » .
(٧) ف : « يزيد » .
(٨) ف : « وابن » .
(٨) ف : « ثم قال » .

أخرى في أمر المختار ، فقال :

أضحت سُلَيْمَى بعدَ طولِ عِتَابِ
قد أزمَعَتْ بِصِرْمَتِي وتَجَنَّبِي (١)
وتَهَوَّكِ مُذْ ذاكِ في إِعْتَابِ (٢)
لَمَّا رَأَيْتُ القَصْرَ أُغْلِقَ بابُهُ
وتَوَكَّلْتُ هَمْدانُ بالأسبابِ (٣)
٦٤٢/٢ ورَأَيْتُ أصحابَ الدَّقِيقِ كَأَنَّهُمْ (٤)
حولَ البُيُوتِ ثعالِبُ الأسرابِ
ورَأَيْتُ أبوابَ الأَزْرَقَةِ حولَنا
درَبْتِ بكلِّ هِرَاوَةِ وذُبَابِ
أَيَقَنْتُ أَنَّ خيولَ شِيعَةٍ رَأِشِدِ
لم يَبْقَ منها فَيْشُ أَيِّرِ ذُبَابِ

* * *

[ذكر الخبر عن أمر المختار مع قتلة الحسين بالكوفة]

قال أبو جعفر : وفي هذه السنة وثب المختارُ بمن كان بالكوفة (٥) من قَتَلَةِ الحسين والمشايخين على قتله ، فقتل من قَدَّرَ عليه منهم ، وهرب من الكوفة بعضهم ، فلم يقدر عليه .

* ذكر الخبر عن سبب وثوبه بهم وتسمية مَنْ قتل منهم ومن هرب فلم يقدر عليه منهم :

وكان سبب ذلك - فيما ذكره هشام بن محمد ، عن عوانة بن الحكم - أن مروان بن الحكم لما استوسقت له الشام بالطاعة ، بعث جيشين أحدهما إلى الحجاز عليه حَبِيش بن دُبْلجة القينى - وقد ذكرنا أمره وخبر مهلكه قبل - والآخر منهما إلى العراق عليهم عبيد الله بن زياد - وقد ذكرنا ما كان من أمره وأمر التوابين من الشيعة بعين الوردية - وكان مروان جعل لعبيد الله بن زياد إذ وجهه إلى العراق ما غلب عليه ، وأمره أن يستهيب الكوفة إذا هو ظفر بأهلها ثلاثاً . ٦٤٣/٢

قال عوانة : فرَّ بأرض الجزيرة فاحتبس بها وبها قيسُ عَيْلان (٦) على

(١) ف : « هجرى وطول تجنبي » . (٢) ف : « لا تعجلن فلست من أصحاب » .

(٣) ف : « وتعلقت همدان بالبواب » . (٤) ف : « أصحاب البيوت » .

(٥) ف : « في الكوفة » . (٦) أ : « قيس بن عيلان » .

طاعة ابن الزبير ، وقد كان مروانُ أصاب قيساً يوم مَرَجِ رَاهِطٍ وهم مع الضحَّاك بن قيس مخالفيين على مروان ، وعلى ابنه عبد الملك من بعده ، فلم يزل عبيد الله مشتغلاً بهم عن العراق نحواً من سنة . ثمَّ إنَّه أقبل إلى الموصل ، فكتب عبد الرحمن بن سعيد بن قيس عاملُ المختار على الموصل إلى المختار : أما بعد ، فإني أخبرك أيها الأمير أنَّ عبيد الله بن زياد قد دخل أرضَ الموصل ، وقد وجَّه قِبَلِي خيلَه ورجاله ، وأني انحزْتُ إلى تَكْرِيْتِ حَتْمِي يَا تَيْسِي رَأْيُكَ وَأَمْرُكَ ، والسلام عليك .

فكتب إليه المختار : أمَّا بعد ، فقد بلغني كتابُك ، وفهمتُ كلَّ ما ذكرتَ فيه ، فقد أصبتَ بانحيازك إلى تكريت ، فلا تبرحنَّ مكانك اللَّذِي أنت به حَتْمِي يَا تَيْسِيكَ أَمْرِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ ، والسلام عليك .

قال هشام ، عن أبي مخنف : حدثني موسى بن عامر ، أنَّ كتاب عبد الرحمن بن سعيد لمَّا ورد على المختار بعث إلى يزيد بن أنس فدعاه ، فقال له : يا يزيد بن أنس ، إنَّ العالمَ ليس كالجاهل ، وإنَّ الحقَّ ليس كالباطل ، وإني أخبرك خبر من لم يكذب ولم يكذب ، ولم يُخالف ولم يرتب ، وإنَّا المؤمنون الميامين ، الغالبون المساليم ، وإنَّك صاحب الخيل التي تجرَّ جعابها ، وتضفر أذنانها ، حَتْمِي تُوردها منابت الزيتون ، غائرةٌ عيونُها ، لاحقةٌ بطونُها . اخرج إلى المـوصل حَتْمِي تنزل أدانيها^(١) ، فإني بمدك بالرجال بعد الرجال . فقال له يزيد بن أنس : سرَّح معي ثلاثة آلاف فارس ٦٤٤/٢ أنتخبهم ، وخسَلتني والفرج اللَّذِي توجَّهنا إليه ، فإن احتجتُ إلى الرجال فسأكتب إليك ؛ قال له^(٢) المختار : فانخرج فانتخب على اسم الله من أحببت^(٣) . فخرج فانتخب ثلاثة آلاف فارس ، فجعل على رُبْع المدينة النعمان بن عوف بن أبي جابر الأزدي ، وعلى رُبْع تميم وهمدان عاصم بن قيس بن حبيب الهمداني ، وعلى مَدْحَج وأسَد ورقاء بن عازب الأسدي ، وعلى رُبْع ربيعة وكندة سَعْر بن أبي سَعْر الحنفي .

ثمَّ إنَّه فصل من الكوفة ، فخرج معه المختار والناس يشيعونه ، فلما

(١) ف : «بأدانيها» . (٢) ف : «فقال» . (٣) ف : «ثلاثة آلاف من أحببت» .

بلغ دبرَ أبي موسى ودَّعه المختار وانصرف ، ثم قال له : إذا لقيتَ عدوك فلا تُناظرهم ، وإذا أمكنتك الفرصةُ فلا تؤخرها ، وليكن خبرك في كلِّ يوم عندى ، وإن احتجتَ^(١) إلى مسدِّد فاكتب إلىّ مع أنى مُسدِّدك ولو لم تستمدد ، فإنه أشدَّ لمصدِّدك ، وأعزَّ لجنُّدك ، وأرعَب لعدوك . فقال له يزيد بن أنس : لا تمدّنى إلّا بدعائك ، فكفى به مسدِّداً . وقال له الناس : صحَّبك الله وأدّاك وأيدك^(٢) . وودَّعه : فقال لهم يزيد : سلوا الله لي الشهادة ، وإيمُّ الله لأن لقيتَهُم ففاننى النصرُ لا تُفتننى الشهادة إن شاء الله . فكتب المختار إلى عبد الرحمن بن سعيد بن قيس : أما بعد ، فخلَّ بين يزيد وبين البلاد إن شاء الله ، والسلام عليك . فخرج يزيد بن أنس بالناس حتّى بات بسُوراً ، ثم غدا بهم سائراً حتّى بات بهم بالمدائن ، فشكا الناس إليه^(٣) ما دخلهم من شدّة السير عليهم ، فأقام بها يوماً وليلة . ثمّ إنّهُ اعترض بهم أرض جُوخى حتّى خرج بهم فى الراذانات ، حتّى قطع بهم إلى أرض الموصل ، فنزلت بينات تلى ، وبلغ مكانه ومنزله الندى نزل به عبيد الله بن زياد ، فسأل عن عدّتهم ، فأخبرته عيونهُ أنّه خرج معه من الكوفة ثلاثة آلاف فارس ، فقال عبيد الله : فأنا أبعث إلى كلِّ ألف ألفين . ودعا ربيعة بن المخارق الغنوى وعبد الله بن حملة الخثعمى ، فبعثهما فى ثلاثة آلاف ثلاثة آلاف ، وبعث ربيعة بن المخارق أولاً ، ثمّ مكث يوماً ، ثمّ بعث خلفه عبد الله بن حملة ، ثم كتب إليهما : أيتكما سبق فهو أمير على صاحبه ، وإن انتهيتما جميعاً فأكبركما سنّاً أميرٌ على صاحبه والجماعة . قال : فسبق ربيعة بن المخارق فنزل بيزيد بن أنس وهو بينات تلى ، فخرج إليه يزيد بن أنس وهو مريض مضنى .

قال أبو مخنف : فحدّثنى أبو الصلت ، عن أبي سعيد الصبيّقل ، قال : خرج علينا يزيد بن أنس وهو مريض على حمار يمشى معه الرجال يُمسِكونه عن يمينه وعن شماله ، بفخذيه وعضديه وجنبه ، فجعل يقف على الأربع :

(٢) ف : « وأيدك وأدّاك سالماً غانماً » .

(١) ف : « وإذا احتجت » .

(٣) ف : « فشكا إليه الناس » .

رُبْع ربيع^(١) ويقول: يا شرطة الله، اصبروا تُوَجَّرُوا، وصابروا عدوكم تَظْفَرُوا، وَقَاتِلُوا أولياءَ الشيطان، إن كَتَبَ الشيطانَ كان ضَعِيفًا، إن هَلَكْتُ فأمرِكُم ورقاء بن عازب الأسدي، فإن هَلَكْتُ فأمرِكُم عبد الله بن ٦٤٦/٢ ضَمْرَةَ العذري، فإن هلك فأمرِكُم سِعْر بن أبي سَعْر الحنفي. قال: وأنا والله فيمن يمشي معه وَيُمَسِّكُ بَعْضَهُ وَيَدُهُ، وإني لأعرف في وجهه أن الموت قد نزل به. قال: فجعل يزيد بن أنس عبدَ الله بن ضَمْرَةَ العذري على ميمنته، وسِعْر بن أبي سَعْر على ميسرته، وجعل ورقاء بن عازب الأسدي على الخليل، ونزل هو فوضع بين الرجال على السرير، ثم قال لهم: ابرزوا لهم بالعرَاء، وقد موني في الرجال، ثم إن شتم فقاتلوا عن أميركم، وإن شتم ففروا عنه. قال: فأخرجناه في ذى الحجة يومَ عرفة سنة ست وستين، فأخذنا نُمسك أحيانًا بظَهْرِهِ فيقول: اصنعوا كذا، اصنعوا كذا، وافعلوا كذا، فأمر بأمره، ثم لا يكون بأسرع من أن يغلبه الوجع فيوضع هُسَيْبَةً ويقتل الناس، وذلك عند شفق الصبح قبل شروق الشمس. قال: فحملت ميسرتهم على ميمينتنا، فاشتد قتالهم، وتحمّل ميسرتنا على ميمنتهم فتهزمتها^(٢)، ويحمّل ورقاء بن عازب الأسدي في الخليل فتهزمتهم، فلم يرتفع الضحى حتى هزمتهم، وحوينا عسكرهم.

قال أبو مخنف: وحدثني موسى بن عامر العدوي، قال: انتهينا إلى ربيعة ابن الخارق صاحبهم، وقد انهزم عنه أصحابه وهو نازل^(٣) ينادي: يا أولياء الحق، ويا أهل السمع والطاعة، إلى أنا ابن الخارق؛ قال موسى: فأما أنا فكانت غلامًا حديدًا، فتهبته ووقفت، ويحمّل عليه عبد الله بن ورقاء الأسدي وعبد الله بن ضَمْرَةَ العذري، فقتلناه.

قال أبو مخنف: وحدثني عمرو بن مالك أبو كبشة القيني؛ قال: ٦٤٧/٢ كنت غلامًا حين راهقت مع أحد عمومي في ذلك العسكر، فلما نزلنا بعسكر الكوفيين عبأنا ربيعة بن الخارق فأحسن التعبئة، وجعل على ميمنته ابن

(١) ا: «ربعا ربعا». (٢) ف: «فهزمتها». (٣) ف: «بارك».

أخيه ، وعلى ميسرته عبد ربّه السلمي ، وخرج هو في الخيل والرجال وقال :
يا أهل الشام ، إنكم إنمّا تقاتلون العبيد الأبقاء ، وقومًا قد تركوا الإسلام
وخرجوا منه ، ليست لهم تقيّة ، ولا ينطقون بالعربيّة ؛ قال : فوالله إن كنت
لأحسب أنّ ذلك كذلك حتّى قاتلناهم ؛ قال : فوالله ما هو إلّا أن اقتتل
الناس إذا رجل من أهل العراق يعترض الناس بسيفه وهو يقول :

بَرْتُ مِنْ دِينِ الْمُحَكِّمِينَ وَذَلِكَ فِينَا شَرُّ دِينِ دِينِنَا
ثُمَّ إِنَّ قَاتَلْنَا وَقَاتَلْتَهُمْ اشْتَدَّ سَاعَةً مِنَ النَّهَارِ ، ثُمَّ لَأَنَّهُمْ هَزَمُونَا حِينَ
ارْتَفَعَ الضُّحَى فَقَاتَلُوا صَاحِبِينَ ، وَحَوَّوْا عَسْكَرَنَا ؛ فَخَرَجْنَا مِنْهُمْ حَتَّى
تَلَقَّانَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ حَمَلَةَ عَلَى مَسِيرَةِ سَاعَةٍ مِنْ تِلْكَ الْقَرْيَةِ الَّتِي يُقَالُ لَهَا بِنَات
تَلَى ، فَرَدَّنَا ، فَأَقْبَلْنَا مَعَهُ حَتَّى نَزَلَ بِيَزِيدَ بْنِ أَنَسٍ ، فَبِتْنَا مِتْحَارِسِينَ
حَتَّى أَصْبَحْنَا فَصَلَّيْنَا الْغَدَاةَ ، ثُمَّ خَرَجْنَا عَلَى تَعْبَةِ حَسَنَةَ ، فَجَعَلَ عَلَى
مِيْمَنَتِهِ الزُّبَيْرَ بْنَ خُزَيْمَةَ^(١) ؛ مِنْ خُثْعَمِ ، وَعَلَى مَيْسِرَتِهِ ابْنَ أَقْبِصِرَ الْقَحَافِيَّ مِنْ
خُثْعَمِ ، وَتَقَدَّمَ فِي الْخَيْلِ وَالرِّجَالِ ، وَذَلِكَ يَوْمَ الْأَضْحَى ، فَاقْتَتَلْنَا قِتَالًا شَدِيدًا ،
ثُمَّ لَأَنَّهُمْ هَزَمُونَا هَزِيمَةً قَبِيحَةً ، وَقَتَلُونَا قِتَالًا ذَرِيعًا ، وَحَوَّوْا عَسْكَرَنَا ، وَأَقْبَلْنَا
حَتَّى انْتَهَيْنَا إِلَى عَيْدِ اللَّهِ بْنِ زِيَادٍ فَحَدَّثَنَا بِمَا لَقِينَا .

٦٤٨/٢ قال أبو مخنف : وحدّثني موسى بن عامر ، قال : أقبل إلينا عبد الله بن
حملة الخثعمي ؛ فاستقبل فسلّ ربيعة بن المخارق الغنويّ فردّهم ، ثمّ جاء حتّى
نزل ببينات تلى ، فلمّا أصبح غادوا وغادينا ، فتطاردت الخيلان من أوّل النهار ،
ثمّ انصرفوا وانصرفنا ؛ حتّى إذا صلّينا الظهر خرجنا فاقتتلنا ، ثمّ هزمناهم .
قال : ونزل عبد الله بن حملة فأخذ ينادى أصحابه : الكثرة بعد الفرّة ، يا أهل
السمع والطاعة ؛ فحمل عليه عبد الله بن قراد الخثعمي فقتله ، وحوينا
عسكرهم وما فيه ، وأتى يزيد بن أنس بثلاثمائة أسير وهو في السوق ، فأخذ
يوومٌ بيده أن اضربوا أعناقهم ، فقتلوا من عند آخرهم .

وقال يزيد بن أنس : إن هلكت فأميركم ورقاء بن عازب الأسدي ، فما
أمسى حتّى مات ، فصلّى عليه ورقاء بن عازب ودفّنه ، فلمّا رأى ذلك
أصحابه أسقط في أيديهم ، وكسّس موته قلوب أصحابه ، وأخذوا في دفنه ،

(١) كذا في ١ ، وفي ط من غير نقت .

فقال لهم ورقاء : يا قوم ، ماذا ترون ؟ إنَّه قد بلغني أنَّ عبيد الله بن زياد قد أقبل إلينا في ثمانين ألفاً من أهل الشام ، فأخذوا يتسلَّون ويرجعون . ثمَّ إنَّ ورقاء دعا رءوسَ الأرباع وفُرسانَ أصحابه فقال لهم : يا هؤلاء ، ماذا ترون فيما أخبرتُكم ؟ إنَّما أنا رجل منكم ، ولست بأفضلكم رأياً ، فأشيروا عليَّ ، فإنَّ ابن زياد قد جاءكم في جنُود أهل الشام الأعظم ، وبجلبتهم وفُرسانهم وأشرافهم ، ولا أرى لنا ولكم بهم طاقةٌ على هذه الحال ، وقد هلك يزيدُ بن أنس أميرنا ، وتفرقت عننا طائفةٌ منَّا ، فلو انصرفنا اليومَ من ٦٤٩/٢ تلقاء أنفسنا قبل أن نلقاهم ، وقبل أن نسلُغهم ، فسيعلِّموا أننا إنَّما ردنا عنهم هلاكُ صاحبنا ، فلا يزالوا لنا هائبين لقتلنا منهم أميرهم ! ولأنَّنا إنَّما نعتلُّ لانصرافنا بموت صاحبنا . وإنَّنا إن لقيناهم اليومَ كننا مخاطرين ، فإن هزمننا اليومَ لم تنفعنا هزيمتنا إيَّاهم من قبل اليوم . قالوا : فإنَّك نعمًا رأيت ، انصرفِ رحمك الله . فانصرف ، فبلغ مُنصرَفُهم ذلك المختارَ وأهل الكوفة ، فأرجف الناسُ ، ولم يعلموا كيف كان الأمرُ أنَّ يزيدَ بن أنس هلك ، وأنَّ الناس هزيموا ، فبعث إلى المختار عامله على المدائن عينًا له من أنباط السواد فأخبره الخبر ، فدعا المختارُ إبراهيمَ بن الأشتر فعقد له على سبعة آلاف رجل ، ثمَّ قال له : سرَّ حتى إذا أنت لقيتَ جيشَ ابن أنس فارددهم معك ، ثمَّ سرَّ حتى تلقى عدوك فتناجزهم . فخرج إبراهيم فوضع عسكره بحمام أعين .

قال أبو مخنف : فحدثني أبو زهير النضر بن صالح ، قال : لمَّا مات يزيد أنس التقي أشرافُ الناس بالكوفة فأرجفوا بالمختار وقالوا : قتل يزيد بن أنس ، ولم يصدِّقوا أنَّه مات ، وأخذوا يقولون : والله لقد تأمَّر علينا هذا الرجل بغير رضا منَّا ، ولقد أدنى موالينا ، فحمسهم على الدوابِّ ، وأعطاهم وأطعمهم فينا ، ولقد عصبتنا عبيدنا ، فحرب بذلك أيتامنا وأراملنا . فاتعدوا منزلَ شبَّث بن ربعي وقالوا : نجتمع في منزل شيخنا - وكان شبت جاهلياً إسلامياً - فاجتمعوا فأتوا منزله ، فصلَّى بأصحابه ، ثمَّ تداكروا هذا النحو من الحديث ٦٥٠/٢ قال : ولم يكن فيما أحدث المختارُ عليهم شيء هو أعظمُ من أن جعل للموالى

الفسيء نصيباً - فقال لهم شَبَبَتْ: دعوني حتى ألقاه ؛ فذهب فلقيه ، فلم يدع شيئاً مما أنكره أصحابه إلا وقد ذاكره إياه ، فأخذ لا يذكر خصلة إلا قال له المختار : أرضيهم في هذه الخصلة ، وآتي كل شيء أحبوا ؛ قال : فذكر المماليك ؛ قال : فأنا أردت عليهم عبيداهم ، فذكر له الموالى ، فقال : عمدت إلى موالينا ، وهم فيء أفاءه الله علينا وهذه البلاد جميعاً فاعتقنا رقابهم ، نأملُ الأجر في ذلك والثواب والشكر ، فلم ترض لهم بذلك حتى جعلتهم شركاءنا في فيثنا ، فقال لهم المختار : إن أنا تركت لكم مواليكم ، وجعلت فيسئلكم فيكم ، أتقاتلون معي بنى أمية وابن الزبير ، وتعطون على الوفاء بذلك عهد الله وميثاقه ، وما أطمئن إليه من الأيمان ؟ فقال شَبَبَتْ : ما أدري حتى أخرج إلى أصحابي فأذاكرهم ذلك ، فخرج فلم يرجع إلى المختار . قال : وأجمع رأى أشرف أهل الكوفة على قتال المختار .

قال أبو مخنف : فحدثني قدامة بن حوشب ، قال : جاء شَبَبَتْ ابن رباعي وشمير بن ذى الجوشن ومحمد بن الأشعث وعبد الرحمن بن سعيد بن قيس حتى دخلوا على كعب بن أبي كعب الخثعمي ، فتكلم شَبَبَتْ ، فحسب الله وأثنى عليه ، ثم أخبره باجتماع رأيهم على قتال المختار ، وسأله أن يجيبهم إلى ذلك ، وقال فيما يعيب به المختار : إنّه تأمر علينا بغير رضا منا ، وزعم أن ابن الحنفية بعثه إلينا ، وقد علمنا أن ابن الحنفية لم يفعل ، وأطعم موالينا فيثنا ، وأخذ عبيدنا ، فحرب بهم يتامانا وأراملنا ، وأظهر هو وسببته البراءة من أسلافنا الصالحين . قال : فرحب بهم كعب بن أبي كعب ، وأجابهم إلى ما دعوه إليه .

قال أبو مخنف : حدثني أبي يحيى بن سعيد أن أشرف أهل الكوفة قد كانوا دخلوا على عبد الرحمن بن مخنف ، فدعوه إلى أن يجيبهم إلى قتال المختار ، فقال لهم : يا هؤلاء ، إنكم إن أبيتم إلا أن تخرجوا لم أخذكم ، وإن أنتم أطعتموني لم تخرجوا . فقالوا : لِمَ ؟ قال : لأنى أخاف أن تتفرقوا وتختلفوا وتتخاذلوا ؛ ومع الرجل والله شجعاؤكم وفرسانكم من أنفسكم ؛ أليس

معه فلان وفلان ! ثمّ معه عبيدكم ومواليكم ، وكلمة هؤلاء واحدة . وعبيدكم ومواليكم أشدّ حَسَنَةً عليكم من عدوّكم ، فهو مقاتلكم بشجاعة العرب ، وعداوة العَجَسَم ، وإن انتظرتوه قليلاً كُفَيْتُمُوهُ بِقَدُومِ أَهْلِ الشَّامِ ، أو بمجيء أهل البصرة ، فتكونوا قد كُفَيْتُمُوهُ بِغَيْرِكُمْ ، ولم تُسَجِّعُوا بِأَسْئَلِكُمْ بَيْنَكُمْ ؛ قالوا : نَسْتَشْذُكَ اللَّهُ أَنْ تَعْخَالَفَنَا ، وَأَنْ تُفْسِدَ عَلَيْنَا رَأْيِنَا وما قد اجتمعت عليه جماعتنا . قال : فأنا رجلٌ منكم ، فإذا شئتم فاخرجوا . فسار بعضهم إلى بعض وقالوا : انتظروا حتّى يذهب عنه إبراهيم بن الأشتر ؛ قال : فأهلوا حتّى إذا بلغ ابن الأشتر سَابَاطَ ، وثبوا بالخنثار . قال : فخرج عبد الرحمن ابن سعيد بن قيس الهمدانيّ في همدان في جَبَانَةِ السَّبِيْع ، وخرج زحر بن قيس الجُعْفِيّ وإسحاق بن محمّد بن الأشعث في جَبَانَةِ كِنْدَةَ .

قال هشام : فحدثني سليمان بن محمّد الحضرميّ ، قال : خرج إليهما جبير الحضرميّ فقال لهما : أخرجنا عن جَبَانَتِنَا ، فإننا نكره أن نُعْرَى ٦٥٢/٢ بشرّ ؛ فقال له إسحاق بن محمّد : وجبانتكم هي ؟ قال : نعم ، فانصرفوا عنه ؛ وخرج كعب بن أبي كعب الخثعميّ في جَبَانَةِ بِيْشْر ، وسار بشير بن جرير بن عبد الله إليهم في بَجِيلَةَ ، وخرج عبد الرحمن بن مخنف في جَبَانَةِ مَخْنَف ، وسار إسحاق بن محمّد وزحر بن قيس إلى عبد الرحمن ابن سعيد بن قيس بجَبَانَةِ السَّبِيْع ، وسارت بجيلةٌ وخنثعم إلى عبد الرحمن ابن مخنف وهو بالأزد . وبلغ الدّين في جَبَانَةِ السَّبِيْع أن الخنثار قد عبأ لهم خيلاً ليسير إليهم . فبعثوا الرسل يتلو بعضها بعضاً إلى الأزد وبَجِيلَةَ وخنثعم ، يسألونهم بالله والرّحم لما عَجَّلُوا إليهم . فساروا إليهم واجتمعوا جميعاً في جَبَانَةِ السَّبِيْع ، ولمّا أن بلغ ذلك الخنثار سرّه اجتمعهم في مكان واحد ، وخرج شعر بن ذى الجوشن حتّى نزل بجَبَانَةِ بَنِي سَكُول في قيس ، ونزل شَبِيْث بن ربيعٍ وحَسَّان بن فائد العبسيّ وربيعه بن ثروان الضبيّ في مُضَرَ بالكُنَاسَة ، ونزل حجّار بن أبجر ويزيد بن الحارث بن رُوَيْم في ربيعة فيما بين التَّمَّارِين والسَّبِيْحَةَ ، ونزل عمرو بن الحجّاج الزبيديّ في جَبَانَةِ مُرَاد بِمَنْ تَبِعَهُ مِنْ مَسَدِّ حِج ، فبعث إليه أهلُ اليمن : أن اثنا ، فأبى أن يأتيهم

وقال لهم : جدوا ، فكأنى قد أتيتكم . قال : وبعث المختار رسولا من يومه يقال له عمرو بن توبة بالركض إلى إبراهيم بن الأشتر وهو بساباط الأتضع ٦٥٣/٢ كتابي من يدك حتى تقبل بجميع من معك إلى . قال : وبعث إليهم المختار في ذلك اليوم : أخبروني ما تريدون ؟ فإني صانع كل ما أحببت ، فقالوا : فإننا نريد أن تعزلنا ، فإنك زعمت أن ابن الحنفية بعثك ولم يسبعك . فأرسل إليهم المختار أن ابعثوا إليه من قبلكم وفداً ، وأبعث إليه من قبلي وفداً ، ثم انظروا في ذلك حتى تستبينوه ؛ وهو يريد أن يرثهم بهذه المقالة ليقدم عليه إبراهيم بن الأشتر ، وقد أمر أصحابه فكفوا أيديهم ، وقد أخذ أهل الكوفة عليهم بأفواه السكك ، فليس شيء يصل إلى المختار ولا إلى أصحابه من الماء إلا القليل الوثج^(١) ، يجيئهم إذا غفلوا عنه . قال : وخرج عبد الله بن سبيع في الميدان ، فقاتلته شاكراً قتالا شديداً ، فجاءه عتبة بن طارق الجشمي فقاتل معه ساعة حتى رددت عاديتهم عنه ، ثم أقبل على حمايتهم يسيران حتى نزل عتبة بن طارق مع قيس في جبانة بني سلول ، وجاء عبد الله بن سبيع حتى نزل مع أهل اليمن في جبانة السبيع .

قال أبو مخنف : حدثني يونس بن أبي إسحاق ، أن شمر بن ذي الجوشن أتى أهل اليمن فقال لهم : إن اجتمعتم في مكان نجعل فيه مجنبتين ونقاتل من وجه واحد فأنا صاحبكم ، وإلا فلا ، والله لا أقاتل في مثل هذا المكان في سبك ضيقة ، ونقاتل من غير وجه . فانصرف إلى جماعة قومه في جبانة بني سلول . قال : ولما خرج رسول المختار إلى ابن الأشتر بلغه من يومه عشية ، فنادى في الناس : أن ارجعوا إلى الكوفة ، فسار بقية عشية تلك ، ثم نزل حين أمسى ، فتعشى أصحابه ، وأراحوا الدواب شيئاً كلا شيء ، ثم نادى في الناس ، فسار ليلته كلها ، ثم صلى الغداة بسورا ، ثم سار من يومه فصلّى العصر على باب الجسر من الغد ، ثم إنه جاء حتى بات ليلته في المسجد ومعه من أصحابه أهل القوة والجلد ، حتى إذا كان صبيحة اليوم الثالث من مسخرجهم على المختار ، خرج المختار إلى

(١) الوثج : القليل من كل شيء .

المنبر فصعده .

قال أبو مخنف : فحدثني أبو جناب الكلبي أن شَبَّهت بن رِبْعِيَّ بعث إليه ابنه عبد المؤمن فقال : إنَّما نحن عشيرتُك ، وكفَّ يمينك ، لا والله لا نقاتلك ، فثقُ بذلك مناً ، وكان رأيه قتاله ، ولكنَّه كاده . ولمَّا أن اجتمع أهلُ اليَمَنَ بجبَّانة السَّبَّيعِ حضرتِ الصلاة ، فكسَّره كلُّ رأسٍ من رهوس أهلِ اليمن أن يتقدَّمه صاحبه ، فقال لهم عبد الرحمن بن مخنف : هذا أوَّل الاختلاف ، قدَّموا الرضا فيكم ، فإنَّ في عشيرتكم سيِّدَ قراء أهلِ المصر ، فليصلِّ بكم رفاعَةُ بن شدَّاد الفتياني من بجيلة ، ففعلوا ، فلم يزل يصلِّي بهم حتَّى كانت الوقعة .

قال أبو مخنف : وحدثني وازع بن السري أن أنس بن عمرو الأزدي انطلق فدخل في أهل اليمن ، وسمِعهم وهم يقولون : إنَّ سار المختار إلى إخواننا من مضرَ سرَّنا إليهم ، وإن سار إلينا ساروا إلينا ، فسمِعَها منهم رجل ، وأقبل جواداً حتَّى صعِد إلى المختار على المنبر ، فأخبره بمقاتلتهم ، فقال : أمَّا ٦٥٥/٢ هم فحُلبتْهم لو سرتُ إلى مضرَ أن يسيروا إليهم ، وأمَّا أهلُ اليَمَنَ فأشهد لئن سرتُ إليهم لا تسير إليهم مضر ، فكان بعد ذلك يدعو ذلك الرجل ويكرمه . ثم إنَّ المختار نزل فعبأ أصحابه في السوق — والسوق إذ ذاك ليس فيها هذا البناء — فقال لإبراهيم بن الأشتر : إلى أيِّ الفريقين أحبُّ إليك أن تسير ؟ فقال : إلى أيِّ الفريقين أحببت ، فنظر المختار — وكان ذا رأى ، فكره أن يسير إلى قومه فلا يبالغ في قتالهم — فقال : سرُّ إلى مضرَ بالكُناسة وعليهم شَبَّهت بن رِبْعِيَّ ومحمَّد بن عمير بن عطار ، وأنا أسير إلى أهلِ اليَمَنَ .

قال : ولم يزل المختار يُعرف بشدَّة النفس ، وقلَّة البُقيَّة على أهل اليمن وغيرهم إذا ظفر ، فسار إبراهيم بن الأشتر إلى الكُناسة ، وسار المختار إلى جبَّانة السَّبَّيع ، فوقف المختار عند دارِ عُمَرَ بن سعد بن أبي وقَّاص ، وسرَّح بين أيديه أحمر بن شَمِيط البجلي ثمَّ الأحمسي ، وسرَّح عبد الله بن كامل الشاكري ، وقال لابن شميطة : إلزم هذه السكَّة حتَّى^(١) تخرج إلى أهل

(١) س : « التي » .

جَبَّانَةَ السَّبِيْعِ مِنْ بَيْنِ دُورِ قَوْمِكَ . وَقَالَ لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ كَامِلٍ : الزَّمْ هَذِهِ السَّكَّةَ حَتَّى تَخْرُجَ عَلَى جَبَّانَةَ السَّبِيْعِ مِنْ دَارِ آلِ الْأَخْنَسِ بْنِ شَرِيْقٍ ، وَدَعَاهُمَا فَأَسْرَّ إِلَيْهِمَا أَنَّ شِيْئًا قَدْ بَعَثْتُ تُخْبِرُنِي أَنَّهِنَّ قَدْ أَتَوْا الْقَوْمَ مِنْ وَرَائِهِمْ ، فَمَضَيْتُمَا (١) فَسَلَكَمَا الطَّرِيقَيْنِ اللَّذَيْنِ (٢) أَمْرَهُمَا بِهِمَا (٣) ، وَبَلَغَ أَهْلَ الْيَمَنِ مَسِيرُ هَذَيْنِ الرَّجُلَيْنِ إِلَيْهِمْ ، فَاقْتَسَمُوا تَيْسَنِكَ السَّكَّتَيْنِ ، فَأَمَّا السَّكَّةُ الَّتِي فِي دُبُرِ مَسْجِدِ أَحْمَسَ فَإِنَّهُ وَقَفَ فِيهَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ سَعِيدِ بْنِ قَيْسِ الْهَمْدَانِيِّ وَإِسْحَاقُ بْنُ الْأَشْعَثِ وَزَحْرُ بْنُ قَيْسٍ ، وَأَمَّا السَّكَّةُ الَّتِي تَلِي الْفُرَاتَ فَإِنَّهُ وَقَفَ فِيهَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ مَخْنَفٍ ، وَبِشِيرُ بْنُ جَرِيرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ ، وَكَعْبُ بْنُ أَبِي كَعْبٍ . ثُمَّ إِنَّ الْقَوْمَ اقْتَتَلُوا كَأَشَدِّ قِتَالٍ اقْتَتَلَتْهُ قَوْمٌ . ثُمَّ إِنَّ أَصْحَابَ (٤) أَحْمَرَ بْنِ شُمَيْطٍ انْكَشَفُوا وَأَصْحَابُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ كَامِلٍ أَيْضًا ، فَلَمْ يَرِعِ الْمُخْتَارُ إِلَّا وَقَدْ جَاءَهُ النَّسْلُ قَدْ أَقْبَلَ ؛ فَقَالَ : مَا وَرَاءَكُمْ ؟ قَالُوا : هُرْمَنَا ؛ قَالَ : فَمَا فَعَلَ أَحْمَرُ بْنُ شُمَيْطٍ ؟ قَالُوا : تَرَكْنَاهُ قَدْ نَزَلَ عِنْدَ مَسْجِدِ الْقِصَاصِ — يَعْغُونُ مَسْجِدَ أَبِي دَاوُدَ فِي وَادِعَةَ ، وَكَانَ يَعْتَادُهُ رِجَالُ أَهْلِ ذَلِكَ الزَّمَانِ يَقْصُونَ فِيهِ ، وَقَدْ نَزَلَ مَعَهُ أَنَاسٌ مِنْ أَصْحَابِهِ — وَقَالَ أَصْحَابُ عَبْدِ اللَّهِ : مَا نَدْرِي مَا فَعَلَ ابْنُ كَامِلٍ ! فَصَاحَ بِهِمْ : أَنْ انصَبِرُوا . ثُمَّ أَقْبَلَ بِهِمْ حَتَّى انْتَهَى إِلَى دَارِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ الْجُدِّيِّ ، وَبَعَثَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ قُرَادِ الْخَثْعَمِيِّ — وَكَانَ عَلَى أَرْبَعِمِائَةِ رَجُلٍ مِنْ أَصْحَابِهِ — فَقَالَ : سَرُّ فِي أَصْحَابِكَ إِلَى ابْنِ كَامِلٍ ، فَإِنْ يَكُ هَلِكٌ فَأَنْتَ مَكَانُهُ ، فَقَاتِلِ الْقَوْمَ بِأَصْحَابِكَ وَأَصْحَابِهِ ، وَإِنْ تَجَدَّهُ حَيًّا صَالِحًا فَسَرِّ فِي مِائَةِ مِنْ أَصْحَابِكَ كُلِّهِمْ فَارِسَ ، وَادْفَعْ إِلَيْهِ بَقِيَّةَ أَصْحَابِكَ ، وَمِرَّ (٥) بِالْجُدِّ مَعَهُ وَالْمُنَاصِحَةَ لَهُ ، فَإِنَّهُمْ لَأَنَّمَا يَنْصَحُونَنِي ، وَمَنْ نَاصَحَنِي فَلْيَبْشِرْ ، ثُمَّ امضِ فِي الْمِائَةِ حَتَّى تَأْتِيَ أَهْلَ جَبَّانَةَ السَّبِيْعِ مِمَّا يَلِي حَمَامَ قَطَّانَ ابْنَ عَبْدِ اللَّهِ . فَضَى فَوَجَدَ ابْنَ كَامِلٍ وَاقِفًا عِنْدَ حَمَامَ عَمْرُو بْنِ حُرَيْثِ

(١ - ١) ف : « وسلكا الطريق الذي » .

(٢) ف : « به » .

(٣) ف : « وإن أصحاب أحمر » .

(٤) ف : « وأمرهم » .

معه أناس^(١) من أصحابه قد صبروا ، وهو يقاتل القوم ، فدفع إليه ثلثمائة ٦٥٧/٢
من أصحابه ثم مضى حتى نزل إلى جبانة السبيح .

ثم أخذ في تلك السكك حتى انتهى إلى مسجد عبد القيس ، فوقف
عنده ، وقال لأصحابه : ما ترون؟^(٢) قالوا : أمرنا لأمرِكَ تَبِعْ^(٢) وكل من كان معه
من حاشد من قومه وهم مائة ؛ فقال لهم : والله إنى لأحب أن يظهر المختار ، والله
إنى لكاره أن يتهلك أشرفُ عشيرتي اليوم ، والله لأن أموت أحب إلى
من أن يسحل بهم الهلاك على يدي ، ولكن قفوا قليلاً فإنى قد سمعتُ شياً
يزعمون أنهم سيأتونهم^(٣) من ورائهم ، فلعل شياً ما تكون هي تفعل ذلك ،
ونعافى نحن منه . قال له أصحابه : فرأيتك . فثبت كما هو عند مسجد
عبد القيس ، وبعث المختارُ مالك بن عمرو النهدي في مائتي رجل - وكان
من أشد الناس بأساً - وبعث عبد الله بن شريك النهدي في مائتي فارس إلى
أحمر بن شميظ ، وثبت مكانه ، فانتهاوا إليه وقد علاه القوم وكشروه ،
فاقتتلوا عند ذلك كأشد القتال ، ومضى ابن الأشر حتى لقي شبيب بن ربيع .
وأناساً معه من مضر كثيراً ، وفيهم حسان بن فائد العبسي ، فقال لهم إبراهيم :
ويحككم ! انصرفوا ، فوالله ما أحب أن يصاب أحد من مضر على يدي ،
فلا تهلكوا أنفسكم ، فأبوا ، فقاتلوه فهزهم ، واحتُمل حسان بن فائد إلى
أهله ، فمات حين أدخل إليهم ، وقد كان وهو على فراشه قبل موته أفاق لإفاقة
فقال : أما والله ما كنت أحب أن أعيش من جراحتي هذه ، وما كنت أحب
أن تكون مني إلا بطعنة رمح ، أو بضربة بالسيف ؛ فلم يتكلم بعدها
كلمة^(٤) حتى مات . وجاءت البشرية إلى المختار من قبل إبراهيم بهزيمة ٦٥٨/٢
مضر ، فبعث المختار البشري من قبله^(٥) إلى أحمر بن شميظ وإلى ابن
كامل ، فالناس^(٦) على أحوالهم كل أهل سكة منهم قد أغنت ما يليها .
قال : فاجتمع شياً^(٧) وقد رأسوا عليهم أبا القلوص ، وقد أجمعوا

(١) ف : « ناس » . (٢-٢) ف : « فقالوا : أمرنا أمرك ونحن لك تبع » .

(٣) ف : « أن سيأتونهم » . (٤) ف : « بكلمة » .

(٥) ف : « من قبله البشري » . (٦) ف : « والناس » .

(٧) ف : « فاجتمع » .

واجتمعوا بأن يأتوا أهل اليمن من ورائهم ، فقال بعضهم لبعض : أما والله لو جعلتم جِدَّكُمْ (١) هذا على من خالفكم من غيركم لكان أصوب ، فسيروا إلى مضر أو إلى ربيعة (٢) فقاتلوهم - وشيخوهم أبو القلوص ساكت لا يتكلم - فقالوا : يا أبا القلوص ، ما رأيك ؟ فقال : قال الله جل ثناؤه : ﴿ قَاتِلُوا الَّذِينَ يَدُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ وَلَيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً ﴾ (٣) قوموا ؛ فقاموا ؛ فشى بهم قيس رحين أو ثلاثة ثم قال لهم : اجلسوا فجلسوا ، ثم مشى بهم أنفس من ذلك شيئاً ، ثم قعد بهم ، ثم قال لهم : قوموا ، ثم مشى بهم الثالثة أنفس من ذلك شيئاً ، ثم قعد بهم ، فقالوا له : يا أبا القلوص ، والله إنك عندنا لأشجع العرب ، فما يَحْمِلُكَ على الذي تصنع ! قال : إنَّ المجرَّب ليس كمن لم يجرَّب ، إني أردت أن ترجع إليكم أفئدتكم ، وأن توطئوا على القتال أنفسكم ، وكرهتُ أن أقتحمكم على القتال وأنتم على حالٍ دَهَشَ ؛ قالوا : أنت أبصر بما صنعت .

٦٥٩/٢ فلما خرجوا إلى جَبَّانة السَّبِيح استقبلهم على فم السكة الأعسر الشاكري ، فحمل عليه الجندعي وأبو الزبير بن كريب فصرعاه ، ودخلا الجبَّانة ، ودخل الناسُ الجبَّانة في آثارهم ، وهم ينادون : يا لثارات الحسين ! فأجابهم أصحابُ ابن شميظ يآ لثارات الحسين ! فسمعها يزيدُ بن عمير بن ذى مُرَّان من هَمْدان فقال : يا لثارات عثمان ! فقال لهم رفاعه بن شدَّاد : ما لنا وليعثمان ! لا أقاتل مع قوم يبغون دم عثمان ، فقال له أناس من قومه : جثت بنا وأطعنك ، حتى إذا رأينا قومنا تأخذهم السيوف قلت : انصرفوا ودعوهم ! فعتف عليهم وهو يقول :

أنا ابنُ شدَّادِ على دينِ عليٍّ لستُ لعثمانَ بنِ أروى بوليٍّ
لأصلينَّ اليومَ فيمن يسطلي بحرُّ نارِ الحربِ غيرِ مؤتليٍّ

فقاتل حتى قُتل ، وقتل يزيد بن عمير بن ذى مُرَّان ، وقتل النعمان ابن صُهَيْبان الجرمي ثم الراسبي - وكان ناسكاً - ورفاعةُ بن شدَّاد بن عوسجة

(١) ف : « حذكم » . (٢) ف : « ربيعة ومضر » . (٣) سورة التوبة : ٣ .

الفتياني عند حمّام المهديّ بالسدّية - وكان ناسكاً - وقتل الفرات
ابن زحر بن قيس الجعفيّ، وارتث زحر بن قيس، وقتل عبد الرحمن
ابن سعيد بن قيس، وقتل عمر بن مخنف، وقتل عبد الرحمن بن مخنف حتّى
أرثت، وحملتته الرجال على أيديها وما يشعر، وقتل حولته رجال من
الأزد، فقال حميد بن مسلم:

لأضربنّ عن أبي حكيم مفارق الأعبد والصميم

وقال سراقه بن مرداس البارقى:

٦٦٠/٢

يا نهمس إلاّ تضبري تليمي لا تتوتى عن أبي حكيم^(١)
واستخرج من دور الوادعيّين خمسمائة أسير، فأتي بهم المختار مكتفين،
فأخذ رجل من بني نهد وهو من رؤساء أصحاب المختار يقال له: عبد الله
ابن شريك، لا يخلو بعربيّ إلاّ خلّى سبيله، فترفع ذلك إلى المختار درهم
مولّى لبني نهد، فقال له المختار: اعرضوهم علىّ، وانظروا كلّ من شهد
منهم قتل الحسين فأعلموني به، فأخذوا لا يمتروا عليه^(٢) برجل قد شهد قتل
الحسين إلاّ قيل له: هذا ممن شهد قتله، فيقدّمه فيضرب عنقه، حتّى
قتل منهم قبل أن يخرج مائتين وثمانية وأربعين قتيلاً، وأخذ أصحابه كلّما
رأوا رجلاً قد كان يؤذيهم أو يماريهم^(٣) أو يضرّ بهم خلووا به فقتلوه حتّى قتل
ناس كثير منهم وما يشعر بهم المختار، فأخبر بذلك المختار بعد، فدعا
بمن بقي^(٤) من الأسارى فأعتقهم، وأخذ عليهم المواثيق ألاّ يجامعوا
عليه عدواً، ولا يبيغوه ولا أصحابه^(٥) غائلة، إلاّ سراقه بن مرداس البارقى،
فإنّه أمر به أن يساق معه إلى المسجد. قال: ونادى منادى المختار: إنّه
من أغلق بابه فهو آمن، إلاّ رجلاً شرك في دم آل محمد صلّى الله عليه
وسلم.

(٢) ف: « لا يمر عليهم رجل ».

(١) ديوانه ١٠٥.

(٣) ف: « ويماريهم ».

(٤) ف: « من بقي ».

(٥) ف: « لأصحابه ».

قال أبو مخنف: حدثني^(١) المجالد بن سعيد، عن عامر الشعبي . ، أن يزيد ابن الحارث بن يزيد بن رؤيم وحجّار بن أبحر بعثا رسلا لهما ، فقالا لهم : كونوا من أهل اليمن قريبا ، فإن رأيتهم قد ظهروا^(٢) فأيكم سبق إلينا فليقل صرّافان ، وإن كانوا هزموا فليقل جسمزان ، فلما هزّم أهل اليمن أتتهم ورسلمهم ، فقال لهم أول من انتهى إليهم : جسمزان ، فقام الرجلان فقالا لقومهما : انصرفوا إلى بيوتكم ، فانصرفوا ، وخرج عمرو بن الحجّاج الزبيديّ - وكان ممن شهد قتل الحسين - فركب راحلته ، ثم ذهب عليها ، فأخذ طريق شراف واقصة ، فلم ير حتّى الساعة ، ولا يدرى أرض بخسسته ، أم سماء حصبته ! وأما فرات بن زحر بن قيس فإنه لما قتل بعث عائشة بنت خليفة بن عبد الله الجعفيّة - وكانت امرأة الحسين بن عليّ - إلى المختار تسأله أن يأذن لها أن توارى بجسده ؛ ففعل ؛ فدفنته .

وبعث المختار غلاماً له يدعى زربياً في طلب شمر بن ذى الجوشن . قال أبو مخنف : فحدثني يونس بن أبي إسحاق ، عن مسلم بن عبد الله الضبابي ، قال : تبعنا زربى غلام المختار ، فلكحقتنا وقد خرجنا من الكوفة على خيول لنا ضمّر ، فأقبل يتمطر به^(٣) فرسه ، فلما دنا منا قال لنا شمر : اركضوا وتباعدوا عني لعل العبد يطمع فيّ ؛ قال : فركضنا ، فأمعنا ، وطمع العبد في شمر ، وأخذ شمر ما يستطرد له ، حتّى إذا انقطع من أصحابه حمل عليه شمر فذق ظهره ، وأتى المختار فأخبر بذلك ، فقال : بوّساً لزربى ، أما لو يستشيرني ما أمرته أن يخرج لأبي السابعة .

قال أبو مخنف : حدثني أبو محمد الهمداني ، عن مسلم بن عبد الله الضبابي ، قال : لما خرج شمر بن ذى الجوشن وأنا معه حين هزمتنا المختار ، وقتل أهل اليمن ببجانة السبيح ، ووجه غلامه زربياً في طلب شمر ، وكان ممن قتل شمر لإيائه ما كان ، مضى شمر حتّى ينزل سائيداً ، ثم مضى حتّى ينزل إلى جانب قرية يقال لها الكلتانية على شاطئ نهر ، إلى جانب تل ،

(١) ف : « فحدثني » . (٢) ف : « ظفروا » . (٣) يتمطر به : يسرع .

ثم أرسل إلى تلك القرية فأخذ منها عِلْجًا فضربه ، ثم قال : النجاء بكتابي هذا إلى المصعب بن الزبير وكتب عنوانه : للأمير المصعب بن الزبير من شمير بن ذى الجوشن . قال : فسمّيت العِلْج حتى يدخل قرية فيها بيوت ، وفيها أبو عمرة ، وقد كان المختار بعثته في تلك الأيام إلى تلك القرية لتكون مسالحة فيما بينه وبين أهل البصرة ، فلقى ذلك العِلْج عِلْجًا من تلك القرية ، فأقبل يشكو إليه ما لقي من شمير ، فإنه لقاؤه معه يكلمه إذ مر به رجل من أصحاب أبي عمرة ، فرأى الكتاب مع العِلْج ، وعنوانه لمصعب من شمير ، فسألوا العِلْج عن مكانه الذي هو به ، فأخبرهم ، فإذا ليس بينهم وبينه إلا ثلاثة فراسخ . قال : فأقبلوا يسرون إليه .

قال أبو مخنف : فحدثني مسلم بن عبد الله ، قال : وأنا والله مع شمير تلك الليلة^(١) ، فقلنا: لو أنك ارتحلت بنا من هذا المكان فإننا نتخوف به ! فقال : أوكل هذا فرقا من الكذاب ! والله لا أتحوّل منه ثلاثة أيام ، ملأ الله قلوبكم رعبًا ! قال : وكان بذلك المكان الذي كنت فيه دبت كثير ، فوالله إنى لتبين اليقظان والنائم ، إذ سمعت وقع حوافر الخيل ، فقلت في نفسي : هذا صوت الدبى ، ثم إنى سمعته أشد من ذلك ، فانتبهت ومسحت^(٢) عيني ، وقلت : لا والله ، ما هذا بالدبى . قال : وذهبت لأقوم ، فإذا أنا بهم قد أشرفوا علينا من التل ، فكبروا ، ثم أحاطوا بأبياتنا ، وخرجنا نشدت على أرجلنا ، وتركنا خيلنا . قال : فأمر على شمير ، وإنه لمتزر ببؤرد محقق^(٣) — وكان أبرص — فكأنى أنظر إلى بياض كشحيه من فوق البرد ، فإنه لسيطاعهم بالرمح ، قد أعجكوه أن يلبس سلاحه وثيابه ، فضينا وتركناه . قال : فما هو إلا أن أمعت ساعة ، إذ سمعت : الله أكبر ، قتل الله الخبيث !

قال أبو مخنف : حدثني المشرقى ، عن عبد الرحمن بن عبيد أبي الكنود ، قال : أنا والله صاحب الكتاب الذي رأيته مع العِلْج ، وأتيت به أبا عمرة وأنا قتلت شميرًا ؛ قال : قلت : هل سمعته يقول شيئًا ليلتذ ؟ قال : نعم ،

(١) ف : « ليلتذ » . (٢) ف : « فسحت » . (٣) برد محقق : محكم النسخ .

خرج علينا فطاعننا برمح ساعة ، ثم ألقى رمحه ، ثم دخل بيته فأخذ سيفه ، ثم خرج علينا وهو يقول :

نَبَّهْتُمْ لَيْثَ عَرِينِ بِأَسْلَا جَهْمًا مُحْيَاهُ يَدُقُّ الْكَاهِلَا
لَمْ يُرَ يَوْمًا عَنْ عَدُوِّ نَاكِلَا إِلَّا كَذَا مُقَاتِلَا أَوْ قَاتِلَا
* يُبْرِحُهُمْ ضَرْبًا وَيُرْوِي الْعَامِلَا *

قال أبو مخنف ، عن يونس بن أبي إسحاق : ولما خرج المختار من جبانة السَّبِيْعِ ، ٦٦٤/٢ وأقبل إلى القصر ، أخذ سُرَاقَةَ ، بن مِرْدَاسٍ يناديه بأعلى صوته :

اَمْنُنْ عَلَيَّ الْيَوْمَ يَا خَيْرَ مَعَلَّةٍ وَخَيْرَ مَنْ حَلَّ بِشَحْرِ وَالْجَنْدِ (١)
* وَخَيْرَ مَنْ حَيَّا وَلَبَّى وَسَجَدَ (٢) *

فبعث به المختار إلى السجن ، فحبسه ليلة ، ثم أرسل إليه من الغد فأخرجته ، فدعا سراقه ، فأقبل إلى المختار وهو يقول :

أَلَا أَبْلَغُ أَبَا إِسْحَاقَ أَنَا نَزَوْنَا نَزْوَةً كَانَتْ عَلَيْنَا (٣)
خَرَجْنَا لَا نَرَى الضَّعْفَاءَ شَيْئًا وَكَانَ خُرُوجُنَا بَطْرًا وَحِينًا
نَرَاهُمْ فِي مَصَافِهِمْ قَلِيلًا وَهُمْ مِثْلُ الدَّبِيِّ حِينَ التَّقِينَا
بَرَزْنَا إِذْ رَأَيْنَاهُمْ فَلَمَّا رَأَيْنَا الْقَوْمَ قَدْ بَرَزُوا إِلَيْنَا
لَقِينَا مِنْهُمْ ضَرْبًا طَلْحَفًا (٤) وَطَعْنَا صَائِبًا حَتَّى انْشَيْنَا
نَصِرْتَ عَلَيَّ عَدُوكَ كُلَّ يَوْمٍ بِكُلِّ كَتِيْبَةٍ تَنْعَى حُسَيْنًا (٥)
كَنْصَرِ مُحَمَّدٍ فِي يَوْمِ بَدْرٍ وَيَوْمِ الشُّعْبِ إِذْ لَاقَى حُنَيْنًا
فَأَسْجَحُ إِذْ مَلَكَتْ فَلَوْ مَلَكَتْنَا لَجُرْنَا فِي الْحُكُومَةِ وَأَعْتَدَيْنَا
تَقَبَّلْ تَوْبَةَ مَنْى فَإِنِّي سَأَشْكُرُ إِنْ جَعَلْتَ النُّقْدَ دِينَا

(١) ديوانه ٧٤ . ف : « لقي وحيا » .

(٢) ديوانه ٧٦ ، ٧٧ . (٤) ضرباً طلحفاً ، أى شديداً وجميعاً .

(٥) ف : « تبغى علينا » .

قال : فلَمَّا انتهى إلى المختار ، قال له : أصلاَحك الله أيها الأمير ! سرَّاقةُ ابنِ مرداسٍ يتحلف بالله السَّدى لا إلهَ إلاَّ هو لقد رأى الملائكةَ تُقاتِل على الحِيولِ البُلُق بين السماء والأرض ؛ فقال له المختار : فاصعد المنيبر فأعلم ذلك المسلمين ؛ فصعد فأخبرهم بذلك ثم نزل ، فخلا به المختار ، فقال : إني قد علمت أنك لم تر الملائكة ، وإنما أردت ما قد عرفتُ ألا أقتلك ، ٦٦٥/٢ فاذهب عني حيث أحببت (١) ، لا تُفسد على أصحابي .

قال أبو مخنف : فحدثني الحمجَّاج بن عليّ البارقي عن سراقه بن مرداس ، قال : ما كنت في أيمان حلفت بها قطُّ أشدَّ اجتهاداً ولا مبالغةً في الكذب (٢) مني في أيماني هذه التي حلفتُ لهم بها أني قد رأيت الملائكة معهم تُقاتِل . فخلَّوا سبيله . فهرب ، فلحق بعبد الرحمن بن مخنف عند المصعب بن الزبير بالبصرة ، وخرج أشرافُ أهل الكوفة والوجوه . فلتحقوا بمصعب بن الزبير بالبصرة ، وخرج سرَّاقة بن مرداس من الكوفة وهو يقول :

ألا أبلغ أبا إسحاق أني رأيتُ البُلُق دُهماً مُصمَّاتٍ (٣)
كفرتُ بوخيكم وجعلت نذراً على قتالكم حتى المماتِ
أرى عيني ما لم تُبصره كلانا عالمٌ بالثرهاتِ
إذا قالوا أقول لهم كذبتُم وإن خرجوا لبستُ لهم أداق

حدثني أبو السائب سلم بن جبَّادة ، قال : حدثنا محمد بن برَّاد (٤) ، من ولد أبي موسى الأشعري ، عن شيخ ، قال : لمَّا أسير سراقه البارقي ، قال : وأنتم أسرتموني ! ما أسرني إلا قوم على دوابِّ بلق ، عليهم ثياب بيض . قال : فقال المختار : أولئك الملائكة ، فأطلقه ، فقال :

ألا أبلغ أبا إسحاق أني رأيتُ البُلُق دُهماً مُصمَّاتِ
أرى عيني ما لم ترأياه كلانا عالمٌ بالثرهاتِ

(٢) ف : « مني في الكذب » .

(١) ف : « شئت » .

(٤) أ : « براه » .

(٣) ديوانه ٧٨ .

قال أبو مخنف : حدثني عمير بن زياد أن عبد الرحمن بن سعيد بن قيس الهمداني قال يوم جَبَانَةِ السَّبِيعِ : ويحكم ! من هؤلاء الَّذِينَ أَتَوْنَا مِنْ رِائِنَا ؟ قِيلَ لَهُ : شِبَامَ ؛ فَقَالَ : يَا عَجِبَا ! يِقَاتِلُنِي بِقَوْمِي مِنْ لَأَقَوْمٍ لَهُ . ٦٦٦/٢

قال أبو مخنف : وحدثني أبو روق أن شُرْحِبِيلَ بْنَ ذِي بُقْلَانَ مِنَ النَّاعِطِيِّينَ قُتِلَ يَوْمَئِذٍ ، وَكَانَ مِنْ بِيَوَاتِ هَمْدَانَ ، فَقَالَ يَوْمَئِذٍ قَبْلَ أَنْ يُقْتَلَ : يَا لَهَا قَتْلَةً ، مَا أَضِلُّ مَقْتُولًا ! قِتَالٌ مَعَ غَيْرِ إِمَامٍ ، وَقِتَالٌ عَلَى غَيْرِ نَيْسَةٍ ، وَتَعْجِيلُ فِرَاقِ الْأَحِبَّةِ ، وَلَوْ قَتَلْنَاكُمْ إِذَا لَمْ نَسْلَمْ مِنْهُمْ ، إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ! أَمَا وَاللَّهِ مَا خَرَجْتُ إِلَّا مُوَأْسِيًا لِقَوْمِي بِنَفْسِي مَخَافَةَ أَنْ يُضْطَهَرُوا ؛ وَإِيْمَ اللَّهِ مَا نَجَوْتُ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أُنْجُوا ، وَلَا أُغْنِيَتِ عَنْهُمْ وَلَا أُغْنُوا . قَالَ : وَيَرْمِيهِ رَجُلٌ مِنَ الْفَائِشِيِّينَ مِنْ هَمْدَانَ يَقَالُ لَهُ أَحْمَرُ بْنُ هَلْبِجٍ بِسَهْمٍ فَيَقْتُلُهُ .

قال : واختصم في عبد الرحمن بن سعيد بن قيس الهمداني نفرًا ثلاثة : سِعْرُ ابْنِ أَبِي سَعْرٍ الْحَنْفِيُّ ، وَأَبُو الزَّبِيرِ الشَّيْبَانِيُّ ؛ وَرَجُلٌ آخَرٌ ؛ فَقَالَ سِعْرٌ : طَعَنْتَهُ طَعْنَةً ، وَقَالَ أَبُو الزَّبِيرِ : لَكِنْ ضَرَبْتُهُ أَنَا عَشْرَ ضَرْبَاتٍ أَوْ أَكْثَرَ ، وَقَالَ لِي ابْنُهُ : يَا أَبَا الزَّبِيرِ ، أَتَقْتُلُ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ سَعِيدِ سَيِّدَ قَوْمِكَ ! فَقُلْتُ : ﴿ لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ﴾ (١) . فَقَالَ الْخُتَارُ : كَلَّمْتُمْ مُحْسِنًا . وَانْجَلَسَتِ الْوَقْعَةُ عَنْ سَبْعِمِائَةٍ وَثَمَانِينَ قَتِيلًا مِنْ قَوْمِهِ .

قال أبو مخنف : حدثني النَّضْرُ بْنُ صَالِحٍ أَنَّ الْقَتْلَ إِذْ ذَاكَ كَانَ اسْتَسْحَرَ فِي أَهْلِ الْيَمَنِ ، وَأَنَّ مُضَرَ أُصِيبَ مِنْهُمْ بِالْكُنَاسَةِ بِضِعَةِ عَشْرِ رِجَالًا ، ثُمَّ مَضُوا حَتَّى مَرُّوا بِرَبِيعَةَ ، فَرَجَعَ حَجَّارُ بْنُ أَبَجَرَ ، وَيزِيدُ بْنُ الْحَارِثِ بْنِ رُوَيْمٍ وَشَدَّادُ بْنُ الْمَنْدَرِ - أَخُو حَضِينَ - وَعَكْرَمَةُ بْنُ رَبِيعِي ، فَانْصَرَفَ جَمِيعٌ هَؤُلَاءِ إِلَى رِحَالِهِمْ ، وَعَطَفَ عَلَيْهِمْ عَكْرَمَةُ فَقَاتَلَهُمْ قِتَالًا شَدِيدًا ، ثُمَّ انْصَرَفَ عَنْهُمْ وَقَدْ خَرَجَ ، فَجَاءَ حَتَّى دَخَلَ مَنْزِلَهُ ، فَقِيلَ لَهُ : قَدْ مَرَّتْ نَخِيلٌ فِي

(١) سورة المجادلة: ٢٢ .

ناحية الحىّ ؛ فخرج فأراد أن يثب من حائط داره إلى دار أخرى إلى جانبه فلم يستطع حتىّ حملته غلام له . وكانت وقعة بجبانة السبيع يوم الأربعاء لست ليالٍ بقين من ذى الحجة سنة ست وستين .

قال : وخرج أشرافُ الناس فأسحِقُوا بالبصرة ، وتجرّد المختارُ لقتلة الحسين فقال : ما من ديننا ترك قوم قتلوا الحسينَ يمشون أحياء في الدنيا آمنين ؛ بش ناصر آل محمدنا إذا في الدنيا ! أنا إذا الكذاب كما سمّوني ، فإني (١) بالله أستعين عليهم ، الحمد (٢) لله الذي جعلني سيفاً ضرب بهم به ، ورحمًا طعنهم به ، وطالب وترهم ، والقائم بحقهم ؛ إنّه (٣) كان حقاً على الله أن يقتل من قتلهم ، وأن يذلّ من جهل حقهم ، فسمّوهم لى ثم اتبعوهم (٤) حتىّ تُفَنّوهم .

قال أبو مخنف : فحدثني موسى بن عامر أن المختار قال لهم : اطلبوا لي قتيلاً الحسين ، فإنه لا يسوغ لى الطعام والشراب حتىّ أظهر الأرض منهم ، وأنى المصير منهم .

قال أبو مخنف : وحدثني مالك بن أعيّن الجهميّ أن عبد الله بن دبّاس ، وهو الذي قتل محمد بن عمّار بن ياسر الذي قال الشاعر :

* قَتِيلَ ابْنِ دَبَّاسٍ أَصَابَ قَدَالَهُ * (٥)

٦٦٨/٢

هو الذي دلّ المختار على نفر ممن قتل الحسين ، منهم عبد الله بن أسيد بن النزال الجهميّ من حرّقة ، ومالك بن النسير البديّ ، وحمّس بن مالك المحاربيّ ؛ فبعث إليهم المختار أبا نيمران مالك بن عمرو النهديّ - وكان من رؤساء أصحاب المختار - فأتاهم وهم بالقادسية ، فأخذهم فأقبل بهم حتىّ أدخلهم عليه عشاء ، فقال لهم المختار : يا أعداء الله وأعداء كتابه وأعداء رسوله وآل رسوله ، أين الحسين بن عليّ ؟ أدوا لى الحسين ، قتلتم من أمرتم بالصلاة عليه في الصلاة ، فقالوا (٦) : رحمك الله ! بعثنا ونحن كارهون ، فامنن علينا واستبقنا ، قال المختار : فهلاً منتم على الحسين ابن بنت

(١) ف : « وإف » . (٢) ف : « والحمد » . (٣) ف : « إن » .

(٤) ف : « تبعوهم » . (٥) ف : « أصيب قذاله » . (٦) ف : « قالوا » .

نبيكم واستبقيتموه وسقَيْتُموه ! ثم قال المختار للبدئي: أنت صاحب بُرْنَسِه ؟ فقال له عبد الله بن كامل : نعم ، هو هو ؛ فقال المختار ، اقطعوا يدي^(١) هذا ورجلسيه ، ودَعُوهُ فليضطرب حتَّى يموت ، ففعل ذلك به وترك ، فلم يزل يَسْرِفُ الدَّمَّ حتَّى مات ، وأمر بالآخرين فقتلوا ، فقتل عبدُ الله بن كامل عبدَ الله الجهنِّي ، وقتل سَعْرُ بنُ أبي سَعْرٍ حَمَلُ بن مالك الحاربي .

قال أبو مخنف : وحدثنى أبو الصلت التيمي ، قال : حدثني أبو سعيد الصبيقل أن المختار دُلَّ على رجال من قَسَلَةِ الحسين ، دلَّه^(٢) عليهم سَعْرُ الحنفي ؛ قال : فبعث المختارُ عبدَ الله بن كامل ، فخرجنا معه حتَّى مرَّ ببني ضُبَيْعة ، فأخذ منهم رجلاً يقال له زياد بن مالك ؛ قال : ثم مضى إلى عَسَنَةَ فأخذ منهم رجلاً يقال له عِمْرَانُ بن خالد . قال : ثم بعثني في رجال معه يقال لهم الدُّبَابَةُ إلى دار في الحمراء ، فيها عبد الرحمن بن أبي خُشَاكَةَ البَسْجَلِيَّ وعبد الله بن قيس الخولاني ، فجئنا بهم حتى أدخلناهم عليه ، فقال لهم : يا قتلة الصالحين ، وقتلتم سيد شباب أهل الجنة ، ألا ترون الله قد أقاد منكم اليوم ! لقد جاءكم الورس ، بيوم نَحْسَسُ - وكانوا قد أصابوا من الورس الذي كان مع الحسين - أخرجوهم إلى السوق فضربوا رقابهم . ففعل ذلك بهم ، فهؤلاء أربعة نفر .

قال أبو مخنف : وحدثنى سليمان بن أبي راشد ، عن حميد بن مسلم ، قال : جاءنا السائب بن مالك الأشعري في خيل المختار ، فخرجت نحو عبد القيس ، وخرج عبد الله وعبدُ الرحمن ابنا صلح^(٣) في أترى ، وشغلوا بالاحتباس عليهما عنِّي ، فنجوت وأخذوهما ، ثم مضوا بهما حتَّى مروا على منزل رجل يقال له عبد الله بن وهب بن عمرو ابن عمِّ أعشى هَمْدَانٍ من بني عبد ، فأخذوه ، فانتهوا بهم إلى المختار ، فأمر بهم فقتلوا في السوق ، فهؤلاء ثلاثة . فقال حميد بن مسلم في ذلك حيث نجا منهم :

أَلَمْ تَرِنِي عَلَى دَهْشِ نَجْوَتُ وَلَمْ أَكْذُ أَنْجُو

(١) ف : « يديه » . (٢) ف : « دل » .

(٣) ابن الأثير : « صلح » .

رجاء الله أنقذني ولم أك غيره أرجو

قال أبو مخنف : حدثني موسى بن عامر العدويّ من جهينة - وقد عرف ذلك الحديث شهيم بن عبد الرحمن الجهنيّ - قال : بعث المختار عبد الله ابن كامل إلى عثمان بن خالد بن أسير الدهمانيّ من جهينة ، وإلى أبي أسماء بشر بن سوط القابضيّ - وكانا ممن شهدا قتل الحسين ، وكانا اشتركا في دم عبد الرحمن بن عقييل بن أبي طالب وفي سلبه - فأحاط عبد الله بن كامل عند العصر بمسجد بني دهمان ، ثم قال : عليّ مثل خطايا بني دهمان منذ يوم خلقتوا إلى يوم يُبعثون إن لم أوت بعثمان بن خالد بن أسير ، إن لم أضرب أعناقكم من عند آخركم . فقلنا له : أمهلنا نطلبه ، فخرجوا مع الخيل في طلبه ، فوجدوهما جالسين في الجبانة - وكانا يريدان أن يخرجوا إلى الجزيرة - فأتى بهما عبد الله بن كامل ، فقال : الحمد لله الذي كفى المؤمنين القتال ، لو لم يجدوا هذا مع هذا عثانا إلى منزله في طلبه ، فالحمد لله الذي حينئذ حتى أمكن منك . فخرج بهما حتى إذا كان في موضع بئر الجعد ضرب أعناقهما ، ثم رجع فأخبر المختار خبرهما ، فأمره أن يرجع إليهما فيحرقهما بالنار ، وقال : لا يدفنان حتى يُحرقا . فهذان رجلان ، فقال أعشى همدان^(١) يرثي عثمان الجهنيّ :

يا عين بكى فتى الفتيان عثماناً لا يبعدن الفتى من آل دهمانا
وأذكر فتى ماجداً حلوا شائله ما مثله فارس في آل همدانا

قال موسى بن عامر : وبعث معاذ بن هانيّ بن عديّ الكنديّ ، ابن أخي حُجْر ، وبعث أبا عمرة صاحب حرّسه ، فساروا حتى أحاطوا بدار خوليّ بن يزيد الأصبغيّ وهو صاحب رأس الحسين اللّذي جاء به ، فاخبتا في مخرجه ، فأمر معاذ أبا عمرة أن يطلبه في الدار ، فخرجت امرأته إليهم ، فقالوا لها : أين زوجك ؟ فقالت : لا أدري أين هو - وأشارت بيدها إلى المخرج ، فدخلوا فوجدوه قد وضع على رأسه قوصرة^(٢) ، فأخرجوه ، وكان^(٢) المختار يسير

(١) اسمه عبد الرحمن بن عبد الله ، وهمدان بالدال الساكنة من قبائل كهلان باليمن ، وانظر

(٢) ف : « وقد كان » .

المؤتلف والمختلف ١٢ .

بالكوفة . ثمّ إنّه أقبل في أثر أصحابه وقد بعث أبو عمّرة إليه رسولا ، فاستقبل المختار الرسول عند دار بلال ، ومعه ابن كامل ، فأخبره الخبر ، فأقبل^(١) المختار نحوهم ، فاستقبل به ، فردّده^(٢) حتّى قتله إلى بجانب أهله ، ثمّ دعا^(٣) بنار فحرّقه [بها]^(٤) ، ثمّ لم يبرح حتّى عاد رماداً ، ثمّ انصرف عنه . وكانت امرأته من حضرموت يقال لها العيصوف بنت مالك بن نهار بن عقرّب ، وكانت نصبت له العداوة حين جاء برأس الحسين .

قال أبو مخنف : وحدّثني موسى بن عامر أبو الأشعر أنّ المختار قال ذات يوم وهو يحدث جلساءه : لأقتلنّ غدّاً رجلاً عظيماً القدَمين ، غائر العينين ، مشرف الحاجبين ، يسرّ مَسَقَلُهُ المؤمنين والملائكة المقربين . قال : وكان الهيثم بن الأسود النخعيّ عند المختار حين سمع هذه المقالة ، فوقع في نفسه أنّ السّديّ يريد عمر بن سعد بن أبي وقاص ، فلمّا رجع إلى منزله دعا ابنه العريّان فقال : التّ ابن سعد الليلة فخبّره بكلّها وكذا ، وقل له : خذ حذرَكَ ، فإنّه لا يريد غيرَكَ . قال : فأتاه فاستخلاه ، ثمّ حدّثه الحديث ، فقال له عمر بن سعد : جزى الله أباك والإخاء خيراً ! كيف يريد هذا بي بعد السّديّ أعطاني من العهود والمواثيق ! وكان المختار أوّل ما ظهر أحسن شيء سيرةً وتأليفاً للناس ، وكان عبد الله بن جَعْدَةَ بن هبيرة أكرمَ خلقت الله على المختار لقربابته بعلي^(٥) ، فكلّم عمرُ بنُ سعد عبد الله بن جَعْدَةَ وقال له : إني لا آمن هذا الرجل - يعنى المختار - فخذُ لي منه أماناً ، ففعل ؛ قال : فأنا رأيتُ أمانه وقرأته [وهو]^(٦) :

بسم الله الرحمن الرحيم . هذا أمانٌ من المختار بن أبي عبيد لعمَرَ بنِ سعد ابن أبي وقاص . إنَّك آمن بأمان الله على نفسك ومالك وأهلك وأهل بيتك وولدك ، لا تؤاخذُ بحدّث كان منك قديماً ما سمعت وأطعت ولزمت رحلتك وأهلك ومصرك^(٧) ، فمن لقيَ عمرَ بنَ سعد من شُرطة الله وشيعة آل محمد

(١) ف : « فرجع وأقبل » . (٢) ف : « فردّوه » .

(٣) ف : « ودعا » . (٤) من ف .

(٥) ف : « من على » . (٦) من ف . (٧) ف : « وقصرِكَ » .

ومن غيرهم من الناس ، فلا يعرض له إلا بخير . شهد السائب بن مالك وأحمر بن شميطة وعبد الله بن شداد وعبد الله بن كامل . وجعل المختار على نفسه عهد الله وميثاقه ليعفين^١ لعمر بن سعد بما أعطاه من الأمان ، إلا أن يحدث حدثاً ، وأشهد الله على نفسه ، وكفسي بالله شهيداً . ٦٧٣/٢

قال : فكان أبو جعفر محمد بن علي يقول : أمّا أمان المختار لعمر بن سعد : إلا أن يحدث حدثاً ، فإنه كان يريد به إذا دخل الخلاء فأحدث . قال : فلما جاءه العريان بهذا خرج من تحت ليلته حتى أتى حمامه ، ثم قال في نفسه : أنزل داري ، فربح فعبه الروحاء ، ثم أتى داره غدوة ، وقد أتى حمامه ، فأخبر مولى له بما كان من أمانه وبما أريد به ، فقال له مولاه : وأي حدث أعظم مما صنعت إلا إنك تركت رحلك وأهلك^(١) وأقبلت إلى ها هنا ، ارجع إلى رحلك ، لا تجعلن^(٢) للرجل عليك سبيلا . فرجع إلى منزله ، وأتى المختار بانطلاقه ، فقال : كلاً إن في عنقه سلسلة سردة ، لو جهد أن ينطلق ما استطاع . قال : وأصبح المختار فبعث إليه أبا عمرة ، وأمره أن يأتيه به ، فجاءه حتى دخل عليه فقال : أجب الأمير ، فقام عمر : فعثر في جبته له ،^(٣) ويضربه أبو عمرة بسيفه^(٤) ، فقتله ، وجاء برأسه في أسفل قباثته حتى وضعه بين يدي المختار ، فقال المختار لابنه حفص بن عمر بن سعد وهو جالس عنده : أتعرف هذا الرأس ؟ فاسترجع وقال : نعم ، ولا خير في العيش بعده ، قال له المختار : صدقت ، فإنك لا تعيش بعده ، فأمر به فقتل ، وإذا رأسه مع رأس أبيه . ثم إن المختار قال : هذا بحسنيين وهذا بعلي بن حسين^(٤) ، ولا سواهما ، والله لو قتلت به ثلاثة أرباع قريش ما وقوا أنملة من أنامله ؛ فقالت حميدة بنت عمر بن سعد تسبكي أباها :

لو كان غير أخي قيسى غرة أو غير ذي يمن وغير الأعجم
سعى بنفسى ذاك شيئاً فاعلموا عنه وما البطريق مثل الألام
أعطى ابن سعد في الصحيفة وابنه عهداً يلين له جناح الأرقم

(١) ف : « أهلك ورحلك » .

(٢) ف : « لا تجعل » .

(٣) ف : « الحسين » .

(٤) ف : « وبصر به أبو عمرة فضر به » .

فلما قتل المختارُ عمرَ بن سعد وابنه بعث برأسيهما مع مسافر بن سعيد ابن نمران الناعطي وطبّيان بن عمارة التميمي، حتى قَدِمَ مَنا بهما على محمد ابن الحنفية، وكتب إلى ابن الحنفية في ذلك بكتاب .

قال أبو مخنف : وحدثني موسى بن عامر ، قال : إنَّما كان هيبج المختار على قتل عمرَ بن سعد أن يزيدَ بن شراحيلَ الأنصاريّ أتى محمدَ بن الحنفية ، فسَلَّم عليه ؛ فجري الحديثُ إلى أن تذاكروا المختارَ ونحو وجهه وما يدعو إليه من الطلب بدماء أهل البيت، فقال محمدُ بنُ الحنفية: على أهون رسله يزعم أنه لنا شيعة ، وقتلنا الحسين جلساؤه على الكراسي يحدّثونه! قال : فوعاها الآخر منه ، فلما قدم الكوفة أتاه فسَلَّم عليه ، فسأله المختار : هل لقيت المهديّ؟ فقال له : نعم ، فقال : ما قال لك وماذا كرك؟ قال : فخبّره الخبر . قال : فما لبث المختارُ عمرَ بن سعد وابنه أن قتلتهما ، ثم بعث برأسيهما^(١) إلى ابن الحنفية مع الرسولين اللذين سمينا ، وكتب معهما إلى ابن الحنفية : ٦٧٥/٢

بسم الله الرحمن الرحيم . للمهدي محمد بن عليّ من المختار بن أبي عبيد . سلام عليك بأيتها المهديّ، فإنّي أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو ، أمّا بعد : فإنّ الله بعثني نعمةً على أعدائكم ، فهم بين قتل وأسير ، وطريد وشريد، فالحمد لله الذي قتل قاتلكم^(٢)، ونصر مؤازريك^(٣). وقد بعثتُ إليك برأس عمرَ بن سعد وابنه ، وقد قتلنا من شرّك في دم الحسين وأهل بيته—رحمةُ الله عليهم—كلّ من قدّرنا عليه، ولن يُعجز الله من بقي، ولست بمسئوم^(٤) عنهم حتى لا يبلغني أنّ على أديم الأرض منهم أرمياً^(٥). فاكتب إلى أيها المهديّ برأيك أتبعه وأكون عليه ، والسلام عليك أيها المهديّ ورحمة الله وبركاته .

ثمّ إنّ المختار بعث عبد الله بن كامل إلى حكيم بن طهميل الطائيّ السنبيسيّ — وقد كان أصاب صلب العباس بن عليّ ، ورمتي

(١) كذا في ف وفي ط: «بروسهما». (٢) ف: «قاتلكم». (٣) ف: «مؤازركم».

(٤) ف: «بمئوم». (٥) لإربيا، أي أحدًا، يقال: ما بالدار إربيا، أي أحد.

حسيناً بسهمهم ، فكان يقول : تعلق سهمي بسيرباليه وما ضره - فأتاه عبدُ الله ابنُ كامل ، فأخذهُ ثم أقبل به ، وذهب أهلُهُ فاستغاثوا^(١) بعدي بن حاتم ، فلاحقهم في الطريق ، فكلّم عبد الله بن كامل فيه ، فقال : ما إلى^(٢) من أمره شيء ، إنّما ذلك^(٣) إلى الأمير المختار . قال : فإني آتية ؛ قال : فأتته راشداً . فضى عدى نحو المختار ، وكان المختار قد شفّعه في نفر من قومه أصابهم يومَ جبّانة السبيح ، لم يكونوا نطقوا بشيء من أمر الحسين ولا أهل بيته ، فقالت الشيعة لابن كامل : إنّنا نخاف أن يشفع الأمير عدى بن حاتم^{٦٧٦/٢} في هذا الحبيث ، وله من الذنب ما قد علمت^(٤) ، فدعنا نقتله . قال : شأنكم به ، فلما انتهوا به إلى دار العنزريين وهو مكتوف نصّبوه غرَضاً ، ثم قالوا له : سلبت ابن عليّ ثيابه ، والله لنسلبن ثيابك وأنت حتى تنظر ! فنزعوا ثيابه ، ثم قالوا له : رميت حسيناً ، واتخذته غرَضاً لنهلك ، وقلت : تعلق سهمي بسيرباليه ولم يضره ، وإمّ الله ل نرمينك كما رميته بنبال ما تعلق بك منها أجزاك . قال : فرمّوه رشقاً واحداً ، فوعدت به منهم نبال كثيرة فخر ميتاً .

قال أبو مخنف : فحدثني أبو الجارود^(٥) ، عمّن رآه قتيلاً كأنه قُنْفُذٌ لِمَا فيه من كثرة النبل : ودخل عدى بن حاتم على المختار فأجلسه معه على مجلسه ، فأخبره عدى عمّاً جاء له ، فقال له المختار : أتستحلّ يا أبا طريف أن تطلب في قتيلة الحسين ! قال : إنه مكذوب عليه أصلحك الله ! قال^(٦) : إذّا ندّعه لك قال : فلم يكن بأسرع من أن دخل ابن كامل فقال له المختار : ما فعّل الرجل ؟ قال : قتلته الشيعة : قال : وما أعجبتك إلى قتله قبل أن تأتيه به وهو لا يصره أنه لم يقتله - وهذا عدى قد جاء فيه ، وهو أهل أن يشفع ويؤتي ما سره^(٧) ! قال : غلبتني والله الشيعة ، قال له عدى : كذبت يا عدو الله ، ولكن ظننت أن من هو خير منك سيسفّحنى فيه ، فبادرتني

(١) ف : « فاستغاثوا » .

(٢) ف : « مالي » .

(٣) ف : « ذلك » .

(٤) ف : « علمته » .

(٥) هو زياد بن زياد ، الذي تسمى باسمه فرقة الجارودية .

(٦) ف : « فقال » .

(٧) ف : « يصره » .

فقتلته ، ولم يكن خطر يدفعك عمّا صنعت . قال : فاستحسنفر^(١) إليه ابن
 ٦٧٧/٢ كامل بالشتيمة ، فوضع المختار إصبعه على فيه ، يأمر ابن كامل بالسكوت
 والكف عن عدى ، فقام عدى راضياً عن المختار ساخطاً على ابن كامل ،
 يشكوه عند من لقي من قومه . وبعث المختار إلى قاتل علي بن الحسين عبد الله
 ابن كامل ، وهو رجل من عبد القيس يقال له مرة بن مستنذ بن النعمان العبدي
 وكان شجاعاً ، فأناه ابن كامل فأحاط بداره ، فخرج إليهم وببيده^(٢)
 الرمح ، وهو على فرس جواد ، فطعن عبید الله بن ناجية الشبامى ، فصرّعه
 ولم يضره . قال : ويضربه ابن كامل بالسيف فيتقيه بيده اليسرى ، فأسرع^(٣)
 فيها السيف ، وتمطرت به الفرس^(٤) ، فأقلت ولحق بمصعب ، وشلت يده بعد
 ذلك . قال : وبعث المختار أيضاً عبد الله الشاكرى إلى رجل من جنسب
 يقال له زيد بن رقاد ، كان يقول : لقد رميت فتى منهم بسهم وإنه لواضيع
 كفه على جبهته يتسقى النبل فأثبت كفه في جبهته ، فما استطاع أن يزيل
 كفه عن جبهته .

قال أبو مخنف : فحدثني أبو عبد الأعلى الزبيدي أن ذلك الفتى عبد الله
 ابن مسلم بن عقيل ، وأنه قال حيث أثبت كفه في جبهته : اللهم إنهم
 استقلونا واستذلونا ، اللهم فاقتلهم كما قتلونا ، وأذلهم كما استذلونا . ثم
 إنه رى الغلام بسهم آخر فقتله ، فكان يقول : جثته ميتة فنزعت
 سهمى الذي قتلته به من جوفه ، فلم أزل أنفض السهم^(٥) من جبهته
 حتى نزعته ، وبقي النصل في جبهته مثبتاً ما قدرت على نزعها .

٦٧٨/٢ قال : فلما أتى ابن كامل داره أحاط بها ، واقتحم الرجال عليه ، فخرج
 مصلاً بسيفه^(٦) — وكان شجاعاً — فقال ابن كامل : لا تضربوه بسيف ،
 ولا تطعنوه برمح ، ولكن ارموه بالنبل ، وارجموه^(٧) بالحجارة ، ففعلوا ذلك به ،
 فسقط ، فقال ابن كامل : إن كان به رمق فأخرجه^(٨) ؛ فأخرجه وبه

(١) في اللسان : يقال : استحسنفر الرجل في خطبته ، إذا مضى واتسع في كلامه .

(٢) ف : « بيده » .

(٣) ف : « فيسرع » .

(٤) ف : « فرسه » .

(٥) نفض السهم ؛ إذا حركه .

(٦) ف : « بالسيف » . (٧) ف : « وارجموه » . (٨) ف : « فأخرجه بالنار » .

رَمَقَ ، فدعا بنار فحرّقه بها وهو حيّ لم تخرج رُوحُه ، وطلب المختار سنان ابن أنس اللّدي كان يدعى قَتَل الحُسين ، فَوَجده قد هَرَب إلى البَصرة ، فهَدَم داره . وطلب المختارُ عبدَ الله بن عَقْبَةَ الغَسَوِيّ فوجده قد هَرَب ، ولحق بالجزيرة ، فهدم داره ، وكان ذلك الغَسَوِيّ قد قتل منهم غلاماً ، وقتل رجلاً آخرُ من بني أسد يقال له حرّملة بن كاهل رجلا من آل الحسين ، ففيهما يقول ابن أبي عَقَبِ اللَّيْثِيّ :

وَعِنْدَ غَنِيٍّ قَطْرَةٌ مِنْ دِمَائِنَا وَفِي أَسَدٍ أُخْرَى تُعَدُّ وَتُذَكَّرُ

وطلب رجلا من خَشَعَمَ يقال له عبد الله بن عروة الخثعمي - كان يقول : رميت فيهم باثنَيْ عشر سهماً ضَبَعَةً - ففاته ولسحق بمصعب ، فهَدَم داره ، وطلب رجلا من صُدَاء يقال له عَمْرُو بن صَبِيح ، وكان يقول : لقد طعنتُ بعضهم وجرحتُ فيهم ^(١) وما قتلت منهم أحداً ، فأَتَيْ ليلاً وهو على سَطْحِه وهو لا يشعر بعد ما هدأت العيون ، وسيفُه تحت رأسه ، فأخذوه ٦٧٩/٢ أخذاً ، وأخذوا سيفه ، فقال : قبحك الله سيفاً ، ما أقربك وأبعدك ! فجىء به إلى المختار ، فحبسه معه في القصر ، فلماً أن أصبح أذن لأصحابه ، وقيل : ليدخل من شاء أن يدخل ، ودخل الناس ، وجرى به مقيداً ، فقال : أما والله يا معشر الكفرة الفجرة أن لو بيدي سيني لعلتم أني بنصل السيف غير رَعِش ولا رَعْد ، ما يسرتني إذ ^(٢) كانت منيتي قَتلاً أَنَّهُ قتلني من الخلق أحد ^(٣) غيركم . لقد علمتُ أنكم شرار خلق الله ، غير أني وددتُ أن بيدي سيفاً أضرب به فيكم ساعة ، ثم رفع يده فلطم عين ابن كامل وهو إلى جنبه ، فضحك ابن كامل ، ثم أخذ بيده وأمسكها ، ثم قال : إنّه يزعم أَنَّهُ قد جرح في آل محمد وطعن ، فَمَرُّنا بأمرك فيه ، فقال المختار : على بالرماح ، فأَتَيْ بها ، فقال : اطعنوه حتى يموت ، فطعن بالرماح حتى مات .

قال أبو مخنف : حدثني هشام بن عبد الرحمن وابنه الحكم بن هشام

(١) ف : « لقد طعنت فيهم وجرحت » .

(٢) ف : « إن » .

(٣) ف : « أحد من الناس » .

أن أصحاب المختار مروا بدار بنى أبي زُرعة بن مسعود ، فرمّوهم من فوقها ، فأقبلوا حتّى دخلوا الدارَ ، فقتلوا الهبياط بن عثمان بن أبي زُرعة الثقفيّ وعبد الرحمن بن عثمان بن أبي زُرعة الثَّقَفِيّ ، وأفلستهم عبدُ الملك بن أبي زُرعة بضربة في رأسه ، فجاء يشتدّ حتّى دخل على المختار، فأمر امرأته أمّ ثابت ابنة سميرة بن جندب ، فداوت شجّته ، ثمّ دعاه ، فقال : لا ذنب لي ، ٦٨٠/٢
إنّكم رميتُم^(١) القوم فأغضبتموهم^(٢) . وكان محمّد بن الأشعث بن قيس في قرية الأشعث إلى جنب القادسيّة ، فبعث المختار إليه حوْشَبًا سادِنَ الكرسيّ في مائة ، فقال : انطلق إليه فإنّك تجده لاهيئًا متصيّدًا ، أو قائمًا متلبّدًا ، أو خائفًا متلددًا ، أو كامنًا متغمّدًا ، فإن قدرت عليه فأتني برأسه . فخرج حتّى أتى قصره فأحاط به ، وخرج منه محمّد بن الأشعث فالحق بمصعب ، وأقاموا على القصر وهم يرون أنّه فيه ، ثمّ دخلوا فعلموا أنّه قد فاتهم ، فانصرفوا إلى المختار ، فبعث إلى داره فهدمها ، وبنى بلبسها وطينها دارَ حُجْر بن عدى الكِنْدِيّ ، وكان زيادُ بن سُمَيّة قد هدّمها .

* * *

[ذكر الخبر عن البيعة للمختار بالبصرة]

قال أبو جعفر : وفي هذه السنة دَعَا المثنى بن مخزبة العبديّ إلى البيعة للمختار بالبصرة أهلها ؛ فحدثني أحمد بن زهير ، عن عليّ بن محمّد ، عن عبد الله بن عطية اللّبيّ وعامر بن الأسود ، أنّ المثنى بن مخزبة العبديّ كان ميمّن شهد عينَ الوردة مع سليمان بن صرد ، ثمّ رجع مع من رجع ميمّن بى من التّوّابين إلى الكوفة ، والمختار محبوس ، فأقام حتّى خرج المختار من السجن ، فبايعه المثنى سرًّا ، وقال له المختار : الحقّ ببسلكك بالبصرة فارّع الناسَ ، وأسِرْ أمرَك ؛ فقدم البصرة فدعا ، فأجابه رجالٌ من قومه وغيرهم فلمّا أخرج المختارُ ابنَ مطيع من الكوفة وسَمِعَ عمرَ بنَ عبد الرحمن بن الحارث ابن هشام من الكوفة خرج المثنى بن مخزبة فاتّخذ مسجدًا ، واجتمع^(٣) إليه ٦٨١/٢

(١) ف : « أربتم » .

(٢) ف : « وأغضبتموهم » .

(٣) ف : « فاجتمع » .

قومه ، ودعا إلى المختار ، ثم أتى مدينة الرزق فعسكر عندها ، وجمعوا الطعام في المدينة ، ونَحَرُوا الجُزُرَ ، فوجه إليهم القُبَاعُ عبَّادَ بن حصين وهو على شُرطته ، وقيس بن الهيثم في الشَّرَطِ والمقاتلة ، فأخذوا في سَكَّةِ الموالى حتى خرجوا إلى السَّبْحَةِ ، فوقفوا ، ولزِمَ الناسُ دُورَهُمْ ، فلم يخرج أحد ، فجعل عبَّادُ ينظر هل يرى أحداً يسأله ! فلم ير أحداً ؛ فقال : أما ها هنا رجلٌ من بني تميم ؟ فقال خليفة الأعور مولى بنى عدى ، عدى الرِّبَابِ : هذه دار وِرَّادِ مولى بنى عبد شمس ؛ قال : دُقِّ الباب ، فدقَّه ، فخرج إليه وِرَّادُ ، فشتمه عبَّادُ وقال : وَيَسْحَكُ ! أنا وآفُ ها هنا ، لِمَ لَمْ تخرج إلى ! قال : لم أدر ما يوافقك ، قال : شُدَّ عليك سلاحك واركب ، ففعل ، ووقفوا ، وأقبل أصحابُ المثنى فواقفهم ، فقال عبَّادُ لورَّادِ : قف مكانك مع قيس ، فوقف قيس بن الهيثم وورَّادُ ، ورجع عبَّادُ فأخذ في طريق الذَّبَّاحِينَ ، والنَّاسِ وقوفٌ في السَّبْحَةِ ، حتى أتى الكَلَأَ ، وللمدينة الرزق أربعة أبواب : باب مِمَّا يلى البصرة ، وباب إلى الخلالين ، وباب إلى المسجد ، وباب إلى مهبَّ الشمال ؛ فأتى الباب اللَّذِي يلى النهر مِمَّا يلى أصحاب السَّقَطِ ، وهو بابٌ صغير ، فوقف ودعا بسَلَمٍ فوضعه مع حائط المدينة ، فصعد ثلاثون رجلاً ، وقال لهم : الزموا السطح ، فإذا سمعتم التكبيرَ فكبِّروا على السطوح ، ورجع عبَّادُ إلى قيس بن الهيثم وقال لورَّادِ : حَرَّشِ القومَ ؛ فطارَدَهم وِرَّادُ ، ثم التبس القتال فقتل أربعون رجلاً من أصحاب المثنى ، وقتل رجل من أصحاب عبَّادِ ، وسمع اللَّذِينَ على السطوح^(١) في دار الرزق الضجَّةَ والتكبير ، ٦٨٢/٢ فكبِّروا ، فهرب مَن كان في المدينة ، وسمع المثنى وأصحابه التكبير من ورائهم ، فانهزموا ، وأمر عبَّادُ وقيس بن الهيثم^(٢) الناسَ بالكفِّ عن اتباعهم^(٣) وأخذوا مدينة الرزق وما كان فيها ، وأتى المثنى وأصحابه عبد القيس ورجع عبَّادُ وقيس ومن معهما إلى القُبَاعِ فوجههما إلى عبد القيس ، فأخذ قيس بن الهيثم من ناحية الجسر ، وأتاهم عبَّادُ من طريق المِرْبِدِ ، فالتقوا فأقبل زياد بن عَمْرُو العَتَكِيُّ إلى القُبَاعِ وهو في المسجد جالس على المنبر ،

(٢ - ٢) ف : « بالكف عن الناس وعن » .

(١) ف : « السطح » .

فدخل زياد المسجد على فرسه؛ فقال: أيُّها الرجل، لتردنّ خيلك عن إخواننا أو لنقاتلنّها^(١). فأرسل القُباع الأحنف بن قيس وعمر بن عبد الرحمن المخزومي ليُصلحا أمرَ الناس، فأتيتا عبد القيس، فقال الأحنف لبكر والأزد وللعمامة: ألسم على بيعة ابن الزبير! قالوا: بلى، ولكننا لا نُسلم إخواننا. قال: فمروهم فليخرجوا إلى أيّ بلاد أحبّوا، ولا يفسدوا هذا الميصرَ على أهله، وهم آمنون فليخرجوا حيث شاءوا. ففشي مالك بن مسمع وزِيادُ بن عمرو ووجوهُ أصحابهم إلى المثنى، فقالوا له ولأصحابه: إننا والله ما نحن على رأيكم، ولكننا كرهنا أن تُضاموا^(٢)، فالحقوا بصاحبكم، فإنّ من أجابكم إلى رأيكم قليل، وأنتم آمنون. فقَسِبَ المثنى قولتهما وما أشارا به، وانصرف. ورجع الأحنف وقال: ما غيّبت رأى إلا يومى هذا، إني أتيت هؤلاء القوم وخلقت بكرًا والأزد ورأى، ورجع عبّاد وقيس إلى القُباع، وشخص المثنى إلى المختار بالكوفة في نفرٍ يسير من أصحابه. وأصيب في تلك الحرب سُويد بن رثاب الشنّى، وعقبة بن عشيرة الشنّى، قَتَلته رجل من بني تميم وقتل التميميّ فولغ أخو عقبة بن عشيرة في دم التميميّ، وقال: ثأرى. وأخبر المثنى المختار حين قَدِم عليه بما كان من أمر مالك بن مسمع وزِياد بن عمرو ومسيرهما إليه، وذبتهما عنه حتّى شخص عن البصرة، فطَمَع المختار فيهما، فكتب إليهما: أمّا بعد، فاسمعا وأطيعا أوتكما^(٣) من الدنيا ما شئتما، وأضمن لكما الجنة. فقال: مالك لزياد: يا أبا المغيرة، قد أكثر لنا أبو إسحاق إعطاءنا الدنيا والآخرة! فقال زياد للمالك مازحًا: يا أبا غسان، أمّا أنا فلا أقاتل نسيئةً، من أعطانا الدرهم قاتلنا معه. وكتب المختار إلى الأحنف بن قيس:

٦٨٣/٢

من المختار إلى الأحنف ومن قبيله، فسَلِّم أنتم، أمّا بعد، فويلٌ أمّ ربيعة من مضّر، فإنّ الأحنف مُورد قومه سقّر، حيث لا يستطيع لهم الصّدْر، وإني^(٤) لا أملك ما حُطّ في القَدْر، وقد بلغنى أنكم تسمونى^(٥) كذا أبًا،

٦٨٤/٢

- (١) ف: وابن الأثير «لنقاتلنهم» .
 • (٢) ف: «ولكما» .
 • (٣) ف: «ولكما» .
 • (٤) ف: «وأنا» .
 • (٥) ف: «تسمونى» .

وقد كُذِّبَ الأنبياءُ مِنْ قَبْلِي ، ولستُ بخيرٍ من كثيرٍ منهم .
وكتب إلى الأحنف :

إذا اشتريتَ فرساً من مالِكا ثم أخذتَ الجَوْبَ في شِمالِكا
* فاجعلْ مِصاعاً حذماً من بالِكا *

حدثني أبو السائب سَلَمٌ بن جُنادة ، قال : حدثنا الحسن بن حمّاد ،
عن حبان^(١) بن عليّ ، عن المجالد ، عن الشعبيّ ، قال : دخلتُ البصرةَ
فقعدتُ إلى حَلْقة فيها الأحنف بن قيس ، فقال لي بعضُ القوم : مَنْ
أنتَ ؟ قلت : رجلٌ من أهل الكوفة ، قال : أنتم موال لنا ؛ قلت : وكيف ؟
قال : قد أنقذناكم من أيدي عبيدكم من أصحاب المختار ، قلتُ : تدري
ما قال شيخُ هَمْدان فينا وفيكم ؟ فقال الأحنف بن قيس : وما قال ؟
قلت : قال :

أَفْخَرْتُمْ أَنْ قَتَلْتُمْ أَعْبُدًا	وهزمتُ مَرَّةً آلَ عَزَلٍ
وإِذَا فَاخَرْتُمُونَا فَاذْكُرُوا	ما فعلنا بكم يومَ الجَمَلِ
بَيْنَ شَيْخِ خَاصِبِ عَشُونُهُ	وفتَى أبيضَ وضاحَ رِفَلٍ
جاءنا يَهْدِجُ في سَابِغَةٍ	فَدَبَحْنَاهُ ضُحَى ذَبْحِ الحَمَلِ
وعفونا فَنَسِيتُمْ عَفُونَا	وكفرتُم نِعْمَةَ اللَّهِ الأَجَلِ
وقتلتمُ خَشِيبِينَ بهم	بدلاً من قومِكُم شرّاً بَدَلِ

فغضب الأحنف ، فقال^(٢) : يا غلام ، هات تلك الصحيفة ، فأتيتُ ٦٨٥/٢
بصحيفة فيها :

بسم الله الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . من المختار بن أبي عبيد إلى الأحنف بن قيس ،
أمّا بعد ، فويلُ أم ربيعةَ ومضَرَ^(٣) ، فإنَّ الأحنف مُوردُ قومِهِ سَقَطَر ،
حيثُ لا يتقدرون على الصِّدَر ، وقد بلغني أنَّكم تُكذِّبونني ، وإن كُذِّبْتُ

(١) ط : « حيان » تصحيف . (٢) ف : « وقال » . (٣) ف : « من مضر » .

فقد كُذِّبَ رَسُلٌ مِّن قَبْلِي ، وَلَسْتُ أَنَا خَيْرًا (١) مِنْهُمْ . فَقَالَ : هَذَا مِنَّا
أَوْ مِنْكُمْ !

وقال هشام بن محمد عن أبي مخنف ، قال : حدثني مسيب بن العلاء
السعدي أن مسكين بن عامر بن أنسيف بن شريح بن عمرو بن عدس كان
فيمن قاتل المختار ، فلما هزم الناس لحق بأذربيجان بمحمد بن عمير بن
عطار ، وقال :

عَجِبْتُ دَخْتُنُوسَ لَمَّا رَأَيْتُنِي قَدْ عَلَانِي مِنَ الْمَشِيبِ خِمَارُ
فَأَهْلَيْتُ بِصَوْتِهَا وَأَرَنْتُ لَا تَهَالِي قَدْ شَابَ مِنِّي الْعِدَارُ
إِنْ تَرَيْتَنِي قَدْ بَانَ غَرْبُ شِبَابِي وَأَتَى دُونَ مَوْلَى أَعْصَارُ
فَابْنُ عَامِينَ وَابْنُ خَمْسِينَ عَامًا أَيُّ دَهْرٍ إِلَّا لَهُ أَدَهَارُ
لَيْتَ سَيْفِي لَهَا وَجَوَيْتَهَا لِي يَوْمَ قَالَتْ أَلَا كَرِيمٌ يَغَارُ
لَيْتَنَّا قَبْلَ ذَلِكَ الْيَوْمِ مِتْنَا أَوْ فَعَلْنَا مَا تَفْعَلُ الْأَحْرَارُ
فَعَلَ قَوْمٌ تَقَاذِفَ الْخَيْرِ عَنْهُمْ لَمْ نُقَاتِلْ وَقَاتَلَ الْعَيْزَارُ
وَتَوَلَّيْتُ عَنْهُمْ وَأُصِيبُوا وَنَفَانِي عَنْهُمْ سَنَارُ وَعَارُ
لَهْفَ نَفْسِي عَلَى شَهَابِ قُرَيْشٍ يَوْمَ يُوتَى بِرَأْسِهِ الْمُخْتَارُ !
وقال المتوكل الليثي :

٦٨٦/٢

قَتَلُوا حُسَيْنًا ثُمَّ هَمَّ يَنْعَوِيهِ إِنَّ الزَّمَانَ بِأَهْلِهِ أَطْوَارُ
لَا تَبْعَدُنْ بِالطَّفِّ قَتْلِي ضُبِعْتُ وَسَقَى مَسَاكِينَ هَامِيهَا الْأَمَطَارُ
مَا شُرْطَةُ الدِّجَالِ نَحْتَ لَوَائِهِ بِأَضَلِّ مِمَّنْ غَرَّهُ الْمُخْتَارُ
أَبْنَى قَسَى أَوْثِقُوا دِجَالَكُمْ يَجْلُ الْعُبَارُ وَأَنْتُمْ أَحْرَارُ
لَوْ كَانَ عِلْمُ الْغَيْبِ عِنْدَ أَحْيَاكُمْ لَتَوَطَّأَتْ لَكُمْ بِهِ الْأَحْبَارُ
وَلَكَانَ أَمْرًا بَيْنًا فِيمَا مَضَى تَأْتِي بِهِ الْأَنْبَاءُ وَالْأَخْبَارُ

إِنِّي لَأَرْجُو أَنْ يُكَذِّبَ وَخِيَكُمُ طَعْنُ يَشْتُقُّ عَصَاكُمُ وَحِصَارُ
 وَيَجِيئُكُمْ قَوْمٌ كَأَنَّ سُبُوفَهُمْ بِأَكْفَهُمْ تَحْتَ الْعِجَاجَةِ نَارُ
 لَا يَنْتَنُونَ إِذَا هُمْ لَأَقْوَمُكُمْ إِلَّا وَهَامُ كُمَاتِكُمْ أَعْشَارُ

* * *

[ذكر الخبر عن بعث المختار جيشه للمكر بابن الزبير]

قال أبو جعفر : وفي هذه السنة بعث المختار جيشاً إلى المدينة للمكر بابن الزبير ، وهو مظهر له أنه وجههم معزونة له لحرب الجيش الذي كان عبد الملك بن مروان وجهه إليه لحروبه ، فنزلوا وادي القرى .

* ذكر الخبر عن السبب الداعي كان للمختار إلى توجيه ذلك الجيش وإلى ما صار أمرهم :

قال هشام بن محمد : قال أبو مخنف : حدثني موسى بن عامر ، قال :
 لما أخرج المختار ابن مطيع من الكوفة لثحق بالبصرة . وكره أن يقدم
 ابن الزبير بمكة وهو مهزوم مفلول ، فكان بالبصرة مقيماً حتى قدم عليه
 عمر بن عبد الرحمن بن هشام ، فصارا جميعاً بالبصرة . وكان سبب قدوم
 عمر بالبصرة أن المختار حين ظهر بالكوفة واستجمع له الأمر وهو عند الشيعة
 إنما يدعو إلى ابن الحنفية والطلب بدماء أهل البيت ، أخذ يخادع ابن
 الزبير ويكتب إليه ، فكتب إليه : أمّا بعد ، فقد عرفت مناصحتي إيتاك
 وجهدي على أهل عداوتك ، وما كنت أعطيتهن إذا أنا فعلت ذلك من نفسك
 فلماً وفيت لك ، وقضيت الذي كان لك علي ، خست بي ، ولم تنف بما
 عاهدتني عليه ، ورأيت مني ما قد رأيت ، فإن ترد مراجعتي أراجعتك ،
 وإن ترد مناصحتي أنصح لك . وهو يريد بذلك كفه عنه ، حتى يستجمع
 له الأمر (١) ، وهو لا يطلع الشيعة على شيء من هذا الأمر ، وإذا بلغهم
 شيء منه أراهم أنه أبعده الناس عن ذلك . قال : فأراد ابن الزبير أن يعلم
 أسلّم هو أم حرب ! فدعا عمر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام المخزومي

(١) ف : « أمره » .

فقال له: تجهّزْ إلى الكوفة فقد ولّينا كتبها^(١)، فقال: كيف وبها المختار! قال: إنّه يزعم أنّه سامع مطيع. قال: فتجهّزْ بما بين الثلاثين الألف درهم إلى الأربعين ألفاً^(٢)، ثمّ تخرج مقبلاً إلى الكوفة. قال: ويجيء عين المختار من مكّة حتّى أخبره^(٣) الخبر، فقال له: بكم تجهّز؟ قال: بما بين الثلاثين ألفاً إلى الأربعين ألفاً. قال: فدعا المختارُ زائدةَ بنَ قدامة- وقال^(٤) له: احمل معك سبعين ألفَ درهم ضعيفَ ما أنفقتَ هذا في مسيره إلينا وتلقاه في المسقورِ، وأخرج معك مسافر^(٥) بن سعيد بن نمران الناعطيّ في خمسمائة فارس دارع رامح، عليهم البيض، ثمّ قل له: خذ هذه النّفقة فإنّها ضعف نفقتك، فإنّه قد بلغنا أنّك تجهّزتَ وتكلّفتَ قدرَ ذلك، فكسرّ هنا أن تغرم، فخذها وانصرف، فإن فعل وإلا فأره الخيل وقل له: إن وراء هؤلاء مثلهم مائة كتيبة. قال: فأخذ زائدة المال، وأخرج معه الخيل، وتلقاه بالمسقور، وعرض عليه المال، وأمّره بالانصراف، فقال له: إن أمير المؤمنين قد ولّاني الكوفة ولا بدّ من إنفاذ أمره. فدعا زائدة بالخيل وقد أكنها في جانب، فلمّا رآها قد أقبلت قال: هذا الآن أعذرُ لي وأجملُ بي، هات المال، فقال له زائدة: أمّا إنّه لم يبعث به إليك إلا لما بينك وبينه، فدفعه إليه فأخذه، ثمّ مضى راجعاً نحوَ البصرة، فاجتمع بها هو وابن مطيع في إمارة الحارث بن عبد الله بن أبي ربيعة، وذلك قبل وثوب المنسي بن مخربة العبدى بالبصرة.

٦٨٨/٢

قال أبو مخنف: فحدثني إسماعيل بن نعيم أنّ المختار أخبر أنّ أهل الشام قد أقبلوا نحو العراق، فعرف أنه به يبسداً، فخشى أن يأتيه أهل الشام من قبل المغرب، ويأتيه مصعب بن الزبير من قبيل البصرة، فوادع ابن الزبير وداراه وكايد^(٦)، وكان عبد الملك بن مروان قد بعث عبد الملك ابن الحارث بن الحنكس بن أبي العاص إلى وادي القرى، والمختار لابن الزبير مكايد موادع، فكتب المختار إلى ابن الزبير:

٦٨٩/٢

- (١) ف: « وليتها ». (٢) ف: « ألف درهم » .
 (٣) ف: « أخبرته ». (٤) ف: « فقال » .
 (٥) ط: « مسافر ». (٦) ف: « وكاتبه » .

أما بعد ، فقد بلغني أن عبد الملك بن مروان قد بعث إليك جيشاً ، فإن أحببت أن أمدك بمدد أمددتك .

فكتب إليه عبد الله بن الزبير :

أما بعد ، فإن كنت على طاعتي فلست أكره أن تبعث الجيش إلى بلادى وتبايع إلى الناس قبلك ، فإذا أتتني ببعثك صدقت مقاتلتك ، وكففت جنودى عن بلادك ، وعجلت على بتسريح الجيش الذى أنت باعته ، ومُرهم فليسيروا إلى من بوادى القرى من جند ابن مروان فليقاتلوهم . والسلام .

فدعا المختار شُرْحَبِيلَ بن وَرْسَ من هَمْدَانَ ، فسرحه فى ثلاثة آلاف أكثرهم الموالى ، لبس فيهم من العرب إلا سبعمائة رجل ، فقال له : سر حتى تدخل المدينة ، فإذا دخلتها فاكتب إلى بذلك حتى يأتيك أمرى ، وهو يريد إذا دخلوا المدينة أن يبعث عليهم أميراً من قبله ، ويأمر ابن ورس أن يمشى إلى مكة حتى يحاصر ابن الزبير ويقاتله بمكة ، فخرج الآخر يسير قبيل المدينة ، وخشى ابن الزبير أن يكون المختار إنما يكبده ؛ فبعث من مكة إلى المدينة عباس بن سهل بن سعد فى ألفين ، وأمره أن يستنفر الأعراب ، وقال له ابن الزبير : إن رأيت القوم فى طاعتي فاقبل منهم ، وإلا فكأيدهم حتى تهلكهم . ففعلوا ، وأقبل عباس بن سهل حتى لى ابن ورس بالرقيم ، وقد عبى ابن ورس أصحابه ، فجعل على يمينته سلمان ابن حمير الثورى من همدان ، وعلى يسارته عياش بن جعدة الجدى ، وكانت خيلها كلها فى اليمين والميسرة . فدنا فسلم عليه ، ونزل هو يمشى فى الرجال ، وجاء عباس فى أصحابه وهم ينقطعون على غير تعبئة ، فيجد ابن ورس على الماء قد عبى أصحابه تعبئة القتال ، فدنا منهم فسلم عليهم ، ثم قال : اخل معى ها هنا ، فخلا به ، فقال له : رحمك الله ! ألسنت فى طاعة ابن الزبير ! فقال له ابن ورس : بلى ، قال : فسروا بنا إلى عدوه هذا الذى بوادى القرى ، فإن ابن الزبير حدثنى أنه إن شاء شخصكم صاحبكم إليهم ، قال ابن ورس : ما أمرت بطاعتك ، إنما أمرت أن أسير حتى آتى المدينة ، فإذا نزلتها رأيت رأيى . قال له عباس بن سهل : فإن كنت فى طاعة ابن الزبير فقد

أمرني أن أسيرَ بك وبأصحابك إلى عدوِّنا الذين^(١) بوادي القرى ، فقال له ابن ورس : ما أمرتُ بطاعتك ، وما أنا بمتبعلك دون أن أدخل المدينة ، ثمَّ أكتب إلى صاحبي فيأمرني بأمره . فلمَّا رأى عباس بن سهل لسجاجسته عرف خلافته ، فكَّره^(٢) أن يُعلمه أنه قد فطن له ، فقال : فرأيتك أفضل ، اعْمَلْ بما بدا لك ؛ فأما أنا فإني سائر إلى وادي القرى . ثمَّ جاء عباس بن سهل فنزل بالماء ، وبعث إلى ابن ورس بجزائر كانت معه ، فأهداها له ، وبعث إليه بدقيق وغم مسلَّخة — وكان ابن ورس وأصحابه قد هلكوا جوعاً — فبعث عباس بن سهل إلى كلِّ عشرة منهم شاة^(٣) ، فذبحوها ، واشتغلوا بها ، واختلطوا على الماء ، وترك القومُ تعبيتهم ، وأمين بعضهم بعضاً ؛ فلمَّا رأى عباس بن سهل ما هم فيه من الشغل جتمع من أصحابه نحواً من ألف رجل من ذوى البأس والشجدة^{٦٩١/٢} ثمَّ أقبل^(٤) نحو فسطاط سُرحبيل بن ورس ، فلمَّا رآهم ابن ورس مُتَّسبين إليه نادى في أصحابه ، فلم يتواف إليه مائة رجل حتى انتهى إليه عباس بن سهل وهو يقول : يا شرطَةَ الله ، إلىّ إلىّ ! قاتلوا المُحسِّلين ، أولياءَ الشيطان الرجيم . فإنَّكم على الحقِّ والهدى ؛ قد غَدَرُوا وفجروا .

قال أبو مخنف : فحدَّثني أبو يوسف أن عباساً انتهى إليهم ، وهو يقول :

أنا ابن سهل فارسٌ غيرٌ وكنلٌ أروغٌ مقدامٌ إذا الكيشُ نكلٌ
وأعتلى رأس الطرمَّاح البطلنُ بالسيف يومَ الروع حتى يُنخزلُ

قال : فوالله ما اقتتلنا إلا شيئاً ليس بشيء حتى قُتل ابن ورس في سبعين من أهل الحفاظ ، ورفَّع عباسُ بن سهل رايةَ أمان لأصحاب ابن ورس ، فاتَّوَّها إلا نحواً من ثلثمائة رجل انصرفوا مع سلمان بن حمير الهمدانيّ وعياش بن جعدة الجديّ ، فلمَّا وقعوا في يد عباس بن سهل أمر بهم فقتلوا إلا نحواً من مائتي رجل ، كره ناس من النَّاس ممن دُفِعُوا إليهم قتلتهم ، فخلَّو سبيلهم ، فرجعوا ، فمات أكثرهم في الطريق ، فلمَّا

(١) ف : « الذي » . (٢) ف : « كره » .

(٣) ف : « بشاة » . (٤) ف : « وأقبل » .

بلغ المختار أمرهم ، ورجع من رجع منهم ، قام خطيباً فقال : ألا إن
 الفُجَّارَ الأشرار ، قَتَلُوا الأبرار الأَخيار . ألا إِنَّه كان أمراً مَاتِيّاً ، وقضاءً
 مقضياً . وكتب المختار إلى ابن الحنفية مع صالح بن مسعود الخثعمي :

بسم الله الرحمن الرحيم . أمّا بعد ، فإنني كنت بعثتُ إليك جنداً لِيُذِلُّوا
 لك الأعداء ، وليحوزُوا لك البلاد ، فساروا إليك حتّى إذا أظلموا على طَيْبَةِ ، ٦٩٢/٢
 لقيهم جنودُ المُلْحِدِ ، فخذعوهم بالله ، وغروهم بعهد الله ، فلمّا
 اطمانُوا إليهم ، ووثِقوا بذلك منهم ، وثبوا عليهم فقتلُوهم ، فإن رأيتَ
 أن أبعثَ إلى أهل المدينة من قبلي جيشاً كثيفاً ، وتبعثَ إليهم من قبلك
 رُسُلاً ، حتّى يعلم أهلُ المدينة أني في طاعتك ، وأنما بعثت الجنودَ إليهم عن
 أمرك ، فافعل ، فإنك ستجد عظيمهم بحفّكم أعرف ، وبكم أهل البيت أرف
 منهم بأل الزبير الظلمة المُلْحِدِينَ ، والسلام عليك .

فكتب إليه ابن الحنفية : أمّا بعد ، فإن كتابك لمّا بلغني قرأته ،
 وفهمتُ تعظيمك لحقّي ، وما تنوى به من سرورى . وإن أحبّ الأمور
 كلّها إلى ما أطيع الله فيه ، فأطع الله ما استطعتَ فيما أعلنتَ وأسررتَ ،
 واعلم أني لو أردت لوجدتُ الناسَ إلى سراعاً ، والأعوانَ لي كثيراً ، ولكني
 اعتزيتُ لهم ، وأصبر حتّى يَحْكُمَ اللهُ لي وهو خير الحاكمين .

فأقبل صالح بن مسعود إلى ابن الحنفية فودّعه وسلّم عليه ، وأعطاه
 الكتاب وقال له : قل للمختار فليبتق الله ، وليكفُفْ عن الدماء ، قال :
 فقلت له : أصلحك الله ! أو لم تكتب بهذا إليه ! قال له ابن الحنفية :
 ٦٩٣/٢ قد أمرته بطاعة الله ، وطاعةُ الله تَجْمَعُ الخَيْرَ كلّهُ ، وتُنْهِي عن الشرِّ
 كلّهُ . فلمّا قَدِمَ كتابُهُ على المختار أظهر للناس أني قد أمرتُ بأمر يجمع
 البرَّ واليسر ، ويَصْرِحُ الكُفْرَ والغنْدُرَ .

* * *

[ذكر الخبر عن قُدوم الخشبية مكة وموافاتهم الحج]

قال أبو جعفر : وفي هذه السنة قدمت الخشبية مكة ، ووافوا الحج وأميرهم
 أبو عبد الله الجدلّي .

* ذكر الخبر عن سبب قدومهم مكة :

وكان السبب في ذلك - فيما ذكر هشام ، عن أبي مخنف وعلى بن محمد ،

عن مسلمة ابن محارب - أن عبد الله بن الزبير حبس محمد بن الحنفية ومن معه من أهل بيته وسبعة عشر رجلا من وجوه أهل الكوفة بزمنهم ، وكرهوا البسعة لمن لم تجتمع عليه الأمة ، وهربوا إلى الحريم ، وتوعددهم بالقتل والإحراق ، وأعطى الله عهداً إن لم يبايعوا أن يُنفذ فيهم ما توعددهم به ، وضرب لهم في ذلك أجلاً ، فأشار بعض من كان مع ابن الحنفية عليه أن يبعث إلى المختار وإلى من بالكوفة رسولا يعلمهم حالهم وحال من معهم ، وما توعددهم به ابن الزبير . فوجه ثلاثة نفر من أهل الكوفة حين نام الحرس على باب زمزم ، وكتب معهم إلى المختار وأهل الكوفة يعلمهم حاله وحاله من معه ، وما توعددهم به ابن الزبير من القتل والتحريق^(١) بالنار ، ويسألهم ألا يدخلوه كما دخلوا الحسين وأهل بيته . فقدموا على المختار ، فدفعوا إليه الكتاب^(٢) فنادى في الناس وقرأ عليهم الكتاب وقال : هذا كتاب^(٣) مهددكم وصريح أهل بيت نبيكم ، وقد تركوا محظوراً عليهم كما يحظر على الغنم ينتظرون القتل والتحريق بالنار في آناء الليل وتارات النهار ، ولست أبا إسحاق إن لم أنصرهم نصرًا مؤزرًا ، وإن لم أسرب إليهم الخيل في أثر الخيل ، كالسبيل يتلوه السيل ، حتى يحل بابن الكاهلية الويل .

٦٩٤/٢

وجه أبا عبد الله الجذلي في سبعين راكبًا من أهل القوة، ووجه ظبيان ابن عمارة^(٤) أخا بني تميم ومعه أربعمائة، وأبا المعتمر في مائة، وهاني بن قيس في مائة، وعمير بن طارق في أربعين، ويونس بن عمران في أربعين، وكتب إلى محمد بن علي مع الطنفسيل بن عامر ومحمد بن قيس بتوجيه الجنود إليه، فخرج الناس بعضهم في أثر بعض، وجاء أبو عبد الله حتى نزل ذات عرق في سبعين راكبًا، ثم لحقه عمير بن طارق في أربعين راكبًا، ويونس ابن عمران في أربعين راكبًا، فتموا خمسين ومائة، فسار بهم حتى دخلوا المسجد الحرام، ومعهم الكافركوبات، وهم ينادون : يا لثارات الحسين ! حتى انتهوا إلى زمزم، وقد أعد ابن الزبير الحطاب ليحرقهم، وكان قد

(١) ف : « الإحراق » .

(٢) ف : « فدفعوا الكتاب إليه » .

(٣) ف : « من مهددكم » .

(٤) ط : « عثمان » ، وهو ضلماً ، وانظر الفهرس .

بقي من الأجل يومان ، فطردوا الحترس ، وكسروا أعوادَ زمزم ، ودخلوا على ابن الحنفية ، فقالوا له : ختل بيننا وبين عدو الله ابن الزبير ، فقال لهم : إني لا أستحل القتال في حرم الله فقال ابن الزبير : أتتسبون أتي ختل سبيلهم دون أن يبايع ويباعوا^(١) ! فقال أبو عبد الله الجدي : إى ورب الركن والمقام ، ورب الحبل والحرام ، لتخلين سبيلته أو لنجالدتك بأسافنا جلاداً يرتاب منه المبطلون . فقال ابن الزبير : والله ما هؤلاء إلا أكلة رأس ، والله لو أذنت لأصحابي ما مضت ساعة حتى تقطف رؤوسهم ؛ فقال له قيس بن مالك : أما والله إني لأرجو إن رمت ذلك أن يوصل إليك قبل أن ترى فينا ما تحب . فكف ابن الحنفية أصحابه وحذرهم الفتنة ، ثم قدم أبو المعتمر في مائة ، وهانئ بن قيس في مائة ، وظبيان بن عمارة في مائتين ، ومعه المال حتى دخلوا المسجد ، فكبروا : يا لثارات الحسين ! فلما رآهم ابن الزبير خافهم ، فخرج محمد بن الحنفية ومن معه إلى شعب علي وهم يسبون ابن الزبير ، ويستأذنون ابن الحنفية فيه ، فيأبى عليهم ، فاجتمع مع محمد ابن علي في الشعب أربعة آلاف رجل ، فقسم بينهم ذلك المال .

* * *

[ذكر الخبر عن حصار بني تميم بخراسان]

قال أبو جعفر : وفي هذه السنة كان حصار عبد الله بن خازم من كان بخراسان من رجال بني تميم بسبب قتل من قتل منهم ابنه محمداً .

قال علي بن محمد : حدثنا الحسن بن رشيد الجوزجاني عن الطقيش ابن مرداس العمي ، قال : لما تفرقت بنو تميم بخراسان أيام ابن خازم ، أتى قصر فرتنما عدة من فرسانهم ما بين السبعين إلى الثمانين ؛ فولوا أمرهم عثمان بن بشر بن الحنفز المزي ، ومعه شعبة بن ظهير النهشلي ، وورد بن الفلق العسيري ، وزهير بن ذؤيب العدوي ، وجيهان بن مشجعة الضبي ، والحجاج بن ناشب العدوي ، ورقبة بن الحر في فرسان بني تميم . قال : فأتاهم ابن خازم ، فحصرهم وخندق خندقاً حصيناً . قال : وكانوا يخرجون إليه

(١) س : « وتبايعوا » .

فيقاتلونهُ ، ثمَّ يرجعون إلى القصر . قال : فخرج ابن خازم يوماً على تعبئة من خندقه في ستة آلاف ، وخرج أهلُ القصر إليه ، فقال لهم عثمان بن بشر بن المحتفز : انصرفوا اليومَ عن ابن خازم ، فلا أظنَّ لكم به طاقة ، فقال زهير بن ذؤيب العدوي : امرأته طالقُ إن رجع حتَّى ينقض صفوفهم - وإلى جنبهم نَهْرٌ يدخله الماء في الشتاء ، ولم يكن يومئذ فيه (١) ماء ، فاستبطنه زهير ، فسار فيه ، فلم (٢) يشعر به أصحابُ ابن خازم حتَّى حمل عليهم ، فحطَّم أوَّلهم على آخرهم ، واستداروا (٣) وكرَّ راجعاً ، واتَّبعوه على جنبتي النَّهر يصيحون به : (٤) لا ينزل إليه أحدٌ ، حتَّى انتهى إلى الموضع اللّذي انحدر فيه ، فخرج فحمل عليهم ، فأفرَّجوا له حتَّى رجع ؛ قال : فقال ابنُ خازم لأصحابه : إذا طاعنتم زهيراً فاجعلوا في رماحكم كلاليب فأعلقوها (٥) في أداته إن قدَّرم عليه ، فخرج إليهم يوماً وفي (٦) رماحهم كلاليب (٧) قد هيَّئوها له ، فطاعنوه ، فأعلقوا (٧) في درعه أربعة أرماح ، فالتفت إليهم ليحمل عليهم ، فاضطربت أيديهم ، فخلَّوا رماحهم ، فجاء يجرُّ أربعة أرماح حتَّى دخل القصر ؛ قال : فأرسل ابن خازم غزوان بن جرزء العدوي إلى زهير فقال : قل له : أرايتك إن آمنتك وأعطيتك مائة ألف ، وجعلت لك باسار (٨) طعمة تناصحني ؛ فقال زهير لغزوان : ويحك ! كيف أناصح قوماً قتلوا الأشعث ابن ذؤيب ! فأسقط بها غزوان عند موسى بن عبد الله بن خازم .

قال : فلمَّا طال عليهم الحصار أرسلوا إلى ابن خازم أن خسلنا نخرج فنتفرق ، فقال : لا إلَّا أن تنزلوا على حُكْمِي ؛ قالوا : فإننا نزل على حُكْمِكَ ، فقال لهم زهير : ثكلتكم أمهاتكم ! والله ليقتلنكم عن آخركم ، فإن طبتم بالموت أنفساً (٩) فوتوا كراماً ، اخرجوا بنا جميعاً فإنما أن تموتوا جميعاً وإمَّا أن ينجو بعضهم ويهلك بعضهم ، وإيم الله لئن شدتتم عليهم

(١) ف : « فيه يومئذ ماء » . (٢) ف : « ولم » .

(٣) ف : « واستدار » . (٤-٤) ف : « ولا يجسر أحد منهم أن ينزل فيه » .

(٥) ف : « الكلاليب ثم أعلقوها » . (٦) - ف : « في » .

(٧-٧) ف : « فأعلقوها في أداته لما هيَّئوها له ، وطاعنوه ساعة وأعلقوا » .

(٨) ظ : « باسار » .

(٩) ف : « وابن الأثير : « نفساً » .

شدة صادقة ليُفْرِجُنَ لَكُمْ عن مثل طريق الميريد، فإن شتمت كنت أما منكم، ٦٩٨/٢
 وإن شتمت كنت خلفكم. قال: فأبوا عليه، فقال: أما إني سأريكم، ثم
 خرج هو ورقبة بن الحرّ ومع رقبة غلام له تركي وشعبة بن ظهير. قال:
 فَسَحَمَلُوا عَلَى الْقَوْمِ حَمَلَةً مَنكَرَةً، فَأَفْرَجُوا لَهُمْ، فَسَمَضُوا؛ فَأَمَّا زهير فرجع
 إلى أصحابه حتى دخل القصر فقال لأصحابه: قد رأيتم فأطيعوني، ومضى
 رقبة وغلامه وشعبة، قالوا: إن فينا من يضعف^(١) عن هذا ويطمع^(٢) في الحياة،
 قال^(٣): أبعدهم الله! أتدخلون عن أصحابكم! والله لا أكون أجزعكم عند
 الموت. قال: ففتحوا القصر ونزلوا، فأرسل فقيدهم، ثم حملوا إليه رجلاً رجلاً،
 فأراد أن يمن عليهم، فأبى ابنه موسى، وقال: والله لئن عفوت عنهم لأتكنن
 على سيني حتى يخرج من ظهري؛ فقال له عبد الله: أما والله إني لأعلم أن
 الغي فيما تأمرني به، ثم قتلهم جميعاً إلا ثلاثة؛ قال: أحدهم الحججاج بن
 ناشب العدوي - وكان ربي ابن خازم وهو محاصرهم فكسر ضرسته، فحلف
 لئن ظفر به ليقطنه أو ليقطن يده، وكان حداثاً، فكلمه فيه رجال من بني
 تميم كانوا معتزلين؛ من عمرو بن حنظلة، فقال رجل منهم: ابن عمي وهو غلام
 حدث جاهل؛ هب لي، قال: فوهبه له، وقال: النجاء! لا أريبتك.
 قال: وجيهان بن مشجعة الضبي الذي ألقى نفسه على ابنه محمد يوم قتيل،
 فقال ابن خازم: خلوا عن هذا البسغل الدارج، ورجل من بني سعد، وهو
 الذي قال يوم لسيحوا ابن خازم: انصرفوا عن فارس مضر. قال:
 وجاءوا بزهير بن ذؤيب فأرادوا حملته وهو مقيّد، فأبى وأقبل يحجبل
 حتى جلس بين يديه، فقام له ابن خازم: كيف شكرك إن أطلقتك
 وجعلت لك باسار^(٤) طعمة؟ قال: لو لم تصنع بي إلا حقن دمي لشكرتك،
 فقام ابنه موسى فقال: نقتل الضبيع وتترك الذبيح^(٥)! تقتل البؤة وتترك الليث!
 قال: ويحك! نقتل مثل زهير! من لقتال عدو المسلمين! من لساء
 العرب! قال: والله لو شركت في دم أخي أنت لقتلتك؛ فقام رجل من بني

(١) ف: «وقالوا إنا نضعف» . (٢) ف: «ونطمع» .

(٣) ف: «فقال» . (٤) ط: «باسان» .

(٥) الذبيح: الذكر من الضبياع، ويطلق الضبيع على الأثني منها .

مسكين إلى ابن خازم ، فقال : أذكرك الله في زهير ! فقال له موسى : اتخذه
فحلاً لبناك ، فغضب ابن خازم ، فأمر بقتله ، فقال له زهير : إن لي
حاجة ، قال : وما هي ؟ قال : تقتلني على حدة ، ولا تخلط دمي بدماء
هؤلاء اللئام ، فقد نهيتهم عمّا صنعوا وأمرتهم أن يموتوا كراماً ، وأن يخرجوا
عليكم مصليين ، وإيم الله أن لو فعلوا لذعروا بسنيك هذا ، وشغلوه بنفسه
عن طلب الثأر بأخيه فأبوا ، ولو فعلوا ما قتل منهم رجل حتى يقتل رجالاً .
فأمر به فنحى ناحية فقتل .

قال مسلمة بن محارب : فكان الأحنف بن قيس إذا ذكرهم قال :
قبح الله ابن خازم ! قتل رجالاً من بني تميم بابنه ، صبيّ وعهد أحق لا يساوي
علقاً . ولو قتل منهم رجالاً به لكان وقى .

قال : وزعمت بنو عدى أنهم لما أرادوا حمل زهير بن ذؤيب أبي واعتمد
على رُمحه وجمع رجليه فوثب الخندق ، فلماً بلغ الحريش بن هلال
قتلهم قال :

٧٠٠/٢

وقد عَضَّ سِنِي كَبِشَهُمْ ثُمَّ صَمَمَا	أَعَاذِلَ إِنِّي لَمْ أَلِمَّ فِي قِتَالِهِمْ
رِجَالٌ وَحَتَّى لَمْ أَجِدْ مُتَقَدِّمًا	أَعَاذِلَ مَا وَلَّيْتُ حَتَّى تَبَدَّدْتُ
مُقَارَعَةَ الْأَبْطَالِ يَرْجِعُ مَكْلَمًا	أَعَاذِلَ أَفْنَانِي السَّلَاحُ وَمَنْ يُطْلُ
دَمَا لَا زَمَالِي دُونَ أَنْ تَسْكِبَا الدَّمَ	أَعَيْنِي إِنْ أَنْزَفْتُمَا الدَّمَ فَاَسْكِبَا
وَوَرْدِ أَرْجِي فِي خُرَاسَانَ مَعْنَمًا	أَبْعَدَ زَهِيرٍ وَأَبْنِ بَشْرٍ تَتَابَعَا
أَكْرُ إِذَا مَا فَارِسُ السَّمَوِ أَحْجَمًا	أَعَاذِلَ كَمِ مِنْ يَوْمِ حَرْبٍ شَهِدْتُهُ

يعنى بقوله : «أبعد زهير» ، زهير بن ذؤيب ، وابن بشر ، عثمان بن بشر المحتفز
المازني ، وورد بن الفلق العنبري ، قتلوا يومئذ ، وقتل سليمان بن المحتفز أخو
بشر .

* * *

قال أبو جعفر : وجح بالناس في هذه السنة عبد الله بن الزبير ، وكان
على المدينة مصعب بن الزبير من قبيل أخيه عبد الله ، وعلى البصرة الحارث

ابن عبد الله بن أبي ربيعة ، وعلى قضائها هشام بن هُبيرة ، وكانت الكوفة بها المختار غالباً عليها ، وبخُرَّاسان عبد الله بن خازم .

* * *

[شخص إبراهيم بن الأشتر لحرب عبيد الله بن زياد]

وفي هذه السنة شَخَّصَ إبراهيم بن الأشتر متوجِّهًا إلى عبيد الله ابن زياد لحربه ، وذلك لثمان بَقِيين من ذى الحِجَّة .

قال هشام بن محمد : حدَّثني أبو مخنف ، قال : حدَّثني النَّضْر بن صالح — وكان قد أدرك ذلك — قال : حدَّثني فُضَيْل بن خَدِيج — وكان قد شهد ذلك — وغيرهما ، قالوا : ما هو إلا أن فرغ المختار من أهل السَّبْع وأهل الكُنَاسَة ، فما نزل إبراهيم بن الأشتر إلا يوهين حتَّى أشخصه إلى الوجه الذى كان وجهه له لقتال أهل الشام ، فخرج يوم السبت لثمان بَقِيين من ذى الحِجَّة سنة ست وستين ، وأخرج المختارُ معه من وجوه أصحابه وقرسبانهم وذوى البصائر منهم : مِمَّنْ قد شهد الحرب وجربها ، وخرج معه قيس بن طَهْمَنَة النَّهْدِيّ على ربيع أهل المدينة ، وأمَّ عبد الله بن حِيَّة الأَسَدِيّ على ربيع مَدَن جِج وأَسَد ، وبعث الأسود بن جراد الكِنْدِيّ على رُبْع كندة وربيعه ، وبعث حبيب بن منقذ الثَّوْرِيّ من هَمْدَان على ربيع تميم وهَمْدَان ، وخرج معه المختار يشيِّعه حتَّى إذا بلغ دبرَ عبد الرحمن بن أمِّ الحَكَم ، إذا أصحاب المختار قد استقبلوه ، قد حملوا الكرسيَّ على بغلٍ أشهب كانوا يَحْمِلُونَهُ عليه ، فوقفوا به على القنطرة ، وصاحب أمر الكرسيِّ حَوْشَب البرسَمِيّ ، وهو يقول : يا ربِّ عمَّرنا فى طاعتك ، وانصرنا على الأعداء ، واذكرنا ولا تَنْسِنَا واسترنا ، قال : وأصحابه يقولون : آمين آمين ؛ قال فُضَيْل : فأنا سمعتُ ابن نَوْف الهَمْدَانِيّ يقول : قال المختار :

أَمَّا رَبُّ الْمُرْسَلَاتِ عُرْفًا لِنَقْتُلَنَّ بَعْدَ صَفِّ صَفًّا

* وبعده ألف قاسطين ألفًا *

قال : فلمَّا انتهى إليهم المختار وابن الأشتر ازدحموا ازدحامًا شديدًا

على القنطرة ، ومضى المختار مع إبراهيم إلى قناطر رأس الجالوت - وهي إلى جنب دَيْر عبد الرحمن - فإذا أصحاب الكرسى قد وقفوا على قناطر رأس الجالوت يستنصرون ، فلما صار المختار بين قنطرة دَيْر عبد الرحمن وقناطر رأس الجالوت وقف ، وذلك حين أراد أن ينصرف ، فقال لابن الأشر : خذ عنى ثلاثاً : خسف الله في سرّ أمرِك وعلائيته ، وعمّجّل السير ، وإذا لقيت عدوك فناجزهم ساعة تلقاهم ، وإن لقيتهم ليلاً فاستطعت ألا تُصبح حتى تناجزهم ، وإن لقيتهم نهاراً فلا تنتظر بهم الليل حتى تحاكمهم إلى الله . ثم قال : هل حفظت ما أوصيتك^(١) به ؟ قال : نعم ، قال : صحبتك الله ؛ ثم انصرف . وكان موضع عسكر إبراهيم بموضع حمام أعين ، ومنه شخص بعسكره .

* * *

[ذكر أمر الكرسى الذى كان المختار يستنصر به !]

قال أبو مخنف : فحدثني فضيل بن خديج قال : لما انصرف المختار مضى^(٢) إبراهيم ومعه أصحابه حتى انتهى إلى أصحاب الكرسى وقد عكفوا حوله^(٣) وهم رافعو أيديهم^(٤) إلى السماء يستنصرون ، فقال إبراهيم : اللهم لا تؤاخذنا بما فعل السفهاء - سنة بنى إسرائيل ، والذى نفسى بيده إذ عكفوا على عجلهم - فلما جاز القنطرة إبراهيم وأصحابه انصرف أصحاب الكرسى .

* ذكر الخبر عن سبب كرسى المختار الذى يستنصر به هو وأصحابه :

٧٠٣/٢ قال أبو جعفر : وكان بدءُ سببه ما حدثني به عبد الله بن أحمد بن شَبْوَيْه ، قال : حدثني أبي ، قال : حدثني سليمان ، قال : حدثني عبد الله ابن المبارك ، عن إسحاق بن يحيى بن طلحة ، قال : حدثني معبد بن خالد ، قال : حدثني طُفَيْل بن جَعْدَةَ بن هُبَيْرَة ، قال : أعدمت مرة من الورق ، فلإني لكذلك إذ خرجت يوماً فإذا زيات جار لي ، له كرسى قد ركبه وسخ شديد ، فخطر على بالي أن لو قلت للمختار فى هذا ! فرجعت فأرسلت إلى

(١) ف : « عنى ما وصيتك » .

(٢) ف : « ومضى » .

(٣) ف : « وهم رافعون أيديهم » .

(٤) ف : « عليه » .

الزيت : أرسل إلى بالكروسي ، فأرسل إلى به ، فأتيت المختار ، فقلت : إني كنت أكتسبك شيئاً لم^(١) أستحل ذلك ، فقد بدا لي أن أذكره لك ، قال : وما هو ؟ قلت : كروسي كان جعدة بن هبيرة يجلس عليه كأنه يرى أن فيه أثره من عليم ، قال : سبحان الله ! فأخبرت هذا إلى اليوم ! ابعث إليه ، ابعث إليه ، قال : وقد غسل وخرج عود نضار ، وقد تشرب الزيت ، فخرج يبصص ، فجىء به وقد غشي ، فأمر لي باثني عشر ألفاً ، ثم دعا : الصلاة جامعة .

فحدثني معبد بن خالد الجدي قال : انطلق بي وبإسماعيل بن طلحة ابن عبيد الله وشبث بن ربعي والناس يجرؤون إلى المسجد ، فقال المختار : لأنه لم يكن في الأمم الحالية أمر إلا وهو كائن في هذه الأمة مثله ، وإنه كان في بني إسرائيل التابوت فيه بقيّة مما ترك آل موسى وآل هارون ، وإن هذا فينا مثل التابوت ، اكشفوا عنه ؛ فكشفوا عنه أثوابه ، وقامت السبيّة فرفعوا أيديهم ، وكبروا ثلاثاً ، فقام شبث بن ربعي وقال : يا معشر مضر ، لا تكفرون ، فنحوه فذبوه وصدّوه وأخرجوه ، قال إسحاق : فوالله إني لأرجو أنّها لشبث ، ثم لم يلبث أن قيل : هذا عبيد الله بن زياد قد نزل بأهل الشام باجمعيّرا ، فخرج بالكروسي على بغل وقد غشي ، بمسبكه عن يمينه سبعة وعن يساره سبعة ، فقتل أهل الشام مقتلة لم يقتلوا مثلها ، فزادهم ذلك فتنة ، فارتفعوا فيه حتّى تعاطوا الكفر ، فقلت : إنّ الله ا وندمت على ما صنعت ، فتكلم الناس في ذلك ، فغيب ، فلم أره بعد .

حدثني عبد الله ، قال : حدثني أبي قال : قال أبو صالح : فقال في ذلك : غشي همدان كما حدثني غير عبد الله :

شهدتُ عليكم أنكم سبيّةٌ
وأقسيمُ ما كُرسيكم بسكينةٍ
وإنّ ليس كالتابوتِ فينا وإن سعتُ
وإني بكم يا شرطّة الشريكِ عارف
وإن كان قد لُفت عليه اللّفائف
شِبامُ حوالبه ونهدٌ وخارف^(٢)

(١) ف : « ولم » .

(٢) ف : « وحارف » .

وإني امرؤٌ أَحَبَبْتُ آلَ مُحَمَّدٍ
وتابَعْتُ عبدَ اللَّهِ لَمَّا تَتَابَعْتُ^(١)
عليه قريشٌ : شُئِمَها والغَطَارُفُ
وتابَعْتُ وَحياً ضُمِنَتْهُ المَصَاحِفُ

وقال المتوكِّل اللِّثِيُّ :

أَبْلِغْ أبا إِسْحاقَ إِن جِئْتَهُ
تَنْزُرُ شِبامَ حَوْلَ أَعوَادِهِ
مَحْمَرَةً أَعْيُنُهُمْ حَوْلَهُ
أَنى بِكُرْسِيِّكُمْ كَافِرُ
وتَحْمِلُ الوَحىَ لَهُ شَاكِرُ
كَانَهُنَّ الحِمْصَ الحادِرُ

فأما أبو مخنف : فإنه ذكر عن بعض شيوخه قصة هذا الكرسي غير
الذي ذكره عبد الله بن أحمد بالإسناد الذي حدثنا به ، عن طفيل بن
جعدة . والذي ذكر من ذلك ما حدثنا به ، عن هشام بن محمد ، عنه ،
قال : حدثنا هشام بن عبد الرحمن وابنه الحكم بن هشام ، أن المختار قال
لآل جعدة بن هبيرة بن أبي وهب المخزومي - وكانت أم جعدة أم هاني
بنت أبي طالب أخت علي بن أبي طالب عليه السلام لأبيه وأمه : اتوني
بكرسي علي بن أبي طالب ؛ فقالوا : لا والله ما هو عندنا ، وما ندرى من
أين نجى به ! قال : لا تكونن حمتي ، اذهبوا فأتوني به ، قال : فظن
القوم عند ذلك أنهم لا يأتون بكرسي ، فيقولون : هو هذا إلا قبيله
منهم ، فجعوا بكرسي فقالوا : هو هذا (٢) قبيله ، قال : فخرجت
شام وشاكر ورعوس أصحاب المختار وقد عصبوه بالحرير والد يباح .

٧٠٦/٢

قال أبو مخنف ، عن موسى بن عامر أبي الأشعر الجهني : إن الكرسي
لمَّا بلغ ابن الزبير أمره قال : أين بعض جناديه الأزدي عنه !

قال أبو الأشعر : لمَّا جىء بالكرسي كان أول من سدّته موسى بن
أبي موسى الأشعري ، وكان يأتي المختار أول ما جاء ويحف به ، لأن أمه أم كلثوم
بنت الفضل بن العباس بن عبد المطلب . ثم إنه بعد ذلك عتب عليه فاستحيا

(٢) ف : وابن الأثير : « هذا هو » .

(١) ف : « وبايت » .

منه ، فدفعه إلى حَوْشِب البُرْسُمِيّ ، فكان صاحبه حتّى هلك المختار .
قال : وكان أحد عمومة الأعشى رجلاً يُكنى أبا أمامة يأتي مجلس أصحابه
فيقول : قد وُضِع لنا اليوم وحىٌ ، ما سَمِع الناسُ بمثله ، فيه نبأٌ ما يكونُ
من شئٍ .

قال أبو مخنف : حدثنا موسى بن عامر أنّه إنّما كان يصنع ذلك لهم
عبد الله بن نوف ، ويقول : المختار أمرني به ، ويتبرأ المختار منه .

ثم دخلت سنة سبع وستين

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

فمما كان فيها من ذلك مقتل عبيد لله بن زياد ومن كان معه من أهل الشام .

* ذكر الخبر عن صفة مقتله .

ذكر هشام بن محمد ، عن أبي مخنف ، قال : حدثني أبو الصلت ، عن أبي سعيد الصبيقتل ، قال : مضينا مع إبراهيم بن الأشتر ونحن نريد عبيد الله بن زياد ومن معه من أهل الشام ، فخرجنا مسرعين لانشئنا ، نريد أن نلقاه قبل أن يدخل أرض العراق . قال : فسبقناه إلى تخوم أرض العراق سبقتا بعيدا ، ووصلنا في أرض الموصل ، فتمعجنا إليه ، وأسرعنا السير ، فنلقاه بخزازر إلى جنب قرية يقال لها باربيثا ، بينها وبين مدينة الموصل خمسة فراسخ : وقد كان ابن الأشتر جعل على مقدمته الطفيل بن لقيط ؛ من وهبيل من النخع (رجلا من قومه) ، وكان شجاعا بثيسا^(١) ، فلما أن دنا من ابن زياد ضم حميد بن حريث إليه ، وأخذ ابن الأشتر لا يسير إلا على تعبئة ، وضم أصحابه كلهم إليه بخيله ورجاله ، فأخذ يسير بهم جميعا لا يفرقهم ، إلا أنه يبعث الطفيل بن لقيط في الطلائع حتى نزل تلك القرية .

قال : وجاء عبيد الله بن زياد حتى نزل قريبا منهم على شاطئ نخازر . وأرسل عمير بن الحباب السلمي إلى ابن الأشتر : إني معك ، وأنا أريد^(٢) الليلة لقاءك ، فأرسل إليه ابن الأشتر : أن القنى إذا شئت ؛ وكانت قيس كلها بالجزيرة ، فهم أهل خلاص مروان وآل مروان ، ووجد مروان يومئذ كلب وصاحبهم ابن بسحدل . فأتاه عمير ليلا فبايعه ، وأخبره أنه على ميسرة صاحبه : وواعده أن ينهزم بالناس ، وقال ابن الأشتر : ما رأيك ؟ أخذت على وأتلوم يومين أو ثلاثة ؟ قال عمير بن الحباب : لا تفعل ، إننا

(١) الرجل البئيس : الشديد . (٢) س : « وأريد » .

لله ! هل يريد القومُ إلا هذه ! إن طاولوك وماطلوك فهو خير لهم ، هم كثيرٌ أضعافكم ، وليس يطيق القليلُ الكثير في المطاولة ؛ ولكن ناجز القوم فإنَّهم قد ملئوا منكم رُعباً ، فأتيتهم فإنَّهم إن شاموا أصحابك وقتلوهم يوماً بعد يوم ، ومرّة بعد مرّة أنسوا بهم ، واجترعوا عليهم ؛ قال إبراهيم : الآن علمتُ أنّك لى مناصح ، صدقت ، الرأى ما رأيت ، أما إن صاحبي بهذا أوصاني ، وبهذا الرأى أمرتني . قال عمير : فلا تعدون رأيه ، فإن الشيخ قد ضرَّسته الحروب ، وقاسى منها ما لم تُقاس ، أصبح فناهض الرجل .

ثم إن عميراً انصرف ، وأذكى ابن الأشتر حرَّسه تلك اللَّيلة اللَّيل كلَّه ، ولم يدخل عينه غمض ، حتّى إذا كان في السحر الأوّل عبّى أصحابه ، وكتب ٧٠٩/٢ كتابه ، وأمر أمراءه . فبعث سُفَيان بن يزيد بن المغفَّل الأزديّ على ميمنته ، وعلى بن مالك الجشميّ على ميسرته ، وهو أخو أبي الأحوص . وبعث عبد الرحمن بن عبد الله - وهو أخو إبراهيم بن الأشتر لأمته - على الخيل ، وكانت خيلُه قليلةً ، فضمَّها إليه ، وكانت في الميمنة والقلب ، وجعل على رجاله الطُّفَيْل بن لقيط ، وكانت رأيتُه مع مزاحم بن مالك . قال : فلمّا انفجر الفجر صلّى بهم الغداة بغلَس ، ثمّ خرج بهم فصفَّهم ، ووضع أمراء الأرباع في مواضعهم ، وألحق أمير الميمنة بالميمنة ، وأمير الميسرة بالميسرة ، وأمير الرِّجالة بالرِّجالة ، وضمَّ الخيل إليه ، وعليها أخوه لأمته عبد الرحمن بن عبد الله ، فكانت وسَطاً من الناس ، ونزل إبراهيم يمشى ، وقال للناس : اِرْحَقُوا ، فَرَحَفَ الناسُ معه على رِسلِهِم رُويداً رُويداً حتّى أشرف على تلٍّ عظيمٍ مُشْرِف على القوم ، فجلس عليه ، وإذا أولئك لم يتحرك منهم أحدٌ بعدُ فسرح عبدُ الله بن زهير السَّلُولي وهو على فرس له يتأكَّل تأكُّلاً (١) ، فقال : قَرَّبْ على فرسك حتّى تأتيني بخبر هؤلاء ، فانطلق ، فلم يلبث إلا يسيراً حتّى جاء ، فقال : قد خرج القومُ على دَهَش وفَشَل ، لقيتني رجل منهم فما كان له هِجِيرَى إلا يا شيعةَ أبي تُرَّاب ، يا شيعةَ الخنثار الكذاب ! فقلت : ما بيننا وبينكم أجلٌ من الشِّمِّ ، فقال لى : يا عدوَّ الله ، لإلام

(١) تأكل الفرس ، أى هاج وكاد يأكل بعضه بعضاً .

تدعوننا ! أنتم تقاتلون مع غير إمام ، فقلت له : بل يا لسارات الحسين ، ابن رسول الله ! ادفعوا إلينا عبيد الله بن زياد؛ فإنه قَتَلَ ابنَ رسولِ الله وسيد شبابِ أهلِ الجنة حتى نقتله ببعض موالينا الذين قتلهم مع الحسين ، فإننا لا نراه لحسين نداءً فنترضى أن يكون منه قوداً ، وإذا دفعتموه إلينا فقتلناه ببعض موالينا الذين قتلهم جعلنا بيننا وبينكم كتاب الله ، أو أى صالح من المسلمين شتمتكم ، فقال لى : قد جربناكم مرة أخرى فى مثل هذا - يعنى الحكستين - فعدرتم ، فقلت له : وما هو ؟ فقال : قد جعلنا بيننا وبينكم حكمتين فلم ترضوا بحكمتيهما ؛ فقلت له : ما جئت بحجة ، إنما كان صلحنا على أنهما إذا اجتمعا على رجل تبعنا حكمهما ، ورضينا به وبايعناه ، فلم يجتمعا على واحد ، وتفرقا ، فكلاهما لم يوفقه الله لخير ولم يسده ، فقال : من أنت ؟ فأخبرته ؛ فقلت له : من أنت ؟ فقال : عدس - لبغلتنه يزجرها^(١) - فقلت له : ما أنصفتنى ، هذا أول غدرك !

قال : ودعا ابن الأشر بفرس له فركبه ، ثم مرَّ بأصحاب الرأيات كلَّها ، فكلَّما مرَّ على راية وقف عليها ، ثم قال : يا أنصار الدين ، وشيعة الحق ، وشرطة الله ، هذا عبيد الله بن مَرْجَانة قاتل الحسين بن على ، ابن فاطمة بنت رسول الله ، حال بينه وبين بناته ونسائه وشيعته وبين ماء الفرات أن يشربوا منه ، وهم ينظرون إليه ، ومنعه أن يأق ابن عمته فيصالحه ، ومنعه أن ينصرف إلى رحله وأهله ، ومنعه الذهاب فى الأرض العريضة حتى قتله وقتل أهل بيته ؛ فوالله ما عميل فرعون بسجباء بنى إسرائيل ما عميل ابن مَرْجَانة بأهل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً . قد جاءكم الله به ، وجاءه بكم ، فوالله لى^(٢) لأرجو ألا يكون الله جمع بينكم فى هذا الوطن وبينه إلا ليشفى صدوركم بسفك دمه على أيديكم ، فقد علم الله أنكم خرجتم غصباً لأهل بيت نبيكم . فسار فيما بين الميمنة والميسرة ، وسار فى الناس كلهم فرغبتهم فى الجهاد ، وحرصهم على القتال ، ثم رجع حتى نزل تحت رايته ، وزحف القوم إليه ، وقد جعل ابن زياد على

(١) ا : « ليزجرها » . (٢) س : « والله لى » .

ميمينته الحُصَيْن بن نَمِير السَّكُونِيّ، وعلى ميسرته عُمَيْر بن الحُبَاب السُّلَمِيّ،
 وشَرَحْبِيل بن ذِي الكَلْبَاعِ على الخيل وهو يمشي في الرجال ، فلمّا تدانَى
 الصَّفَان حمل الحُصَيْن بن نَمِير في ميمنة أهل الشام على ميسرة أهل الكوفة ،
 وعليها على بن مالك الجُشَمِيّ ؛ فثبت له هو بنفسه فقتل ، ثم أخذ رايته
 قُرّة بن عليّ ، فقتل أيضاً في رجال من أهل الحفاظ قتلوا وانهزمت الميسرة ،
 فأخذ راية على بن مالك الجُشَمِيّ عبدُ الله بن ورقاء بن جُنادة السَّلُولِيّ
 ابن أخي حُبَشِي بن جُنادة صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فاستقبل
 أهل الميسرة حين انهزموا ، فقال : إلى يا شُرطة الله ؛ فأقبل إليه جُلُهم ،
 فقال : هذا أميركم يقاتل ، سيرُوا بنا إليه ، فأقبل حتّى أتاه وإذا هو كاشفٌ
 عن رأسه يُنادي : يا شُرطة الله ، إلى أنا ابن الأشر ! إن خيرَ فُرَارِكِم
 ٧١٢/٢ كُرَارِكِم ، ليس مُسيئاً من أعتب . فتاب إليه أصحابه ، وأرسل إلى
 صاحب الميمنة : احمل على ميسرتهم - وهو يرجو حينئذ أن ينهزم لهم عُمَيْر
 ابن الحُبَاب كما زعم ، فحمل عليهم صاحبُ الميمنة ، وهو سَفِيان بن يزيد
 ابن المغنّس ، فثبت له عُمَيْر بن الحُبَاب وقاتلته قتالا شديداً ، فلمّا رأى
 إبراهيم ذلك قال لأصحابه : أمّوا هذا السواد الأعظم ، فوالله لو قد فضّضناه
 لانجفل من ترون منهم يمنةً ويسرةً انجفال طير ذعرتها فطارت .

قال أبو مخنف : فحدثني إبراهيم بن عبد الرحمن الأنصاري ، عن ورقاء
 ابن عازب ، قال : مشينا إليهم حتّى إذا دتونا منهم اطعننا بالرماح قليلا ،
 ثم صرنا إلى السيوف والعمد ، فاضطربنا بها ملياً من النهار ، فوالله ما شبهت
 ما سمعت بيننا وبينهم من وقع الحديد على الحديد إلا مساجين قصابي (١)
 دار الوليد بن عتبة بن أبي معيط . قال : فكان ذلك كذلك ، ثم إن الله
 هزمتهم ، ومنحنا أكتافهم .

قال أبو مخنف : وحدثني الحارث بن حصيرة ، عن أبي صادق أن
 إبراهيم بن الأشر كان يقول لصاحب رايته : انغمس برائتك فيهم ، فيقول
 له : إنّه - جعلت فداك - ليس لي مُتقدّم ، فيقول : بلى ، فإن أصحابك

(١) المياجن : جمع ميجنة ، وهي مدقة القصار .

يقاتلون ، وإن هؤلاء لا يهتربون إن شاء الله ؛ فإذا تقدم صاحبُ رايته برايته شدَّ إبراهيمُ بسيفه فلا يضرب به رجلاً إلا صرعه . وكرَد^(١) إبراهيمَ الرجال من بين يديه كأنهم الحُمْلان ، وإذا حمل برايته شدَّ أصحابُه شدةَ رجل واحد .

قال أبو مخنف : حدثني المشرقُ أنه كان مع عبيد الله بن زياد يومئذ حديدةً لا تُتلىق شيئاً مرّت به ، وأنه لمّا هُزِم أصحابه حمل^(٢) عُبيدُ بن زياد - فذهب بها وأخذ يرتجز ويقول :

إِنْ تَصْرِي حِيَالَنَا فَرُبَّمَا أُرْدَيْتُ فِي الْهَيْجَا الْكَمِيِّ الْمُعْلِمَا
قال أبو مخنف : وحدثني فضيل بن يحيى أن إبراهيمَ لمّا شدَّ على ابن زياد وأصحابه انهزموا بعد قتال شديد وقتلوا كثيرة بين الفريقين ، وأن عمير بن الحُبَاب لمّا رأى أصحابَ إبراهيم قد هزَموا أصحابَ عبيد الله بعث إليه : أجيئك الآن ؟ فقال : لا تأتي حتى تسكن فورةَ شرطة الله ، فإني أخاف عليك عادِ يَسْتَهَم .

وقال ابن الأثير : قتلت رجلاً وجدتُ منه رائحة المسك ، شرقتُ يدها وغربت رجلاه ، تحت راية منفردة ، على شاطئ نهر خازر . فالتمسوه فإذا هو عبيد الله بن زياد قتيلاً ، ضربه ففدّهُ بنصفين ، فذهبت رجلاه في المشرق ، ويداه في المغرب . وحمل شريك بن جدير التغلبيّ على الحصين بن نُمَيْر السكوني وهو يحسبه عبيد الله بن زياد ، فاعتنق كل واحد منهما صاحبه ، ونادى التغلبيّ : اقتلوني وابن الزانية ؛ فقتل ابن نُمَيْر .

وحدثني عبد الله بن أحمد ، قال : حدثني أبي ، قال : حدثني سليمان ، قال : حدثني عبد الله بن المبارك ، قال : حدثني الحسن بن كثير ، قال : كان شريك بن جدير التغلبيّ مع عليّ عليه السلام ، أصيبت عينه معه ، فلمّا انقضت حربُ عليّ لحق ببيت المقدس ، فكان به ، فلمّا جاءه

(١) الكرد : الطرد . (٢) : « جعل » .

قتلُ الحسين ، قال : أعاهدُ الله إن قدرت على كذا وكذا — يَطْلُبُ بدم الحسين — لأقتلنَّ ابنَ مرجانةٍ أو لأموتنَّ دونَه . فلماً بلغه أن المختار خرج يَطْلُبُ بدم الحسين أقبل إليه . قال : فكان وجهه مع إبراهيم بن الأشتر ، وجعل على خيل ربيعة ، فقال لأصحابه : إننى عاهدتُ الله على كذا وكذا ، فبايعه ثلثمائة على الموت ، فلماً التقوا حتمل فجعل يتهتكها صفاً صفاً مع أصحابه حتى وصلوا إليه ، وثار الرَّهَجُ فلا يُسمع إلا وقع الحديد والسيوف ، فانفجرت عن الناس وهما قتيلان ليس بينهما أحد ؛ التَّغَلَّبِيَّ وعبيدُ الله ابن زياد ؛ قال : وهو اللَّذِي يقول :

كُلُّ عَيْشٍ قَدْ أَرَاهُ قَلْبِيراً^(١) غَيْرَ رَكْزِ الرَّمَحِ فِي ظِلِّ الْفَرَسِ^(٢)

قال هشام : قال أبو مخنف : حدثني فضيل بن خديج ، قال : قتل^(٣) شرحبيل بن ذي الكلاع ، فادعى قتله ثلاثة : سفينان بن يزيد بن المغفل الأزدي ، وورقاء بن عازب الأسدي ، وعبيد الله بن زهير السلمى . قال : ولمَّا هُزِمَ أصحاب عبيد الله تبعهم أصحاب إبراهيم بن الأشتر ، فكان من غرق أكثر ممن قتل ، وأصابوا عسكرهم فيه من كل شيء ، وبلغ المختار وهو يقول لأصحابه : يأتيكم الفتح أحدَ اليومين إن شاء الله من قبيل إبراهيم ابن الأشتر وأصحابه ، قد هزموا أصحاب عبيد الله بن مرجانة . قال : فخرج المختار من الكوفة ، واستخلف عليها السائب بن مالك الأشعري ، وخرج بالناس ، ونزل ساباط .

قال أبو مخنف : حدثني المشرق ، عن الشعبي ، قال : كنت أنا وأبي ممن خرج معه ، قال : فلماً جُزْنَا ساباطَ قال للناس : أبشروا فإنَّ شُرْطَةَ الله قد حسسُوهم بالسيوف يوماً إلى الليل بنصيبين أو قريباً من نصيبين ودوين منازلهم ، إلا أن جلَّهم محصور بنصيبين . قال : ودخلنا المدائن ، واجتمعنا إليه ، فصعد المنبر ، فوالله إنَّه ليخطبنا ويأمرنا بالجدِّ وحسن

(١) ف : « باطلا » . (٢) ف : « غير ركن الرمح » .

(٣) س : « قتل » .

الرأى والاجتهاد والثبات على الطاعة ، والطلب بدماء أهل البيت عليهم السلام ، إذ جاءته البشرية تسترَى يستبج بعضها بعضاً بقتل عبید الله بن زياد وهزيمة أصحابه ، وأخذ عسكره ، وقتل أشراف أهل الشام ، فقال المختار : يا شرطه الله ، ألم أبشركم بهذا قبل أن يكون ! قالوا : بلى والله لقد قلت ذلك ؛ قال : فيقول لى رجل من بعض جيراننا من الهَمْدَانِيِّين : أتؤمن الآن يا شعبي ؟ قال : قلت بأى شيء أومن ؟ أومن بأن المختار يعلم الغيب ! لا أومن بذلك أبداً . قال : أو لم يقل لنا : لأنهم قد هُزِموا ! فقلت له : إننا زعم لنا أنهم هُزِموا بنصيبين من أرض الجزيرة ، وإننا هوبخازر من أرض الموصل ، فقال : والله لا تؤمن يا شعبي حتى ترى العذاب الأليم ؛ فقلت له : من هذا الهَمْدَانِيّ اللّدى يقول لك هذا ؟ فقال : رجل لعمرى كان شجاعاً - قتل مع المختار بعد ذلك يوم حروراء - يقال له : سَلْمَان بن حمير من الثوريين من هَمْدَان ؛ قال : وانصرف المختار إلى الكوفة ، ومضى ابن الأشتر من عسكره إلى الموصل ، وبعث عمالته عليها ، فبعث أخاه عبد الرحمن بن عبد الله على نصيبين ، وغلب على سننجا ودارآ ، وما والاها من أرض الجزيرة ، وخرج أهل الكوفة اللذين كان المختار قاتلهم فهزمهم ، فسلحوا بمصعب بن الزبير بالبصرة . وكان فيمن قدم على مصعب شعث بن ربيعة ، فقال سراقه ابن مِرْدَاس البارقي يمدح لإبراهيم بن الأشتر وأصحابه في قتل عبید الله ابن زياد :

آتاكم غلامٌ من عرّابين مذحجٍ
جری على الأعداء غير نكول^(١)
فيأبن زيادٍ بو بأعظم مالكٍ
وذق حدّ ماضى الشفرتين صقيلٍ
ضربناك بالعضب الحسام بحيلةٍ
إذا ما أباؤنا قاتلا بقتيلٍ
جزى الله خيراً شرطه الله إنهم
شفوا من عبید الله أمس غليل^(٢)

* * *

(١) ديوانه ٨١ . (٢) بعده في رواية الديوان :

وأجدر بهند أن تساق سبيته لها من بنى إسحاق شر حليل

[ذكر الخبر عن عزل القبايع عن البصرة]

وفي هذه السنة عزل عبدُ الله بنُ الزبير القبايعَ عن البصرة ، وبعث ٧١٧/٢
عليها أخاه مصعبَ بنَ الزبير ؛ فحدّثني عمرُ بنُ شُبَّة ، قال : حدّثني عليٌّ
ابنُ محمّد ، قال : حدّثنا الشَّعْبِيُّ ، قال : حدّثني وafd بنُ أبي ياسر ، قال :
كان عمرو بن سرح مولىَ الزبير يأتينا فيحدّثنا ، قال : كنتُ والله في الرَّهْطِ
الَّذِينَ قَدِمُوا مع المصعب بن الزبير من مكّة إلى البصرة ؛ قال : فقدم متلثماً
حتّى أناخ على باب المسجد ، ثمّ دخل فصعد المنبر ، فقال الناسُ :
أمير أمير . قال : وجاء الحارث بن عبد الله بن أبي ربيعة — وهو أميرها
قبله — فسفر المصعب فعرّفوه ، وقالوا : مصعب بن الزبير ! فقال : للحارث :
اظهر اظهر ، فصعد حتّى جلس تحته من المنبر درجة ؛ قال : ثمّ قام
المصعب فحمد الله وأثنى عليه . قال : فوالله ما أكثر الكلام ، ثمّ قال :
بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ : ﴿ طَسَمَ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ * نَتْلُو عَلَيْكَ
مِنْ نَبَأِ مُوسَى ﴾ إلى قوله : ﴿ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ﴾ — وأشار بيده نحو الشام —
﴿ وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضِعُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً
وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ ﴾ — وأشار بيده نحو الحجاز — ﴿ وَتُرَىٰ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ
وَجُنُودَهُمَا مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ ﴾ (١) — وأشار بيده نحو الشام .
حدّثني عمر بن شُبَّة ، قال : حدّثني عليٌّ بن محمد ، عن عوانة ، قال :
لما قدم مصعب البصرة خطبهم فقال : يا أهل البصرة ، بلغني أنّكم
تلقبون أمراءكم ، وقد سميتُ نفسي الجزّار .

* * *

[ذكر خبر قتل مصعب المختار بن أبي عبيد]

وفي هذه السنة سار مصعبُ بنُ الزبير إلى المختار فقتله .
* ذكر الخبر عن سبب مسير مصعب إليه والخبر عن مقتل المختار :

(١) سورة القصص : ١ - ٦ .

قال هشام بن محمد ، عن أبي مخنف ، حدثني حبيب بن بديل ، قال :
لَمَّا قَدِمَ شَبَبَتْ عَلَى مُصْعَبِ بْنِ الزَّيْبِرِ الْبَصْرَةَ وَتَحْتَهُ بَغْلَةٌ لَهُ قَدْ قَطَعَ
ذَنبَهَا ، وَقَطَعَ طَرَفَ أُذُنِهَا وَشَقَّ قَبَاءَهُ ، وَهُوَ يَنَادِي : يَا غَوَاةَ يَا غَوَاةَ !
فَأَتَيْتِ مُصْعَبَ ، فَقِيلَ لَهُ : إِنَّ بِالْبَابِ رَجُلًا يَنَادِي : يَا غَوَاةَ يَا غَوَاةَ ! مُشْتَقِقُ
الْقَبَاءِ ، مِنْ صِفَتِهِ كَذَا وَكَذَا ، فَقَالَ لَهُمْ : نَعَمْ ، هَذَا شَبَبَتْ بِنِ رِبْعِيٍّ
لَمْ يَكُنْ لِي فِعْلٌ هَذَا غَيْرُهُ ، فَأَدْخَلِيهِ ، فَأَدْخَلَ عَلَيْهِ ، وَجَاءَهُ أَشْرَافُ النَّاسِ مِنْ
أَهْلِ الْكُوفَةِ فَدَخَلُوا عَلَيْهِ ، فَأَخْبَرُوهُ بِمَا اجْتَمَعُوا لَهُ ، وَبِمَا أَصَابُوا بِهِ وَثُوبَ
عَبِيدِهِمْ وَمَوَالِيهِمْ عَلَيْهِمْ ، وَشَكَرُوا إِلَيْهِ ، وَسَأَلُوهُ النَّصْرَ لَهُمْ ، وَالْمَسِيرَ إِلَى
الْمَخْتَارِ مَعَهُمْ . وَقَدِمَ عَلَيْهِمْ مُحَمَّدُ بْنُ الْأَشْعَثِ بْنِ قَيْسٍ - وَلَمْ يَكُنْ شَهِيدَ
وَقْعَةِ الْكُوفَةِ ، كَانَ فِي قَصْرِ لَهُ مِمَّا يَلِي الْقَادِسِيَّةَ بِطَيْرِزَنْبَادَ - فَلَمَّا بَلَغَهُ
هَزِيمَةُ النَّاسِ تَهِيئًا لِلشَّخْصِ ، وَسَأَلَ عَنْهُ الْمَخْتَارُ ، فَأَخْبَرَ بِمَكَانِهِ ، فَسَرَّحَ إِلَيْهِ
عَبْدُ اللَّهِ بْنُ قِرَادِ الْخَثْعَمِيِّ فِي مَائَةِ ، فَلَمَّا سَارُوا إِلَيْهِ ، وَبَلَغَهُ أَنَّ قَدْ دَنَبُوا مِنْهُ ،
خَرَجَ فِي الْبَرِّيَّةِ نَحْوَ الْمَصْعَبِ حَتَّى لَحِقَ بِهِ ، فَلَمَّا قَدِمَ عَلَى الْمَصْعَبِ اسْتَحْشَهُ
بِالْخُرُوجِ ، وَأَدَانَاهُ مُصْعَبٌ وَأَكْرَمَهُ لَشَرَفِهِ . قَالَ : وَبَعَثَ الْمَخْتَارُ إِلَى دَارِ
مُحَمَّدِ بْنِ الْأَشْعَثِ فَتَهَيَّدَهَا .

٧١٩/٢ قال أبو مخنف : فحدثني أبو يوسف بن يزيد أن المصعب لما أراد
المسير إلى الكوفة حين أكثر الناس عليه ، قال لمحمد بن الأشعث : إني لا أسير
حتى يأتيني المهلب بن أبي صفرة . فكتب المصعب إلى المهلب - وهو عامله
على فارس : أن أقبل إلينا لتشهد أمرنا ، فإننا نريد المسير إلى الكوفة . فأبطأ
عليه المهلب وأصحابه ، واعتل بشيء من الخراج ، لكرهه الخروج ، فأمر
مصعب محمد بن الأشعث في بعض ما يستحشبه أن يأتي المهلب فيقبل به ،
وأعلمته أنه لا يشخص دون أن يأتي المهلب ؛ فذهب محمد بن الأشعث
بكتاب المصعب إلى المهلب ، فلما قرأه قال له : مثلك يا محمد يأتي (١) بريدا !
أما وجد المصعب بريدا غيرك ! قال محمد : إني والله ما أنا ببريد أحد ، غير
أن نساءنا وأبناءنا وحرماننا غلبتنا عليهم عبداننا وموالينا . فخرج المهلب ،

(١) ف : « تأتي » .

وأقبل بجموع كثيرة وأمواً عظيمة معه في جموع وهيئة ليس بها أحد من أهل البصرة . ولما دخل المهلب البصرة أتى باب المصعب ليدخل عليه وقد أذن للناس ، فحجبه الحاجب وهو لا يعرفه ، فرفع المهلب يده فكسر أنفه ، فدخل إلى المصعب وأنفه يسيل دمًا ، فقال له : ما لك ؟ فقال : ضربتني رجل ما أعرفه ، ودخل المهلب فلما رآه الحاجب قال : هو ذا ، قال له المصعب : عدُّ إلى مكانك ، وأمر المصعب الناس بالمعسكر عند الجسر الأكبر ، ودعا عبد الرحمن بن مخنف فقال له : ائت الكوفة فأخرج إلى جميع من قدرت عليه أن تُخرجه ، وادعهم إلى بيعتي سرًّا ، وخذل أصحاب المختار ، فأنسل من عنده حتى جلس في بيته مسترًا^(٢) لا يظهر ، وخرج المصعب فقدم أمامه عبيد بن الحصين الحبطي من بني تميم على مقدمته ، وبعث عمر بن عبيد الله بن معمر على ميمته ، وبعث المهلب بن أبي صفرة على ميسرته ، وجعل مالك بن مسمع على خمس بكر بن وائل ، ومالك بن المنذر على خمس عبد القيس ، والأحنف بن قيس على خمس تميم وزياذ بن عمرو الأزدي على خمس الأزدي ، وقيس بن الهيثم على خمس أهل العالية ؛ وبلغ ذلك المختار ، فقام في أصحابه فحسم الله وأثنى عليه ثم قال : يا أهل الكوفة ، يا أهل الدين ، وأعوان الحق ، وأنصار الضعيف ، وشيعة الرسول ، وآل الرسول ، إن فرأركم الدين بغفوا عليكم أتوا أشباههم من الفاسقين فاستغروهم عليكم ليمصح^(٢) الحق ، وينتفش الباطل ، ويقتل أولياء الله ، والله لو تهلكون ما عبىد الله في الأرض إلا بالفرى على الله واللعن لأهل بيت نبيه . انتدبوا مع أحمر بن شمييط فإنكم لو قد لقيتموهم لقد قتلتموهم إن شاء الله قتلت عاد وإرم .

فخرج أحمر بن شمييط ، فعسكر بحمام أعين ، ودعا المختار رءوس الأرباع الذين كانوا مع ابن الأشتر ، فبعثهم مع أحمر بن شمييط ، كما كانوا مع ابن الأشتر ، فإنهم إنما فارقوا ابن الأشتر ؛ لأنهم رأوه كالمتهاون بأمر المختار ، فانصرفوا عنه ، وبعثهم المختار مع ابن شمييط ، وبعث معه جيشًا كثيرًا ،

٧٢١/٢

(١) : « مسترًا » . (٢) يمح الحق ، أى ليذهب .

فخرج ابن شميظ ، فبعث على مقدّمته ابن كامل الشاكري ، وسار أحمر بن شميظ حتى ورد المدّار ، وجاء المصعب حتى عسكر منه قريباً .

ثمّ إنّ كلّ واحد منهما عبّى جنده ، ثمّ تزاحمّا ، فجعل أحمر بن شُهميظ على ميمنته عبد الله بن كامل الشاكري ، وعلى ميسرته عبد الله ابن وهب بن نضلة الجشمي ، وعلى الخليل رزين عبد السلولي ، وعلى الرجالة كثير بن إسماعيل الكنديّ - وكان يوم نخازر مع ابن الأشتر - وجعل كيسان أبا عمرة - وكان مولى لعربينة - على المولى ، فجاء عبد الله بن وهب بن أنس الجشمي إلى ابن شُهميظ وقد جعله على ميسرته ، فقال له : إنّ المولى والعبيد آل نخور عند المصدوقة ، وإنّ معهم رجالاً كثيراً على الخليل . وأنت تمشي ، فمسرهم فلينزّلوا معك ، فإنّ لهم بك أسوة ، فإني أتخوف إن طوردوا ساعة ، وطوعنوا وضوربوا أن يطيروا على متونها ويُسلموك ، وإنك إن أرجلتهم لم يجدوا من الصبر بُدّاً ، وإنما كان هذا منه غشّاً للمولى والعبيد ، لما كانوا لقوا منهم بالكوفة ، فأحبّ إن كانت عليهم الدّبرة أن يكونوا رجالاً لا ينجو منهم أحد ، ولم يتهمه ابن شميظ ، وظنّ أنّه إنّما أراد بذلك نصّحه ليصبروا ويقتتلوا ، فقال : يا معشر المولى ، انزلوا معي فقاتلوا ، فنزلوا معه ، ثمّ مشّوا بين يديه وبين يديّ رايته ، وجاء مصعب بن الزبير وقد جعل عبّاد ابن الحصين على الخليل ، فجاء عبّاد حتى دنا من ابن شميظ وأصحابه فقال : إنّنا^(١) ندعوكم إلى كتاب الله وسنة رسوله ، وإلى بيعة أمير المؤمنين عبد الله ابن الزبير ؛ وقال الآخرون : إنّنا ندعوكم إلى كتاب الله وسنة رسوله ، وإلى بيعة الأمير المختار ، وإلى أن نجعل هذا الأمر شورى في آل الرسول^(٢) ، فمنّ زعم من الناس أنّ أحداً ينبغي له أن يتولّى عليهم برئنا منه وجاهدناه . فانصرف عبّاد إلى المصعب فأخبره ، فقال له : ارجع فاحمل عليهم ، فرجع فحمل على ابن شميظ وأصحابه فلم يزُل منهم أحدٌ ، ثمّ انصرف إلى موقفه وحمل المهلب على ابن كامل ، فجال أصحابه بعضهم في بعض ، فنزل ابن كامل ، ثمّ انصرف عنه المهلب ، فقام مكانه ، فوقفوا ساعة

(١) ف : « إنّما » . (٢) ف : « رسول الله » .

ثم قال المهلب لأصحابه: كرتوا كرتة صادقة، فإن القوم قد أطمعوكم، وذلك بجيوليتهم التي جالوا، فحمل عليهم حملة منكرة فولوا، وصبر ابن كامل في رجال من همدان، فأخذ المهلب يستمع شعار القوم: أنا الغلام الشكري، أنا الغلام الشبامي، أنا الغلام الثوري، فما كان إلا ساعه حتى هزموا، وحمل عمر بن عبيد الله بن معمر على عبد الله ابن أنس، فقاتل ساعة ثم انصرف، وحمل الناس جميعاً على ابن شميظ، فقاتل حتى قتل، وتنادوا: يا معشر بجيلة وخشعتم، الصبر الصبر! فناداهم المهلب: الفرار الفرار! اليوم أنجي لكم، علام تقتلون أنفسكم مع هذه العبدان، أضل الله سمعيكم. ثم نظر إلى أصحابه فقال: والله ما أرى استحرار القتل اليوم إلا في قومي. ومالت الخيل على رجالة ابن شميظ، فافترقت فانهزمت وأخذت الصحراء، فبعث المصعب عباد بن الحضبين على الخيل، فقال: أيما أسير أخذته فاضرب عنقه. وسرح محمد بن الأشعث في خيل عظيمة من خيل أهل الكوفة ممن كان المختار طردهم، فقال: دونكم ثأركم! فكانوا حيث انهزموا أشد عليهم من أهل البصرة، لا يدركون منهزماً إلا قتله. ولا يأخذون أسيراً فيعفون عنه. قال: فلم ينج من ذلك الجيش إلا طائفة من أصحاب الخيل، وأما رجالتهم فأبيدوا إلا قليلاً.

قال أبو مخنف: حدثني ابن عيَّاش المنتوف، عن معاوية بن قررة المزني، قال: انتهيت إلى رجل منهم، فأدخلت سنان الرمح في عينه، فأخذت أخضخض^(١) عينه بسنان رمحي، فقلت له: وفعلت به هذا؟ قال: نعم، إنهم كانوا أحمل عندنا دماء من الترك والديلم؛ وكان معاوية بن قررة قاضياً لأهل البصرة، ففي ذلك يقول الأعشى^(٢):

أهل آتاك والأنباء تُنمى	بما لاقت بجيلة بالمدار
أتيح لهم بها ضرب طلحف	وطعن صائب وجه النهار
كان سحابة صعقت عليهم	فعمتهم هنالك بالدمار

(١) : «أحصص». (٢) هو أعشى همدان، واسه عبد الرحمن بن عبد الله.

فَبَشِّرْ شِيعَةَ الْمُخْتَارِ إِمَّا مَرَرْتَ عَلَى الْكُوَيْفَةِ بِالصَّغَارِ
 أَقْرَ الْعَيْنِ صَرَاعَهُمْ وَفَلَّ لَهُمْ جَمٌّ يُقْتَلُ بِالصَّهْحَارِ
 وَمَا إِنَّ سَرَّنِي إِهْلَاكُ قَوْمِي وَإِنْ كَانُوا وَجَدَكَ فِي خِيَارِ
 وَلَكِنِّي سُرَرْتُ بِمَا يُبْلَاقِي أَبُو إِسْحَاقَ مِنْ خِزْيِ وَعَارِ ٧٢٤/٢

وأقبل المصعبُ حتى قطع من تلقاء واسطَ القصبِ ، ولم تكُ واسطُ هذه بُنيت حينئذ بعد ، فأخذ في كَسْكَسَر ، ثمَّ حَمَلَ الرِّجَالَ وَأَثَالَ سَهْمَ وَضَعَاءَ النَّاسِ فِي السَّفَنِ ، فَأَخَذُوا فِي نَهْرٍ يُقَالُ لَهُ : نَهْرُ خُرْشَاذ ، ثُمَّ خَرَجُوا مِنْ ذَلِكَ النَّهْرِ إِلَى نَهْرِ يُقَالُ لَهُ قُوسَان ؛ ثُمَّ أَخْرَجَهُمْ مِنْ ذَلِكَ النَّهْرِ إِلَى الْفُرَاتِ .

قال أبو مخنف : وحدثني فضيل بن خديج الكندي ، أن أهل البصرة كانوا يسخرون فيسجرون سفنهم ويقولون :

عَوَدْنَا الْمَصْعَبُ جَرَّ الْقَلْدِيسِ وَالزَّنْبَرِيَّاتِ الطَّوَالِ الْقُعْسِ

قال : فلما بلغ من مع المختار من تلك الأعاجم ما لقي إخوانهم مع ابن شُمَيْطَ قَالُوا بِالْفَارِسِيَّةِ : « اَيْنَ بَارُ دُرُوغِ كُفْتِ » ؛ يقولون : هذه المرة كذب .

قال أبو مخنف : وحدثني هشام بن عبد الرحمن الثقفي ، عن عبد الرحمن بن أبي عمير الثقفي ، قال : والله إني لجالس عند المختار حين أتاه هزيمة القوم وما لاقوا ، قال : فأصغى إلي ، فقال : قتلتُ والله العبيد قتلةً ما سمعتُ بِمِثْلِهَا قَطُّ . ثمَّ قال : وَقَتَّلَ ابْنَ شُمَيْطَ وَابْنَ كَامِلَ وَفُلَانَ وَفُلَانَ ، فَسَمَّى رِجَالًا مِنَ الْعَرَبِ أَصِيبُوا ، كَانَ الرَّجُلُ مِنْهُمْ فِي الْحَرْبِ خَيْرًا مِنْ فِئَامٍ (١) مِنَ النَّاسِ . قال : فقلتُ له : فهذه والله مصيبةٌ ، فقال لي : ما من الموتِ بُدٌّ ، وما من ميته أموتها أحبَّ إلي من مثل ميته ابن

(١) الفئام : الجماعة من الناس .

شُمَيْط ، حبّداً مَصَارِعُ الكرام ا قال : فعلمتُ أنَّ الرجلَ قد حدثَ ٧٢٥/٢
نفسه إن لم يُصِْبْ حاجته أن يُقاتِلَ حتَّى يموتَ .

ولما بلغ المختارَ أَنَّهُم قد أقبلوا إليه في البَحْر ، وعلى الظهر ، سار حتَّى
نَزَلَ بهم السَّيْلَ حِينَ ، ونظر إلى مُجْتَمَعِ الأنهارِ نهرِ الحيرةِ ونهرِ السَّيْلَ حِينَ
ونهرِ القادسيَّةِ ، ونهرِ يوسُفِ (١) ، فسكَّرَ (٢) الفُراتَ على مُجْتَمَعِ الأنهارِ ،
فذهب ماءُ الفُراتِ كلِّه في هذه الأنهارِ ، وبقيت سفنُ أهلِ البصرةِ في
الطَّيْنِ ، فلَمَّا رَأَوْا ذلكَ خرجوا من السفنِ يَمْسُحُونَ ، وأقبلتْ خيلُهُم تَرَكَضُ
حتَّى أتوا ذلكَ السُّكْرَ ، فكَسَّرُوهُ وَصَمَدُوا صمد الكُوفَةِ ، فلَمَّا رأى
ذلكَ المختارُ أقبلَ إليهِم حتَّى نزلَ حَرُّوراءَ ، وحالَ بينهم وبين الكوفةِ ،
وقد كان حصنَ قصره والمسجدِ ، وأدخلَ في قصره عُدَّةَ الحصارِ ، وجاء
المصعبُ يسيرُ إليه وهو بِحَرُّوراءَ وقد استعملَ على الكُوفَةِ عبدَ الله
ابنَ شَدَّادِ ، وخرجَ إليه المختارُ وقد جعلَ على ميسرتهِ سُلَيْمَ بنَ يزيدِ
الكَيندِيَّ ، وجعلَ على ميسرتهِ سعيدَ بنَ مُنْقِذِ الهَمْدَانِيَّ ثمَّ الشَّورِيَّ ،
وكان على شُرطتهِ يومئذِ عبدُ الله بنُ قُرَادِ الخَشَعَمِيَّ ، وبعثَ على الخيلِ
عمرَ بنَ عبدِ الله النَّهْدِيَّ ، وعلى الرِّجالِ مالِكَ بنَ عمرو (٣) النَّهْدِيَّ (٤) ،
وجعلَ مُصعبُ على ميسرتهِ المهلبَ بنَ أبي صُفْرَةَ ، وعلى ميسرتهِ عمرَ بنَ
عُبَيْدِ الله بنِ مَعْمَرِ التَّيْمِيَّ ، وعلى الخيلِ عَبَّادَ بنِ الحُصَيْنِ الحَبَبَطِيَّ ،
وعلى الرِّجالِ مقاتِلَ بنِ مِسْمَعِ البَكْرِيَّ ، ونزلَ هو يَمْسُحِي مُتَنَكِّبًا
قَوَّسًا لَهُ .

قال : وجعلَ على أهلِ الكُوفَةِ محمدَ بنَ الأشعثِ ، فجاءَ محمدٌ حتَّى ٧٢٦/٢
نَزَلَ بينَ المصعبِ والمختارِ مغربًا مِيَامِنًا . قال : فلَمَّا رأى ذلكَ المختارُ بعثَ
إلى كلِّ نَحْمَسٍ من أحماسِ أهلِ البَصْرَةَ رجلاً من أصحابه ، فبعثَ إلى بكرِ
ابنِ وائلِ سعيدَ بنَ مُنْقِذِ صاحبِ ميسرتهِ ، وعليهِمُ مالِكُ بنُ مِسْمَعِ
البَكْرِيَّ ، وبعثَ إلى عبدِ القَيْسِ وعليهِمُ مالِكُ بنُ المنذرِ عبدِ الرحمنِ بنِ

(١) ط : « برسف » ، وصوابه من ا .

(٢) سكر النهر ؛ أى سد فاه .

(٣) س : « البرزى » .

(٤) ف وابن الأثير : « مالك بن عبد الله » .

شُرَيْحُ الشُّبَيْمِيُّ ، وكان على بيتِ ماله ، وبعث إلى أهلِ العالِيَةِ وعليهم قيسُ ابنُ الهَيْثَمِ السَّلَمِيُّ عبدَ اللهِ بنِ جَعْدَةَ القرشيَّ ، ثمَّ الحِزْوِيَّ ، وبعث إلى الأزدِ وعليهم زيادُ بنُ عمرو العَتَكِيُّ مسافرَ بنِ سَعِيدِ بنِ نَمِرَانَ النَاعِطِيَّ ، وبعث إلى بني تميمٍ وعليهم الأحنَفُ بنُ قيسِ سُلَيْمِ بنِ يزيدِ الكِنْدِيَّ ، وكان صاحبَ مَيْمَنَتِهِ ، وبعث إلى مُحَمَّدِ بنِ الأشعثِ السائبِ بنِ مالكِ الأشعريِّ ، ووقف في بَقِيَّةِ أصحابه ، وتَزاحفُ الناسُ ودَنَا بعضهم من بعضٍ ، ويَحْمِلُ سَعِيدُ بنُ مَنْقَدِ عبدُ الرَّحْمَنِ بنُ شُرَيْحِ عليَ بَكْرِ بنِ وائلٍ ، وعبدُ القيسِ ، وهم في الميسرةِ وعليهم عمرُ بنُ عُبَيْدِ اللهِ بنِ مَعْمَرٍ ؛ فقاتلتهم ربيعةُ قتالاً شديداً ، وصبروا لهم ، وأخذ سَعِيدُ بنُ مَنْقَدِ وعبدُ الرَّحْمَنِ بنُ شُرَيْحِ لا يُقْلَعَانِ ، إذا حملَ واحدٌ فأنصرفَ حملَ الآخرِ ، وربما حَمَلَا جميعاً ؛ قال : فَسَبَعْتُ المَصْعَبَ إلى المَهْلَبِ : ما تنتظرُ أن تَحْمِلَ عليَّ مَنْ بِإِزَائِكَ ! ألا ترى ما يَلْقَى هذانِ الخُمُسانُ منذَ اليومِ ! احمِلْ بأصحابِكَ ، فقال : إني لعمري ما كنتُ لأَجْزُرُ الأزدَ وتيمماً خَشِيَّةَ أهلِ الكوفةِ حتَّى أرى فُرْصَتِي . قال : وبعثَ المَخْتارُ إلى عبدِ اللهِ بنِ جَعْدَةَ أن احمِلْ عليَّ مَنْ بِإِزَائِكَ ، فَحَمَلَ عليَّ أهلُ العالِيَةِ فَكشَفَهُمْ حتَّى انْتَهَوْا إلى المَصْعَبِ ، فَجَمَعْنَا المَصْعَبَ عليَّ رُكْبَتَيْهِ - ولم يكن فراراً - فرمى بأُسْمِهِ . ونزلَ الناسُ عنده فقاتلُوا ساعةً ، ثمَّ تَحَاجَزُوا . قال : وَبَعَثَ المَصْعَبُ إلى المَهْلَبِ وهو في خُمُوسَيْنِ جَامِيَيْنِ كَثِيرِي العَدَدِ والفُرُوسَانِ : لا أبا لَكَ ! مَا تنتظرُ أن تَحْمِلَ عليَّ القومِ ! فَسَكَتَ غيرَ بعيدٍ ، ثمَّ إِنَّهُ قالَ لأصحابه : قد قاتلَ الناسُ منذَ اليومِ وأنتم وقوفٌ ، وقد أحسنوا ، وقد بقيَ ما عليكم ، احمِلُوا واسْتَعِينُوا بِاللَّهِ واصْبِرُوا ، فَحَمَلَ عليَّ مَنْ يَلِيهِ حَمَلَةٌ مُنْكَرَةٌ ، فَحَطَمُوا أصحابَ المَخْتارِ حَطْمَةً مُنْكَرَةً ، فَكشَفَهُمْ . وقالَ عبدُ اللهِ ابنُ عَمْرٍو النَّهْدِيُّ - وكان من أصحابِ صِفِيِّنَ : اللَّهُمَّ ! إني على ما كنتُ عليه ليلةَ الخَمِيسِ بصِفِيِّنَ ، اللَّهُمَّ ! إني أبرأ إليك مِنِ فِعْلِ هؤُلاءِ لأصحابه حينَ انْهَزَمُوا ، وأبرأ إليك من أنْفُسِ هؤُلاءِ - يَعْنِي أصحابَ المَصْعَبِ - ثمَّ جالَدَ بِسَيْفِهِ حتَّى قُتِلَ ، وأتى مالكُ بنُ عمرو أبو نَمِرَانَ النَّهْدِيُّ وهو

على الرجال بفرسه فركبه، وانقصف أصحاب المختار انقصافة شديدة كأنهم
أجسة فيها حريق، فقال مالك حين ركب: ما أصنع بالركوب! والله لأن
أقتلها هنا أحب إلى من أن أقتل في بيتي؛ أين أهل البصائر؟ أين أهل
الصبر؟ فتاب إليه نحو من خمسين رجلاً، وذلك عند المساء، فكتر على أصحاب
محمد بن الأشعث، فقتل محمد بن الأشعث إلى جانبه هو وعامة أصحابه،
فبعض الناس يقول: هو قتل محمد بن الأشعث، ووجد أبو نمران قتيلاً
إلى جانبه - وكندة تزعم أن عبد الملك بن أشاء الكندي هو الذي
قتله - فلماً مر المختار في أصحابه على محمد بن الأشعث قتيلاً قال:
يا معشر الأنصار، كرتوا على الثعالب الرواغة، فحملوا عليهم، فقتلوا؛
فخشعتم تزعم أن عبد الله بن قراد هو الذي قتله.

٧٢٨/٢

قال أبو مخنف: وسمعت عوف بن عمرو الجشمي يزعم أن مولى لهم
قتله، فادعى قتله أربعة نفر. كلهم يزعم أنه قتله، وانكشفت أصحاب
سعيد بن مسعود، فقاتل في عصابة من قومه نحو من سبعين رجلاً فقتلوا،
وقاتل سليم بن يزيد الكندي في تسعين رجلاً من قومه، وغيرهم ضارب حتى
قتل، وقتل المختار على قسم سكة شبست، ونزل وهو يريد ألا يبرح،
فقاتل عامة ليلته حتى انصرف عنه القوم، وقتل^(١) معه ليلتئذ رجال من
أصحابه من أهل الحفاظ، منهم عاصم بن عبد الله الأزدي، وعياش بن
خازم الهمداني، ثم الثوري، وأحمر بن هديج الهمداني ثم الفايشي.

قال أبو مخنف: حدثنا أبو الزبير أن همدان تنادوا ليلتئذ:
يا معشر همدان، سيفوهم فقاتلوهم أشد القتال؛ فلماً أن
تفرقوا عن المختار قال له أصحابه: أيها الأمير، قد ذهب القوم فانصرف
إلى منزلك إلى القصر، فقال المختار: أما والله ما نزلت وأنا أريد أن آتي
القصر، فأما إذ انصرفوا فاركبوا بنا على اسم الله؛ فبجاء حتى دخل القصر
فقال الأعشي^(٢) في قتل محمد بن الأشعث:

٧٢٩/٢

تَأَوَّبَ عَيْنِكَ عَوَارُهَا وَعَادَ لِنَفْسِكَ تَذَكُّرُهَا

(٢) هو أعشى همدان.

(١) «وقاتل».

وإحدى لِيَالِيكَ راجعتها
 وما ذاقَتِ العَيْنُ طَعْمَ الرُّقَا
 وقَامَ نَعَاةُ أَبِي قَاسِمٍ
 فحَقُّ العَيونِ على ابنِ الأَشَمِّ ج
 وألَّا تَزَالَ تُبَكِّي لَه
 عَلَيْكَ مُحَمَّدٌ لَمَّا ثَوِيذُ
 وما يَذْكُرُونَكَ إِلَّا بَكَوَا
 وعَارِيَةٌ مِنْ لِيَالِي الشُّتَا
 وَلَا يُنْبِغُ الكَلْبُ فِيهَا العَقُو
 وَلَا يَنْفَعُ الثَّوْبُ فِيهَا الفَتَى
 فَانَّتْ مُحَمَّدٌ فِي مِثْلِهَا
 تَظَلَّ حِفَانُكَ مَوْضُوعَةٌ
 وما فِي سَقَائِكَ مُسْتَنْطَفٌ
 فِيَا وَاهِبَ الوُصْفَاءِ الصَّبَا
 وَيَا وَاهِبَ الجُرْدِ مِثْلَ القِدا
 وَيَا وَاهِبَ البَكَرَاتِ الهِجَا
 وَكُنْتَ كَلِجَلَةً إِذْ تَرْتَمَى
 وَكُنْتَ جَلِيدًا وَذَا مِرَّةٍ
 وَكُنْتَ إِذَا بَلْدَةٌ أَصْفَقَتْ
 بَعَثَتْ عَلَيْهَا ذَوَاكِي العُيُو
 بِإِذْنِ مِنَ اللَّهِ وَالخَيْلُ قَدِ
 وَقَدْ تُطْعَمُ الخَيْلُ مِنْكَ الوَجِي

وقد تَعَلَّمُ البازِلُ العَيْسَجُو رُ أَنْكَ بِالْحَبْتِ حَسَارُهَا
 فِيا أَسْفَى يَوْمَ لاقِيَتَهُمْ وَخانتَ رَجَالَكَ فُرَّارُهَا
 وَأَقْبَلتِ الخَيْلُ مَهْزُومَةً عِشَارًا تُضْرَبُ أَدْبَارُهَا
 بِشَطِّ حُرُوراءِ وَاسْتَجَمَعَتْ عَلَيْكَ المَوالِي وَسَحَّارُهَا
 فَاخْطَرَتْ نَفْسَكَ مِنْ دُونِهِم فَحازَ الرِّزِيَّةَ أَخْطارُهَا
 فَلَما تَبَعَدَنَّ أبا قاسِمٍ فَقَدْ يَبْلُغُ النَفْسَ مِقْدارُهَا
 وَأَفنى الحَواثِثُ ساداتِنَا وَمَرُّ اللَّيالي وَتَكَرَّارُهَا

٧٣١/٢

قال هشام : قال أبي : كان السائب أتى مع مُصعبِ بنِ الزبير ، فقتله
 ورَقاء النّسخى مِنْ وَهْبيل ، فقال ورَقاء :

مَنْ مُبْلَغٌ عَنى عُبَيْدًا بِأَنّى عَلوتُ أَخاهِ بِالْحُسامِ المَهْندِ
 فَإِنْ كَنتَ تَبْغى العِلْمَ عَنه فَإِنَّه صرِيعٌ لَدَى الدَّيرينِ غَيْرُ مُوسِدِ
 وَعَمَدًا عَلوتُ الرّأسِ مِنْه بِصارِمِ فَأَثَكْتُهُ سُفْيانَ بَعْدَ مُحَمَّدِ

قال هشام عن أبي مخنف ، قال : حدثني حصيرة بن عبد الله ،
 أنّ هيندًا بنت المتكلفة الناعطية كان يسجتمع إليها كل غال من الشيعة
 فيتحدث في بيتها وفي بيت لسيلى بنت قمامة المزنية ، وكان أخوها رفاة
 ابن قمامة من شيعة على ، وكان مقتصدًا ، فكانت لا تحبه ، فكان
 أبو عبد الله الجذلى ويزيد بن شراحيل قد أخبرا ابن الحنفية خبر هاتين
 المرأتين وغلوهما وخبر أبي الأحراس المرادى والبطينى الليثى وأبي الحارث الكندى .

قال هشام عن أبي مخنف ، قال : حدثني يحيى بن أبي عيسى ،
 قال : فكان ابن الحنفية قد كتب مع يزيد بن شراحيل إلى الشيعة بالكوفة
 يُحذِّرهم هؤلاء ، فكتب إليهم :

٧٣٢/٢

من محمد بن على إلى من بالكوفة من شيعتنا . أمّا بعد ، فاخرُّجوا
 إلى المجالس والمساجد فاذكروا الله علانيةً وسراً ولا تتخذوا من دون المؤمنين

بِطَانَةٍ ، فَإِنْ خَشَيْتُمْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ فَاحذَرُوا عَلَى دِينِكُمُ الْكُذَّابِينَ ،
وَأَكثِرُوا الصَّلَاةَ وَالصِّيَامَ وَالذَّعَاءَ ، فَإِنَّهُ لَيْسَ أَحَدٌ مِنَ الْخَلْقِ يَسْمَلِكُ
لِأَحَدٍ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ ، وَكُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ،
وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى ، وَاللَّهُ قَائِمٌ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ ؛ فاعْمَلُوا
صَالِحًا ، وَقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ حَسَنًا ، وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْغَافِلِينَ ، وَالسَّلَامُ عَلَيْكُمْ .

قال أبو ميخنف : فحدثني حصيرة بن عبد الله ، أن عبد الله بن
نوف خرج من بيت هند بنت المتكلفة حين خرج الناس إلى حروراء
وهو يقول : يوم الأربعاء ، ترفعت السماء ، ونزل القضاء ، بهزيمة الأعداء ،
فاخرجوا على اسم الله إلى حروراء . فخرج ، فلما التقى الناس للقتال ضرب
على وجهه ضربة ، ورجع الناس منهزمين ، ولقيه عبد الله بن شريك
النهمدي ، وقد سمع مقاتله ، فقال له : ألم تزعم لنا يا بن نوف أننا سنهزمهم !
قال : أو ما قرأت في كتاب الله : ﴿ يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ
الْكِتَابِ ﴾ ! قال : فلما أصبح المصعب أقبل يسير بمن معه من
أهل البصرة ومن خرج إليه من أهل الكوفة ، فأخذ بهم نحو السبخة ،
فربا بالمهلب ، فقال له المهلب : يا لته فتحا ما أهناه لو لم يكن محمد بن
الأشعث قتيلا ! قال : صدقت ، فرحيم الله محمدًا . ثم سار غير بعيد ، ثم قال :
يا مهلب ، قال : لبيك أيها الأمير ؛ قال : هل علمت أن عبدا الله بن
علي بن أبي طالب قد قتل ! قال : ﴿ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴾ ، قال :
المصعب : أمّا إنّه كان ممن أحب أن يرى هذا الفتح ، ثم لا نسجعل
أنفسنا أحق بشيء مما نحن فيه منه ، أتدري (١) من قتله ؟ قال : لا ؛ قال :
إنما قتله من يزعم أنه لأبيه شيعة ، أما إنهم قد قتلوه وهم يعرفونه .
قال : ثم مضى حتى نزل السبخة فقطع عنهم الماء والمادة ، وبعث
عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث فنزل الكناسة ، وبعث عبد الرحمن
ابن ميخنف بن سليم إلى جبانة السبيع ، وقد كان قال لعبد الرحمن بن ميخنف :
ما كنت صنعت فيما كنت وكلتك به ؟ قال : أصلحك الله ! وجددت

٧٣٣/٢

الناس صِنْفَيْنِ ؛ أَمَا مَنْ كَانَ لَهُ فِيكَ هَوَى فَمُخْرَجٌ إِلَيْكَ . وَأَمَا مَنْ كَانَ يَرَى رَأْيَ الْمُخْتَارِ ، فَلَمْ يَكُنْ لِيَدَاعِهِ ، وَلَا لِيُؤْتِرُ أَحَدًا عَلَيْهِ ، فَلَمْ أُبْرَحْ بِسَيْتِي حَتَّى قَدِمْتَ ؛ قَالَ : صَدَقْتَ ؛ وَبَعَثَ عَبَّادُ بْنُ الْحُصَيْنِ إِلَى جَبَبَانَةَ كِنْدَةَ ، فَكَلَّ هَؤُلَاءِ كَانَ يَسْقَطُ عَنِ الْمُخْتَارِ وَأَصْحَابِهِ الْمَاءَ وَالْمَادَّةَ ، وَهُمْ فِي قَصْرِ الْمُخْتَارِ ، وَبَعَثَ زَحْرُ بْنُ قَيْسٍ إِلَى جَبَبَانَةَ مُرَادًا ، وَبَعَثَ عُبَيْدَ اللَّهِ بْنَ الْحَرِّ إِلَى جَبَبَانَةَ الصَّائِدِيَّيْنِ .

قال أبو مخنف : وحديثي فضيل بن خديج ، قال : لقد رأيت عبدة الله ابن الحر ، وإنه ليطارد أصحاب خييل المختار ، يقاتلهم في جببانة الصائديين ولربما رأيت خيالتهم تطرد خياله ، وإنه لوراء خياله يحمى حتى يستهي إلى دار عكرمة ، ثم يتكبر راجعاً هو وخياله ، فيطردهم حتى يسلحقتهم بجببانة الصائديين ، ولربما رأيت خيل عبدة الله قد أخذت السقاء والسقايين فيضربون ، وإنما كانوا يأتونهم بالماء أنهم كانوا يعطونهم بالراوية الدينار والدينارين لما أصابهم من الجهد . وكان المختار ربما خرج هو وأصحابه فقاتلوا قتالاً ضعيفاً ، ولا نكاية لهم ، وكانت لا تخرج له خيل إلا رميت بالحجارة من فوق البيوت ، ويصب عليهم الماء القدير . واجترأ عليهم الناس ، فكانت معايشهم أفضلها من نسايتهم ، فكانت المرأة تخرج من منزلها معها الطعام واللطف والماء ، قد التحفت عليه ، فتخرج كأنما تريد المسجد الأعظم للصلاة ، وكأنها تأتي أهلها وتزور ذات قرابة لها ، فإذا دنت من القصر فتتح لها ، فدخلت على زوجها وحميميها بطعامه وشرايه ولطفه . وإن ذلك بلغ المصعب وأصحابه ، فقال له المهلب - وكان مجرباً : اجعل عليهم دروباً حتى تمنع من آتيتهم من أهلهم وأبنائهم ، وتدعهم في حصنهم حتى يموتوا فيه . وكان القوم إذا اشتد عليهم العطش في قصرهم استقوا من ماء البئر . ثم أمر لهم المختار بعسل فصب فيه ليغير طعمه فيشربوا منه ، فكان ذلك أيضاً مما يروى أكثرهم . ثم إن مصعباً أمر أصحابه فاقربوا من القصر ، فجاء عبادة بن الحصين الحبطي حتى نزل عند مسجد جهينة ، وكان ربما تقدم حتى ينتهي إلى مسجد

بنى مخزوم ، وحتى يرمى أصحابه من أشرف عليهم من أصحاب المختار من القصر ، وكان لا يتلقى امرأة قريباً من القصر إلا قال لها : من أنت ؟ ومن أين جئت ؟ وما تريدن ؟ فأخذ في يوم ثلاث نسوة للشباميين وشاكر أتيتين أزواجهن في القصر ، فبعث بهن إلى مصعب ، وإن الطعام لمعهن ، فردهن مصعب ولم يعرض لهن ، وبعث زحر بن قيس ، فتنزل عند الحدادين حيث تكثر الدواب ، وبعث عبید الله بن الحر فكان موقفه عند دار بلال ، وبعث محمد بن عبد الرحمن بن سعيد بن قيس فكان موقفه عند دار أبيه ، وبعث حوشب بن يزيد فوقف عند زقاق البصريين عند فم سكة بنى جنديمة بن مالك من بني أسد بن خزيمة ، وجاء المهلب يسير حتى نزل جهار سوج نخيس ، وجاء عبد الرحمن بن مخنف من قبل دار السقاية ، وابتدر السوق أناس من شباب أهل الكوفة وأهل البصرة ، أعمار ليس لهم علم بالحرب ، فأخذوا يصيحون — وليس لهم أمير : يابن دومة ، يابن دومة ! فأشرف عليهم المختار فقال : أما والله لو أن الذي يعيرني بدومة كان من القرينين عظيماً ما عيرني بها . وبصر بهم وبتفرقهم وهيتهم وانتشارهم ، فطمع فيهم ، فقال لطائفة من أصحابه : اخرجوا معي ، فخرج معه منهم نحو من مائتي رجل ، ففكر عليهم ، فشدخ نحواً من مائة ، وهزمهم ، فركب بعضهم بعضاً ، وأخذوا على دار فرات بن حيان العجلى . ثم إن رجلاً من بني ضبة من أهل البصرة يقال له يحيى بن ضمضم ، كانت رجلاه تكادان تسخطان الأرض إذا ركب من طوله ، وكان أقتل شيء للرجال وأهيبه عندهم إذا رأوه ، فأخذ يحمل على أصحاب المختار فلا يشب له رجل صمد صمده ، وبصر به المختار ، فحمل عليه فضر به ضربة على جبهته فأطار جبهته وقحف رأسه ، وخر ميتاً . ثم إن تلك الأمراء وتلك الرؤوس أقبلوا من كل جانب ، فلم تكن لأصحابه بهم طاقة ، فدخلوا القصر ، فكانوا فيه ، فاشتد عليهم الحصار فقال لهم المختار : ويحكمكم ! إن الحصار لا يزيدكم إلا ضعفاً ، انزلوا بنا فسنقاتل حتى نقتل كراماً إن نحن قتلنا ، والله ما أنا بأيس إن صدقتموه

٧٣٥/٢

٧٣٦/٢

أن يتصرفكم الله، فضعمفوا وبعجزوا، فقال لهم المختار: أمّا أنا فوالله لا أعطى
بيدي ولا أحكمهم في نفسي. ولمّا رأى عبدُ الله بنُ جعدة بنُ هبيرة
ابن أبي وهب ما يريد المختار تسلّى من القصر بحبل، فليحق بأناس
من إخوانه، فاختمباً عندهم. ثم إن المختار أزمع بالخروج إلى القوم حين
رأى من أصحابه الضعف، ورأى ما بأصحابه من الفشل، فأرسل إلى امرأته
أمّ ثابت بنت سمرة بن جندب الفزاري، فأرسلت إليه بطيب كثير،
فاغتسل وتحنط، ثم وضع ذلك الطيب على رأسه ولحيته، ثم خرج في تسعة
عشر رجلاً؛ فيهم السائب بن مالك الأشعري - وكان خليفته على الكوفة إذا
خرج إلى المدائن - وكانت تحتة عمرة بنت أبي موسى الأشعري، فولدت
له غلاماً، فسماه محمداً، فكان مع أبيه في القصر، فلما قُتل أبوه وأخذ
من في القصر وبني صبيها فمرك، ولمّا خرج المختار من القصر قال
للسائب: ماذا ترى؟ قال: الرأى لك، فاذا ترى؟ قال: أنا أرى أم الله
يرى! قال: الله يرى، قال: ويحك! أحق أنت! إنّما أنا رجل
من العرب رأيت ابن الزبير انتزى على الحجاز، ورأيت نجدة انتزى
على اليمامة، ومروان على الشام، فلم أكن دون أحد من رجال العرب،
فأخذت هذه البلاد، فكنت كأحدكم؛ إلا أنّي قد طلبتُ بثأر أهل بيت
النبي صلّى الله عليه وسلم إذ نامت عنه العرب، فقتلت من شرك في دمايتهم،
وبالغت في ذلك إلى يومى هذا، فقاتل على حسبك إن لم تكن لك نية؛
فقال: ﴿إنا لله وإنا إليه راجعون﴾، وما كنت أصنع أن أقاتل على حسبى!
فقال المختار عند ذلك يتمثل بقول غيلان بن ساسمة بن معتب الثقفي:
ولو يرانى أبو غيلان إذ حسرت عني الهمومُ بأمرٍ ما له طبقُ
لقال رهباً ورعباً يُجمعان معاً غنم الحياة وهول النفس والشفق
إما تيسف على مجدٍ ومكرمةٍ أو إسوة لك فيمن تهلك الورقُ
فخرج في تسعة عشر رجلاً فقال لهم: أتؤمنوني وأخرج إليكم؟ فقالوا:
لا، إلا على الحكم، فقال: لا أحكمكم في نفسي أبداً، فضارب بسيفه
حتى قُتل، وقد كان قال لأصحابه حين أبوا: أن يتابعوه على الخروج معه:

٧٣٧/٢

٧٣٨/٢

إذا أنا خرجتُ إليهم فقتلتُ لم تَزِدَادُوا إِلَّا ضَعْفًا وَذُلًّا ، فإنْ نزلتم على حكمهم وثبَّ أعداؤكم الذين قد وتَرْتَمَوْهم ، فقال كلُّ رجلٍ منهم لبعضكم : هذا عنده نأرى فيقتل ، وبعضكم ينظرُ إلى مصارع بعض فيقولون : يا لَيْتِنَا أطعنا المختار وعَمَلْنَا برأيه ! ولو أنكم خرجتم معي كنتم إن أخطأتم الظفرَ منمَّ كرامًا ، وإن هرب منكم هاربٌ فدخل في عشيرته اشتملتُ عليه عشيرته ؛ أنتم غدًا هذه الساعة أذلَّ من على ظهر الأرض ، فكان كما قال .

قال : وَزَعَمَ الناسُ أن المختارَ قُتِلَ عند موضع الزبَّاتين اليوم ، قتله رجلان من بني حنيفة أخوان يدعى أحدهما طَرْفَةَ والآخر طَرَأَفًا ؛ ابنا عبد الله بن دجاجة من بني حنيفة . وأما كان من الغد من قتل المختار قال بسجير بن عبد الله المُسَلِّي : يا قوم ، قد كان صاحبكم أمسٍ أشار عليكم بالرأى لو أطعتموه . يا قوم ، إنكم إن نزلتم على حكم القوم ذُبِحْتُمْ كما تُدْبِح الغنم ، اخرجوا بأسيا فكمم فقاتلوا حتى تموتوا كرامًا . فعصوه وقالوا : لقد أمرنا بهذا من كان أطوعَ عندنا وأنصح لنا منك ، فعصيناه ، أفنحن (١) نُطِيعك ! فأمكن القوم من أنفسهم ، ونزلوا على الحكم . فبعث إليهم مصعب (٢) عبَّاد بن الحُصَيْن الحِمْيَري فكان هو يُخرجهم مكتسفين ، وأوصى عبد الله بن شدَّاد الجُشَمي إلى عبَّاد بن الحُصَيْن ، وطلب عبد الله ابن قراد عصًا أو حديدة أو شيئًا يقاتل به فلم يسجد به ، وذلك أن الندامة أدركته بعد ما دخلوا عليه ، فأخذوا سيفه ، وأخرجوه مكتوفًا ، فرَّ به عبد الرحمن وهو يقول :

٧٢٩/٢

ما كنتُ أخشى أن أرى أسيرًا إنَّ الذين خالفوا الأميرًا

* قد رُغِموا وتَبَرُّوا تَتَبِيرًا *

فقال عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث : علىّ بدأ ، قدّموه إلى أضرب عنقه ، فقال له : أما إني على دين جِدِّك الذي آمنَ ثم كُفِرَ ؛ إن لم أكن ضربت أباك بسيفي حتى فاظ . فنزل ثم قال : أدنوه مني ، فأدنوه منه ،

(٢) ف : « المصعب » .

(١) ا : « فنحن » .

فقتله ، فغضب عبّاد ، فقال : قتلته ولم تؤمّر بقتله !
 ومّرّ بعبد الله بن شدّاد الهجشمي وكان شريفاً ، فطلب عبد الرحمن إلى
 عبّاد أن يتحبسه حتى يكلم فيه الأمير ، فأتى مصعباً ، فقال : إني أحبّ
 أن تدفع إلى عبد الله بن شدّاد فأقتله ، فإنه من الثأر ، فأمر له به ،
 فلما جاءه أخذه فضرب عنقه ، فكان عبّاد يقول : أما والله لو علمت أنك
 إنما تريد قتله لدفعته إلى غيرك فقتله ، ولكني حسبت أنك تكلمه فيه
 فتخلّيت سبيله . وأتى بابن عبد الله بن شدّاد ، وإذا اسمه شدّاد ، وهو رجل
 محتلم ، وقد اطلّمتي بشورة ، فقال : اكشفوا عنه هل أدرك ! فقالوا : لا ،
 إنما هو غلام ، فخلوا سبيله ، وكان الأسود بن سعيد قد طلب إلى مصعب
 أن يعرض على أخيه الأمان ، فإن نزل تركه له ، فأتاه فعرض عليه الأمان ،
 فأبى أن ينزل ، وقال : أموت مع أصحابي أحبّ إلى من حياة معكم ،
 وكان يقال له قيس ، فأخرج فقتل فيمن قتل ، وقال بجير بن
 عبد الله المسليّ - ويقال : كان مولى لهم حين أتى به مصعب ومعه منهم ناس
 كثير - فقال له المسليّ : الحمد لله الذي ابتلانا بالإسار ، وابتلاك بأن تغفوا
 عنا ، وهما منزلة لئلا إحداهما رضا الله ، والأخرى سخطة ، من عفاً عفاً الله عنه ،
 وزادته عزاً ، ومن عاقب لم يأمّن القصاص . يا ابن الزبير ، نحن أهل
 قبيلتكم ، وعلى ميلتكم ، ولسنا تركاً ولا ديلماً ، فإن خالفنا إخواننا
 من أهل مصرنا فيما أن نكون أصبنا وأخطوا ، وإما أن نكون أخطأنا وأصابوا
 فاقتلنا كما اقتل أهل الشام بينهم ، فقد اختلفوا واقتلوا^(١) ثم اجتمعوا ،
 وكما اقتل أهل البصرة بينهم فقد اختلفوا واقتلوا ثم اصطلحوا واجتمعوا ،
 وقد ملكتم فأسججوا ، وقد قدّرتم فاعفوا . فما زال بهذا القول ونحوه حتى
 رَقّ لهم الناس ، ورقّ لهم مصعب ، وأراد أن يخلّي سبيلهم ، فقام
 عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث فقال : تُخلّي^(٢) سبيلهم ! اخترنا يا ابن
 الزبير أو اخترهم . وثب محمد بن عبد الرحمن بن سعيد بن قيس الهمداني

(١) ف : « فقد اختلفوا واقتلوا » .

(٢) ف : « أتخلّي » .

فقال : قُتِلَ أبى وخَمْسَمائة من هَمَّدان وأُذراف العَشيرة وأهل المِصر^(١) ثم تُخَلِّي سبيلَهُم ، ودماؤنا تَسَرَّق في أجوافهم ! اختَرنا أو اختَرهم . ووَتِّب كلِّ قوم وأهل بيت كان أُصِيبَ منهم رجل فقالوا نحواً من هذا القول . فلما رأى مُصعبُ بنُ الزبير ذلك أمرَ بِقَتْلِهِم ، فناداه بأجمَعِهِم : يا بنِ الزبير ، لا تَقْتُلنا ، اجعَلنا مقدِّمَةً لى أهل الشام غداً ، فوالله ما بك ولا بأصحابك عِنا غداً غِنَى ، إذا القَيْمَ عدوكم فإن قَتَلنا لم نُقتل حتى نرقمهم لكم^(٢) ، وإن ظَنَرنا بهم كان ذلك لك ولن معك . فأبى عليهم وتبع رضا العامة ، فقال بغير المِسلَى : إن حاجتى إليك ألاّ أقتل مع هؤلاء [القوم]^(٣) لى أمرتهم أن يخرجوا بأسياهم فيقاتلوا حتى يموتوا كراماً فعصوني ، فقتلهم فقتل .

٧٤١/٢

قال أبو مخنف : وحدثني أبى ، قال : حدثني أبو روق أن مسافر بن سعيد بن نيمران قال لمصعب بن الزبير : يا بن الزبير ، ما تقول لله إذا قدمت عليه وقد قتلت أمة من المسلمين صبراً ! حَكَموك في دماهم ، فكان الحق في دماهم ألاّ تقتل نفساً^(٤) مُسْلِمة بغير نفس مُسْلِمة ، فإن كنا قتلنا عدوة رجال منكم فاقتلوا عدوة من قتلنا منكم ، واخلدوا سبيل بقيتنا ، وفينا^(٥) الآن رجال كثير لم يشهدوا موطناً من حربنا وحربكم يوماً واحداً ، كانوا في الجبال والسواد يجربون الخراج ، ويؤمنون السبيل . فلم يستمع له ، فقال : قبَّح الله قوماً أمرتهم أن يخرجوا ليلاً على حرّس سكة من هذه السكك فنطردهم ، ثم نلحق بعشائنا ، فعصوني حتى حسملوني على أن أعطيتم التي هي أنقص وأدنى وأوضع ، وأبوا أن يموتوا إلاّ ميتة العبيد ، فأنا أسألك ألاّ تَخَلِّط دى بدماهم . فقتلهم فقتل ناحية^(٦) .

ثم إنَّ المُصعبَ أمر بكسف المختار فقطعت ثم سمّرت بمِسمار حديد إلى جنب^(٧) المسجد ، فلم يزل على ذلك حتى قدم الحجاج بن يوسف ، فنظر إليها فقال : ما هذه ؟ قالوا : كسف المختار ، فأمر بتزيعها . وبعث مُصعبَ عُمّاله على الجبال والسواد ،

٧٤٢/٢

(١) ف : « والمصر » . (٢) ف : « لك » .

(٣) من ف . (٤) ف : « ألا تقتل نفس مسلمة » .

(٥) « فقينا » . (٦) ف : « ناحية فقتل » . (٧) ف : « جانب » .

ثمّ إنه^(١) كتب إلى ابن الأشتر^(٢) يدعو إلى طاعته، ويقول له : إن أنت أجبته ودخلت في طاعتي فلك الشام وأعينة الخليل ، وما غلبت عليه من أرض المغرب ما دام آل الزبير سلطان . وكتب^(٣) عبد الملك بن مروان من الشام إليه يدعو إلى طاعته ، ويقول : إن أنت أجبته ودخلت في طاعتي فلك العراق . فدعا إبراهيم أصحابه فقال : ما ترون ؟ فقال بعضهم : تدخل في طاعة عبد الملك ، وقال بعضهم : تدخل مع ابن الزبير في طاعته ، فقال ابن الأشتر : ذلك لو لم أكن أصبت عبيد الله بن زياد ولا رؤساء أهل الشام تبعت عبد الملك ؛ مع أني لا أحب أن أختار على أهل مصر ميصراً ، ولا على عشيرتي عشيرة . فكتب إلى مصعب ، فكتب إليه مصعب أن أقبل ، فأقبل إليه بالطاعة .

قال أبو مخنف : حدثني أبو جستان الكلبي أن كتاب مصعب قدم على ابن الأشتر وفيه :

أما بعد ، فإن الله قد قتل المختار الكذاب وشيعته الذين دانوا بالكفر ، وكادوا بالسحر^(٤) ، وإننا ندعوك إلى كتاب الله وسنة نبيه ، وإلى بيعة أمير المؤمنين ، فإن أجبته إلى ذلك فأقبل إلى ، فإن لك أرض الجزيرة وأرض المغرب^(٥) كلها ما بقيت وبقي سلطان آل الزبير ، لك بذلك عهد الله وميثاقه وأشد ما أخذ الله على النبيين من عهد أو عقد ؛ والسلام .

وكتب إليه عبد الملك بن مروان :

أما بعد ، فإن آل الزبير انتزوا على أئمة الهدى ، ونازعوا الأمر أهله ، وألحدوا في بيت الله الحرام^(٦) والله ممكين منهم ، وجاعل دائرة السوء عليهم ، وإني^(٧) أدعوك إلى الله وإلى سنة نبيه ، فإن قبلت وأجبته فلك سلطان العراق ما بقيت وبقيت ، على بالوفاء بذلك عهد الله وميثاقه .

قال : فدعا أصحابه فأقرأهم الكتاب ، واستشارهم في الرأي ، فقائل

(١) ف : « وإنه » .

(٢) ف : « إبراهيم بن الأشتر » .

(٣) ف : « وكتب إليه » .

(٤) ف : « وكانوا علماء بالسحر » .

(٥) ا ، س : « العرب » .

(٦) ف : « واتخذوا الحرم حلاً » .

(٧) ف : « فإني » .

يقول عبد الملك ؛ وقائل يقول : ابن الزبير ؛ فقال لهم : ورأى اتباع أهل الشام ، ولكن كيف لي بذلك ، وليس قبيلة تسكن الشام إلا وقد وترتوها ، ولست بتارك عشيرتي وأهل مصرى^(١) ! فأقبل إلى مصعب ، فلما بلغ مصعباً إقباله^(٢) بعث المهلب إلى عمله ، وهي^(٣) السنة التي نزل فيها المهلب على القمّرات .

قال أبو مخنف : حدثني أبو علقمة الخشعمي أن مصعب بعث إلى أمّ ثابت بنت سمرة بن جندب امرأة المختار وإلى عمرة بنت النعمان بن بشير الأنصاري - وهي امرأة المختار - فقال لهما : ما تقولان في المختار ؟ فقالت أمّ ثابت : ما عسينا أن نقول ! ما نقول فيه إلا ما تقولون فيه أنتم ، فقالوا لها : اذهبي ، وأما عمرة فقالت : رحمة الله عليه ، إنه كان عبداً من عباد الله الصالحين ، فرفعها مصعب إلى السجن ، وكتب فيها إلى عبد الله بن الزبير لأنها تزعم أنه نبي ، فكاتب إليه أن أخرجها فاقبلها . فأخرجها بين الحيرة والكوفة بعد العتمة ، فصرّبها مطرّ ثلاث ضربات بالسيف - ومطرّ تابع لآل قنقل من بني تميم الله بن ثعلبة ، كان يكون مع الشرط - فقالت : يا أبتاه ، يا أهلاه ، يا عشيرتاه ! فسمع بها بعض الأنصار ، وهو أبان بن النعمان بن بشير ، فأتاه فلطمه وقال له : يا ابن الزانية ، قطعت نفسك قطع الله يمينك ! فلزّمه حتى رفعه إلى مصعب ، فقال : إن أمي مسلمة ، وادّعى شهادة بني قنقل ، فلم يشهد له أحد ؛ فقال مصعب : خلّوا سبيل الفتى فإنه رأى أمراً فظيماً ، فقال عمر بن أبي ربيعة القرشي في قتل مصعب عمرة بنت النعمان بن بشير :

٧٤٤/٢

إِنَّ مِنْ أَعْجَبِ الْعَجَائِبِ عِنْدِي قَتَلَ بَيْضَاءَ حُرَّةٍ عَطْبُولِ^(٣)
قُتِلَتْ هَكَذَا عَلَى غَيْرِ جُرْمٍ إِنَّ لِلَّهِ دَرَّهَا مِنْ قَتِيلِ
كُتِبَ الْقَتْلُ وَالْقِتَالُ عَلَيْنَا وَعَلَى الْمُحْصَنَاتِ جَرُّ الدُّيُولِ

قال أبو مخنف : حدثني محمد بن يوسف ، أن مصعباً لقي عبد الله بن

٧٤٥/٢

(١) ف : « ولا أهل مصرى » . (٢) بعدها في ف : « إليه » . (٣) ملحق ديوانه ٤٩٨ .

عمر فسلم عليه ، وقال له : أنا ابنُ أخيك مصعب ، فقال له ابنُ عمر : نعم ، أنتَ القاتلُ سبعةَ آلاف من أهل القبلة في غداة واحدة ! عيشُ ما استطعت ! فقال مصعب : إنهم كانوا كفرة سحرة ؛ فقال ابنُ عمر : والله لو قتلت عدتهم غنمًا من تراثِ أبيك لكان ذلك سرَفًا ، فقال سعيد بن عبد الرحمن بن حسان بن ثابت في ذلك :

أتى راكبٌ بالأمر ذى النبأ العجبُ	بقتل ابنة النعمان ذى الدين والحسبُ
بقتل فتاة ذاتِ دلٍّ ستيرةٍ	مُهذبة الأخلاقِ والخيمِ والنسبُ
مطهرةٍ من نسلِ قومِ أكارمِ	من المؤثرين الخير في سالفِ الحقبِ
خليلُ النبيِّ المصطفى ونصيرهُ	وصاحبه في الحربِ والنكبِ والكربِ
أتانى بأنَّ الملحدين تواقفوا	على قتلها لاجنبوا القتلَ والسلبُ
فلا هنأت آلَ الزبيرِ معيشةُ	وذاقوا لباسَ الدلِّ والخوفِ والحربِ
كأنهم إذ أبرزوها وقطعتُ	بأسِ سيافهم فازوا بِمملكة العربِ ٧٤٦/٢
ألم تعجبِ الأقبامُ من قتلِ حرةٍ	من المحصناتِ الذين محمودة الأدبِ!
من الغافلاتِ المؤمناتِ، بريئةٍ	من الذمِّ والبُهتانِ والشكِّ والكذبِ
علينا كتابُ القتلِ والبأسِ واجبٌ	وهنَّ العفافُ في الحجالِ وفي الحُجبِ
على دينِ أجدادِ لها وأبوةٍ	كرامِ مَضتْ لم تُخزِ أهلا ولم تُربِ
من الخفرياتِ لا خروجٌ بديَّةٍ	ملائمةً تبغى على جارها الجنبِ
ولا الجارِ ذى القربى ولم تدْرِ ما الخنا	ولم تزدلِّ يوماً بسوءٍ ولم تجبِ
عجبتُ لها إذ كُفنتُ وهى حيةٌ	ألا إن هذا الخطبُ من أعجبِ العجبِ

حدثت عن عليّ بن حرب الموصلى ، قال : حدثني إبراهيم بن سليمان الحنفي ، ابن أخى أبي الأحوص ، قال : حدثنا محمد بن أبان ، عن علقمة بن مرثد ، عن سويد بن غفلة ، قال : بيئنا أنا أسيرٌ بظَهْر النجف إذ لحقني رجل فطعنني بمِخْصَرة من خلتى ، فالتفتُ إليه ، فقال : ٧٤٧/٢

ما قولك في الشيخ ؟ قلتُ : أئى الشيوخ ؟ قال : على بنُ أبي طالب ؛ قلتُ : إني أشهد أني أحبه بسَمْعِي وبصِرِي وقلبي ولساني ؛ قال : وأنا أشهدك أني أبغضه بسَمْعِي وبصِرِي وقلبي ولساني . فسِرْنَا حتى دخلنا الكوفة ، فافترقنا ، فكث بعد ذلك سنينَ - أو قال : زَمَانًا - قال : ثمَّ إني لني المسجد الأعظم إذ دخل رجلٌ معتمٌ يتصفح وجوهَ الخاق ، فلم يزل ينظر فلم يرَ لِحْيِي أحمرق من لِحْيَى هَمْدَانَ ، فجلس إليهم ، فتحولتُ فجلستُ معهم ، فقالوا : من أين أقبلتَ ؟ قال : من عند أهلِ بيتِ نبيكم ، قالوا : فإذا جئتنا به ؟ قال : ليس هذا موضع ذلك ، فوعدهم من الغد موعداً ، فغَدَا وغدوت ، فإذا قد أخرج كتاباً معه في أسفله طابع من رصاص ، فدفعه إلى غلام ، فقال له : يا غلام ، اقرأه - وكان أمياً لا يكتب - فقال الغلام : بسم الله الرحمن الرحيم ، هذا كتابٌ للمختار بنِ أبي عُبَيْد كتبه له وصي آلِ محمد ؛ أما بعد فكذا وكذا .

فاستفرغَ القومَ البكاء ، فقال : : يا غلام ، ارفع كتابك حتى يُفِيقَ القومُ ؛ قلتُ : معاشرَ هَمْدَانَ ، أنا أشهد بالله لقد أدركني هذا بظَهْرِ النَّجْفِ ، فقَصَصْتُ عليهم قصته ، فقالوا : أبستَ واللهِ إلاَّ تشبيطاً عن آلِ محمد ، وتزيباً لتعشَلِ شِقَاقَ المصاحفِ . قال : قلتُ : معاشرَ هَمْدَانَ ، لا أحدٌ لكم إلاَّ ما سمعته أذُنَاي ، ووعاه قلبي من على بنِ أبي طالب عليه السلام ، سمعته يقول : لا تُسَمِّوا عثمانَ شِقَاقَ المصاحفِ ، فوالله ما شققها إلاَّ عن ملائمتنا أصحابِ محمد ، ولو وليتها لعَمِلْتُ فيها مثلَ الذي عمل ؛ قالوا : آله أنتَ (١) سمعتَ هذا من على ؟ قلتُ : والله لأننا سمعته منه (٢) ، قال : فتفرقوا عنه ، فعند ذلك مالَ إلى العبيد ، واستعان بهم ، وصنع ما صنع .

٧٤٨/٢

قال أبو جعفر : واقتصمَ الواقديّ من خبر المختارِ بنِ أبي عُبَيْدِ بعض ما ذكرنا ، فخالف فيه مَنْ ذكرنا خبره ، فزعم أن المختارَ إنما أظهر الخلاف لابن الزبير عند قدومِ مُصعَبِ البَصْرَةِ ، وأنَّ مُصعَباً لما

(١) ف : « أنك » . (٢) ا : « والله ما قلت إلا ما سمعته منه » .

سار إليه فبلغه مسيره إليه بعث إليه أحمر بن شُبيط البَجَلِيّ، وأمره أن يواقعَه بالمسَدَار ، وقال : إنَّ الفتح بالمسَدَار ؛ قال : وإنما قال ذلك المختار لأنه قيل : إن رجلاً من ثَقِيفَ يُفْتَحُ عليه بالمسَدَار فتحٌ عظيمٌ ، فظنَّ أنه هو ، وإنما كان ذلك للحجاج بن يوسف في قتاله عبد الرحمن بن الأشعث . وأمر مصعبٌ صاحبَ مقدّمته عبيدُ الحَبَبَطِيّ أن يسيرَ إلى جَمْعِ المُسَخْتار فتقدّم وتقدّم معه عبيدُ الله بن عليّ بن أبي طالب ، ونزل مصعب ، نهرَ البصريّين على شطّ الفرات ، وحفّرَ هنالك نهرًا فسُمِّيَ نهرَ البصريّين من أجل ذلك . قال : وخرج المختارُ في عشرين ألفًا حتى وقف بإزائهم وزحف مصعبٌ ومن معه ، فوافوه مع الليل على تعبئة ، فأرسل إلى أصحابه حين أمسى : لا يبرحنَّ أحدٌ منكم موقفه حتى يسمع منادياً ينادى : يا محمد ، فإذا سمعتموه فاحملوا . فقال رجل من القوم من أصحاب المختار : هذا والله كذاب على الله ، وإنحازَ ومن معه إلى المصعب ، فأمهّل المُسَخْتار حتى إذا طلع القمرُ أمر منادياً ، فنادى : يا محمد ؛ ثمّ حمسوا على مُصعب وأصحابه فتهزموهم ، فأدخلوه عسكره ، فلم يزالوا يقاتلونهم حتى أصبحوا وأصبح المختارُ وليس عنده أحد ، وإذا أصحابه قد وغسوا في أصحاب مصعب ، فانصرف المختارُ منهزماً حتى دخل قصر الكوفة ، فجاء أصحابُ المُسَخْتار حين أصبحوا ، فوقفوا ملكياً ، فلم يروا المختار ، فقالوا : قد قُتِل ، فهرب منهم من أطاق الهرب ، واختصوا في دُور الكوفة ، وتوجّه منهم نحو القصر ثمانية آلاف لم يسجدوا من يقاتل بهم ، ووجدوا المختارَ في القصر ، فدسّخوا معه ، وكان أصحاب المختار ، قتلوا^(١) في تلك الليلة من أصحاب مصعب^(١) بشراً كثيراً ، فيهم محمد بن الأشعث ، وأقبل مصعبٌ حين أصبح حتى أحاط بالقصر ، فأقام مصعبٌ يحاصره أربعة أشهرٍ يخرج إليهم في كل يوم فيقاتلهم في سوق الكوفة من وجه واحد ، ولا يُقدّر عليه حتى قُتِل المختار ، فلما قُتِل المختار بعث من في القصر يطلب الأمان ، فأبى مصعب حتى نزلوا على حكمه ، فلما نزلوا على حكمه قُتِل من العرب سبعمائة أو نحو ذلك ، وسائرهم

٧٤٩/٢

(١-١) ف : « من أصحاب مصعب في تلك الليلة » .

من العجم ؛ قال : فلما خرجوا أراد مصعب أن يقتل العجم ويترك العرب ، فكلسه من معه ، فقالوا : أى دين هذا ؟ وكيف ترجو النصر وأنت تقتل العجم وتترك العرب ودينهم واحد ! فقد مهم فصرَبَ أعناقهم .

قال أبو جعفر : وحدثنى عمرُ بنُ شبة ، قال : حدثنا عليُّ بن محمد ، قال : لما قُتِلَ المختار شاور مصعبُ أصحابه في المحصورين الذين نزلوا على حكمه ، فقال عبدُ الرحمن بنُ محمد بنِ الأشعث ومحمد بنُ عبد الرحمن ابنِ سعيد بنِ قيس وأشباههم ممن وترهم المُختار : اقتلهم ، وضججت ضببته ، وقالوا : دمُ مُنذر بنِ حسان ؛ فقال عبيد الله بن الحُرّ : أيتها الأمير ، ادفغ كلَّ رجلٍ في يديك إلى عشيرته ممن عليهم بهم ، فإنهم إن كانوا قتلونا فقد قتلناهم ، ولا غنى بنا عنهم في ثغورنا ، وادفع عبيدنا الذين في يديك إلى مواليتهم فإنهم لأيتامنا وأراميلنا وضُعفائنا ، يردونهم إلى أعمالهم ، واقتل هؤلاء الموالى ، فإنهم قد بدأكفرهم ، وعظم^(١) كبرهم ، وقلَّ شكرهم . فضحك مصعب وقال للأحنف : ما ترمى يا أبا بَحْر ؟ قال : قد أردني زيادٌ فعصيته - يغرّض بهم - فأمر مصعب بالقوم جميعاً فقتلوا ، وكانوا ستة آلاف ، فقال عقيبُ الأسدي :

قتلتم ستة آلاف صبراً مع العهد الموثق مكتفينا
جعلتم ذمة الحبطي جسراً ذلولاً ظهره ليلواطئينا
وما كانوا غداة دُعوا فغروا^(٢) بعهدهم بأول حائنيننا
وكنتم أمرتهم لو طوعوني بضرَبٍ في الأزقة مُصليننا
وقُتِلَ المختارُ - فيما قيل - وهو ابنُ سبع وستين سنة ، لأربع عشرة نخلت من شهر رمضان في سنة سبع وستين .

فلما فرغ مصعب^(٣) من أمر المختار وأصحابه ، وصار إليه إبراهيم ابنُ الأشتر وجهُ المهلب بنُ أبي صفرة على الموصل والجزيرة وآذربيجان وأرمينية وأقام بالكوفة .

(١) ف : «ظهر» . (٢) ف : «فغروا» . (٣) ف : «المصعب» .

[خبر عزل عبد الله بن الزبير أخاه المصعب]

وفي هذه السنة عزل عبد الله بن الزبير أخاه مصعب بن الزبير عن البصرة ، وبعث بابنه حمزة بن عبد الله إليها ، فاختلف في سبب عزله إياه عنها ، وكيف كان الأمر في ذلك .

فقال بعضهم في ذلك ما حدثني به عمر ، قال : حدثني علي بن محمد قال : لم يزل المصعب على البصرة حتى سار منها إلى المختار ، واستخلف على البصرة عبيد الله بن معمر ، فقتل المختار ، ثم وفد إلى عبد الله بن الزبير فعزله وحبسه عنده ، واعتذر إليه من عزله ، وقال : والله إني لأعلم أنك أحرى وأكفى من حمزة ، ولكني رأيت فيه رأى عثمان في عبد الله بن عامر حين عزل أبا موسى الأشعري وولاه .

وحدثني عمر ، قال : حدثني علي بن محمد ، قال : قدم حمزة البصرة والياً ، وكان جواداً سخياً مخلطاً ، يجود أحياناً حتى لا يدع شيئاً يملكه ، ويمنع أحياناً ما لا يمنع مثله ، فظهرت منه بالبصرة خفة وضعف ، فيقال : إنه ركب يوماً إلى فيض البصرة ، فلما رآه قال : إن هذا الغدير إن رفقوا به ليكفيهم صيغتهم ، فلما كان بعد ذلك ركب إليه فوافقهم جازراً ، فقال : قد رأيت هذا ذات يوم ، وظننت أن لن يكفيهم ، فقال له الأحنف : إن هذا ماء يأتينا ثم يغيض عنا . وشخص إلى الأهواز ، فلما رأى جبلتها قال : هذا قعيتقان - لموضع بمكة - فسمى الجبل قعيتقان ، وبعث إلى مرذان شاه فاستحثه بالخراج ، فأبطأ به ، فقام إليه بسيفه فضربه فقتله ، فقال الأحنف : ما أحد سيف الأمير !

حدثني عمر ، قال : حدثني علي بن محمد ، قال : لما خلط حمزة بالبصرة وظهر منه ما ظهر ، وهمم بعبد العزيز بن بشر أن يضربه ، كتب الأحنف إلى ابن الزبير بذلك ، وسأله أن يعيد مصعباً . قال : وحمزة الذي عقد لعبد الله بن عمير الليثي على قتال النجدية بالبحرين .

حدثني عمر، قال : حدثنا علي بن محمد، قال : لما عزل ابن الزبير حمزة احتسمل مالا كثيرا من مال البصرة، فعرض له مالك بن مسهم، فقال : لا ندعك تخرج بأعطياتنا . فضمن له عبيد الله بن عبيد بن مسمر العطاء، فكف، وشخص حمزة بالمال، فترك أباه وأتى المدينة، فأودع ذلك المال رجالا، فذهبوا به إلا يهوديا كان أودعه فوفى له، وعلم ابن الزبير بما صنع، فقال : أبعد الله ! أردت أن أباهي به بنى مروان فنكص .

وأما هشام بن محمد فإنه ذكر عن أبي مخنف في أمر مصعب وعزل أخيه إياه عن البصرة وردّه إياه إليها غير هذه القصة، والذي ذكر من ذلك عنه في سياق خبر حدثت به عنه (١)، عن أبي المسخارق الراسبي، أن مصعبا لما ظهر على الكوفة أقام بها سنة معزولا عن البصرة، عزله عنها عبد الله، وبعث ابنه حمزة، فمكث بذلك سنة؛ ثم إنه وفد على أخيه عبد الله بمكة، فردّه على البصرة .

وقيل : إن مصعبا لما فرغ من أمر المختار انصرف إلى البصرة وولّى الكوفة الحارث بن عبد الله بن أبي ربيعة . قال : وقال محمد بن عمر : لما قتل مصعب المختار ملك الكوفة والبصرة .

وحجّ بالناس في هذه السنة عبد الله بن الزبير . وكان عامله على الكوفة مصعب، وقد ذكرت اختلاف أهل السير في العامل على البصرة . وكان على قضاء الكوفة عبد الله بن عتبة بن مسعود، وعلى قضاء البصرة هشام بن هبيرة، وبالشام عبد الملك بن مروان وكان على خراسان عبد الله بن خازم السلمي .

٧٥٣/٢

ثم دخلت سنة ثمان وستين

ذكر الخبر عما كان فيها من الأمور الجليلة

فمن ذلك ما كان من ردِّ عبدِ الله أخاه مُصعباً إلى العراق أميراً ، وقد ذكرنا السبب في ردِّ عبدِ الله أخاه مُصعباً إلى العراق أميراً بعد عزله إياه ، ولما رده عليها أميراً بعث مصعبُ الحارثَ بنَ أبي ربيعة على الكوفة أميراً ، وذلك أنه بدأ بالبصرة مَرَجِعَهُ إلى العراق أميراً بعد العزل ، فصار إليها .

* * *

[ذكر الخبر عن رجوع الأزارقة من فارس إلى العراق]

وفي هذه السنة كان مَرَجِعُ الأزارقة من فارس إلى العراقِ حتى صاروا إلى قرب الكوفة ، ودخلوا المدائن .

* ذكر الخبر عن أمرهم ومسيرهم ومَرَجِعِهِمْ إلى العراق :

ذكر هشامٌ ، عن أبي مخنف ، قال : حدثني أبو المخارق الراسبي ، أن مُصعباً وجهَ عمرَ بنَ عبيدِ الله بنِ معمرَ على فارسَ أميراً ، وكانت الأزارقةُ لحقت بفارسَ وكرمانَ ونواحي أصبَهانَ بعد ما أوقعَ بهم المهلبُ بالأهواز ، فلما شخص المهلبُ عن ذلك الوجه ووجهَ إلى الموصل ونواحيها عاملاً عليها ، وعمر بن عبيد الله بن معمر على فارسَ ، انحطت الأزارقةُ مع الزبير بن الماحوز على عُمَرَ بنِ عبيدِ الله بفارسَ ، فلقيتهم بسابورَ ، فقاتلتهم قتالا شديداً ، ثم إنه ظفرَ بهم ظفراً بيتاً ، غيرَ أنه لم يكن بينهم كثيرٌ (١) قتلتسى ، وذهبوا (٢) كأنهم على حامسية ، وقد تركوا على ذلك المعركة .

قال أبو مخنف : فحدثني شيخُ للحى بالبصرة ، قال : إنى لأسمعُ قراءةَ

كتابِ عمرَ بنِ عبيدِ الله (٣) :

(١) ف : « كبير » . (٢) ف : « فركبوا » .

(٣) بدلها في ف : « ابن معمر » .

بسم الله الرحمن الرحيم . أما بعد ، فإني أخبرُ الأميرَ أصلحَحه الله أني لقيتُ الأزارقة التي سرقتُ من الدين واتبعتُ أهواءها بغيرِ هُدَى من الله ، فقاتلتُهُم بالمسلمين ساعةً من النهار أشدَّ القتال . ثمَّ إنَّ الله ضربَ وجوهَهُم وأدبارَهُم ، ومنحنا أكتافَهُم ، فقتل اللهُ منهم مَن خابَ وخسر ، وكلُّ إلى خُسْران . فكتبتُ إلى الأميرِ كتابي هذا وأنا على ظَهْرِ فَرَسِي في طلبِ القوم ، أرجو أن يجزئَهُم (١) الله إن شاء الله ؛ والسلام .

ثمَّ إنَّه تبعَهُم ومضوا من فورهم ذلك حتَّى نزلوا إصطخْرَ ، فسارَ إليهم حتَّى لقيَهُم على قنطرة طَمَسْتان (٢) ، فقاتلَهُم قتالا شديداً ، وقتل ابنهُ . ثمَّ إنَّه ظفِرَ بِهِم ، فَتَقَطَّعُوا قنطرةً طَمَسْتان ، وارتفعوا إلى نحو من أصبِهان وكَرْمان ، فأقاموا بها حتَّى اجتَسَبَرُوا وقَوُّوا ، واستعدوا وكشروا ، ثمَّ أقبلوا حتَّى مروا بفارسَ وبها عمرُ بنُ عُبيد الله بنِ معمر ، فَتَقَطَّعُوا أرضه من غيرِ الوجهِ اللَّذِي كان فيه أخذوا على سابور ، ثمَّ خرجوا على أَرْجان ، فلمَّا رأى عمرُ بنُ عُبيد الله أنْ قد قطعت الخوارجُ أرضه متوجِّهةً إلى البصرة خشي ألاَّ يحتملها له مُصعبُ بنُ الزبير ، فشمَّرَ في آثارهم مُسرِّعاً حتَّى أتى أَرْجان ، فوجدَهُم حينَ خرجوا منها متوجِّهين قِبَلَ الأهواز ، وبلغَ مُصعباً (٣) إقبالَهُم ، فَخَرَجَ فعسكر بالناس بالجسر الأكبر ، وقال : والله ما أدري ما اللذي أغنى عني أنْ وضعتُ عمرَ بنَ عُبيد الله بفارسَ ، وجعلتُ معه جُنُوداً أجرى عليهم أرزاقَهُم في كلِّ شهر ، وأوقيتهم أعطياتِهِم في كلِّ سنة ، وأمرُهُم من المتعاون في كلِّ سنة بمثلِ الأعطيات ، تَقَطَّعَ أرضه الخوارجُ إلى ! وقد قطعتُ علته فأمددته بالرجال وقويتَهُم ، والله لو قاتلَهُم ثمَّ فرَّ كان أعذرَ له عندي ، وإن كان الفارَّ غيرَ مقبولِ العذر ، ولا كريمِ الفعل .

وأقبلت الخوارجُ وعليهم الزبيرُ بن الماحوز حتَّى نزلوا الأهواز ، فأتتَهُم عيونهم أن عمر بن عُبيد الله في أثرهم ، وأنَّ مصعبَ بن الزبير قد خرج من البصرة إليهم ، فقام فيهم الزبيرُ فحمد الله وأثنى عليه ثمَّ قال : أمَّا بعد ، فإنَّ

(١) س : « ويخزيهم » . (٢) س : « طمسيان » ، ف : « طميسان » ، وفي أمن

غير نقط . (٣) ف : « وبلغ ذلك مصعباً » .

مِنْ سَوْءِ الرَّأْيِ وَالْحَيْرَةِ^(١) وَقُوْعَكُمْ فِيمَا بَيْنَ هَاتَيْتَيْنِ الشَّوْكَتَيْنِ ، انْهَضُوا
بِنَا إِلَى عَدُوِّنَا نَلْقَهُمْ مِنْ وَجْهِ وَاحِدٍ . فَسَارَ بِهِمْ حَتَّى قَطَعَ بِهِمْ أَرْضَ
جَبُوحَى ، ثُمَّ أَخَذَ عَلَى النَّهْرِ وَأَنَات ، ثُمَّ لَزِمَ شَاطِئَ دِجْلَةَ حَتَّى خَرَجَ عَلَى
الْمَدَائِنِ وَبِهَا كَرْدَمُ بْنُ مَرْثَدِ بْنِ نَجْبَةَ الْفَزَارِيِّ ، فَشَنُوا الْغَارَةَ عَلَى أَهْلِ
الْمَدَائِنِ ، يُقْتَلُونَ الْوُلْدَانَ وَالنِّسَاءَ وَالرِّجَالَ ، وَيَقْتَلُونَ الْحَبَّالِيَّ ، وَهَرَبَ
كُرْدَمُ ، فَأَقْبَلُوا إِلَى سَابِطٍ فَوَضَعُوا أَسْيَافَهُمْ فِي النَّاسِ ، فَتَقَتَلُوا أُمَّ وَوَلَدَ لِرَبِيعَةَ
ابْنِ مَاجِدٍ^(٢) ، وَقَتَلُوا بُسْنَانَ ابْنَةَ أَبِي يَزِيدَ بْنِ عَاصِمِ الْأَزْدِيِّ ، وَكَانَتْ قَدْ
قَرَأَتْ الْقُرْآنَ ، وَكَانَتْ مِنْ أَجْمَلِ النَّاسِ ، فَلَمَّا غَشَوْهَا^(٣) بِالسَّيْفِ قَالَتْ :
وَيَحْسَبُكُمْ أَهْلُ سَمْعَمٍ بِأَنَّ الرِّجَالَ كَانُوا يُقْتَلُونَ وَالنِّسَاءُ وَيَحْسَبُكُمْ اتَّقَتَلُونَ مَنْ
لَا يَبْسُطُ إِلَيْكُمْ يَدًا ، وَلَا يَرِيدُ بِكُمْ ضَرْبًا ، وَلَا يَمْلِكُ لِنَفْسِهِ نَفْعًا ! أَتَقْتَلُونَ
مَنْ يُشْشَأُ فِي الْحَلِيَّةِ وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مُسْبِيْنٍ ! فَقَالَ بَعْضُهُمْ : اقْتُلُوهَا ،
وَقَالَ رَجُلٌ مِنْهُمْ : لَوْ أَنَّكُمْ تَرَكْتُمُوهَا ! فَقَالَ بَعْضُهُمْ : أَعْجَبَكَ جَمَالُهَا
يَا عَدُوَّ اللَّهِ ! قَدْ كَفَرْتَ وَافْتَنَسْتَنْتَ ، فَانصُرْ الْآخِرُ عَنْهُمْ وَتَرَكْتَهُمْ ، فَظَنْنَا
أَنَّهُ فَارَقَهُمْ ، وَحَمَلُوا عَلَيْهَا فَقَتَلُوهَا ، فَقَالَتْ رَيْطَةُ بِنْتُ يَزِيدَ : سُبْحَانَ
اللَّهِ ! أَتَرَوْنَ اللَّهَ يَرْضَى بِمَا تَصْنَعُونَ ! تَقْتَلُونَ النِّسَاءَ وَالصَّبِيَّانَ وَمَنْ لَمْ
يُذْنَبْ إِلَيْكُمْ ذَنْبًا ! ثُمَّ انصُرْتُ وَحَمَلُوا عَلَيْهَا وَبَيْنَ يَدَيْهَا الرَّوَاعِ بِنْتُ
إِيَّاسِ بْنِ شُرَيْحِ الْهَمْدَانِيِّ ، وَهِيَ ابْنَةُ أُخِيهَا لِأُمِّهَا ، فَحَمَلُوا عَلَيْهَا فَضَرَبُوهَا
عَلَى رَأْسِهَا بِالسَّيْفِ ، وَيَصِيبُ ذُبَابُ السَّيْفِ رَأْسَ الرَّوَاعِ فَسَقَطْنَا جَمِيعًا
إِلَى الْأَرْضِ ، وَقَاتَلَهُمْ إِيَّاسُ بْنُ شُرَيْحِ سَاعَةً ، ثُمَّ صُرِعَ فَتَوَقَّعَ بَيْنَ
الْقَتْلَى ، فَتَزَعَوْا عَنْهُ وَهُمْ يَبْرُونَ أَنَّهُمْ قَدْ قَتَلُوهُ ، وَصُرِعَ مِنْهُمْ رَجُلٌ مِنْ بَكْرِ
ابْنِ وَائِلٍ يُقَالُ لَهُ : رَزِينُ بْنُ الْمُتَوَكَّلِ .

فَلَمَّا انصَرَفُوا عَنْهُمْ لَمْ يَمِتْ غَيْرُ بُسْنَانَ بِنْتُ أَبِي يَزِيدَ ، وَأُمَّ وَوَلَدَ رَبِيعَةَ
ابْنِ نَاجِدٍ ، وَأَفَاقَ سَائِرُهُمْ ، فَسَقَتِي بَعْضُهُمْ بَعْضًا مِنَ الْمَاءِ ، وَعَصَبُوا جِرَاحَاتِهِمْ
ثُمَّ اسْتَأْجَرُوا دَوَابَّ ، ثُمَّ أَقْبَلُوا نَحْوَ الْكُوفَةِ .

قَالَ أَبُو مِخْنَسَفٍ : فَحَدَّثْتَنِي الرَّوَاعِ ابْنَةَ إِيَّاسِ ، قَالَتْ : مَا رَأَيْتُ

(١) س : «والحين» . (٢) ف : «ناحد» ، س : «ناجز» . (٣) ف : «أن غشوها» .

رجلاً قطّ كان أجبين من رجل كان معنا وكانت معه ابنته ، فلما غشينا ألقاها إلينا وهرب عنها وعنّا (١) ولا رأينا رجلاً قطّ كان أكرم من رجل كان معنا ، ما نعرفه ولا يعرفنا ، لمّا غشينا قاتل دوننا حتى صرّح بيننا ، وهو رُزين بن المتوكّل البكريّ . وكان بعد ذلك يزورنا ويواصلنا . ثمّ إنّه هلك في إمارة الحسجّاج ، فكانت ورثته الأعراب ، وكان من العباد الصالحين .

قال هشام بن محمّد - وذكره عن أبي مخنف - قال : حدثني أبي ، عن عمّه أنّ مُصعب بن الزبير كان بعث أبا بكر بن مخنف على إسّتان العال ، فلما قدّم الحارث بن أبي ربيعة أقصاه ، ثمّ أقرّه بعد ذلك على عمله السّنة الثانية ، فلما قدّمت الخوارج المدائن سرّحوا إليه عصابة منهم ، عليها صالح بن مخرق ، فلقية (٢) بالكرخ فقاتله ساعة ، ثمّ تنازّلوا فنزل أبو بكر ونزلت الخوارج ، فقتل أبو بكر ويسار مولاة وعبد الرحمن بن أبي جيعال ، ورجل من قومه ، وانتهزم سائر أصحابه ، فقال سرّاقة بن مرداس البارقي في بطن من الأزد :

ألا يا قومي للهوم الطوارق
ومقتل غطريف كريم نجاره
أتاني دوين الخيف قتل ابن مخنف
فقلت : تلقاك الإله برحمة
لحا الله قوماً عرّدوا عنك بكرة
تولّوا فأجلّوا بالضحي عن زعيمنا
فأنت متى ما جئتنا في بيوتنا
وللحدّث الجائي بإحدى الصّفائق (٣)
من المقدّمين الذّائدين الأصادق (٤)
وقد عوّرت أولى النجوم الخوافق
وصلّى عليك الله ربّ المشارق
ولم يصبروا للامعات البوارق
وسيدنا في المازق المتضايق
سمعت عويلاً من عوان وعاتق

٧٥٨/٢

(١) ف : « عنا وضها » .

(٢) ديوانه ٥٣ - ٥٦ ، مع اختلاف في الرواية .

(٣) ١ : « المقلّمين بالسلين » .

(٤) ف : « فلقيم » .

يُبَكِّينَ محمودَ الضَّرْبِيَّةَ ماجداً صَبوراً لَدَى الهَيْجَاءِ عِنْدَ الحَقَائِقِ
لقد أَصْبَحَتْ نَفْسِي لِدَاكِ حَزِينَةً وشَابَتْ لِمَا حَمَلْتُ مِنْهُ مَفَارِقِي
قال أبو مخنف : فحدثني حنْدَرَةُ بن عبدِ الله الأزدِيّ ، والنَّضْرُ
ابنُ صالحِ العَبَسِيِّ ، وفضيل بن خندِيج ، كلهم أخبرني^(١) أن الحارث بن
أبي ربيعة [الملقب بالقُبَاع] ^(٢) أتاه أهلُ الكوفة ، فصاحوا إليه وقالوا له :
اخرجْ فإنَّ هذا عدوٌّ لنا قد أَظْلَمَ علينا ^(٣) ليست له تقيَّةٌ ، فخرج
وهو يكدُّ كدًّا ^(٤) حتَّى نزل النُّخَيْلَةَ ، فأقامَ بها أياماً ، فوثبَ إليه
إبراهيمُ بنُ الأشتر ، فحمده الله وأثنى عليه ثمَّ قال : أمَّا بعد ، فإنه
سار إلينا عدوٌّ ليست له تقيَّةٌ ^(٥) ، يقتل الرجل والمرأة والمولود ، ويخيف
السبيل ، ويخرب البلاد ، فانهض بنا إليه ، فأمر بالرحيل . فخرج فتزل ^(٦)
دير عبد الرحمن ، فأقام فيه حتَّى دخل إليه شبَّث بن ربعي ، فكلَّمه
بنحو ممَّا كلَّمه به ابنُ الأشتر ، فارتحل ولم يكدِّ ، فلمَّا رأى الناسُ بَطْءَ
سَيْرِهِ رَجَزُوا به فقالوا :

٧٥٩/٢

سَارَ بِنَا القُبَاعُ سَيْرًا نُكْرًا يَسِيرُ يَوْمًا وَيُقِيمُ شَهْرًا
فأشخصوه من ذلك المكان ، فكلَّمنا نزل بهم منزلاً أقامَ بهم حتَّى
يضجَّ النَّاسُ به من ذلك ، ويصيحوا به حولَ فُسْطَاطِهِ ، فلم يبلُغ الصِّرَاةَ إلَّا
في بضعةَ عشرَ يوماً ، فأتى الصِّرَاةَ وقد انتهت إليها طلائعُ العدوِّ وأوائلُ
الخَيْولِ ، فلما أتنَّهم العيونُ بأنَّه قد أتاهم جماعةُ أهلِ المِصرِ قَطَعُوا
الجِسْرَ بينهم وبين النَّاسِ ، وأخذ النَّاسُ يترتجزون :

إِنَّ القُبَاعَ سَارَ سَيْرًا مَلَسًا بَيْنَ دَبِيرَى وَدَبَاهَا خَمْسًا

قال أبو مخنف : وحدثني يونسُ بنُ أبي إسحاق ، عن أبيه ، أن
رجلاً من السَّبْعِ كان به لَمَسَمٌ ، وكان بقرية يقال لها جَوْبَسَر ^(٧) عند الحرارة ،

٧٦٠/٢

(١) ف : « وأخبروا جميعاً » .
(٢) س : « أقبل إلينا » ، ف : « أظلنا » .
(٣) ف : « بكدا وكذا » .
(٤) ط : « بقية » . (٥) ف : « حتى نزل » . (٦) س : « جوين » .
(٧) من ف .

وكان يُدعى سِمَاكَ بنَ يزيد ، فأتت الخوارجُ قريتهُ فأخذوه وأخذوا ابنته ، فقدّموا ابنته فقتلوا ، وزعم لي أبو الربيع السلّولى أن اسم ابنته أمّ يزيد ، وأنّها كانت تقول لهم : يا أهلَ الإسلام ، إنّ أبى مُصاب فلا تقتلوه ، وأمّا أنا فإنّما أنا جارية ، والله ما أتيتُ فاحشةً قطّ ، ولا آذيتُ جارةً لي قطّ ، ولا تطلّعتُ ولا تشرفّتُ قطّ . فقدّموا ليقتلوا ، فأخذتُ تُنادى : ما ذنبي ما ذنبي اثمّ سقطتُ مغشياً عليها أو ميّتة ، ثمّ قطعوها ، بأسيا فهم . قال أبو الربيع : حدّثنى بهذا الحديث ظيّر لها نصرانيةً من أهلِ الخوارجِ نقت كانت معها حين قُتلت .

قال أبو ميخنف : حدّثنى يونسُ بنُ أبي إسحاق ، عن أبيه ، أن الأزارقة جاءت بِسِمَاكِ بنِ يزيد معهم حتّى أشرّفوا على الصّراة . قال : فاستقبل عسكرنا ، فرأى جماعة الناس وكثرتهم ، فأخذ ينادينا ويرفع صوته : اعبروا إليهم فإنّهم قتلٌ خبيثٌ ، فضربوا عند ذلك عنقه وصلّبوه ونحن نسنظر إليه . قال : فلمّا كان الليلُ عبرتُ إليه وأنا رجل من الحى . فأنزلناه فدَفَنَاهُ .

قال أبو مخنف : حدّثنى أبى أن إبراهيمَ بنَ الأشتر قال للحارث بنِ أبى ربيعة : اندب معى الناسَ حتّى أعبّر إلى هؤلاء الأكلب ، فأجيبك برؤسهم الساعة ؛ فقال شبّث بن ربيعٍ وأسماءُ بنُ خارجة ويزيدُ ابن الحارث ومحمّد بن الحارث ومحمّد بن عمير : أصلح الله الأمير ! دعهم فليذهبوا ، لا تبدأهم ؛ قال : وكانهم حسّدوا إبراهيمَ ابنَ الأشتر .

٧٦١/٢

قال أبو ميخنف : وحدّثنى حصيرةُ بن عبد الله وأبو زهير العبسى أن الأزارقة لما انتهوا إلى جسر الصّراة فرأوا أن جماعة أهل المصرقد خرجوا إليهم ، قطعوا الجسر ، واغتنم ذلك الحارث ، فتحبس . ثمّ إنّه جلس للناس فحمد الله وأنّى عليه ، ثمّ قال : أمّا بعد ، فإنّ أوّل القتال الرميّاً بالنبل ، ثمّ لإشراع الرماح ، ثمّ الطعن بها شتراً ؛ ثمّ السّلة آخر ذلك كلّه .

قال : فقام إليه رجل فقال ، قد أحسن الأمير أصلحه الله الصفة ، ولكن حَتْمًا نَصْنَعُ هَذَا وَهَذَا الْبَحْرَ بَيْنَنَا وَبَيْنَ عَدُوِّنَا ! مَرٌّ بِهَذَا الْجِسْرِ فليُعَدَّ (١) كما كان ، ثم اعْبُرْ بنا لإيهم ، فإنَّ الله سيريك فيهم ما تُحِبُّهُ ، فأمر بالجر فأعيدَ ، ثم عبر الناسُ لإيهم فطاروا حتَّى انتهوا إلى المدائن . وجاء المسلمون حتَّى انتهوا إلى المدائن ، وجاءت خيل لهم فطاردت خيلاً للمسلمين طَرْدًا ضَعِيفًا عند الجِسْرِ . ثمَّ إنَّهم خرجوا منها فأتبعهم (٢) الحارثُ بنُ أبي ربيعةَ عبدَ الرَّحْمَنِ بنِ مِخْنَفٍ في سَنَةِ آلاَفٍ لِيُخْرِجَهُمْ مِنْ أَرْضِ الْكُوفَةِ ، فإِذَا وَقَعُوا فِي أَرْضِ الْبَصْرَةِ خَلَّاهُمْ (٣) فَأَتَبَعَهُمْ حَتَّى إِذَا خَرَجُوا مِنْ أَرْضِ الْكُوفَةِ وَوَقَعُوا إِلَى أَصْبَهَانَ انصرف (٤) عنهم ولم يقاتلهم ، ولم يكن بينه وبينهم قتال ، ومضوا حتَّى نزلوا بعَتَّابِ بنِ رِقَاءِ بِحَتَّى ، فأقاموا عليه وحاصروه ، فخرج لإيهم فقاتلهم فلم يُطِيقَهُمْ ، وشَدَّوا على أصحابه حتَّى دخلوا المدينة ، وكانت أَصْبَهَانَ يَوْمَئِذٍ طُعْمَةً لِإِسْمَاعِيلِ بنِ طَلْحَةَ مِنْ (٥) مُصْعَبِ بنِ الزُّبَيْرِ ، فبعث عليها عَتَّابًا ، فَصَبَّرَ لَهُمْ عَتَّابٌ ، وَأَخَذَ يَخْرِجُ إِلَيْهِمْ فِي كُلِّ يَوْمٍ فَيُقَاتِلُهُمْ عَلَى بَابِ الْمَدِينَةِ ، وَيَرْمُونَ مِنَ السُّورِ بِالنَّبْلِ وَالنَّشَابِ وَالْحِجَارَةِ ، وَكَانَ مَعَ عَتَّابِ رَجُلٌ مِنْ حَضْرَمَوْتٍ يُقَالُ لَهُ أَبُو هُرَيْرَةَ بنُ شَرِيحٍ ، فَكَانَ يَخْرِجُ مَعَ عَتَّابِ ، وَكَانَ شَجَاعًا ، فَكَانَ يَحْمِلُ عَلَيْهِمْ وَيَقُولُ :

كَيْفَ تَرَوْنَ يَا كِلَابَ النَّارِ شَدَّ أَبِي هُرَيْرَةَ الْهَرَّارِ
يَهْرِكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ يَا بَنِي الْمَاحِزِ وَالْأَشْرَارِ

* كَيْفَ تُرَى جِيَّ عَلَى الْمِضْمَارِ ! *

فلمَّا طَالَ ذَلِكَ عَلَى الْخَوَارِجِ مِنْ قَوْلِهِ كَتَمَنَ لَهُ رَجُلٌ مِنَ الْخَوَارِجِ يَظُنُّونَ أَنَّهُ عَبِيدَةُ بنِ هَلَالٍ ، فَخَرَجَ ذَاتَ يَوْمٍ فَصَنَعَ كَمَا كَانَ يَصْنَعُ ، وَيَقُولُ كَمَا كَانَ يَقُولُ ، إِذْ حَمَلَ عَلَيْهِ عَبِيدَةُ بنُ هَلَالٍ فَضَرَبَهُ بِالسِّيفِ ضَرْبَةً عَلَى جَبَلٍ عَاتِقِهِ فَصَرَعَهُ ، وَحَمَلَ أَصْحَابُهُ عَلَيْهِ فَاحْتَمَلُوهُ فَأَدْخَلُوهُ

(١) ف : « فليعد » . (٢) ف : « وأتبعهم » . (٣) ف : « جلاهم » .

(٤) ف : « فانصرف » . (٥) ط : « بن » ، وانظر الفهرس . (٦) ط : « أيام » .

وداؤوه، وأخذت الأزارقة بعد ذلك تُناديهم يقولون^(١) : يا أعداء الله، ما فعلت أبو هريرة الهزار^(٢) ؟ فينادونهم: يا أعداء الله، والله ما عليه من بأس، ولم يلبث أبو هريرة أن برى، ثم نخرج عليهم بعد، فأخذوا يقولون: يا عدو الله، أما والله لقد رجونا أن نكون قد أزرناك أمك، فقال لهم: يا فساق، ما ذكركم أمي! فأخذوا يقولون: إنه ليغضب لأمه، وهو آتيا عاجلا. فقال له أصحابه: ويحك! إنما يبعثون النار، ففطن فقال: يا أعداء الله، ما أعقكم بأمكم حين تنتفون منها! إنما تلك أمكم، وإليها مصيركم. ثم إن الخوارج أقامت عليهم شهرا حتى هلك كراعهم، ونفدت أطعمتهم، واشتد عليهم الحصار، وأصابهم الجهد الشديد، فدعاهم عتاب بن رقاء فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أما بعد أيها الناس، فإنه قد أصابكم من الجهد ما قد ترون، فوالله إن بقي إلا أن يموت أحدكم على فراشه فيجىء أخوه فيسد فيه إن استطاع؛ وبالحرى أن يضعف عن ذلك، ثم يموت هو فلا يجد من يدفنه، ولا يصلّي عليه، فاتسقوا الله، فوالله ما أنتم بالقليل الذين تهون شوكتهم على عدوهم، وإن فيكم لفسرسان أهل المصّر، وإنكم لصلحاء. من أنتم منه! اخرجوا بنا إلى هؤلاء القوم وبكم حياة وقوة قبل ألا يستطيع رجل منكم أن يمشى إلى عدوه من الجهد، وقبل ألا يستطيع رجل أن يمتنع من امرأة لو جاءته، فقاتل رجل عن نفسه وصبر وصدق، فوالله إنى لأرجو إن صدقتموه أن يظفركم الله بهم، وأن يظهركم عليهم. فناداه الناس من كل جانب: وفقت وأصبت، اخرج بنا إليهم، فجمع إليه الناس من الليل، فأمر لهم بعشاء كثير، فمشى الناس عنده؛ ثم إنّه خرج بهم حين أصبح على راياتهم، فصبّحهم في عسكرهم^(٣) وهم آمنون من أن يؤتوا في عسكرهم، فشددوا عليهم في جانبه، فضاربهم فأخلوا عن وجه العسكر حتى انتهوا إلى الزبير بن الماحوز، فنزل في عصابة من أصحابه فقاتل حتى قتل، وانحازت الأزارقة إلى قاطرى، فبايعوه،

٧٦٤/٢

(١) ف: «ويقولون» . (٢) ف: «الفرار» .

(٣) ف: «وم في عسكرهم» .

وجاء عتّاب حتّى دخل مدينته ، وقد أصاب من عسكرهم ماشاء ، وجاء قَطْرِيّ في أثره كأنّه يريد أن يقاتله ، فجاء حتى نزل في عسكر الزبير بن الماحوز ، فتزعم الخوارجُ أنّ عيننا لقَطْرِيّ جاءه فقال : سمعتُ عتّاباً يقول : إنّ هؤلاء القومَ إنّ ركبوا بساتِ شحّاج ، وقادوا بساتِ صهّال ، ونزلوا اليومَ أرضاً وغداً أخرى ، فبالحرّى أن يبقوا ؛ فلماً بلغ ذلك قَطْرِيّاً خرج فذهب ونحلاًهم .

قال أبو مخنف : قال أبو زهير العبسيّ وكان معهم : خرجنا إلى قَطْرِيّ من الغد مشاةً مُصَلِّتين بالسيوف ؛ قال : فارتحلوا والله فكان آخر العهد بهم . قال : ثمّ ذهب قَطْرِيّ حتّى أتى ناحيةَ كَرْمَانَ فأقام بها حتّى اجتمعت إليه جموعٌ كثيرةٌ ، وأكل الأرض واجتبي المال وقوى ، ثمّ أقبل حتّى أخذ في أرض أصبهان . ثمّ إنّه خرج من شعب ناشط إلى أيدج ، فأقام بأرض الأهواز والحارث بن أبي ربيعة عامل المُصعب بن الزبير على البصرة ، فكتب إلى مصعب يُخبره أنّ الخوارج قد تحدّرت إلى الأهواز ، وأنّه ليس لهم إلا المهلب ، فبعث إلى المهلب وهو على الموصل والجزيرة . فأمره بقتال الخوارج والمسير إليهم ، وبعث إلى عمّله إبراهيم بن الأشتر ، وجاء المهلب حتّى قدّم البصرة ، وانتخب الناس ، وسار بمن أحبّ ، ثمّ توجه نحو الخوارج ، وأقبلوا إليه حتّى التقوا بسولاف ، فاقتتلوا بها ثمانية أشهرٍ أشدّ قتال رآه الناس ، لا يسقّ بعضهم لبعض من الطعن والضرب ما يصدّ بعضهم عن بعض .

* * *

قال أبو جعفر : وفي هذه السنّة كان القسحطُ الشديدُ بالشام حتّى لم يتقدروا من شدّته على الغزو .

وفيها عسكر عبد الملك بن مروان ببطنان حبيّيب من أرض قنسرين ، فمطروا بها ، فكشّر الوحل فسمّوها ببطنان الطين ، وشتمتا بها عبد الملك ؛ ثمّ انصرف منها إلى دمشق . وفيها قتل عبيد الله بن الحرّ .

[ذكر الخبر عن مقتل عبد الله بن الحر]

* ذكر الخبر عن قتله والسبب الذي جرّ ذلك عليه :

رَوَى أَحْمَدُ بْنُ زُهَيْرٍ ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ مُحَمَّدٍ ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ مُجَاهِدٍ ، أَنَّ عُبَيْدَ اللَّهِ بْنَ الْحَرِّ كَانَ رَجُلًا مِنْ خِيَارِ قَوْمِهِ صَالِحًا وَفَضْلًا ، وَصَلَاةً وَاجْتِهَادًا ، فَلَمَّا قُتِلَ عُمَانُ وَهَاجَ الْهَيْجُ بَيْنَ عَلِيٍّ وَمَعَاوِيَةَ ، قَالَ : أَمَا إِنْ اللَّهُ لَيَعْلَمُ أَنِّي أَحَبُّ عُمَانَ ، وَلَا نُصِرْنَاهُ مِثْنًا . فَخَرَجَ إِلَى الشَّامِ ، فَكَانَ مَعَ مَعَاوِيَةَ ، وَخَرَجَ مَالِكُ بْنُ مِيسَمَةَ إِلَى مَعَاوِيَةَ عَلَى مِثْلِ ذَلِكَ الرَّأْيِ فِي الْعُمَانِيَّةِ ، فَأَقَامَ عُبَيْدُ اللَّهِ عِنْدَ مَعَاوِيَةَ ، وَشَهِدَ مَعَهُ صِفِّينَ ، وَلَمْ يَزَلْ مَعَهُ حَتَّى قُتِلَ عَلَى عَلَيْهِ السَّلَامِ ، فَلَمَّا قُتِلَ عَلَى قُدِّمِ الْكُوفَةِ فَأَتَى إِخْوَانَهُ وَمَنْ قَدْ خَسَفَ فِي الْفِتْنَةِ ، فَقَالَ لَهُمْ : يَا هَوْلَاءُ ، مَا أَرَى أَحَدًا يَنْفَعُهُ اعْتِزَالُهُ ، كُنَّا بِالشَّامِ ، فَكَانَ مِنْ أَمْرِ مَعَاوِيَةَ كَتَيْتَ وَكَيْتَ . فَقَالَ لَهُ الْقَوْمُ : وَكَانَ مِنْ أَمْرِ عَلِيٍّ كَتَيْتَ وَكَيْتَ ، فَقَالَ : يَا هَوْلَاءُ ، إِنْ تُمْكِنُنَا الْأَشْيَاءَ فَاخْلَعُوا عُدْرَتَكُمْ ، وَامْلِكُوا^(١) أَمْرَكُمْ ؛ قَالُوا : سَنَلْتَقِي ، فَكَانُوا يَلْتَقُونَ عَلَى ذَلِكَ .

٧٦٦/٢

فلما مات معاوية هاج ذلك الهيج في فتنة ابن الزبير ، قال : ما أرى قريشًا تنصيف ، أين أبناء الحرّ اثرا فأتاه خديج كل قبيلة ، فكان معه سبعمائة فارس ، فقالوا : مرنا بأمرِك ، فلما هرب عبیدُ الله بنُ زياد ومات يزيد بن معاوية ، قال عبیدُ الله بن الحرّ لفتيانه : قد بين الصبح لذي عيينين ، فإذا شتم ! فخرج إلى المدائن فلم يدع مالا قدّم من الجبيل للسلطان إلا أخذه ، فأخذ منه عطاءه وأعطية أصحابه ، ثم قال : إن لكم شركاء بالكوفة في هذا المال قد استوجبهوه ، ولكن تعجلوا عطاء قابل سلفًا ، ثم كتب لصاحب المال براءة بما قبض من المال ، ثم جعل يتقص الكور على مثل ذلك . قال : قلت : فهل كان يتناول أموال الناس والتجار ؟ قال لي : إنك لغير عالم بأبي الأشرس^(٢) ، والله ما كان في الأرض

(٢) ف : « الأشوس » .

(١) ف : « فاملكوا » .

عَرَبِيٌّ أَغْيَبَ عَنْ حَرَّةٍ وَلَا أَكْفَ عَنْ قَبِيحٍ وَعَنْ شَرَابٍ مِنْهُ ، وَلَكِنْ
 ٧٦٧/٢ إِنَّمَا وَضَعَهُ عِنْدَ النَّاسِ شَعْرُهُ ، وَهُوَ مِنْ أَشْعَرِ الْفَتِيَانِ (١) . فَلَمْ يَزَلْ عَلَى ذَلِكَ
 مِنَ الْأَمْرِ حَتَّى ظَهَرَ الْمُخْتَارُ ، وَبَلَغَهُ (٢) مَا يَتَصَنَعُ بِالسَّوَادِ ، فَأَمَرَ (٣)
 بِأَمْرَاتِهِ أُمَّ سَلْسَمَةَ الْجَعْفِيَّةَ فَحُبِّسَتْ ، وَقَالَ : وَاللَّهِ لَا قَتْلَنَّهُ أَوْ لَا قَتْلَنَ
 أَصْحَابَهُ ، فَلَمَّا بَلَغَ ذَلِكَ عُبَيْدَ اللَّهِ بْنِ الْحُرِّ أَقْبَلَ فِي فِتْيَانِهِ حَتَّى دَخَلَ
 الْكُوفَةَ لَيْلًا ، فَكَسَّرَ بَابَ السِّجْنِ ، وَأَخْرَجَ امْرَأَتَهُ وَكُلَّ امْرَأَةً وَرَجُلًا
 كَانَ فِيهِ ، فَبَعَثَ إِلَيْهِ الْمُخْتَارَ مَنْ يِقَاتِلُهُ ، فَقَاتَلَهُمْ حَتَّى خَرَجَ مِنَ الْمِصْرِ ،
 فَقَالَ حِينَ أَخْرَجَ امْرَأَتَهُ مِنَ السِّجْنِ :

أَلَمْ تَعَلَّمِي يَا أُمَّ تَوْبَةَ أَنْنِي
 وَأَنْتِي صَبَحْتُ السِّجْنَ فِي سُورَةِ الضُّحَى
 فَمَا إِنْ بَرِحْنَا السِّجْنَ حَتَّى بَدَأَ لَنَا
 وَخَدُّ أَسِيلٍ عَنْ فِتَاةٍ حَيِيَّةٍ
 فَمَا الْعَيْشُ إِلَّا أَنْ أُزُورَكَ آمِنًا
 وَمَا أَذْنُ إِلَّا هَمَّةُ النَّفْسِ وَالْهَوَى
 وَمَا زِلْتُ مَحْبُوسًا لِحَبْسِكَ وَاجِمًا
 فَبِاللَّهِ هَلْ أَبْصَرْتُ مِثْلِي فَارِسًا
 وَمِثْلِي يُحَايِ دُونَ مِثْلِكَ إِنْنِي
 أَضَارِبُهُم بِالسَّيْفِ عَنَّا لَتَرْجِعِي
 إِذَا مَا أَحَاطُوا بِبِي كَرَرْتُ عَلَيْهِمْ
 دَعَوْتُ إِلَى الشَّاكِرِيِّ ابْنَ كَامِلٍ
 وَإِنْ هَتَفُوا بِاسْمِي عَطَفْتُ عَلَيْهِمْ
 فَلَا غَرَوْا إِلَّا قَوْلَ سَلْمَى ظَعِينَتِي :

أَنَا الْفَارِسُ الْحَامِي حَقَائِقُ مَذْحِجٍ
 بِكُلِّ فَتَى حَامِي الذُّمَارِ مُدَجِّجٍ
 جَبِينٌ كَقَرْنِ الشَّمْسِ غَيْرُ مُشْنَجٍ
 إِلَيْنَا سَقَاهَا كُلِّ دَانَ مُشَجِّجٍ
 ٧٦٨/٢ كَعَادَتِنَا مِنْ قَبْلِ حَرْبِي وَمُخْرَجِي
 عَلَيْكَ السَّلَامُ مِنْ خَلِيطِ مُسْحَجٍ
 وَإِنِّي بِمَا تَلَقَيْتُنِ مِنْ بَعْدِي شَجٍ
 وَقَدْ وَلَجُوا فِي السِّجْنِ مِنْ كُلِّ مَوْلِجٍ !
 أَشَدُّ إِذَا مَا غَمْرَةٌ لَمْ تَفْرَجِ
 إِلَى الْأَمْنِ وَالْعَيْشِ الرَّفِيعِ الْمُخْرَفِجِ
 كَكَرَّأَبِي شِبْلِينَ فِي الْخَيْسِ مُخْرَجِ
 فَوَلِي حَيْثِيَا رَكْضُهُ لَمْ يُعْرَجِ
 خِيُولَ كِرَامِ الضَّرْبِ أَكْثَرُهَا الْوَجِي
 أَمَا أَنْتَ يَا بَنَ الْحُرِّ بِالْمُتَحَرِّجِ !

(١) ف : « القبيل » . (٢) ف : « فيبلغ المختار » . (٣) س : « أمر » .

دَعِ الْقَوْمَ لَا تَقْتُلُهُمْ وَأَنْجُ سَالماً
وإني لأرجو يابنة الخير أن أرى
ألا حبذا قولي لأحمر طيِّبٌ
وقولي لهذا سِرٌّ وقولي لذا ارتحلُ
وشمّرٌ هَدَاكَ اللهُ بِالْخَيْلِ فَاخْرُجْ
على خير أحوال المومِّلِ فارتجى
ولا بن خُبَيْبٍ قد دنا الصبح فادلج
وقولي لهذا سِرٌّ وقولي لذا ارتحلُ
وجعل يعبث بعمّالِ المختارِ وأصحابه ، ووَثِبَتْ هَمْدَانُ مع المختار
فأحرقوا داره ، وانتهبوا ضيعته بالمجبة والبُدَاة ، فلما بلغه ذلك سار إلى مساه إلى
ضيباع عبد الرحمن بن سعيد بن قيس ، فأنهبها وأنهب ما كان لهمدان
بها ، ثم أقبل إلى السواد فلم يدع مالا لهمداني إلا أخذته ، ففي ذلك
يقول :

٧٦٩/٢

وما ترك الكذاب من جُلِّ مالنا
أفي الحق أن تنهب ضياعي شاكراً^(١)
ألم تعلمي يا أمّ توبة أنني
أشدُّ حيازيمي لكلِّ كريهة
فإن لم أصبِحْ شاكراً بكتيبة
هُمُّ هدموا دارى وقادوا حليلتى
وهم أعجلوها أن تشدَّ خمارها
فما أنا بابن الحرّ إن لم أرعهم
وما جُبِنَتْ خيلى ولكن حملتها
وهى طويلة . قال : وكان يأتي المسدائن فيمرّ بعمّالِ جُوخى فيأخذ
ما معهم من الأموال ، ثم يميل إلى الجبيل ، فلم يزل على ذلك حتى قُتِلَ
المختار ، فلما قُتِلَ المختار قال الناس لمصعب في ولايته الثانية : إن ابن الحرّ شاقٌّ
ابن زياد والمختار ، ولا نأمنه أن يثب بالسواد كما كان يفعل ، فحبسه مُصعب
فقال ابن الحرّ :

٧٧٠/٢

(١) في الأخبار الطوال ٢٩٧ : « أفي الحق أن يجتاح مال كله » .

من مُبْلَغُ الْفِتْيَانِ أَنْ أَحْسَاهُمْ أَتَى دُونَهُ بَابٌ شَدِيدٌ وَحَاجِبَةٌ
بِمَنْزِلَةٍ مَا كَانَ يَرْضَى بِمِثْلِهَا إِذَا قَامَ عَنْتَهُ كَبُولٌ تَجَاوِبَةٌ
عَلَى السَّاقِ فَوْقَ الْكَعْبِ أَسْوَدُ صَامَتْ شَدِيدٌ يُدَانِي خَطْوَهُ وَيُقَارِبُهُ
وَمَا كَانَ ذَا مِنْ عَظْمٍ جُرْمٍ جَنِيثُهُ وَلَكِنْ سَعَى السَّاعَى بِمَا هُوَ كَاذِبُهُ
وَقَدْ كَانَ فِي الْأَرْضِ الْعَرِيضَةَ مَسْلُكٌ وَأَيُّ أَمْرِي ضَاقَتْ عَلَيْهِ مَذَاهِبُهُ !
وَفِي الدَّهْرِ وَالْأَيَّامِ لِلْمَرْءِ عَيْبَرَةٌ وَفِيَا مَضَى إِنْ نَابَ يَوْمًا نَوَائِبُهُ
فَكَلَّمْتُمْ عُسَيْدُ اللَّهِ قَوْمًا مِنْ مَسَدْحِجٍ أَنْ يَأْتُوا مُصْعَبًا فِي أَمْرِهِ ، وَأَرْسَلَ إِلَى
وَجْهِهِمْ ، فَقَالَ : اتُّوا مُصْعَبًا فَكَلِّمُوهُ فِي أَمْرِي ذَاتِهِ ، فَإِنَّهُ حَبَسْتَنِي عَلَى
غَيْرِ جُرْمٍ ، سَعَى بِي قَوْمٌ كَذِبَةٌ وَخَوْفُهُ مَا لَمْ أَكُنْ لِأَفْعَلِهِ ، وَمَا لَمْ يَكُنْ
مِنْ شَأْنِي . وَأَرْسَلَ إِلَى فِتْيَانٍ مِنْ مَسَدْحِجٍ وَقَالَ : الْبَسُوا السَّلَاحَ ، وَخُذُوا
عِدَّةَ الْقِتَالِ ، فَقَدْ أَرْسَلْتُ قَوْمًا إِلَى مُصْعَبٍ يَكْلِمُونَهُ فِي أَمْرِي ، فَأَقْبِمُوا بِالْبَابِ ،
فَإِنْ خَرَجَ الْقَوْمُ وَقَدْ شَفَعْتَهُمْ فَلَا تَعْرِضُوا لِأَحَدٍ ، وَلَيْسَ كُنْ سِلَاحُكُمْ مَكْفُورًا
بِالْثِيَابِ ، فَجَاءَ قَوْمٌ (١) مِنْ مَسَدْحِجٍ فَدَخَلُوا عَلَى مُصْعَبٍ فَكَلِمُوهُ ، فَشَفَعْتَهُمْ ،
فَأُطْلِقَتْهُ . وَكَانَ ابْنُ الْحُرِّ قَالَ لِأَصْحَابِهِ : إِنْ خَرَجُوا وَلَمْ يَشْفَعْتَهُمْ فَكَابِرُوا
السَّجْنَ فَإِنِّي أَعَيْنُكُمْ مِنْ دَاخِلٍ ، فَلَمَّا خَرَجَ ابْنُ الْحُرِّ قَالَ لَهُمْ : أَظْهَرُوا
السَّلَاحَ ، فَأَظْهَرُوهُ ، وَمَضَى لَمْ يَعْرِضْ لَهُ أَحَدٌ ، فَأَتَى مَنْزِلَتَهُ ، وَنَدِمَ مُصْعَبٌ
عَلَى إِخْرَاجِهِ ، فَأَظْهَرَ ابْنُ الْحُرِّ الْخِلَافَ ، وَأَتَاهُ النَّاسُ يُهَنِّئُونَهُ ، فَقَالَ :
هَذَا الْأَمْرُ لَا يَصْلُحُ إِلَّا لِمِثْلِ خُلَفَائِكُمُ الْمَاضِينَ ، وَمَا نَرَى لَهُمْ فِينَا نِدَاءً
وَلَا شَبِيهًا فَنُلْقِي إِلَيْهِ أَرْمَتْنَا ، وَمَحَضَّهُ نَصِيحَتْنَا ، فَإِنْ كَانَ إِنَّمَا هُوَ مَنْ
عَزَّ بَزًّا ، فَعَلَامَ : نَعْقِدُ لَهُمْ فِي أَعْنَاقِنَا بَسِيعةً ، وَلَيْسُوا بِأَشْجَعِ مَنْسًا لِقَاءً ،
وَلَا أَعْظَمَ مَنْسًا غِنَاءً (٢) ! وَقَدْ عَهَّدَ إِلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :
أَلَّا طَاعَةَ لَخْلُوقٍ فِي مَعْصِيَةِ الْخَالِقِ ، وَمَا رَأَيْتُنَا بَعْدَ الْأَرْبَعَةِ الْمَاضِينَ إِمَامًا
صَالِحًا ، وَلَا وَزِيرًا تَقِيًّا ، كُلُّهُمْ عَاصٍ مَخَالِفٌ ، قَوِيٌّ الدُّنْيَا ، ضَعِيفٌ

٧٧٢/٢

(١) ف : « فجاءوا » .

(٢) كذا في ا ، وفي ط « غنى » .

الآخرة ، فعلام تستحلّ حرمتنا ، ونحن أصحاب النخيلة والقادسية وجزولاء
 ونهاوند! نلتمى الأسنّة بنحورنا والسيوف بيجاها ، ثم لا يعرف لناحقنا
 وفضلنا ؛ فقاتلوا عن حريمكم ، فأى الأمر ما كان فلنكم في الفضل ، وإنى قد
 قلبت ظهر الميجنّ ، وأظهرت لهم العداوة ، ولا قنوة إلا بالله . وحاربهم فأغار
 فأرسل إليه مصعب سيف بن هاني المرادي ، فقال له : إن مصعباً يعطيك
 خراج بادوريا على أن تباع وتدخل في طاعته ؛ قال : أو ليس لي خراج
 بادوريا وغيرها ! لست قابلاً شيئاً ، ولا آمنهم على شيء ، ولكني أراك
 يا فتى - وسيف يومئذ حدث - حدثنا ، فهل لك أن تتبغني وأموالك !
 فأبى عليه ، فقال ابن الحر حين خرج من الحبس :

لا كوفة أمي ولا بصرة أبي ولا أنا يثنييني عن الرحلة الكسل
 - قال أبو الحسن : يروى هذا البيت لسحيم بن وثيل الرياحي -

فلاتحسبني ابن الزبير كناعيس إذا حل أغفى أو يقال له أرتحل
 فإن لم أزرك الخيل تردى عوابساً بفرسانها لا أذع بالحازم البطل
 وإن لم تر الغارات من كل جانب عليك فتندم عاجلاً أيها الرجل
 فلا وضعت عندى حصان قناعها ولا عشت إلا بالأمان والعيل
 وهي طويلة .

٧٧٣/٢

فبعث إليه مصعب الأبرد بن قرة الرياحي في نفر ، فقاتله فهزّمه
 ابن الحر ، وضربه ضربة على وجهه ، فبعث إليه مصعب حرينث
 ابن زيد - أو يزيد - فبارزه ، فقتله عبيد الله بن الحر ، فبعث إليه
 مصعب الحجّاج بن جارية^(١) الخثعمي ومسلم بن عمرو ، فلقياه بنهر
 صرصر ، فقاتلهم فهزّمهم ، فأرسل إليه مصعب قوماً يدعونه إلى أن يؤمنه
 ويصله ، ويوليّه أى بلد شاء ، فلتم يقبل ، وأتى نرسى ففر دهنقأنها
 ظيزجشنس بمال الفلكوجة ، فتبعه ابن الحر حتى مرّ بعين التمر وعليها
 بسطام بن مصقلة بن هبيرة الشيباني ، فتعوذ بهم الدهقان ، فخرجوا إليه
 فقاتلوه - وكانت خيل بسطام خمسين ومائة فارس - فقال يونس بن

(١) ط : « حارثة » وانظر الفهرس .

هاغان الهَمْدَانِيّ من خَيْوَان، ودعاه ابنُ الحُرِّ إلى المُبَارَاةِ : شَرُّ دهرٍ
 آخره، ما كنتُ أَحْسَبُنِي أَعِيشُ حَتَّى يَدْعُوَنِي لِإِنْسَانٍ إِلَى المُبَارَاةِ اِبْرَارَهِ
 فَضَرَبَهُ ابْنُ الحُرِّ ضَرْبَةً أَثْخَنَتْهُ ، ثُمَّ اعْتَسَفَا فَخَرًّا جَمِيعًا عَنْ فَرَسَيْهِمَا ،
 وَأَخَذَ ابْنُ الحُرِّ عِمَامَةَ يُونُسَ وَكَتَفَهُ بِهَا ثُمَّ رَكِبَ ، وَوَأَفَاهُمُ الحَجَّاجُ بِنَ حَارِثَةَ
 العِشْتَمِيَّ ، فَحَمَلَهُ عَلَيْهِ الحَجَّاجُ فَأَسْرَهُ أَيْضًا عَبِيدَ اللَّهِ (١) ، وَبَارَزَ
 بِيَسْطَامَ بِنَ مِصْقَلَةَ المَجْشَرِّ ، فَاضْطَرَبَا حَتَّى كَرِهَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا صَاحِبِيَّةَ ،
 وَعَلَاهُ بِيَسْطَامَ ، فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ ابْنُ الحُرِّ حَمَلَهُ عَلَى بِيَسْطَامَ وَاعْتَنَقَهُ بِيَسْطَامُ ،
 فَسَقَطَا إِلَى الأَرْضِ ، وَسَقَطَ ابْنُ الحُرِّ عَلَى صَدْرِ بِيَسْطَامَ فَأَسْرَهُ ، وَأَسْرَ يَوْمَئِذٍ
 نَاسًا كَثِيرًا ، فَكَانَ الرَّجُلُ يَقُولُ : أَنَا صَاحِبُكَ يَوْمَ كَذَا ، وَيَقُولُ الأَخرُ : أَنَا
 نَازِلٌ فِيكُمْ ، وَيَسْمُتُ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمُ بِمَا يَسْرَى أَنَّهُ يَسْتَفَعُهُ ، فَيَخْلِي سَبِيلَهُ ،
 وَبَعَثَ فَوَارِسَ مِنْ أَصْحَابِهِ عَلَيْهِمْ دَلَهُمُ المُرَادِيَّ يَطْلُبُونَ الدَّهْقَانَ ،
 فَأَصَابُوهُ ، فَأَخَذُوا المَالَ قَبْلَ القِتَالِ ، فَقَالَ ابْنُ الحُرِّ :

لَوْ أَنَّ لِي مِثْلَ جَرِيرِ أَرْبَعَةٍ صَبَحْتُ بَيْنَ المَالِ حَتَّى أَجْمَعَهُ
 وَلَمْ يَهْلِي مُضْعَبٌ وَمِنْ مَعَهُ نِعْمَ الفَتَى ذَلِكُمْ أَبْنُ مَشْجَعَهُ

ثُمَّ إِنْ عَبِيدَ اللَّهِ أُنِيَ تَكَرُّبِ ، فَهَرَبَ عَامِلُ المِهْلَبِ عَنْ تَكَرُّبِ ،
 فَأَقَامَ عَبِيدَ اللَّهِ يَجِيءُ الخِرَاجَ ، فَوَجَّهَ إِلَيْهِ مِصْعَبُ الأُبْرَدِ بِنَ قَرَّةِ الرِّيَاحِيِّ
 وَالجَوْنِ بِنَ كَعْبِ الهَمْدَانِيَّ فِي أَلْفٍ ، وَأَمَدَهُمَا المِهْلَبُ بِيزِيدِ بِنِ
 المَغْفَلِ فِي خَمْسِمِائَةٍ ، فَقَالَ رَجُلٌ مِنْ جُعْفَى لِعَبِيدِ اللَّهِ : قَدْ أَتَاكَ عِدَدٌ كَثِيرٌ ،
 فَلَا تُقَاتِلْهُمْ ، فَقَالَ :

يَخَوُّونِي بِالقِتْلِ قَوِيٍّ وَإِنَّمَا أَمُوتُ إِذَا جَاءَ الكِتَابُ المَوْجِلُ
 لَعَلَّ القَنَا تُدْنِي بِأَطْرَافِهَا الغِنَى فَنَحْيَا كِرَامًا أَوْ نَكْرًا فَنَقْتَلُ

فَقَالَ للمَجْشَرِّ وَدَفَعَ إِلَيْهِ رَايَتَهُ ، وَقَدَّمَ مَعَهُ دَلَهُمَا المُرَادِيَّ ، فَقَاتَلَهُمْ
 يَوْمَينَ وَهُوَ فِي ثَلَاثِمِائَةٍ ، فَخَرَجَ بِجَرِيرِ بِنِ كَرِيبِ ، وَقُتِلَ عَمْرُو بِنِ
 جُنْدَبِ الأَزْدِيِّ وَفُرْسَانٌ كَثِيرٌ مِنْ فُرْسَانِهِ ، وَتَحَاجَزُوا عِنْدَ المَسَاءِ ،

(١) بعد ما في ف : « ابن الحر » .

وخرج عبيدُ الله من تنكرت فقال لأصحابه: إني سائرٌ بكم إلى عبد الملك ابن مروان ، فتهيئوا ، وقال : إني أخاف (١) أن أفارقَ الحياةَ ولم أذعرُ مُصعبًا وأصحابه ، فارجعوا بنا إلى الكوفة. قال : فسار إلى كسكتر فتنفسي عاملها ، وأخذ بيت مالها ، ثم أتى الكوفة فنزل لحام جرير ، فبعث إليه مُصعبُ عمر بن عبيد الله بن معمر ، فقَاتَلَتْهُ ، فخرج إلى دير الأعور ، فبعث إليه مُصعبُ حجَّار بن أبيض ، فانهزم حجَّار ، فشتمه مصعبُ وردة ، وضم إليه الجون بن كعب الهمداني وعمر بن عبيد الله بن معمر ، فقَاتَلُوهُ بأجمعهم ، وكثرت الجراحات في أصحاب ابن الحرِّ وعُقِرَتْ خيولهم ، وجرح المجشَّر ، وكان معه لواءُ ابن الحرِّ ، فدفعه إلى أحمر طيبي ، فانهزم حجَّار بن أبيض ثم كرَّ ، فاقتتلوا قتالاً شديداً حتى أمسوا ، فقال ابن الحرِّ :

لو أن لي مثلَ الفتي المُجشَّرِ ثلاثةً بيئتهم لا أمتري
ساعدني ليلةَ دَيْرِ الأعورِ بالطعن والضربِ وعندَ المعبرِ

* لَطَّاحَ فِيهَا عُمَرُ بْنُ مَعْمَرِ *

وخرج ابنُ الحرِّ من الكوفة ، فكتب مصعبُ إلى يزيد بن الحارث بن رُويم الشيباني - وهو بالمدائن - يأمره بقتال ابن الحرِّ ، فقدّم ابنه حوشباً فلقيته بباجسرى ، فهزّمه عبيدُ الله وقتل فيهم ، وأقبل ابنُ الحرِّ فدخل المدائن ، فتحصنوا ، فخرج عبيدُ الله فوجه إليه الجون بن كعب الهمداني وبشر بن عبد الله الأسدي ، فنزل الجون حوالياً ، وقدم بشر إلى تامةراً فلقى ابنَ الحرِّ ، فقَتَلَهُ ابنُ الحرِّ ، وهزم أصحابه ، ثم لقي الجون بن كعب بـحواليا ، فخرج إليه عبدُ الرحمن بن عبد الله ، فحمل عليه ابنُ الحرِّ فطعنه فقَتَلَهُ وهزم أصحابه ، وتبعهم ، فخرج إليه بشر بن عبد الرحمن بن بشير العجلي ، فالتقوا بسوراً فاقتتلوا قتالاً شديداً ، فانهزم بشر عنه ، فرجع إلى عمله ، وقال : قد هزمتُ ابنَ الحرِّ ،

٧٧٦/٢

فبلغ قوله مُصعباً ، فقال : هذا من الذين يُحبّون أن يُحمّدوا بما لم
يَتمعلوا . وأقام عُبَيْدُ اللَّهِ فِي السَّوَادِ^(١) يُغَيِّرُ وَيُجْبِي الخراج ، فقال ابنُ الحُرِّ
في ذلك :

سَلُّوا ابْنَ رُوَيْمٍ عَنِ جِلَادِي وَمَوْفِي بِإِيوَانِ كَسْرِي لَا أُولِيهِمْ ظَهْرِي
أَكْرُّ عَلَيْهِمْ مُعْلِمًا وَتَرَاهُمْ كِمَعْرِي تَحْنِي خَشِيَةَ الذُّنْبِ بِالصَّخْرِ
وَبَيْتُهُمْ فِي حِصْنِ كِسْرِي بْنِ هُرْمُزٍ بِمَشْحُوذَةٍ بِيضٍ وَخَطِيئَةٍ سُمْرٍ
فَأَجْزِيَتُهُمْ طَعْنًا وَضَرْبًا تَرَاهُمْ يَلُوذُونَ مِنِّي رَهْبَةً وَمَخَافَةً
يَلُوذُونَ مِنِّي رَهْبَةً وَمَخَافَةً لَوَإِذَا كَمَا لَأَذِ الحِمَائِمُ مِنْ صَقْرِي

٧٧٧/٢

ثم إنَّ عُبَيْدَ اللَّهِ بنَ الحُرِّ - فيما ذكر - لحق بعبد المَلِكِ بنِ مَرْوَانَ ،
فلَمَّا صار إليه وجَّهه في عشرة نفر نحو الكُوفَةِ ، وأمره بالسير نحوها
حتَّى تلحقه الجنودُ ، فسار بهم ، فلَمَّا بلغ الأنبار وجَّهه إلى الكوفة من
يُخْبِر أصحابه بقدمه ، ويسألهم أن يخرجوا إليه ، فبلغ ذلك القيسية ،
فأتوا الحارث بن عبد الله بن أبي ربيعة عامل ابن الزبير على الكوفة ،
فسألوه أن يبعث معهم جيشاً ، فوجه معهم ، فلَمَّا لقوا عُبَيْدَ اللَّهِ قاتلتهم
ساعة ، ثم غرقت فرسه ، وركب معبراً فتوَّجَّ عليه رجلٌ من الأنباط فأخذ
بعضد يه وضرب به الباقون بالمرادى ، وصاحوا : إنَّ هذا طلبه أمير المؤمنين ،
فاعتنقنا فغرقا ، ثم استخرجوه فجزوا رأسه ، فسبَّحوا به إلى الكوفة ثم
إلى البصرة .

قال أبو جعفر : وقد قيل في مقتله غير ذلك من القول ؛ قيل : كان
سببُ مقتله عُبَيْدُ اللَّهِ بنَ الحُرِّ أنَّه كان يفتش بالكوفة مُصعباً ، فراه
يُقدِّم عليه أهل البصرة ، فكتب إلى عبد الله بن الزبير - فيما ذكر - قصيدة
يعاتب بها مُصعباً ويخوفه مسيره إلى عبد الملك بن مروان ،
يقول فيها :

(١) ف : « بالسواد » .

(٢) ف : « يلوذون منا يومنا » .

أَبْلِيغُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ رِسَالَةً
 أَفَى الْحَقِّ أَنْ أُجْفَى وَيَجْعَلَ مُصْعَبُ
 فَكَيْفَ وَقَدْ أَبْلَيْتُكُمْ حَقًّا بِيَعْتَى
 وَأَبْلَيْتُكُمْ مَالًا يُضَيِّعُ مِثْلَهُ
 فَلَمَّا أَسْتَنَارَ الْمَلِكُ وَأَنْقَادَتِ الْعِدَا
 جَفَا مُصْعَبٌ عَنِّي وَلَوْ كَانَ غَيْرَهُ
 لَفَدَّ رَأْبِي مِنْ مُصْعَبٍ أَنَّ مُصْعَبًا
 وَمَا أَنَا إِنْ حَلَّ تُمُوِي بِوَارِدٍ
 وَمَا لِأَمْرِي إِلَّا الَّذِي اللَّهُ سَاقٍ
 إِذَا قَمْتُ عِنْدَ الْبَابِ أَدْخِلَ مُسْلِمٌ

٧٧٨/٢

وهي طويلة .

وقال لمُصْعَبٍ وهو في حَبْسِهِ ، وكان قد حُبِسَ معه عَطِيَّةُ بنُ عَمْرٍو
 الْبَسْكَرِيُّ ، فَعَجَزَ عَطِيَّةُ ، فَقَالَ عُبَيْدُ اللَّهِ :

أَقُولُ لَهُ صَبْرًا عَطِيٌّ فَإِنَّمَا
 أَرَى الدَّهْرَ لِي يَوْمِينَ يَوْمًا مَطْرَدًا
 أَلْطَعُنْ فِي دِينِي غَدَاةَ أَتَيْتُكُمْ
 أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْمَلِكَ قَدْ شِينَ وَجْهَهُ
 هُوَ السَّجْنُ حَتَّى يَجْعَلَ اللَّهُ مَخْرَجًا
 شَرِيدًا وَيَوْمًا فِي الْمُلُوكِ مُتَوَجًّا
 وَلِلدِّينِ تُدْنِي الْبَاهِلِيَّ وَحَشْرَجًا !
 وَنَبِيعُ بِلَادِ اللَّهِ قَدْ صَارَ عَوَسَجًا !

٧٧٩/٢

وهي طويلة .

وقال أيضًا يُعَاتِبُ مُصْعَبًا فِي ذَلِكَ ، وَيَذْكَرُ لَهُ تَقْرِيبَهُ سُؤِيدَ
 ابْنِ مَسْجُوفٍ ، وَكَانَ سُؤِيدٌ خَفِيفَ اللَّحْيَةِ :

بِأَيِّ بَلَاءٍ أَمْ بِأَيِّ نِعْمَةٍ تَقْدَمُ قَبْلِي مُسْلِمٌ وَالْمُهَلَّبُ

ويُدعى ابن منجوف إمامي كأنه
 وشيخُ تميمٍ كالثَغَامَةِ رأسُهُ
 جعلتُ قُصورَ الأزدِ ما بينَ منبجٍ
 إلى الغافِ من وادي عُمانَ تصوبُ
 بلادُ نَفَى عنها العدوُّ سُيوفنا
 وُضفرةٌ عنها نازحُ الدارِ أجنبُ
 وقال قصيدةٌ يهجو فيها قيسَ عَيْلانَ ، يقول فيها :

٧٨٠/٢ أنا ابنُ بني قَيْسٍ فإن كنتَ سائلاً
 بقَيْسٍ تَجِدُهُم ذرّوَةً في القبائلِ
 ألم ترَ قَيْساً قيسَ عَيْلانَ بَرَقَعَتْ
 لِحاها وباعتَ نَبْلَها بالمغازِلِ !
 وما زِلْتُ أرجو الأزدَ حتّى رأيتها
 تُقَصِّرُ عن بُنيانِها المتطاوِلِ
 فكتب زُفَر بنُ الحارثِ إلى مُصعبِ : قد كَتَفَتِكَ قتالَ ابنِ الزرقاءِ
 وابنِ الحرِّ يهجو قَيْساً . ثمَّ إنَّ نَقْرًا من بني سُلَيْمٍ أخذوا ابنَ الحرِّ
 فأَسروه ، فقال : إني إنَّما قلتُ :

ألم ترَ قَيْساً قيسَ عَيْلانَ أَقْبَلْتُ
 إلينا وسارتُ بالقنا والقنابلِ
 فقتله رجلٌ منهم يقال له عَيْشَاشُ فقال زُفَر بنُ الحارثِ :

لما رأيتُ النَّاسَ أولادَ عِلَّةٍ
 تكَلَّمُ عَنَّا مَشِينًا بسُيوفنا
 فلو يَسألُ ابنُ الحرِّ أَخْبِرَ أَنَّها
 وأخْبِرَ أَنَّا ذاتُ عِلْمٍ سُيوفنا
 وقال عبدُ اللهِ بنُ هَمَّامٍ :

٧٨١/٢

تَرَنَّمْتُ يا بنَ الحرِّ وحَدَكِ خالِيًا
 أتذكُرُ قوماً أوجَعَتكَ رِماحُهُمُ
 وتبكي لِمَا لَأَقَت رِبيعةٌ منهمُ
 فهَلَّا بِجَعْفَى طَلَبْتَ دُحُولَها
 بَقولِ امرئٍ نَشوانٍ أو قولِ ساقِطِ
 وذَبَّوا عَن الأَحسابِ عِنْدَ المَاقِطِ
 وما أنتَ في أَحسابِ بَكْرِ بَواسِطِ !
 ورَهَطَكَ دُنْيا في السَّنِينِ الفَوارِطِ !
 يلوذونَ من أَسِيفِنا بِالعَرَافِطِ
 تَرَكناهُمُ يومَ الثَّرَى أَذَلَّةً

وخالطكم يوم النخيل بجمعه
 وعمير فما استبشرتُم بالمخالطِ .
 ويوم شرايل جدعنا أنوفكم
 وليس علينا يوم ذاك بقاسط .
 ضربنا بحد السيف مفرق رأسه
 وكان حديثاً عهدُهُ بالمواشطِ .
 فإن رغمتُ من ذاك أنفُ مدحجٍ
 فرغماً وسخطاً للأنوف السواخِطِ .

* * *

قال أبو جعفر : وفي هذه السنة وافست عَرَافَاتُ أربعةُ ألويةَ ، قال
 محمد بن عمر : حدثني شُرْحَبِيلُ بنُ أَبِي عَمْرٍو ، عن أبيه ، قال : وقفتُ في
 سنة ثمان وستين بعَرَافَاتُ أربعةُ ألويةَ : ابنُ الحنفيَّةِ في أصحابه في لواء
 قام عند جبل المُشاة ، وابنُ الزبيرِ في لواء ، فقام مقامَ الإمامِ اليومَ ، ثمَّ
 تقدّمَ ابنُ الحنفيَّةِ بأصحابه حتّى وقفوا حذاءَ ابنِ الزبيرِ ، ونجدةُ الحرورى
 خلفتهما ، ولواءُ بنى أميةَ عن يسارهما ، فكان أولُ لواءِ انفضَّ لواءُ محمد
 ابنِ الحنفيَّةِ ، ثمَّ تبعه نَجْدَةُ ، ثمَّ لواءُ بنى أميةَ ، ثمَّ لواءُ ابنِ الزبيرِ ،
 واتَّبعه الناسُ .

٧٨٢/٢

قال محمد : حدثني ابن نافع ، عن أبيه ، قال : كان ابنُ عمرَ لم
 يدفع تلك العشيَّةَ إلَّا بدفعةِ ابنِ الزبيرِ ، فلماً أبطأ ابنُ الزبيرِ وقد مضى
 ابنُ الحنفيَّةِ ونجدةُ وبنو أميةَ . قال ابن عمر : ينتظر ابنُ الزبيرِ أمرَ الجاهليةِ --
 ثمَّ دَفَعَ ، فدَفَعَ ابنُ الزبيرِ على أثره .

قال محمد : حدثني هشامُ بنُ عُمارةَ ، عن سعيدِ بنِ محمدِ بنِ
 جببِيرِ ، عن أبيه ، قال : خضتُ الفتنَةَ ، فشيتُ إليهم جميعاً ، فجئتُ
 محمدَ بنَ عليٍّ في الشعبِ ، فقلتُ : يا أبا القاسمِ ، اتَّقِ اللهَ فإنَّنا في مشعرِ
 حرامٍ ، وبلدِ حرامٍ ، والناسُ وفدُ اللهِ إلى هذا البيتِ ، فلا تُفسدِ عليهم
 حجَّهم ؛ فقال : واللهِ ما أريدُ ذلكَ ، وما أحولُ بينَ أحدٍ وبينَ هذا
 البيتِ ، ولا يُؤتَى أحدٌ من الحاجِّ من قبلى ، ولكنى رجلٌ أدفعُ عن نفسى
 من ابنِ الزبيرِ ؛ وما يرومُ منى ، وما أطلبُ هذا الأمرُ إلَّا ألاَّ يختلف
 علىَّ فيه اثنانُ ! ولكن ائتِ ابنَ الزبيرِ فكلِّمه ، وعليك بنجدةُ ، قال

محمد: فجئتُ ابنَ الزبير فكلّمته بنحو ما كلّمتُ به ابن الحنفيّة ، فقال :
 أنا رجل قد اجتمع علىّ الناسُ وبايعوني ، وهؤلاء أهلُ خلاف ، فقلت :
 أرى خيراً^(١) لك الكفّ ؛ قال^(١) : أفعل ، ثمّ جئتُ نَجْدَةَ الحَرَوْرَى
 فأجدّه في أصحابه ، وأجدُ عكرمةَ غلامَ ابنِ عبّاسٍ عنده ، فقلت له :
 استأذن لي على صاحبك ؛ قال : فدخّل ، فلم يسنّسب أن أذن لي ، فدخلتُ
 فعظمتُ عليه ، وكلّمته كما كلّمتُ الرّجلين ، فقال : أمّا أن ابتدئُ أحداً
 بقتال فلا ، ولكنّ من بدأ بقتال قاتلته ؛ قلتُ : فإني رأيتُ الرّجلين
 لا يُريدان قتالك ، ثمّ جئتُ شيعةَ بني أميّة فكلّمتهم بنحو ما كلّمتُ
 به القوم ، فقالوا : نحن على ألا نقاتلَ أحداً إلا أن يقاتلنا ، فلم أرَ
 في تلك الألوية قوماً أسكّن^(٢) ولا أسلمَ دفعةً من ابن الحنفيّة .

٧٨٣/٢

قال أبو جعفر : وكان العاملُ لابن الزبير في هذه السنة على المدينة جابرُ
 ابنُ الأسود بن عوف الزّهريّ ، وعلمتُ البصرة والكوفة أخوه مُصعب ، وعلى
 قضاء البصرة هشامُ بنُ هبيرة ، وعلى قضاء الكوفة عبدُ الله بنُ عتبة بن
 مسعود ، وعلى خراسانَ عبدُ الله بنُ خازم السّلميّ ، وبالشّامَ عبدُ الملك
 ابنُ مروان .

(١) ف : « الكفّ خير لك ، فقال » . (٢) ا : « أمكن » .

ثم دخلت سنة تسع وستين

[ذكر خبر قتل عبد الملك سعيد بن عمرو]

ففيها كان خروج عبد الملك بن مروان - فيما زعم الواقدي - إلى عين وردة ، واستخلف عمرو بن سعيد بن العاص على دمشق فتحصن بها ، فبداً ذلك عبد الملك ، فرجع إلى دمشق ، فحاصره - قال : ويقال : خرج معه - فلماً كان ببطنان حبيب ، رجع إلى دمشق فتحصن فيها ، ورجع عبد الملك إلى دمشق .

وأما عوانة بن الحَكَم فإنه قال - فيما ذكر هشام بن محمد عنه - إن عبد الملك بن مروان لماً رجع من بطنان حبيب إلى دمشق مكث بدمشق ما شاء الله ، ثم سار يريد قرقيسياء ، وفيها زفر بن الحارث الكلبي ومعه عمرو بن سعيد ، حتى إذا كان ببطنان حبيب فتلك عمرو بن سعيد ، فرجع لسيلا ومعه حميد بن حريث بن بحدل الكلبي وزهير بن الأبرد الكلبي ، حتى أتى دمشق وعليها عبد الرحمن ابن أم الحَكَم الثقفي قد استخلفه عبد الملك ، فلماً بلغه رجوع عمرو ابن سعيد هرب وترك عمله ، ودخلتها عمرو فتغلب عليها وعلى خزائنها .

٧٨٤/٢

* * *

وقال غيرهما: كانت هذه القصة في سنة سبعين . وقال : كان (١) مسير عبد الملك من دمشق نحو العراق يريد مصعب بن الزبير ، فقال له عمرو بن سعيد بن العاص : إنك تخرج إلى العراق ، وقد كان أبوك وعديني هذا الأمر من بعده ، وعلى ذلك جاهدت معه ، وقد كان من بلائي معه ما لم يخف عليك ، فاجعل لي هذا الأمر من بعدك ، فلم يوجهه عبد الملك إلى شيء ، فانصرف عنه عمرو راجعاً إلى دمشق ، فرجع عبد الملك في أثره حتى انتهى إلى دمشق .

(١) : « وكان » .

رجع الحديث إلى حديث هشام ، عن عوانة ، قال : ولمّا غلب عمرو على دِمَشق طلب عبدُ الرحمن بنَ أمِّ الحَكَم فلم يُصِبه ، فأمر بداره فهُدِمَت واجتمع الناسُ ، وصعيدُ المنبرَ فحمد اللهَ وأثنى عليه ، ثم قال : أيها الناس ، إنّه لم يقم أحد من قريش قبلي على هذا المنبر إلا زعم أن له جنةً وناراً ، يُدخل الجنة من أطاعه ، والنار من عصاه ، ولاني أخيركم أن الجنة والنار بيدي الله ، وأنه ليس إلى من ذلك شيءٌ ، غير أن لكم على حُسنِ المؤاساة والعطيّة . ونزل .

٧٨٥/٢

وأصبح عبد الملك ، ففقد عمرو وسعيد ، فسأل عنه ، فأخبر نخبه ، فرجع عبدُ الملك إلى دِمَشق ، فإذا عمرو قد جَلَل دِمَشق المُسوحَ فقَاتَلته بها أيّاماً ، وكان عمرو بنُ سعيد إذا أخرج حميد بنَ حرِيث الكلبى على الخيّل أخرج إليه عبدُ الملك سُفَيانَ بنَ الأبردِ الكلبى ، وإذا أخرج عمرو بنَ سعيد زهيرَ بنَ الأبردِ الكلبى أخرج إليه عبد الملك حسانَ بنَ مالك بنَ بَحْدَل الكلبى .

قال هشام حدثني عوانة ، أن الخيلين تواقفتا ذات يوم ، وكان مع عمرو بن سعيد رجلٌ من كَلْب يقول له رَجاء بن سراج ، فقال رجاء : يا عبدَ الرحمن بنَ سليم ، ابرُزْ - وكان عبدُ الرحمن مع عبدِ الملك - فقال عبدُ الرحمن : قد أنصف القمارة من رامها ، وبرز له ، فاطعنا وانقطع ركابُ عبدِ الرحمن ، فنَجَّنا منه ابنُ سراج ، فقال عبدُ الرحمن : والله لولا انقطاع الرّكاب لرميت بما في بطنك من تبن ، وما اصطاح عمرو وعبدُ الملك أبدأ ، فلما طال قتالهم جاء نساءُ كَلْب وصبيانهم فبَكَسِين وقلن لسُفَيانَ بنَ الأبردِ ولابنِ بَحْدَل الكلبى : عَلام تَقْتُلون أنفسكم لسلطانِ قُرَيْش ! فحلّفت كل واحد منهما ألا يرجع حتى يرجع صاحبه ، فلما أجمعا على الرجوع نظروا فوجدوا سُفَيانَ أكبرَ من حرِيث ، فطلبوا إلى حرِيث ، فرجع . ثم إن عبدَ الملك وعمراً اصطاحا ، وكتبنا بينهما كتاباً ، وآمنته عبدُ الملك وذلك عشية الخميس .

٧٨٦/٢

قال هشام : فحدثني عوانة أن عمرو بنَ سعيد خرج في الخيّل

مقتلداً قوساً سوداء ، فأقبِلَ حتَّى أوطأ فرسه أطناب سرّادق عبد الملك ، فانقطعت الأطناب وسقط السرادق ، ونزل عمرو فجلس وعبدُ الملكُ مُغضَّب ، فقال لعمرو : يا أبا أميّة ، كأنّك تشبّهُ بتقلدك هذه القوسَ بهذا الحى من قيس ! قال : لا ، ولكنى أتشبهُ بمن هو خيرٌ منهم ؛ العاص بن أميّة . ثمّ قام مغضباً والحيلُ معه حتّى دخل دمشق ، ودخل عبدُ الملكُ دمشق يومَ الخميس ، فبعث إلى عمرو أن أعطِ الناسَ أرزاقهم ، فأرسل إليه عمرو : إن هذا لك ليس ببلد فاشخص عنه . فلمّا كان يوم الاثنين وذلك بعد دخول عبد الملك دمشق بأربع بعث إلى عمرو أن اثني - وهو عند امرأته الكلبيّة ، وقد كان عبدُ الملك دعا كُريب بن أبرهة بن الصبيّاح الحميريّ فاستشاره في أمر عمرو بن سعيد ، فقال له : في هذا هلك حميرٌ ، لا أرى لك^(١) ذلك ، لا ناقتي في ذأ ولا جملي - فلمّا أتى رسولُ عبد الملك عمراً يدعوه صادف الرسولُ عبد الله بن يزيد بن معاوية عند عمرو ، فقال عبد الله لعمرو بن سعيد : يا أبا أميّة ، والله لأنت أحبُّ إلى من سمعني وبصري ، وقد أرى هذا الرجل قد بعث إليك أن تأتيه ، وأنا أرى لك ألاّ تفعل ، فقال له عمرو : ولم ؟ قال : لأنّ تبّيع ابن امرأة كعّب الأخبار قال : إن عظيمًا من عظماء ولد لإسماعيل يرجع فيغلق أبواب دمشق ، ثمّ يتخرج منها ، فلا يلبث أن يُقتل ؛ فقال له عمرو : والله لو كنت نائمًا ما تخوّفت أن ينهني ابن الزرقاء ، ولا كان لي جترى على ذلك مني ، مع أن عثمان بن عفّان أتاني البارحة في المنام فألبسني قميصه - وكان عبدُ الله بن يزيد زوج أم موسى بنت عمرو بن سعيد - فقال عمرو للرسول : أبلغه السلام ، وقل له : أنا رائح إليك العشيّة إن شاء الله . فلمّا كان العشيّ لبس عمرو درعاً حصينة بين قباء قوهي^(٢) وقميص قوهي ، وتقلد سيفه وعنده امرأته الكلبيّة ، وحُميد بن حرّيث بن بحدل الكلبيّ ، فلمّا نهض متوجّهًا ، عثر بالبساط ، فقال له حميد : أما والله لئن^(٣) أطعنتني لم تأتِه ، وقالت له امرأته تلك المقالة ، فلم يلتفت إلى قوهم ، ومضى في مائة رجل من مواليه ، وقد بعث عبدُ الملك إلى بني مروان فاجتمعوا عنده ، فلمّا بلغ عبد الملك

٧٨٧/٢

(١) ف : « لا أرى لي في ذلك » . (٢) قوهي : نسبة إلى قومستان .

(٣) ف : « لو » .

أنه بالبواب أمر أن يُحبَس مَنْ كان معه ، وأذن له فدَخَلَ ، ولم تَزَلْ أصحابُه يُحبَسون عند كلِّ باب حتى دخل عمرو قاعة الدَّار ، وما معه إلاَّ وصيف له ، فرمى عمرو ببصره نحوَ عبد الملك ، فإذا حوله بنو مروان ، وفيهم حسان ابن مالك بن سَحل الكلبى وقبيصة بن ذؤيب الخزاعى ، فلما رأى جماعتهم أحسَّ بالشرِّ ؛ فالتفت إلى وصيفه فقال : انطلق ويحك إلى يحيى بن سعيد ، فقال له يأتينى . فقال له الوصيف ولم يفهم ما قال له : لبيك ! فقال له : اغرُبْ عنى فى حرقِ الله وناره . وقال عبدُ الملك لحسان وقبيصة : إذا شئتما فقومَا فالتقيَا وعمراً فى الدار ، فقال عبدُ الملك لهما كالمأزح ليطمئن عمرو بن سعيد : أيتكما أطولُ ؟ فقال حسان : قبيصةُ يا أمير المؤمنين أطولُ منى بالإمرة ، وكان قبيصةُ على الخاتم . ثمَّ التفت عمرو إلى وصيفه فقال : انطلق إلى يحيى فمره أن يأتينى ، فقال له : لبيك ، ولم يفهم عنه ، فقال له عمرو : اغرُبْ عنى ، فلماً خرج حسان وقبيصة أمر بالأبواب فغلقت ، ودخل عمرو فرحب به عبدُ الملك ، وقال : ها هنا يا أبا أمية ، يرحمك الله ! فأجلسه معه على السرير ، وجعل يحدثه^(١) طويلاً ، ثم قال : يا غلام ، خذ السيف عنه ، فقال عمرو : إننا لله يا أمير المؤمنين ! فقال عبدُ الملك : أو تطمئن أن تسجلس معى متقلداً سيفك ! فأخذ السيف عنه ، ثمَّ تحدثا ما شاء الله ، ثمَّ قال له عبدُ الملك : يا أبا أمية ؛ قال : لبيك يا أمير المؤمنين ؛ فقال : إنك حيث خلعتنى آليتُ يمين إن أنا ملأتُ عينى منك وأنا مالكٌ لك أن أجمعك فى جامعة ، فقال له بنو مروان : ثمَّ تطلقه يا أمير المؤمنين ؟ قال : ثمَّ أطلقه ، وما عسيت أن أصنع بأبى أمية ! فقال بنو مروان : أبيرِّ قسَم أمير المؤمنين ، فقال عمرو : قد أبرَّ الله قسمك يا أمير المؤمنين ، فأخرج من تحت فراشه جامعةً فطرحها إليه ، ثمَّ قال : يا غلام ، قم فاجمعه فيها ؛ فقام الغلام فسجَّمه فيها ، فقال عمرو : أذكرك الله يا أمير المؤمنين أن تُخْرِجنى فيها على رءوس الناس ! فقال عبدُ الملك : أمسكراً أبا أمية عند الموت ! لاها الله إذا ! ما كنتُ

لنُخْرِجَكَ فِي جَامِعَةِ عَلِي رَعُوسِ النَّاسِ ، وَلَمَّا نَخَرَجَهَا مِنْكَ إِلَّا صُعْدًا .
 ثُمَّ اجْتَبَدَهُ اجْتَبَادَةً أَصَابَ فَمَهُ السَّرِيرُ فَكَسَسَرَ ثَنِيَّتَهُ (١) ، فَقَالَ عَمْرُو :
 أَذْكَرَكَ اللَّهُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْ يَدْعُوكَ إِلَى كَسْرِ عَظْمٍ مَنَى أَنْ تَرْكَبَ (٢) مَا هُوَ
 أَعْظَمُ مِنْ ذَلِكَ . فَقَالَ لَهُ عَبْدُ الْمَلِكِ : وَاللَّهِ لَوْ أَعْلَمَ أَنَّكَ تَبُتْقِي عَلَيَّ إِنْ
 أَبْقَيْتِي عَلَيْكَ وَتَصَلَحَ قَرِيشٌ لِأَطْلُقْتُكَ ، وَلَكِنْ مَا اجْتَمَعَ رَجُلَانِ قَطًّا فِي
 بَسْطَةِ عَلِيٍّ مِثْلَ مَا نَحْنُ عَلَيْهِ إِلَّا أَخْرَجَ أَحَدُهُمَا صَاحِبَهُ . فَلَمَّا رَأَى عَمْرُو أَنَّ
 ثَنِيَّتَهُ قَدْ انْدَقَّتْ (٣) وَعَرَفَ الَّذِي يَرِيدُ عَبْدَ الْمَلِكِ ، قَالَ : أَغْدِرًا يَا بَنَ الزَّرْقَاءِ !

٧٨٩/٢

* * *

وَقِيلَ : إِنْ عَبْدَ الْمَلِكِ لَمَّا جَدَّبَ عَمْرًا فَسَقَطَتْ ثَنِيَّتُهُ جَعَلَ عَمْرُو
 يَمْسُهَا ، فَقَالَ عَبْدُ الْمَلِكِ لَهُ : أَرَى ثَنِيَّتَكَ قَدْ وَقَعَتْ (٤) مِنْكَ مَوْقِعًا
 لَا تَطِيبُ نَفْسُكَ بَعْدَهَا . فَأَمَرَ بِهِ فَضُرِبَ عُنُقُهُ .

* * *

رَجَعَ الْحَدِيثُ إِلَى حَدِيثِ عَوَانَةَ . وَأَذَانَ الْمُؤَذِّنُ الْعَصْرَ ، فَخَرَجَ
 عَبْدُ الْمَلِكِ يَصَلِّيَ بِالنَّاسِ ، وَأَمَرَ عَبْدَ الْعَزِيزَ بْنَ مَرْوَانَ أَنْ يَقْتُلَهُ ، فَقَامَ
 إِلَيْهِ عَبْدُ الْعَزِيزُ بِالسَّيْفِ ، فَقَالَ لَهُ عَمْرُو : أَذْكَرَكَ اللَّهُ وَالرَّحِمَ أَنْ تَلِيَ
 أَنْتَ قَتْلِي ، وَلِيَتَوَلَّ ذَلِكَ مَنْ هُوَ أَبْعَدُ رَحِمًا مِنْكَ ! فَأَلْتَقَى عَبْدُ الْعَزِيزِ
 السَّيْفَ وَجَلَسَ ، وَصَلَّى عَبْدُ الْمَلِكِ صَلَاةَ خَفِيفَةٍ ، وَدَخَلَ ، وَغَلَقَتْ الْأَبْوَابَ وَرَأَى
 النَّاسَ عَبْدَ الْمَلِكِ حَيْثُ خَرَجَ وَلَيْسَ عَمْرُو مَعَهُ ، فَذَكَرُوا ذَلِكَ لِيُحْيِي بَنَ سَعِيدِ
 فَأَقْبَلَ فِي النَّاسِ حَتَّى حَلَّ بِبَابِ عَبْدِ الْمَلِكِ وَمَعَهُ أَلْفُ عَبْدِ لَعَمْرُو ، وَأَنَاسَ
 بَعْدُ مِنْ أَصْحَابِهِ كَثِيرٌ ، فَجَعَلَ مَنْ كَانَ مَعَهُ يَصْهِيحُونَ : أَسْمَعْنَا صَوْتَكَ
 يَا أَبَا أُمَيَّةَ ! وَأَقْبَلَ مَعَ يَحْيَى بَنَ سَعِيدِ حَمِيدِ بْنِ حَرِيثِ وَزُهَيْرِ بْنِ الْأَبْرَدِ
 فَكَسَرُوا بَابَ الْمَقْصُورَةِ ، وَضَرَبُوا النَّاسَ بِالسَّيْفِ ، وَضَرَبَ عَبْدُ لَعَمْرُو بَنَ
 سَعِيدِ يُقَالُ لَهُ مَصْقَلَةُ الْوَلِيدِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ ضَرْبَةً عَلَى رَأْسِهِ ، وَاحْتَمَلَهُ إِبْرَاهِيمُ
 ابْنُ عَرَبِيِّ صَاحِبُ الدِّيْوَانِ فَأَدْخَلَهُ بَيْتَ الْقَرَاطِيسِ ، وَدَخَلَ عَبْدُ الْمَلِكِ حِينَ
 صَلَّى فَوَجَدَ عَمْرًا حَيًّا ، فَقَالَ لِعَبْدِ الْعَزِيزِ : مَا مَنَعَكَ مِنْ أَنْ تَقْتُلَهُ ! قَالَ :

٧٩٠/٢

(١) ف : « ثَنِيَّتِهِ » .

(٢) بِنْدَهَا فِي ف : « مَنَى » .

(٣) ف : « أَنْ ثَنِيَّتِهِ انْدَقَّتْ » .

(٤) ف : « أَرَى أَنْ ثَنِيَّتِكَ انْدَقَّتْ » .

مَنْعَنِي أَنَّهُ نَاشِدُنِي اللَّهَ وَالرَّحِيمَ فَرَقَقْتُ لَهُ . فَقَالَ لَهُ عَبْدُ الْمَلِكِ : أَخْزَى
اللَّهُ أُمَّكَ الْبِسْوَالَةَ عَلَى عَقَبِيِّهَا ، فَإِنَّكَ لَمْ تُشْبِهْ غَيْرَهَا - وَأُمُّ عَبْدِ الْمَلِكِ عَائِشَةُ
بِنْتُ مَعَاوِيَةَ بْنِ الْمَغِيرَةَ بْنِ أَبِي الْعَاصِ بْنِ أُمَيَّةَ ، وَكَانَتْ أُمُّ عَبْدِ الْعَزِيزِ لَيْلَى ،
وَذَلِكَ قَوْلُ ابْنِ الرَّقَيْيَاتِ :

ذَاكَ ابْنَ لَيْلَى عَبْدُ الْعَزِيزِ بِيَا بِلْيُونَ تَغْدُو جِفَانَهُ رُدْمًا^(١)

٧٩١/٢ ثم إنَّ عبد الملك قال : يا غلام ، اثنتى بالحسرية . فأثاه بالحسرية فهزَّها ،
ثمَّ طعنه بها فلم تجز ، ثمَّ ثنَّي فلم تجز ، فضرب بيده إلى عضد عمرو ،
فوجد مسَّ الدرِّع ، فضحك ، ثمَّ قال : ودارعٌ أيضًا يا أبا أمية ! إن
كنت لمعدًا ! يا غلام ، اثنتى بالصمصامة ، فأثاه بسيفه ، ثمَّ أمر بعمرو
فصُرِّع ، وجلس على صدره فذبَّحه وهو يقول :

يَاعَمْرُو ! إِنْ لَا تَدْعُ شَيْمِي وَمَنْقَصْتِي أَضْرِبُكَ حَيْثُ تَقُولُ الْهَامَةَ اسْقُونِي^(٢)

وانتفضَّ عبدُ الملك رعدةً - وكذلك الرجلُ زعموا يُصيبُه إذا قتمَل
ذا قرابة له - فحُملَ عبدُ الملك عن صدره فُوَضِعَ على سريره ، فقال :
ما رأيتُ مثلَ هذا قطَّ ، قتمَلَه صاحبُ دُنْيَا وَلَا طَالِبُ آخِرَةٍ . ودخل يحيى
ابنُ سعيد ومن معه على بني مروان الدارَ فجرَّحوهم ومن كان معهم من
مواليهم ، فقاتلوا يحيى وأصحابه ، وجاء عبدُ الرحمن بنُ أمِّ الحَكَمِ
الثَّقَفِيُّ فدَقَعَ إليه الرأس ، فألقاه إلى النَّاسِ ، وقامَ عبدُ العزيز بنُ مروان
فأخذَ المالَ في البدور ، فجعلَ يُلْقِيهَا إلى النَّاسِ ، فلمَّا نظر النَّاسُ إلى
الأموالِ ورأوا الرأسَ انتهبوا الأموالَ وتفرَّقوا . وقد قيل : إنَّ عبدَ الملك
ابن مروانَ لمَّا خرج إلى الصَّلَاةِ أمرَ غلامه أبا الزُّعَيْرِ عَمَةً بِقَتْلِ عَمْرُو ،
فقتلته وألقى رأسه إلى النَّاسِ وإلى أصحابه .

٧٩٢/٢

قال هشام : قال عوانةُ : فحدثتُ أنَّ عبد الملكَ أمرَ بتلك الأموالِ
التي طُرِحَتْ إلى النَّاسِ فجبَّيْتِ حَتَّى عادتَ كلُّها إلى بيتِ المالِ ، ورُمِي
يحيى بنُ سعيدٍ يومئذٍ في رأسه بصخرة ، وأمرَ عبدُ الملكِ بسريه فأبرز إلى

(١) ديوانه ١٥٢ . ردما : ملاء . وبابليون : اسم لموضع الفسطاط .

(٢) لدى الإصبع ، من المفضلية ٣١ .

المسجد ، وخرج فجلس عليه ، وفقد الوليد بن عبد الملك فجعل يقول :
ويحكمكم ! أين الوليد؟ وأبيهم ! لن كانوا قتلوه لقد أذركوا نأرهم ، فاتاه
إبراهيم بن عربي الكِنَانِي فقال : هذا الوليد عندي ، قد أصابته جراحة ،
وليس عليه بأس ، فاتى عبد الملك ببيحي بن سعيد ، فأمر به أن يقتل ،
فقام إليه عبد العزيز ، فقال : جعلتني الله فداك يا أمير المؤمنين ! أتراك
قاتلاً بنى أمية في يوم واحد ! فأمر ببيحي فحبس ، ثم أتى بعنيسة بن
سعيد ، فأمر به أن يقتل ، فقام إليه عبد العزيز فقال : أذكرك الله يا أمير المؤمنين
في استئصال بنى أمية وهلاكها ! فأمر بعنيسة فحبس ، ثم أتى بعنيسة بن سعيد
فأمر به أن يقتل ، فقام إليه عبد العزيز بن مروان ، فقال : اذكرك الله
يا أمير المؤمنين في استئصال بنى أمية وهلاكها ! فأمر بعنيسة فحبس ، ثم
أتى بعامر بن الأسود الكلبي فضرب رأسه عبد الملك بقصيب خيبرزان كان
معه ، ثم قال : أتقاتلني مع عمرو وتكون معه علي ! قال : نعم ، لأن
عمراً أكرمني وأهنتني ، وأدنانى وأقصيتني ، وقريني وأبعدتني ، وأحسن إلى
وأسأت إلي ، فكانت معه عليك . فأمر به عبد الملك أن يقتل ، فقام
عبد العزيز فقال : أذكرك الله يا أمير المؤمنين في خالي ا فوهبه له . وأمر
ببني سعيد فحبسوا ، ومكث يحيى في الحبس شهراً أو أكثر . ثم إن عبد الملك
صعد المنبر ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم استشار الناس في قتله ، فقام
بعض خطباء الناس فقال : يا أمير المؤمنين ، هل تلد الحية إلا حية ! نرى
والله أن تقتله فإنه منافق عدو . ثم قام عبد الله بن مسعدة الفزاري ،
فقال : يا أمير المؤمنين ، إن يحيى ابن عمك ، وقرابته ما قد علمت ،
وقد صنعوا ما صنعوا ، وصنعت بهم ما قد صنعت ، ولست لهم بآمن ،
ولا أرى لك قتلهم ، ولكن سيرهم إلى عدوك ، فإن هم قتلوا كنت قد
كفيت أمرهم ببس غيرك ، وإن هم سلموا ورجعوا رأيت فيهم رأيك .
فأخذ برأيه ، وأخرج آل سعيد فألقاهم بمضعب بن الزبير ، فلمّا
قدموا عليه دخل يحيى بن سعيد ، فقال له ابن الزبير : انفلت
وانحص الذئب ، فقال : والله إن الذئب لبهلسبه . ثم إن
عبد الملك بعث إلى امرأة عمرو الكلبيّة : ابعثي إلى بالصالح الذي كنت كتبه

لعمر و ، فقالت لرسوله : ارجع إليه فأعلمه أني قد لفتت ذلك الصلح معه في أكفانه ليُخاصمك به عند ربّه ، وكان عمرو بن سعيد وعبدُ الملك يلتقيان في النسب إلى أميّة ، وكانت أم عمرو أم البنين ابنةُ الحَكَم ابنِ أبي العاص عمّة عبد الملك .

قال هشام : فحدثنا عوانة أن الذي كان بين عبد الملك وعمرو كان شراً قديماً ، وكان ابناً سعيد أمههما أم البنين ، وكان عبدُ الملك ومعاوية ابني مروان ، فكانوا وهم غلمان لا يزالون يأتون أم مروان بن الحَكَم الكنانية يتحدثون عندها ، فكان ينطلق مع عبد الملك ومعاوية غلام لهم أسود ، وكانت أم مروان إذا أتوها هيأت لهم طعاماً ، ثم تأتيهم به فتضع بين يدي كل رجل صحيفة على حدة ، وكانت لا تزال تؤرش بين معاوية ابن مروان ومحمد بن سعيد ، وبين عبد الملك وعمرو بن سعيد ، فيقتتلون ويتصارعون الحين ، لا يكلم بعضهم بعضاً ، وكانت تقول : إن لم يكن عند هذين عقل فعند هذين ، فكان ذلك دأبها كلما أتوها حتى أثبتت الشحناء في صدورهم .

وذكر أن عبد الله بن يزيد القسريّ أبا خالد كان مع يحيى ابن سعيد حيث دخل المسجد فكسر باب المقصورة ، فقاتل بني مروان ، فلماً قتل عمرو وأخرج رأسه إلى الناس ركب عبد الله وأخوه خالد فلبثوا بالعراق ، فأقام مع ولد سعيد وهم مع مُصعب حتى اجتمعت الجماعة على عبد الملك ، وقد كانت عينُ عبد الله بن يزيد فُقيئت يوم المَرَج ، وكان مع ابن الزبير يُقاتل بني أميّة ، ولأنه دخل على عبد الملك بعد الجماعة ، فقال : كيف أنتم آل يزيد؟ فقال عبد الله : حرباء حرباء ، فقال عبد الملك : ذلك بما قدمت أيديكم ، وما الله بظلام للعبيد .

قال هشام عن عوانة : إن وُلد عمرو بن سعيد دخلوا على عبد الملك بعد الجماعة وهم أربعة : أميّة ، وسعيد ، وإسماعيل ، ومحمد ، فلماً نظر إليهم عبدُ الملك قال لهم : إنكم أهل بيت لم تزالوا تروون لكم على جميع قوميكم فضلاً لم يجعله الله لكم ، وإن الذي كان بيني وبين أبيكم لم

يكن حديثاً ، بل كان قديماً في أنفس أوليكم على أولينا في الجاهلية . فأقطع بأمية بن عمرو - وكان أكبرهم - فلم يقدر أن يتكلم ، وكان أنبلتهم وأعقلهم ، فقام سعيد بن عمرو وكان الأوسط فقال : يا أمير المؤمنين ، ما تسعى علينا أمراً كان في الجاهلية ، وقد جاء الله بالإسلام فهتدم ذلك ، فوعدنا الجنة ، وحدارنا ناراً ! وأما اللذي كان بينك وبين عمرو فإن عمراً ابن عمك ، وأنت أعلمت بما صنعت ، وقد وصل عمرو إلى الله ، وكفسي بالله حسيباً ، ولعمري لئن أخذت بنا بما كان بينك وبينه لبطن الأرض خيراً لنا من ظهرها . فرق لهم عبد الملك رقبة شديدة ، وقال : إن أباكم خيرني بين أن يقتلني أو أقتله ، فاخترت قتله على قتلي ، وأما أنتم فما أرغبني فيكم ، وأوصلني لقرايتكم ، وأرعاني لحقكم ! فأحسن جائزتهم ، ووصلهم وقربهم .

وذكر أن نخالد بن يزيد بن معاوية قال لعبد الملك ذات يوم : عجب منك ومن عمرو بن سعيد ، كيف أصبت غرته فقتلته ! فقال عبد الملك :

دَانِيَتْهُ مِنِّي لَيْسَكَ رُوعُهُ فَاصُولَ صَوْلَةٍ حَازِمٍ مُسْتَمَكِنٍ
عَضْباً وَمَحِيَّةً لِدِينِي لِأَنَّهُ لَيْسَ الْمُسِيءُ سَبِيلُهُ كَالْمُحْسِنِ

قال عوانة : لقي رجل سعيد بن عمرو بن سعيد بمكة ، فقال له : ورب هذه البنية ، ما كان في القوم مثل أبيك ، ولكنه نازع القوم ما في أيديهم فعتب .

٧٩٦/٢

وكان الواقدي يقول : إنما كان في سنة تسع وستين بين عبد الملك ابن مروان وعمرو بن سعيد الحصار ، وذلك أن عمرو بن سعيد تحصن بدمشق فرجع عبد الملك إليه من بطنان حسيب ، فحاصره فيها ؛ وأما قتله إياه فإنه كان في سنة سبعين .

* * *

وفي هذه السنة (١) حكمت محكم من الخوارج بالخييف من منى فقتل عند الجمرة ، ذكر محمد بن عمرو أن يحيى بن سعيد بن دينار حدثه عن

(١) قبلها في ١ : « قال أبو جعفر » .

أبيه، قال: رأيتُه عند الجمرَة سَلَّ سَيْفَه . وكانوا بجماعةٍ فأَمْسَكَ اللهُ بِأَيْدِيهِمْ ،
وَبَدَّرَ هو من بينهم ، فحَكَمَ ، قال الناسُ عليه فَتَمَتَّلَوْهُ .
وأقام الحجَّ للناس في هذه السنة عبدُ اللهِ بنُ الزبير .

وكان عاملاً فيها على المصرين : الكوفة والبصرة^(١) أخوه مصعب بن
الزبير^(٢) . وكان على قضاء الكوفة شريح^(٢) وعلى قضاء البصرة هشام بن
هبيرة ، وعلى خراسان عبدُ اللهِ بنُ خازم .

(١) ب ، ف : « البصرة والكوفة » .

(٢-٢) ب ، : « وعلى الكوفة شريح يتولى قضاءها » .

ثم دخلت سنة سبعين
ذكر ما كان فيها من الأحداث

ففي هذه السنة ثارت الروم ، واستجاشوا على من بالشام من ذلك
من المسلمين ؛ فصالح عبد الملك ملك الروم ، على أن يؤدى إليه في كل
جمعة ألف دينار خوفاً منه على المسلمين .

* * *

وفيهما شخص - فيما ذكر (١) محمد بن عمر - مصعب بن الزبير إلى مكة
فقدتها بأموال عظيمة ، فقسمها في قومه وغيرهم ، وقد م بدواب كثيرة وظهور
وأثقال ، فأرسل إلى عبد الله بن صفوان وجبشير بن شيببة ، وعبد الله بن مطيع
مالا كثيراً ، ونحر بديناراً كثيرة .

٧٩٧/٢

* * *

وحج بالناس في هذه السنة عبد الله بن الزبير .
وكان عماله على الأمصار في هذه السنة عماله في السنة التي قبلها على
المعاون والقضاء .

(١) ب ، ف : « نعم » .

ثم دخلت سنة إحدى وسبعين

ذكر ما كان فيها من الأحداث

فمن ذلك مسيرُ عبد الملك بن مروان فيها إلى العراق لحرب مُصعب بن الزبير ، وكان عبد الملك - فيما قيل - لا يزال يقرب من مُصعب ، حتى يبلغ بطنان حسيب ، ويخرج مصعب إلى بساجميرا ، ثم تهجم الشتاء فيرجع كل واحد منهما إلى موضعه ، ثم يعودان ؛ فقال عدى بن زيد بن عدى بن الرقاع العاملي :

لعمري لقد أصحرت خيلنا	بأكناف دجلة للمُصعب ^(١)
إذا ما مناق أهل العرا	ق عوتب ثمت لم يُعتب ^(٢)
دلفنا إليه بذي تدر	قليل التفقد للغيب ^(٣)
يهزون كل طويل القنا	ة ملتئم النصل والثعلب ^(٤)
كان وعاهم إذا ما غدوا	ضجيج قطا بلد مُصعب
فقدمنا واضح وجهه	كريم الضرائب والمنصب
أعين بنا ونصرنا به	ومن ينصر الله لم يُغلب ^(٥)

٧٩٨/٢

- (١) الأغاني ٩ : ٣٠٥ ، ٣٠٦ .
 (٢) ذو تدرأ . مدافع ذو عز ومتمعة . وفي المسمودي : « لدى موقف » .
 (٣) الأبيات برواية الأغاني :
 (٤) الثعلب هنا : رأس الرمح .

لعمري لقد أصحرت خيلنا	بأكناف دجلة للمُصعب
يهزون كل طويل القنا	ة لدن ومعتدل الثعلب
فداؤك أُمى وأبناؤها	وإن شئت زدت عليها أبي
وما قتلها رهبة إنما	يحل العقاب على المذنب
إذا شئت نازلت مستقتلا	أزاحم كالجمل الأجرَب
فمن يك منا يبت آمناً	ومن يك من غيرنا يهرب

فحدثني عمر بن شبيبة ، قال : حدثني علي بن محمد ، قال : أقبل عبد الملك من الشام يريد مُصعباً — وذلك قبل هذه السنة ، في سنة سبعين — ومعه خالد بن عبد الله بن خالد بن أسيد ، فقال خالد لعبد الملك : إن وجهتني إلى البصرة وأتبعتهنني خيلاً يسيرة رجوت أن أغلب لك عليها . فوجهه عبد الملك ، فقد مها مستخفياً في مواليه وخاصته ، حتى نزل على عمرو بن أسمع الباهلي .

قال عمر : قال أبو الحسن : قال مسلمة بن محارب : أجاز عمرو بن أسمع خالداً ، وأرسل إلى عبّاد بن الحُصين وهو على شُرطة ابن معمر — وكان مُصعب إذا شخص عن البصرة استخلف عليها عبيد الله بن عبيد الله بن معمر — ورجا عمرو بن أسمع أن يبايعه عبّاد بن الحُصين — بأنني قد أجزتُ خالداً فأحببت أن تعلم ذلك لتكون لي ظهراً . فوافاه رسوله حين نزل عن فرسه ، فقال له عبّاد : قل له : والله لا أضع لبدّ فرسي حتى آتيتك في الخيل . فقال عمرو لخالد : إني لا أغرك ، هذا عبّاد يأتينا الساعة ، ولا والله ما أقدر على منعك ؛ ولكن عليك بمالك بن مسنم .

قال أبو زيد : قال أبو الحسن : ويقال إنّه نزل على علي بن أسمع ، فبلغ ذلك عبّاداً^(١) فأرسل إليه عبّاد : إني سائر إليك .

٧٩٩/٢

حدثني عُمر [بن شبيبة]^(٢) ، قال : حدثني علي بن محمد ، عن مسلمة وعوانة^(٣) أن خالداً خرج من عند ابن أسمع يركض ، عليه قميص قوهي رقيق ، قد حسسه عن فخذه ، وأخرج رجليه من الركاين ؛ حتى أتى مالكا ، فقال : إني قد اضطرتُّ إليك ، فأجرتني ، قال : نعم ، وخرج هو وابنه ، وأرسل إلى بكر بن وائل والأزد ؛ فكانت أول راية أته راية بني يشكر . وأقبل عبّاد في الخيل ، فتواقفوا ، ولم يكن بينهم ، فلما كان من الغد غدوا إلى حُمرة نافع بن الحارث التي نسبت بعدد إلى خالد ، ومع خالد رجال من بني تميم قد أتوه ؛ منهم صعصعة بن معاوية ، وعبد العزيز بن

(٢) من ب ، ف .

(١) ب ، ف : « فقال » .

(٣) ب ، ف : « عن عوانة » .

بشراً ، ومرة بن محسكآن ، في عدد منهم ؛ وكان أصحاب خالد جُفْرِيَّةَ ينسبون إلى الجُفْرَةِ ، وأصحاب ابن معمر زُبَيْرِيَّةَ ؛ فكان من الجُفْرِيَّةِ عبيد الله بن أبي بكرٍ وحُمُرَان والمغيرة بن المهلب ، ومن الزبيرية قيس بن الهيثم الساسمي ؛ وكان يستأجر الرجال يقاتلون معه ، فتقاضاه رجل أجرةً فقال : غداً أعطيكها ، فقال غَطَطَمَان بن أنيف ، أحد بني كعب بن عمرو :

لبئس ما حكمت يا جلاجلُ النُّقْدُ دَيْنٌ والطَّعَانُ عاجِلُ
* وأنتَ بالبَابِ سَمِيرٌ آجِلُ *

وكان قيس يعلق^(١) في عنق فرسه بجلاجل ، وكان على خيول بني حنظلة عمرو بن وبرة القحيفي^(٢) ؛ وكان له عبيد يؤاجرهم بثلاثين ثلاثين كل يوم ، فيعطيهم عشرة عشرة ، فقيل له :

لبئس ما حكمت يا بنَ وَبْرَةَ تُعْطَى ثَلَاثِينَ وتُعْطَى عَشْرَةَ
ووجه المصعب زحر بن قيس الجعفي مدداً لابن معمر في ألف ، ووجه عبد الملك عبيد الله بن زياد بن ظبئان مدداً لخالد ، فكّره أن يدخل البصرة ، وأرسل مطر بن التميم فرجع إليه فأخبره بتفرق الناس ، فسلك حتى بعبد الملك .

قال أبو زيد : قال أبو الحسن : فحدثني شيخ من بني عرين ، عن السكن بن قتادة ، قال : اقتتلوا أربعة عشر يوماً ، وأصيبت عين مالك ، فضجج من الحرب ، ومشت السفراء ، بينهم يوسف بن عبد الله بن عثمان بن أبي العاص ، فصالحه ، على أن يُخرج خالداً وهو آمن ، فأخرج خالداً من البصرة ، وخاف ألا يعجز المصعب أمان عبيد الله ، فسلك حتى مالك بثأج ، فقال الفرزدق يذكرك مالكاً ولحوق التميمية به وبخالد :

عجبت لأقوامٍ تميمٌ أبوهم وهم في بني سعدٍ عظامُ المبارك^(٣)

(١) كذا في أ ، س ، وفي ط : « يعلم » .

(٢) ب : « الجعفي » ، س : « العجفي » . (٣) ديوانه ٦٠٠ .

وكانوا أعزَّ النَّاسِ قَبْلَ مَسِيرِهِمْ إِلَى الْأَزْدِ مُصَفَّرًا لِحَاها وَمَالِكِ
فَمَا ظَنُّكُمْ بِابْنِ الْحَوَارِيِّ مُصْعَبٍ إِذَا افْتَرَّ عَنْ أَنْبَاءِهِ غَيْرَ ضَاحِكٍ ٨٠١/٢
وَنَحْنُ نَفِينَا مَالِكًا عَنِ بِلَادِهِ وَنَحْنُ فَقَانَا عَيْنَهُ بِالنِّيَّازِكِ

قال أبو زيد : « قال أبو الحسن : حدثني مسلمة^(١) أن المصعب لمَّا
انصرف عبدُ الملك إلى دمشق لم يكن^(٢) له همَّةٌ إلَّا البصرة ، وطَمِعَ أن
يُدرِك بها خالدًا ، فوجده قد خرج ، وأمن ابنُ معمر النَّاسَ ، فأقام
أكثرهم . وخاف بعضهم مُصعبًا فشخص ، فغضب مُصعب على ابن
معمر ، وحلَّف ألا يوليه ، وأرسل إلى الجُفريَّة فسبَّهم وأتَّهم .

قال أبو زيد : فزعم المدائني وغيره من رُواة أهل البصرة أنه أرسل إليهم
فأتى بهم ، فأقبل على عبید الله بن أبي بكره ، فقال : يا ابنَ مسرُوح ، إنَّما
أنت ابنُ كلبِنا تعاوَرها الكلاب ، فجاءت بأحمر وأسود وأصفر من كلِّ
كلب بما يُشبهه ، وإنَّما كان أبوك عبدًا نزل إلى رسول الله صلَّى الله
عليه وسلم من حصن الطائف ، ثم أقمت البيئَةَ تدعون أن أبا سُفيانَ
زنى بأمتكم ، أما والله لئن بقيتُ لألحقنَّكم بنسبكم . ثم دعا بحُدُثران
فقال : يا بنِ اليهوديَّة ، إنَّما أنت علج نبطي سُبَّيت من عَيْنِ التَّمَرِ .
ثم قال للحكَم بن المنذر بن الجارود : يا بنِ الخبيث ، أتدري من أنت
ومن الجارود ! إنَّما كان الجارودَ علجًا بجزيرة ابن كاوان فارسيًّا ، فقطع إلى

ساحل البحر ، فانتمى إلى عبد القيس ، ولا والله ما أعرف حَيًّا أكثرَ اشتمالًا
على سَوءٍ منهم . ثم أنكح أختَه المُكعَّبرَ الفارسي فلم يُصب شرًّا قطَّ
أعظم منه ، فهؤلاء ولدُها يا بنِ قُبَّاذ . ثم أتى بعبد الله بن فضالة الزَّهراني
فقال : ألسنت من أهل هَجَرَ ، ثم من أهل سَمَاهِيج ! أما والله لأردنَّك
إلى نَسَبِك . ثم أتى بعلی بن أصمغ ، فقال : أعبَد لِبني تميم مرةً وعزى من
باهلة ! ثم أتى بعبد العزيز بن بشر بن حَسَّاط فقال : يا بنِ المشتور ، ألم
يسرق عمُّك عزًّا في عهد عمر ، فأمر به فسيَّر ليقطعه ! أما والله ما أعنتُ إلَّا

(١-١) ب ، ف : « عمر بن شبة عن أبي الحسن المدائني عن مسلمة » .

(٢) ب ، ف : « لم تكن » .

من يَسْكُحْ أختك—وكانت أخته تحت مقاتل بن مِسمع— ثم أتى بأبي حاضر
 الأسدى فقال : يا بن الإصطخريّة ، ما أنت والأشرف ! وإنما أنت من
 أهل قطرد عيسى في بني أسد، ليس لك فيهم قريب ولا نسيب . ثم أتى
 بزياد بن عمرو فقال : يا بن الكرمانيّ، إنّما أنت عُلج من أهل كرمّان
 قطعت إلى فارس فصرت ملاحاً ، ما لك وللحرب ! لأنت بجرّ
 القتلِس (١) أهدق . ثم أتى بعبد الله بن عثمان بن أبي العاص فقال : أعلت
 تكثر وأنت عُلج من أهل هجر، لحق أبوك بالطائف وهم يضمون من
 تأشّب إليهم يتعزّزون به ! أما والله لأردنك إلى أصلك . ثم أتى بشيخ بن
 النعمان فقال : يا بن الخبيث، إنّما أنت عُلج من أهل زند ورّد ، هربت
 أمك وقتل أبوك ، فتزوج أخته رجل من بني يشكر ، فجاءت بغلامين ،
 فألحقنك بنسبهما ، ثم ضربهم مائة مائة ، وحلق رءوسهم ولحاهم ، وهدم
 دورهم ، وصهرهم في الشمس ثلاثاً ، وحملهم على طلاق نساءهم ، وجمّر
 أولادهم في البعوث ، وطاف بهم في أقطار البصرة ، وأحلفهم ألاّ يَسْكُحُوا
 الحرّائر . وبعث مُصعب خدّاش بن يزيد (٢) الأسدى في طلب من
 هرب من أصحاب خالد ، فأدرك مرة بن مَحْكان فأخذه ، فقال
 مرّة :

٨٠٣/٢

بني أسدٍ إن تَقْتُلُونِي تُحَارِبُوا تَمِيماً إِذَا الْحَرْبُ الْعَوَانُ اشْمَعَلْتِ
 بني أسد هل فيكم من هَوَادَةٍ فَتَعْفُونِ إِنْ كَانَتْ بِي النُّعْلُ زَلْتِ
 فلا تحسب الأعداء إذ غبت عنهم وأوريت معناً أن حربي كلت
 تمشى خدّاش في الأسيكة آمناً وقد نهلت مني الرماح وعلت

فقربه خدّاش فقتله— وكان خدّاش على شُرطة مُصعب يومئذ—
 وأمر مُصعب سنان بن ذهل أحد بني عمرو بن مرثد بدار مالك بن

(١) القلس : جبل غليظ من جبال السفن .

(٢) ب ، ف : « مرثد » .

مسموع فهدمها ، وأخذ مُصعب ما كان في دار مالك ، فكان فيما أخذ
 بجارية ولدت له عمر بن مُصعب . قال : وأقام مُصعب بالبصرة حتى (١)
 شخص إلى الكوفة ، ثم لم (٢) يزل بالكوفة حتى خرج (٣) لحرب عبد الملك ،
 ونزل عبد الملك مسكن ، وكتب عبد الملك إلى المروانية من أهل العراق ،
 فأجابته كلثوم وشرطوا عليه ولاية أصبهان ، فأنعم بها لهم كلهم ، منهم حجاج
 ابن أبجر ، والغضبان بن القبة ثري ، وعتاب بن رقاء ، وقطن بن عبد الله
 الحارثي ، ومحمد بن عبد الرحمن بن سعيد بن قيس ، وزحر بن قيس ، ومحمد
 ابن عُمير ، وعلى مقدمته محمد بن مروان ، وعلى يمينته عبد الله بن يزيد بن
 معاوية ، وعلى يسارته خالد بن يزيد ، وسار إليه مصعب وقد خذله أهل الكوفة .
 قال عروة بن المغيرة بن شعبة : فخرج يسير متسكنا على معرفة
 دابته ، ثم تصفح (٤) الناس يمينا وشمالا فوَقعت عينه على ، فقال : يا عروة ،
 إلى ، فدنوت منه ، فقال : أخبرني عن الحسين بن علي ، كيف صنع
 بإيائه النزول على حكم ابن زياد وعزمه على الحرب ؟ فقال :

٨٠٤/٢

إِنَّ الْأَلَى بِالطُّفِّ مِنْ آلِ هَاشِمٍ تَأَسَّوْا فَسَنُوا لِلْكَرَامِ التَّأْسِيَا (٥)
 قال : فعلت أنه لا يريم حتى يقتل ، وكان عبد الملك - فيما ذكر
 محمد بن عمر عن عبد الله بن محمد بن عبد الله بن أبي قرّة ، عن إسحاق
 ابن عبد الله بن أبي فرّوة ، عن رجاء بن حسيوة - قال : لما قتل عمرو بن
 سعيد وضع السيف فقتل من خالفه ، فلما أجمع بالمسير إلى مصعب وقد
 صفت له الشام وأهلها خطب الناس وأمرهم بالتهيؤ إلى مصعب ، فاختلف
 عليه رؤساء أهل الشام من غير خلاف لما يريد ، ولكنهم أحسبوا أن يقيم ويقدم
 بالجيوش ، فإن ظفروا فذاك ، وإن لم يظفروا أمدهم بالجيوش خشية على
 الناس إن أصيب في لقائه مصعبا لم يكن وراءه ملك ، فقالوا : يا أمير المؤمنين ،
 لو أقمتم مكانك وبعثت على هؤلاء الجيوش رجلا من أهل بيتك ، ثم

٨٠٥/٢

(١) ب ، ف : « ثم » .

(٢) ب ، ف : « ولم » . (٣) ب ، ف : « شخص » .

(٤) ب ، ف : « يتصفح » .

(٥) اللسان (أسي) من غير نسبة ، وروايته : « التأسي » .

سرحته إلى مصعب ! فقال عبدُ الملك : إنَّه لا يقوم بهذا الأمر إلا قرشيٌّ له رأى ، ولعلِّي أبعث من له شجاعة ولا رأى له ، وإنِّي أجد في نفسي أُنَى بصيرٌ بالحرب ، شجاعٌ بالسيف إنَّ الجِثْتُ إلى ذلك ، ومصعبٌ في بيت شجاعة ، أبوه أشجع قريش ، وهو شجاع ولا علم له بالحرب ، يُحبُّ الخفض ، ومعه من يُخالفه ، ومعى من ينصح لى . فسار عبدُ الملك حتَّى نزل مَسْكِن ، وسار مصعبٌ إلى باجُمَيْرَا ، وكتب عبدُ الملك إلى شيعته من أهل العراق ، فأقبل إبراهيمُ بنُ الأَشْرَجِ بكتاب عبد الملك محتوماً لم يقرأه ، فدفعه إلى مصعب ، فقال : ما فيه ؟ فقال : ما قرأته ، فقرأه مصعبٌ فإذا هو يدعوه إلى نفسه ، ويجعل له ولاية العراق ، فقال لمصعب : إنَّه والله ما كان من أحد آيس^(١) منه منى ، ولقد كتب إلى أصحابك كلَّهم بمثل اللذى كتب إلى ، فأطعنى فيهم فاضرب أعناقهم . قال : إذا لا تُناصحننا عشائركم . ٨٠٦/٢
قال : فأقرهم حديدًا وبعث بهم إلى أبيض كسرى فاحبسهم^(٢) هنالك ، ووكل بهم من إن غلبت ضرب أعناقهم ، وإن غلبت مسنت بهم على عشائركم . فقال : يا أبا النعمان ، إنى لستى شغل عن ذلك ، يرحم الله أبا سحر ، إن كان ليحذرنى غدر أهل العراق ، كأنه كان ينظر إلى ما نحن فيه !

حدثني عمر ، قال : حدثنا محمد بن سلام ، عن عبد القاهر بن السرى ، قال : هم أهل العراق بالغندر بمصعب ، فقال قيس بن الهيثم : ويحكتم ! لا تدخلوا أهل الشام عليكم ، فوالله لئن تطعمتموا بعيشكم لسيصفين عليكم منازلكم ، والله لقد رأيت سيده أهل الشام على باب الخليفة يفرح إن أرسلته في حاجة ، ولقد رأيتنا في الصوائف وأحدنا على ألف بعير ، وإن الرجل من وجوههم ليتغزو على فرسه وزاده خلفه .

قال : ولما تدانى العسكران بدى الجائليق من مسكن ، تقدم إبراهيم بن الأشتر فحتمل على محمد بن مروان فأزاله عن موضعه ، فوجه عبد الملك بن مروان عبد الله بن يزيد بن معاوية ، فقرب من محمد بن

(١) ب ، ف : « آنس » .

(٢) ب ، ف : « واحبسهم » .

مروان . والتقى القومُ فقتلَ مُسلم بنَ عَمرو الباهليَّ ، وقتلَ يَحْيَى ابنَ مبشَّر ، أحدَ بنِي ثعلبة بنِ يَرْبُوع ، وقتلَ إبراهيم بنَ الأشتر ، فهربَ عتَّاب ابنُ وَرْقَاء - وكانَ على الخيلِ مع مصعب - فقال مصعب لقطن بن عبد الله الحارثي : أبا عثمان ، قدَّم خيلك ، قال : ما أرى ذلك ، قال : ولم ؟ قال : أكره أن تُقتلَ مذحجٌ في غير شيء ، فقال للحجَّار بن أبجر : أبا أسيد ، قدَّم رايتهك ؛ قال : إلى هذه العُدرة ! قال : ما تتأخَّر إليه والله أنْتن والأُم ؛ فقال لمحمَّد بن عبد الرَّحمن بن سعيد بن قيس مثل ذلك ، فقال : ما أرى أحدًا فَعَمَل ذلك فأفعله ، فقال مصعب : يا إبراهيم ولا إبراهيمَ لي اليوم !

حدَّثني أبو زيد ، قال : حدَّثني محمد بنُ سلام ، قال : أخبرني ابنُ خازم بمسير مصعب إلى عبد الملك ، فقال : أمعه عمر بنُ عبيد الله بن معمر ؟ قيل : لا ، استعمله على فارس ، قال : أفعمه المهلب بنُ أبي صفرة ؟ قيل : لا ، استعمله على الموصل ، قال : أفعمه عبَّاد بن الحصين ؟ قيل : لا ، استخلفه على البصرة ، فقال : وأنا بخراسان !

خُلِينِي فَجُرِينِي جَعَارٍ وَأَبْشِيرِي بِلَحْمِ آمِرِي لَمْ يَشْهَدِ الْيَوْمَ نَاصِرُهُ
فقال مصعب لابنه عيسى بن مصعب : يا بُني ، اركب أنتَ ومن معك إلى عمك بمكة فأخبره ما صنع أهلُ العراق ، ودعني فإني مَقْتُول . فقال ابنه : والله لا أخبر قريشًا عنك أبدًا ، ولكن إن أردت ذلك فالحقُ بالبصرة فهم على الجماعة ، أو الحقُّ بأمير المؤمنين . قال مصعب : والله لا تتحدَّث قريش أني فررت بما صنعتُ ربعةً من خذلانها حتى أدخل الحرمَ مُسَهزِمًا ، ولكن^(١) أقاتل ، فإن^(٢) قُتلت فلعمري ما السيفُ بعار ، وما الفرار لي بعادة ولا خُلْتُ ، ولكن إن أردت أن ترجع فارجع فقاتل . فرجع فقاتل حتى قتل .

قال علي بن محمد عن يحيى بن سعيد بن أبي المهاجر ، عن أبيه

(١) ب ، ف : « ولكني » . (٢) ب ، ف : « فلئن » .

إن عبد الملك أرسل إلى مصعب مع أخيه محمد بن مروان : إن ابن عمك يعطيك الأمان ، فقال مصعب : إن مثلي لا ينصرف عن مثل هذا الموقف إلا غالباً أو مغلوباً .

وقال الهيثم بن عدي : حدثنا عبد الله بن عيساش ، عن أبيه ، قال : إننا لو قُوفُ مع عبد الملك بن مروان وهو يُحارب مصعباً إذ دنا زياد بن عمرو ، فقال : يا أمير المؤمنين ، إن إسماعيل بن طَلْحَةَ كان لي جَارَ صدق ، قلتما أرداني مُصَعَبٌ بسوءٍ إلا دَفَعُهُ عني ، فإن رأيت أن تؤمنه علي جرمه ! قال : هو آمن ، فضي زياد - وكان ضَخْمًا على ضَخْمٍ - حتى صار بين الصِّقِّين ، فصاح : أين أبو البختريِّ إسماعيلُ بنُ طَلْحَةَ ؟ فخرج إليه ، فقال : إنني أريد أن أذكرَ لك شيئاً ، فدنا حتى اختلفت أعناقُ دوابَّهما - وكان الناسُ ينتظرون بالحواشي الحشوة - فوضع زياد يده في منطفة إسماعيل ، ثم اقتلعه عن سرِّجه - وكان نَحيفًا - فقال : أنشدك الله يا أبا المغيرة ، إن هذا ليس بالوفاء لمصعب ، فقال : هذا أحبُّ إلىَّ من أن أراك غَدًا مقتولًا .

ولمَّا أبى مصعب قبول الأمان نادى محمد بن مروان عيسى بن مصعب ٨٠٩/٢ وقال له : يا بن أخي ، لا تقتل نفسك ، لك الأمان ، فقال له مصعب : قد أمسك عمك فامض إليه ، قال : لا تتحدث نساءً قريش أني أسلَّمتك للقتل ؛ قال : فتقدم بين يديَّ أحتسيبك ، فقاتل بين يديه حتى قتل ، وأثخن مصعب بالرَّمَى ، ونظر إليه زائدة بن قدامة فشدَّ عليه قطعنه ، وقال : يا لثارات المختار ! فصرعه ، ونزل إليه عبيد الله ابن زياد بن ظبَّيَان ، فاحتزَّ رأسه ، وقال : إنَّه قتل أخى النابت بن زياد . فأتى به عبد الملك بن مروان فأثابته ألف دينار ، فأبى أن يأخذها ، وقال : إنني لم أقتله على طاعتك ، إنما قتلته على وترٍ صنعه لي ، ولا آخذُ في حمل رأس مالا . فتركه عند عبد الملك .

وكان الوتر الذي ذكره عبيد الله بن زياد بن ظبيان أنه قتل عليه مصعباً أن مصعباً كان ولي في بعض ولايته شرطه مطرف بن سيدان الباهلي ثم أحدبني بجاوة .

فحدثني عمر بن شبيب ، قال : حدثني أبو الحسن المدائني ومخالد بن يحيى بن حاضر ، أن مطرفاً أتى بالناي بن زياد بن ظبيان ورجل من بني نمير قد قطعاً الطريق ، فقتل الناي ، وضرب النميري بالسياط فتركه ، فجمع له عبيد الله بن زياد بن ظبيان جمعاً بعد أن عزله مصعب عن البصرة وولاه الأهواز ، فخرج يريد ، فالتقي فتواقفاً وبينهما نهر ، فعبر مطرف إليه الشهر ، وعاجله ابن ظبيان فطعنه فقتله ، فبعث مصعب مكرم بن مطرف في طلب ابن ظبيان ، فسار حتى بلغ عسكر مكرم ، فنسب إليه ، ولم يلق ابن ظبيان . ولحق ابن ظبيان بعبد الملك لماً قتل أخوه ، فقال البعيت الشكرى بعد قتل مصعب يذكر ذلك :

٨١٠/٢

ولما رأينا الأمر نكساً صدوره وهم الهوادي أن تكن توالياً^(١)
صبرنا لأمر الله حتى يقيمه ولم نرض إلا من أمية واليا
ونحن قتلنا مصعباً وابن مصعب أخا أسد والنخعي اليانبا
ومرت عقاب الموت منا بمسلم فأهوت له ناباً فأصبح ثاويًا
سقيننا ابن سيدان بكأس روية كفتنا ، وخير الأمر ما كان كافيا
حدثني أبو زيد ، قال : حدثني علي بن محمد ، قال : مر ابن ظبيان بابنة مطرف بالبصرة ، فقيل لها : هذا قاتل أبيك ، فقالت : في سبيل الله أبي ، فقال ابن ظبيان :

فلا في سبيل الله لاقى حمامة أبوك ولكن في سبيل الدراهم
فلما قتل مصعب دعا عبد الملك بن مروان أهل العراق إلى البيعة ، فبايعوه ، وكان مصعب قتل على نهر يقال له الدجيل عند دير الجاثليق
فلما قتل أمر به عبد الملك وبابنه عيسى فدُفنا .

٨١١/٢

ذكر الواقدي عن عثمان بن محمد ، عن أبي بكر بن عمار ، عن عروة

قال : قال عبدُ الملك حين قُتِل مُصعبٌ : وارؤهُ فقد والله كانت الحرمة بيننا وبينه قديمةً ، ولكن هذا المثلُّ عقيم .

قال أبو زيد : وحدثنى أبو نعيم ، قال : حدثني عبدُ الله بنُ الزبير أبو أبي أحمد ، عن عبد الله بن شريك العامري ، قال : إني لسواقفٌ إلى جنب مصعب بن الزبير فأخرجتُ له كتاباً من قسبائي ، فقلتُ له : هذا كتابُ عبد الملك ، فقال : ما شئت ، قال : ثم جاء رجلٌ من أهل الشام فدخل عسكره ، فأخرجَ جارية فصاحت : واذلّاه ! فنظر إليها مُصعب ، ثم أعرّض عنها .

قال : وأتني عبدُ الملك برأس مُصعب ، فنظر إليه فقال : متى تغدو قريشٌ مثلك ! وكانا يتحدّثان إلى حبّسي ، وهما بالمدينة ، فقبل لها : قُتِل مصعب ، فقالتُ : تعس قاتلُه ! قيل : قتله عبدُ الملك بنُ مروان ، قالت : بأبي القاتلُ والمقتول !

قال : وحجّ عبدُ الملك بعد ذلك ، فدخلتُ عليه حبّسي ، فقالت :

٨١٢/٢

أقتلت أخاك مُصعباً ؟ فقال :

من يذُق الحربَ يجد طعمها مُراً وتتركه بجعجاع^(١)
وقال ابن قيس الرقيبات :

لقد أورتَ المِصرينَ خزيًا وذلةً
فما نصحتَ الله بكرُّ بنِ وائلٍ
ولو كان بكرياً تعطفَ حَوْلَهُ
ولكنه ضاعَ الدمامُ ولم يكن
جزى الله كوفياً هناك ملامةً
وإنَّ بنى العلاتِ أخلوا ظهورنا
قتيلٌ بدير الجاثليقي مُقيم^(٢)
ولا صبرتُ عند اللقَاءِ تميمُ
كتائبُ يغلي حميها ويدومُ
بها مُضريُّ يومَ ذلك كريمٍ
وبصريهم إنَّ المليمَ مليمٍ
ونحن صريح بينهم وصميمُ

٨١٢/٢

(١) لأبي قيس بن الأسلت ، من المفضلية ٧٥ . والجعجاع : المحبس في المكان الخشن أو

الضيق . (٢) ديوانه ١٩٦ ، وبعده في رواية الديوان :

تولى قتال المارقين بنفسه وقد أسلماه مُنقذٌ وحميمُ

فَإِنْ نَفْسًا لَا يَبْقَا وَلَا يَكُ بَعْدَنَا لِيَذِي حُرْمَةٍ فِي الْمُسْلِمِينَ حَرِيمٌ^(١)

* * *

قال أبو جعفر : وقد قيل : إن ما ذكرتُ من مقتل مصعب والحرب التي جرت بينه وبين عبد الملك كانت في سنة اثنتين وستين ، وأن أمر خالد ابن عبد الله بن خالد بن أسيد ومصيره إلى البصرة من قبل عبد الملك كان في سنة إحدى وسبعين ، وقتل مصعب في جمادى الآخرة .

* * *

[ذكر الخبر عن دخول عبد الملك بن مروان الكوفة]

وفي هذه السنة دخل عبد الملك بن مروان الكوفة وفرق أعمال العراق والمصريين الكوفة والبصرة على عماله في قول الواقدي ؛ وأما أبو الحسن فإنه ذكر أن ذلك في سنة اثنتين وسبعين .

وحدثني عمر ، قال : حدثني علي بن محمد ، قال : قتل مصعب يوم الثلاثاء لثلاث عشرة خلت من جمادى الأولى أو الآخرة سنة اثنتين وسبعين . ولما أتى عبد الملك الكوفة - فيما ذكر - نزل الشخيلة ، ثم دعا الناس إلى البيعة ، فجاءت قضاة ، فرأى قلة ، فقال : يا معشر قضاة ، كيف سلكتم من مضر مع قتلناكم ! فقال : عبد الله بن يسعلى النهدي : نحن أعز منهم وأمنع ؛ قال : بمن ؟ قال : بمن معك منا يا أمير المؤمنين . ثم جاءت سدة جح وهمدان فقال : ما أرى لأحد مع هؤلاء بالكوفة شيئاً . ثم جاءت جعفي ، فلما نظر إليهم عبد الملك قال : يا معشر جعفي ، اشتدتم على ابن أختكم ، ووارثموه ؟ يعني يحيى بن سعيد بن العاص - قالوا : نعم ، قال : فهاتوه ؛ قالوا : وهو آمن ؟ قال : وتشرطون أيضاً ! فقال رجل منهم : إنا والله ما نشترط جهلاً بحقك ، ولكننا نتسحب عليه تسحب الولد على والده ، فقال : أما والله لنعم الحي أنتم ؛ إن كنتم لتفسرنا في الجاهلية والإسلام ، هو آمن ، فجاءوا به وكان يركب أبا أيوب ، فلما نظر إليه عبد الملك قال أيا قبيح ، بأي وجه تنظر إلى ربك وقد

٨١٤/٢

خلعتني ! قال : بالوجه الذي خلقه ، فبايع ثم ولي فنظر عبدُ الملك في قفاه فقال : لله درّه ! أي ابن زوملة هو ! يعنى غريبة .

وقال عليّ بنُ محمد : حدثني القاسم بنُ نَمَعْن وغيره أن مَعْبِدَ بْنَ خَالِدِ الْجَدَلِيَّ قَالَ : ثُمَّ تَقَدَّمْنَا إِلَيْهِ مَعْشَرَ عَدَوَانٍ ، قَالَ : فَقَدَّمْنَا رَجُلًا وَسَمَّا بِجَسْمِيلاً ، وَتَأَخَّرْتُ — وَكَانَ مَعْبِدٌ دَمِيماً — فَقَالَ عَبْدُ الْمَلِكِ : مَنْ ؟ فَقَالَ الْكَاتِبُ : عَدَوَانٌ ، فَقَالَ عَبْدُ الْمَلِكِ :

عذيرَ الحيِّ من عدوا ن كانوا حية الأرض
بغى بعضهم بعضاً فلم يرعوا على بعض
ومنهم كانت السادا ت والمؤفون بالقرض
ثم أقبل على الجميل فقال : إيه ! فقال : لا أدري ، فقلت من خلفه :
ومنهم حكّم يقضى فلا ينقض ما يقضى
ومنهم من يجيز الحجّ بالسنة والقرض^(١)
وهم مذ ولدوا شبوا بسر النسب المحض

قال : فتركني عبدُ الملك ، ثم أقبل على الجميل فقال : من هو ؟ قال : لا أدري ؛ فقلت من خلفه : ذو الإصبع ؛ قال : فأقبل على الجميل فقال : ولم سمي ذا الإصبع ؟ فقال : لا أدري ؛ فقلت من خلفه : لأن حية عضت إصبعه فقطعتها ، فأقبل على الجميل فقال : ما كان اسمه ؟ فقال : لا أدري ؛ فقلت من خلفه : حرثان بن الحارث ؛ فأقبل على الجميل ، فقال : من أيكم كان ؟ قال : لا أدري ، فقلت من خلفه : من بني ناج ، فقال :

أبعَدَ بني ناجٍ وسَعِيكَ بينهم^(٢) فلا تتبعن عينيكَ ما كان هاليكا

(١) قال أبو الفرج : « قوله : « ومنهم من يجيز الناس » فإن إجازة الحج كانت لخزاعة ، فأخذتها عدوان ، فصارت لرجل فيهم يقال له سيارة . الأغاني ٣ : ٨٩ (٢) رواية الأغاني :

* وَأَمَّا بَسُو نَاجٍ فَلَا تَذَكَّرْنَهُمْ *

إذا قُلْتُ مَعْرُوفًا لِأُصْلَحَ بَيْنَهُمْ يَقُولُ وَهَيْبٌ : لا أَصَالِحَ ذَلِكَ
فَأُضْحِي كظَهْرِ الْعَيْرِ جُبَّ سَنَامُهُ تُطِيفُ بِهِ الْوِلْدَانُ أَحَدَبَ بَارِكَا

٨١٦/٢

ثمَّ أَقْبَلَ عَلَى الْجَمِيلِ ، فَقَالَ : كَمْ عَطَاؤُكَ ؟ قَالَ : سَبْعِمِائَةٍ ، فَقَالَ لِي :
فِي كَسْمٍ أَنْتَ ؟ قُلْتُ : فِي ثَلَاثِمِائَةٍ ؛ فَأَقْبَلَ عَلَى الْكَاتِبَيْنِ ، فَقَالَ : حُطًّا
مِنْ عَطَاءِ هَذَا أَرْبَعِمِائَةٍ ، وَزَيْدَاهَا فِي عَطَاءِ هَذَا ، فَرَجَعْتُ وَأَنَا فِي سَبْعِمِائَةٍ ،
وَهُوَ فِي ثَلَاثِمِائَةٍ . ثُمَّ جَاءَتْ كِنْدَةُ فَنَظَرَ إِلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ إِسْحَاقَ بْنِ الْأَشْعَثِ ،
فَأَوْصَى بِهِ بِشَرًّا أَخَاهُ ، وَقَالَ : اجْعَلْنِي فِي صَحَابَتِكَ . وَأَقْبَلَ دَاوُدُ بْنُ
قَحْطَمٍ فِي مَائَتَيْنِ مِنْ بَكْرٍ بْنِ وَاثِلٍ ، عَلَيْهِمُ الْأَقْبِيَّةُ الدَّائِدِيَّةُ ، وَبِهِ
سُمِّيَتْ ، فَجَلَسَ مَعَ عَبْدِ الْمَلِكِ عَلَى سَرِيرِهِ ، فَأَقْبَلَ عَلَيْهِ عَبْدُ الْمَلِكِ ، ثُمَّ
نَهَضَ وَنَهَضُوا مَعَهُ ، فَأَتَبَعَهُمْ عَبْدُ الْمَلِكِ بِصَرِهِ ، فَقَالَ : هُوَلَاءُ الْفُسَّاقُ ، وَاللَّهِ
لَوْلَا أَنَّ صَاحِبَهُمْ جَاءَنِي مَا أَعْطَانِي أَحَدٌ مِنْهُمْ طَاعَةَ (١) .

ثمَّ إِنَّهُ وَلَّى - فِيمَا قِيلَ - قَطَنَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ الْخَارِثِيَّ الْكُوفِيَّ أَرْبَعِينَ يَوْمًا
ثُمَّ عَزَلَهُ ، وَوَلَّى بِشَرَ بْنَ مَرْوَانَ وَصَعِدَ مِنْبَرَ الْكُوفَةِ فَخَطَبَ فَقَالَ :

إِنَّ عَبْدِ اللَّهِ بْنَ الزُّبَيْرِ لَوْ كَانَ خَلِيفَةً كَمَا يَزْعُمُ لَخَرَجَ فَاسَى بِنَفْسِهِ ، وَلَمْ
يَغْرُزْ ذَنْبَهُ فِي الْحَرَمِ . ثُمَّ قَالَ : إِنِّي قَدْ اسْتَعْمَلْتُ عَلَيْكُمْ بِشَرَ بْنَ مَرْوَانَ ،
وَأَمْرَتُهُ بِالْإِحْسَانِ إِلَى أَهْلِ الطَّاعَةِ ، وَالشَّدَّةِ عَلَى أَهْلِ الْعَصِيَّةِ ، فَاسْمَعُوا لَهُ
وَأَطِيعُوا .

٨١٧/٢

وَاسْتَعْمَلَ مُحَمَّدُ بْنُ عُمَيْرٍ عَلَى هَمَّسَدَانَ ، وَيَزِيدَ بْنَ رُقَيْمٍ عَلَى
الرَّيِّ ، وَفَتَرَاقَ الْعُمَّالِ ، وَلَمْ يَفِ لِأَحَدٍ شَرْطَ (٢) عَلَيْهِ وَلَا يَةَ أَصْبِيهَانَ ؛ ثُمَّ
قَالَ : عَلَى هُوَلَاءِ الْفُسَّاقِ النَّذِينَ أَنْسُغَلُوا الشَّامَ ، وَأَفْسَدُوا الْعِرَاقَ ، فَقِيلَ :
قَدْ أَبْجَاهَهُمْ رُؤَسَاءُ عَشَائِرِهِمْ ، فَقَالَ : وَهَلْ يَجِيرُ عَلَى أَحَدٍ ! وَكَانَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ
يَزِيدَ بْنَ أَسَدٍ بَلَغًا إِلَى عَلِيِّ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ ، وَبَلَغًا إِلَيْهِ أَيْضًا
يُحْيَى بْنُ مَعْمُورٍ الْهَمْدَانِيَّ ، وَبَلَغًا الْهَدَيْلِيَّ بْنَ زُفَرَ بْنِ الْخَارِثِ وَعَمْرُو بْنُ زَيْدِ (٣)
الْحَكَمِيِّ إِلَى خَالِدِ بْنِ يَزِيدَ بْنِ مَعَاوِيَةَ ، فَأَمَّنَهُمْ عَبْدُ الْمَلِكِ ، فَظَهَرُوا .

(١) انظر الأغانى ، ٣ : ٩١ ، ٩٢ .

(٢) ب ، ف : « يشرط » .

(٣) س ، ابن الأثير : « يزيد » .

قال أبو جعفر : وفي هذه السنة تنازع الرياسة بالبصرة عبيد الله بن أبي بكره وحمران بن أبان ، فحدثني عمر بن شبة قال : حدثني علي بن محمد قال : لما قُتِلَ المُصعب وثب حمران بن أبان وعبيد الله بن أبي بكره فتنازعا في ولاية البصرة ، فقال ابن أبي بكره : أنا أعظم غناء منك ، أنا كنت أنفق على أصحاب خالد يوم الجفرة . فليل لحمران : إنك لا تقوى على ابن أبي بكره ، فاستعين بعبد الله بن الأهم ، فإنه إن أعانك لم يقو عليك ابن أبي بكره ، ففعل ، وغلب حمران على البصرة وابن الأهم على شرطها .

وكان لحمران منزلة عند بني أمية ؛ حدثني أبو زيد قال : حدثني أبو عاصم النبيل قال : أخبرني رجل قال : قدم شيخ أعرابي فرأى حمران فقال : من هذا ؟ فقالوا : حمران ؛ فقال : لقد رأيت هذا وقد مال رداؤه عن عاتقه فابتدره مروان وسعيد بن العاص أيهما يسويه . قال أبو زيد : قال أبو عاصم : فحدثت بذلك رجلاً من ولد عبد الله بن عامر ، فقال : حدثني أبي أن حمران مدّ رجله فابتدر معاوية وعبد الله بن عامر أيهما يتغمرها .

[ذكر خبر ولاية خالد بن عبد الله على البصرة]

وفي هذه السنة بعث عبد الملك خالد بن عبد الله على البصرة والياً ، حدثني عمر ، قال : حدثني علي بن محمد ، قال : مكث حمران على البصرة يسيراً ، وخرج ابن أبي بكره حتى قدم على عبد الملك الكوفة بعد مقتل مصعب ، فولّى عبد الملك خالد بن عبد الله بن خالد بن أسيد على البصرة وأعمالها ، فوجه خالد عبيد الله بن أبي بكره خليفته على البصرة ، فلما قدم على حمران ، قال : أقدمت بجث لا جثت ! فكان ابن أبي بكره على البصرة حتى قدم خالد .

وفي هذه السنة رجّع عبد الملك - فيما زعم الواقدي - إلى الشام .

قال : وفيها نَزَعَ ابنُ الزبير جابرَ بنَ الأسودِ بنِ عوفٍ عن المدينة ، واستعمل عليها طلحة بن عبد الله بن عوف . قال : وهو آخرُ وال لابن الزبير على المدينة ، حتَّى قدم عليها طارقُ بنُ عمرو مولى عثمان ، فَهَرَبَ طلحة ، وأقام طارقُ بالمدينة حتَّى كتب إليه عبد الملك .
وَحَجَّ بالناس في هذه السَّنة عبدُ الله بنُ الزبير في قول الواقدي .

[خطبة عبد الله بن الزبير بعد مقتل مصعب]

وذكر أبو زيد عن أبي غَسَّانَ مُحَمَّد بن يحيى ، قال : حدثني مصعب ابنُ عثمان ، قال : لما انتهَى إلى عبد الله بن الزبير قتلُ مُصعب قام في الناس فقال :

الحمد لله الَّذي له الخلق والأمر ، يؤتي الملك من يشاء ، وَيَنْزِعُ الملكَ ممن يشاء ، وَيُعِزُّ من يشاء ، وَيُدَلِّ من يشاء . ألا وإنَّه لم يُدَلِّ اللهُ من كان الحقَّ معه وإن كان فرداً ، ولم يُعزِّزْ من كان وليه الشَّيطانَ وحزبه وإن كان^(١) معه الأنام طُرّاً . ألا وإنَّه قد أتانا من العراق خبرٌ حزننا وأفرَحنا ، أتانا قتلُ مصعب رحمةُ الله عليه ، فأما الَّذي أفرَحنا فَعَلِمْنَا أن قتلَه له شهادة ، وأما الَّذي حزننا فإنَّ لفراقَ الحميمِ لوعةً يسجدها حميمُه عند المصيبة ، ثمَّ يترَعَوِي مِن بَعْدِهَا ذو الرأى إلى جميلِ الصبرِ وكريمِ العزاء ، ولئن أصِبت بمصعب لقد أصِبت بالزبير قبلَه ، وما أنا من عثمانٍ بخَلْدٍ مصيبة ، وما مصعب إلا عبدٌ من عبيدِ الله وعَوْنٌ من أعوانِ . ألا إنَّ أهلَ العراق أهلُ العَدْرِ والنفاق ، أسَلَمُوهُ وباعُوهُ بأقلِّ الثمن ، فإن يُقتل فإنَّنا والله ما نموت على مَضَاجِعِنَا كما نموت بنو أبي العاص ، والله ما قُتِلَ منهم رجلٌ في زَحْفٍ في الجاهليَّة ولا الإسلام ، وما نموت إلا قَتَعَصاً^(٢) بالرَّماح ، وموتنا تحت ظلالِ السيوف . ألا إنَّما الدنيا عاريَّة من المَسَلِكِ الأعلى الَّذي لا يزول سلطانه ، ولا يسيِّدُ مَلِكُهُ ، فإن تُقبِلَ لا آخذها أخذ الأشرِ البَطْر ، وإن تُدْبِرَ لا أبكُ عليها بكاءَ الحَرِيقِ المَسْهِينِ ؛ أقول قولي هذا وأستغفرُ اللهَ لي ولكم .

* * *

وذكر أن عبد الملك لما قتل مصعباً ودخل الكوفة أمر بطعام كثير
فصنّع ، وأمر به إلى الخوّرنق ، وأذن لإذناً عاماً ، فدخل الناس فأخذوا
مجالسهم ، فدخل عمرو بن حرّيث الخزوي فقال : إلى وعلى سريري ،
فأجلسه معه ، ثم قال : أى الطعام أكلت أحب إليك وأشهى عندك ؟ قال :
عناق^(١) حمراء قد أجيد تمليحها ، وأحكيم نضجها ، قال :
ما صنعت شيئاً ، فأين أنت من عمروس^(٢) راضع قد أجيد سمطه ،
وأحكيم نضجه ، اختلجت إليك رجلته ، فأتبعتها يده ، غدّى بشرّيجين
من لبن وسمن . ثم جاءت الموائد فأكلوا ، فقال عبد الملك بن مروان : ما ألدّ
عيشنا لو أن شيئاً يدوم ! ولكننا كما قال الأول :

وكلّ جديدٍ يا أميمَ إلى بليّ وكلّ امرئٍ يوماً يصيرُ إلى كانٍ
فلما فرغ من الطعام طاف عندُ الملك في القصر يقول لعمرو بن
حرّيث : لِمَنْ هذا البيت ؟ ومَنْ بَنَى هذا البيت ؟ وعمرو يُخبره ،
فقال عبدُ الملك :

وكلّ جديدٍ يا أميمَ إلى بليّ وكلّ امرئٍ يوماً يصيرُ إلى كانٍ
ثم أتى مجلسه فاستلقتي ؛ وقال :

أعمل على مهلٍ فإنك مَيّتٌ واكدهخ لَنفْسِك أَيُّهَا الْإِنْسَانُ
فكأنّ ما قد كان لم يكُ إذ مضى وكان ما هو كائنٌ قد كان

وفي هذه السنة افتتحت عبدُ الملك - في قول الواقدي - قيسارية .

(١) العناق : الأثني من أولاد المعزى .

(٢) في اللسان : « وفي حديث عبد الملك بن مروان : أين أنت من عمروس راضع ! العمروس

بالضم : الحروف أو الجلد إذا بلغا العدو » .

ثم دخلت سنة اثنتين وسبعين

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث الجليلة

قال أبو جعفر : فن ذلك ما كان من أمر الخوارج وأمر المهلب بن أبي صفرة وعبد العزيز بن عبد الله بن خالد بن أسيد .
ذكر هشام بن محمد ، عن أبي مخنف أن حصيرة بن عبد الله وأبا زهير العبسي حدثاه أن الأزارقة والمهلب بعدما اقتتلوا بسؤلاف ثمانية أشهر أشد القتال ، أتاهاهم أن مصعب بن الزبير قد قُتِل ، فبلغ ذلك الخوارج قبل أن يبلغ المهلب وأصحابه ، فناداهم الخوارجُ : ألا تُخبروننا ما قولكم في مصعب ؟ قالوا : إمام هُدَى ؛ قالوا : فهو وليكم في الدنيا والآخرة ؟ قالوا : نعم ، قالوا : وأنتم أولياؤه أحياء وأمواتاً ؟ قالوا : ونحن أولياؤه أحياء وأمواتاً ؛ قالوا : فما قولكم في عبد الملك بن مروان ؟ قالوا : ذلك ابن اللعين ، نحن إلى الله منه بُراء ، هو عندنا أحلُّ دماً منكم ، قالوا : فأنتم منه بُراء في الدنيا والآخرة ؟ قالوا : نعم كبرائتنا منكم ؛ قالوا : وأنتم له أعداء أحياء وأمواتاً ؟ قالوا : نعم نحن له أعداء كعداوتنا لكم ، قالوا : فإن إمامكم مصعباً قد قتلته عبدُ الملك بن مروان ، ونراكم ستجعلون غداً عبدَ الملك إمامكم ، وأنتم الآن تتبرءون منه ، وتلعنونه أباه ! قالوا : كذبتم يا أعداء الله . فلما كان من الغد تبين لهم قتلُ مصعب ، فبايع المهلب الناس لعبد الملك بن مروان فأتتهم الخوارجُ فقالوا : ما تقولون في مصعب ؟ قالوا : يا أعداء الله ؛ لا نخبركم ما قولنا فيه ، وكرهوا أن يكذبوا أنفسهم عندهم ، قالوا : فقد أخبرتمونا أمس أنه وليكم في الدنيا والآخرة ، وأنكم أولياؤه أحياء وأمواتاً ، فأخبرونا ما قولكم في عبد الملك ؟ قالوا : ذاك إمامنا وخليفتنا — ولم يجدوا إذ بايعوه بُدّاً من أن يقولوا هذا القول — قالت لهم الأزارقة : يا أعداء الله ، أنتم أمس تبرءون منه في الدنيا والآخرة ، وتزعمون أنكم له أعداء أحياء وأمواتاً ، وهو اليوم إمامكم وخليفتكم ، وقد قتل إمامكم الذي كنتم

تولونه ! فأيهما الحق ، وأيهما المهتدي ، وأيهما الضال ! قالوا لهم : يا أعداء الله ، رضيينا بذلك إذ كان ولي^(١) أمورنا ، ونرضى بهذا كما رضيينا بذلك ، قالوا : لا والله ولكنكم إخوان الشياطين ، وأولياء الظالمين ، وعبيد الدنيا . وبعث عبد الملك بن مروان بشر بن مروان على الكوفة ، ونخالد بن عبد الله بن خالد بن أسيد على البصرة . فلما قدم خالد أثبت المهلب على خراج الأهواز ومعونتها ، وبعث عامر بن مسمع على سابور ، ومقاتيل بن مسمع على أردشير خوره ، ومسمع بن مالك بن مسمع على فسسا ودرابجيرد ، والمغيرة بن المهلب على إصطخر .

ثم إنه بعث إلى مقاتيل فبعثه على جيش ، وألحقه بناحية عبد العزيز فخرج يطلب الأزارقة ، فأنحطوا عليه من قبل كثر ما ن حتى أتوا درابجيرد ، فسار نحوهم . وبعث قطري مع صالح بن مخراق تسعمائة فارس ، فأقبل ٨٢٣/٢ يسير بهم حتى استقبل عبد العزيز وهو يسير بالناس ليلا ، يجرون على غير تعب ، فهزم الناس ، ونزل مقاتيل بن مسمع فقاتل حتى قتل ، وانهم عبد العزيز بن عبد الله ، وأخذت امرأته ابنة المنذر بن الجارود ، فأقيمت فيمن يزيد ، فبلغت مائة ألف - وكانت جميلة - فغار رجل من قومها كان من رموس الخوارج يقال له : أبو الحديد الشنّي ، فقال : تنحوا هكذا ، ما أرى هذه المشركة إلا قد فتنتكم ، فضرب عنقها . ثم زعموا أنه لحق بالبصرة ، فراه آل منذر فقالوا : والله ما ندري أنحمده أم نذمته ! فكان يقول : ما فعلته إلا غيرة وحامية . وجاء عبد العزيز حتى انتهى إلى رامهرمز ، وأتى المهلب فأخبر به ، فبعث إليه شيخا من أشياخ قومه كان أحدا فُرسانه ، فقال : ائمه فإن كان منهزما فعزّه وأخبره أنه لم يفعل شيئا لم يفعلك الناس قبلاه ، وأخبره أن الجنود تأتيه عاجلا ، ثم يعزّه الله وينصره . فأتاه ذلك الرجل ، فوجدوه نازلا في نحو من ثلاثين رجلا كئيبا حزينا ، فسلم عليه الأزدي ، وأخبره أنه رسول المهلب ، وبلغه ما أمره به ، وعرض عليه أن يذكر له ما كانت له من حاجة . ثم انصرف إلى المهلب فأخبره الخبر ، فقال له المهلب : الحق الآن بخالد بالبصرة فأخبره الخبر ، ٨٢٤/٢

(١) ف : « يتولى » .

فقال: أنا آتية أخبره أن أخاه هُزِمَ ! والله لا آتية ، فقال المهلب^(١): لا والله لا يأتية غيرك ، أنت الذي عاينته ورأيتة ، وأنت كنت رسولاً إليه ، قال : هو إذاً بيديك^(٢) يا مهلب أن ذهبَ إليه العام ، ثم خرج . قال المهلب : أما أنت والله فإنك لي آمن ، أما والله لو أنك مع غيري ، ثم أرسلك على رجلِك خرجت تشتد ! قال له وأقبل عليه : كأنك إنما تمنّ علينا بحلمك ! فنحن والله نكافئك بل نزيد ؛ أما تعلم أننا نعرّض أنفسنا للقتل دُونَكَ ، ونحميك من عدوك ! ولو كنا والله مع من يتجهل علينا ، ويسبعتنا في حاجاته على أرجلنا ، ثم احتاج إلى قتالنا ونصرتنا جعلناه بيننا وبين عدونا ، ووقينا به أنفسنا . قال له المهلب : صدقت صدقت . ثم دعا فتى من الأزد كان معه فسرحه إلى خالد يخبره خبر أخيه ، فأتاه الفتي الأزدى وحوله الناس ، وعليه جبّة خضراء ومُطرف أخضر ، فسلم عليه ، فردّ عليه ، فقال : ما جاء بك^(٣) ؟ قال : أصلحك الله ! أرسلني إليك المهلب لأخبرك خبر ما عاينته ، قال : وما عاينت ؟ قال : رأيت عبد العزيز برامه رمز مهزوماً ، قال : كذبت ، قال : لا ، والله ما كذبت ، وما قلت لك إلا الحق ، فإن كنت كاذباً فاضرب عُنقِي ، وإن كنت صادقاً فأعطني أصلحك الله جبّتك ومُطرفك . قال : ويحك ! ما أسرّ ما سألت ، ولقد رضيت مع^(٤) الخطر العظيم إن كنت كاذباً بالخطر الصغير إن كنت صادقاً . فمحبّسه وأمر بالإحسان إليه حتى تبيّنت له هزيمة القوم ، فكاتب إلى عبد الملك :

أما بعد ، فإنني أخبر أمير المؤمنين أكرمه الله أني بعثت عبد العزيز بن عبد الله في طلب الخوارج ، وأنهم لقوه بفارس ، فاقتتلوا قتالاً شديداً ، فانهزم عبد العزيز لما انهزم عنه الناس ، وقتل مقاتل بن مسمح ، وقدم الفتل إلى الأهواز . أحببت أن أعلم أمير المؤمنين ذلك ليأتيني رأيه وأمره أنزل عنده إن شاء الله ، والسلام عليك ورحمة الله .

(١) ا ، ب ، ف : « قال : فقال له المهلب » . (٢) كذا في ا ، في ط « يهديك » .

(٤) ا ، ب ، ف : « من » .

(٣) ا ، ب ، ف : « ما حاجتك » .

فكَتَبَ إليه :

أما بعد ، فقد قَدِمَ رسولُكَ في كتابِكَ ، تُعَلِّمُنِي فِيهِ بِعَاشَتِكَ أَخَاكَ عَلَى قِتَالِ الْخَوَارِجِ ، وَبِهَزِيمَةِ مَنْ هُزِمَ ، وَقَتْلِ مَنْ قُتِلَ ، وَسَأَلْتُ رَسُولَكَ عَنْ مَكَانِ الْمَهْلَبِ ، فَحَدَّثَنِي أَنَّهُ عَامِلٌ لَكَ عَلَى الْأَهْوَازِ ، فَقَسَّبِحَ اللَّهُ رَأْيَكَ حِينَ تَبَعْتَ أَخَاكَ أَعْرَابِيًّا مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ عَلَى الْقِتَالِ ، وَتَدَاعَى الْمَهْلَبُ إِلَى جَنْبِكَ يَسْجِي الْخِرَاجَ ، وَهُوَ الْمَيِّمُونَ النَّقِيبَةُ ، الْحَسَنُ السِّيَاسَةُ ، (١) الْبَصِيرُ بِالْحَرْبِ ، الْمُقَاسِي لَهَا (٢) ، ابْنُهَا وَابْنُ أَبْنَائِهَا ! انظُرْ أَنْ تَنْهَضَ بِالنَّاسِ حَتَّى تَسْتَقْبِلَهُمْ بِالْأَهْوَازِ وَمِنْ وَرَاءِ الْأَهْوَازِ . وَقَدْ بَعَثْتُ إِلَى بِشْرٍ أَنْ يُمَدِّكَ بِجَيْشٍ مِنْ أَهْلِ الْكُوفَةِ ، فَإِذَا أَنْتَ لَقَيْتَ عَدُوَّكَ فَلَا تَعْمَلْ فِيهِمْ بِرَأْيٍ حَتَّى تُحْضِرَهُ الْمَهْلَبُ ، وَتَسْتَشِيرَهُ فِيهِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ . وَالسَّلَامُ عَلَيْكَ وَرَحْمَةُ اللَّهِ .

فَشَقَّ عَلَيْهِ أَنَّهُ فَيَسَّلَ رَأْيَهُ فِي بَعِثَةِ أَخِيهِ (٢) وَتَرَكَ الْمَهْلَبَ ، وَفِي أَنَّهُ لَمْ يَرْضَ رَأْيَهُ خَالصًا حَتَّى قَالَ : أَحْضَرَهُ الْمَهْلَبَ وَاسْتَشَرَهُ فِيهِ . ٨٢٦/٢

وَكَتَبَ عَبْدُ الْمَلِكِ إِلَى بِشْرِ بْنِ مَرْوَانَ :

أما بعد ، فَإِنِّي قَدْ كَتَبْتُ إِلَى خَالِدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ أَمْرُهُ بِالنَّهْوِ إِلَى الْخَوَارِجِ ، فَسَرَّحَ إِلَيْهِ خَمْسَةَ آلَافِ رَجُلٍ ، وَابْعَثْ عَلَيْهِمْ رَجُلًا مِنْ قِبَلِكَ تَرْضَاهُ ، فَإِذَا قَضَوْا غَزَاتِهِمْ تِلْكَ صَرَفْتَهُمْ إِلَى الرَّيِّ فَقَاتَلُوا عَدُوَّهُمْ ، وَكَانُوا فِي مَسَالِحِهِمْ ، وَجَسَبُوا فِيهِمْ حَتَّى تَأْتِيَ أَيَّامَ عَقَبِهِمْ فَتُعَقِّبِهِمْ (٣) وَتَبْعَ آخِرِينَ مَكَانِهِمْ .

فَقَطَعَ عَلَى أَهْلِ الْكُوفَةِ خَمْسَةَ آلَافٍ ، وَبَعَثَ عَلَيْهِمْ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ مُحَمَّدِ بْنِ الْأَشْعَثِ ، وَقَالَ : إِذَا قَضَيْتَ غَزَاتِكَ هَذِهِ فَانصَرَفْ إِلَى الرَّيِّ . وَكَتَبَ لَهُ عَلَيْهَا عَهْدًا . وَخَرَجَ خَالِدٌ بِأَهْلِ الْبَصْرَةِ حَتَّى قَدِمَ الْأَهْوَازَ ، وَجَاءَ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ مُحَمَّدٍ يَبْعَثُ أَهْلَ الْكُوفَةِ حَتَّى وَافَاهُمْ بِالْأَهْوَازِ ،

(١-١) ب ، ف : « المقاتل للحرب » . (٢) ب ، ف : « بعثه بأخيه » .

(٣) س : « فتعقبهم » .

وجاءت الأزارقة حتى دنوا من مدينة الأهواز ومن مُعسكر القوم ، وقال المهلب لخالد بن عبد الله : إني أرى هاهنا سُفناً كثيرة ، فضممها إليك ، فوالله ما أظن القوم إلا مُحرقينها . فما لبث إلا ساعة حتى ارتفعت خيل من خيلهم إليها فحرقتها . وبعث خالد بن عبد الله على ميمته المهلب ، وعلى ميسرته داود بن قحذم من بنى قيس بن ثعلبة ، ومرّ المهلب على عبد الرحمن بن محمد ولم يُخنيق ، فقال : يابن أخي ، ما يسمعك من الخندق ! فقال : والله لهم أهونُ عليّ من ضرطة الجمل^(١) ، قال : فلا يهونوا عليك يابن أخي ، فإنهم سباعُ العرَب ، لا أبرح أو^(٢) تنصرب عليك خندقاً ؛ ففعل .

وبلغ الخوارج قول عبد الرحمن بن محمد لهم : «أهونُ عليّ من ضرطة الجمل» ، فقال شاعرهم :

يا طالبَ الحقِّ لا تُستَهو بالأملِ فإنّ من دون ما تهوى مَدَى الأجلِ
وأعملُ لربِّك وأساله مشوّبتهُ فإنّ تقواه فأعلمُ أفضلُ العملِ
واغزُ المَخانيثَ في الماذي مُعلِّمة^(٣) كما تُصبحُ غَدواً ضرطةَ الجملِ

فأقاموا نحواً من عشرين ليلةً . ثمّ إن خالداً زحف إليهم بالناس ، فرأوا أمراً هالهم من عدد الناس وعدتهم ، فأخذوا يَسْحَازُون ، واجترأ عليهم الناس ، فكثرت عليهم الخيل ، وزحف إليهم فانصرفوا كأنهم على حامية وهم مولون لا يرون لهم طاقة بقتال جماعة الناس ، وأتبعهم خالد بن عبد الله داود بن قحذم في جيش من أهل البصرة ، وانصرف خالد إلى البصرة ، وانصرف عبد الرحمن بن محمد إلى الرّي وأقام المهلب بالأهواز ، فكتب خالد بن عبد الله إلى عبد الملك :

أمّا بعد ، فإني أخبر أمير المؤمنين أصلحه الله أني خرجتُ إلى الأزارقة الّذين مرقوا من الدّين ، وخرجوا من ولاية المسلمين ، فالتقينا بمدينة الأهواز

(١) الميداني ٢ : ٤٠٩ (٢) ب ، ف : « حتى » .

(٣) ١ : « معة » .

فتناهضنا فاقتلنا كأشدّ قتال كان في الناس . ثمّ إنّ الله أنزل نصره على المؤمنين والمسلمين ، وضرب الله وجوه أعدائه ، فاتبعهم المسلمون يقتلونهم ، ولا يسمعون ولا يمتنعون ، وأفاء الله ما في عسكرهم على المسلمين ، ثمّ ٨٢٨/٢ أتبعتهم داود بن قحذام ، والله إن شاء مهلكهم ومستأصلهم ؛ والسلام عليك .

فلما قدّم هذا الكتاب على عبد الملك كتب عبد الملك إلى بشر بن مروان :

أما بعد ، فابعث من قبلك رجلاً شجاعاً بصيراً بالحرب في أربعة آلاف فارس ، فليسيروا إلى فارس في طلب المارقة ، فإنّ خالد أكتب إلى يخبرني أنّه قد بعث في طلبهم داود بن قحذام ، فرّ صاحبك الذي تبعث ألا يخالف داود بن قحذام إذا ما التقيا ، فإنّ اختلاف القوم بينهم عوّن لعدوهم عليهم . والسلام عليك .

بعث بشر بن مروان عتاب بن ورقاء في أربعة آلاف فارس من أهل الكوفة ، فخرجوا حتى التقوا هم وداود بن قحذام بأرض فارس ، ثمّ اتبعوا القوم يطلبونهم حتى نفقت خيولهم ، وأصابهم الجهد والجوع ، ورجع عامة ذينك الجيشين مشاة إلى الأهواز ، فقال ابن قيس الرقيّات - من بني مخزوم - في هزيمة عبد العزيز وفراره عن امرأته :

عبد العزيز فضحت جيشك كلهم	وتركتهم صرعى بكلّ سبيل ^(١)
من بين ذى عطشٍ يجودُ بنفسه	وملحّبٍ بين الرجال قتيل ^(٢)
هلاً صبرت مع الشهيد مقاتلاً	إذ رُخت منتكث القوى بأصيل
وتركت جيشك لا أمير عليهم	فأرجع بعاري في الحياة طويل ^{٨٢٩/٢}
ونسيت عرسك إذ تُقادُ سبيةً	تُبكي العيونَ برنةٍ وعويل

* * *

(١) ديوانه ١٩٠ . (٢) ملحّب : قطعه السيف .

[خروج أبي فُدَيْك الخارِجِيّ وغلبته على البحرين]

وفي هذه السنة كان خروج أبي فُدَيْك الخارِجِيّ ، وهو من بني قَيْسِ ابنِ ثعلبة ، فغلب على البحرين ، وقتل نجدة بن عامر الحَسَنِيّ ، فاجتمع على خالد بن عبد الله نُزول قَطْرِيّ الأهواز وأمرُ أبي فُدَيْك ، فبعث أخاه أُمَيَّة بن عبد الله على جُنْد كثيف إلى أبي فُدَيْك ، فهزمه أبو فُدَيْك ، وأخذ جارية له فاتخذها لنفسه ، وسار أُمَيَّةُ على فرس له حتى دخل البَصْرَةَ في ثلاثة أيّام ، فكتب خالدٌ إلى عبد الملك بحاله وحال الأزارقة .

* * *

[خبر توجيه عبد الملك الحَجَّاج لقتال ابن الزبير]

وفي هذه السنة وجهه عبدُ الملك الحَجَّاجُ بن يوسفَ إلى مكة لقتال عبد الله ابنِ الزَّبير ، وكان السبب في توجيهه الحَجَّاجُ إليه دون غيره — فيما ذُكر — أن عبد الملك لما أراد الرجوع إلى الشام ، قام إليه الحَجَّاجُ بنُ يوسفَ فقال : يا أمير المؤمنين ، إنى رأيتُ في منامى أنى أخذتُ عبدَ الله بنَ الزبير فسلبتُه ، فابعثني إليه ، وولّني قتاله . فبعثه في جيش كثيف من أهل الشام ، فسار حتى قَدِمَ مَكَّةَ ، وقد كتب إليهم عبدُ الملك بالأمان إن دخلوا في طاعته . فحدثني الحارثُ ؛ قال : حدثني محمدُ بنُ سَعْدٍ ، قال : أخبرنا محمدُ بنُ عمرَ ، قال : حدثنا مُصعبُ بنُ ثابتَ ، عن أبي الأسودَ ، عن عبيدِ بن عبدِ الله بنِ الزَّبير ، قال : بعث عبدُ الملكُ بنُ مروان حين قُتِلَ مُصعبُ ابنِ الزَّبير الحَجَّاجُ بنُ يوسفَ إلى ابنِ الزَّبير بمَكَّةَ ، فخرج في ألفين من جُنْدِ أهلِ الشَّامِ في جُمادى من سنة اثنتين وسبعين ، فلم يعرض للمدينة ، وسلك طريقَ العِراقِ ، فنزل بالطائف ، فكان يبعثُ البعثَ إلى عسرة في الخيل^(١) ، ويبعث ابنَ الزَّبيرَ بَعَثًا فيقتلون هنالك ، فكلَّ ذلك تُهزَم خيلُ ابنِ الزَّبير وترجع خيلُ الحَجَّاجِ بالظَّمَرِ . ثم كتب الحَجَّاجُ إلى عبدِ الملك يستأذنه في حصار ابنِ الزَّبير ودخولِ الحِرمِ عليه ، ويُخبره أن

(١) كذا في ا ، ب ، ف وفي ط : « الحل » .

شوكسته قد كسكت، وتفرق عنه عامة أصحابه، ويسأله أن يمده برجال، فجاهه كتاب عبد الملك، وكتب عبد الملك إلى طارق بن عمرو يأمره أن يلكحى بمن معه من الجند بالحجاج، فسار في خمسة آلاف من أصحابه حتى لحق بالحجاج. وكان قدوم الحجاج الطائف في شعبان سنة اثنتين وسبعين. فلما دخل ذو القعدة رحل الحجاج من الطائف حتى نزل بئر ميسمون وحصر ابن الزبير.

حج الحجاج بالناس في هذه السنة، وابن الزبير محصور، وكان قدوم طارق مسكة للال ذى الحجة، ولم يطف بالبيت، ولم يصل إليه وهو محرم، وكان يلبس السلاح، ولا يقرب النساء ولا الطيب إلى أن قتل عبد الله بن الزبير. ونحر ابن الزبير بئنا بمكة يوم النحر، ولم يبح ذلك العام ولا أصحابه لأنهم لم يقفوا بعرفة.

قال محمد بن عمر: حدثني سعيد بن مسلم بن بابك، عن أبيه، قال: حججت في سنة اثنتين وسبعين فتقدنا مكة، فدخلناها من أعلاها، فوجدنا أصحاب الحجاج وطارق فيما بين الحجون إلى بئر ميسمون، فطفنا بالبيت وبالصفاء والمرورة، ثم حج بالناس الحجاج، فرأيناه واقفاً بالهضبات من عرفة على فرس، وعليه الدرع والمغفر، ثم صدر رأيتُه عدل إلى بئر ميمون، ولم يطف بالبيت وأصحابه متسحون، ورأيت الطعام عندهم كثيراً، ورأيت العير تأتي من الشام تحمل الطعام؛ الكعك والسويق والدقيق؛ فرأيت أصحابه مخاصيب، ولقد ابتعنا من بعضهم كعكاً بدرهم، فكفانا إلى أن بلغنا الجحفة وإننا لثلاثة نفر.

قال محمد بن عمر: حدثني مصعب بن ثابت، عن نافع مولى بني ٨٣١/٢ أسد، قال - وكان عالماً بفتنة ابن الزبير - قال: حصر ابن الزبير ليلة هلال ذى القعدة سنة اثنتين وسبعين.

[أمر عبد الله بن خازم السلمى مع عبد الملك]

وفي هذه السنة كتب عبد الملك إلى عبد الله بن خازم السلمى يدعو إلى بسيعته ويطعمه خراسان سبع سنين ، فدكر على بن محمد أن المفضل بن محمد ويحيى بن طقفيل وزهير بن هنيذ حدثوه - قال : وفي خبر بعضهم زيادة على خبر بعض - أن مصعب بن الزبير قتل سنة اثنتين وسبعين وعبد الله بن خازم بأبرش شهر يقاتل بحير بن ورقاء الصرمي صريم بن الحارث ؛ فكتب عبد الملك بن مروان إلى ابن خازم مع سورة بن أشيم النميري : إن لك خراسان سبع سنين على أن تباع لي . فقال ابن خازم لسورة : لولا أن أضرب بين بني سليم وبني عامر لقتلتك ولكن كل هذه الصحيفة ، فأكلها .

قال : وقال أبو بكر بن محمد بن واسع : بل قدم بعهد عبد الله بن خازم سودة بن عبيد الله النميري .

وقال بعضهم : بعث عبد الملك إلى ابن خازم سنان بن مكمّل الغنوي ، وكتب إليه : إن خراسان طعممة لك ، فقال له ابن خازم : إنما بعثك أبو الدبّان^(١) لأنك من غنبي ، وقد علم أني لا أقتل رجلا من قيس ، ولكن كل كتابته .

قال : وكتب عبد الملك إلى بكير بن وشاح أحد بني عوف بن سعد - وكان خليفة ابن خازم على مرو - بعهد على خراسان ووعده ومنّاه ، فخلع بكير بن وشاح عبد الله بن الزبير ، ودعا إلى عبد الملك بن مروان ، فأجابه أهل مرو ، وبلغ ابن خازم فخاف أن يأتيه بكير بأهل مرو ، فيجتمع عليه أهل مرو وأهل أبرش شهر ، فترك بحيرا ، وأقبل إلى مرو يريد أن يأتي ابنه بالترمد ، فأبعه بحير ، فلحقه بقرية يقال لها بالفارسية : «شاهميغد» ، بينها وبين مرو ثمانية فراسخ .

قال : فقاتله ابن خازم ، فقال مولى لبني ليث : كنت قرىبا من معترك

(١) ب : « الدبان » .

القوم في منزل ، فلما طلعت الشمس تهايج العسكران ، فجعلت أسمع وقع السيوف ، فلما ارتفع النهار خفيت الأصوات ، فقلت : هذا لارتفاع النهار ، ٨٣٣/٢ فلما صليت الظهر - أو قبل الظهر - خرجت ، فتلقاني رجل من بني تميم ، فقلت : ما الخبر ؟ قال : قتل عدو الله ابن خازم وما هو ذا ، وإذا هو محمول^(١) على بغل ، وقد شدوا في مئذنة كبيرة حبلاً وحجراً وعدلوه به على البغل .

قال : وكان الذي قتله وكيع بن عُميرة القريني وهو ابن الدورقي ، اعتور عليه بغير بن ورقاء وعمار بن عبد العزيز الجشمي وكيع ، فطعنوه فصرعوه ، فقع وكيع على صدره فقتله ، فقال بعض الولاة لو كيع : كيف قتلت ابن خازم ؟ قال : غلبته بفضل القنا ، فلما صرع قعدت على صدره ، فحاول القيام فلم يتقدر عليه ، وقلت : يا لشارت دويلة ! ودويلة أخ لو كيع لأمه ، قتل قبل ذلك في غير تلك الأيام .

قال وكيع : فتسخّم في وجهي وقال : لعنك الله ! تقتل كبش مضر ، بأخيك ، علج لا يساوي كفاً من نوى - أو قال : من تراب - فما رأيت أحداً أكثر ريقاً منه على تلك الحال عند الموت .

قال : فدكر ابن هبيرة يوماً هذا الحديث فقال : هذه والله البسالة . قال : وبعث بحير ساعة قتل ابن خازم رجلاً من بني غندانه إلى عبد الملك ابن مروان يخبره بقتل ابن خازم ، ولم يبعث بالرأس ، وأقبل بكبير بن وشاح في أهل مرو فوافاهم حين قتل ابن خازم ، فأراد أخذ رأس ابن خازم ، فنعه بحير ، فضربه بكبير بعمود ، وأخذ الرأس وقبضه بحيراً وحبهه ، وبعث بكبير بالرأس إلى عبد الملك ، وكتب إليه يخبره أنه هو الذي قتله ، فلما قدم بالرأس على عبد الملك دعا الغداني رسول بحير وقال : ما هذا ؟ قال : لا أدري ، وما فارقت القوم حتى قتل ، فقال رجل من بني سليم :

أليتنا بنيسابور ردى على الصبح ويحك أو أنيرى
كواكبها زواحف لا غيات كان سماءها بيدي مدير

(١) ب ، ف : « معارض » .

تَلُومٌ عَلَى الْحَوَادِثِ أُمُّ زَيْدٍ وهل لك في الحوادث من تكبير!
 جَهْلانَ كَرَامَتِي وَصَدَدَنَ عَنِّي إلى أجل من الدنيا قصير
 فلو شهد الفوارس من سليمٍ غداة يطاف بالأسد العقير
 لنازل حوله قوم كرامٍ فعز الوتر في طلب الوتر
 فقد بقيت كلاب نابحاتٍ وما في الأرض بعدك من زبير
 فولى الحج بالناس في هذه السنة الحججاج بن يوسف .

وكان العامل على المدينة طارق مولى عثمان من قبيل عبد الملك، وعلى الكوفة
 بشر بن مروان، وعلى قضائها عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود .
 وعلى البصرة خالد بن عبد الله بن خالد بن أسيد، وعلى قضائها هشام
 ابن هبيرة . وعلى خراسان في قول بعضهم عبد الله بن خازم السلمي،
 وفي قول بعض : بكير بن وشاح . وزعم من قال : كان على خراسان
 في سنة اثنتين وسبعين عبد الله بن خازم أن عبد الله بن خازم إنما قتل
 بعد ما قتل عبد الله بن الزبير، وأن عبد الملك إنما كتب إلى عبد الله بن خازم
 يدعوه إلى الدخول في طاعته على أن يقطع خراسان عشرين سنة بعد ما قتل
 عبد الله بن الزبير، وبعث برأسه إليه، وأن عبد الله بن خازم حلف لما
 ورد عليه رأس عبد الله بن الزبير ألا يعطيه طاعة أبداً، وأنه دعا
 بطست فغسل رأس ابن الزبير، وحسنه وكفنه، وصلى عليه، وبعث به
 إلى أهل عبد الله بن الزبير بالمدينة، وأطعم الرسول الكتاب، وقال : لولا أنك
 رسول لضربت عنقك . وقال بعضهم : قطع يديه ورجليه وضرب عنقه .

٨٣٥/٢

* * *

فصل نذكر فيه الكتاب من بدء أمر الإسلام (١)

روى هشام وغيره أن أول من كتب من العرب حرب بن أمية بن
 عبد شمس بالعربية، وأن أول من كتب بالفارسية بيوراسب، وكان في
 زمان إدريس . وكان أول من صنّف طبقات الكتاب وبين منازلهم لهراسب
 ابن كاوغان بن كيموس .

(١) هذا الفصل ساقط من ١ .

وحكى أن أبرويز قال لكاتبه : إنما الكلام أربعة أقسام :
سؤالك الشيء ، وسؤالك عن الشيء ، وأمرك بالشيء ، وخبرك عن ٨٣٦/٢
الشيء ؛ فهذه دعائم المقالات إن التمس لها خامس لم يوجد ، وإن نقص
منها رابع لم تتيم ، فإذا طلبت فأسجح ، وإذا سألت فأوضح ، وإذا أمرت
فاحتم ، وإذا أخبرت فحقت .

وقال أبو موسى الأشعري : أول من قال : أما بعدُ داود ، وهي فصلُ
الخطاب الذي ذكره الله عنه .
وقال الهيثم بن عدي : أول من قال : أما بعدُ قس بن ساعدة
الإيادي .

أسماء من كتب للنبي صلى الله عليه وسلم
على بن أبي طالب عليه السلام وعثمان بن عفان ، كانا يكتبان الوحى ؛
فإن غابا كتبه أبي بن كعب وزيد بن ثابت .
وكان خالد بن سعيد بن العاص ومعاوية بن أبي سفيان يكتبان بين
يديه في حوائجه .

وكان عبد الله بن الأرقم بن عبد يغوث والعلاء بن عتبة يكتبان بين
القوم في حوائجهم ، وكان عبد الله بن الأرقم ربما كتب إلى الملوك عن النبي
صلى الله عليه وسلم .

* * *

[أسماء من كان يكتب للخلفاء والولاة]

وكتب لأبي بكر عثمان ، وزيد بن ثابت ، وعبد الله بن الأرقم
وعبد الله بن خلف الخزاعي ، وحسن ظلة بن الربيع .
وكتب لعمر بن الخطاب زيد بن ثابت ، وعبد الله بن الأرقم ،
وعبد الله بن خلف الخزاعي أبو طلحة الطلحات على ديوان البصرة ،
وكتب له على ديوان الكوفة أبو جبيرة بن الضحاك الأنصاري .
وقال عمر بن الخطاب لكتابه وعماله : إن القوة على العمل ألا

تُوخَّرُوا عَمَلَ الْيَوْمِ لَغَدٍ ، فَإِنَّكُمْ إِذَا فَعَلْتُمْ ذَلِكَ تَذَاءَبْتُمْ^(١) عَلَيْكُمْ الْأَعْمَالُ ،
٨٣٧/٢ فَلَا تَسْأَلُونَ بِأَيِّهَا تَبْدَأُونَ ، وَأَيُّهَا تَأْخُذُونَ . وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ دُونَ الدَّوَّابِّ
فِي الْعَرَبِ فِي الْإِسْلَامِ .

وَكَانَ يَكْتُبُ لِعِمَّانَ مِرْوَانَ بْنَ الْحَكَمِ ، وَكَانَ عَبْدُ الْمَلِكِ يَكْتُبُ لَهُ
عَلَى دِيْوَانِ الْمَدِينَةِ ، وَأَبُو جَبِيْرَةَ الْأَنْصَارِيَّ عَلَى دِيْوَانِ الْكُوفَةِ ، وَكَانَ أَبُو غَطْفَانَ
ابْنُ عَوْفِ بْنِ سَعْدِ بْنِ دِينَارٍ مِنْ بَنِي دُهْمَانَ مِنْ قَيْسِ عَيْلَانَ يَكْتُبُ لَهُ ،
وَكَانَ يَكْتُبُ لَهُ أَهِيْبُ مَوْلَاهُ ، وَحِمْرَانُ^(٢) مَوْلَاهُ .

وَكَانَ يَكْتُبُ لِعَلِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ سَعِيدُ بْنُ نِمْرَانَ الْهَمْدَانِيَّ ، ثُمَّ وَلِيَ
قِضَاءَ الْكُوفَةِ لَابْنَ الزَّبِيْرِ . وَكَانَ يَكْتُبُ لَهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ ، وَرُوِيَ أَنَّ
عَبْدَ اللَّهِ بْنَ جَبِيْرٍ كَتَبَ لَهُ . وَكَانَ عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي رَافِعٍ يَكْتُبُ لَهُ . وَاخْتَلَفَ
فِي اسْمِ أَبِي رَافِعٍ ، فَقِيلَ : اسْمُهُ إِبْرَاهِيْمُ ، وَقِيلَ : أَسْلَمُ ، وَقِيلَ : سِنَانٌ ، وَقِيلَ :
عَبْدُ الرَّحْمَنِ .

وَكَانَ يَكْتُبُ لِمَعَاوِيَةَ عَلَى الرَّسَائِلِ عُبَيْدُ^(٣) بْنُ أَوْسِ الْغَسَّانِيَّ .
وَكَانَ يَكْتُبُ لَهُ عَلَى دِيْوَانِ الْخُرَاجِ سَرْجُونُ بْنُ مَنْصُورِ الرَّومِيَّ . وَكَتَبَ لَهُ
عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ دَرَّاجٍ ، وَهُوَ مَوْلَى مَعَاوِيَةَ ، وَكَتَبَ عَلَى بَعْضِ دَوَائِبِهِ
عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ نَصْرِ بْنِ الْحِجَّاجِ بْنِ عَمَلَاءِ السُّلَمِيَّ .

وَكَانَ يَكْتُبُ لِمَعَاوِيَةَ بْنِ يَزِيدَ الرِّيَّانُ بْنُ مُسْلِمٍ ، وَيَكْتُبُ لَهُ عَلَى
الدِّيْوَانِ سَرْجُونُ . وَيُرْوَى أَنَّهُ كَتَبَ لَهُ أَبُو الزَّعِيْرَةَ .

وَكَتَبَ لِعَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مِرْوَانَ قَبِيْصَةَ بْنَ ذُوَيْبِ بْنِ حَلَجَلَةَ الْخُزَاعِيَّ ،
وَيُكْنَى أَبُو إِسْحَاقَ . وَكَتَبَ عَلَى دِيْوَانِ الرَّسَائِلِ أَبُو الزَّعِيْرَةَ^(٤)
مَوْلَاهُ .

وَكَانَ يَكْتُبُ لِلْوَلِيدِ الْقَسْعَاقُ بْنُ خَالِدٍ - أَوْ خُلَيْدِ الْعَبْسِيَّ ، وَكَتَبَ لَهُ عَلَى
دِيْوَانِ الْخُرَاجِ سَلِيَانَ بْنَ سَعْدِ الْخُشْتِيَّ ، وَعَلَى دِيْوَانِ الْخَاتَمِ شُعَيْبُ

(١) تَذَاءَبْتَ الْأَعْمَالُ : اجْتَمَعَتْ وَتَرَكَتْ .

(٢) ط : « عمران » ، وانظر الفهرس .

(٣) ط : « عبيد الله » وانظر الفهرس .

(٤) ب : « الزعيرعة » .

العُمَمانِيّ مولاة ، وعلى ديوان الرّسائل بجناح مولاة ، وعلى المستغلات نُفيع ٨٣٨/٢
ابن ذُوَيْب مولاة .

وكان يكتُب لسليمان سليمان بن نعيم الحميريّ .

وكان يكتُب لمسلمة سميع مولاة ، وعلى ديوان الرّسائل الليث بن أبي رُقَيْبَة
مولي أمّ الحَكَم بنت أبي سُفْيَان ، وعلى ديوان الخراج سليمان بن سعد
الخُشْتَنِيّ ، وعلى ديوان الخاتم نعيم بن سلامة مولّي لأهل اليمن من
فِلَسْطِين ؛ وقيل : بل رجاء بن حسيوة كان يتقلّد الخاتم .

وكان يكتُب ليزيد بن المهلب المغيرة بن أبي فَرَوَة .

وكان يكتُب لعمر بن عبدالعزيز الليث بن أبي رُقَيْبَة (١) مولّي أمّ الحَكَم
بنت أبي سُفْيَان ، ورجاء بن حسيوة . وكتب له إسماعيل بن أبي حكيم مولى الزبير ،
وعلى ديوان الخراج سليمان بن سعد الخُشْتَنِيّ ، وقلّد مكانه صالح بن
جُبَيْر الغَسَّانِيّ - وقيل : الغُدَّانِيّ - وعدي بن الصَّبَّاح بن المثنى ، ذكر
الهيثم بن عدي أنه كان من جليّة كتابه .

وكتّب ليزيد بن عبد الملك قبل الخلافة رجلٌ يقال له يزيد بن عبد الله ،
ثمّ استكتب أسامة بن زيد السُّلَيْمِيّ .

وكتّب لهشام سعيد بن الوليد بن عمرو بن جبيلة الكلبيّ الأبرش ،
ويُكنّى أبا مخاشع ، وكان نصر بن سيار يتقلّد ديوان خراج خُراسان
لهشام . وكان من كتابه بالرُّصافة شعيب بن دينار .

وكان يكتُب للوليد بن يزيد بكير بن الشماخ ، وعلى ديوان الرّسائل سالم
مولّي سعيد بن عبد الملك ، ومن كتابه عبد الله بن أبي عمرو ، ويقال :
عبد الأعلى بن أبي عمرو ، وكتب له على الحضرة عمرو بن عُثْبَة .

٨٣٩/٢

وكتّب ليزيد بن الوليد الناقص عبد الله بن نعيم ، وكان عمرو
ابن الحارث مولى بني جُمَح يتولّي له ديوان الخاتم ، وكان يتقلّد له ديوان

(١) ط : « ابن أبي فَرَوَة » ، وانظر تصويبات ط .

الرسائل ثابتُ بنُ سليمانُ بنُ سعد الخُشْتَنِيّ - ويقال الربيعُ بنُ عرعة الخُشْتَنِيّ - وكان يتقلدُ له الخراجَ والديوانَ الذي للخاتَمِ الصغيرِ النَّصْرُ بنُ عَمْرٍو مِن أهلِ اليَمَنِ .

وكتَبَ لإبراهيمَ بنِ الوليدِ ابنُ أبي جمعة ، وكان يتقلدُ له الديوانَ بفلسطينَ ، وبإيعاقِ الناسِ إبراهيمَ - أعني ابنَ الوليدِ - سوى أهلِ حِمصَ ، فإنهم بايعوا مروانَ بنَ محمد الجَعْدِيّ .

وكتَبَ لمروانَ عبدُ الحميدُ بنُ يحيى مولى العلاءِ بنِ وهبِ العامريّ ، ومُصعبُ بنِ الربيعِ الخثعميّ ، وزِيادُ بنُ أبي الوَرْدِ . وعلى ديوانِ الرسائلِ عثمانُ بنُ قيسِ مولى خالدِ القَسْرِيّ . وكان من كتابه مخلدُ بنُ محمد بنِ الحارثِ - ويكنى أبا هاشم - ومن كتابه مُصعبُ بنِ الربيعِ الخثعميّ ، ويكنى أبا موسى . وكان عبدُ الحميدُ بنُ يحيى من البلاغةِ في مكانِ مكينَ ، ومما اختيرَ له من الشعر :

تَرَحَّلَ ما ليسَ بالقَافِلِ	وأعقَبَ ما لَيْسَ بالزَّائِلِ
فلَهْفَى على الخَلْفِ النازلِ	ولَهْفَى على السلفِ الراحلِ
أبْكِي على ذا وأبكي لذا	بكاءَ مُولَهةٍ ناكِلِ
تُبْكِي من ابنِ لها قاطعِ	وتبكي على ابنِ لها واصلِ
فليستُ تفتَرُ عن عَبْرَةٍ	لها في الضميرِ ومن هامِلِ
تقضتْ غواياتُ سُكْرِ الصَّبِي	وردَّ الثَّقَى عَنّ الباطِلِ

٨٤٠/٢

وكتَبَ لأبي العباسِ خالدُ بنُ بَرْمَك ، ودفع أبو العباسِ ابنته رَيْطَةَ لى خالدِ بنِ بَرْمَكِ حتى أرضعتهَا زوجته أم خالدِ بنتُ يزيدِ بلبانِ بنتِ خالدِ تُدعى أمَّ يحيى ، وأرضعت أم سلمةُ زوجة أبي العباسِ أمَّ يحيى بنتُ خالدِ بلبانِ ابنتها رَيْطَةَ . وقلدَ ديوانِ الرسائلِ صالحُ بنُ الهَيْثَمِ مولى رَيْطَةَ بنتِ أبي العباسِ .

وَكَتَبَ لِأَبِي جَعْفَرِ الْمَنْصُورِ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ حُمَيْدٍ مَوْلَى حَاتِمِ بْنِ
النَّعْمَانِ الْبَاهِلِيِّ مِنْ أَهْلِ خُرَّاسَانَ ، وَكَتَبَ لَهُ هَاشِمُ بْنُ سَعِيدِ الْجُعْفِيِّ
وَعَبْدُ الْأَعْلَى بْنُ أَبِي طَلْحَةَ مِنْ بَنِي تَمِيمٍ بِوَأَسِطَ . وَرُوِيَ أَنَّ سَلْيَانَ بْنَ
مَخْلَدٍ كَانَ يَكْتُبُ لِأَبِي جَعْفَرٍ ، وَمِمَّا كَانَ يَسْتَمَثِّلُ بِهِ أَبُو جَعْفَرِ الْمَنْصُورِ :

وَمَا إِنْ شَفَى نَفْسًا كَأَمْرِ صَرِيحَةٍ إِذَا حَاجَةٌ فِي النَّفْسِ طَالَ اعْتِرَاضُهَا
وَكَتَبَ لَهُ الرَّبِيعُ . وَكَانَ عُمَارَةُ بْنُ حَمَزَةَ مِنْ نُبَلَاءِ الرَّجَالِ ، وَلَهُ :

لَا تَشْكُونَ دَهْرًا صَحَحَتْ بِهِ إِنَّ الْغِنَى فِي صِحَّةِ الْجِسْمِ
هَبْكَ الْإِمَامُ أَكُنْتَ مُنْتَفِعًا بِغَضَارَةِ الدُّنْيَا مَعَ السُّقْمِ !
وَكَانَ يَتَمَثَّلُ بِقَوْلِ عَبْدِ بَنِي الْحَسَنِ حَسَّاسَ :

أَمِنْ أُمِّيَّةٍ دَمَعُ الْعَيْنِ مَذْرُوفٌ لَوْ أَنَّ ذَا مَنكَ قَبْلَ الْيَوْمِ مَعْرُوفٌ (١)
لَا تُبْكِي عَيْنُكَ إِنَّ الدَّهْرَ ذُو غَيْرٍ فِيهِ تَفَرَّقَ ذُو الْإِلْفِ وَمَأْلُوفٌ
وَكَتَبَ لِلْمَهْدِيِّ أَبُو عُبَيْدِ اللَّهِ وَأَبَانُ بْنُ صَدَقَةَ عَلَى دِيْوَانِ رَسَائِلِهِ ،
وَمُحَمَّدُ بْنُ حُمَيْدِ الْكَاتِبِ عَلَى دِيْوَانِ جُنُودِهِ وَيَعْقُوبُ بْنُ دَاوُدَ ، وَكَانَ ٨٤١/٢
اتَّخَذَهُ عَلَى وِزَارَتِهِ وَأَمْرِهِ ، وَلَهُ :

عَجَبًا لِتَصْرِيفِ الْأُمُورِ مَحَبَّةً وَكِرَاهِيَةً
وَالدَّهْرُ يَلْعَبُ بِالرَّجَالِ لَهُ دَوَائِرُ جَارِيَةٍ
وَلابنه عبد الله بن يعقوب - وكان له محمدٌ ويعقوبٌ ، كلاهما
شاعرٌ مجيدٌ :

وزع المشيبُ شراستي وغراي ومرى الجفونَ بمُسْبَلٍ سَجَامِ

(١) ديوانه ٦٢ ، ٦٣ ؛ وهي أبيات ثلاثة روايتها هناك :

أَمِنْ سُمِّيَّةٍ دَمَعُ الْعَيْنِ مَذْرُوفٌ لَوْ أَنَّ ذَا مَنكَ قَبْلَ الْيَوْمِ مَعْرُوفٌ
الْمَالُ مَا لَكُمْ وَالْعَبْدُ عَبْدُكُمْ فَهَلْ عَذَابُكَ عَنِّي الْيَوْمَ مَضْرُوفٌ !
كَأَنَّهَا يَوْمَ صَدَّتْ مَا تَكَلَّمْنَا ظَنِي بَعْسَفَانَ سَاجِي الْطَرَفِ مَطْرُوفٌ

ولقد حَرَصْتُ بِأَنْ أُوَارِيَ شَخْصَهُ عَنْ مَقَلَّتِي فَرُمْتُ غَيْرَ مَرَامٍ
 وَصَبَغْتُ مَا صَبَغَ الزَّمَانُ فَلَمْ يَدَمْ صِبْغِي وَدَامَتْ صِبْغَةُ الْأَيَّامِ
 لَا تَبْعِدَنَّ شَبِيهَةَ ذِيَالَةَ فَارَقْتُهَا فِي سَالِفِ الْأَعْوَامِ
 مَا كَانَ مَا اسْتَصْحَبْتِ مِنْ أَيَّامِهَا إِلَّا كَبَعْضِ طَوَارِقِ الْأَحْلَامِ

ولأبيه :

طَلَّقْتُ الدُّنْيَا ثَلَاثًا وَاتَّخِذِ زَوْجًا سِوَاهَا
 لِيُنْهَى زَوْجَةُ سَوْءٍ لَا تُبَالِي مَنْ أَنَاهَا

واستوزر بعده الفَيْضُ بنَ أَبِي صَالِحٍ ، وكان جواداً .

وكتب للهادي موسى عبيدُ الله بن زياد بن أبي ليلى ومحمد بن حميد .
 وسأل المهدي يوماً أبا عبيد الله عن أشعار العرب ، فصنّفها له ، فقال :
 ٨٤٢/٢ أحكمها قولُ طرفة بن العبد :

أَرَى قَبْرَ نَحَامٍ بِخَيْلٍ بِمَالِهِ كَقَبْرِ غَوِيٍّ فِي الْبَطَالَةِ مُفْسِدٍ (١)
 تَرَى جُنُوتَيْنِ مِنْ تُرَابٍ عَلَيْهِمَا صِفَائِحُ صُمٍّ مِنْ صَفِيحِ مَصْمَدٍ (٢)
 أَرَى الْمَوْتَ يَعْتَامُ الْكِرَامَ وَيَصْطَفِي عَقِيلَةَ مَالِ الْفَاحِشِ الْمُتَشَدِّدِ (٣)
 أَرَى الْعَيْشَ كَنْزًا نَاقِصًا كُلَّ لَيْلَةٍ وَمَا تَنْقُصُ الْأَيَّامُ وَالْدَهْرُ يَنْفَدُ
 لِعَمْرِكَ إِنَّ الْمَوْتَ مَا أَخْطَأَ الْفَتَى لِكَالطَّوْلِ الْمُرْخِي وَثُنْيَاهُ بِالْيَدِ (٤)

وقوله :

وَقَدْ أَرَانَا كِلَانًا هَمَّ صَاحِبِهِ لَوْ أَنَّ شَيْئًا إِذَا مَا فَاتَنَا رَجَعَا
 وَكَانَ شَيْءٌ إِلَى شَيْءٍ فَفَرَّقَهُ دَهْرٌ يَكْرَهُ عَلَى تَفْرِيقِ مَا جَمَعَا

(١) ديوانه ٥٢ - ٥٤ . (٢) الجوثان ، مثنى جثوة ؛ وهي كومة التراب .

(٣) يعتام : يختار ؛ وكذلك يصطفى . وعقيلة كل شيء : خياره .

(٤) الطول : الحبل الذي يطول للدابة فترعى به .

وقول لبید :

أَلَا تَسْأَلَانِ المرءَ مَاذَا يُحَاوِلُ أَنْحَبُ فَيُقْضَى أَم ضَلَالٌ وَبَاطِلٌ^(١)
أَلَا كُلُّ شَيْءٍ مَا خَلَا اللهُ بَاطِلٌ وَكُلُّ نَعِيمٍ لَا مَحَالَةَ زَائِلٌ
أَرَى النَّاسَ لَا يَدْرُونَ مَا قَدَرُ أَمْرِهِمْ بَلَى كُلُّ ذِي رَأْيٍ إِلَى اللهِ وَاسِلٌ

وكقول النابغة الجعدي :

وقد طالَ عهدى بالشباب وأهله ولا قيت روعات تُشيبُ النواصيأ^(٢)
فلم أجِدِ الإخوانَ إلَّا صحابةً ولم أجِدِ الأهلينَ إلَّا مثاويأ
ألم تعلمي أن قد رزئتُ مُحارِباً فما لكِ منه اليومِ شيءٌ ولا ليا
وكقول هُدبَةَ بنِ خَشْرَمَ :

ولستُ بِمفراحٍ إذا الدهرُ سرَّني ولا جازعٍ من صَرفه المتقلبِ^(٣)
ولا أبتغي الشرَّ والشرُّ تاركي ولكن متى أحملُ على الشرِّ أركبِ^(٤) ٨٤٣/٢
وما يعرفُ الأرقامُ للدهرِ حقَّه وما الدهرُ مما يكرهون بمعتبِ
وللدهرِ في أهلِ الفتى وتلاذه

وكقول زيادة بن زيد ؛ وتمثّل به عبدُ الملك بن مروان :

تذكرُ عن شَخطِ أميمةَ فارغوى لها بعد إكثارٍ وطولٍ نحيبِ
وإنَّ امرأً قد جَرَّبَ الدهرَ لم يخفِ تقلُّبَ عَصْرِيهِ لغيرِ لبیبِ
هل الدهرُ والأيامُ إلَّا كما ترى رزيئةٌ مالٍ أو فراقُ حبيبِ
وكلُّ الذي يأتى فأنْتَ نسيههُ ولستَ لشيءٍ ذاهبٍ بنسبِ

(١) ديوانه ٢٥٤ ، ٢٥٦ .

(٢) أبيات منها في الحماسة - بشرح المرزوق برقمى ٣٣٥ ، ٣٧٥ ، وأبيات منها أيضاً في

خزانة الأدب للبغدادى ٢ : ١٢ ، ١٣ .

(٣) الكامل ٤ : ٨٦ ، مع اختلاف في الرواية . (٤) بعده في الكامل :

وَحَرَّبَنِي مَوْلَايَ حَتَّى غَشِيَتْهُ مَتَى مَا يَجْرُبُكَ ابْنِ عَمِّكَ تَحْرَبُ

وليس بعيداً ما يجيء كـمقبيلٍ ولا ما مَضَى من مُفْرِحٍ بقريبٍ

وكقول ابن مقبيل (١) :

لَمَّا رَأَتْ بَدَلَ الشَّبَابِ بَكَتْ لَهُ وَالشَّيْبَ أَرَدَتْ هَذِهِ الْأَبْدَالِ
وَالنَّاسَ هَمَّهُمُ الْحَيَاةُ وَلَا أَرَى طُولَ الْحَيَاةِ يَزِيدُ غَيْرَ نَجَابِ
وَإِذَا افْتَقَرْتَ إِلَى الذُّخَائِرِ لَمْ تَجِدْ ذُخْرًا يَكُونُ كَصَالِحِ الْأَعْمَالِ

ووزر له يحيى بن خالد . ووَزَرَ للرَّشِيدِ ابْنَهُ جَعْفَرَ بْنَ يَحْيَى بْنِ خَالِدٍ ،
فمن مَسَائِحِ كَلَامِهِ : الخَطِّ سَمِيَّةُ الْحِكْمَةِ ، به تَفَصَّلَ شُدُورُهَا ، وَيُنْظَمُ
مَنْشُورُهَا . قال ثَمَامَةُ : قلتُ لجَعْفَرَ بْنِ يَحْيَى : ما البَيَانُ ؟ فقال : أن يكون
الاسم محيطاً بمعناك ، مُخْبِرًا عن مَخْرَاجِكَ ، مُخْرِجًا مِنَ الشَّرْكَةِ ، غير
مستعان عليه بالفِكْرَةِ . قال الأَصْمَعِيُّ : سمعتُ يحيى بنَ خالدٍ يقول :
الدُّنْيَا دُؤْلٌ ، وَالْمَالُ عَارِيَّةٌ ، وَلَنَا بَيْنَ قَبَائِلِنَا أَسْوَةٌ ، وَفِينَا لِمَنْ بَعَدْنَا عِيبَةٌ .
ونَأَى بِتَسْمِيَةِ بَاقِي كِتَابِ خُلَفَاءِ بَنِي الْعَبَّاسِ إِذَا انْتَهَيْتَنَا إِلَى الدَّوْلَةِ الْعَبَّاسِيَّةِ
إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

(١) كذا في الأصول ؛ والأبيات من قصيدة للأخطل في ديوانه ١٥٩ - ١٦٣ ، ومطلها :

لَمَنِ الدِّيَارُ بِجَابِلٍ فَوْعَسَالٍ دَرَسَتْ وَغَيْرَهَا سِنُونُ خَوَالٍ
ونسب المبرد في الكامل ٣ : ١٤ البيت الثالث إلى الخليل بن أحمد .

ثم دخلت سنة ثلاث وسبعين

ذكر الكائن الذي كان فيها من الأمور الجليلة

[خبر مقتل عبد الله بن الزبير]

فمن ذلك مقتل عبد الله بن الزبير .

* ذكر الخبر عن صفة ذلك :

حدثني الحارث ، قال : حدثنا محمد بن سعد ، قال : أخبرنا محمد بن عمر . قال : حدثني إسحاق بن يحيى ، عن عبيد الله بن القبطية ، قال : كانت الحرب بين ابن الزبير والحجاج ببطن مكة ستة أشهر وسبع عشرة ليلة . قال محمد بن عمر : وحدثني مصعب بن ثابت ، عن نافع مولى بني أسد — وكان عالماً بفتنة ابن الزبير — قال : حُصِرَ ابن الزبير ليلة هلال ذي القعدة سنة اثنتين وسبعين وقتل لسبع عشرة ليلة نخلت من جمادى الأولى سنة ثلاث وسبعين ، وكان حصر الحجاج لابن الزبير ثمانية أشهر وسبع عشرة ليلة .

حدثنا الحارث ، قال : حدثنا محمد بن سعد ، قال : أخبرنا محمد بن عمر : قال : حدثني إسحاق بن يحيى ، عن يوسف بن ماهك ، قال : رأيت المسنجنيق يرمى به ، فرعدت السماء وبرقت ، وعلا صوت الرعد والبرق على الحجارة ، فاشتمل عليها ، فأعظم ذلك أهل الشام ، فأمسكوا بأيديهم ، ٨٤٥/٢ فرفع الحجاج بركة قبائنه فغرزها في منطقتنه ، ورفع حجر المسنجنيق فوضعه فيه ، ثم قال : ارموا ، ورمى معهم . قال : ثم أصبحوا ، فجاءت صاعقة تتبعها أخرى ، فقتلت من أصحابه اثني عشر رجلاً ، فانكسر أهل الشام ، فقال الحجاج : يا أهل الشام ، لا تنكروا هذا فإن ابن تيهامة ، هذه صواعق تيهامة ، هذا الفتح قد حضر فأبشروا ، إن القوم يصببهم مثل ما أصابكم ، فصعقت من الغد . فأصيب من أصحاب ابن الزبير عدة ؛ فقال الحجاج : ألا ترون أنهم يصابون وأنتم على الطاعة ، وهم على خلاف

الطاعة ! فلم تزل الحربُ بينَ ابنِ الزبيرِ والحجَّاجِ حتَّى كان قُتَيْبِلَ مَسْقِلَهُ وقد تفرَّقَ عنه أصحابه ، وخرجَ عامَّةُ أهلِ مَسْكَةَ إلى الحجَّاجِ في الأمان .

حدَّثني الحارث ، قال : حدَّثنا ابنُ سعد ، قال : أخبرنا محمدُ بنُ عمر ، قال : حدَّثني إسحاقُ بنُ عبد الله^(١) ، عن المنذرِ بنِ جَهْمِ الأَسَدِيِّ ، قال : رأيتُ ابنَ الزبيرِ يومَ قُتَيْبِلِ وقد تفرَّقَ عنه أصحابُه ونخله من معه نخلاناً شديداً ، وجعلوا يخرجون إلى الحجَّاجِ حتَّى خرج إليه نحوُ من عشرةِ آلاف .

وذكر أنه كان ممن فارقه وخرج إلى الحجَّاجِ ابناه حمزة وخبيب ، فأخذاهما لأنفسهما أماناً ، فدخل على أمه أسماء — كما ذكر محمدُ بنُ عمر^{٨٤٦/٢} عن أبي الزناد ، عن مسخرمة بن سليمان الوالبي ، قال : دخل ابنُ الزبيرِ على أمه حين رأى من الناس ما رأى من خذلانهم ، فقال : يا أمه ؛ خذني الناسُ حتَّى ولدي وأهلي ، فلم يبقَ معي إلا اليسيرُ ممن^(٢) ليس عنده من الدَّفْعِ أكثرُ من صبرِ ساعة ، والقوم يعطونني ما أردت من الدنيا ، فما رأيك ؟ فقالت : أنت والله يا بُني أعلم بنفسك ، إن كنت تعلم أنك على حقٍّ وإليه تدعو فامضِ له ، فقد قُتِلَ عليه أصحابك ، ولا تُمكن من رقبتك يتلعَّب بها غلمانُ أمية ، وإن كنت إنما أردت الدنيا فبئس العبدُ أنت ! أهلكت نفسك ، وأهلكت من قُتِلَ معك . وإن قلتَ : كنتُ على حقٍّ فلمَّا وهن أصحابي ضعفتُ ، فهذا ليس فعل الأحرار ولا أهل الدِّين ، وكم خلودك في الدنيا ! القتلُ أحسن . فدنا ابنُ الزبيرِ فقبَّلَ رأسها وقال : هذا والله رأيي ، والذي قمتُ به داعياً إلى يومي هذا ما ركستُ إلى الدنيا ، ولا أحببتُ الحياةَ فيها ، وما دعاني إلى الخروجِ إلا الغضبُ لله أن تُستحلَّ حرمة ، ولكنني أحببتُ أن أعلم رأيك ، فزدتني^(٣) ، بصيرةً مع بصيرتي . فانظري يا أمه فإني مقتول من يومي هذا ، فلا يشتدَّ حزنك ، وسكَّمي الأمرُ لله ، فإنَّ ابنك لم يتعمد إتيان^(٤) مُسكَّر ، ولا عملاً بفاحشة ، ولم يجز في

(١) ط : « عيب » ، وصوابه من ا . (٢) ب : « ومن » ، ا ، ف : « من » .

(٣) ب ، ف : « فقد زدني » . (٤) ب ، ف : « إيتار » .

حكّم الله ، ولم يغدر في أمان ، ولم يتعمّد ظلّم مسلم ولا معاهد ، ولم يبلغني ظلم عن عمّالي فرضيتُ به بل أنكرتُه ، ولم يكن شيءٌ آثرَ عندي^(١) من ٨٤٧/٢ رضاً ربّي . اللهم إني لا أقول هذا تزكية منّي لنفسي ، أنت أعلمُ بي ، ولكن أقولُه تعزية لأمتي لتسلو عنّي . فقالت أمه : إني لأرجو من الله أن يكون عزائي فيك حسنةً إن تقدّمتني ، وإن تقدّمتك في نفسي ، اخرج حتى أنظر إلى ما يصير أمرك . قال : جزاك الله يا أمّه خيراً ، فلا تمدّعي الدعاء لي قبلُ وبعدُ . فقالت : لا أدّعه أبداً ، فن قتل على باطل فقد قُتلت على حق . ثم قالت : اللهم ارحم طول ذلك القيام في الليل الطويل ، وذلك النحيب والظمأ في هواجير المدينة ومكّة ، وبرّه بأبيه وبني . اللهم قد سلّمته لأمرك فيه ، ورضيتُ بما قضيت ، فأثبني في عبد الله ثواب الصابرين الشاكرين^(٢) .

قال مصعب بن ثابت : فما مكثتُ بعده إلاّ عشراً ، ويقال : خمسة أيّام .

قال محمد بن عمر : حدثني موسى بن يعقوب بن عبد الله ، عن عمّه قال : دخل ابنُ الزبير على أمه وعليه الدرع والمغفر ، فوقف فسلم ، ثم دنا فتناول يدها فقبلها^(٣) . فقالت : هذا وداع فلا تبعد ، قال ابن الزبير : جئت مودّعاً ، إني لأرى هذا آخر يوم من الدنيا يمرّ بي ، وأعلمي^(٤) يا أمّه أني إن قُتلت فإنما أنا لحم لا يضرّني ما صنع بي ، قالت : صدقت يا بُني ، أتمم على بصيرتك ، ولا تُمكن ابنَ أبي عَقِيل منك ، وادنُ مني أودّ عك ، فدنا منها فقبلها وعانقها ، وقالت حيث مسّت الدرع : ما هذا ٨٤٨/٢ صنيعٌ من يريد ما تريد ! قال : ما لبستُ هذا الدرع إلاّ لأشدّ منك ، قالت العجوز : فإنه لا يشدّ منّي ، فذرعها ثم أدرج كميته ، وشدّ أسفل قميصه ، وجبّة خزّ تحت القميص فأدخل أسفلها في المنطقة ، وأمّه تقول : البس ثيابك مشمّرة . ثم انصرف ابن الزبير وهو يقول :

(١) ب ، ف : « عندي آثر » . (٢) ب ، ف : « الشاكرين الصابرين » .

(٣) ف : « يدها فقبلها » . (٤) ب : « وأعلمي » .

إِنِّي إِذَا أَعْرِفُ يَوْمِي أَصْبِرُ إِذْ بَعْضُهُمْ يَعْرِفُ ثُمَّ يُنْكِرُ
فسمعت العجوزُ قولَه، فقالت : تَصَبَّرَ وَاللَّهِ إِن شَاءَ اللَّهُ، أبوك أبو بكر
والزبير، وأمك صفيّة بنتُ عبدِ المطلب .

حدّثني الحارث، قال : حدّثني ابنُ سعد، قال : أخبرني محمدُ بنُ
عمر، قال : أخبرنا ثورُ بنُ يزيدَ، عن شيخٍ من أهلِ حمصَ شهد
وقعة ابنِ الزبير مع أهلِ الشام، قال : رأيتُه يومَ الثلاثاء وإِنَّا لنطلعُ عليه أهل
حمصَ خمسمائةِ خمسمائةِ من بابِ لنا نَدْخُلُهُ ؛ لا يدخله غيرُنا ، فيخرج
إلينا وحدَه في أثرنا ، ونحنُ منهزمونُ منه ، فما أنسى أَرْجوزةً له :

إِنِّي إِذَا أَعْرِفُ يَوْمِي أَصْبِرُ وَإِنَّمَا يَعْرِفُ يَوْمِيهِ الْحُرُّ
* إِذْ بَعْضُهُمْ يَعْرِفُ ثُمَّ يُنْكِرُ *

فأقول : أنتَ واللهِ الحرُّ الشريفُ ، فلقد رأيتُه يقفُ في الأبطحِ ما يدنو
منه أحدٌ حتّى ظننّا أَنَّهُ لا يقتل .

حدّثني الحارث، قال : حدّثنا ابنُ سعد، قال : أخبرنا محمدُ بنُ
عمر، قال : حدّثنا مصعبُ بنُ ثابت، عن نافعِ مولى بني أسد، قال :
رأيتُ الأبوابَ قد سُحِنَتْ من أهلِ الشامِ يومَ الثلاثاء، وأسلمَ أصحابُ ابنِ
الزبيرِ المحارِسَ، وكثُرَ القومُ فأقاموا على كلِّ بابٍ رجالاً وقائداً وأهلَ بلدٍ،
فكان لأهلِ حمصَ البابُ الَّذي يواجهُ بابَ الكعبةِ، ولأهلِ دِمَشقَ بابُ بني
شَيْبَةَ، ولأهلِ الأردُنِّ بابُ الصفا، ولأهلِ فلسطينِ بابُ بني جُمَحَ،
ولأهلِ قِنَسْرِينِ بابُ بني سَهْمٍ، وكان الحجاجُ وطارقُ بنُ عمرو جميعاً
في ناحيةِ الأبطحِ إلى المروة، فرّةُ يَحْمِلُ ابنُ الزبيرِ في هذهِ الناحيةِ، ومرةُ
في هذهِ الناحيةِ، فلسكانه أسدٌ في أجسمةِ ما يُقدِّمُ عليه الرجالُ، فيعدون في أثرِ
القومِ وهم على البابِ حتّى يُخْرِجَهُمْ وهو يرتجز :

إِنِّي إِذَا أَعْرِفُ يَوْمِي أَصْبِرُ وَإِنَّمَا يَعْرِفُ يَوْمِيهِ الْحُرُّ
ثم يصيحُ : يا أبا صفوان^(٤)، ويلُ أمه فستحاً لو كان له رجال !

(١) ا : « أباصفوان » وهو عبد الله بن صفوان وانظر ص ١٩٢ .

* لو كان قِرْنِي وَاحِدًا كَفَيْتُهُ (١) *

قال ابن صفوان : إى والله وألف .

حدثني الحارث، قال : حدثنا ابنُ سعد ، قال : أخبرنا محمد بنُ عمر ، قال : فحدثني ابنُ أبي الزناد وأبو بكر بنُ عبد الله بنِ مصعب ، عن أبي المنذر (٢) . وحدثنا نافع مؤلى بنى أسد ، قال : لما كان يوم الثلاثاء صبيحة سيع عشرة من جمادى الأولى سنة ثلاث وسبعين وقد أخذ الحجَّاجُ على ابن الزبير بالأبواب ، بات ابنُ الزبير يصلِّي عامَّة اللَّيْلِ ، ثمَّ احتبى بمائلٍ ٨٥٠/٢ سيفه فأغنى ، ثمَّ انتبه بالفجر فقال : أذن يا سعد ، فأذن عند المقام ، وتوضأ ابنُ الزبير ، وركع ركعتي الفجر ، ثمَّ تقدَّم ، وأقام المؤذن فصلَّى بأصحابه ، فقرأ ﴿ ن وَالْقَلَمِ ﴾ حرفاً حرفاً ، ثمَّ سلم ، فقام فحمد الله وأثنى عليه ثم قال :

اكتشفوا وجوهكم حتى أنظر، وعليهم المغافر والعمائم، فكشفوا وجوههم فقال : يا آل الزبير ، لو طبتم لى أنفسنا عن أنفسكم كنا أهل بيت من العرب اصطلمنا فى الله لم تصبنا زبأ بثة . أمأ بعد يا آل الزبير ، فلا يرعكم وقع السيف ، فإنى لم أحضر موطناً قط إلا ارتشيت فيه من القتل ، وما أجد من أدواء جراحها أشد مما أجد من ألم وقعها . صونوا سيوفكم كما تصونون وجوهكم ، لا أعلم امرأ كسسر سيفه ، واستبقتى نفسه ، فإن الرجل إذا ذهب سلاحه فهو كالمرأة أعزل ، غصوا أبصاركم عن البارقة ، وليشغل كل امرئ قرينه ، ولا يلهينكم السؤال عنى ، ولا تقولن : أين عبد الله بنُ الزبير ؟ ألا من كان سائلا عنى فإنى فى الرعيل الأول .

أبى لابن سلمى أنه غير خالد ملاقى المنايا أى صرف تيمماً (٣)
فلست بمبتاع الحياة بسببة ولا مرتق من خشية الموت سلماً (٤)

(١) لدويد بن زيد ، وانظر طبقات الشعراء لابن سلام ٢٨ .

(٢) ط : « ابن » وصوابه من ا ، وهو أبو المنذر هشام بن محمد الكلبي .

(٣) للحصين بن الحمام المرى ، من المفضلية ١٢ . (٤) المفضليات : « ولا مبتع » .

احملوا على بركة الله .

٨٥١/٢ ثم حمل عليهم حتى بلغ بهم الحَجَّون ، فرمى بأجرّة فأصابته في وجهه فأرعش لها ، ودمى وجهه ، فلماً وجد سخونة الدّم يسيل على وجهه ولحيته قال :

فَلَسْنَا عَلَى الْأَعْقَابِ تَدْمَى كُلُّوْمُنَا وَلَكِنْ عَلَى أَقْدَامِنَا تَقْطُرُ الدَّمَا (١)

وتغاووا عليه .

قالا : وصاحت مولاة لنا مجنونة : وأمير المؤمنيناه ! قالوا : وقد رأته حيث هوى ، فأشارت لهم إليه ، فقتل وإنّ عليه ثياب خنز . وجاء الخبر إلى الحجّاج ، فسجد وسار حتى وقف عليه وطارق بن عمرو ، فقال طارق : ما وكّدت النساءُ أذكر من هذا ؛ فقال الحجّاج : تسمّح منّ يُخالف طاعة أمير المؤمنين ! قال : نعم ، هو أعذر لنا ، ولولا هذا ما كان لنا عُدْر ، إنّنا مُحاصروه وهو في غير خندق ولا حصن ولا منّعة منذ سبعة أشهر ينتصف منّا ، بل يفضل علينا في كلّ ما التقينا نحن وهو ؛ فبلغ كلامهما عبد الملك ، فصوّب طارقاً .

حدثنا عمر ، قال : حدثنا أبو الحسن ، عن رجاله ، قال : كأني أنظر إلى الزبير وقد قتل غلاماً أسود ، ضربته ففرقه ، وهو يمرّ في حملته عليه ويقول : صبراً يا بن حام ، في مثل هذه المواطن تصبر الكرام !

حدثني الحارث ، قال : حدثنا ابن سعد ، قال : أخبرنا محمد ابن عمر ، قال : حدثني عبد الجبار بن عُمارة ، عن عبد الله بن أبي بكر ابن محمد بن عمرو بن حزم ، قال : بعث الحجّاج برأس ابن الزبير ورأس عبد الله بن صفوان ورأس عُمارة بن عمرو بن حزم إلى المدينة فنصبت بها ، ثم ذهب بها إلى عبد الملك بن مروان ، ثم دخل الحجّاج

(١) للحسين بن الحمام المرى ، ديوان الحماسة - بشرح المرزوق ١ : ١٩٢ ، وفي ط : « لسنا » وأثبت ما في ب ، ف ، وهو يوافق ما في الحماسة .

مكة ، فبايع^(١) من بها من قريش لعبد الملك بن مروان .

قال أبو جعفر : وفي هذه السنة ولّى عبدُ الملك طارقاً مولى عثمانَ المدينة فولّيها خمسة أشهر .

وفي هذه السنة توفّي بيشرُ بنُ مروانَ في قول الواقدي . وأمّا غيره فإنّه قال : كانت وفاته في سنة أربع وسبعين .

وفيها أيضاً وجّه — فيما ذُكر — عبد الملك بن مروان عمرَ بن عبّيد الله بن معمرَ لقتال أبي فُدَيْك ، وأمره أن يندب معه من أحبّ من أهل البصرة ، فقدم الكوفة فندب أهلها ، فانتدب معه عشرةُ آلاف ، ثمّ قدّم البصرة فندب أهلها ، فانتدب معه عشرةُ آلاف ، فأخرج لهم أرزاقهم وأعطياتهم ، فأعطوا . ثمّ سار بهم عمرُ بن عبّيد الله ، فجعل أهل الكوفة على الميمنة وعليهم محمد بن موسى بن طلحة ، وجعل أهل البصرة على اليسرة وعليهم ابن أخيه عمر بن موسى بن عبّيد الله ، وجعل خيلته في القلب ، حتّى انتهوا إلى البحرين ، فصفّ عمرُ بن عبّيد الله أصحابه . وقدّم الرّجال في أيديهم الرّماح قد ألزموها الأرض ، واستتروا بالبراذع ، فحتمل أبو فُدَيْك وأصحابه حملة رجل واحد ، فكشّفوا ميسرة عمرَ بن عبّيد الله حتّى ٨٥٣/٢ ذهبوا في الأرض إلا المغيرةَ بن المهلب ومعهن بن المغيرة ومُجاعة بن عبد الرحمن وفُرسان الناس فإنّهم مالوا إلى صفّ أهل الكوفة وهم ثابتون . وارتسّ عمرُ بن موسى بن عبّيد الله ، فهو في القتلى قد أئخّن بجراحة . فلمّا رأى أهل البصرة أهل الكوفة لم ينهزموا تذرّثوا ورجعوا وقاتلوا وما عليهم أمير حتّى مرّوا بعمر بن موسى بن عبّيد الله جريحاً فحملوه حتّى أدخلوه عسكر الخوارج وفيه تبسّن كثير فأحرقوه ، ومالت عليهم الرّيح ، وحمل أهل الكوفة وأهل البصرة حتّى استباحوا عسكرهم وقتلوا أبا فُدَيْك وحصرّوهم في المشقّ ، فزلوا على الحكم ، فقتل عمرُ بن عبّيد الله منهم — فيما ذُكر — نحواً من ستّة آلاف ، وأسّر ثمانمائة ، وأصابوا بجارية أميّة بن عبد الله حبلى من أبي فُدَيْك وانصهرّوا إلى البصرة .

(١) ب : «فبايعه» ، ا ، س : «فبايعها» .

وفي هذه السنة عزّل عبدُ الملك خالد بن عبد الله عن البصرة وولّاها أخاه بشر بن مروان ، فصارت ولايتها ولاية الكوفة إليه ، فشخص بشر لمّا وُلّي مع الكوفة البصرة إلى البصرة واستخلف على الكوفة عمرو بن حرّيث . وفيها غزا محمد بن مروان الصائفة . فهزم الروم .

وقيل : إنّه كان في هذه السنة وقعة عثمان بن الوليد بالروم في ناحية أرمينية وهو في أربعة آلاف والروم في ستين ألفاً . فهزّمهم وأكثر القتلَ فيهم .

وأقام الحجّ في هذه السنّة للناس الحجّاج بن يوسف وهو على مكّة واليمن واليمامة ، وعلى الكوفة والبصرة - في قول الواقدي - بشر بن مروان ، وفي قول غيره على الكوفة بشر بن مروان . وعلى البصرة خالد بن عبد الله بن خالد بن أسيد ، وعلى قضاء الكوفة شريح بن الحارث ، وعلى قضاء البصرة هشام ابن هبيرة ، وعلى خراسان بكير بن وشاح .

ثم دخلت سنة أربع وسبعين

ذكر ما كان فيها من الأحداث الجليلة

[قال أبو جعفر :] فما كان فيها من ذلك عزّلُ عبدِ الملك طارقَ بن عمرو عن المدينة ، واستعماله عليها الحجّاج بن يوسف ، فقدّمها - فيما ذكر - فأقام بها شهراً ثمّ خرج معتمراً .

وفيهما كان - فيما ذكر - نَقَضُ الحجّاج بن يوسف بنيان الكعبة الّذى كان ابنُ الزبير بناه ، وكان إذ بناه أدخل في الكعبة الحجر ، وجعل لها بابين ، فأعادها الحجّاجُ على بنائها الأوّل في هذه السنة ، ثمّ انصرف إلى المدينة في صفر ، فأقام بها ثلاثة أشهر يتعبث بأهل المدينة ويتعنّتهم ، وبنى بها مسجداً في بني سلّمة ، فهو يُنسب إليه .

واستخفّ فيها بأصحاب رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، فاختتم في أعناقهم ؛ فنذّر محمد بنُ عمرانَ بن أبي ذئب ، حدّثه عن رأى جابر بن عبد الله مختوماً في يده .

وعن ابن أبي ذئب ، عن إسحاق بن يزيد ، أنه رأى أنس بن مالك مختوماً ٨٥٥/٢ في عنقه ، يريد أن يذلّه بذلك .

قال ابن عمر : وحدّثني شُرْحبيل بن أبي عون ، عن أبيه ، قال : رأيتُ الحجّاج أرسل إلى سهل بن سعد فدعاه ، فقال : ما منعك أن تنصُرَ أميرَ المؤمنين عثمانَ بنَ عفّان ! قال : قد فعلتُ . قال : كذبت ، ثمّ أمر به فختم في عنقه برصاص .

وفيهما استنقضى عبدُ الملكُ أبا إدريسَ الخولانيّ - فيما ذكر الواقديّ - وفي هذه السنة شخّص في قول بعضهم بيشر بنُ مروان من الكوفة إلى البصرة والياً عليها .

[ذكر الخبر عن حرب المهلب للأزارقة]

وفي هذه السنة ولّى المهلبُ حربَ الأزارقة من قبيل عبد الملك .

* ذكر الخبر عن أمره وأمرهم فيها :

ولمّا صار بيشر بالبصرة كتب عبدُ الملك إليه - فيما ذكر هشامٌ عن أبي مخنف ، عن يونس بن أبي إسحاق ، عن أبيه :

أمّا بعد . فابعث المهلب في أهل مصره^(١) إلى الأزارقة ، وليتخب من أهلِ مِصره وجوهمهم وفرسانهم وأولى الفضل والتجربة منهم^(٢) ، فإنه أعرف بهم ، وخسّته ورأيه في الحرب ، فإني أوثقُ شيء بتجربته ونصيحته للمسلمين . وابعث من أهل الكوفة بعثاً كثيفاً ، وابعث عليهم رجلاً معروفاً شريفاً ، حسيباً صليباً ، يُعرف بالبأس والنجدة والتجربة للحرب ، ثمّ أنهض إليهم أهلَ المِصرين فليتبِعوهم أيّ وجهٍ ما توجهوا حتّى يُبيدَهم الله^(٣) ويستأصلتهم . ٨٥٦/٢ والسلام عليك^(٣) .

فدعا بيشرُ المهلبَ فأقرأه الكتاب ، وأمره أن ينتخب من شاء ، فبعث بجديع بن سعيد بن قبيصة بن سراق الأزدي - وهو خالُ يزيد ابنه - فأمره أن يأتي الديوان فينتخب الناس ، وشقّ على بشر أن إمرة المهلب جاءت من قبيل عبد الملك ، فلا يستطيع أن يبعث غيره ، فأوغرت صدره عليه حتّى كأنه كان له إليه دنب . ودعا بيشر بن مروان عبد الرحمن بن مخنف فبعثه على أهل الكوفة ، وأمره أن ينتخب فرسان الناس وجوهمهم وأولى الفضل منهم والنجدة .

قال أبو مخنف : فحدثني أشياخ الحميّ ، عن عبد الرحمن بن مخنف قال : دعاني بيشر بن مروان فقال لي : إنك قد عرفت منزلتك منّي ، وأثرتك عندي ، وقد رأيتُ أن أوليائك هذا الجيش لا أئدى عرفت من أجزائك ونوائك وشرفك وبأسك ، فهكن عند أحسن ظني بك . انظر هذا الكذا كذا - يقع في المهلب - فاستبدّ عليه بالأمر ، ولا تقبلن له مشورة ولا رأياً ، وتسنقّصه وقصّر به .

قال : فترك أن يوصيني بالجنود ، وقاتل العدو ، والنظر لأهل

(١-١) ب ، ف : « وجوهمهم وفرسانهم وأولى الفضل والتجربة منهم إلى الأزارقة وليتخب من أحب » . (٢) ب - س : « يبرهم » . (٣) بعدها في ف : « ورحمة الله وبركاته » .

الإسلام ، وأقبل يُغريني بأبن عمي كَأني من السُّفهاء أو ممن يُستصَي ويُسْتجهَل ، ما رأيتُ شيخاً مثلي في مثل هيئتي ومنزلي طُمع منه في مثل ما طمع فيه هذا الغلام مِنِّي ، شَتبَ عَمرو عن الطَّوق .

قال : ولمَّا رأيتُ أَني لستُ بالنَّشيط^(١) إلى جوابه قال لي : مَا لك ؟ قلتُ : ٨٥٧/٢
أصلحك الله ! وهل يَسعني إِلَّا إنفاذ أمرِك في كلِّ ما أَحبيت وكرهت !
قال : امضِ راشداً . قال : فودَّعته وخرجتُ مِن عنده ، وخرج المهلبُ
بأهل البصرة حتَّى نزل رامَ مَهْرُمُز فلقي بها الخوارج ، فخندق عليه ، وأقبل
عبدُ الرحمن بنُ مُخنف بأهل الكوفة على ربيع أهل المدينة معه^(٢) بِشْر بنُ
جرير ، وعلى ربيع تميم وهَمْدان محمد بنُ عبدِ الرحمن بن سَعِيد بن قيس ،
وعلى ربيع كِنْدَةَ ورَبِيعَةَ إِسْحاقُ بنُ مُحَمَّد بن الأشعث ، وعلى ربيع مَدِحِج
وأَسَد زَحْر بن قيس . فأقبل عبدُ الرحمن حتَّى نزل من المهلب على
مِيل أو مِيل ونصف . حيث تراءى العسكران برام مَهْرُمُز ، فلم يلبث
الناسُ إِلَّا عَشْرًا حتَّى أتاهم نِعي بِشْر بن مروان ، وتوقى بالبصرة ، فافرض
ناس كثيرٌ من أهل البصرة وأهل الكوفة ، واستخلف بشر خالد بن عبد الله
ابن أسيد ، وكان خليفته على الكوفة عمرو بن حرِيث ، وكان الذين انصرفوا
من أهل الكوفة زَحْر بن قيس وإسحاق بن مُحَمَّد بن الأشعث ومحمد بن
ابن عبد الرحمن بن سَعِيد بن قيس ، فبعث عبدُ الرحمن بنُ مُخنف ابنه جعفرًا
في آثارهم ، فردَّ إِسْحاقَ وَمُحَمَّدًا . وفاته زَحْر بن قيس ، فحبسهما يومين ،
ثم أخذ عليهما أَلًا يفارقه ، فلم يلبثا إِلَّا يومًا^(٣) حتَّى انصرفا ، فأخذ^(٤) غير
الطريق ، وطلبها فلم يُلحِقها ، وأقبل حتَّى لحقا زَحْر بن قيس بالأهواز ،
فاجتمع بها ناس كثير ممن يريد البصرة . فبلغ ذلك خالد بن عبد الله ، ٧٥٨/٢
فكتب إلى الناس كتابًا^(٥) وبعث رسولًا يضرب وجوه الناس ويردهم^(٥) ، فقدم
بكتابه مولى له ، فقرأ الكتاب على الناس ، وقد جُمِعوا له :

(١) ب ، ف : « بنشيط » .

(٢) ب ، ف : « ومعه » .

(٣) ب ، ف : « يومين » .

(٤) س : « ادسرفوا فأخذوا » .

(٥ - ٥) ب ، ف : « وبعث رسلا تضرب وجوه الناس وتردهم » .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ، من خالد بن عبد الله ، إلى من بلغه كتابي هذا من المؤمنين والمسلمين . سلامٌ عليكم ، فإنني أحمد إليكم الله الذي لا إله إلا هو . أمّا بعد ، فإنّ الله كتب على عباده الجهاد ، وفرض طاعةً وولاءاً الأمر ، فمن جاهد فإنّما يُجاهد لنفسه ، ومن ترك الجهاد في الله كان الله عنه أغنى ، ومن عصَى ولاءَ الأمر والقوَام بالحق أسخِطَ الله عليه ، وكان قد استحقَّ العقوبة في بشره ، وعرض نفسه لاستفاءة ماله وإلقاء عطائه ، والتسيير إلى أبعد الأرض وشرِّ البلدان . أيّها المسلمون ، اعلموا^(١) على من اجترأتم ومن عصيتم ! إنّه عبدُ الملك بن مروان أميرُ المؤمنين ، الذي ليست فيه غميمة ، ولا لأهل المعصية عنده رخصة ، سوطه على من عصى ، وعلى من خالف سيفه ، فلا تجعلوا على أنفسكم سبيلاً ، فإنني لم آلكم نصيحة . عبادَ الله ، ارجعوا إلى مكنتيكم^(٢) وطاعة خليفتيكم ، ولا ترجعوا عاصيين مخالفين فيأتيكم ما تكرهون . أقسم بالله لا أثقف عاصياً بعد كتابي هذا إلا قتلته إن شاء الله ؛ والسلام عليكم ورحمة الله .

وأخذت كلما قرأ عليهم سطرًا أو سطرين قال له زحر : أوجز ؛ فيقول له مولى خالد : والله إني لأسمع كلام رجل ما يريد أن يفهم ما يسمع . أشهدت لا يعيب^(٣) ، بشيء مما في هذا الكتاب . فقال له : اقرأ أيها العبد الأحمر ما أمرت به ، ثم ارجع إلى أهلِكَ ، فإنك لا تدري ما في أنفسنا . ٨٥٩/٢

فلما فرغ من قراءته لم يلتفت الناس إلى ما في كتابه ، وأقبل زحر^(٤) وإسحاق بن محمد ومحمد بن عبد الرحمن حتى نزلوا قرية لآل الأشعث إلى جانب الكوفة ، وكتبوا إلى عمرو بن حرِيث :

أما بعد ، فإنّ الناس لمّا بلغتهم وفاةُ الأمير رحمةُ الله عليه تفرّقوا فلم يبقَ معنا أحد ؛ فأقبلنا إلى الأمير وإلى مصرنا ، وأحببنا ألا ندخل الكوفة إلا بإذن الأمير وعلمه .

(١) ب ، ف : « أتلمون » . (٢) ب ، ف : « أمكنتكم » .

(٣) لا يعيب : لا يكثرث . وفي ب ، ف : « لا تهيب فتنة إلا كنت رأسها » .

(٤) بعدها في ب ، ف : « وأصحابه » .

فكتب إليهم :

أما بعد ، فإنكم تركتم مكتسبكم (١) وأقبلتم عاصين مخالفين ، فليس لكم عندنا إذن ولا أمان .

فلما أتاهم ذلك انتظروا حتى إذا كان الليل دخلوا إلى رجالهم ، فلم يزلوا مقيمين حتى قدم الحجاج بن يوسف .

* * *

[عزل بكير بن وشاح عن خراسان وولاية أمية بن عبد الله عليها]
وفي هذه السنة عزل عبد الملك بكير بن وشاح عن خراسان وولاهها أمية بن عبد الله بن خالد بن أسيد .

* ذكر الخبر عن سبب عزل بكير وولاية أمية :

وكانت ولاية بكير بن وشاح خراسان إلى حين قدم (٢) أمية عليها والياً سنتين في قول أبي الحسن ، وذلك أن ابن خازم قتل سنة ثلاث وسبعين وقدم أمية سنة أربع وسبعين .

وكان سبب عزل بكير عن خراسان أن بحيراً - فيما ذكره علي عن

المفضل - حبسه بكير بن وشاح لما كان منه فيما ذكرت في رأس ابن خازم ٨٦٠/١ حين قتله ، فلم يزل محبوساً عنده حتى استعمل عبد الملك أمية بن عاصم ابن خالد بن أسيد ، فلما بلغ ذلك بكيراً أرسل إلى بحير ليصالحه ، فأبى عليه وقال : ظن بكير أن خراسان تبقى له في الجماعة ! فشت السفراء بينهم ، فأبى بحير ، فلخل عليه ضرار بن حصين الضبي ، فقال : ألا أراك مائتاً ! يُرسل إليك ابن عمك يعتذر إليك وأنت أسير ، والمشرق في يده - ولو قتلك ما حبتقت فيك عنز - ولا تقبل منه ! ما أنت بموثق (٣) . أقبل الصلح ، واخرج وأنت على أمرك . فقبل مشورته ، وصالح بكيراً ، فأرسل إليه بكير بأربعين ألفاً ، وأخذ على بحير ألا يقاتله . وكانت تميم قد اختلفت بخراسان ، فصارت مقاعس والبطون يتعصبون له ، فخاف أهل خراسان أن تعود الحرب وتفسد البلاد ، ويقهرهم عدوهم من المشركين ، فكتبوا إلى

(١) ب ، ف : « أمكتكم » .

(٢) ب ، ف : « قدم » .

(٣) ب ، ف : « بموثق » .

عبد الملك بن مروان : إن خراسان لا تصلح بعد الفتنة إلا على رجل من قريش لا يحسدونه ولا يتعصبون عليه ، فقال عبد الملك : خراسان تُشغَر المشرق ، وقد كان به من الشر ما كان ، وعليه هذا التميمي ، وقد تعصب الناس وخافوا أن يصيروا إلى ما كانوا عليه ، فيهلك الثغر ومن فيه ، وقد سألوا أن أولي أمرهم رجلا من قريش فيسمعوا له ويطيعوا ، فقال أمية بن عبد الله : يا أمير المؤمنين ، تداركهم برجل منك ، قال : لولا انجيازك عن أبي فديك كنت ذلك الرجل . قال : يا أمير المؤمنين ، والله ما انحزت حتى لم أجد مقتاتلا ، وخذلني الناس ، فرأيت أن انجيزي إلى فئة أفضل من تعريضي عصبه بقيت من المسلمين للهلكة ، وقد علم ذلك مروان بن عبد الرحمن بن أبي بكر ، وكتب إليك خالد بن عبد الله بما بسأغه من عذري - قال : وكان خالد كتب إليه بعذره ، ويخبره أن الناس قد خذلوه - فقال مروان : صدق أمية يا أمير المؤمنين ، لقد صبر حتى لم يجد مقتاتلا ، وخذلته الناس . فولاه خراسان ، وكان عبد الملك يحب أمية ، ويقول : نتيجي ، أي ليدتي ، فقال الناس : ما رأينا أحدا عووض من هزيمة ما عووض أمية ، فر من أبي فديك فاستعمل على خراسان ، فقال رجل من بكر بن وائل في متحسس بكبير بن وشاح :

أَتَتَكَ الْعَيْسُ تَنْفُخُ فِي بُرَاهَا تُكْشِفُ عَنْ مَذَاكِبِهَا الْقُطُوعُ^(١)
كَأَنَّ مَوَاقِعَ الْأَكْوَارِ مِنْهَا^(٢) حَمَامٌ كَنَائِسٍ بُقْعٌ وَقُوعٌ
بِأَبْيَضٍ مِنْ أُمِيَّةٍ مُضْرَجِي^٣ كَأَنَّ جَبِينَهُ سَيْفٌ صَنِيعٌ^(٣)

وبحير يومئذ بالسَّنَجِ يسأل عن مسير أمية ؛ فلما بلغه أنه قد قارب أبرش شهراً قال لرجل من عجم أهل مرو يقال له رزين - أو زيرير : دلتني

(١) الأغاني ١٣ : ٢٥٨ ، ٢٥٩ ، ونسب الشعر لعبد الرحمن بن الحكم بن العاص ؛ وذكر البيت الأول ، ثم الثالث . العيس : النوق البيض يخالط بياضها شقرة . والبري ؛ جمع برة ، وهي حلقة من فضة أو صفر أو شعر تجعل في أفن البعير . والقطوع ، بضم القاف ؛ جمع قطع ؛ وهو الطنفسة تحت الرجل على كتي البعير . (٢) كذا في ا ، وفي ط : « الأكرار »

(٣) المضرجي : السيد الكريم . والصنيع : السيف الأبيض المجلو .

على طريق قريب لألقى الأميرَ قبل قدومه ، ولك كذا وكذا ، وأجزل لك العطية ؛ وكان عالماً بالطريق ، فخرج به فسار من السنج إلى أرض سرّخس في ليلة ، ثم مضى به إلى نيسابور فوافى أمية حين قدم أبرشهر ، فلقية فأخبره عن خراسان وما يصلح أهلها وتحسن به طاعتهم ، ويخف على الولى مثونهم ، ورفع عن^(١) بكير أموالاً أصابها ، وحدّره غدّره .

قال : وسار معه حتى قدم مرو ، وكان أمية سيّداً كريماً ، فلم يعرض لبكير ولا لعماله ، وعرض عليه أن يوليّه شرطته ، فأبى بكير ، فولّاهما بحير بن وراق ، فلام بكيراً رجالاً من قومه ، فقالوا : أبيت أن تلى ، فولّى بحيراً وقد عرفت ما بينكما ! قال : كنتُ أمس والى خراسان تحمّل الحراب بين يدي ، فأصير اليوم على الشرطة أحمل الحربة !

وقال أمية لبكير : اختبر ما شئت من عمل خراسان ، قال : طخارستان ، قال : هي لك . قال : فتجهز بكير وأنفق مالا كثيراً ، فقال بحير لأمية : إن أتى بكير طخارستان خلعتك ، فلم يزل يحدّره حتى حذر ، فأمره بالمقام عنده .

* * *

وحجّ بالناس في هذه السنة الحجّاج بن يوسف . وكان ولى قضاء المدينة عبد الله بن قيس بن مخرمة قبل شخوصه إلى المدينة كذلك ، ذكّر ذلك عن محمد بن عمر .

وكان على المدينة ومكّة الحجّاج بن يوسف ، وعلى الكوفة والبصرة بشر بن مروان ، وعلى خراسان أمية بن عبد الله بن خالد بن أسيد ، وعلى قضاء الكوفة شريح بن الحارث ، وعلى قضاء البصرة هشام بن هبيرة ، ٨٦٣/٢ وقد ذكّر أنّ عبد الملك بن مروان اعتمر في هذه السنة ، ولا نعلم صحّة ذلك .

(١) ط : « على » .

ثم دخلت سنة خمس وسبعين
ذكرُ الخبر عما كان فيها من الأحداث
فمن ذلك غزوة محمد بن مروان الصائفة حين خرجت الروم من قِبل
مَرَعَش .

وفي هذه السنة ولّى عبدُ الملك يحيى بن الحكم بن أبي العاص المدينة .
وفي هذه السنة ولّى عبدُ الملك الحجاج بن يوسف العراقَ دون خراسان
وسجستان .

* * *

[ولاية الحجاج على الكوفة وخطبته في أهلها]

وفيها قدّم الحجاج الكوفة . فحدثني أبو زيد ، قال : حدثني محمد
ابنُ يحيى أبو غَسَّان ، عن عبد الله بن أبي عُبَيْدَةَ بن محمد بن عَمَّار
ابن ياسر ، قال (١) : خرج الحجاج بن يوسف من المدينة حين أتاه كتاب
عبد الملك بن مروان بولاية العراق بعد وفاة بشر بن مَرَوَّان في اثني عشر
راكباً على النجائب حتى دخل الكوفة حين انتشر النهار فجاءه (٢) ، وقد
كان بشر بعث المهلب إلى الحرورية ، فبدأ بالمسجد فدخله ، ثم صعد
المنبر وهو متلثم بعمامة خزّ حمراء ، فقال : علىّ بالناس ، فحسبوه وأصحابه
٨٦٤/٢ خارجه (٣) ، فهمّوا به ، حتى إذا اجتمع إليه الناس قام فكشف عن
وجهه وقال :

أنا ابنُ جَلّاءٍ وطلّاعُ الشّنايا متى أضع العِمّامةَ تعرّفوني (٤)

(١) الخبر وما تضمنته من خطبة الحجاج أورده الجاحظ في البيان والتبيين ٢ : ٣٠٧ - ٣١٠
بهذا السند أيضاً ، والخطبة أيضاً في الكامل ١ : ٣٨٠ - ٣٨٢ ، والمقدّم ٤ : ١١٩ ، وعيون الأخبار
٢ : ٢٤٣ .

« فجاءة » . (٣) البيان : « خوارج » .

بده لسحيم بن وثيل الرياحي ، رواها الأصمعي في الأصمعيات ٧٣ (ليبسك) .

أما والله إنني (١) لأحمل (١) الشرَّ حملته ، وأحذوه بنعله ، وأجزبه بمثله ،
وإني لأرى رءوساً قد أينعت وحان قِطافُها ، وإني لأنظر إلى الدماء بين
العمائم واللحى .

* قد شمَّرتُ عن ساقِها تشميراً (٢) *

هذا أوان الشَّد فاشتدَّى زيمٌ قد لَفَّها الليلُ بسواقٍ حُطَمَ (٣)
ليس براعى إبلي ولا غنمٌ ولا بجزائرٍ على ظهرٍ وضمَّ (٤)
قد لَفَّها الليلُ بعصلبي (٥) أزوعَ خراجٍ من الدوى
* مهاجرٍ ليس بأعرابي * *

ليس أوان يكره الخِلاطُ جاءت به والقلصُ الأعلاطُ

* تهوى هوىً سابقٍ الغِطاطِ *

وإني والله يا أهل العراق ما أغمزَ كتَمَازَ التين (٦) ، ولا يقَعَقَعُ لي بالشَّتان
ولقد فرَّرتُ عن ذكاء (٧) ، وجرَّيتُ إلى الغاية القصوى (٨) . إن أمير المؤمنين،
عبد الملك نشرَ كِنانته ثمَّ عَجَّمتَ عيدانها فوجدني أمرها عوداً ، وأصلبها ٨٦٥/٢
متكسراً ، فوجهني إليكم ؛ فإنكم طالما أوضعتم (٩) في الفتن ، وسنتم سنن
الغى . أما والله لألحوتكم لحوِّ العود ، ولأعصبتكم عصب السلِّمة ،

(١ - ١) البيان : « لأحمل الشرَّ بحمله » .

(٢) البيان : « فشمراً » ، العقد : « فشمري » .

(٣) الرجز لرويشد بن رميض العنبري ؛ كما في حواشي الكامل واللسان (حطم) ؛ والأغافى
١٥ : ٢٥٥ ، ٢٥٦ ، قال : « الشعر لرشيد بن رميض العنزي يقوله في الحطم ، وهو شريح بن ضبيعة .
وكان شريح قد غزا اليمن ، فغنم وسبي ، ثم أخذ على طريق مفازة فضل بهم دليلهم ثم هرب منهم ، وهلك
منهم ناس كثير بالمطش ، وجعل الحطم يسوق بأصحابه سوقاً عتيقاً حتى نجوا ووردوا الماء ، فقال فيه
رشيد الرجز مادحاً ، فلقب الحطم بذلك الرجز » . (٤) الوضم : كل ما قطع عليه اللحم .

(٥) الرجز في اللسان (عصلب) . والعصلبي : الشديد القادر على المشي والعمل .

(٦) البيان : « تفهاز التين » .

(٧) فر الدابة : كشف عن أسنانه ليمرف بذلك عمره . والذكاء ؛ نهاية الشباب وتتمام السن .

(٨) الغاية : قصة تنصب في الموضع الذي تكون المسابقة إليه ليأخذها السابق . وفي العقد :

« وأجريت إلى الغاية القصوى » . (٩) الإيضاع : ضرب من السير .

ولأضر بنكم ضربَ غرائب^(١) الإبلِ . إني والله لا أعيدُ إلاّ وقّيتُ ، ولا أخلُقُ إلاّ فترّيتُ . فإيأى وهذه الجماعاتُ وقيلاً وقالاً ، وما يقول^(٢) ، [و^(٣)] فيمَ أنتم وذلك ؟ والله لتستقيمُنَّ على سبيلِ الحقِّ أو لأدعَنَّ لكلِّ رجلٍ منكم شُغلاً في جسده . مَنْ وجَدْتُ بعدَ ثلاثة من بعثِ المهلبِ سفكْتُ دمه ، وأنهيتُ ماله .

ثم دخل منزله ولم يزدْ على ذلك .

قال : ويقال : إنه لما طال سكوتُه تناوَل محمد بنُ عُميرَ حصيّ فأراد أن يحصيه بها ، وقال : قاتله الله ! ما أعياه وأدمه ! والله إنني لأحسب خبره كبرواته . فلما تكلم الحجاج جعل الحصيّ يستثر من يده ولا يعقل به ، وأن الحجاج قال في خطبته :

شاهدت الوجوه إن الله ضربَ ﴿ مثلاً قريةً كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغداً من كلِّ مكان فكفرت بأنعم الله ، فأذاقها الله لباسَ الجوع والخوف بما كانوا يصنعون ﴾^(٤) ، وأنتم أولئك وأشباه أولئك ، فاستوثقوا واستقيموا . فوالله لأذيقنكم الهوان حتى تسدُّ رؤوا^(٥) ، ولأعصبنكم عصب السلسمة حتى تنقادوا ، أقسم بالله لتقبيلُنَّ على الإنصاف ، ولتسدَّ عنَّ الإرجاف ، وكان وكان ، وأخبرني فلان عن فلان ، والهبر وما الهبر ! أو لأهبرنكم^(٦) بالسيف هبراً يدع النساء أيامي ، والولدان يتامى ، وحتى تمشوا السهمي ، وتقلعوا عن هأوهأ . إيأى وهذه الزرافات ، لا يركبهنَّ الرجلُ منكم إلاّ وحده . ألا إنّه لو ساغ لأهل المعصية معصيتهم ماجبي فيء ولا قوتل عدو ، ولعطّلت الثغور ، ولولا أنهم يُغزون كرهاً ما غزوا طوعاً ، وقد بسّغتني رقتكم المهلب ، وإقبالكم على مصركم عصاةً مخالفين ، وإني أقسم لكم بالله لا أجد أحداً بعدَ ثلاثة إلاّ ضربت عنقه .

(١) الإبل إذا وردت الماء ودخل فيها غريبة من غيرها ضربت وطردت .

(٢) البيان « ما يقولون » . (٣) من البيان .

(٤) سورة النحل: ١١٢ . (٥) ب ، ف : « تدرؤا العصيان » .

(٦) م ، ف : « ولا هبرنكم » .

ثمّ دعا العرفاء فقال : ألحقوا الناس بالمتهلّب . وأتوني بالبراءات بمؤافاتهم ولا تغلقن أبواب الجسر ليلاً ولا نهاراً حتى تنقضي هذه المدة .

تفسير الخطبة : قوله : «أنا ابنُ جملآ» ، فابنُ جمل الصَّبْحُ لأنّه يجلو الظلمة . والثنايا : ما صغُر من الجبال ونسأ . وأينع الثمر : بلغ إدراكه . وقوله : «فاشدّى زيم» . فهى اسمٌ للحرب . والحطّم : الذى يحطم كلّ شيء يسمّر به . والوضم : ما وثى به اللحم من الأرض . والعصلبى : الشديد . والدويّة : الأرض الفضاء التى يُسمع فيها دوى أنخاف الإبل . والأعلاط : الإبل التى لا أرسانَ عليها . أنشد أبو زيد الأصمعى :

واعرّوزت العلط العرضى تركضه أم الفوارس بالديداء والرّبعة

والشّنان ، جمع سنّة : القرية البالية اليابسة ، قال الشاعر :

كأنك من جمال بنى أقيش يُقعقع خلف رجله يشن

وقوله : «فعمّجّم عيدانها» ، أى عَضّها ، والعمّجّم بفتح الجيم : حبّ ٨٦٧/٢

الزبيب ، قال الأعشى :

• وملفوظها كلقيط العجم •

وقوله : «أمّرها عوداً» ، أى أصلبها ، يقال : حبّل مُمرّاً ، إذا كان شديد الفشل . وقوله : «لأعصبنكم عصب السامة» ، فالعصب القطع ، والسامة شجرة من العضاة . وقوله : «لا أخلّق إلاّ فرّيت» ، فالخلّق : التقدير ، قال الله تعالى : ﴿ مَنْ مَضَّغَةَ مُخْلَقَةً وَغَيْرَ مُخْلَقَةٍ ﴾ (١) ، أى مقدّرة وغير مقدّرة . يعنى ما يتمّ وما يكون سيطاً ، قال الكميت يصف قرربة :

لم تجشّم الخالقات فرّيتها ولم يفيض من نطاقها السرب

(١) سورة الحج: ٥ ، وفى الأصول : « من نطفة » ، وهو خطأ .

وإنما وصف حواصل الطير ، يقول : ليست كهذه . وصخرة خلقتاء ،
أى مكسأة ، قال الشاعر :

وبهو هواء فوق مور كأنه من الصخرة الخلقاء زُخْلُوقٌ مَلْعَبٍ
ويقال: فَرَيْتُ الأديم إذا أصلحته ، وأفرَيْتُ ، بالألف إذا أنتَ
أفسدته . والسُمَّهَى : الباطل ، قال أبو عمرو والشَّيبَانِي : وأصله ما تُسميه
العامةُ مُخَاطَ الشَّيْطَانِ ، وهو لُعَابُ الشَّمْسِ عند الظَّهيرة ، قال أبو النجْم
العجلى :

وَذَابَ لِلشَّمْسِ لُعَابٌ فَنزَلَ وَقَامَ مِيزَانُ الزَّمَانِ فَاعْتَدَلَ
والزَّرَافَاتُ : الجماعات . تمّ التفسير .

قال أبو جعفر : قال عمر : فحدَّثني محمد بن يحيى ، عن عبد الله بن
أبي عبيدة ، قال : : فلما كان اليوم الثالث سمع تكبيراً في السوق ، فخرج
حتى جلس على المنبر ، فقال :

يا أهلَ العراق ، وأهلَ الشَّقَاقِ والنَّفَاقِ ، ومساويَ الأخلاقِ ، إني سمعتُ
تكبيراً ليس بالتكبير الذي يراد اللهُ به في التَّعْرِيبِ ، ولكنَّه التَّكْبِيرُ الَّذِي
يُرَادُ بِهِ التَّهْرِيبُ ، وقد عرفتُ أنَّها عَجَاجَةٌ تَحْتَهَا قَصْفٌ . يا بني اللُّكَيْعَةَ
وعبيد العصا ، وأبناء الأيَّامِ ، ألا يَرَبِّعُ رَجُلٌ مِنْكُمْ عَلَى ظَلْمِهِ .
ويُحْسِنُ حَقْنَ دَمِهِ ، ويَبْصُرُ مَوْضِعَ قَدَمِهِ ! فأقسم بالله لأوشكُ أن أوقعَ
بكم وقعةً تكون نكالا لما قَسَبَلَهَا ، وأدباً لما بَعَدَهَا .

قوله : «تحتها قصف» ، فهو شدة الريح . واللَّكَيْعَاءُ : الورَّاءُ ، وهي
الحُمَّقَاءُ مِنَ الإِمَاءِ . وَالظَّلْعُ : الضَّعْفُ وَالوَهْنُ مِنْ شِدَّةِ السَّيْرِ . وقوله :
«تهوى هوى ساقى الغطاط» ، فالغَطَّاطُ بضم الغين : ضربٌ مِنَ الطَّيْرِ .
قال الأصمعي : الغَطَّاطُ بفتح الغين : ضربٌ مِنَ الطَّيْرِ ، وأنشد لحسان
ابن ثابت (١) :

يُغْشَوْنَ حَتَّى مَا تَهَرُّ كَلَابُهُمْ لَا يَسْأَلُونَ عَنِ الْغَطَاطِ الْمُقْبِلِ (١)
 بفتح الغين. قال : والغطاط بضم الغين : اختلاط الضوء بالظلمة من آخر ٨٦٩/٢
 الليل ، قال الراجز :

قَامَ إِلَى أَدْمَاءَ فِي الْغَطَاطِ يَمْشِي بِمِثْلِ قَائِمِ الْفُسْطَاطِ
 تمّ التفسير .

قال : فقام إليه عُمَيْرُ بْنُ ضَبَائِجِ التَّمِيمِيِّ ثُمَّ الْحَنْظَلِيُّ فَقَالَ : أَصْلَحَ
 اللَّهُ الْأَمِيرَ ! أَنَا فِي هَذَا الْبَعْثِ ، وَأَنَا شَيْخٌ كَبِيرٌ عَلِيلٌ ، وَهَذَا ابْنِي ، وَهُوَ أَشْسَبُ
 مِنِّي ؛ قَالَ : وَمَنْ أَنْتَ ؟ قَالَ : عُمَيْرُ بْنُ ضَبَائِجِ التَّمِيمِيِّ ، قَالَ :
 أَسَمِعْتَ كَلَامَنَا بِالْأَمْسِ ؟ قَالَ : نَعَمْ ، قَالَ : أَلَسْتَ الَّذِي غَزَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ
 عُثْمَانَ ؟ قَالَ : بَلَى ؛ قَالَ : وَمَا حَمَلَكَ عَلَى ذَلِكَ ؟ قَالَ : كَانَ حَبَسَ
 أَبِي ، وَكَانَ شَيْخًا كَبِيرًا ، قَالَ : أَوْلَيْسَ يَقُولُ :

هَمَمْتُ وَلَمْ أَفْعَلْ وَكِدْتُ وَلَيْتَنِي تَرَكْتُ عَلَى عُثْمَانَ تَبْكِي حَالَتُهُ
 إِنِّي لِأَحْسَبُ فِي قَتْلِكَ صِلَاحَ الْمِصْرِيِّينَ ، قَمِ إِلَيْهِ يَا حَرَسِي فَاضْرِبْ
 عُنُقَهُ ؛ فَقَامَ إِلَيْهِ رَجُلٌ فَضْرَبَ عُنُقَهُ ، وَأَنْهَسَ (٢) مَالَهُ .

ويقال : إِنَّ عَنبَسَةَ بِنَ سَعِيدِ قَالَ لِلْحَجَّاجِ : أَتَعْرِفُ هَذَا ؟ قَالَ :
 لَا ، قَالَ : هَذَا أَحَدُ قَتَلَةِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عُثْمَانَ ؛ فَقَالَ الْحَجَّاجُ : يَا عَدُوَّ
 اللَّهِ ، أَفَلَا إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ بَعَثْتَ بَدِيلًا ! ثُمَّ أَمَرَ بِضَرْبِ عُنُقِهِ ، وَأَمَرَ مَنَادِيًا ٨٧٠/٢
 فَنَادَى : أَلَا إِنَّ عُمَيْرَ بْنَ ضَبَائِجِ أَتَى بَعْدَ ثَلَاثَةِ ؛ وَقَدْ كَانَ سَمِعَ الْوَدَاءَ ،
 فَأَمَرْنَا بِسُقْتَلِهِ . أَلَا فَإِنَّ ذِمَّةَ اللَّهِ بِرِيثَةٍ مِمَّنْ بَاتَ اللَّيْلَةَ مِنْ جُنْدِ الْمُهَلَّبِ .
 فَخَرَجَ النَّاسُ فَازْدَحَمُوا عَلَى الْجِسْرِ ، وَخَرَجَتِ الْعُرَفَاءُ إِلَى الْمُهَلَّبِ وَهُوَ
 بِرَأْسِهِ مُزْمَرٌ فَأَخَذُوا كِتَابَهُ بِالْمُؤَافَاةِ ، فَقَالَ الْمُهَلَّبُ : قَدِمَ الْعِرَاقَ الْيَوْمَ
 رَجُلٌ ذَكَرَ : الْيَوْمَ قُوتِلَ الْعَدُوُّ .

قال ابن أبي عبيدة في حديثه : فعبر الجسر تلك الليلة أربعة آلاف
 من مدحج ؛ فقال المهلب : قدم العراق رجل ذكر .

(١) الديوان : « السواد المقبل » . (٢) أنهب ماله : جملة نهباً لغيره .

قال عمر عن أبي الحسن ، قال : لمَّا قرأ عليهم كتابَ عبد الملك قال القارئ : أمَّا بعد ، سلامٌ عليكم فلاني أحمدُ إليكم الله . فقال له : اقطع ، يا عبید العضا ، أيسلمُ عليكم أميرُ المؤمنين فلا يردَّ رادٌ منكم السَّلام ! هذا أدبُ ابن نَهية^(١) ، أما والله لأؤدبَنَّكم غير هذا الأدب ، ابدأ بالكتاب ، فلمَّا بلغ إلى قوله : « أمَّا بعد ، سلامٌ عليكم » ، لم يبقَ منهم أحدٌ إلا قال : وعلى أمير المؤمنين السَّلام ورحمة الله .

قال عمر : حدَّثني عبدُ الملك بنُ شيبان بن عبد الملك بن مِسْمَع ، قال : حدَّثني عمرو بن سعيد ، قال : لمَّا قدم الحجَّاجُ الكوفةَ خطبهم فقال : إنَّكم قد أنخلتم بعسكر المهلب ، فلا يُصبحنَّ بعد ثلاثة من جنُوده أحدٌ ، فأمَّا كان بعد ثلاثة أتى رجلٌ يَسْتدني ، فقال : مَنْ بك ؟ قال : عمير بنُ ضابئ البرُّجمي ، أمرته بالخروج إلى مُعسكره فضرِبني - وكذَّب عليه . ٨٧١/٢ فأرسل الحجَّاجُ إلى عمير بن ضابئ ، فأتي به شيخاً كبيراً ، فقال^(٢) له : ما خلقتك عن مُعسكرك ؟ قال : أنا شيخٌ كبيرٌ لا حراك بي ، فأرسلتُ ابني بد يلا فهو أجلد مني جلدًا ، وأحدت مني سنًا ، فسلِّ عما أقول لك ، فإن كنتُ صادقًا وإلا فعاقبني . قال : فقال عَنبَسَة بنُ سعيد : هذا اللدِّي أتى عثمان قتيلًا ؛ فلطم وجهه ووثب عليه فكسر ضلعين من أضلعه ، فأمر به الحجَّاجُ فضرِبَتْ عنقه . قال عمرو بنُ سعيد : فوالله إني لأسير بين الكوفة والحيرة إذ سمعتُ رجَزًا مُضربًا ، فعدلتُ إليهم فقلت : ما الخبر ؟ فقالوا : قدَّم علينا رجلٌ من شرِّ أحياء العرَب من هذا الحيِّ من ثمود ، أسْتَقِف الساقين^(٣) ، مَسْمُوح الجاعرتين^(٤) ، أخفَش العيين^(٥) . فقدَّم سيِّد الحيِّ عمير بن ضابئ فضرِبَ عنقه .

(١) في زيادات الكامل ١ : ٣٨٢ : « زعم أبو العباس أن ابن نَهية رجل كان على الشرطة بالبصرة قبل الحجَّاج » .
 (٢) ب ، ف : « قال » .
 (٣) في اللسان : « السقف : أن تميل الرجل على وحشيتها » ووحشى الرجل : جانبها .
 (٤) الجاعرتان : حرفا الوركين المشرفان على الفخذين ، وفي اللسان : « وفي كتاب عبد الملك إلى الحجَّاج : قاتلك الله ، أسود الجاعرتين ! قيل : هما اللذان يتدنان الذنب .
 (٥) الخفش : ضعف في البصر مع ضيق في العين .

ولما قَتَلَ الحجاج عمير بنَ ضبابيَ لقي إبراهيمُ بنُ عامرٍ أحدَ بني غاضرةَ من بني أسدِ عبدِ الله بن الزبيرِ في السوقِ فسأله عن الخبرِ ، فقال ابنُ الزبيرِ :

أَقُولُ لِإِبْرَاهِيمَ لَمَّا لَقِيْتُهُ أَرَى الْأَمْرَ أَمْسَى مُنْصِبًا مَتَشَعِّبًا^(١)
تَجَهَّزْ وَأَسْرِعْ وَالْحَقُّ الْجَيْشُ لَا أَرَى سِوَى الْجَيْشِ إِلَّا فِي الْمَهَالِكِ مَذْهَبًا
تَخَيْرٌ فِيمَا أَنْ تَزُورَ ابْنَ ضَبَابِي عُمَيْرًا وَإِمَامًا أَنْ تَزُورَ الْمَهْلَبَا
هُمَا خَطَطْنَا كَرِهَ نَجَاؤُكَ مِنْهُمَا^(٢) رُكُوبُكَ حَوْلِيَا مِنْ الثَّلَجِ أَشْهَبَا^(٣) ٨٧٢/٢
فَحَالَ وَلَوْ كَانَتْ خُرَاسَانَ دُونَهُ رَأَاهَا مَكَانَ السُّوقِ أَوْ هِيَ أَقْرَبَا
فَكَائِنَ تَرَى مِنْ مُكْرِهِ الْعَدُوِّ مُسْمِنًا^(٤) تَحْمَمَ حِنُوَ السَّرْجِ حَتَّى تَحْنَبَا^(٥)

وكان قُدمُ الحجاج الكوفةَ - فيما قيل - في شهر رمضانَ من هذه السنة ، فوجهَ الحَكَمَ بنَ أيوبَ الشَّقَفِيِّ على البَصْرَةِ أميرًا ، وأمره أن يشتدَّ على خالد بن عبد الله ، فلما بلغ خالدًا الخبرُ خرج من البَصْرَةِ قبل أن يدخلها الحَكَمَ ، فنزل الجبلحاءَ وشيَّعه أهلُ البصرة ، فلم يَبْرَحْ مُصَلِّيًا حتى قَسَمَ فيهم ألف ألف .

* * *

وحجَّ بالناس في هذه السنة عبدُ الملك بنُ مَرْوَانَ ، حدثني بذلك أحمدُ ٨٧٣/٢ ابنُ ثابتِ عَمَّنْ حدثته ، عن إسحاقَ بنِ عيسى ، عن أبي معشر . ووفدَ يحيى بن الحَكَمَ في هذه السنة على عبد الملك بن مروان ، واستخلف على عمله بالمدينة أبان بنَ عثمان ، وأمر عبدُ الملك يحيى بنَ الحَكَمَ أن يقرَّ على عمله على ما كان عليه بالمدينة . وعلى الكوفة والبصرة الحجاج بن يوسف . وعلى خُرَاسَانَ

(١) الكامل ١ : ٣٨٣ مع اختلاف في الرواية .

(٢) الكامل : « هما خططنا خسف » .

(٣) الحولي : المهر أتى عليه الحول . وقوله : « من الثلج أشهبًا » ، يريد أن لونه أشدَّ شهبًا من

الثلج . (٤) ١ : « وكائِن » . (٥) ١ : « يحمم » .

أمية بن عبد الله . وعلى قضاء الكوفة شريح ، وعلى قضاء البصرة زرارة ابن أوفى .

* * *

وفي هذه السنة خرج الحجاج من الكوفة إلى البصرة ، واستخلف على الكوفة أبا يعقور عروة بن المغيرة بن شعبة ، فلم يزل عليها حتى رجع إليها بعد وقعة رستقباد .

* * *

[ذكر الخبر عن ثورة الناس بالحجاج بالبصرة]

وفي هذه السنة ثار الناس بالحجاج بالبصرة .

* ذكر الخبر عن سبب وثوبهم به :

ذكر هشام ، عن أبي مخنف ، عن أبي زهير العباسي ، قال : خرج الحجاج بن يوسف من الكوفة بعد ما قدمها ، وقتل ابن ضائب من فوره ذلك حتى قدم البصرة ، فقام فيها بخطبة مثل التي قام بها في أهل الكوفة ، وتوعدهم مثل وعيده لإياهم ، فأتى برجل من بني يشكر فقبل : هذا عاصي . فقال : إن بني فتقاً ، وقد رآه يبشر فعدرتي ، وهذا عطائي مرءود في بيت المال ، فلم يقبل منه وقتله ، ففرغ لذلك أهل البصرة ، فخرجوا حتى تداكروا^(١) على العارض بقنطرة رامهرمز ، فقال المهلب : جاء الناس رجل ذكّر .

وخرج الحجاج حتى نزل رستقباد في أول شعبان سنة خمس وسبعين فثار الناس بالحجاج ، عليهم عبد الله بن الجارود ، فقتل عبد الله بن الجارود ، وبعث بمائة عشر رأساً^(٢) فنصبت برامهرمز للناس ، فاشتدت ظهور المسلمين ، وساء ذلك الخوارج ، وقد كانوا رجوا أن يكون من الناس فرقة واختلاف ، فانصرف الحجاج إلى البصرة .

وكان سبب أمر عبد الله بن الجارود أن الحجاج لما ندب الناس إلى

(١) س : « تداكروا » ، والمداكاة : التزاحم على المكان ، وفي ١ : « تداكروا » ، وفي ط « تداكوا » تصحيف .

(٢) ب ، ف : « وبعث الحجاج مائة » .

الصحاح بالمهلب بالبصرة فشكلوا سار^(١) الحجاج حتى نزل رستقباد قريباً من دَسْتَوَى في آخر شعبان معه وجوه أهل البصرة ، وكان بينه وبين المهلب ثمانية عشر فترسسخاً ، فقام في الناس . فقال : إنَّ الزيادة التي زادكم ابنُ الزبير في أعطياتكم زيادة فاسق منافق ، ولستُ أُجيزُها . فقام إليه عبدُ الله بن الجارود العبدي فقال : إنها ليست بزيادة فاسق منافق ، ولكنها زيادة أمير المؤمنين عبد الملك قد أثبتتها لنا . فكذب به وتوعده ، فخرج ابنُ الجارود على الحجاج وتابعه وجوهُ الناس . فاقتتلوا قتالاً شديداً ، فقتل ابن الجارود وجماعة من أصحابه ، وبعث برأسه وروعس عشرة من أصحابه إلى المهلب ، وانصرفَ إلى البصرة ، وكتبَ إلى المهلب وإلى عبد الرحمن ٨٧٥/٢ ابن مخنف : أما بعد ، إذا أتاكم كتابي هذا فناهضوا الخوارج ؛ والسلام .

* * *

[نفي المهلب وابن مخنف الأزارقة عن رامهرمز]

وفي هذه السنة نفي المهلب وابنُ مخنف الأزارقة عن رامهرمز .

* ذكر الخبر عن ذلك وما كان من أمرهم في هذه السنة :

ذكر هشام عن أبي مخنف ، عن أبي زهير العبسي ، قال : ناهض المهلب وابنُ مخنف الأزارقة برامهرمز بكتاب الحجاج إليهما لعشر بقين من شعبان يوم الاثنين سنة خمس وسبعين ، فأجلوهم عن رامهرمز من غير قتال شديد ، ولكنهم زحفوا إليهم حتى أزالوهم ، وخرج القوم كأنهم على حامية ، حتى نزلوا سابور بأرض منها يقال لها كازرون ، وسار المهلب وعبدُ الرحمن بنُ مخنف حتى نزلوا بهم في أول رمضان ، فخذق المهلب عليه ، فذكر أهلُ البصرة أنَّ المهلب قال لعبد الرحمن بن مخنف : إنَّ رأيتَ أن تُخذق عليك فافعلْ ؛ وإنَّ أصحاب عبد الرحمن أبوا عليه وقالوا : إنما خذقنا سيوفنا . وإن الخوارج زحفوا إلى المهلب ليلاً ليبيئوه ، فوجدوه قد أخذ حذره ، فقالوا نحو عبد الرحمن بن مخنف فوجدوه لم يخذق ،

(١) ب ، ف : « شكلوا فسار » .

فقاتلوه ، فانهزم عنه أصحابه ، فنزل فقاتل في أناس من أصحابه فقتل ، وقتلوا حوله^(١) ، فقال شاعرهم :

لمن العسكرُ المكدلُ بالصَّرِّ عى فهمٍ بين ميثٍ وقتيلٍ
فترأهم تَسْفِي الرياحُ عليهم حاصِبَ الرَّمْلِ بَعْدَ جَرِّ الدُّيُولِ

وأما أهل الكوفة فإنهم ذكروا أن كتاب الحجاج بن يوسف أتى المهلب وعبد الرحمن بن مخنف ؛ أن ناهضاً الخوارج حين يأتيكما كتابي . فناهضاهم يوم الأربعاء لعشر بقين من رمضان سنة خمس وسبعين واقتتلوا قتالاً شديداً لم يكن بينهم فيما مضى قتالٌ كان أشد منه ، وذلك بعد الظهر ، فالت الخوارجُ بجدتها على المهلب بن أبي صفرة فاضطروه إلى عسكره ، فسرَّح إلى عبد الرحمن رجلاً من صلحاء الناس ، فأتوه ، فقالوا : إن المهلب يقول لك : إنما عدونا واحد ، وقد ترى ما قد لقي المسلمون ، فأمد إخوانك يرحمك الله . فأخذ يمدّه بالخيل بعد الخيل ، والرجال بعد الرجال ، فلما كان بعد العصر ورأت الخوارجُ ما يجيء من عسكر عبد الرحمن من الخيل والرجال إلى عسكر المهلب ظنوا أنه قد خسف أصحابه ، فجمعوا خمس كتائب أو ستاً تجاه عسكر المهلب ، وانصرفوا بجدتهم وجمعهم إلى عبد الرحمن بن مخنف : فلما رأهم قد صمدوا له نزل ونزل معه القراء ، عليهم أبو الأحوص صاحبُ عبد الله بن مسعود ، وخزيمه بن نصر أبو نصر ابن خزيمة العبسي الذي قُتل مع زيد بن عليّ وصلب معه بالكوفة ، ونزل معه من خاصة قومه أحدٌ وسبعون رجلاً ، وحملت عليهم الخوارجُ فقاتلتهم قتالاً شديداً . ثم إن الناس انكشفوا عنه . فبقي في عصابة من أهل الصبر ثبتوا معه ، وكان ابنه جعفر بن عبد الرحمن فيمن بعثه إلى المهلب ، فنادى في الناس ليتبعوه إلى أبيه ، فلم يتبعه إلا ناس^(٢) قليل ، فجاء حتى إذا دنا من أبيه حالت الخوارجُ بينه وبين أبيه . فقاتل حتى ارتثته الخوارج ، وقاتل عبد الرحمن بن مخنف ومن معه على تلٍّ مشرف حتى ذهب نحو من ثلثي الليل ، ثم قُتل في تلك العصابة ، فلما أصبحوا جاء المهلب حتى

(١) بعدها في ب ، ف : « كلهم » . (٢) ب ، ف : « أناس » .

أثاه ، فدقته وصلّى عليه ، وكتب بمُصابه إلى الحجّاج ، فكتب بذلك الحجّاج إلى عبد الملك بن مروان ، فنعى عبد الرحمن بيمينى ، وذمّ أهل الكوفة ، وبعث الحجّاج على عسكر عبد الرحمن بن مخنف عتّاب بن ورقاء ، وأمره إذا ضمتهما الحرب أن يسمّع للمهلب ويطيح ، فسأه ذلك ، فلم يجد بُدّاً من طاعة الحجّاج ولم يتقدّر على مراجعته ، فجاء حتى أقام في ذلك العسكر ، وقاتل الخوارج وأمره إلى المهلب ، وهو في ذلك يتقضى أمره ، ولا يكاد يستشير المهلب في شيء . فلما رأى ذلك المهلب اصطنع رجالا من أهل الكوفة فيهم بسطام بن مصلّة بن هُبيرة ، فأغراهم بعَتّاب .

قال أبو مخنف عن يوسف بن يزيد : إن عتّابا أتى المهلب بسأله أن يرزق أصحابه ، فأجلسه المهلب معه على مجلسه ، قال : فسأله أن يرزق أصحابه سؤالا فيه غلظة وتجهّم ، قال : فقال له المهلب : وإنك لها هنا ٨٧٨/٢ بابن اللّخناء! فبنو تميم يزعمون أنه ردّ عليه ، وأمّا يوسف بن يزيد وغيره فيزعمون أنه قال : والله إنَّها لمعمّةٌ مَخُولَةٌ ، ولو ددت أن الله فرّق بينى وبينك . قال : فجرى بينهما الكلام حتى ذهب المهلب ليرفع القضيب عليه ، فوثب عليه ابنه المغيرة ، فقبض على القضيب وقال : أصحح الله الأمير! شيخ من أشياخ العرب ، وشريف من أشرافهم ، إن سمعت منه بعض ما تكبره فاحتمله له ، فإنّه لذلك منك أهل ، ففعل . وقام عتّاب فرجع من عنده ، واستقبله بسطام بن مصلّة يشتمه ، ويتع فيه .

فلما رأى ذلك كتّاب إلى الحجّاج يشكو إليه المهلب ويُخبّره أنّه قد أغرى به سفهاء أهل المصر ، ويسأله أن يضمّه إليه ، فوافق (١) ذلك من الحجّاج حاجةً إليه فيما لقي أشراف الكوفة من شبيب ، فبعث إليه أن اقدم وارك أمر ذلك الجيش إلى المهلب ، فبعث المهلب عليه حبيب بن المهلب . وقال حميد بن مسلم يرثى عبد الرحمن بن مخنف :

إن يقتلوك أبا حكيم غدوةً فلقد تشدّ وتقتل الأبطالا

أَوْ يُنْكَرُونَ سَيْلًا لِمُسَوِّدٍ
فَلَمِثْلَ قَتْلِكَ هَذَا قَوْمَكَ كُلَّهُمْ
مَنْ كَانَ يَكْشِفُ غُرْمَهُمْ وَقَتَالَهُمْ
أَقْسَمْتُ مَا نِيلَتْ مَقَاتِلُ نَفْسِهِ
٨٧٩/٢ وَتَنَاجَزَ الْأَبْطَالُ تَحْتَ لَوَائِهِ
يَوْمًا طَوِيلًا ثُمَّ آخَرَ لَيْلِيَهُمْ
وَتَكَشَّفَتْ عَنْهُ الصُّفُوفُ وَخَيْلُهُ
وَقَالَ سُرَّاقَةُ بْنُ مُرْدَاسِ الْبَارِقِيِّ :

وَكُونَا كَوَاهِي شَنَّةٍ مَعَ رَاكِبٍ^(١)
فَنُوحًا لَعِيشٍ بَعْدَ ذَلِكَ خَائِبٍ
عَوَاتِقُ مَوْتٍ أَوْ قِرَاعُ الْكُتَائِبِ
وَكُلُّ أَمْرِي يَوْمًا لِبَعْضِ الْمَذَاهِبِ
وَعَجَلٌ فِي الشُّبَّانِ شَيْبِ الذَّوَائِبِ
وَوَخْرٌ عَلَى خَدِّ كَرِيمٍ وَحَاجِبِ
مِنَ الْأَزْدِ تَمْشِي بِالسُّيُوفِ الْقَوَاضِبِ
إِلَى أَهْلِهِ إِنْ كَانَ لَيْسَ بِأَيْبِ
وَفُرْسَانَ قَوْمِي قُصْرَةَ وَأَقَارِبِي^(٢)
٨٨٠/٢ فَيَاعِينُ بَكِّي مِخْنَفًا وَأَبْنَ مِخْنَفٍ
وَضَارِبَ عَنْهُ الْمَارِقِينَ عَصَابَةً
فَلَا وَلَدَتْ أَنْثَى وَلَا آبَ غَائِبٍ

وَقَالَ سُرَّاقَةُ أَيضًا يَرْتِي عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنِ مِخْنَفٍ :

ثَوَى سَيْدُ الْأَزْدِينَ أَزْدَ شَنْوَةَ
وَضَارِبَ حَتَّى مَاتَ أَكْرَمَ مَيْتَةٍ
وَصُرِّعَ حَوْلَ التَّلِّ تَحْتَ لَوَائِهِ
وَأَزْدَ عُمَانَ رَهْنَ رَمْسٍ بِكَازِرِ^(٣)
بِأَبْيَضٍ صَافٍ كَالْعَمِيقَةِ بَاتِرٍ
كِرَامُ الْمَسَاعِي مِنْ كِرَامِ الْمَعَاثِرِ

(١) ديوانه ٨٥ ، ٨٦ (٢) قصرة ، أي اللواتي في النسب (٣) ديوانه ٤٣

قَضَى نَحْبَهُ يَوْمَ اللَّقَاءِ ابْنَ مِخْنَفٍ وَأَدْبَرَ عَنْهُ كُلُّ أَلْوَثٍ دَائِرٍ
 أَمَدٌ فَلَمْ يُمَدِّدْ فِرَاحَ مُشَمَّرًا إِلَى اللَّهِ لَمْ يَذْهَبْ بِأَثْوَابِ غَادِرٍ
 وَأَقَامَ الْمَهْلَبَ بِسَابُورٍ يِقَاتِلُهُمْ نَحْوًا مِنْ سَنَةِ .

وفى هذه السنة تحرك صالح بن مسرّح أحد بني امرئ القيس ،
 وكان يرى رأى الصُّفْرِيَّةِ . وقيل : إنّه أول من خرج من الصُّفْرِيَّةِ .

ذكر الخبر عن تحرك صالح للخروج

وما كان منه في هذه السنة

ذكر أن صالح بن مسرّح أحد بني امرئ القيس حجّ سنة خمس وسبعين
 ومعه شبيب بن يزيد وسويد والبطين وأشباههم .
 ٨٨١/٢

وحجّ في هذه السنة عبد الملك بن مروان ، فهم شبيب بالفتك به ،
 وبلغه ذرّة من خبرهم ، فكتب إلى الحجّاج بعد انصرافه بأمره بطلبهم ،
 وكان صالح يأتي الكوفة فيقيم بها الشهر ونحوه فيلقى أصحابه ليعدهم ،
 فنبت بصالح الكوفة لَمَّا طلبه الحجّاج ، فتكّبت بها .

ثم دخلت سنة ست وسبعين

ذكر الكائن من الأحداث فيها

فن ذلك خروج صالح بن مسرح .

ذكر الخبر عن خروج صالح بن مسرح

وعن سبب خروجه

وكان سببُ خروجه - فيما ذكره هشام، عن أبي مخنف، عن عبد الله ابن علقمة، عن قبيصة بن عبد الرحمن الخثعمي - أن صالح بن مسرح التميمي كان رجلاً ناسكاً مُخْبِتاً مصفراً الوجه، صاحب عبادة، وأنه كان بداراً وأرض الموصل والجزيرة له أصحاب يُقرئهم القرآن ويفقههم ويقص عليهم، فكان قبيصة بن عبد الرحمن حدث أصحابنا^(١) أن قصص صالح بن مسرح عنده، وكان ممن يرى رأيهم، فسألوه أن يبعث بالكتاب إليهم، ففعل . ٨٨٢/١

وكان قصصه : ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴾^(٢) . اللهم إنا لا نعدل بك، ولا نحفد إلا إليك، ولا نعبد إلا إياك، لك الخلق والأمر، ومنك النفع والضرب، وإليك الصبر . ونشهد أن محمداً عبدك الذي اصطفيته، ورسولك الذي اخترته وارتضيته لتبليغ رسالاتك، ونصيحة عبادك، ونشهد أنه قد بلغ الرسالة، ونصح الأمة، ودعا إلى الحق، وقام بالقسط، ونصر الدين، وجاهد المشركين، حتى توفاه الله صلى الله عليه وسلم . أوصيكم بتقوى الله والزهد في الدنيا، والرغبة في الآخرة، وكثرة ذكر الموت، وفراق الفاسقين، وحب المؤمنين^(٣)، فإن الزهادة في الدنيا تُرغِب العبد فيما

(١) ب، ف : « يحدث أصحابه » . (٢) سورة الأنعام: ١٠١ .

(٣) ب، ف : « وحب المؤمنين وفراق الفاسقين » .

عند الله ، وتُفَرِّغُ بَدَنَهُ لَطَاعَةِ اللَّهِ ، وَإِنْ كَثُرَتْ ذِكْرُ الْمَوْتِ يُخَيِّفُ الْعَبْدَ مِنْ رَبِّهِ حَتَّى يَسْجَرَ إِلَيْهِ ، وَيَسْتَكِينُ لَهُ ، وَإِنْ فَرَّقَ الْفَاسِقِينَ حَقًّا عَلَى الْمُؤْمِنِينَ ، قَالَ اللَّهُ فِي كِتَابِهِ : ﴿ وَلَا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَمَاتُوا وَهُمْ فَاسِقُونَ ﴾ (١) .

وَإِنْ حُصِبَ الْمُؤْمِنِينَ لِلْسَّبَبِ (٢) الَّذِي تُنَالُ بِهِ كَرَامَةُ اللَّهِ وَرَحْمَتُهُ وَجَنَّتُهُ ، جَعَلْنَا اللَّهُ وَإِيَّاكُمْ مِنَ الصَّادِقِينَ الصَّابِرِينَ . أَلَا إِنَّ مِينَ نِعْمَةً (٣) اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَنْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ ، فَعَلَّمَهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَزَكَّاهُمْ وَطَهَّرَهُمْ ٨٨٣/٢ وَوَفَّقَهُمْ فِي دِينِهِمْ ، وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رِعَوفًا رَحِيمًا ، حَتَّى قَبِضَهُ اللَّهُ ، صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ ، ثُمَّ وُلِيَ الْأَمْرَ مِنْ بَعْدِهِ التَّقِيُّ الصَّدِيقُ عَلَى الرَّضَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ ، فَاقْتَدَى بِبَهْدِيهِ ، وَاسْتَنَّ بِسُنَّتِهِ ، حَتَّى لَحِقَ بِاللَّهِ - رَحِمَهُ اللَّهُ - وَاسْتَخْلَفَ عَمْرًا ، فَوَلَّاهُ اللَّهُ أَمْرَ هَذِهِ الرَّعِيَّةِ ، فَعَمِلَ بِكِتَابِ اللَّهِ ، وَأَحْيَا سُنَّةَ رَسُولِ اللَّهِ ، وَلَمْ يُحَقِّقْ فِي الْحَقِّ عَلَى بَجْرَتِهِ (٤) ، وَلَمْ يَخَفْ فِي اللَّهِ لَوْمَةَ الْأُمَّمِ ، حَتَّى لَسَحِقَ بِهِ رَحْمَةُ اللَّهِ عَلَيْهِ ، وَوُلِيَ الْمُسْلِمِينَ مِنْ بَعْدِهِ عُمَانُ ، فَاسْتَأْثَرَ بِالْفَتَى ، وَعَطَّلَ الْحُدُودَ ، وَجَارَ فِي الْحُكْمِ ، وَاسْتَدَلَّ الْمُؤْمِنَ ، وَعَزَّزَ الْحَجْرِمَ ، فَسَارَ إِلَيْهِ الْمُسْلِمُونَ فَقَتَلُوهُ ، فَبَرَى اللَّهُ مِنْهُ وَرَسُولُهُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ (٥) ، وَوَلِيَ أَمْرَ النَّاسِ مِنْ بَعْدِهِ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ ، فَلَمْ يَنْشَبْ أَنْ حَكَّمَ فِي أَمْرِ اللَّهِ الرَّجَالَ ، وَشَكَّ فِي أَهْلِ الضَّلَالِ ، وَرَكَنَ وَأَدْهَنَ ، فَحَنَّنَ مِنْ عَلِيٍّ وَأَشْيَاعِهِ بُرَاءً ، فَتَيَسَّرَ رَحْمَتُ اللَّهِ لِهَذَا الْأَحْزَابِ الْمُتَحَزِّبَةِ ، وَأُمَّةِ الضَّلَالِ الظَّالِمَةِ وَلِلخُرُوجِ مِنْ دَارِ الْفَنَاءِ إِلَى دَارِ الْبَقَاءِ ، وَاللَّحَاقِ بِإِخْوَانِنَا الْمُؤْمِنِينَ الْمُؤَقِنِينَ الَّذِينَ بَاعُوا الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ ، وَأَنْفَقُوا أَمْوَالَهُمْ التَّامَّاتِ رِضْوَانِ اللَّهِ فِي الْعَاقِبَةِ ، وَلَا تَجْزَعُوا مِنَ الْقَتْلِ فِي اللَّهِ ، فَإِنَّ الْقَتْلَ أَيْسَرُ مِنَ الْمَوْتِ ، وَالْمَوْتُ نَازِلٌ بِكُمْ غَيْرَ مَا تَرْجِسُ الظُّنُونُ ، فَمَفْرَقَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ آبَائِكُمْ وَأَبْنَائِكُمْ ، وَحَلَّائِلِكُمْ ٨٨٤/٢ وَدُنْيَاكُمْ ، وَإِنْ اشْتَدَّ لِلذَّكَاءِ كُرْهُكُمْ وَجَزَعُكُمْ . أَلَا فَبِيعُوا اللَّهَ أَنْفُسَكُمْ

(١) سورة التوبة: ٨٤ . (٢) ب ، ف : « السبب » .

(٣) ب ، ف : « نعم » . (٤) س : « جريته » ، ب ، ف : « حزبه » .

(٥) ف : « وصالحوا المؤمنين » .

طائعين وأموالكم تدخلوا الجنة آمنين ، وتعانقوا الحُور العِين ، جعلنا الله وإيّاكم من الشاكرين الذاكرين ، الذين يسهّدون بالحقّ وبه يعدّون .

قال أبو ميخنف : فحدثني عبدُ الله بنُ عسّمة ، قال : بينا أصحابُ صالح يختلفون إليه إذْ قال لهم ذاتَ يوم : ما أدري ما تنتظرون ! حتى متى أنتم مقيمون ! هذا الجور قد فشا ، وهذا العدل قد عفا ، ولا تزداد هذه الولاةُ على الناس إلاّ غلواً وعُتوا ، وتباعداً عن الحقّ ، وجرأةً على الرّبِّ ؛ فاستعدوا وابتعوا إلى إخوانكم الذين يريدون من إنكار الباطل والدعاء إلى الحقّ مثلَ الذي تريدون ، فيأتوكم فنلتق وننظر فيما نحن صانعون ، وفي أيّ وقت إن خرجنا نحن خارجون .

قال : فتراسل أصحابُ صالح ، وتلاقوا في ذلك ، فبيّسناهم في ذلك إذْ قدّم عليهم المحلّل بن وائل اليشكرى بكتاب من شبيب إلى صالح بن مسرح :

أما بعد ، فقد علمتُ أنّك كنت أردتَ الشخوص^(١) ، وقد كنت دعوتني إلى ذلك فاستجبتُ لك ، فإن كان ذلك اليوم من شأنك فأنت شيخُ المسلمين ، ولن نعدل بك منّا أحداً ، وإن أردت تأخير ذلك اليوم أعلمتني ؛ فإنّ الآجال غادية ورائحة ، ولا آمن أن تخترمتني المنيةُ ولما أجاهد الظالمين . ٨٨٥/٢
فيالته غيبتاً ، وبالله فضلاً متروكاً ! جعّسنا الله وإيّاك ممن يريد بعَمَلِهِ الله^(٢) ورضوانته ، والنظر إلى وجهه ، ومرافقة الصالحين في دار السلام . والسلام عليك .

قال : فلما قدّم على صالح المحلّل بن وائل بذلك الكتاب من شبيب كتب إليه صالح :

أما بعد ، فقد كان كتابك ونهرك أبطأ عني حتى أهمني ذلك ، ثمّ إنّ امرأً من المسلمين نبأني بنبيّ مُخرجك ومقدّمك ، فنسحمتُ الله على قضاء ربّنا . وقد قدّم على رسولك بكتابك ، فكلّ ما فيه قد فهمتُه ، ونحن

(١) ب ، ف : « الخروج والشخوص » .

(٢) أ : « بفعلاته » ، وبعدها في ب ، ف : « والدار الآخرة » .

في جهاز واستعداد للخروج ، ولم يمنعني من الخروج إلا انتظارك ، فأقبل إلينا ، ثم أخرج بنا متى ما أحببت ، فإنك ممن لا يستغنى عن رأيه ، ولا تفضي دونه الأمور . والسلام عليك .

فلما قدم على شبيب كتابه بعث إلى نفر من أصحابه فجمعهم إليه ؛ منهم أخوه مصاد بن يزيد بن نعيم ، والحل بن وائل اليشكري ، والصقر ابن حاتم من بني تميم بن شيبان ، وإبراهيم بن حجر أبو الصقير من بني مُحَكَّم ، والفضل بن عامر من بني ذهل بن شيبان ، ثم خرج حتى قدم على صالح بن مسرح بداراً ، فلما لقّيه قال : أخرج بنا رحمك الله ! فوالله ما تزداد السنة إلا دروساً ، ولا يزداد المجرمون إلا طغياناً . فبث صالح رسله في أصحابه ، وواعدهم الخروج في هلال صفر ليلة الأربعاء سنة ست وسبعين . فاجتمع بعضهم إلى بعض ، وتهيئوا ، وتيسروا للخروج في تلك الليلة ، واجتمعوا جميعاً عنده في تلك الليلة لِمِيعاده .

٨٨٦/٢

قال أبو مخنف : فحدثني فرّوة بن لقيط الأزدي ، قال : والله إنى لسمع شبيب بالمدائن إذ حدثنا عن مخرجهم ، قال : لما همنا بالخروج اجتمعنا إلى صالح بن مسرح ليلة خرج ، فكان رأى استعراض الناس لِمَا رأيت من المنكر والعدوان والفساد في الأرض ، فقلتُ إليه فقلت : يا أمير المؤمنين ، كيف تترى في السيرة في هؤلاء الظلمة؟ أنقتلهم قبل الدّعاء ، أم ندعوهم قبل القتال ؟ وسأخبرك برأى فيهم قبل أن تُخبرني فيهم برأيك ؛ أمّا أنا فأرى أن نقتل كل من لا يرى رأينا قريباً كان أو بعيداً ، فإننا نخرج على قوم غاوين طاغين باغين قد تركوا أمر الله ، واستحوذ عليهم الشيطان . فقال : لا بل ندعوهم ، فلعمري لا يُجيبك إلا من يرى رأيتك وليقاتلتك من يزري عليك ، والدعاء أقطع لحجتهم ، وأبلغ في الحجّة عليهم . قال : فقلت له : فكيف ترى فيمن قاتلنا وغنمنا فلنا ، وإن تجاوزنا وعفونا فوسّع علينا ولنا . قال : فأحسن القول وأصاب ، رحمة الله عليه وعلينا .

قال أبو مخنف : فحدثني رجل من بني محلم أن صالح بن مسرح

قال لأصحابه ليلة خرج : اتقوا الله عباد الله ، ولا تعجلوا إلى قتال أحد من الناس إلا أن يكونوا قوماً يريدونكم ، وينصبون لكم ، فإنكم إنمّا خرجتم غضباً لله حيث انتهكت محارمه ، وعصيت في الأرض ، فسفكت الدماء بغير حلّها ، وأخذت الأموال بغير حقّها ، فلا تعيبوا على قوم أعمالاً ثمّ تعملوا بها ، فإن كلّ ما أنتم عاملون أنتم عنه مسئولون ، وإنّ عظمكم رجالة ، وهذه دوابّ لحمد بن مروان في هذا الرّستاق ، فابدءوا بها ، فشدوا عليها ، فاحملوا أراجيلكم^(١) ، وتقوا بها على عدوكم .

فخرجوا فأخذوا تلك الليلة الدوابّ فحمّلوا رجالتهم عليها ، وصارت رجالتها فرساناً ، وأقاموا بأرض دارا ثلاث عشرة ليلة ، وتحصن منهم أهل دارا وأهل نصيبين وأهل سنّجار ، وخرج صالح ليلة خرج في مائة وعشرين - وقيل في مائة وعشرة - قال : وبلغ مخرجهم محمد بن مروان وهو يومئذ أمير الجزيرة ، فاستخفّ بأمرهم ، وبعث إليهم عدى بن عدى بن عميرة من بني الحارث بن معاوية بن ثور في خمسمائة ، فقال له : أصلح الله الأمير! أتبعني إلى رأس الخوارج منذ عشرين سنة! قد خرج معه رجال من ربيعة قد سمّوا لي ، كانوا يعاؤوننا ، الرجل منهم خير من مائة فارس في خمسمائة رجل . قال له : فإني أزيدك خمسمائة أخرى ، فسر إليهم في ألف ، فسار من حرّان في ألف رجل ، فكان أوّل جيش سار إلى صالح وسار إليه عدى ، وكأنّما يساق إلى الموت ، وكان عدى رجلاً يتنسك ، فأقبل حتى إذا نزل دوغان نزل بالنّاس وسرح إلى صالح بن مسرح رجلاً دسّه إليه من بني خالد من بني الورثة ؛ يقال له : زياد بن عبد الله ، فقال : إنّ عدياً بعثني إليك يسألك أن تخرج من هذا البلد وتأتي بلداً آخر فتقاتل أهلته ؛ فإنّ عدياً للقاتل كاره ، فقال له صالح : ارجع إليه ، فقل له : إن كنت ترى رأينا^(٢) فأرنا من ذلك ما نعرف^(٣) ، ثمّ نحن مدبلجون عنك من هذا البلد إلى غيره ، وإن كنت على رأى الجباة وأئمة السوء^(٤) رأينا رأينا ، فإن شئنا

(١) ط : « أراجلكم » ، وانظر ابن الأثير . (٢) بعدها في ب ، ف : « فانت آمن » .

(٣) ب ، ف : « ما نعرفه » . (٤) ب ، ف : « العدوان » .

بدأنا بك ، وإن شئنا رحلنا إلى غيرك . فانصرف إليه الرسول فأبلىته ما أرسل به ، فقال له : ارجع إليه فقل له : إني والله ما أنا على رأيك ، ولكنني أكره قتالك وقاتل غيرك ، فقاتل غيري : فقال صالح لأصحابه : اركبوا ، فركبوا وحبس الرجل عنده حتى خرجوا ، ثم تركه ومضى بأصحابه حتى أتى عدى بن عدى بن عميرة في سوق دوغان وهو قائم يصلي الضحى ، فلم يشعروا إلا والليل طالعة عليهم ، فلما بصروا بها نادوا ، وجعل صالح شبيهاً في كتيبة في ميمنة أصحابه ، وبعث سويد بن سليم الهندي من بني شيبان في كتيبة في ميسرة أصحابه ، ووقف هو في كتيبة في القلئب ، فلما دنا منهم رأهم على غير تعبئة ، وبعضهم يجول في بعض ، فأمر شبيهاً فحمل عليهم ، ثم حمل سويد عليهم فكانت هزيمتهم ولم يُقاتلوا ، وأتى عدى بن عدى بدابته وهو يصلي فركبها ومضى على وجهه ، وجاء صالح ابن مسرح حتى نزل عسكره وحوى ما فيه ، وذهب فل عدى وأوائل أصحابه حتى دخلوا على محمد بن مروان ، فغضب ، ثم دعا خالد بن جزيء السلمي فبعثه في ألف وخمسمائة ، ودعا الحارث بن جعمونة من بني ربيعة بن عامر بن صعصعة فبعثه في ألف وخمسمائة ، ودعاهما ، فقال : أخرجنا إلى هذه الخارجة القليلة الخبيثة ، وعجلاً الخروج ، وأخذ السير ، فأيتكما سبق فهو الأمير على صاحبه ؛ فخرجنا من عنده فأخذ السير ، وجعل يسألان عن صالح بن مسرح فيقال لهما : إنه توجه نحو آمد ، فأتبعاه حتى انتهيا إليه ، وقد نزل على أهل آمد فنزلا ليلاً ، فآخذاهما وانتهيا إليه وهما متساندان كل واحد منهما في أصحابه على حديثه ، فوجه صالح شبيهاً إلى الحارث بن جعمونة العامري في شطر أصحابه ، وتوجه هو نحو خالد بن جزيء السلمي .

قال أبو مخنف : فحدثني المحدثي ، قال : انتهوا إلينا في أول وقت العصر ، فصلى بنا صالح العصر ، ثم عبانا لهم فاقتلنا كأشد قتال اقتله قوم قط ، وجعلنا والله نرى الظفر يحمل الرجل منا على العشرة منهم فيهنزهم ، وعلى العشرين فكذلك ، وجعلت نخيلهم لا تثبت لحيلنا .

فلما رأى أميراهم ذلك ترجلاً وأمرأ بجُلٍّ من معهما فترجل ، فعند ذلك جعلنا لا نقدر منهم على الذي نريد ، إذا حَمَلْنَا عليهم استقبلتُنَا رَجَالَتَهُم بِالرَّمَا ح ، ونَضَحْنَا رِمَاتُهُم بِالنَّبِيل ، وخیلُهُم تُطَارِدُنَا فِي خِلَالِ ذَلِكَ ، فَقَاتَلْنَا هُمْ إِلَى الْمَسَاءِ (١) حَتَّى حَالَ اللَّيْلُ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ ، وَقَدْ أَفْشَوْا فِينَا الْجِرَاحَةَ ، وَأَفْشَيْنَاهَا فِيهِمْ ، وَقَدْ قَسَلُوا مِنَّا نَحْوًا مِنْ ثَلَاثِينَ رَجُلًا ، وَقَتَلْنَا مِنْهُمْ أَكْثَرَ مِنْ سَبْعِينَ ، وَوَاللَّهِ مَا أَمْسِينَا حَتَّى كَرِهْنَاهُمْ وَكَرِهُونَا ، فَوَقَفْنَا مُقَابِلَهُمْ مَا يَتَقَدَّمُونَ عَلَيْنَا وَمَا تَقَدَّمُ عَلَيْهِمْ ، فَلَمَّا أَمْسَوْا رَجَعُوا إِلَى عَسْكَرِهِمْ ، وَرَجَعْنَا إِلَى عَسْكَرِنَا فَصَلَّتِنَا وَتَرَوَحَّنَا وَأَكَلْنَا مِنَ الْكَيْسَرِ .

ثم إن صالحًا دعا شبيبًا ورويسَ أصحابه فقال : يا أخلائي ، ماذا ترون ؟ فقال شبيب : أرى أننا قد لقينا هؤلاء القومَ فقاتلناهم ، وقد اعتصموا بخندقهم ، فلا أرى أن نقيم عليهم ، فقال صالح : وأنا أرى ذلك ، فخرجوا من تحت ليلتهم سائرين ، فمضوا حتى قطعوا أرض الجزيرة ، ثم دخلوا أرضَ الموصِلِ فساروا فيها حتى قطعوها ومضوا حتى قطعوا الدَّسْكَرَةَ .

فلما بلغ ذلك الحجاجَ سرحَ إليهم الحارثُ بنُ عميرة بن ذى المشعار الهَمْدَانِي فِي ثَلَاثَةِ آلَافِ رَجُلٍ مِنْ أَهْلِ الْكُوفَةِ ، أَلْفٍ مِنَ الْمُقَاتِلَةِ الْأُولَى ، وَالْفَتَيْنِ مِنَ الْفَرَسِ الَّذِي فَرَضَ لَهُمُ الْحِجَّاجَ . فسار حتى إذا دنا من الدَّسْكَرَةِ خَرَجَ صَالِحُ بْنُ مَسْرَحٍ نَحْوَ جَدَلَوْلَاءَ وَخَانِقِينَ ، وَأَتْبَعَهُ الْحَارِثُ بْنُ عَمِيرَةَ حَتَّى انْتَهَى إِلَى قَرْيَةٍ يُقَالُ لَهَا الْمَدْبُجُّ مِنْ أَرْضِ الْمَوْصِلِ عَلَى تَسْخُومٍ مَا بَيْنَهَا وَبَيْنَ أَرْضِ جَبُوحَى ، وَصَالِحٌ يَوْمئذٍ فِي تِسْعِينَ رَجُلًا ، فَعَبَى الْحَارِثُ ابْنَ عَمِيرَةَ يَوْمئذٍ أَصْحَابَهُ ، وَجَعَلَ عَلَى مِيمَتِهِ أَبَا الرَّوَاعِجِ (٢) الشَّاكِرِي ، وَعَلَى مَيْسَرَتِهِ الزَّيْبِرِ بْنِ الْأُرُوحِ التَّمِيمِي ، ثُمَّ شَدَّ عَلَيْهِمْ - وَذَلِكَ بَعْدَ الْعَصْرِ - وَقَدْ جَعَلَ أَصْحَابَهُ ثَلَاثَةَ كِرَادِيْسٍ ؛ فَهُوَ فِي كُرْدُوسٍ ، وَشَبِيبٌ فِي كُرْدُوسٍ فِي مِيمَتِهِ ، وَسُوَيْدُ بْنُ سَلِيمٍ فِي كُرْدُوسٍ فِي الْمَيْسِرَةِ ، فِي كُلِّ كُرْدُوسٍ مِنْهُمْ ثَلَاثُونَ رَجُلًا .

فلما شدَّ عليهم الحارثُ بنُ عميرة في جماعة أصحابه انكشف سُويِدُ

(٢) ط : « الرِذَاعِ » تحريف .

(١) ب ، ف : « المي » .

ابن سليم ، وثبت صالح بن مسرّح فقتل ، وضارب شبيب حتى صرع ،
فوقع في رجالة ، فشدّ عليهم فانكشفوا ، فجاء حتى انتهى إلى موقف صالح
ابن مسرّح فأصابه قتيلا ، فنادى : إلى يا معشر المسلمين ؛ فلاذوا به ، فقال
لأصحابه : ليَعَجِّلْ كل واحد منكم ظهره إلى ظهر صاحبه ، وليطاعين
عدوه إذا أقدم عليه حتى ندخل هذا الحصن ، ونرى رأينا ؛ ففعلوا ذلك
حتى دخلوا الحصن وهم سبعون رجلا بشبيب ، وأحاط بهم الحارث بن
عميرة مُنْسِيًا ، وقال لأصحابه : احرقوا الباب ، فإذا صار جَسْمًا فدعوه
فإنهم لا يتقدرون على أن يخرجوا منه حتى نصبّتهم فنقتلهم . ففعلوا ذلك
بالباب ، ثمّ انصرفوا إلى عسكرهم ، فأشرف شبيب عليهم وطانفة من
أصحابه ، فقال بعض أولئك الفرّص : يا بني الزّواني ، ألم يُسخّركم الله ! فقالوا :
يا فُسّاق ، نعم تقاتلوننا لقتالنا إياناكم إذ أعماكم الله عن الحقّ الذي نحن
عليه ، فما عدّركم عند الله في الفرّص على أمّهاتنا ! فقال لهم حلّسناؤهم (١) :
إنّما هذا من قول شباب فينا سفهاء ، والله ما يُعجّبنا قولهم ولا نستحلّه .
وقال شبيب لأصحابه : يا هؤلاء ، ما تَنتظرون ! فوالله لئن صبّحكم هؤلاء
غُدوةً إنّّه لَهلاككم ، فقالوا له : مرنا بأمرِك ، فقال لهم : إنّ اللّيل
أخفى للويل ، بايعوني و من شتم (٢) منكم ، ثمّ اخرجوا (٣) بنا حتى نشدّ
عليهم في عسكرهم ، فإنّهم لذلك منكم آمنون ، وأنا أرجو أن ينصّركم الله ٨٩٢/٢
عليهم . قالوا : فابسط يدك فلنبايعك ، فبايعوه ، ثمّ جاءوا ليخرجوا ، وقد
صار بابهم جمرًا ، فأثوا باللّبود فبلّوها بالماء ، ثمّ ألقوها على الجمر ،
ثمّ قطعوا عليها ، فلم يشعّر الحارث بن عميرة ولا أهل العسكر إلاّ وشبيب
وأصحابه يضرّونهم (٣) بالسيوف في جوف عسكرهم (٤) ، فضارب الحارث
حتى صرع ، واحتملته أصحابه وانهمزوا ، وخطوا لهم العسكر وما فيه ،
ومضوا حتى نزلوا المدائن ، فكان ذلك الجيش أول جيش هزّمه شبيب ،
وأصيب صالح بن مسرّح يوم الثلاثاء لثلاث عشرة بقيت من جمادى
الأولى من سنته .

(١) ب ، ف : « علمائهم » . (٢-٢) ب ، ف : « من أصحابكم واخرجوا » .

(٣) ب ، ف : « يضاربونهم » . (٤) ب ، ف : « العسكر » .

[خبر دخول شبيب الكوفة وما كان من أمره مع الحجّاج]

وفي هذه السنة دخل شبيب الكوفةَ ومعه زوجته غزّالة .

• ذكر الخبر عن دخوله الكوفة وما كان من أمره وأمر الحجّاج بها

والسبب الذي دعا شبيباً إلى ذلك :

وكان السبب في ذلك — فيما ذكر هشامٌ ، عن أبي مخنف ، عن عبد الله ابنِ علقمة ، عن قبيصة بن عبد الرحمن الخشمي — أن شبيباً لما قُتِل صالح بنُ مسرّح بالمديح وبإيعه أصحابُ صالح ، ارتفع إلى أرض الموصل فلقى سلامة بن سيّار بن المضاء التميمي تيم شيبان ، فدعاه إلى الخروج معه ، وكان يعرفه قبل ذلك إذ كانا (١) في الديوان والمغازي ، فاشترط عليه سلامة أن يستخب ثلاثين فارساً ، ثم لا يغيب عنه إلا ثلاث ليالٍ عدداً . ففعل ، فانتخب ثلاثين فارساً ، فانطلق بهم نحو عسرة ، وإنما أرادهم ليشفي نفسه منهم لقتلهم أخاه فضالة ، وذلك أن فضالة كان خرج قبل ذلك في ثمانية عشر نفساً حتى نزل ماء يقال له الشجرة من أرض الجبال ، عليه أثلة عظيمة ، وعليه عسرة ، فلما رأته عسرة قال بعضهم لبعض : نقتلهم ثم نغدو بهم إلى الأمير فنعطى ونحبي ، فأجمعوا على ذلك ، فقال بنو نصر أخواله : لعمركم الله لا نساعدكم على قتل ولدنا . فنهضت عسرة إليهم فقاتلوهم فقتلوهم ، وأتوا برؤوسهم عبد الملك بن مروان ، فلذلك أنزلهم بانيقياً ، وفرض لهم ، ولم تكن لهم فرائض قبل ذلك إلا قليلة ، فقال سلامة بن سيّار ، أخو فضالة يذكّر قتل أخيه ونجدلان أخواله إيّاه :

وَمَا خِلْتُ أَخْوَالَ الْفَتَى يُسْلِمُونَهُ لِيُوقِعَ السِّلَاحَ قَبْلَ مَا فَعَلْتَ نَصْرُ

قال : وكان خروج أخيه فضالة قبل خروج صالح بن مسرّح

وشبيب .

(١) كذا في أ ، وفي ط : « كان » .

فلما بايع سلامة شيبياً اشترط عليه هذا الشرط ، فخرج في ثلاثين فارساً حتى انتهى إلى عسرة ، فجعل يقتل المحلّة منهم بعد المحلّة حتى انتهى ٨٩٤/٢ إلى فريق منهم فيهم خالته ، وقد أكبت على ابن لها وهو غلام حين احتلم ، فقالت وأخرجت نديتها إليه : أنشدك برّحم هذا يا سلامة ! فقال : لا والله ، ما رأيت فضالة مذ أناخ بعُمر الشجرة - يعني أخاه - لتقومين عنه ، أو لأجمنعن حافتك بالرمح ، فقامت عن ابنها عند ذلك فقتلته .

قال أبو مخنف : فحدثني المفضل بن بكر من بني تميم بن شيبان أن شيبياً أقبل في أصحابه نحو راذان ، فلما سمعت به طائفة من بني تميم ابن شيبان خرجوا هرباً منه ، ومعهم ناس من غيرهم قليل ، فأقبلوا حتى نزلوا دير خرزاد إلى جنب حوّلأيا ، وهم نحو من ثلاثة آلاف ، وشبيب في نحو من سبعين رجلاً أو يزيدون قليلاً ، فنزل بهم ؛ فها به وتمحصنوا منه . ثم إن شيبياً سرى في اثني عشر فارساً من أصحابه إلى أمه ، وكانت في سفح سائداً ما نازلة في مظلة من مظال الأعراب : فقال : لا تين بأمتي فلا جعلتها في عسكري فلا تفارقي أبداً حتى أموت أو تموت . وخرج رجلان من بني تميم بن شيبان تخوفاً على أنفسهما فنزلا من الدير ، فسلحقا بجماعة من قومهما وهم نزلوا بالجبال منهم على مسيرة ساعة من النهار ، وخرج شبيب ، في أولئك الرهط في أولهم وهم اثنا عشر ، يريد أمه بالسفح ، فإذا ٨٩٥/٢ هو بجماعة من بني تميم بن شيبان غارين في أموالهم مقيمين ، لا يرون أن شيبياً يمر بهم لمكانهم الذي هم به ، ولا يشعر بهم ، فحمل عليهم في فرسانه تلك ، فقتل منهم ثلاثين شيخاً ؛ فيهم حوثره بن أسد ووبرة بن عاصم اللذان كانا نزلوا من الدير ، فلهقا بالجبال ، ومضى شبيب إلى أمه فحملتها من السفح ، فأقبل بها ، وأشرف رجل من أصحاب الدير من بكر بن وائل على أصحاب شبيب ، وقد استخلف شبيب أخاه على أصحابه مصاد بن يزيد ، ويقال لذلك الرجل الذي أشرف عليهم سلام بن حيان ، فقال لهم : يا قوم ، القرآن بيننا وبينكم ، ألم تسمعوا قول الله : ﴿ وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ﴾ .

قالوا : بلى ، قال لهم : فكفّوا عنا حتّى نُصبح ، ثمّ نخرج إليكم على أمان لنا منكم ، لكيلا تعرّضوا لنا بشيء نكرهه حتّى تعرّضوا علينا أمركم هذا ، فإن نحن قبلناه حرّمنا عليكم أموالنا ودمائنا ، وكنّا لكم إخواناً ، وإن نحن لم نقبله رددتمونا إلى مأمّنتنا ، ثمّ رأيتم رأيكم فيما بيننا وبينكم ؛ قالوا لهم : فهذا لكم . فلما أصبحوا خرجوا إليهم ، فعرّض عليهم أصحاب شيبب قولتهم ، ووصفوا لهم أمرهم ، فقَبِلوا ذلك كلّهُ ، وخاطبوا ، ونزلوا إليهم ، فدخل بعضهم إلى بعض ، وجاء شيبب وقد اصطَلحوا ، فأخبره أصحابه خبرهم ، فقال : أصبتم ووفّقتم وأحسنتم . ٨٩٦/٢

ثمّ إن شيبباً ارتحل فخرجت معه طائفة وأقامت طائفةً جانحة ، وخرج يومئذ معه إبراهيم بن حنّان الحنّاني أبو الصقير كان مع بني تميم بن شيبان نازلاً فيهم ، ومضى شيبب في أداني أرض الموصل وتخوم أرض جوسخي ، ثمّ ارتفع نحو أذربيجان ، وأقبل سفيان بن أبي العالية الخثعمي في خيل قد كان أمر أن يدخل بها طبرستان ، فأمر بالقول ، فأقبل راجعاً في نحو من ألف فارس ، فصالح صاحب طبرستان .

قال أبو مخنف : فحدثني عبدُ الله بنُ علقمة عن سفيان بن أبي العالية الخثعمي أنّ كتاب الحجّاج أتاه : أما بعد ، فسرّ حتّى تنزل الدّسكرة فيمن معك ، ثمّ أقيم حتّى يأتيك جيشُ الحارث بن عميرة الهمداني بن ذي المشعار ، وهو الذي قتل صالح بن مسرح وخيل المناظر ، ثمّ سرّ إلى شيبب حتّى تسأجه . فلما أتاه الكتابُ أقبل حتّى نزل الدّسكرة ، ونودي في جيش الحارث بن عميرة بالكوفة والمدائن : أن برئت الدّمة من رجل من جيش الحارث بن عميرة لم يواف سفيان بن أبي العالية بالدّسكرة .

قال : فخرجوا حتّى أتوه ، وأتته خيلُ المناظر ، وكانوا خمسمائة ، عليهم سورة بن أبجر التميمي من بني أبنان بن دارم ، فوافوه إلا نحواً من خمسين رجلاً تخلّفوا عنه ، وبعث إلى سفيان بن أبي العالية ألا تبرح العسكر حتّى آتيك . فعجل سفيانُ فارتحل في طلب شيبب ، فلحقه بخانقين في سفح جبل على ميمنته نخازمُ بن سفيان الخثعمي من بني ٨٩٧/٢

عمرو بن شَهْرَانَ، وعلى ميسرته عدى بن عميرة الشَّيبَانِيّ، وأصَحَرَ لهم شبيب ،
ثم ارتفع عنهم حتَّى كأنَّه يكره لقاءه، وقد أكن له أخاه مصادماً معه خمسون
في هَزَمٍ (١) من الأرض .

فلَمَّا رَأَوْه جَمَعَ أصحابه ثمَّ مضى في سفح الجبل مُشْرِقًا فقالوا :
هرب عدوَّ الله فاتَّبِعوه ، فقال لهم عدى بن عميرة الشَّيبَانِيّ : أيُّها الناس ،
لا تعجلوا عليهم حتَّى نَضْرِبَ في الأرض ونسير بها ، فإن يكونوا قد أكنوا لنا
كَمِينًا كُنَّا قد حدَّ رِناه، وإلَّا فإنَّ طلبهم لن يفوتنا . فلم يسمع منه الناس ،
وأسرعوا في آثارهم . فلَمَّا رأى شبيب أنَّهم قد جازوا الكَمِينِ عَطَفَ عليهم .
ولما رأى الكَمِينُ أن قد جاوزوهم خرَّجوا إليهم ، فحمل عليهم شبيب
من أمامهم ، وصاح بهم الكَمِينِ مِن ورائهم ، فلم يقاتلهم أحد ، وكانت
الهِزِيمَةُ ، فثبَّت ابنُ أبي العالِيَةِ في نحو من مائتي رجل ، فقاتلهم قتالاً شديداً
حَسَنًا ، حتَّى ظنَّ أنَّه انتصف من شبيب وأصحابه . فقال سُويد بن سُليم
لأصحابه : أمِنكم أحدٌ يَعْرِفُ أميرَ القومِ ابنَ أبي العالِيَةِ ؟ فوالله لئن عَرَفْتُهُ
لأَجْهَدَنَّ نَفْسِي في قتلِهِ ، فقال شبيبُ : أنا مِن أعْرَفِ الناسِ به ، أما تَرَى
صاحبَ الفرسِ الأغرِّ الَّذِي دُونَهُ المُرَامِيَةُ إِنْئِنَّه ذلك ، فإن كنت تريدُه
فأمهله قليلاً . ثمَّ قال : يا قعنب ، اخرج في عشرين فأتهم من ورائهم ،
فخرج قعنب في عشرين فارتفع عليهم .

٨٩٨/٢

فلَمَّا رَأَوْه يريدُ أن يأتِيهم من ورائهم جعلوا يَنْتَقِضُونَ وَيَتَسَلَّلُونَ ،
وحمل سُويد بنُ سُليمِ على سُفْيَانَ بنِ أبي العالِيَةِ فطاعنه ، فلم تصنع رُمُحاهما
شيئًا ، ثم اضطربا بِسَيْفَيْهِمَا ثمَّ اعتنق كل منهما صاحبه ، فوقعا إلى
الأرضِ يمتركان ؛ ثم تحاجزوا وحَمَلَ عليهم شبيب فانكشفوا ، وأتى
سُفْيَانَ غلامٌ له يقال له غَزْرَوَانُ ، فنزل عن بَرْدُونِهِ ، وقال : اركبْ يا مولاي ،
فركب سُفْيَانَ ، وأحاط به أصحاب شبيب ، فقاتل دُونَهُ غَزْرَوَانُ فقتل ،
وكانت معه رايته . وأقبل سُفْيَانُ بنُ أبي العالِيَةِ حتَّى انتهى إلى بابل مَهْرُودًا ،

(١) الهزم : ما اطمأن من الأرض .

فنزل بها ، وكتب إلى الحجَّاج :

أمَّا بعد ، فإني أخير الأميرَ أصلحَ الله أني اتبعت هذه المارقةَ حتَّى لحقتهم بخانقين فقاتلتهم ، فضربَ الله وجوههم ، ونصرنا عليهم ، فبينما نحن كذلك إذ أتاهم قوم كانوا غيبًا عنهم ، فتحملوا على الناس فهزموهم ، فنزلت في رجال من أهل الدين والصبر فقاتلتهم ، حتَّى خمرت بين القتلى ، فحُملت مرتثًا ، فأتى بي بابل مهروذ ، فهأنذا بها والجنود الذين وجههم إلى الأمير وافوا إلا سورةَ بن أبجر فإنه لم يأتني ولم يشهد معي حتَّى إذا ما نزلت بابل مهروذ أتاني يقول ما لا أعرف^(١) ، ويعتذر بغير العذر . والسلام .

٨٩٩/٢ فلما قرأ الحجَّاجُ الكتاب قال : من صنع كما صنع هذا ، وأبلى كما أبلى فقد أحسن . ثم كتب إليه :

أمَّا بعد ، فقد أحسست البلاء ، وقضيت الذي عليك ، فإذا خفت عنك الوجد فأقبل مأجورًا إلى أهليك . والسلام .

وكتب إلى سورة بن أبجر :

أمَّا بعد فيابن أم سورة ، ما كنت خليقًا أن تجترئ على ترك عهدي وخذلان جندي ، فإذا أتاك كتابي فابعث رجلاً ممن معك صليبيًا إلى الخيل التي بالمدائن ، فلينتخب منهم خمسمائة رجل ، ثم ليقدم بهم عليك ، ثم سير بهم حتَّى تلقى هذه المارقة ، واحزم في أمرك ، وكدر عدوك ، فإن أفضل أمر الحرب حسن المكيدة . والسلام .

فلما أتى سورة كتاب الحجَّاج بعث عدى بن عميرة إلى المدائن ، وكان بها ألف فارس ، فانخب منهم خمسمائة ، ثم دخل على عبد الله بن أبي عصيفير — وهو أمير المدائن في إمارته الأولى — فسلم عليه ، فأجازه بألف درهم ، وحمله على فارس ، وكساه أثوابًا . ثم إنّه خرج من عنده ، فأقبل بأصحابه حتَّى قدم بهم على سورة بن أبجر ببابل مهروذ ، فخرج في طلب شبيب ، وشبيب^(٢)

(١) ب ، ف : « أعرفه » .

(٢) أ : « وخرج شبيب » .

يَسْجُودُ فِي جُوحَى وَسُورَةَ فِي طَلْبِهِ ، فَجَاءَ شَيْبِيبٌ حَتَّى انْتَهَى إِلَى الْمَدَائِنِ ، فَتَحَصَّنَ مِنْهُ أَهْلُ الْمَدَائِنِ وَتَحَرَّزُوا . وَهِيَ أُبْنِيَّةُ الْمَدَائِنِ الْأُولَى ، فَدَخَلَ الْمَدَائِنَ ، فَأَصَابَ بِهَا دَوَابَّ جُنْدٍ كَثِيرَةً (١) ، فَقَتَلَ مَنْ ظَهَرَ لَهُ وَلَمْ يَدْخُلُوا الْبُيُوتَ ، فَأَتَى فَقِيلَ لَهُ : هَذَا سُورَةُ بْنُ أَبِيجْرٍ قَدْ أَقْبَلَ إِلَيْكَ . فَخَرَجَ فِي أَصْحَابِهِ ٩٠٠/٢ حَتَّى انْتَهَى إِلَى النَّهْرَوَانِ ، فَانزَلُوا بِهِ وَتَوَضَّعُوا وَصَلُّوا ، ثُمَّ أَتَوْا مِصْرَاعَ إِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ قَتَلْتَهُمْ عَلَى بَنِي أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، فَاسْتَغْفَرُوا لِإِخْوَانِهِمْ ، وَتَبَرَّعُوا مِنْ عَلَى وَأَصْحَابِهِ ، وَبَكَوْا فَأَطَالُوا الْبُكَاءَ ، ثُمَّ خَرَجُوا فَقَطَعُوا جِسْرَ النَّهْرَوَانِ ، فَانزَلُوا مِنْ جَانِبِهِ الشَّرْقِيِّ ، وَجَاءَ سُورَةُ حَتَّى نَزَلَ بِقَطْرَاثَا ، وَجَاءَتْهُ عِيُونُهُ فَأَخْبَرْتُهُ بِمَنْزِلِ شَيْبِيبٍ بِالنَّهْرَوَانِ ، فَدَعَا رِعُوسَ أَصْحَابِهِ فَقَالَ : إِنَّهُمْ قَلَمًا يُلْقُونَ مُصْحِرِينَ أَوْ عَلَى ظَهْرٍ إِلَّا انْتَصَفُوا مِنْكُمْ ، وَظَهَرُوا عَلَيْكُمْ ، وَقَدْ حَدَّثْتُ أَنَّهُمْ لَا يَزِيدُونَ عَلَى مِائَةِ رَجُلٍ إِلَّا قَلِيلًا ، وَقَدْ رَأَيْتُ أَنَّ أَنْتَ خَيْبَكُمْ فَأَسِيرَ فِي ثَلَاثَةِ رَجُلٍ مِنْكُمْ مِنْ أَقْرِيائِكُمْ وَشُجْعَانِكُمْ فَأَتِيهِمْ الْآنَ إِذْ هُمْ آمِنُونَ لِبَيَاتِكُمْ ؛ فَوَاللَّهِ إِنِّي لَأَرْجُو أَنْ يَصْرَعَهُمُ اللَّهُ مِصْرَاعَ إِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ صُرِعُوا مِنْهُمْ بِالنَّهْرَوَانِ مِنْ قَبْلُ . فَقَالُوا : اصْنَعْ مَا أَحْبَبْتَ . فَاسْتَعْمَلَ عَلَى عَسْكَرِهِ حَازِمَ بْنَ قُدَامَةَ الْخَثْعَمِيَّ ، وَانْتَخَبَ مِنْ أَصْحَابِهِ ثَلَاثَةَ مِائَةِ رَجُلٍ مِنْ أَهْلِ الْقُوَّةِ وَالْجَلْدِ وَالشَّجَاعَةِ ، ثُمَّ أَقْبَلَ بِهِمْ نَحْوَ النَّهْرَوَانِ ، وَبَاتَ شَيْبِيبٌ وَقَدْ أَذْكَى الْحَرَّسَ ، فَلَمَّا دَنَا أَصْحَابُ سُورَةَ مِنْهُمْ نَسَدُوا بِهِمْ ، فَاسْتَوُوا عَلَى نَحْيِهِمْ وَتَعَبُوا تَعْبِيَتَهُمْ .

٩٠١/٢ فَلَمَّا انْتَهَى إِلَيْهِمْ سُورَةُ وَأَصْحَابُهُ أَصَابَهُمْ قَدْ حَسَدُوا وَاسْتَعَدُّوا ، فَحَمَلَ عَلَيْهِمْ سُورَةُ وَأَصْحَابُهُ فَثَبَتُوا لَهُمْ ، وَضَارَبُوهُمْ حَتَّى صَدَّ عَنْهُمْ سُورَةُ وَأَصْحَابُهُ ، ثُمَّ صَاحَ شَيْبِيبٌ بِأَصْحَابِهِ ، فَحَمَلَ عَلَيْهِمْ حَتَّى تَرَكَوا لَهُ الْعَرِصَةَ ، وَحَمَلُوا عَلَيْهِمْ مَعَهُ ، وَجَعَلَ شَيْبِيبٌ يَضْرِبُ وَيَقُولُ :

مَنْ يَنْزِلُ الْعَيْرَ يَنْزِلُ نِيَاكَا جَنْدَلَتَانِ اصْطَكَّتَا اصْطِكَاكَا
فَرَجَعَ سُورَةُ إِلَى عَسْكَرِهِ وَقَدْ هُزِمَ الْفَرَسَانُ وَأَهْلُ الْقُوَّةِ ، فَحَمَلَ بِهِمْ حَتَّى أَقْبَلَ بِهِمْ نَحْوَ الْمَدَائِنِ ، فَدَفَعَ إِلَيْهِمْ وَقَدْ تَحَمَّلَ وَتَعَدَّى الطَّرِيقَ الَّذِي

(١) : « فَأَصَابَ دَوَابَّ مِنْ دَوَابِّ الْجَنَّةِ » .

فيه شبيب ، واتبعه شبيب وهو يرجو أن يُلحقه فيُصيب عسكره ، ويصيب بهزيمة أهل العسكر ، فأغذَّ السير في طلبهم ، فانتهبوا إلى المدائن فمدَّخلوها ، وجاء شبيب حتى انتهى إلى بيوت المدائن ، فدفع إليهم وقد دخل الناس ، وخرج ابنُ أبي عَصِيْفِير في أهل المدائن فرماهم الناس بالنبل ، ورُموا من فوق البيوت بالحجارة ، فارتفع شبيب بأصحابه عن المدائن ، فرَّ على كيلوآذا فأصاب بها دواب كثيرة للحجاج فأخذها ، ثم خرج يسير في أرض جَوْحِي ، ثم مضى نحو تكريت ، فبينما ذلك الجُند في المدائن إذ أُرجم الناس بينهم ، فقالوا : هذا شبيب قد دنا ، وهو يريد أن يبيت أهل المدائن الليلة ، فارتحل عامة الجُند . فلتحقوا بالكوفة .

قال أبو مخنف : وحدَّثني عبدُ الله بنُ عسْكَمة الخثعمي ، قال : والله لقد هربوا من المدائن وقالوا : نبيتُ الليلة ، وإن شبيبا لبستكبريت ، قال : ٩٠٢/٢ ولما قدم الفل على الحجَّاج سرح الجزل بن سعيد بن شرحبيل بن عمرو الكندي .

قال أبو مخنف : حدَّثنا النضر بنُ صالح العبسيّ وفضيل بنُ خديج الكندي أن الحجَّاج لما أتاه الفل قال : قبح الله سورة ضبيع العسكر والجُند ، وخرج يبيت الخوارج ، أمّا والله لأسوءه ، وكان بعدُ قد^(١) حبسه ثم عفا عنه .

قال أبو مخنف : وحدَّثني فضيل بن خديج أن الحجَّاج دعا الجزل — وهو عثمان بن سعيد — فقال له : تيسر للخروج إلى هذه المارقة ، فإذا لقيتهم فلا تعجل عجلة الخرق ، ولا تُحجم إحجام الواني الفرق ، هل فهمت ؟ لله أنت يا أخا بني عمرو بن معاوية ! فقال : نعم أصلح الله الأمير قد فهمت ؛ قال له : فاخرج فعسكر بدير عبد الرحمن حتى يخرج إليك الناس ، فقال : أصلح الله الأمير ! لا تبعنَّ معي أحداً من أهل هذا الجُند المفلول المهزوم ، فإنَّ الرعب قد دخل قلوبهم ، وقد خشيتُ ألا ينفعك والمسلمين منهم أحد ؛ قال له : فإنَّ ذلك لك ، ولا أراك إلا قد أحسنت الرأي ووفقت . ثم دعا أصحاب الدواوين فقال : اضربوا على

(١) : « بده » .

الناس البعث ، فأخرجوا أربعة آلاف من الناس ، من كل رُبْع ألف رجل ، وعجّلوا ذلك ، فجمعت العُرفاء ، وجلس أصحابُ الدّواوين ، وضربوا البعث فأخرجوا أربعة آلاف ، فأمرهم بالعسكر فمَسَكروا ، ثمّ نودى ٩٠٢/٢ فيهم بالرحيل ، ثمّ ارتحلوا ونادى منادى الحجاج : أن برئت الذّمة من رجل أصبناه من هذا البعث متخلّفاً؛ قال : فمضى الجَزَل بن سعيد ، وقد قدم بين يديه عياض بن أبي لينة الكِنْدِيّ على مُقدّمته ، فخرج حتّى أتى المدائنَ ، فأقام بها ثلاثاً ، وبعث إليه ابنُ أبي عَصِيْفِير بفرس وبيزْدَوْن وبغلين وألنيّ درهم ، ووضع للناس من الجزر والعلف ما كفاهم ثلاثة أيام حتّى ارتحلوا ، فأصاب الناس ما شاءوا من تلك الجزر والعسّاف اللّدى ووضّع لهم ابنُ أبي عَصِيْفِير . ثمّ إنّ الجَزَل بن سعيد خرج بالناس في أثر شبيب ، فطأه في أرض جُوخَى ، فجعل شبيب يُريه الهيبة ، فيسخرج من رُسْتاق إلى رُسْتاق ، ومن طَسْج إلى طَسْج ، ولا يقيم له إرادة أن يفرق الجَزَل أصحابه ، ويتعجّل إليه فيلقاه في يسير من الناس على غير تعبته ، فجعل الجَزَل لا يسير إلّا على تعبته ، ولا ينزل إلّا تخندق على نفسه خندقاً ، فلمّا طال ذلك على شبيب أمر أصحابه ذات ليلة فسروا .

قال أبو مخنف : فحدثني فروة بن لَقَيْط أن شبيباً دعانا ونحن بدير بيرماستون ومائة رجل ، فجعل على كلّ أربعين من أصحابه رجلاً ، وهو في أربعين ، وجعل أخاه مصاداً في أربعين ، وبعث سُويْد بن سُليم في أربعين ، وبعث المحلّل بن وائل في أربعين ، وقد أتته عيوته فأخبرته أن الجَزَل بن ٩٠٤/٢ سعيد قد نزل دِير يَزْدَجِرْد ، قال : فدعانا عند ذلك فعبّانا هذه التعبية ، وأمرنا فعلّقنا على دوابنا ، وقال لنا : تيسّروا فإذا قضمت دوابكم فاركبوا ، ولتيسر كلّ امرئ منكم مع أميره اللّدى أمرناه عليه ، ولتینظر كل امرئ منكم ما يأمره أميره فليتبّعه . ودعا أمراءنا فقال لهم : إني أريد أن أبيت هذا العسكر اللّيلة ، ثمّ قال لأخيه مصاد : إيتهم فارتفع من فوقهم حتّى تأتيهم من ورائهم من قبيل حلوان ، وسأتيهم أنا من أمانى من قبيل الكوفة ، وأتيم أنت يا سُويْد من قبيل المشرق ، وأتيم أنت يا محلّل من قبيل المغرب ، ولتيسلح

كل امرئ منكم على الجانب الذي يتحمل عليه ، ولا تقلعوا عنهم ،
تحميلون وتكثرون عليهم ، وتصيحون بهم حتى يأتيكم أمرى . فلم نزل على
تلك التعبية ، وكنت أنا في الأربعين الذين كانوا معه ، حتى إذا قضيت
دوابنا - وذلك أول الليل أول ما هدأت العيون - خرجنا حتى انتهينا إلى ديار
الحرارة ، فإذا للقوم مسلحة ، عليهم عياض بن أبي لينة ، فما هو إلا
أن انتهينا إليهم ، فحمل عليهم مصاد أخو شبيب في أربعين رجلا ،
وكان أمام شبيب ، وقد كان أراد أن يسبق شبيباً حتى يرتفع عليهم ويأتيهم
من ورائهم كما أمره ، فلما لقي هؤلاء قاتلهم فصبروا ساعة ، وقاتلوه . ثم
إننا دفعنا إليهم جميعاً ، فحملنا عليهم فهزمناهم ، وأخذوا الطريق
الأعظم ، وليس بينهم وبين عسكرهم بديار يزيد جرد إلا قريب من ميل .
١٠٥/٢ فقال لنا شبيب : اركبوا معاشر المسلمين أكتافهم حتى تدخلوا معهم عسكرهم
إن استطعتم ؛ فاتبعناهم والله ملططين^(١) بهم ، ملحين عليهم ، ما نرفه عنهم
وهم منهزمون ، ما لهم همة إلا عسكرهم ، فانتهاوا إلى عسكرهم ، ومنعهم أصحابهم
أن يدخلوا عليهم ، ورشقونا بالنبل ، وكانت عيون لهم قد أمتتهم فأخبرتهم
بمكاننا ، وكان الجزل قد خندق عليه ، وتحرز ووضع هذه المسلحة الذين
لقيناهم بديار الحرارة ، ووضع مسلحة أخرى مما يلي حلوان على الطريق ،
فلما أن دفعنا إلى هذه المسلحة التي كانت بديار الحرارة فألقناهم بعسكر
جماعتهم ورجعت المسالحة الأخرى حتى اجتمعت ، منعها أهل العسكر دخول
العسكر وقالوا لهم : قاتلوا ، وانضحوا عنكم بالنبل .

قال أبو مخنف : وحدني جريير بن الحسين الكندي ، قال : كان على
المسلحتين الأخريتين عاصم بن حجر على التي تلي حلوان ، وواصل
ابن الحارث السكوني على الأخرى . فلما أن اجتمعت المسالحة جعل شبيب
يتحمل عليها حتى اضطرها إلى الخندق ، ورشقهم أهل العسكر بالنبل
حتى ردوهم عنهم . فلما رأى شبيب أنه لا يصل إليهم قال لأصحابه :
سيروا ودعوهم ، فضى على الطريق نحو حلوان حتى إذا كان قريباً

(١) ملططين ، بمعنى ملحين .

من موضع قِباب حسين بن زُفَر من بني بَدْر بن فزارة - وإنَّما كانت قِبابُ حُسَيْن بن زُفَر بعد ذلك - قال : لأصحابه : انزلوا فاقضوا وأصلحوا ١٠٦/٢ نَسَلِكُمْ وتروحووا وَصَلُّوا ركعتين ، ثمَّ اركبوا ؛ فنزلوا ففعلوا ذلك . ثمَّ إنَّه أقبل بهم راجعاً إلى عسكر أهل الكوفة أيضاً ، وقال : سيروا على تعبيتكم التي عبأتكم عليها بديريرما أول الليل ، ثمَّ أُطِيفُوا بعسكرهم كما أمرتكم ، فأقبلوا . قال : فأقبلنا معه وقد أدخل أهلُ العسكر مسالِحهم إليهم ، وقد آمنونا فما شعروا حتى سمعوا وقع حوافِرِ نخيلنا قريباً منهم ، فانتبهنا إليهم قُبَيْلَ الصُّبْحِ فأحطنا بعسكرهم ، ثمَّ صيَّحنا^(١) بهم من كلِّ جانب ، فإذا هم يُقاتلوننا من كلِّ جانب ، ويرموننا بالنبل . ثمَّ إنَّ شبيباً بعث إلى أنثيه مصاد وهو يقاتلهم من نحو الكوفة أن أقبل إلينا ونخلُّ لهم سبيل الطريق إلى الكوفة ، فأقبل إليه ، وترك ذلك الوجه ، وجعلنا نقاتلهم من تلك الوجوه الثلاثة ؛ حتَّى أصبحنا ، فأصبحنا ولم نستفل منهم شيئاً ، فسرنا وتركناهم ، فجعلوا يصيحون بنا : أين يا كلاب النار ! أين آيتُها العِصابة المارقة ! أصبحوا نخرجُ إليكم ، فارتفعنا عنهم نحواً من ميل ونصف ، ثمَّ نزلنا فصلينا الغداة ، ثمَّ أخذنا الطريق على براز الرُّوذ ، ثمَّ مضينا إلى جرجرايا وما يليها ، فأقبلوا في طلبنا .

قال أبو مخنف : فحدثني مولى لنا يدعى غاضرة أو قيصر ، قال : كنت

مع الناس تاجراً وهم في طلب الحِمْيَرِيَّة ، وعلينا الجِزْلُ بنُ سعيد ، فجعل ١٠٧/٢ يتبعهم فلا يسير إلا على تعبئة ، ولا ينزل إلا على خندق ، وكان شبيبٌ يدعه ويضرب في أرض جُوخَى وغيرها يكسر الخِراج ، وطال ذلك على الحجَّاج ، فكتب إليه كتاباً ، فقرأ على الناس :

أما بعد ، فإنِّي بعثتُك في فرسان أهل المِصر ووجوه الناس ، وأمرتُك بإتباع هذه المارقة الضَّالة المُضِلَّة حتَّى تلقاها ، فلا تُقلِّع عنها حتَّى تقتلها وتُفنيها ؛ فوجدتَ التعريسَ في القُرى والتَّخيمَ في الخِنادق أهونَ عليك من المضيِّ لما أمرتُك به من مناهضتهم ومناجرتهم . والسَّلَام .

فقرأ الكتابُ علينا ونحن بقطرانا وديار أبي مرَّيم ، فشقَّ ذلك على

الجزل ، وأمر الناس بالسير ، فخرجوا في طلب الخوارج جادين ، وأرجفنا بأميرنا وقلنا : يُعزَل .

قال أبو مخنف : فحدثني إسماعيل بن نعيم الهَمْداني ثم البرسي أن الحجاج بعث سعيد بن المجالد على ذلك الجيش ، وعهد إليه إن لقيت المارقة فازحف إليهم ولا تناظرهم ولا تطاولهم وواقفهم واستمع بالله عليهم ، ولا تصنع صنيع الجزل ، واطلبهم طلب السبع ، وحيد عنهم ٩٠٨/٢ حيدان الضبع . وأقبل الجزل في طلب شبيب حتى انتهوا إلى التهمزان فأدركوه فلزم عسكره ، وخذق عليه . وجاء إليه سعيد بن المجالد حتى دخل عسكر أهل الكوفة أميراً ، فقام فيهم خطيباً فحمد الله وأثنى عليه ثم قال :

يا أهل الكوفة ، إنكم قد عجزتم ووهتم وأغضبتكم عليكم أميركم . أنتم في طلب هذه الأعراب العجف منذ شهرين ، وهم قد خربوا بلادكم ، وكسروا خراجكم ، وأنتم حاذرون في جوف هذه الخنادق لا تزالونها إلا أن يبلغكم أنهم قد ارتحلوا عنكم ، ونزلوا بلداً سوى بلدكم ، فخرجوا على اسم الله إليهم .

فخرج وأخرج الناس معه ، وجمع إليه خيول أهل العسكر ، فقال له الجزل : ما تريد أن تصنع ؟ قال : أريد أن أقدم على شبيب في هذه الخيل ، فقال له الجزل : أقم أنت في جماعة الجيش ، فارسهم وراجلهم ، وأصحر له ؛ فوالله ليقدمن عليك ، فلا تفرق أصحابك ؛ فإن ذلك شر لهم وخير لك . فقال له : قف أنت في الصف ، فقال : يا سعيد بن مجالد ، ليس لي فيما صنعت رأي ، أنا بريء من رأيك هذا ، سمع الله ومن حضر من المسلمين . فقال : هو رأيي إن أصبت ؛ فالله وفقني له ، وإن يكن غير صواب فأنتم منه براء ، قال : فوقف الجزل في صف أهل الكوفة وقد أخرجهم من الخندق ، وجعل على ميمتهم^(٢) عياض بن أبي لينة الكندي ، وعلى ميسرتهم عبد الرحمن بن عوف أبا حميد الرواسي ، ووقف الجزل في جماعتهم

(٢) : ١ « ميمته » .

(١) ب ، ف : « كصنيع » .

واستقدم سعيد بن مجالد ، فخرج وأخرج الناس معه ، وقد أخذ شبيب إلى ٩٠٩/٢
بَرَازِ الرُّوزِ ، فنزل قَطَطُنَا^(١) ، وأمر دهقَانَهَا أن يشتري لهم ما يُصلحهم ،
ويتخذ لهم غَدَاءً ، ففعل ، ودخل مدينة قَطَطُنَا^(١) وأمر بالباب فأغلق ، فلم
يسفرغ من الغداء حتى أتاه سعيد بن مجالد في أهل ذلك العسكر ، فصعد
الدّهقان السور فنظر إلى الجُنُودِ مقبلين قد دنسوا من حصنه ، فنزل وقد تغير
لونه ، فقال له شبيب : ما لي أراك متغيّر اللون ؟ فقال له الدّهقان : قد
جاءتلك الجنود من كل ناحية ، قال : لا بأس ، هل أدرك غداؤنا ؟ قال :
نعم ، قال : فقربته ، وقد أغلق الباب ، وأتى بالغداء ، فتغدى وتوضأ وصلّى
ركعتين ، ثم دعا ببغل له فركبه .

ثم لأنهم اجتمعوا على باب المدينة ، فأمر بالباب فتفتح ، ثم خرج على
بغله فحمل عليهم . وقال : لا حكم إلا للحكم الحكيم ، أنا أبو مدله ،
اثبتوا إن شئتم . وجعل سعيد يجمع قومه وخيله ، ويؤلفها^(٢) في أثره ، ويقول :
ما هؤلاء ! إنما هم أكلة رأس ، فلما رأهم شبيب قد تقطعوا وانتشروا
لفّ خيله كلّها ، ثم جمعها ، ثم قال^(٣) : استعرضوهم استعراضاً ، وانظروا ٩١٠/٢
إلى أميرهم ، فوالله لأقتلنه أو يقتلني . وحمل عليهم مستعرضاً لهم ، فهزمهم
وثبت سعيد بن المجالد ، ثم نادى أصحابه : إلى إلى ، أنا ابن ذى مران !
وأخذ قاتلنوسه فوضعها على قتر بوس سرّجه ، وحمل عليه شبيب فعممه
بالسيف ، فخالط دماغه ، فخر ميتاً ، وانهمز ذلك الجيش ، وقتلوا كل
قتلة ، حتى انتهوا إلى الجزل ، ونزل الجزل ونادى : أيها الناس ، إلى .
وناداهم عياض بن أبي لينة : أيها الناس ، إن كان أميركم القادم قد
هلك فأمركم الميمون النقيبة المبارك حتى^(٤) لم يمت ، فقاتل الجزل قتالا
شديداً حتى حمل من بين القتلى ، فحمل إلى المدائن مرتثاً ، وقدم
فل أهل ذلك العسكر الكوفة ، وكان من أشد الناس بلاء يومئذ خالد بن

(١) كذا في ابن أبي الحديد ٤ : ٢٤١ ، وهو الصواب ، وانظر مراصد الاطلاع .

(٢) ١ : « يولفها » . (٣) ب ، ف : « فقال » .

(٤) ب ، ف : « حتى وهو الأمير المبارك » .

نَهَيْكَ مِنْ بَنِي ذُهْلَ بْنِ مَعَاوِيَةَ وَعِيَاضِ بْنِ أَبِي لَيْبَةَ ، حَتَّى اسْتَنْقَذَاهُ وَهُوَ مَرْتَثٌ . هَذَا حَدِيثٌ طَائِفَةٌ مِنَ النَّاسِ ، وَالْحَدِيثُ الْآخِرُ قِتَالُهُمْ فِيمَا بَيْنَ دَيْرِ أَبِي مَرْيَمَ إِلَى بَرَّازِ الرَّوْزِ . ثُمَّ إِنَّ الْجَزَلَ كَتَبَ إِلَى الْحِجَااجِ .

قال : وأقبل شبيب حتى قطع دجلة عند الكرخ ، وبعث إلى سرق بغداد فأمنهم ، وذلك اليوم يوم سوقهم ، وكان بلغه أنهم يخافونه ، فأحسب أن يؤمنهم ، وكان أصحابه يريدون أن يشتروا من السوق دواب وثياباً وأشياء ليس لهم منها بد ، ثم أخذ بهم نحو الكوفة ، وساروا أول الليل حتى نزلوا عقر الملك الذي يلي قصر ابن هبيرة . ثم أغلّد السير من الغد ، فبات بين حمام عمر بن سعد وبين قسبين . فلما بلغ الحجاج مكانه ٩١١/٢ بعث إلى سويد بن عبد الرحمن السعدي ، فبعثه في ألبي فارس نقاوة ، وقال له : اخرج إلى شبيب فآلقه ، واجعل ميمنة وميسرة ، ثم انزل إليه في الرجال فإن استطرد ذلك فدعه ولا تتبعه . فخرج فمسك بالسيبحة ، فبلغه أن شبيباً قد أقبل ، فأقبل نحوه وكأنهما يساقون إلى الموت ، وأمر الحجاج عثمان ابن قطن فمسك بالناس بالسيبحة^(١) ، ونادى : ألا برئت الذمة من رجل من هذا الجند بات الليلة بالكوفة لم يخرج إلى عثمان بن قطن بالسيبحة ! وأمر سويد بن عبد الرحمن أن يسير في الألفين اللذين معه حتى يلقى شبيباً فعبس بأصحابه إلى زرارة وهو يعبتهم ويحرضهم إذ قيل له : قد غشيتك شبيب ، فنزل ونزل معه جمل أصحابه ، وقد رم رايته ومضى إلى أقصى زرارة ، فأخبر أن شبيباً قد أخبر بكائك فتركك ، ووجد مخاضة فعبر الفرات وهو يريد الكوفة من غير الوجه الذي أنت به . ثم قيل له : أما تراهم ! فنادى : في أصحابه ، فركبوا في آثارهم .

وإن شبيباً أتى دار الرزق^(٢) ، فنزلها ، فقيل : إن أهل الكوفة بأجمعهم معسكرون بالسيبحة ، فلما بلغهم مكان شبيب صاح^(٣) بعضهم ببعض

(١) ب ، ف : « في السبحة » :

(٢) ف : « الزرق » .

(٣) ا : « ماج » .

وجالوا ، وهمّوا أن يَدْخُلوا الكوفة حتّى قيل لهم : إنّ سويد بن عبد الرحمن في آثارهم قد لحقهم وهو يقاتلهم في الخيل .

قال هشام : وأخبرني عمرُ بنُ بشير، قال : لَمَّا نزل شبيب الدّير أمر ٩١٢/٢
بغتم تهيّأ له ، فصعد الدّ هقان ، ثمّ نزل وقد تغيّر لونه ، فقال : مالك ا
قال : قد والله جاءك جمعٌ كثير ؛ قال : أبلغ الشّواء بعدُ ؟ قال : لا ، قال : دَعْنِه .
قال : ثمّ أشرف لإشرافةٍ أخرى ، فقال : قد والله أحاطوا بالجوسق ، قال :
هات شيواءك ، فجعل يأكل غير مكترث لهم ، فلما فرغ توضأ وصلّى
بأصحابه الأولى ، ثمّ تقلّد سيفين بعدما لبس درعه ، وأخذ عمود حديد
ثمّ قال : أسرجوا لي البغلة ، فقال أخوه مصاد : أفى هذا اليوم تُسرج
بغلة ! قال : نعم أسرجوها ، فركبها ، ثمّ قال : يا فلان ، أنت على الميسنة
وأنت يا فلان على الميسرة ، وقال لمصاد : أنت في القلب ، وأمر الدّ هقان
ففتح الباب في وجوههم . قال : فخرج إليهم وهو يحكمهم ، فجعل سعيد
وأصحابه يرجعون القهقري حتّى صار بينهم وبين الدّير نحو من ميل .
قال : وجعل سعيد يقول : يا معشر همدان ، أنا ابن ذى مُرّان ، إلى إلى .
ووجه سيرباً مع ابنه وقد أحسّ أنّها تكون عليه ، فنظّر شبيب إلى مصاد
فقال : أنككتنيك الله إن لم أأكله ولّده . قال : ثمّ علاه بالعمود ،
فستقطّ ميتاً ، وانهمز أصحابه وما قُتل بينهم يومئذٍ إلّا قتيل واحد . قال :
وانكشف أصحابُ سعيد بن مجالد حتّى أتوا الجَزَل ، فناداهم الجزل : أيها
الناس ، إلى إلى . وناداهم عياض بنُ أبي لينة : أيها الناس ، إن يكن
أميركم هذا القادمُ قد هلك فهذا أميركم الميمون النقيبة ، أقبلوا إليه ، ٩١٣/٢
وقاتلوا معه ؛ فمنهم من أقبل إليه ، ومنهم من ركب رأسه منهزماً ، وقاتل
الجزلُ قتالا شديداً حتّى صرع ، وقاتل عنه خالدُ بن نهيك وعياض
ابن أبي لينة حتّى استنقدها وهو مُرتت ، وأقبل الناسُ منهزمين
حتّى دخلوا الكوفة ، فأتى بالجزل حتى أدخل المدائن ، وكُتب إلى
الحجاج بن يوسف .

قال أبو ميخنف : حدثني بذلك ثابتٌ مولى زهير :

أمّا بعد ، فإني أخبر الأمير أصلححه الله أني خرجت فيمن قبلي من
الجند الذي وجهني إلى عدوه ، وقد كنت حفظت عهد الأمير إلى فيهم
ورأيت ، فكنت أخرج إليهم إذا رأيت الفرصة ، وأحبس الناس عنهم إذا
خشيت الورطة ، فلم أزل^(١) كذلك ، ولقد أرادني العدو بكل ريدة^(٢) فلم
يُصيب مني غيرة ، حتى قدم على سعيد بن مجالد رحمة الله عليه ، ولقد أمرته
بالتوادة ، ونهيتني عن العجلة ، وأمرته ألا يقاتلهم إلا في جماعة الناس
عامّة فعصاني ، وتمجّل إليهم في الخيل ، فأشهدت عليه أهل المصيرين
أنني بريء من رأيه الذي رأى ، وأنني لا أهوى ما صنع . ففضي فأصيب تجاوز
الله عنه ، ودفع الناس إلى ، فنزلت ودعوتهم إلى ، ورفعت لهم رأيتي ،
وقاتلت حتى صرعت ، فحملني أصحابي من بين القتلى ، فافقت إلا وأنا
على أيديهم على رأس ميل من المعركة ، فأنا اليوم بالمداخن في جراحة قد يموت
الرجل من دونها ويعافى من مثلها . فليسأل الأمير أصلححه الله عن نصيحتي
له ولجنده ، وعن مكابلي عدوه ، وعن موقفي يوم البأس ، فإنه يستبين له
عند ذلك أني قد صدقته ونصحت له . والسلام .

فكتب إليه الحجّاج :

أمّا بعد ، فقد أتاني كتابك وقرأته ، وفهمت كل ما ذكرت فيه ، وقد
صدقتك في كل ما وصفت به نفسك من نصيحتك لأميرك ، وحيث أنك
على أهل مصرك ، وشدت على عدوك ، وقد فهمت ما ذكرت^(٣) من أمر
سعيد وعجلته إلى عدوه ، فقد رضيت عجزته وتؤدتك ، فأما عجلته
فإنها أفضت به إلى الجنة ، وأمّا تؤدتك فإنها لم تدع الفرصة إذا أمكنت ،
وترك الفرصة إذا لم تمكن حزم ، وقد أصبت وأحسن البلاء ، وأجرت^(٤) ،
وأنت عندي من أهل السمع والطاعة والنصيحة ، وقد أشخصت إليك حيّان

(١) ب ، ف : « فإذا لم » .

(٢) أي بكل نوع من أنواع الإرادة . وفي ط : « إرادة » وأثبت ما في ا

(٣) ب ، ف : « ذكرته » .

(٤) أجرت ، أي لقيت الأجر .

ابن أبحر ليداويك ويعالج جراحتك ، وبعثتُ إليك بألفي درهم فأنفقها في حاجتك^(١) وما ينويك . والسلام .

فقدِم عليه حَيَّانُ بنُ أبحر الكِنَانِي من بني فِرَاس - وهم يعالِجون الكَتِي وغيره - فكان يداويه ، وبعث إليه عبد الله بن أبي عَصَيْفِير بألف درهم ، وكان يعودُه ويتعاهدُه باللَّطَف والمُدِيَّة . قال : وأقبل شبيب نحو المدائن ، فعلم أنه لا سبيل له إلى أهلها مع المدينة ، فأقبل حتى انتهى إلى الكرخ ، فعبردجلة إليه ، وبعث إلى أهل سوق بَغْدَاد وهو بالكِرْخ أن اثبتوا في سوقكم فلا بأس عليكم - وكان ذلك يوم سوقهم - وقد كان بلغه أنهم يخافونه . ٩١٥/٢ قال : ويخرُج سُويِد حتى جعل بيوت مزيّنة وبني سُليم في ظهره وظهور أصحابه ، وحمل عليهم شبيب حملةً منكراً ، وذلك عند المساء ، فلم يقدر منهم على شيء ، فأخذ على بيوت الكوفة نحو الحيرة ، وأتبعه سُويد لا يفارقه حتى قطع بيوت الكوفة كلها إلى الحيرة ، وأتبعه سُويد حتى انتهى إلى الحيرة ، فيجده قد قطع قنطرة الحيرة ذاهباً ، فتركه وأقام حتى أصبح : وبعث إليه الحججاج أن أتبعه فاتبعه ، ومضى شبيب حتى أغار في أسفل القُرَات على من وجد من قومه ، وارتفع في البر من وراء خَمَثَان في أرض يقال لها الغلظة^(٢) ، فيصيب رجالاً من بني الورثة ، فحتمل عليهم ، فاضطروهم إلى جسد من الأرض ، فجعلوا يرمونه وأصحابه بالحجارة من حجارة الأرحاء كانت حولهم ، فلمّا نَقِدَت وصل إليهم فقتل منهم ثلاثة عشر رجلاً ، منهم حنظلة بن مالك ومالك بن حنظلة وحرمان بن مالك ؛ كلهم من بني الورثة .

قال أبو مخنف : حدثني بذلك عطاء بن عرفة بن زياد بن عبد الله الوريثي . ومضى شبيب حتى يأتي بني أبيه على اللصف (ماء لمرهطه) وعلى ذلك الماء الفزري بن الأسود ، وهو أحد بني الصلت ، وهو الذي كان ينهني شبيباً عن رأيه ، وأن يفسد بني عمه وقومه ، فكان شبيب يقول : والله لئن ملكت سبعة أعنة لأغزون الفزري . فلما غشيتهم شبيب ٩١٦/٢

(١) ب ، ف : « جراحتك » .

(٢) ب ، ف : « الغلظة » .

في الخيل سأل عن الفيزر فاتقاه الفيزر ، فخرج على فرس لا تُجَارَى من وراء البيوت ، فذهب عليها في الأرض ، وهرب منه الرجال ، وقد أخاف أهل البادية حتى أخذ على القُطَطُطانة ؛ ثم على قصر مُقَاتِل ، ثم أخذ على شاطئ الفُرات حتى أخذ على الحَصَاصة ، ثم على الأنبار ، ثم مضى حتى دخل دَقُوقاء ، ثم ارتفع إلى أداني آذربيجان . فتركه الحججاج وخرج إلى البصرة ، واستخلف على الكوفة عروة بن المغيرة بن شعبة ، فاشعر الناس بشيء حتى جاء كتاب من ماذرواسب دهقان بابل مهزود وعظيمها إلى عروة بن المغيرة بن شعبة أن تاجرًا من تجار الأنبار من أهل بلادى أتانى فدكر أن شبيبًا يريد أن يدخل الكوفة في أول هذا الشهر المستقبل ، أحببت إعلامك ذلك لتتري رأيك ، ثم لم ألبث إلا ساعة حتى جاءني بجابيان من جباني فحدثاني أنه قد نزل خانيجار . فأخذ عروة كتابه فأدرجه وسرح به إلى الحججاج بالبصرة ، فلما قرأ الحججاج أقبل جوادًا إلى الكوفة ، وأقبل شبيب يسير حتى انتهى إلى قرية يقال لها حرّبي على شاطئ دجلة فعب منها ، فقال : ما اسم هذه القرية ؟ فقالوا : حرّبي ، فقال : حرب يصلني بها عدوكم ، وحرب تدخلونه بيوتهم ، وإنما يتطير من يقوف ويعيف ، ثم ضرب رأيتة وقال لأصحابه : سيروا ، فأقبل (١) حتى نزل عسقرقوفًا ، فقال له سويد بن سليم : يا أمير المؤمنين ، لو تحولت بنا من هذه القرية المشؤمة الاسم ا قال : وقد تطيرت أيضًا والله لا أتحوّل عنها حتى أسير إلى عدوى منها ، وإنما شوؤها إن شاء الله على عدوكم تحمّلون عليهم فيها ، فالتقر لهم .

٩١٧/٢

ثم قال لأصحابه : يا هؤلاء ، إن الحججاج ليس بالكوفة ، وليس دون الكوفة إن شاء الله شيء ، فسيروا بنا . فخرج يبادر الحججاج إلى الكوفة ، وكتب عروة إلى الحججاج أن شبيبًا قد أقبل مسرعًا يريد الكوفة ، فالعجل العجل . فطوى الحججاج المنازل ، واستبقا إلى الكوفة ، ونزلها الحججاج صلاة الظهر ، ونزل شبيب السبحة صلاة المغرب ، فصلّى المغرب والعشاء ، ثم أصاب هو وأصحابه من الطعام شيئًا يسيرًا ، ثم ركبوا خيولهم فدخلوا الكوفة ، فجاء شبيب حتى انتهى إلى السوق ، ثم شد حتى ضرب باب القصر بعموده .

(١) ا : « وأقبل » .

قال أبو المنذر: رأيت ضربة شيب بباب القصر قد أثرت أثراً عظيماً،
ثم أقبل حتى وقف عند^(١) المصنطة، ثم قال:

وكان حافرهما بكل خميلة
كئيل يكيل به شحيح معديم
عبد دعى من ثمود أصله
لا بل يقال أبو أبيهم يقدم

ثم اقتحموا المسجد الأعظم وكان كبيراً لا يفارقه قوم يصلون فيه ،
فقتل عقيل بن مصعب الوادعي وعدى بن عمرو الشقي وأبا لسيث بن أبي
٩١٨/٢ سلميم مولى عتبة بن أبي سفيان ، وقتلوا أزهراً بن عبد الله العامري ، ومروا
بدار حوشب وهو على الشرط فوقوا على بابه وقالوا: إن الأمير يدعو حوشباً ،
فأخرج ميمون غلامه ببردون حوشب ليركبه حوشب ، فكأنه أنكرهم
فظنوا أنه قد اتهمهم ، فأراد أن يدخل ، فقالوا له : كما أنت ، حتى يخرج
صاحبك . فسمع حوشب الكلام ، فأكثر القوم ، فخرج إليهم ، فلمّا رأى
جماعتهم أنكرهم ، وذهب لينصرف ، فعجلوا نحوه ، ودخل وأغلق
الباب ، وقتلوا غلامه ميموناً ، وأخذوا ببردونه ومضوا حتى مروا بالبحاف
ابن نبيط الشيباني من رهط حوشب ، فقال له سويد : انزل إلينا ، فقال
له : ما تصنع بنزولي ! قال له سويد : أقضيك ثمن البكرة التي كنت ابتعت
منك بالبادية ، فقال له بالبحاف : بثس ساعة القضاء هذه الساعة ، وبثس
قضاء الدين هذا المكان ! أما ذكرت أمانتك إلا والليل مظلم ، وأنت على
ظهر فرسك ! قبّح الله يا سويد ديناً لا يصلح ولا يتم إلا بقتل ذوى
القرابة وسفك دماء هذه الأمة .

قال : ثم مضوا فرّوا بمسجد بنى ذهل فلقوا ذهل بن الحارث ، وكان
يصلّى في مسجد قومه فيطيل الصلاة ، فصادفوه منصرفاً إلى منزله ، فشدوا
عليه ليقتلوه ، فقال : اللهم إني أشكو إليك هؤلاء وظلمتهم وجهاتهم .
اللهم إني عنهم ضعيف ، فانتصر لي منهم ! فضر به حتى قتله ، ثم مضوا
٩١٩/٢ حتى خرجوا من الكوفة متوجهين نحو الردمة .

(١) ب ، ف : « على متن » .

قال هشام : قال أبو بكر بن عبيّاش : واستقبلته النّصر بن قعقاع ابن شورّ الذّهليّ ، وأمّه ناجية بنت هاني بن قبيصة بن هاني الشيباني فأبطره حين نظر إليه - قال : يعني بقوله : «أبطره» أفزعه^(١) - فقال : السلام عليك أيّها الأمير ورحمة الله ؛ قال له^(٢) سويد مبادراً : أمير المؤمنين ، ويملك ! فقال : أمير المؤمنين . حتّى خرجوا من الكوفة متوجهين نحو المردمة ، وأمر الحجّاج المنادى فنادى : يا خيل الله اركبى وأبشري ، وهو فوق باب القصر ، وثمّ مصباح مع غلام له قائم ، فكان أول من جاء إليه من الناس عثمان بن قطن بن عبد الله بن الحصين ذى الغنصة ، ومعه مواليه ، وناس من أهله ، فقال : أنا عثمان بن قطن ، أعلموا الأمير مكاني ، فليأمر^(٣) بأمره ، فقال له ذلك الغلام : قف مكانك حتّى يأتيك أمر الأمير ، وجاء الناس من كلّ جانب ، وبات عثمان فيمن اجتمع إليه من الناس حتّى أصبح .

ثمّ إن الحجّاج بعث بسسر بن غالب الأسديّ من بنى والبة في ألف رجل ، وزائدة بن قدامة الثقفيّ في ألفي رجل ، وأبا الضريس مولى بنى تميم في ألف من الموالى ، وأعيّين - صاحب حمّام أعيّين مولى بشر بن مروان - في ألف رجل ، وكان عبد الملك بن مروان قد بعث محمد بن موسى بن طلحة على سجستان ، وكتب له عليها عهده ، وكتب إلى الحجّاج : أمّا بعد ، فإذا قدم عليك محمد بن موسى فجهّز معه ألفي رجل إلى سجستان ، وعجّل سراحه . وأمّر عبد الملك محمد بن موسى بمكاتبة الحجّاج ، فلمّا قدم محمد ابن موسى جعل يتحبّس في الجهّاز ، فقال له نصحاءه : تعجّل أيّها الأمير^(٤) إلى عمّلك ؛ فإنّك لا تدري ما يكون من أمر الحجّاج ! وما يبدو له . فأقام على حاله ، وحدث من أمر شبيب ما حدث ، فقال الحجّاج لمحمد ابن موسى بن طلحة بن عبيد الله : تلقى شبيباً وهذه الخارجة فتجاهدّهم ثمّ تسمّني إلى عمّلك ، وبعث الحجّاج مع هؤلاء الأمراء أيضاً عبد الأعلى بن

(١) ب ، ف : « أهله » .

(٢) ب ، ف : « بمكاني فليأمرني » .

(٣) ب ، ف : « فقال » .

(٤) ب ، ف : « الرجل » .

عبد الله بن عامر بن كُرَيْزِ القُرَشِيِّ وزياد بن عمرو العتسكيّ، وخرج شبيبٌ حيث خرج من الكوفة ، فأقى المردمة وبها رجل من حضرموت على العُشور يقال له ناجية بن مرثد الحضرميّ ، فدخل الحمام ودخل عليه شبيب فاستخرجه فضرب عنقه ، واستقبل شبيب النضر بن القسعة بن شؤر- وكان مع الحججاج حين أقبل من البصرة ، فلما طوى الحججاج المنازل خلفه وراءه- فلما رآه شبيب معه أصحابه عرفه ، فقال له شبيب: يا نضر بن القسعة تآخ ، لآحكم إلا لله - وإنما أراد شبيب^(١) بمقاتلته له تَلْقِينَه ، فلم يفهم النضر - فقال : ﴿ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴾ ، فقال أصحاب شبيب : يا أمير المؤمنين ؛ كأنك إنما تريد بمقاتلتك أن تلقننه . فشددوا ٩٢١/٢ على نضر فقتلوه .

قال : واجتمعت تلك الأمراء في أسفل الفرات ، فترك شبيب الوجه الذي فيه جماعة أولئك القواد ، وأخذ نحو القادسية ، ووجه الحججاج زحر بن قيس في جريدة خيل نقاوة ألف وثمانمائة فارس ، وقال له : أتبع شبيباً حتى تواقعه حيثما أدركته ، إلا أن يكون منطلقاً ذاهباً فاتركه ما لم يعطف عليك أو ينزل فيقيم لك ، فلا تبرح إن هو أقام حتى تواقعه ، فخرج زحر حتى انتهى إلى السيلحين ، وبلغ شبيباً مسيره إليه ، فأقبل نحوه فالتقياً ، فجعل زحر على ميمنته عبد الله بن كسناز النهديّ ، وكان شجاعاً ، وعلى ميسرته عدي بن عدي بن عميرة الكنديّ الشيبانيّ ، وجمع شبيب خيلته كلها كتبكتبة واحدة ، ثم اعترض بها الصف ، فوجف وجيفاً ، واضطرب حتى انتهى إلى زحر بن قيس ، فنزل زحر بن قيس ، فقاتل زحر حتى صرع ، وانهزم أصحابه ، وظنّ القوم أنهم قد قتلوه ، فلما كان في السحر وأصابه البرد قام يتمشّي حتى دخل قرية فبات بها ، وحمل منها إلى الكوفة وبوجهه ورأسه بضع عشرة جراحة ما بين ضربة وطعنة ، فكث أياماً ، ثم أتى الحججاج وعلى وجهه وجراحه القطن ، فأجلسه الحججاج معه على السرير ، وقال لمن حوله : من سرّه أن ينظر إلى رجل من أهل الجنة يمشى بين الناس وهو ٩٢٢/٢

(١) ب ، ف : « تلقينه بمقاتلتك هذه » .

شبهيد فليُنظر إلى هذا . وقال أصحابُ شبيب لشبيب وهم يظنون أنهم قد قتلوا زحرًا : قد هزمتنا لهم جندًا . وقتلنا لهم أميرًا من أمرائهم عظيمًا . انصرف بنا الآن وافرین ، فقال لهم : إن قتلنا هذا الرجل ، وهزمتنا هذا الجند . قد أرعبت هذه الأمراء والجنود التي بعثت في طلبكم ، فاقصدوا بنا قصدهم ، فوالله لئن نحن قتلناهم ما دون الحججاج من شيء وأخذ الكوفة إن شاء الله . فقالوا : نحن لرأيك سمع تبع ، ونحن طوع يدك .

قال : فانقض بهم جوادًا حتى يأتي نَجْران - وهي نَجْران الكوفة ناحية عَيْن التمر - . ثم سأل عن جماعة القوم فخبّر باجتماعهم برؤسبار في أسفل القُرَات في بهتقباد الأسفل . على رأس أربعة وعشرين فرسخًا من الكوفة . فبلغ الحججاج مسيره إليهم ، فبعث إليهم عبد الرحمن بن الغرقي مولى ابن أبي عقيل - وكان على الحججاج كرميًا - فقال له : الحق بجماعتهم - يعني جماعة الأمراء - فأعلمهم بمسير المارقة إليهم . وقل لهم : إن جمعكم قتال فأمرُ الناس زائدة بن قدامة . فأتاهم ابن الغرقي فأعلمهم ذلك . وانصرف عنهم .

قال أبو مخنف : فحدثني عبد الرحمن بن جندب قال : انتهى إلينا شبيب وفيما سبعة أمراء على جماعتهم زائدة بن قدامة ، وقد اعبنى كل أمير أصحابه على حدة ، ففي ميمنتنا زياد بن عمرو العنكي ، وفي ميسرتنا بيشر بن غالب الأسدي ، وكل أمير واقف في أصحابه . فأقبل شبيب حتى وقف على تمل ، فأشرف على الناس وهو على فرس له كُسميت أغر ، فنظر إلى تعبيتهم ، ثم رجع (٢) إلى أصحابه ، فأقبل في ثلاث كتائب يوحفون ، حتى إذا دنا من الناس مضت كتيبة فيها سويد بن سليم ، فتقف في ميمنتنا ، ومضت كتيبة فيها مصاد أخو شبيب ، فوقفت على ميسرتنا ، وجاء شبيب في كتيبة حتى وقف مقابل القلب . قال : وخرج زائدة ابن قدامة يسير في الناس فيما بين ميمنتهم إلى ميسرتهم يجرّض الناس ويقول :

(١) ب ، ف : « فبي » . (٢) ب ، ف : « ورجع » .

يا عبادَ الله ، أنتم الكثيرون الطيبون ، وقد نزل بكم القليلون الحبيثون ، فاصبروا - جُعِلت لكم الفداء - لكررتين أو ثلاث تنكرون عليهم ، ثم هو النَّصْر ليس بينه حاجز ولا دونه شيء . ألا ترون إليهم والله ما يكونون مائتي رجل ، إنَّما هم أكلة رأس ، إنَّما هم السَّرَّاق المَرَّاق ، إنَّما جاءوكم ليُهَيَّرِيقوا دماءكم ، ويأخذوا فسيحكم ، فلا يكونوا على أخذة أقوى منكم على منسعه ، وهم قليل وأنتم كثير ، وهم أهلُ فرقة وأنتم أهلُ جماعة ، غَضُّوا الأبصار ، واستقبلوهم بالأسِنَّة ، ولا تحملوا عليهم حتى أمركم ، ٩٢٤/٢ ثم انصرف إلى موقوفه .

قال : ويحتمل سويد بن سليم على زياد بن عمرو ، فأنكشف صقهم ، وثبت زياد في نحو من نصف أصحابه ، ثم ارتفع عنهم سويد قليلا ، ثم كر عليهم ثانية ، ثم اطعنوا ساعة .

قال أبو مخنف : فحدثني فروة بن لقيط ، قال : أنا والله فيهم يومئذ ، قال : اطعننا ساعة وصبروا لنا حتى ظننت أنهم لن يزولوا ، وقاتل زياد بن عمرو قتالا شديدا ، وجعل^(١) ينادى : يا خيلي ، ويشد بالسيف فيقاتل قتالا شديدا ، فلقد رأيت سويد بن سليم يومئذ وإنه لأشجع العرب وأشد قتالا ، وما يعرض له . قال : ثم إنا ارتفعنا عنهم أخيرا فإذا هم يتقوضون ، فقال له أصحابه : ألا تراهم يتقوضون الاحتمل عليهم ، فقال لهم شبيب : خلوهم حتى يتخففوا ، فتركوهم قليلا ، ثم حمل عليهم الثالثة فانهمزوا . فنظرت إلى زياد ابن عمرو وإنه ليضرب بالسيف^(٢) وما من سيف يضرب به إلا نبا عنه وهو مجفف ، ولقد رأيتته اعتوره أكثر من عشرين سيفا فا ضره من ذلك شيء . ثم إنه انهزم وقد جرح بجراحة يسيرة ، وذلك عند المساء . قال : ثم شددنا على عبد الأعلى بن عبد الله بن عامر فهزماه ، وما قاتلنا كثيرا قتال ، وقد ضارب ساعة ، وقد بلغني أنه كان جرح ثم لحق بزياد بن عمرو ، فضينا منهزمين حتى اتهمنا إلى محمد بن موسى بن طلحة عند المغرب ، فقاتلنا قتالا شديدا وصبر لنا .

(١) ب ، ف : « وحمل » . (٢) ب ، ف : « بالسيف » .

ذكر هشام عن أبي مخنف ، قال : حدثني عبد الرحمن بن جندب وفروة بن لقيط ، أن أخا شبيب مصاداً حمل على بشر بن غالب وهو في الميسرة ، فأبلى وكرّم والله وصبر ، فذول ونزل معه رجال من أهل الصبر نحو من خمسين ، فصاروا بأسيا فهم حتى قتلوا عن آخرهم ، وكان فيهم عروة بن زهير بن ناجذ الأزدي ، وأمه زارة امرأة ولدت في الأزدي ، فيقال لهم بنو زارة ، فلما قتلوه وانهمز أصحابه مالوا فشدوا على أبي الضريس مولى بني تميم ، وهو يلي بشر بن غالب ، فهزموه حتى انتهى إلى موقف أعين ، ثم شدوا عليه وعلى أعين جميعاً فهزموها حتى انتهوا بهما إلى زائدة بن قدامة ، فلما انتهوا إليه نزل ونادى : يا أهل الإسلام ، الأرض الأرض ، إلى إلى ! لا يكونوا على كفرهم أصبر منكم على إيمانكم ؛ فقاتلهم عامة الليل حتى كان السحر . ثم إن شبيباً شد عليه في جماعة من أصحابه فقتله وأصحابه وتركهم ربضة حوله من أهل الحيف .

قال أبو مخنف : وحدثني عبد الرحمن بن جندب قال : سمعت زائدة ابن قدامة ليلتذ رافعاً صوته يقول : يا أيها الناس ، اصبروا وصابروا ، ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴾ . ٩٢٦/٢ ثم والله ما برح يقاتلهم مقبلاً غير مدبر حتى قتل .

قال أبو مخنف : وحدثني فروة بن لقيط أن أبا الصقيسر الشيباني ذكر أنه قتل زائدة بن قدامة ، وقد حاجه في ذلك آخر يقال له الفضل ابن عامر . قال : ولما قتل شبيب زائدة بن قدامة دخل أبو الضريس وأعين جوسقاً عظيماً ، وقال شبيب لأصحابه : ارفعوا السيف عن الناس وادعوهم إلى البيعة ، فدعوهم إلى البيعة عند الفجر .

قال عبد الرحمن بن جندب : فكنت فيمن قدم إليه فبايعه وهو واقف على فرس وخيلته واقفة دونه ، فكل من جاء ليبايعه نزع سيفه عن عاتقه ، وأخذ سلاحه منه ، ثم يدني من شبيب فيسلم عليه بإمرة المؤمنين ، ثم يخلى سبيله . قال : وإننا كذلك إذ انفجر الفجر ومحمد بن

موسى بن طلحة بن عبيد الله في أقصى العسكر ، معه عصابة* من أصحابه قد صبروا ، فلما انفجر الفجر أمر مؤذنه فأذّن ، فلما سمع شبيب الأذان قال : ما هذا ؟ فقال : هذا محمد بن موسى بن طلحة بن عبيد الله لم يبرح ؛ فقال : قد ظننت أن حُقمه وخيلاءه سيحمله على هذا ؛ نَحُوا هؤلاء عَنَّا وانزلوا بنا فلنُصَلِّ . قال : فنزل فأذّن هو ، ثم استقدم فصلى بأصحابه ، فقرأ : ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ﴾ (١) ، و ﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالذِّينِ﴾ (٢) ، ثم سلّم ، ثم ركبوا فحَمَلْ عليهم فانكشفت طائفة من أصحابه ، وثبتت طائفة . قال فروة : فما أنسى قوله وقد غَشِينَاهُ وهو يقاتل بسيفه وهو يقول : ﴿أَلَمْ أَحَسِبَ النَّاسَ أَنْ يَتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ * وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ﴾ (٣) . ٩٢٧/٢

قال : وضارب حتى قتل . قال : فسمعت أصحابي يقولون : إن شبيباً هو الذي قتله . ثم إننا نزلنا فأخذنا ما كان في العسكر من شيء ، وهرب الذين كانوا بايعوا شبيباً ، فلم يبق منهم أحد .

* * *

وقد ذكر من أمر محمد بن موسى بن طلحة غير أبي ميخنف أمراً غير الذي ذكرته عنه ، والذي ذكر من ذلك أن عبد الملك بن مروان كان ولّى محمد بن موسى بن طلحة سجستان ، فكتب إليه الحججاج : إنك عامل كل بلد مرت به ، وهذا شبيب في طريقك . فعدل إليه محمد ، فأرسل إليه شبيب : إنك امرؤ مخدوع ، قد اتقى بك الحججاج ، وأنت جار لك حق ، فانطسقت لما أمرت به ولك الله لا آذيتك ، فأبى إلا محاربتة ، فواقفه شبيب ، وأعاد إليه الرسول ، فأبى إلا قتاله ، فدعا إلى البراز ، فبرز إليه البطين ثم قعب ثم سويد ، فأبى إلا شبيباً ، فقالوا لشبيب : قد رغب عنا إليك ، قال : فما ظنكم هذه (٤) الأشراف ! فبرز إليه شبيب ، وقال (٥) : إني أنشدك الله في دمك ، فإن لك جيواراً . فأبى إلا قتاله ، فحَمَل عليه شبيب فضر به بعضاً حديد

(٢) سورة الماعون: ١ .

(١) سورة الهزّة: ١ .

(٤) ا ، ب ، ف : « هاهم » .

(٣) سورة التنبؤ: ١ - ٣ .

(٥) ب ، ف : « فقال » .

فيها اثنا عشر رطلا بالشأى ، فهشم بها بيضة عليه ورأسه فسقط ، ثم كَفَنَهُ ودفنه ، وابتاع ما غنموا من عسكره ، فبعث به إلى أهله ، واعتذر إلى أصحابه وقال : هو جارى بالكوفة ، ولى أن أهَبَ ما غنمتُ لأهل الرِّدَّةِ . ٩٢٨/٢

قال عمرُ بنُ شَبَّهةَ : قال أبو عبيدة : كان محمد بنُ موسى مع عمر ابن عبيدالله بن معمر بفارس ، وشهد معه قتال أبي قُدَيْبِك وكان على ميمنته ، وشهِير بالنَّجْدَةِ (١) وشدة البأس (٢) وزوجه عمر بنُ عبيدالله بن معمر ابنته أم عثمان وكانت أخته تحت عبد الملك بن مروان - فولاه سَجِسْتَانَ ، فَرَّ بالكوفة وبها (٣) الحجاج بن يوسف ، فقيل للحجاج : إن صار هذا إلى سَجِسْتَانَ مع نجدته وصهره لعبد الملك فلجأ إليه أحدُ مَن تطلب ، منتهك منه ؛ قال : فما الخيلة ؟ قيل : تأتيه وتسلم عليه ، وتذكر نجدته وبأسه وأنَّ شبيباً فى طريقه ، وأنه قد أعياك ، وأنتك ترجو أن يريحَ الله منه على يده ، فيكون له ذكر ذلك وشهرته . ففعل ، فعدل إليه محمد بن موسى بن طلحة بن عبيد الله ، فواقعه شبيب ، فقال له شبيب : إني قد علمتُ خِدَاعَ الحجاج ، وإنما اغتركت ووقى بك نفسه ، وكأني بأصحابك لو قد التقت حلقتهما البطان قد أسلموك ، فصرعت متصرع أصحابك ؛ فأطعنى وانطلق لشأنك ، فإني أنفسُ بك عن الموت ؛ فأبى محمد بن موسى ، فبارزه شبيب فقتله .

* * *

رجع الحديث إلى حديث أبي مخنف . قال عبد الرحمن : لقد كان فيمن بايعه تلك الليلة أبو بردة بن أبي موسى الأشعري ، فلما بايعه قال له شبيب : ألسنتُ أبا بردة ! قال : بلى ؛ قال شبيب لأصحابه : يا أخلاقي ، أبو هذا أحد الحكّامين ، فقالوا : ألا نقتل هذا ؟ فقال : إن هذا لا ذنب له فيما صنع أبوه ؛ قالوا : أجل قال : وأصبح شبيب : فأتى مُقْبِلًا نحو القَصْرِ الَّذِي فِيهِ أَبُو الصُّرَيْسِ وَأَعْيُنِ

(٢) ب ، ف : « واليأس » .

(١) ب : « وكان مشهوراً » .

(٣) ب ، ف : « وفيها » .

فرَموه بالنَّيْل ، وتحصَّننا منه ، فأقام ذلك اليوم عليهم ، ثمَّ شخص عنهم ، فقال له أصحابه : ما دون الكوفة أحد يمنعنا ؛ فنظر فإذا أصحابه قد جُرِّحوا^(١) ؛ فقال لهم : ما عليكم أكثر ممَّا قد فعلتم ، فخرج بهم على نِفْرٍ ، ثمَّ على الصِّرَّة ، ثمَّ على بَسْعَدَاد ، ثمَّ خرج إلى خانِجَتَار فأقام بها .

قال : ولمَّا بلغ الحجَّاج أن شبيبًا قد أخذ نحو نِفْرٍ ظنَّ أنَّه يريد المدائن — وهى باب الكوفة ، ومنَّ أخذ المدائن كان ما فى يده من أرض الكوفة أكثر — فهال ذلك الحجَّاج ، وبعث إلى عثمان بن قَظَن ، ودعاه وسرَّحه إلى المدائن ، وولَّاه منبرها والصلاة ومَعونة جُرْنَحَى كُلِّهَا وخِرَاج الأَسْتان . فخرج مسرعًا حتَّى نزل المدائن ، وعزل الحجَّاجُ عبدَ الله بن أبى عَصِيفِر ؛ وكان بها الجَزَل مقيمًا أشهرًا يُداوى جراحَتَه ، وكان ابن أبى عَصِيفِر يعودُه ويكرمه ، فلمَّا قدم عثمانُ بن قَظَن المدائن لم يَعهده ، ولم يكن يتعاهده ولا يُلطِّفه بشىء ، فقال الجَزَل : اللّهُمَّ زِدْ ابنَ عَصِيفِر جودًا وكرمًا وفضلًا ، ٩٣٠/٢ وزد عثمانَ بن قَظَن ضيقًا وبُخلًا . قال : ثمَّ إنَّ الحجَّاج دعا عبدَ الرحمن بنَ محمد بن الأشعث فقال : انتخبِ الناس ، واخرجْ فى طلب هذا العدوِّ ، فأمره بنُخبَةِ ستَّةِ آلاف ، فانتخب فرُسانَ الناس ووجوههم ، وأخرج من قومه ستِّمائة من كِنْدَةَ وحَضْرَموت ، واستحثَّه الحجَّاجُ بالعسكر ، فعسكر بدير عبد الرحمن ، فلمَّا أراد الحجَّاجُ لإشخاصهم كتب إليهم :

أما بعد ، فقد اعتدتُم عادةَ الأذلاء ، وولَّيتمُ الدُّبرَ يومَ الزَّحْف ، وذلك دأب الكافِرِينَ ، وإنى قد صفحتُ عنكم مرَّةً بعد مرَّة ، ومرَّةً بعد مرَّة . وإنى أقسمُ لكم بالله قَسَمًا صادقًا لئن عدتم لذلك لأوقِعنَّ بكم إيقاعًا أكونُ أشدَّ عليكم من هذا العدوِّ الذى تمهَرُّبون منه فى بطون الأودية والشُعاب ، وتَسْتَرُونَ منه بأثناء الأَنْهارِ والأوَادِ^(٢) الجِبَالِ ، فخافَ من له مَسْعُولٌ على نَفْسِهِ ، ولم يَسْجَعِ عليها سبيلًا ، وقد أَعْدَرَ من أُنذَرَ

وقد أَسْمَعْتَ لَوِّ نَادَيْتَ حَيًّا ولكنْ لا حياةَ لمن تُنادِي^(٣)

(١) كذا فى ا ، وفى ط : « حرجوا » . (٢) لوذ الجبل : جانبه .

(٣) لعمرو بن معد يكرب ، سرح العيون ٤٦٦ .

والسلام عليكم .

قال : ثم سرح ابن الأصم مؤذنته ، فأتى عبد الرحمن بن محمد ابن الأشعث عند طلوع الشمس ، فقال له : ارتحل الساعة وناد في الناس : أن برئت الذممة من رجل من هذا البعث وتجده ناه متخلفاً . فخرج عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث في الناس حتى مرّ بالمدائن فنزل يوماً وليلاً ، وتشترى أصحابه حوائجهم ، ثم نادى في الناس بالرحيل ، فارتحلوا ، ثم أقبلوا حتى دخل على عثمان بن قطن ، ثم أتى الجزل فسأله عن جراحته ، وسأله ساعة وحدثه . ثم إن الجزل قال له : يا بن عم : إنك تسير إلى فرسان العرب وأبناء الحرب ، وأحلاس الخيل ، والله لكأنما خلقوا من ضلوعها ، ثم بنوا على ظهورها ، ثم هم أسند الأجسم ، الفارس منهم أشد من مائة ، إن لم تبدأ به بدأ ، وإن هججهج أقدام ، فإني قد قاتلتهم وبلوتهم ، فإذا أصحرت لهم انتصفوا مني ، وكان لهم الفضل علي ، وإذا خندقت علي وقاتلتهم في مضييق نلت منهم بعض ما أحب ، وكان لي عليهم الظفر ، فلا تلقهم وأنت تستطيع إلا في تعبئة أو في خندق . ثم إنه ودعه ، فقال له الجزل : هذه فرسي الفسيفساء ، خذها فإنها لا تجاري . فأخذها ثم خرج بالناس نحو شبيب ، فلمّا دنا منه ارتفع عنه شبيب إلى دقوقاء وشهز زور ، فخرج عبد الرحمن في طلبه ، حتى إذا كان على التخوم أقام ، وقال : إنمّا هو في أرض الموصل ، فليقاتلوا عن بلادهم أو ليدعوه ، فكتب إليه الحجّاج بن يوسف :

أمّا بعد ، فاطلب شبيباً واسلك في أثره أين سلك حتى تدركه فتقتله أو تسفيهه ، فإنمّا السلطان سلطان أمير المؤمنين والخذ بجنده . والسلام .

فخرج عبد الرحمن حين قرأ كتاب الحجّاج في طلب شبيب ، فكان شبيب يدعه حتى إذا دنا منه بيته ، فيجده قد خندق على نفسه وحذر ، فيمضي ويدعه ، فيتبعه عبد الرحمن ، فإذا بلغه أنّه قد تحمل وأنّه يسير أقبّل في الخيل ، فإذا انتهى إليه وجده قد صفّ الخيل والرجال وأدنى

المرامية ، فلا يصيبُ له غيرةٌ ولا له عيلةٌ ، فيمضي ويدعه .

قال : ولما رأى شبيبُ أنه لا يصيب لعبد الرحمن غيرةٌ ولا يصل إليه ، جعل يَسْخَرُجُ إذا دنا منه عبد الرحمن في خيله ، فينزل على مسيرةِ عشرين فرسخًا ، ثم يقيم في أرض غليظة حَزْنَةٌ^(١) ، فيجىء عبد الرحمن ، فإذا دنا من شبيب ارتحل شبيب فسار خمسةَ عشرَ أو عشرين فرسخًا ، فنزل منزلاً غليظًا خَشَنًا ، ثم يقيم حتى يدنو عبد الرحمن .

قال أبو مخنف : فحدثني عبد الرحمن بن جندب أن شبيبًا كان قد عَدَّ بَ ذلك العسكرَ وشقَّ عليهم ، وأحس دوابَّهم ، ولتَقُوا منه كلَّ بلاء ، فلم يزل عبد الرحمن يتبعه حتى مرَّ به على خانقين ثمَّ على جلولاء ثمَّ على تامراً ، ثمَّ أقبل حتى نزل البت - قرية من قمرى الموصول على تخوم الموصول ، ليس بينها وبين سواد الكوفة إلا نهر يسمى حولايا - قال : وجاء عبدُ الرحمن بنُ محمد بن الأشعث حتى نزل في نهر حولايا وفي راذان^(٢) الأعلى من أرض جُوخَى ، ونزل عواقيل من النهر ، ونزلها عبدُ الرحمن حيث نزلها وهي تُعجبه ، يرى أنَّها مثل الخندق والحصن . قال : ٩٣٣/٢ وأرسل شبيب إلى عبد الرحمن : إنَّ هذه الأيام أيامُ عيدٍ لنا وإكم ، فإن رأيتَ أن تُؤادِعونا حتى تمضي هذه الأيام فافعلوا . فقال له عبدُ الرحمن : نعم ، ولم يكن شيء أحبَّ إلى عبدِ الرحمن من المطاولة والمواذعة . قال : وكتب عثمان بن قُطَظن إلى الحجَّاج :

أما بعد ، فإني أخير الأميرَ أصلحَه اللهُ أن عبد الرحمن بن محمد قد حنَّ جُوخَى ، كلَّها حنَّ كفاً واحداً ، وحنَّ شبيبًا وكسر نخرًا جهاً وهو يأكل أهلها . والسلام .

فكتب إليه الحجَّاج :

أما بعد ، فقد فهمتُ ما ذكرتَ لي عن عبد الرحمن ، وقد استعمرى فعل

(١) كذا في ١ ، وفي ط : « جدية » . (٢) ب ، ف : « وهو في راذان » .

ما ذكرت . فسير إلى الناس فأنت أميرهم ، وعاجل المارقة حتى تلقاهم ،
فإن الله إن شاء الله ناصرٌك عليهم . والسلام .

قال : وبعث الحجاج إلى المدائن مطرف بن المغيرة بن شعبة ، وخرج
عثمان حتى قدم على عبد الرحمن بن محمد ومن معه من أهل الكوفة وهم
مُعسكرون على نهر حوْلاًيا قريباً من البت ، عشية الثلاثاء ، وذلك يوم
الثروية ، فنادى الناس وهو على بغلة : أيها الناس ، اخرجوا إلى عدوكم .
فوثب إليه الناس ، فقالوا : نُنشِدك الله ، هذا المساءُ قد عُشينا ، والناس
لم يُوطئوا أنفسهم على القتال ، فبت الليلة ثم اخرج بالناس على تعبئة .
فجعل يقول : لأناجزتهم ، ولتكوننَّ الفرصة لي أو لهم . فأتاهم عبد الرحمن
فأخذ بعنان دابته ، وناشده الله لما نزل ، وقال ^(١) له عتيل بن شداد السلولي :
٩٣٤/٢ إن الذي تريد من مُناجزتهم الساعة أنت فاعله ^(٢) غدًا ، وهو غدٌ أخيرٌ
لك والناس . إن هذه ساعة رِيحٍ وغبرة ، وقد أُمِيت فانزل ، ثم أبكر بنا إليهم
غدوةً . فنزل ، فسفت عليه الريحُ ، وشقَّ عليه الغبارُ ، ودعا صاحب
الخراج العُلُوج فبَسَنوا له قُبَّةً قَبات فيها ، ثم أصبح يوم الأربعاء ، فجاء
أهل البت إلى شبيب - وكان قد نزل ببسعتهم - فقالوا : أصلحك الله! أنت
ترحم الضعفاء وأهل الجزية ، ويكلمك من تلى عليه ، ويشكون إليك ما نزل
بهم فتنظر لهم ، وتكف عنهم ، وإن هؤلاء القوم جبابرة لا يكلمون ولا
يتسبكون العُدْر ، والله لئن بلغهم أنك مقيم في بيعتنا لتيقتلننا إن قضيتك
أن تترحل عنا ، فإن رأيت فانزل جانب القرية ولا تجعل لهم علينا مقالاً ،
قال : فإني أفعل ذلك بكم ، ثم خرج فنزل جانب القرية . قال : فبات
عثمان ليلته كلها يجرضهم ؛ فلما أصبح - وذلك يوم الأربعاء - خرج بالناس
فاستقبلتهم رِيحٌ شديدة وغبرة ، فصاح الناس إليه ، فقالوا ^(٣) : نُنشِدك الله
أن تخرج بنا في هذا اليوم ، فإن الريح علينا ! فأقام بهم ذلك اليوم ، وأراد
شبيب قتالهم ، وخرج أصحابه ، فلما رأهم لم يسخرجوا إليه أقام ، فلما كان

(١) س : « فقال » .

(٢) ب ، ف : « قادر عليه » .

(٣) ب ، ف : « وقالوا له » .

ليلة الخميس خرج عثمانُ فَعَجَى الناسَ على أرباعِهِمْ ، فجعل كلُّ رُبْعٍ في جانب العسكر ، وقال لهم : اخرجوا على هذه التعبئة ، وسألمم : من كان على ميمنتكم ؟ قالوا : خالدُ بنُ نَهَيْك بنِ قيس الكِنْدِيّ ، وكان على ٩٣٥/٢
ميسرتنا عَقِيل بنُ شَدَّادِ السَّلُولِيّ ، فدعاهما فقال لهما : قفا مواقفكما الَّتِي كُنْتُمَا بِهَا ، فقد وَلَّيْتُكما المَجْنِبَتَيْنِ ، فاثبتا ولا تَنْفِرَا ، فوالله لا أزل حتى يزول نَسْخَلُ راذان عن أصوله . فقالا : ونحن والله الَّذِي لا إله إلا هو لا نَنْفِرُ (١)
حتى نَظْفِرَ أو نُنْقِطَ (٢) ، فقال لهما : جزأكما اللهُ خيراً . ثمَّ أَقَامَ حتى صَلَّى بالناس الغداة ، ثمَّ خرج فجعل رُبْعَ أهل المدينة تيمم وهمَّ سَدَانِ نحوَ نَهرِ حَتَوَلَايا في الميسرة ، وجعل رِبْعَ كِنْدَةَ ورِبْعَةَ مَسَدِجٍ وَأَسَدٍ في الميمنة ، ونزل يمشي في الرَّجَالِ ، وخرج شبيب وهو يومئذ في مائة وأحد وثمانين رجلاً ، فقطع إليهم النَّهْرَ ، فكان هو في ميمنة أصحابه ، وجعل على ميسرته سُؤَيْد بنُ سُلَيْمٍ ، وجعل في القلب مصاد بنُ يزيدَ أَخَاهُ ، وزحفوا وبما (٣) بعضهم لبعض .

قال أبو مخنف : فحدثني النَّضْر بنُ صَالِحِ العَبْسِيّ " أنَّ عثمانَ كان يقول فيكثر : ﴿ لَنْ يَنْفَعَكُمُ الْفِرَارُ إِنْ فَرَرْتُمْ مِنَ الْمَوْتِ أَوْ الْقَتْلِ وَإِذَا لَا تُمْتَعُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ (٤) . أين المحافظون على دينهم ، المحامون عن فيئهم ! فقال عَقِيل بنُ شَدَّادِ بنِ حُبَيْشِ السَّلُولِيّ : لعلني أن أكون أحدَهم ، قُتِلَ أولئك يومَ رُوذِ بَار . ثمَّ قال شبيب لأصحابه : إني حاملٌ على ميسرتهم ممَّا يلي النَّهْرَ ، فلماذا هزمتها فليحمل صاحبُ ميسرتي على ميمنتهم ، ولا يبرح صاحب القلب ٩٣٦/٢ حتى يأتيه أمرى . وحمل في ميمنة أصحابه ممَّا يلي النَّهْرَ على ميسرة عثمانَ بنِ قَسَطَيْنِ فانهزموا ، ونزل عَقِيل بنُ شَدَّادِ فقاتلَ حتى قُتِلَ ، وقُتِلَ يومئذ مالكُ بنُ أُهَيْدِ اللهِ الهَمْدَانِيّ ثمَّ المُرْهَبِيّ (٥) ، عمَّ عِيَّاش بنُ عبد الله بنِ عِيَّاشِ المَسْتَوْفِ ، وجعل يومئذ عَقِيل بنُ شَدَّادِ يقول وهو يُجَالِدُهُمْ :
" لِأَضْرِبَنَّ بِالْحُسَامِ البَسَاتِيرَ ضَرْبَ غُلَامٍ مِنْ سَلُولٍ صَابِرِ

(١-١) ب ، ف : « لا لفر لشهد الله الذي لا إله إلا هو علينا بذلك » .

(٢) ب ، ف : « وتسمى » . (٣) سورة الأحزاب ١٦١ .

(٤) ب ف ، « الموهبي » .

ودخل شبيب عسكرهم ، وحمل سُويد بن سليم في ميسرة شبيب على
 ميمنة عثمان بن قَظَن فهزَمَها ، وعليها خالد بن نهيك بن قيس الكندي ،
 فنزل خالد فقاتل (١) قتالاً شديداً، وحمل عليه شبيب من ورائه وهو على
 رُبع كِنْدَة وربعَة يومئذ ، وهو صاحب الميمنة ، فلم ينثن شبيب حتى علاه (٢)
 بالسيف فقتله ، ومضى عثمان بن قَظَن وقد نزلت معه العرفاء وأشرافُ الناس
 والفرسان نحو القلب، وفيه أخو شبيب في نحو من ستين راجلاً ، فلماً دنا
 منهم عثمانُ بنُ قَظَن شدَّ عليهم في الأشراف وأهل الصبر فصار بهم حتى
 فرقوا بينهم ، وحمل شبيب بالخيال من ورائهم ، فما شعروا إلا والرماح في
 أكفهم تكببتهم لوجوههم ، وعطف عليهم سُويد بنُ سليم أيضاً في
 خياله ، ورجع مصاد وأصحابه ، وقد كان شبيب رجلاً لهم ، فاضطربوا
 ساعة ، وقاتل عثمان بن قَظَن فأحسن القتال. ثم إنهم شدوا عليهم فأحاطوا
 به ، وحمل عليه مصاد أخو شبيب فضربه ضربة بالسيف استدار لها ،
 ثم قال : ﴿ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا ﴾ (٣) . ثم إن الناس قتلوه ، وقتل يومئذ الأبرد بن
 ربيعة الكندي ، وكان على تسل ، فألقى سلاحه إلى غلامه وأعطاه فرسه ،
 وقاتل حتى قُتِل . ووقع عبدُ الرحمن فرآه ابن أبي سبيرة الجعفي وهو على
 بغلة فعرفه ، فنزل إليه فناوله الرمح وقال له : اركب ، فقال عبد الرحمن
 ابن محمد : أينما الرديف ؟ قال ابنُ أبي سبيرة : سبحان الله ! أنت الأمير
 تكون المقدم ، فركب وقال لابن أبي سبيرة : ناد في الناس : الحقوا بدير
 أبي مريم ، فنادى ، ثم انطلقتا ذاهبتين ، ورأى واصلُ بن الحارث السكوني
 فرسَ عبدِ الرحمن الذي حمله عليه العجزلُ يسجول في العسكر ، فأخذها
 بعضُ أصحابِ شبيب ، فظنَّ أنه قد هلك ، فطلبه في القتلى فلم يجده ،
 وسأل عنه فقبيل له : قد رأينا رجلاً قد نزل عن دابته فحمله عليها ، فما أخلفه
 أن يكون إياه ؛ وقد أخذ هاهنا أنفساً . فأتبعه واصلُ بنُ الحارث على
 برذونه ومع واصل غلامه على بغل ، فلماً دنوا منها قال محمد بن
 أبي سبيرة لعبد الرحمن : قد والله لسحق بنا فارسان ، فقال عبدُ الرحمن : فهل

(٢) ب ، ف : « عطف » .

(١) ب ، ف : « وقاتل » .

(٣) الأحزاب : ٣٧ .

غيرُ اثنين؟ فقال : لا ، فقال عبد الرحمن : فلا يعجز اثنان عن اثنين .
قال : وجعل يحدث ابن أبي سبيرة كأنه لا يكثرث بهما ، حتى لحقهما
الرجلان ، فقال له ابن أبي سبيرة : رحمك الله ! قد لحقنا الرجلان ،
فقال له : فانزل بنا ، فنزلا فانتضيا سيفيهما ، ثم مضيا إليهما ، فلما رأهما ٩٣٨/٢
واصبل عرفهما ، فقال (١) لهما : إنكما قد تركما النزول في موضعه ، فلا تنزلا
الآن ، ثم حسر العمامة عن وجهه ، فرفاه فرحبا به ، وقال لابن الأشعث :
إني لمأ رأيتُ فرسك يحوّل في العسكر ظننتك راجلا ، فأتيتك بسيرذوني هذا
لتركيبه ، فترك لابن أبي سبيرة بغلته ، وركب البرذون ، وانطلق
عبدُ الرحمنُ بنُ الأشعث حتى نزل دَيْرَ اليعار ، وأمرَ شبيبُ أصحابه
فرفعوا عن الناس السيف ، ودعاهم إلى البيعة ، فأتاه من بقى من الرجال
فبايعوه ، وقال له أبو الصقير (٢) الخلمي : قتلت من الكوفيّين سبعة في جوف
النهر كان آخرهم رجلا تعلق بثوبي وصاح ، ورهبن حتى رهبتته ، ثم
إني أقدمت عليه فقتلته . وقتل من كندة مائة وعشرون يومئذ وألف من
سائر الناس أو ستمائة ، وقتل عظيم العرفاء يومئذ .

قال أبو مخنف : حدثني قدامة بن حازم بن سفيان الخشعمي
أنه قتل منهم يومئذ جماعة ، وبات عبد الرحمن بن محمد تلك الليلة بدير
اليعار ، فأتاه فارسان فصعدا إليه فوق البيت ، وقام آخرُ قريبا منهما فخلا
أحدُهما بعبد الرحمن طويلا يناجيه ، ثم نزل هو وأصحابه ، وقد كان الناس
يتحدثون أن ذلك كان شيبيا ، وأنه قد كان كاتبه ، ثم خرج عبد الرحمن
آخر الليل فسار حتى أتى دَيْرَ أبي مريم ، فإذا هو بأصحاب الخيل قد وضع ٩٣٩/٢
لهم محمد بن عبد الرحمن بن أبي سبيرة صبر الشعير والقست بعضه على بعض
كأنه القصور ، ونحر لهم من الجزر (٣) ما شاءوا ، فأكلوا يومئذ ، وعكفوا دوابهم ،
واجتمع الناس إلى عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث فقالوا له : إن سمع
شبيب بمكانك أتاك وكننت له غنيمة ، قد ذهب الناس وتفرقوا وقتل خيارهم
فالحق أيها الرجل بالكوفة . فخرج إلى الكوفة ورجع الناس أيضا ، وجاء

(١) ب ، ف : « وقال » . (٢) ط : « الصفر » . (٣) ا : « الجزور » .

فاختبأ من الحججاج حتى أخذ الأمان بعد ذلك .

* * *

[نقش الدنانير والدرهم بأمر عبد الملك بن مروان]

وفي هذه السنة أمر عبد الملك بن مروان بنقش الدنانير والدرهم .
ذكر الواقدي : أن سعد بن راشد حدثه عن صالح بن كيسان بذلك .
قال : وحدثني ابن أبي الزناد ، عن أبيه ، أن عبد الملك ضرب
الدرهم والدنانير عامتد ، وهو أول من أحدث ضربها .
قال : وحدثني خالد بن أبي ربيعة ، عن أبي هلال ، عن أبيه ،
قال : كانت مئاقيل الجاهلية التي ضرب عليها عبد الملك اثنين وعشرين
قيراطاً إلا حبة ، وكان العشرة وزن سبعة .

قال : وحدثني عبد الرحمن بن جرير الليثي عن هلال بن أسامة قال :
سألت سعيد بن المسيب في كتم تجيب الزكاة من الدنانير ؟ قال : في كل
عشرين مثقالاً بالشأمي نصف مثقال ، قلت : ما بال الشأمي من المصري ؟
قال : هو الذي تضرب عليه الدنانير . وكان ذلك وزن الدنانير قبل أن تضرب
الدنانير ، كانت (٢) اثنين وعشرين قيراطاً إلا حبة ، قال سعيد . قد عرفته ،
قد أرسلت بدنانير إلى دمشق فضربت على ذلك .

* * *

وفي هذه السنة : وفد يحيى بن الحَكَم على عبد الملك بن مروان
وولي أبان بن عثمان المدينة في رجب .
وفيها استقضي أبان بن نوفل بن مساحق بن عمرو بن خديش من
بني عامر بن لؤي .

وفيها ولي مروان بن محمد بن مروان .
وأقام الحج للناس في هذه السنة أبان بن عثمان وهو أمير على المدينة ،
حدثني بذلك أحمد بن ثابت ، عن ذكره ، عن إسحاق بن عيسى ،
عن أبي معشر ، وكذلك قال الواقدي .

وكان على الكوفة والبصرة الحججاج بن يوسف ، وعلى خراسان أمية بن
عبدالله بن خالد ، وعلى قضاء الكوفة شريح ، وعلى قضاء البصرة زرارعة بن أوفى .

ثم دخلت سنة سبع وسبعين

[محاربة شبيب عتاب بن ورقاء وزهرة بن حوية وقتلهما]

ففي هذه السنة قتل شبيب عتّاب بن ورقاء الرياحي وزهرة بن حوية

* ذكر الخبر عن سبب مقتلهما :

٩٤١/٢ وكان سبب ذلك فيما ذكر هشام^(١) عن أبي مخنف ، عن عبد الرحمن ابن جندب وفرّوة بن لثقيط ، أن شبيباً لما هزم الجيش الذي كان الحجّاج وجهه^(٢) مع عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث إليه ، وقتل عثمان ابن قطن ، وذلك في صيفٍ وحرٍّ شديد ، اشتدّ الحرّ عليه وعلى أصحابه ، فأتته ما بهنّ إذاً فتصيّف بها ثلاثة أشهر ، وأتاه ناسٌ كثيرٌ ممن يطلب الدنيا فلحقّوا به ، وناسٌ ممن كان الحجّاج يطلبهم بمال أو تباعات ؛ كان منهم رجلٌ من الحمي يقال له الحرّ بن عبد الله بن عوف ، وكان دهقانان من أهل نهر درقيط قد أساءا إليه وضيّقا عليه ، فشدد عليهما فقستلهما ، ثم لحق بشبيب فكان معه بماء ، وشهيد معه مواظنه حتى قُتل ، فلما آمن الحجّاج كلٌّ من كان خروجه إلى شبيب من أصحابه المال والتباعات - وذلك بعد يوم السبت - خرج إليه الحرّ فيمن بخرج ، فجاء أهل الدهقانين يستعدون عليه الحجّاج ، فأتى به فدخل ، وقد أوصى ويثيس من نفسه ، فقال له الحجّاج : يا عدو الله ، قتلت رجُلين من أهل الخراج ! فقال له : قد كان أصلحك الله ما هو أعظم من هذا ، فقال : وما هو ؟ قال : خروجي من الطاعة وفراق الجماعة ، ثمّ آمنت كلٌّ من خرج إليك ، فهذا أمانى وكتابك لي . فقال له الحجّاج : أولى لك ! قد لتعمري فعلتُ ، وخصمتي سبيلته .

قال : ولما انفسخ الحرّ عن شبيب خرج من ماه في نحو من ثمانمائة رجل ، فأقبل نحو المدائن وعليها مطرف بن المغيرة بن شعبه ، فجاء

(١) ب ، ف بعدها : « بن محمد » . (٢) ب ، ف : « وجهه الحجّاج » .

حتى نزل قناطر حذيفة بن اليمان، فكتب ما ذروا سب عظيم بابل مهروذ إلى الحجّاج :

أمّا بعد : فإنّي أخبر الأمير أصلحه الله أن شبيباً قد أقبل حتى نزل قناطر حذيفة ، ولا أدري أين يريد !

فلما قرأ الحجّاج كتابه قام في الناس فحمد الله وأثنى عليه ثمّ قال : أيها الناس ، والله لتقاتلنّ عن بلادكم وعن فيسيثكم أو لأبعثنّ إلى قوم هم أطوع وأسمع وأصبر على اللأواء والغیظ منكم ، فيقاتلون عدوكم ، ويأكلون فيثكم .

فقام إليه الناس من كلّ جانب ، فقالوا : نحن نقاتلهم ونعتب الأمير ، فليندبنا الأمير إليهم فإننا حيث سرّه . وقام إليه زهرة بن حوية وهو شيخ كبير لا يستمّ قائماً حتى يؤخذ بيده . فقال له : أصلح الله الأمير ! إنك إنمّا تبعث إليهم الناس متقطّعين ، فاستنفر الناس إليهم كافةً فليستفروا إليهم كافةً^(١) ، وابعث عليهم رجلاً ثبّتاً شجاعاً مجرباً للحرب ممّن يرى الفرار هضمّاً وعاراً والصبر مجداً وكرماً . فقال الحجّاج : فأنت ذاك فاخرج ، فقال : أصلح الله الأمير ! إنمّا يصلح للناس في^(٢) هذا رجل يحتمل الرمح والدرع ، ويهزّ السيف ، ويثبت على متن الفرس ، وأنا لا أطيق من هذا شيئاً ، وقد ضعف بصري وضعفت ، ولكن أخرجني في الناس مع الأمير ، فإنّي إنمّا أثبت على الراحلة^(٣) فأكون مع الأمير في عسكره وأشير عليه برأى . فقال له الحجّاج : جزاك الله عن الإسلام وأهله في أول الإسلام خيراً ، وجزاك الله عن الإسلام في آخر الإسلام خيراً ، فقد نصحت وصدقت ، أنا مخرجُ الناس كافةً . ألاّ فسروا أيّتها الناس . فانصرف الناس فجعلوا يسرون وليس يبدرون من أميرهم !

وكتب الحجّاج إلى عبد الملك بن مروان :

أمّا بعد ، فإنّي أخبر أمير المؤمنين أكرمه الله أن شبيباً قد شارف المدائن وإنمّا يريد الكوفة ، وقد عجز أهل الكوفة عن قتاله في مواطن كثيرة ، في

(١) كذا في ١ ، وفي ط : « فليستفروا إليهم » (٢) ١ ، س : « الناس في هذا » .

(٣) س : « الرجالة » .

كلها يقتلُ أمراءهم ، ويقتلُ جنودهم ؛ فإن رأى أمير المؤمنين أن يبعث إلى أهل الشام فيقاتلوا^(١) عدوهم ويأكلوا بلادهم فليُفعل ، والسلام .

فلما أتى عبد الملك كتابه بعث إليه سُفَيان بن الأبرد في أربعة آلاف ، وبعث إليه حبيب بن عبد الرحمن الحكمي^(٢) من مَدْحَج في ألفين ، فسرحهم حين أتاه الكتاب إلى الحجَّاج ، وجعل أهل الكوفة يتجهزون إلى شبيب ولا يدرون من أميرهم ! وهم يقولون : يبعث فلاناً أو فلاناً ، وقد بعث الحجَّاج إلى عتَّاب بن ورقاء ليأتيه وهو على خييل الكوفة مع المهلب ، وقد كان ذلك الجيش من أهل الكوفة هم الذين كان يشُرُّ بن مروان بعث عبد الرحمن بن مخنف عليهم إلى قطرى ، فلم يلبث عبد الرحمن بن مخنف إلا نحواً من شهرين حتى قدم الحجَّاج على العراق ، فلم يلبث عليهم عبد الرحمن بن مخنف . بعد قدوم الحجَّاج إلا رَجَبَ وشعبان ، وقتل قطرى عبد الرحمن في آخر رمضان ، فبعث الحجَّاج عتَّاب بن ورقاء على ذلك الجيش من أهل الكوفة الذين أصيب فيهم عبد الرحمن ابن مخنف ، وأمر الحجَّاج عتَّاباً بطاعة المهلب ، فكان ذلك قد كَبُرَ على عتَّاب ، ووقع بينه وبين المهلب شرٌّ ، حتى كتب عتَّاب إلى الحجَّاج يستعفيه من ذلك الجيش ويضمه إليه ، فلما أن جاءه كتاب الحجَّاج بإتيانه سرَّ بذلك .

قال : ودعا الحجَّاج أشراف أهل الكوفة ؛ فيهم زُهْرَةُ بن حَوَيْتَةَ السَّعْدِيُّ من بنى الأعرج ، وقَبِيصَةُ بن والِق التَّغْلَبِيُّ ، فقال لهم : من ترون أن أبعث على هذا الجيش ؟ فقالوا : رأيتك أيها الأمير أفضل ؛ قال : فلاني قد بعثتُ إلى عتَّاب بن ورقاء ؛ وهو قادمٌ عليكم الليلة أو القابلة ، فيكون هو الذي يسير في الناس^(٣) ؛ قال زُهْرَةُ بن حَوَيْتَةَ : أصلح الله الأمير ! رميتهمُ بحجرهم ، لا والله لا يرجع إليك حتى يظفر أو يقتل . وقال له قَبِيصَةُ بن والِق : إني مشيرٌ عليك برأى ، فإن يكن خطأ فبعد

(١) ب ، ف : « فليقاتلوا » . (٢) بعدها في ب ، ف : « من حكم سعد العشيبة » .

(٣) ب ، ف : « بالناس » .

اجتهادى فى النصيحة لأمير المؤمنين وللأمير ولعامّة المسلمين ، وإن يك صواباً فالله سدّدنى له ؛ إنّنا قد تحدّثنا وتحدّث الناس أن جيشاً قد فصل إليك من قبيل الشام ، وأن أهل الكوفة قد هزّموا وفلّسوا واستخفّوا بالصبر ، وهان عليهم عارُ الفرار . فقلوبهم كأنّها ليست فيهم ، كأنّما هى فى قوم آخرين ، فإن رأيت أن تبعث إلى جيشك الذى أمّدت به من أهل الشام . فياخذوا حذرهم ، ولا يبيتوا إلّا وهم يرون أنّهم مبيّتون فعلت ، فإنك تُحارب حوّلاً قلبياً ، ظمّاناً رحّالاً ، وقد جهّزت إليه أهل الكوفة ولست واثقاً بهم كلّ الثقة ، وإنما إخوانهم هؤلاء القوم الذين بعثوا إليك من الشام . إن شبيباً بينا هو فى أرض إذ هو فى أخرى ، ولا آمن أن يأتيتهم وهم غارون فإن يسهلكوا نهلك ويهلك العراق . فقال : لله أنت ! ما أحسن ما رأيت ! وما أحسن ما أشرت به على !

قال : فبعث عبد الرحمن بن الغريق مولى عتّيل إلى منّ أقبل من أهل الشام ، فأتاهم وقد نزلوا هيت بكتاب من الحجّاج :
 أمّا بعد ، فإذا حاذيتهم هيت^(١) فدعوا طريق الفرات والأنبار ، وخذوا على عين التمرحتى تقدّموا الكوفة إن شاء الله ؛ وخذوا حذرکم ، وعجلوا السّير . والسلام .

٩٤٦/٢

فأقبل القوم سراعاً . قال : وقدم عتّاب بن ورقاء فى اللّيلة التى قال الحجّاج إنّّه قادم عليكم فيها ؛ فأمره الحجّاج فخرج بالناس فمسكر بهم بحمام أعين ، وأقبل شبيب حتى انتهى إلى كلسواذاً فقطع منها دجلة ، ثمّ أقبل حتّى نزل مدينة بهرّسير الدنيا . فصار بينه وبين مطرف بن المغيرة ابن شعبة بجسر دجلة .

فلما نزل شبيب مدينة بهرّسير قَطَعَ مطرف الجسر ، وبعث إلى شبيب : أن ابعث إلى رجالا من وجوه أصحابك أدارسهم القرآن ، وأنظر فيما تدعو إليه . فبعث إليه شبيب رجالاً من وجوه أصحابه ؛ فيهم قعنب وسويد والحلّل ، فلما أرادوا أن ينزلوا فى السفينة بعث إليهم شبيب الّا

(١) : « فإذا حاربتم هيت » .

تدخلوا السفينة حتى يرجع إلى رسول من عند مطرف ، فرجع الرسول .
 وبعث إلى مطرف أن ابعث إلى من أصحابك بعدد أصحابي يكونوا
 رهناً في يدي حتى تردّ علي أصحابي . فقال مطرف لرسوله : القنه وقل
 له : كيف آمنك أنا على أصحابي إذا أنا بعثتهم الآن إليك ، وأنت
 لا تأمنني على أصحابك ! فرجع الرسول إلى شبيب فأبلغه ، فأرسل إليه
 شبيب : إنك قد علمت أننا لا نستحلّ الغدر في ديننا ، وأنتم تفعلونه
 وتستحلّونه ، فبعث إليه مطرف الربيع بن يزيد الأمدني وسليمان بن
 حذيفة بن هلال بن مالك المزني ويزيد بن أبي زياد مولاه وصاحب حرّسه ،
 فلما صاروا في يدي^(١) شبيب سرح إليه أصحابه ، فأتوا مطرفاً فكشوا أربعة
 أيام يراسلون ، ثم لم يتفقوا على شيء ، فلما تبين لشبيب أن مطرفاً غير
 تابع ولا داخل معه تهيأ للمسير إلى عتّاب بن ورقاء وإلى أهل الشام .

٩٤٧/٢

قال أبو مخنف : فحدثني فروة بن لقيط أن شبيباً دعا رعويس
 أصحابه فقال لهم : إنّه لم يشطني على رأي قد كنت رأيته إلا هذا الشقي
 منذ أربعة أيام ، قد كنت حدثت نفسي أن أخرج في جريدة خيل حتى
 ألقى هذا الجيش المقبل من الشام رجاء أن أصادف غيرتهم أو يتحدروا
 فلا أبالي كنت ألقاهم منقطعين من الميصر ، ليس عليهم أمير كالحجاج
 يستندون إليه ولا ميصر كالكوفة يتعصمون به ؛ وقد جاءني عيونني اليوم
 فخبروني أن أوائلهم قد دخلوا عين التمر ، فهم الآن قد شارفوا الكوفة ،
 وجاءني عيونني من نحو عتّاب بن ورقاء فحدثوني أنه قد نزل بجماعة أهل
 الكوفة الصراة ، فأقرب ما بيننا وبينهم فتيستروا بنا للمسير إلى عتّاب بن ورقاء .

قال : وخاف مطرف أن يبلغ خبره وما كان من إرساله إلى شبيب
 الحجاج ، فخرج نحو الجبال ، وقد كان أراد أن يقيم حتى ينظر ما يكون
 بين شبيب وعتّاب ، فأرسل إليه شبيب : أمّا إذ لم تبايعني فقد نبت إليك
 على سواء ، فقال مطرف لأصحابه : اخرجوا بنا وافرّين فإن الحجاج
 سيقاتلنا ، فيقاتلنا وبنا قوة أمثل . فخرج ونزل المدائن ، فعمد شبيب الجسر ،

٩٤٨/٢

(١) ب ، ف : « يد شبيب » .

وبعث إلى المدائن أخاه مصادًا ، وأقبل إليه عتّاب حتى نزل بسوق حكمة ، وقد أخرج الحجّاج جماعة أهل الكوفة مقاتلتهم ، ومن نشط إلى الخروج^(٢) من شبابهم^(٣) ، وكانت مقاتلتهم أربعين ألفاً سوى الشباب ، ووافى مع عتّاب يومئذ أربعون ألفاً من المقاتلة وعشرة آلاف من الشباب بسوق حكمة ، فكانوا خمسين ألفاً ، ولم يدع الحجّاج قرشياً ولا رجلاً من بيوتات العرب إلا أخرجته .

قال أبو مخنف : فحدثني عيدُ الرحمن بنُ جندب ، قال : سمعتُ الحجّاج وهو على المنبر حين وجهه عتّاباً إلى شبيب في الناس وهو يقول : يا أهل الكوفة ، اخرجوا مع عتّاب بنِ ورقاء بأجمعكم ، لا أرخص لأحد من الناس في الإقامة إلا رجلاً قد وليناه من أعمالنا . ألا إن للصّابِر المجاهد الكرامة والأثرة ، ألا وإنّ للناكل الهارب^(٤) الهوان والجفوة . واللّدى لا إله غيره لئن فعلتم في هذا الوطن كفعليكم في المواطن التي كانت لأوليينكم كنفأ خشناً ، ولأعرُكنكم بكلّكلٍ ثقيل . ثم نزل ، وتوافى الناس مع عتّاب بسوق حكمة .

قال أبو مخنف : فحدثني فروة بنُ لقيط ، قال : عرضنا شبيباً بالمدائن فكننا ألف رجل ، فقام فينا فحميد الله وأثنى عليه ثم قال : يا معشر المسلمين ، إنّ الله قد كان ينصركم عليهم وأنتم مائة ومائتان وأكثر من ذلك قليلاً ، وأنقص منه قليلاً ، فأنتم اليوم مئون ومئون ، ألا إني مصلّ الظهر ثم سائر بكم . فصلّى الظهر ثم نُودي في الناس : يا خيل الله اركبي وأبشيري ، فخرج في أصحابه ، فأخذوا يتخلفون ويتأخرون ، فلمّا جاوَزنا ساباط ونزلنا معه قصص علينا وذكرنا بأيام الله ، وزهدنا في الدنيا ، ورغبنا في الآخرة ساعةً طويلة ، ثم أمر مؤذنه فأذن ، ثم تقدّم فصلّى بنا العصر ، ثم أقبل حتى أشرف بنا على عتّاب بنِ ورقاء وأصحابه ، فلما أن رأهم من ساعته نزل وأمر مؤذنه فأذن ، ثم تقدّم فصلّى بنا المغرب ،

٩٤٩/٢

(١) ا: «على المدائن» . (٢) ب، ف: «للخروج» . (٣) ب، ف: «من شبابهم» .

(٤) ب، ف: «للكاثل والهاب» : ا «للكايل الهارب» .

وكان مؤذنه سلام بن سَيَّار الشَّيبَانِي ، وكانت عيونُ عَتَّاب بن وراق قد جاءوه فأخبروه أنَّه قد أقبل إليه ، فخرَج بالناس كلَّهم فعبأهم ، وكان قد خندق أول يوم نزل ، وكان يُظهِر كلَّ يوم أنَّه يريد أن يسير^(١) إلى شبيب بالمدائن^(٢) ، فبلغ ذلك شبيباً ، فقال : أسيرُ إليه أحبُّ إلى من أن يسير إلى ، فاتاه ، فلمَّا صَفَّ عَتَّاب الناسَ بعثَ على ميمنته محمد بن عبد الرحمن بن سعيد بن قيس ، وقال : يا بن أخي ، إنَّك شريف فاصبر وصابر ، فقال : أمَّا أنا فوالله لأقاتلنَّ ما ثبتت معي لإنسان. وقال لقبيصة بن والقي - وكان يومئذ على ثلث بني تغلب : اكفني الميسرة ، فقال : أنا شيخٌ كبير ، كثيرٌ مني أن أثبت^(٣) تحت رأيتي ، قد انبت مني^(٤) القيام ، ما أستطيع القيام إلَّا أن أقام ؛ ولكنَّ هذا عبيد الله بن الحليس ونعيم بن عليم التغلبيَّان - وكان كل واحد منهما على ثلث من أثلاث تغلب - فقال : ابعث أيتهما أحببت ، فأيتهما بعثت فلتبعنَّ ذا حزم وعزم^(٥) وعتاء . فبعث نعيم بن عليم على ميسرته ، وبعث حنظلة بن الحارث اليربوعي - وهو ابن عم عتَّاب شيخ أهل بيته - على الرِّجالة ، وصفَّهم ثلاثة صفوف : صفٌّ فيهم الرجال معهم السيوف ، وصفَّ وهم^(٥) أصحاب الرِّماح ، وصفَّ فيه المرامية ، ثمَّ سار فيما بين الميمنة إلى الميسرة يمرُّ بأهل راية راية ؛ فيحثهم على تقوى الله ، ويأمرهم بالصبر ويتقصَّ عليهم .

قال أبو مخنف : فحدثني حصيرة بن عبد الله أن تميم بن الحارث الأزدي قال : وقف علينا فنقصَّ علينا قصصاً كثيراً ، كان ممَّا حفظتُ منه ثلاث كلمات ؛ قال : يا أهلَ الإسلام ، إنَّ أعظم الناس نصيباً في الجنة الشهداء ، وليس الله لأحد من خلقه بأحمدَ منه للصَّابرين ، ألا ترون أنَّه يقول : ﴿وَأَصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾^(٦) ! فنحمد اللهُ فعلمه فما أعظم

(١ - ١) ب ، ف : « يلق شبيباً بالمدائن وأن يسير إليه » .

(٢) ا : « أبيت » . (٣) ب ، ف : « فقد انبت » .

(٤) ا : « وحد » (٥) ب ، ف : « قبلهم » . (٦) سورة الأنفال: ٤٦ .

درجته ، وليس الله لأحد أمقت منه لأهل البغى ؛ ألا ترون أن عدوكم هذا يستعرض المسلمين بسيفه ، لا يرون إلا أن ذلك لهم قرينة عند الله ! فهم شيرار أهل الأرض وكلاب أهل النار ، أين القصاص ؟ قال ذلك فلم يجبهه والله أحد منّا ؛ فلما رأى ذلك ، قال : أين من يروى شعر عنترة ؟ قال : فلا والله مارّد عليه إنسان كلمة . فقال : إننا لله ! كأني بكم قد فررتم عن عتاب بن ورقاء وتركتموه تسي في امته الريح .

ثم أقبل حتى جلس في القلب معه زهرة بن حوية جالس وعبد الرحمن ابن محمد بن الأشعث وأبو بكر بن محمد بن أبي جهتم العدوي . وأقبل شبيب وهو في ستمائة وقد تخلّف عنه من الناس أربعمائة ، فقال : لقد تخلّف عتّا من لا أحب أن يرمى فينا . فبعث سويد بن سلمي في مائتين إلى الميسرة ، وبعث المحلل بن وائل في مائتين إلى القلب ، ومضى هو في مائتين إلى الميمنة بين المغرب والعشاء الآخرة حين أضاء القمر ، فناداهم : لِمَن هذه الرايات ؟ قالوا : رايات ربيعة . فقال : شبيب : رايات طالما نصرت الحق ، وطالما نصرت الباطل ، لها في كل نصيب ، والله لأجاهدكنم محتسباً للخير في جهادكم ، أنتم ربيعة وأنا شبيب ، أنا أبو المدلّة ، لا حكنم إلا للحكّم ، اثبتوا إن شتم . ثم حمّل عليهم وهو على (١) مسنّة أمام الخندق فقتلهم ، فثبت أصحاب رايات قبيصة بن وائل وعبيد بن الحليس ونعيم بن عليم ، فقتلوا ، وانتهزت الميسرة كلهم وتنادى أناس من بني تغلب : قتل قبيصة بن وائل . فقال شبيب : قتلتم قبيصة بن وائل التغلبي يا معشر المسلمين ! قال الله :

٩٥٢/٢

﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَاتَّبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ﴾ (٢) ، هذا مثل ابن عمكم قبيصة بن وائل ، أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأسلم ، ثم جاء يقاتلكم مع الكافرين ! ثم وقف عليه فقال : ويحك ! لو ثبتت على إسلامك الأول سعدت ، ثم حمل من الميسرة على عتاب بن ورقاء ، وحمل سويد بن سليم على الميمنة وعليها محمد بن عبد الرحمن ،

(٢) سورة الأعراف: ١٧٥ .

(١) « في مسنة » .

فقاتل في الميمنة في رجال من بني تميم وهمئذ ، فأحسنوا القتال ، فما زالوا كذلك حتى أتوا فقيلاً لهم : قُتِلَ عَتَّابُ بنِ ورقاء ، فانقضوا ، ولم يزل عَتَّابُ جالساً على طنفسة في القلب وزهرة بن حويبة معه ، إذ غشيهم شبيب ، فقال له عَتَّابُ : يا زهرة بن حويبة ، هذا يوم كُشِرَ فيه العدد ، وقُتِلَ فيه الغناء ، والهنى على خمسمائة فارس من نحو رجال تميم معي من جميع الناس ! ألا صابراً لعدوه ! ألا مؤاساً بنفسه ! فانقضوا عنه وتركوه ، فقال له زهرة : أحسنت يا عَتَّابُ ، فعلتَ فعلَ مثلك ، والله والله لو منحتهم كتبك ما كان بقاؤك إلا قليلاً ، أبشر فإنى أرجو أن يكون الله قد أهدى إلينا الشهادة عند فناء أعمارنا ، فقال له : جزاك الله خيراً ما جزى أمرًا (١) بمعروفٍ وحائثاً على تقوى .

فلما دنا منه شبيب وثب في عصابة صبرت معه قليلة ، وقد ذهب الناس يمينا وشمالا ، فقال له عمار بن يزيد الكلبى من بني المدينة : أصلحك الله ! إن عبد الرحمن بن محمد قد هرب عنك فانصفت (٢) معه أناس كثير ، فقال له : قد فر قبل اليوم ، وما رأيت ذلك الفتي يبالي ما صنع ، ثم قاتلهم ساعة وهو يقول : ما رأيت كاليوم قط متوطنا لم أبتل بمثله قط أقل مقاتلا ولا أكثر هاربا خاذلا ؛ فراه رجل من بني تغلب من أصحاب شبيب من بنى زيد بن عمرو يقال له عامر بن عمرو بن عبد عمرو ، وكان قد أصاب دما في قومه ، فسحق بشبيب ، وكان من الفرسان ، فقال لشبيب : والله إنى لأظن هذا المتكلم عتَّاب بن ورقاء ! فحمل عليه فطعنسه ، فوقع فكان هو ولي قتلته . ووطئت الخيل زهرة بن حويبة ، فأخذ يدب بسيفه وهو شيخ كبير لا يستطيع أن يقوم ، فجاء الفضل بن عامر الشيباني فقتله ، فانتهى إليه شبيب فوجده صريعا فعرفه ، فقال : من قتل هذا ؟ فقال الفضل : أنا قتلته ، فقال شبيب : هذا زهرة حويبة ، أما والله لئن كنت قتلت على ضلالة لرب يوم من أيام المسلمين قد حسن فيه بلاؤك ، وعظم فيه غناؤك ! ولرب خيل للمشركين قد هزمتها ، وسريته لهم قد

(١) كذا في أ ، وفي ط : « أمر المعروف » . (٢) ب ، ف : « وانصفت منك » .

ذعرتها^(١) وقرية من قراهم جسم^(٢) أهلها قد افتتحتها ، ثم كان في عليم الله أن تُقتل ناصراً للظالمين !

قال أبو مخنف : فحدثني فروة بن لقيط قال : رأينا والله توجع له ، فقال رجل من شبان بكر بن وائل : والله إن أمير المؤمنين منذ الليلة ليتوجع لرجل من الكافرين ! قال : إنك لست بأعرف بضلالتهم مني ، ولكني أعرف من قديم أمرهم ما لا تعرف ؛ ما لو ثبتوا عليه كانوا إخواناً . وقُتِل في المعركة عمار بن يزيد الكلابي ، وقُتِل أبو خشيمة بن عبد الله يومئذ ، واستمكن شبيب من أهل العسكر والناس ، فقال : ارفعوا عنهم السيف ، ودعا إلى البيعة ، فبايعه الناس من ساعتهم ، وهربوا من تحت ليلتهم ، وأخذ شبيب يُبايعهم ، ويقول : إلى ساعة يهربون . وحوى شبيب على ما في العسكر ، وبعث إلى أخيه ، فأتاه من المدائن ، فلماً وافاه بالعسكر أقبل إلى الكوفة وقد أقام بعسكره ببيت قرّة يومين ، ثم توجه نحو وجه أهل الكوفة ، وقد دخل سفيان بن الأبرد الكلابي وحبيب بن عبد الرحمن الحكمي من مدحج فيمن معهما من أهل الشام الكوفة ، فشدا وللحجاج ظهراً ، فاستغنى بهما عن أهل الكوفة ، فقام على منبر الكوفة فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : أمّا بعد يا أهل الكوفة ، فلا أعزّ الله من أراد بكم العزّ ، ولا نصر من أراد بكم النصر ، اخرجوا عنّا ، ولا تشهدوا معنا قتال عدونا ، الحقوا بالحيرة فانزلوا مع اليهود والنصارى ، ولا تقاتلوا معنا إلا من كان لنا عاملاً ، ومن لم يكن شهيداً قتال عتّاب بن رفاء .

٩٥٥/١

قال أبو مخنف : فحدثني فروة بن لقيط ، قال : والله لسخرجننا نسيب آثار الناس ، فانتهى إلى عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث ومحمد بن عبد الرحمن بن سعيد بن قيس الهمداني ، وهما يمشيان كأني أنظر إلى رأس عبد الرحمن قد امتلاً طيناً ، فصدت عنهما ، وكرهت أن أذعرهما ، ولو أني أودن بهما أصحاب شبيب لقتلنا مكانهما ، وقلت في نفسي : لئن سقت إلى مثليكما من قومي القتل ما أنا برشيد الرأي ؛ وأقبل شبيب حتى نزل الصّراة .

(١) كذا في ١ ، وفي ط : « أغرتها » ، وفي ب ، ف : « فلتها » . (٢) ١ : « حم أهلها » .

قال أبو مخنف : فحدثني موسى بن سوار أن شبيباً خرج يريد الكوفة ، فانتهى إلى سورا ، فندب الناس ، فقال : أيكم يأتيني برأس عامل سورا ؟ فانتدب له بطين وقعناب وسويد ورجلان من أصحابه ، فساروا مغذين حتى انتهوا إلى دار الخراج والعُمال في سمرجة (١) فدخلوا الدار وقد كادوا الناس بأن قالوا : أجيئوا الأمير ، فقالوا : أيّ الأمراء ؟ قالوا : أمير خرج من قبيل الحججاج يريد هذا الفاسق شبيباً ، فاغتر بذلك العامل منهم . ثم لأنهم شهروا السيوف وحكّموا حين وصلوا إليه فضرّوا عنقه ، وقبضوا على ما كان من مال ، ولحقوا بشبيب ، فلما انتهوا إليه قال : ما الذي أتيتُمونا به ؟ قالوا : جئناك برأس الفاسق وما وجدنا من مال (٢) ، والمال على دابة في بدوره ، فقال شبيب : أتيتُمونا بفتنة للمسلمين ، هلّمّ الحرّبة يا غلام ، فخرق بها البدور ، وأمر فنُخس بالدابة والمال يتناثر من بدوره حتى وردت الصّراة ، فقال : إن كان بّي شيء فاقدفه في الماء . ثم خرج إليه سفيان بن الأبرد مع الحججاج ، وكان أناه قبل خروجه معه ، فقال : ابعثنني أستقبله قبل أن يأتيك ، فقال : ما أحبّ أن نفرّق حتى ألقاه في جماعتكم والكوفة في ظهورنا والحصن في أيدينا .

* * *

[ذكر الخبر عن دخول شبيب الكوفة مرة ثانية]

وفي (٣) هذه السنة دخل شبيب الكوفة دخلته الثانية .

* ذكر الخبر عن ذلك وما كان من حربه بها الحججاج :

قال هشام : حدثني أبو مخنف ، عن موسى بن سوار ، قال : قدّم سبيرة بن عبد الرحمن بن مخنف من الدسكرة الكوفة بعد ما قدم جيش الشام الكوفة ، وكان مطرف بن المغيرة كتب إلى الحججاج : إن شبيباً قد أطلّ على ، فابعث إلى المدائن بعثاً . فبعث إليه سبيرة بن عبد الرحمن ابن مخنف في مائتي فارس ، فلما خرج مطرف يريد الجبل خرج بأصحابه

(١) في اللسان : « السرج يوم جباية الخراج » . (٢) ب ، ف : « أمواله » .

(٣) قبلها في ا : « قال محمد بن جرير » .

٩٥٧/٢ معه وقد أعلمهم ما يريد ، وكنم ذلك سبيرة ، فلما انتهى إلى دسكرة الملك دعا سبيرة فأعلمه ما يريد ، ودعاه إلى أمره ، فقال له : نعم أنا معك ، فلما خرج من عنده بعث إلى أصحابه فجمعهم ، وأقبل بهم فصادف^(١) عتّاب ابن رزقاء قد قُتِلَ وشبيباً قد مضى إلى الكوفة ، فأقبل حتى انتهى إلى قرية يقال لها بيطرى ، وقد نزل شبيب حَمَامَ عُمَرُ ، فخرج سبيرة حتى يعبر الفرات في معبر قرية شاهی ، ثم أخذ الظَّهْرَ حَتَّى قَدِمَ عَلَى الْحِجَّاجِ ، فوجد أهل الكوفة مَسْخُوطًا عَلَيْهِمْ ، فدخل على سُفْيَانَ بْنِ الْأَبْرَدِ ، فَقَصَّ قِصَّتَهُ عَلَيْهِ^(٢) وَأَخْبَرَهُ بِطَاعَتِهِ وَفِرَاقِهِ مُطَرِّفًا ، وَأَنَّهُ لَمْ يَشْهَدْ عَتَّابًا وَلَمْ يَشْهَدْ هَزِيمَةَ فِي مَوْطِنٍ مِنْ مَوْاطِنِ أَهْلِ الْكُوفَةِ ، وَلَمْ أَزَلْ لِلْأَمِيرِ عَامِلًا ، وَوَعَى مَائِثًا رَجُلٌ لَمْ يَشْهَدُوا مَعِي هَزِيمَةَ قَطًّا ، وَهُمْ عَلَى طَاعَتِهِمْ^(٣) وَلَمْ يَدْخُلُوا فِي فِتْنَةٍ . فدخل سُفْيَانُ إِلَى الْحِجَّاجِ فَخَبَّرَهُ بِخَبْرِ^(٤) مَا قَصَّ عَلَيْهِ سَبِيرَةُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ ، فَقَالَ : صَدَقَ وَبَرًّا قَتْلُ لَهُ : فَلْيَشْهَدْ مَعَنَا لِقَاءَ عَدُوِّنَا ، فَخَرَجَ إِلَيْهِ فَأَعْلَمَهُ ذَلِكَ . وَأَقْبَلَ شَبِيبَ حَتَّى نَزَلَ مَوْضِعَ حَمَامَ أَعْيُنَ ، وَدَعَا الْحِجَّاجِ الْحَارِثَ بْنَ مَعَاوِيَةَ بْنَ أَبِي زُرْعَةَ بْنِ مَسْعُودِ الثَّقَفِيِّ فَوَجَّهَهُ فِي نَاسٍ مِنَ الشَّرْطِ لَمْ يَكُونُوا شَهِدُوا يَوْمَ عَتَّابَ ، وَرَجَالًا كَانُوا عَمَّالًا فِي نَحْوِ مِائَتِي رَجُلٍ^(٥) مِنْ أَهْلِ الشَّامِ ، فَخَرَجَ فِي نَحْوِ مِنْ أَلْفٍ ، فَنَزَلَ زُرَّارَةَ ، وَبَلَغَ ذَلِكَ شَبِيبًا ، فَتَعَجَّلَ إِلَيْهِ فِي أَصْحَابِهِ ، فَلَمَّا انْتَهَى إِلَيْهِ حَمَلَ عَلَيْهِ فَقَتَلَهُ ، وَهَزَمَ أَصْحَابَهُ ، وَجَاءَتِ الْمُنْهَزِمَةُ فَدَخَلُوا الْكُوفَةَ . وَجَاءَ شَبِيبٌ حَتَّى قَطَعَ الْجَيْسِرَ ، وَعَسَكَرَ دُونَهُ إِلَى الْكُوفَةِ ، وَأَقَامَ شَبِيبٌ فِي عَسْكَرِهِ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ؛ فَلَمْ يَكُنْ فِي أَوَّلِ يَوْمٍ إِلَّا قَتَلَ الْحَارِثَ بْنَ مَعَاوِيَةَ ، فَلَمَّا كَانَ فِي الْيَوْمِ الثَّانِي أَخْرَجَ الْحِجَّاجُ مَوَالِيَهُ وَغُلَمَانَهُ عَلَيْهِمُ السِّلَاحَ ، فَأَخَذُوا^(٦) بِأَفْوَاهِ السِّكِّكِ مِمَّا يَلِي الْكُوفَةَ ، وَخَرَجَ أَهْلُ الْكُوفَةِ فَأَخَذُوا بِأَفْوَاهِ سِكِّكِهِمْ ، وَخَشُوا إِنْ لَمْ يَخْرُجُوا مَوْجِدَةَ الْحِجَّاجِ وَعَبْدَ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ . وَجَاءَ شَبِيبٌ

٩٥٨/٢

(١) كذا في ا ، وفي ط : « فيصادف » . (٢) ب ، ف : « فقص عليه قصته » .

(٣) ف : « طاعته » . (٤) ب ، ف : « فأخبره بخبر هؤلاء وبخبر ما قص عليه » .

(٥) ب ، ف : « فارس » . (٦) ب ، ف : « وأخذوا » .

حتى ابتنى مسجداً في أقصى السَّبْخَةِ مما يلي موقف أصحاب القَتِّ عند الإيوان ، وهو قائمٌ حتَّى الساعة ، فلما كان اليوم الثالث أخرج الحِجَّاجَ أبا الوَرْدَ مولئى له عليه تَجْفَافٌ ، وأخرج مَجْفَفَةً كثيرةً وِغْلِمَانًا له ، وقالوا : هذا الحِجَّاجُ ، فَحَمَلَهُ عليه شَيْبٌ فقتله ، وقال : إن كان هذا الحِجَّاجُ فقد أَرَحْتُكُمْ منه .

ثم إن الحِجَّاجَ أخرج له غلامه طُهْمَانَ في مِثْلِ تلك العُدَّةِ على مثل تلك الهيئة ، فَحَمَلَهُ عليه شَيْبٌ فقتله ، وقال : إن كان هذا الحِجَّاجُ فقد أَرَحْتُكُمْ منه .

ثم إن الحِجَّاجَ خرج ارتفاعَ النهار من القَصْرِ فقال : اثنوني ببِئْسَ أركبُهُ ما بَيْسَى وبين السَّبْخَةِ ، فأتى ببِغْلِ مَحْجَلٍ ، فقبل له : إن الأعاجمَ أصلحك الله تَطْيِيرٌ^(١) أن تَرْكَبَ في مثل هذا اليوم مثلَ هذا البِغْلِ ، فقال : أدنوه مِنِّي ، فإنَّ اليومَ يومٌ أغرَّ مَحْجَلٍ ؛ فركبه ثمَّ خرج في أهل الشام حتَّى أخذ في سكة البريد ، ثمَّ خرج في أعلى السَّبْخَةِ ، فلما نظر الحِجَّاجَ إلى شَيْبٍ^(٢) وأصحابه نزل ، وكان شَيْبٌ في سِتِّمِائَةِ فارس ، فلما رأى الحِجَّاجَ قد خرج إليه أقبل بأصحابه ، وجاء سِبْرَةَ بنُ عبد الرحمن إلى الحِجَّاجَ فقال : أين يأمرني الأمير أن أقف ؟ فقال : قف على أفواه السكك ، فإن جاءوكم فكان فيكم قتالٌ فقاتلوا ، فأنطلق حتَّى وقف في جماعة الناس ، ودعا الحِجَّاجَ بكرسي له فقمعد عليه ، ثمَّ نادى : يا أهل الشام ، أنتم أهلُ السَّمْعِ والطاعة والصبر واليقين ، لا يغلبن باطلُ هؤلاء الأرجاس حَقِّكُمْ ، غضبوا الأبصار ، واجثوا على الرِّكَبِ ، واستقبلوا القوم بأطراف الأسننة ، فجهثوا على الركب ، وأشرعوا الرِّمَاحَ . وكانهم حرَّة سوداء ، وأقبل إليهم شَيْبٌ حتَّى إذا دنا منهم عبى أصحابه ثلاثة كتراديس ، كتيبة معه ، وكتيبة مع سُوَيْدِ بنِ سُلَيْمٍ ، وكتيبة مع الحَمَلِ بنِ وائل ، فقال لسويد : احمل عليهم في خيلك ، فحمل عليهم ، فثبثوا له ، حتَّى إذا غشي أطراف الأسننة وثبوا في وجهه ووجوه أصحابه ، فطعنوهم^(٣) قُدُمًا حتَّى انصرف ،

(١) : « تطير . (٢) ب ، ف : « فلما رأى الحِجَّاجَ شَيْبًا » . (٣) ب ، ف : « فطعنوه » .

وصاحَ الحَجَّاجَ : يا أهلَ السَّمْعِ والطاعة ، هكذا فافعلوا . قدّم كُرْسَىَ يا غلام ، وأمر شبيبَ المَحَلَّلَ فَحَمَلَ عَلَيْهِمْ ، ففعلوا به مِثْلَ ما فعلوا بِسُوَيْدِ ، فناداهم الحَجَّاجَ : يا أهلَ السَّمْعِ والطاعة ؛ هكذا فافعلوا ، قدّم كُرْسَىَ يا غلام (١) .

ثمَّ إنَّ شَبِيبًا حَمَلَ عَلَيْهِمْ فِي كَتَيْبَتِهِ فَشَبَّتُوا لَهُ ، حَتَّى إِذَا غَشَى أَطْرَافَ الرِّمَاحِ وَتَبَوَّأَ فِي وَجْهِهِ ، فَقَاتَلَتْهُمْ طَوِيلًا . ثُمَّ إِنَّ أَهْلَ الشَّامِ طَعَنُوهُ قَدُمًا حَتَّى أُلْحَقُوهُ بِأَصْحَابِهِ ، فَلَمَّا رَأَى صَبْرَهُمْ نَادَى : يا سُوَيْدِ ، اِحْمِلْ فِي خَسِيئِكَ عَلَى أَهْلِ هَذِهِ السَّكَّةِ - يَعْنِي سِكَّةَ لِحَامِ جَرِيرٍ - لَعَلَّكَ تَزِيلُ أَهْلَهَا عَنْهَا ، فَتَأْتِي الحَجَّاجَ مِنْ وَرَائِهِ ، وَتَحْمِلُ نَحْنُ عَلَيْهِ مِنْ أَمَامِهِ . فأنفرد سُوَيْدُ بْنُ سَلِيمٍ فَحَمَلَ عَلَى أَهْلِ تِلْكَ السَّكَّةِ ؛ فَرَمَى مِنْ فَوْقِ البُيُوتِ وَأَفْوَاهِ السَّكِّ ، فَانصَرَفَ ، وَقَدْ كَانَ الحَجَّاجَ جَعَلَ عُرْوَةَ بْنَ الْمُغَيَّرَةِ بْنِ شَعْبَةَ فِي نَحْوِ مِنْ ثَلَاثَةِ رَجُلٍ مِنْ أَهْلِ الشَّامِ رِدَاءً لَهُ وَأَصْحَابَهُ ثَلَاثًا يُؤْتُوا مِنْ وَرَائِهِ (٢) .

٩٦٠/٢

قال أبو مخنف : فحدثني فرّوة بن لقيط : إنَّ شَبِيبًا قَالَ لَنَا يَوْمَئِذٍ : يا أهلَ الإسلامِ ! إنَّما شَرِينَا اللهُ . ومن شَرَى اللهُ لَمْ يَكْبُرْ (٣) عَلَيْهِ ما أَصَابَهُ مِنَ الأَذَى والألمِ فِي جَنَابِ اللهِ . الصَّبْرَ الصَّبْرَ ؛ شِدَّةَ كَشِدَّةِ أَتَكُمُ فِي مِوَاطِنِكُمُ الكَرِيمَةَ . ثُمَّ جَمَعَ أَصْحَابَهُ ، فَلَمَّا ظَنَّ الحَجَّاجَ أَنَّهُ حَامِلٌ عَلَيْهِمْ قَالَ لِأَصْحَابِهِ : يا أهلَ السَّمْعِ والطاعة ، اصْبِرُوا لِهَذِهِ الشَّدَّةِ الواحِدَةِ ، ثُمَّ وَرَبِّ السَّمَاءِ ما شَيْءٌ دُونَ الفَتْحِ . فَجَثُّوا عَلَى الرُّكَبِ ، وَحَمَلَ عَلَيْهِمْ شَبِيْبٌ بِجَمِيعِ أَصْحَابِهِ ، فَلَمَّا غَشِيَهُمْ نَادَى الحَجَّاجَ بِجَمَاعَةِ النَّاسِ ، فَوَثَبُوا فِي وَجْهِهِ ، فَمَا زَالُوا يَطْعَنُونَ وَيَضْرِبُونَ قُدَمًا وَيَدْفَعُونَ شَبِيبًا وَأَصْحَابَهُ وَهُوَ يقاتِلُهُمْ حَتَّى بَلَغُوا مَوْضِعَ بُسْتَانَ زَائِدَةَ ، فَلَمَّا بَلَغَ ذَلِكَ المَكَانَ نَادَى شَبِيْبٌ أَصْحَابَهُ : يا أولياءَ اللهِ ، الأَرْضَ الأَرْضَ ، ثُمَّ نَزَلَ وَأَمَرَ أَصْحَابَهُ فَنَزَلَ نِصْفَهُمْ وَتَرَكَ نِصْفَهُمْ مَعَ سُوَيْدِ بْنِ سَلِيمٍ ، وَجاءَ الحَجَّاجَ حَتَّى انْتَهَى إِلَى مَسْجِدِ شَبْتِ ، ثُمَّ قَالَ : يا أهلَ الشَّامِ ، يا أهلَ السَّمْعِ والطاعة ، هذا

(١) ساقطة من م . (٢) ب ، ف : « ورائهم » . (٣) ا : « لم يكتر » .

أول الفسّيح والذى نفسُ الحَجَّاجِ بيده ! وصعد المسجد معه نحو من
عشرين رجلا معهم النبل ، فقال : إن دَنَسُوا منا فارشقوهم ، فاقتتلوا عامّة النهار
من أشدّ قتال في الأرض ، حتّى أقرّ كل واحد من الفريقين لصاحبه . ثمّ إن
نخالد بن عتّاب قال للحجّاج : انذّن لي في قتالهم فإني مـوتور ، وأنا ممّن
لا يُستهم في نصيحة^(١) ، قال : فإني قد أذنت لك ، قال : فإني آتيهم
من ورائهم حتّى أغيرَ على عسكريهم ؛ فقال له : افعل ما بدا لك ، قال :
فخرج معه بعصابة من أهل الكوفة حتّى دخل عسكريهم من ورائهم ،
فقتل مصاداً أبا شبيب ، وقتل غزاةً امرأته ، قتلتها فروعُ بن الدّان
الكلبيّ ، وحرّق في عسكريه ، وأتى ذلك الخبرُ الحجّاج وشبيباً ، فأما
الحجّاج وأصحابه فكبروا تكبيرة واحدة ، وأمّا شبيب فوثب هو وكلّ راجل
معه على خيوطهم ، وقال الحجّاج لأهل الشام : شدّوا عليهم فإنّه قد أتاهم
ما أربّ قلوبهم . فشدّوا عليهم فهزّموهم ، وتخلّف شبيب في حامية
الناس .

قال هشام : فحدثني أصغر الخارجيّ ، قال : حدثني من كان مع شبيب
قال : لما انهزم الناسُ فخرج من الجسر تبعه^(٢) خيل الحجّاج ، قال :
فجعل يخفق برأسه ، فقلت : يا أمير المؤمنين ، التفت فانظر من خلفك ؛
قال : فالتفت غير مكترث ، ثمّ أكبّ يخفق برأسه ؛ قال : ودنوا منّا ؛
فقلنا : يا أمير المؤمنين ، قد دنوا منك ، قال : فالتفت والله غير مكترث ،
ثمّ جعل يخفق برأسه . قال : فبعث الحجّاج إلى خيله أن دعوه في حرق
الله وناره ، فتركوه ورجعوا .

قال هشام : قال أبو مخنف : حدثني أبو عمرو العذريّ^(٣) ، قال :
قطّعت شبيب الجسر حين عبّر . قال : وقال لي فروة : كنتُ معه حين
انهزمتنا فما حرّك الجسر ، ولا اتّبعونا حتّى قطّعتنا الجسر . ودخل الحجّاج
الكوفة ، ثمّ صعد المنبر فحمد الله ، ثمّ قال : والله ما قوتل شبيب

(١) ب ، ف : « نصيحته » . (٢) ف ، ف : « الجيش تبعته » .

(٣) ب : « العذري » .

قَبَلُهَا ، وَلَى وَاللَّهِ هَارِبًا ، وَتَرَكَ امْرَأَتَهُ يُكْسِرُ فِي آسْتِهَا الْقَصَبَ .

وقد قيل في قتال الحجَّاج شبيبًا بالكوفة ما ذكره عمر بن شبيبة قال : حدثني عبدُ الله بنُ المغيرة بن عطية ، قال : حدثني أبي ، قال : حدثنا مزاحم بن زفر بن جساس التميمي ، قال : لما فُضَّ شبيبٌ كُتَّابَ الحجَّاجِ أذن لنا فدخلنا عليه في مجلسه الذي يبني فيه وهو على سرير عليه لحاف ، فقال : إني دعوتكم لأمر فيه أمان ونظر ، فأشيروا عليّ ؛ إن هذا الرجل قد تبخَّجَ بحُبِّوَتِكُمْ ، ودخل حرِّمَكُم ، وقتل مُقاتِلَتِكُمْ ، فأشيروا عليّ ؛ فأطرقوا . وفصل رجل من الصَّفِّ بكرسيه فقال : إن أذن لي الأميرُ تكلمت ، فقال : تكلم ، فقال : إن الأمير والله ما راقب الله ، ولا حفظ أمير المؤمنين ، ولا نصَّح للرعية ، ثم جلس بكرسيه في الصَّفِّ . قال : وإذا هو قُتِيبة ، قال : فغضب الحجَّاج وألقى اللعاف ، ودلَّى قَدَميه من السرير كأنى أنظر إليهما ؛ فقال : من المتكلم ؟ قال : فخرج قُتِيبة بكرسيه من الصَّفِّ فأعاد الكلام ، قال : فما الرأي ؟ قال : أن تخرُج إليه فتحاكمه ؛ قال : فارتد لي مُعسكرًا ثم اغدُ إليّ ، قال : فخرجنا نلعمن عَنبِسة بن سعيد ، وكان كلَّم الحجَّاج في قُتِيبة ، فجعله من أصحابه ، فلما أصبحنا وقد أوصيتنا جميعًا ، غَدونا في السلاح ، فصلَّى الحجَّاج الصَّبح ثم دخل ، فجعل رسوله يخرج ساعة بعد ساعة فيقول : أجاؤ بعد ؟ أجاؤ بعد ؟ ولا ندرى من يريد ! وقد أفعمت المقصورة بالناس ، فخرَّج الرسولُ فقال : أجاؤ بعد ؟ وإذا قُتِيبةُ يمشي في المسجد عليه قباء هروي أصفر ، وعمامة نخرٍ أحمر ، متقلدًا سيفًا عريضًا قصيرَ الحمائل كأنه في إبطه ، قد أدخل بركة قبائه في منطقتيه ، والدرع يصفق ساقبيه فنشَّح له الباب فدخل ولم يُحجِّب ، فلسبَّط طويلاً ثم خرج ، وأخرج معه لواءً منشورًا ، فصلَّى الحجَّاج ركعتين ، ثم قام فتكلَّم ، وأخرج اللواء من باب الفيل ، وخرج الحجَّاج يتبعه ، فإذا بالباب بغلة شقراء غراءُ محجلة فركبها ، وعارضه الوُصفاء بالدوابِّ ، فأبى غيرها ، وركب النَّاسُ .

وركب قتيبة فرساً أغرّ محجلاً كُئيباً كأنّه في سرّجه رُمّانة من عظم السرج ، فأخذ في طريق دارِ السقاية حتّى خرج إلى السبّخة وبها عسكر شبيب ، وذلك يوم الأربعاء ، فتواقفوا ، ثمّ غدوا يوم الخميس للقتال ، ثمّ غادوهم يوم الجمعة ، فلمّا كان وقت الصلاة انهزمت الخوارج .

* * *

قال أبو يزيد: حدثني خلاد بن يزيد ، قال : حدثنا الحجّاج بن قتيبة ، قال : جاء شبيب وقد بعث إليه الحجّاج أميراً فقتله ، ثمّ آخر^(١) فقتله ، أحدهما أعينُ صاحبُ حَمَامِ أعين ، قال : فجاء حتى دخل الكوفة ومعه غزاة ، وقد كانت نذرت أن تُصلّى في مسجد الكوفة ركعتين تقرأ فيهما البقرة وآل عمران . قال : ففعلت . قال : واتخذ شبيب في عسكره أخصاصاً ، فقام الحجّاج فقال : لا أراكم تناصحون^(٢) في قتال هؤلاء القوم يا أهل العراق ! وأنا كاتبٌ إلى أمير المؤمنين ليُمدّني بأهل الشام . قال : فقام قتيبة فقال : إنك لم تنصح لله ولا لأمير المؤمنين في قتالهم .

قال عمر بن شيبّة : قال خلاد : فحدثني محمد بن حفص بن موسى ابن عبّيد الله بن معمر بن عثمان التميمي أن الحجّاج خسنق قتيبة بعيامته خسنقاً شديداً .

* * *

ثمّ رجع الحديث إلى حديث الحجّاج وقتيبة . قال : فقال : وكيف ذلك ؟ قال : تبعث الرجل الشريف وتبعث معه راعاً من الناس فينهزمون عنه ، ويستحي فيقاتل حتّى يقتل ؛ قال : فما الرأي ؟ قال : أن تخرج بنفسك ويخرج معك نظراًؤك فيؤاسؤنك بأنفسهم . قال : فلعله منّ ثمّ . وقال الحجّاج : والله لأبرؤن له غدأ ؛ فلمّا كان الغدُ حضر الناس ، فقال قتيبة : اذكرُ يمينك أصلح الله الأمير ! فلعنوه أيضاً ، وقال الحجّاج : اخرج فارتد لي معسكراً ، فذهب وتبيهاً هو وأصحابه فخرجوا ، فأتى على موضع فيه بعض القنّدر ؛ موضع كُناسة .

(٢) ب ، ف : « تناصحون » .

(١) ب ، ف : « أميراً » .

فقال : ألقوا لي هاهنا . فقيل : إنَّ الموضوع قَدَر ، فقال : ما تَدَعُونِي إليه أَقْدَر ، الأرض تحتَه طيِّبَة ، والسماءُ فوقه طيِّبَة . قال : فنزل وصَفَّ الناس وخالد بن عَتَّاب بن وَرْقَاء مسخوط عليه فليس في القوم ، وجاء شبيب وأصحابه فقرَّبوا دوابَّهم ، وخرجوا بمشون ، فقال لهم شبيب : الهُوا عن رَمِيكم ، ودَبُّوا تحت تِراسِكُم ، حتَّى إذا كانت أَسْتَكُم (١) فوقَها ، فأزَلِقوها صُعْدًا ، ثمَّ ادخَلُوا (٢) تحتَها لتستقلوا فتقطَّعوا أَقْداءَهم ، وهى الهزيمة بإذن الله . فأقبلوا يدَيَّون إليهم . وجاء خالد بن عَتَّاب في شاكِرِيَّتِه ، فدار من وراء عسكرهم ، فأضرم أخصاصَهم بالنار ، فلمَّا رأوا ضوءَ النار وسعروا معَمَّعَتَها التفتوا فرأوها في (٣) بيوتهم ، فولَّوا (٤) إلى خَيْسَلِيهم وتبَّعهم الناسُ ، وكانت الهزيمة . ورَضِيَ الحَجَّاج عن خالد ، وعَقَّدَ له على قتالهم .

٩٦٥/٢

قال : ولمَّا قَتَلَ شبيبُ عَتَّابًا أراد دخول الكوفة ثانية ، فأقبل حتى شارَفَها فوجَّه إليه الحَجَّاج سيف بن هانئ ورجلاً معه ليأتياه بخبر شبيب ، فأتيا عسكره ، ففطن بهما ، فقتل الرجل ، وأفلت سيفٌ ، وتبَّعَه رجلٌ من الخوارج ، فأوثب سيفٌ فرسه ساقية ، ثمَّ سأل الرجلَ الأمان على أن يُصدقه ، فأمنه ، فأخبره أن الحَجَّاج بعثه وصاحبه ليأتياه بخبر شبيب .

قال : فأخبره أنا نأتيه يوم الاثنين . فأتى سيف الحَجَّاج فأخبره ؛ فقال : كَذَبَ وماق ، فلمَّا كان يومَ الاثنين توجَّهوا يريدون الكوفة ، فوجَّه إليهم الحَجَّاجُ الحارث بن معاوية الثَّقَفِيَّ ، فلقيه شبيب بزُرارة فقتله ، وهزم أصحابه ودنا من الكوفة فبعث البَـطِين في عشرة فوارس يرتاد له مَسَنَـزِلا على شاطئِ الفرات في دارِ الرِّزْقِ ، فأقبل البَـطِين وقد وجَّه الحَجَّاج حَوْشَبَ بنَ يزيدٍ في جمع من أهل الكوفة ، فأخذوا بأفواهِ السُّكَّكِ ، فقامتْ سَلَمَتُهم البَـطِين فلم يقنوا عليهم ، فبعث إلى شبيب فأمدَّه بفوارس ، فعمَّـتَـروا فرس حَوْشَب وهزموه ونجا ، ومضى البَـطِين إلى دارِ الرِّزْقِ ، وعسكر على شاطئِ الفرات ، وأقبل شبيب فنزل دون الجِيسِر ، فلم يوجَّه إليه الحَجَّاجُ أحدًا ، فضى فنزل

٩٦٦/٢

(١) ب ، ف : « استكم » . (٢) ب ، س : « ادخلوها » .

(٣) ب ، ف : « فرأوا ما في بيوتهم » . (٤) ب ، ف : « ولوا » .

السَّبِيحَةَ بين الكُوفَةِ والفُرَاتِ ، فأقام ثلاثاً لا يوجهه إليه الحجَّاجُ أحدًا ، فأشير على الحجَّاجِ أن يخرج بنفسه ، فوجه قتيبةَ بنَ مسلمٍ ، فهبطاً له عسكرياً ثم رجع ، فقال : وجدتُ المأتى سهلاً ، فسِرُّ على الطائر الميمون ؛ فنادى في أهل الكوفة فخرجوا ، وخرج معه الوجوهُ حتَّى نزلوا في ذلك العسكر (١) وتواقفوا ، وعلى مَيْمَنَةِ شَيْبِ بْنِ بَطِينٍ ، وعلى مَيْسِرَتِهِ قَعْنَبُ مَوْلَى بَنِي أَبِي رَبِيعَةَ بْنِ ذَهَلٍ ، وهو في زُهَاءِ مَائَتَيْنِ ، وجعل الحجَّاجُ على مَيْمَنَتِهِ مطرَ بنَ ناجيةَ الرِّياحِيَّ ، وعلى ميسرته خالد بن عتَّاب بن ورقاء الرِّياحِيَّ في زُهَاءِ أَرْبَعَةِ آلَافٍ ، وقيل له : لا تُعرِّفه موضعك ، فتنكَّر وأخفى مكانته ، وشبهه له أبا الورد مولاة ، فنظر إليه شبيب ، فحمل عليه ، فضربه بعمود وزنه خمسة عشر رطلاً فقتله ، وشبهه له أعيُن صاحب حمَّام أعيُن بالكوفة ، وهو مولى لبكر (٢) بن وائل فقتله ، فركب الحجَّاجُ بغلةً غرَّاء محجَّلةً ، وقال : إن الدَّين أغرُّ محجَّل ، وقال لأبي كعب : قدَّم لواءك ، أنا ابن أبي عَقِيلٍ . وحمل شبيب على خالد بن عتَّاب وأصحابه ، فبلغ بهم الرَّحْبَةَ ، وحملوا على مطر بن ناجية فكشفوه ، فنزل عند ذلك الحجَّاجُ وأمَّسَّ أصحابه فنزلوا ، فجلس على عباءة ومعه عنبسة بن سعيد ، فلإنهم على ذلك إذ تناول مصقلة بن مهلهل الضَّبِّيَّ بلحام شبيب ؛ فقال : ما تقول في صالح بن مُسَرِّحٍ ؟ وبم تشهد عليه ؟ قال : أعلى هذه الحال ، وفي هذه الحزَّة (٣) ! والحجَّاجُ ينظر ، قال : فهري من صالح ، فقال مصقلة : برئ الله منك ، وفارقوه إلا أربعين فارساً هم أشدُّ أصحابه ، وانحاز الآخرون إلى دار الرزق ؛ وقال الحجَّاجُ : قد اختلَّفوا ، وأرسل إلى خالد بن عتَّاب فأتاهم فقاتلهم ، فقتلت غزاةً ، ومَرَّ برأسها إلى الحجَّاجِ فارسٌ فعرفه شبيب ، فأمر علوان فشدَّ على الفارس فقتلته وجاء بالرأس ، فأمر به فغُسل ودُفنه وقال : هي أقرب إليكم رُحماً - يعنى غزاة .

ومضى القومُ على حاميتهم ، ورجع خالدٌ إلى الحجَّاجِ فأخبره بانصراف

(١) ب ، ف : « المسكر » . (٢) ف : « البكير » .

(٣) الحزَّة : الشدة .

القوم . فأمره أن يحمل على شبيب فحمل عليهم ، وأتبعه ثمانية ، منهم
 قعنب والبطين وعديوان وعيسى والمهدب وابن عويمر وسنان ، حتى
 بلغوا به الرحبة ، وأتى شبيب في موقفه بخوِط بن عمير السدوسي ، فقال له
 شبيب : يا خوِط ، لا حُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ . فقال : لا حُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ ، فقال
 شبيب : خوِط من أصحابكم . ولكنّه كان يخاف ، فأطلقه . وأتى بعُمير بن
 القَعَقَاع ، فقال له : لا حُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ يا عُمير ، فجعل لا يفقه عنه ، ويقول : ٩٦٨/٢
 في سبيل الله شابي ، فردّد عليه شبيب : لا حُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ ، ليتخلّصه (١) ، فلم
 يفقه . فأمر بقتله ، وقتل مصاد أخو شبيب ، وجعل شبيب ينتظر النفر
 اللذين تبعوا خالدًا فأبطئوا . ونحس شبيب فأيقظّه حبيب بن خدره ، وجعل
 أصحابُ الحجّاج لا يُقدِّمون عليه هيبةً له ، وسار إلى دار الرزق ، فجمع
 رثّة (٢) من قُتل من أصحابه ، وأقبل الثمانية إلى موضع شبيب فلم يجدوه ،
 فظنوا أنّهم قتلوه ، ورجع مطرٌ وخالدٌ إلى الحجّاج فأمرهما فأتبعوا الرّهط
 الثمانية . وأتبع الرّهط شبيبًا . فمضوا جميعًا حتى قطعوا جسر المدائن ،
 فدخلوا ديرًا هنالك وخالد يتقفّوهم ، فحصرهم في الدّير ، فخرجوا عليه
 فهزموه نحوًا من فرسخين حتى ألقوا أنفسهم في دجلة بخيلهم ، وألقى
 خالد نفسه بفرسه فمرّ به ولواؤه في يده ، فقال شبيب : قاتله الله فارسًا
 وفرسَه ! هذا أشدّ الناس ، وفرسه أقوى فرس في الأرض ؛ فقتل له : هذا
 خالدُ بن عتّاب ، فقال : معرّقٌ له في الشجاعة ؛ والله لو علمتُ لأقحمتُ
 خلفه ولو دخل النار .

* * *

٩٦٩/٢ رجع الحديث إلى حديث أبي مخنف . عن أبي عمرو
 العُدريّ ، أن الحجّاج دخل الكوفة حين انهزم شبيب ، ثم
 صعد المنبر ، فقال : والله ما قُوتل شبيب قطّ قبلها مثلها ، ولّى والله
 هاربًا ، وترك امرأته يُكسّر في أسننها القصب . ثمّ دعا حبيب بن

(٢) الرثّة : المتاع .

(١) ف : « ليخلصه » .

عبد الرحمن الحكمي فبعثه في أثره في ثلاثة آلاف من أهل الشام ، فقال له الحجاج: احذر بيّاتته ، وحيثما لقيته فنازله ، فإن الله قد فسلّ حده ، وقصم نابه . فخرج حبيب بن عبد الرحمن في أثر شبيب حتى نزل الأنبار ، وبعث الحجاج إلى العمّال أن دسّوا إلى أصحاب شبيب أن من جاءنا منهم فهو آمن ؛ فكان كل من ليست له تلك البصيرة ممن قد هدّه القتال يحيى فيؤمن ، وقبل ذلك ما قد نادى فيهم الحجاج يوم هزّموا : إن من جاءنا منكم فهو آمن ، فتنفرق عنه ناس كثير من أصحابه ، وبلغ شبيبا مسزك حبيب بن عبد الرحمن الأنبار ، فأقبل بأصحابه حتى إذا دنا من عسكريهم نزل فصلّى بهم المغرب .

قال أبو مخنف : فحدثني أبو يزيد السكسكي . قال : أنا والله في أهل الشام ليلة جاءنا شبيب فبيّتنا . قال : فلما أمسينا جمعنا حبيب بن عبد الرحمن فجمعنا أرباعا ، وقال لكل ربع منا : ليحزري كل ربع منكم بجانبه ، فإن قاتل هذا الربع فلا يغنهم ^(١) هذا الربع الآخر ، فإنه قد بلغني أن هذه الخوارج منّا قريب ، فوطنوا أنفسكم على أنكم مبيّتون ومقاتلون ؛ فما زلنا على تعبيتنا حتى جاءنا شبيب فبيّتنا ، فشد على ربع منّا ، عليهم عثمان بن سعيد العذري فضاربهم طويلا ، فما زالت قدم إنسان منهم ، ثم تركهم وأقبل على الربع الآخر . وقد جعل عليهم سعد بن بجل العامري فقاتلهم ، فما زالت قدم إنسان منهم . ثم تركهم وأقبل على الربع ^(٢) الآخر وعليهم النعمان بن سعد الحميري فما قدر منهم على شيء ، ثم أقبل على الربع الآخر وعليهم ابن أقيصر الخشعمي فقاتلهم طويلا ، فلم يظفر بشيء ، ثم أطاف بنا يحمل علينا حتى ذهب ثلاثة أرباع الليل ، وألز بنا حتى قلنا ، لا يفارقنا ، ثم نازلنا راجلا طويلا ، فسقطت والله بيننا وبينهم الأيدي ، وقتلت الأعين ، وكثرت القتلى ، قتلنا منهم نحوًا من ثلاثين ، وقتلوا منّا نحوًا من مائة ، والله لو كانوا فيما نرى يزيدون على مائة رجل لأهلكونا ، وإيم الله على ذلك ما فارقونا حتى ملكناهم وملّونا ، وكرهونا وكرهناهم ،

(١) س : « يغنهم » ، ف : « يمنهم » . (٢) ف : « الرابع » .

ولقد رأيت الرجل منّا يضرب بسيفه الرجل منهم فما يضره شيء من الإعياء والضعف ، ولقد رأيت الرجل منّا يقاتل جالساً ينفّس بسيفه ما يستطيع أن يقوم من الإعياء^(١) ، فلمّا يشسوا منّا ركب شبيب ثمّ قال لمن كان نزل من أصحابه : اركبوا ، فلمّا استووا على متون خيولهم وجّه^(٢) منصرفاً عنّا .

٩٧١/٢

قال أبو مخنف : حدثني فروة بن لقيط ، عن شبيب ، قال : لمّا انصرفنا عنهم وبنا كآبة شديدة ، وجراحة ظاهرة ، قال لنا : ما أشدّ هذا الذي بنا لو كنّا إنّما نطلب الدنيا ! وما أيسرَ هذا في ثواب الله ! فقال أصحابه : صدقت يا أمير المؤمنين ، قال : فما أنسى منه إقباله على سويد بن سليم ولا مقالته له : قتلتُ منهم أمس رجلين : أحدهما أشجع الناس ، والآخر أجبن الناس ، خرجتُ عشيةً أمس طليعةً لكم فلقيتُ منهم ثلاثة نفر دخلوا قريةً يشترّون منها حوائجهم ، فاشترى أحدُهم حاجته ، ثمّ خرج قبل أصحابه وخرجتُ معه ، فقال : كأنّك لم تشترِ عسكناً ، فقلت إن لي رفقاءً قد كسّفوني ذلك ، فقلت له : أين ترمي عدوّنا هذا نزل ؟ قال : بلغني أنّه قد نزل منّا قريباً ، وإيم الله لو دِدت أنّي قد لقيتُ شبيبهم هذا ، قلت : فتحبّ ذلك؟ قال : نعم ، قلت : فخذ حذرَكَ ، فأنا والله شبيب ، وانتصيت سيني ، فحزرتُ والله ميسّاً ، فقلت له : ارتفع ويحك^(٣) ! وذهبتُ أنظُر فإذا هو قد مات ، فانصرفتُ راجعاً ، فأستقبل الآخر خارجاً من القرية ، فقال : أين تذهب هذه الساعة ؟ وإنّما يرجع الناس إلى عسكريهم ! فلم أكلّمه ، ومضيتُ يقربُ بي فرسي ، وأتبعني حتّى لاحتني ، فقطعت عليه فقلت له : ما لك ؟ فقال : أنت والله من عدوّنا ؟ فقلتُ : أجل والله ، فقال : والله لا تبرح حتّى تقتلني أو أقتلك ، فحملت عليه وحمل عليّ ، فاضطررنا بسيفينا ساعةً ، فوالله ما فضلتُهُ في شدة نَفْس ولا إقدام إلا أن سيني كان أقطع من سيفه ، فقستلته ؛ قال : فضينا حتّى قطعنا دجلة ، ثمّ أخذنا في أرض جُوخي حتى قطعنا دجلة مرةً أخرى من

٩٧٢/٢

(١) ب ، ف : « من الإعياء والضعف » .

(٢) ب : « وجد » .

(٣) ب ، ف : « ارتفع ويحك رأسك » .

عند واسط ، ثم أخذنا إلى الأهواز ثم إلى فارس ، ثم ارتفعنا إلى كِرمَان .

* * *

[ذكر الخبر عن مهلك شبيب]

وفي هذه السنة هلك شبيب في قول هشام بن محمد . وفي قول غيره كان هلاكه سنة ثمان وسبعين .

* ذكر سبب هلاكه :

قال هشام ، عن أبي مخنف : قال : حدثني أبو يزيد السكسكي ، قال : أقمنا الحجاج إليه - يعني إلى شبيب - فقسّم فينا مالا عظيما ، وأعطى كل جريح منا وكل ذى بلاء ، ثم أمر سفیان بن الأبرد أن يسير إلى شبيب ، فتجهز سفیان ، فشق ذلك على حبيب بن عبد الرحمن الحكمي ، وقال : تبعث سفیان إلى رجل قد فلتته وقتلت فرسان أصحابه ! فأمضى سفیان بعد شهرين ، وأقام شبيب بكرمان ، حتى إذا انجبر واستراش هو وأصحابه أقبل راجعا ، فيستقبله سفیان بجيسر دجيل الأهواز ، وقد كان الحجاج كتب إلى الحكمم بن أيوب بن الحكمم بن أبي عقيل ، وهو زوج ابنة الحجاج وعامله على البصرة .

٩٧٣/٢

أما بعد ، فابعث رجلا شجاعا شريفا من أهل البصرة في أربعة آلاف إلى شبيب ، ومره فليكنح بسفیان بن الأبرد ، وليسمع له وليطع .

فبعث إليه زياد بن عمرو العتكي في أربعة آلاف ، فلم ينته إلى سفیان حتى التقى سفیان وشبيب ، ولما أن التقيا بجيسر دجيل عبر شبيب إلى سفیان فوجد سفیان قد نزل في الرجال ، وبعث مهاصر^(١) بن صبي العذري على الخيل ، وبعث على ميمنته بشر بن حسان الفهري ، وبعث على ميسرته عمر بن هبيرة الفزاري ، فأقبل شبيب في ثلاثة كراديس من أصحابه ، هو في كتيبة وسويد في كتيبة ، وقعنّب الموحلي في كتيبة ، وخلّف الخليل بن وائل في عسكريه . قال : فلما حمل سويد وهو في ميمنته

(١) ف : « مضاهر » .

على ميسرة سُفْيَانٍ ، وقعنَّبٌ وهو في ميسرته على ميمينته حَمَلٌ هو على سُفْيَانٍ ، فاضطربنا طويلا من النهار ، حتَّى انحازوا فرجعوا إلى المكان الذي كانوا فيه ، فكرَّ علينا هو وأصحابه أكثرَ من ثلاثين كسرةً ، كلَّ ذلك لا نزول من صفتنا . وقال لنا سُفْيَانُ بنُ الأبرد: لا تنفروا ، ولكن ليرحف الرجالُ إليهم زحفًا ، فوالله ما زلنا نطاعينهم ونضاربهم حتَّى اضطربناهم إلى الجسر ، فلما انتهى شبيب إلى الجسر نزل ونزل معه نحو من مائة رجل ، فقَاتَلْنَاهم حتى المساء أشدَّ قتال قاتله قومٌ قطَّ ، فإِذَا أَن نزلوا فأوقعوا لنا من الطعن والضرب شيئًا ما رأينا مثله من قوم قطَّ . فلما رأى سفيانُ أَنَّهُ لا يتقدَّر عليهم ، ولا يأمن مع ذلك ظفرهم ، دعا الرماة فقال : ارشقوهم بالنبل ، وذلك عند المساء ، وكان التقاؤهم نصف النهار ، فرماهم أصحابُ النَّبْلِ بالنبل عند المساء ، وقد صفَّهم سُفْيَانُ بنُ الأبرد على حدة ، وبعث على المرامية رجلا ، فلما رشقوهم بالنبل ساعةً شدوا عليهم ، فلما شدوا على رُمَاتِنَا شددنا عليهم ، فشغلناهم عنهم ، فلما روهوا بالنبل ساعةً ركب شبيب وأصحابه ثم كسروا على أصحاب النَّبْلِ كسرةً صرَّع منهم أكثرُ من ثلاثين رجلا ، ثم عطف بخييله علينا ، فبشى عامدًا نحونا ؛ فطاعناه حتَّى اختلط الظلام ، ثم انصرف عنا ، فقال سُفْيَانُ لأصحابه : أيُّها الناس ، دعوهم لا تتبعوهم حتى نصبَّحهم غدوةً . قال : فكففتنا عنهم وليس شيء أحب إلينا من أن ينصرفوا عنا .

٩٧٤/٢

قال أبو مخنف : فحدثني فروة بن لقيط ، قال : فما هو إلا أن انتهينا إلى الجسر ، فقال : اعبروا معاشر المسلمين ، فإذا أصبحنا باكرناهم إن شاء الله ، فعبرنا أمامه ، وتخلَّف في آخرنا ، فأقبل على فرسه ، وكادت بين يديه فرس أنثى ماذيانية ، فنزا فرسه عليها وهو على الجسر فاضطربت الماذيانية ، ونزل حافرُ رجل فرس شبيب على حرف السفينة ، فسقط في الماء ، فلما سقط قال : ﴿ لِيَقْضِيَ اللهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا ﴾ .

٩٧٥/٢ فارتس (١) في الماء ، ثم ارتفع فقال : ﴿ ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴾ .

(١) ارتس في الماء . إذا انغمس فيه حتى يغيب رأسه وجميع جسده فيه .

قال أبو مخنف : فحدثني أبو يزيد السكسكى بهذا الحديث - وكان ممن يقاتله من أهل الشام ، وحدثني فرّوة بن لقيط ، وكان ممن شهيد مواظته - فأما رجل من رهطه من بني مروة بن همام فإنه حدثني أنه كان معه قوم يقاتلون من عشيرته ، ولم يكن لهم تلك البصيرة النافذة ، وكان قد قتل من عشائرتهم رجلاً كثيراً ، فكان ذلك قد أوجع قلوبهم ، وأوغر صدورهم ؛ وكان رجل يقال له مقاتل من بني تيم بن شيبان من أصحاب شبيب ، فلمّا قتل شبيب رجلاً من بني تيم بن شيبان أغار هو على بني مروة بن همام فأصاب منهم رجلاً ، فقال له شبيب : ما حملك على قتلهم بغير أمرى ! فقال له : أصلحك الله ! قتلت كفّار قومي ، وقتلت كفّار قومك ، قال : وأنت النولى على حتى تقطع الأمور دُونى ! فقال : أصلحك الله ! أليس من ديننا قتل من كان على غير رأينا ، منّا كان أو من غيرنا ! قال : بلى ، قال : فإنّما فعلت ما كان ينبغي ، ولا والله يا أمير المؤمنين ما أصبت من رهطك عشر ما أصبت من رهطى ، وما يحلّ لك يا أمير المؤمنين أن تسجد من قتل الكافرين ؛ قال : إني لا أجيد من ذلك . وكان معه رجال كثير قد أصاب من عشائرتهم ، فزعموا أنّه لمّا تخلّف في أخريات أصحابه قال بعضهم لبعض : هل لكم أن تقطع به الجسر فنذرنا ثأرتنا الساعة ! فقطعوا الجسر ، قالت السفن ، ففزع الفرس ونفر ، ووقع في الماء فغرق .

٩٧٦/٢

قال أبو مخنف : فحدثني ذلك المرّى بهذا الحديث ، وناس من رهط شبيب يتذكرون هذا أيضاً ؛ وأما حديث العامة فالحديث الأوّل .

قال أبو مخنف : وحدثني أبو يزيد السكسكى ، قال : إنّنا والله لنتهياً للانصراف إذ جاء صاحب الجسر فقال : أين أميركم ؟ قلنا : هو هذا ، فجاءه فقال : أصلحك الله ! إن رجلاً منهم وقع في الماء ، فتنادوا بينهم : غرق أمير المؤمنين ! ثمّ إنهم انصرفوا راجعين ، وتركوا عسكريهم ليس فيه أحد ، فكبر سفيان وكبرنا ، ثمّ أقبل حتى انتهى إلى الجسر ، وبعث مهاصير بن صبيّ فعبّر إلى عسكريهم ، فإذا ليس فيه منهم صافير

ولا آثر^(١). فتزل فيه، فإذا أكثر عسكر خلق الله خيراً، وأصبحنا فطلبنا شيباً حتى استخرجناه وعليه الدرع، فسمعت الناس يزعمون أنه شقّ بطنه فأخرج قلبه، فكان مجتمعاً صلباً كأنه صخرة، وإنه كان يضرب به الأرض فيثب قائماً إنسان؛ فقال سفيان: احمداوا الله الذي أعانكم فأصبح عسكرهم في أيدينا.

قال أبو زيد عمر بن شبة: حدثني خلاد بن يزيد الأرقط، قال: كان شيب ينعمي لأمه فيقال: قتل فلا تقبل قال: فقيل لها: إنه غرق. فقيلت؛ وقالت: إني رأيت حين ولدته أنه خرج مني شهاب نار، فعلمت أنه لا يطغئه إلا الماء.

٩٧٧/٢ قال هشام عن أبي مخنف: حدثني فروة بن لقيط الأزدي ثم الغامري أن يزيد بن نعيم أبا شيب كان ممن دخل في جيش سلمان بن ربيعة إذ بعث به وبمن معه^(٢) الوليد بن عقبة عن أمر عثمان إياه بذلك مدداً لأهل الشام أرض الروم، فلما قفل المسلمون أقيم السبي للبيع، فرأى يزيد ابن نعيم أبو شيب جارية حمراء، لا شهلاء ولا زرقاء طويلة جميلة تأخذها العين، فابتاعها ثم أقبل بها؛ وذلك سنة خمس وعشرين أول السنة، فلما أدخلها الكوفة قال: أسلمي، فأبت عليه؛ فضر بها فلم تزد إلا عصياناً، فلما رأى ذلك أمر بها فأصلحت، ثم دعا بها فأدخلت عليه. فلما تغشأها تلفت منه بحمل فولدت شيباً. وذلك سنة خمس وعشرين في ذي الحجة في يوم النحر يوم السبت. وأجبت مولاهما حباً شديداً - وكانت حلوة^(٣) - وقالت: إن شئت أحببتك إلى ما سألتني من الإسلام، فقال لها: شئت، فأسلمت، وولدت شيباً وهي مسلمة، وقالت: إني رأيت فيما يرى النائم أنه خرج من قبلي شهاب فثقب يسطع حتى بلغ السماء وبلغ الآفاق كلها، فبينما هو كذلك إذ وقع في ماء كثير جارٍ فخيا، وقد ولدته في يومكم هذا الذي تهريقون فيه الدماء، وإني

(١) يقال: ما في الدار من صافر، أي أحد يصفّر، وهو مثل.

(٢) ١: «معد الوليد بن عقبة». (٣) كذا في ١، وفي ط: «تحدثه».

قد أولتُ رؤيَاىَ هذه أنى أرى وليدى هذا غلاماً ، أراه سيكون صاحب دماء
يُهرَيِّقها ، وإنى أرى أمره سيعلو ويعظم سريعاً . قال : فكان أبوه يتخلف ٩٧٨/٢
به وبأمة إلى البادية إلى أرضِ قومه على ماء يُدعى اللَّصَف .

قال أبو مخنف : وحدثنى موسى بنُ أبى سُويد بن رادى أن
جُنْدَ أهل الشام الذين جاءوا حملوا معهم الحَجَر فقالوا : لا نفر من
شبيب حتى يفر هذا الحجر ؛ فبلغ شبيباً أمرهم ، فأراد أن يكيدهم ، فدعا
بأفراس أربعة ، فربط في أذناها ترسة في ذنَب كلِّ فرس تُرْسَيْن ، ثم
نذب معه ثمانية نفر من أصحابه ، ومعه غلامٌ له يقال له حيَّان ، وأمره
أن يحمل معه إداوةً من ماء ، ثم سار حتى يأتي ناحيةً من العسكر ،
فأمر أصحابه أن يكونوا في نواحي العسكر ، وأن يجعلوا مع كلِّ رجلين فرساً ،
ثم يُمسِّسوها الحد يدَ حتى تجد حره ويخلوها في العسكر ، وواعدهم ثلعةً
قريبةً من العسكر ، فقال : من نجا منكم فإن موعده هذه الثلعة ؛ وكره
أصحابه الإقدام على ما أمرهم به ، فنزل حيث رأى ذلك منهم حتى صنع
بالخَيْلِ مِثْلَ الذى أمرهم ، ثم وغلَّت في العسكر ، ودخل يتناولها مُحَكِّمًا
فضرب الناسُ بعضهم بعضاً ، فقام صاحبهم الذى كان عليهم ، وهو
حبيب بن عبد الرحمن الحَكَمَى ، فنادى : أيها الناس ، إن هذه مكيدة ،
فالزموا الأرض حتى يتبين لكم الأمر ، ففعلوا وبقى شبيب في عسكرهم ،
فلزم الأرض حيث رآهم قد سكنوا ، وقد أصابته ضربةٌ عمود أو هنته ،
فلما أن هدأ الناسُ ورجعوا إلى أبينتهم خرج في غمارهم حتى أتى الثلعة ، ٩٧٩/٢
فإذا هو بَحَيَّان ، فقال : أفرغ يا حيَّان على رأسى من الماء ؛ فلما مدَّ رأسه
ليصب عليه من الماء همَّ حيَّان أن يضرب عنقه ، فقال لنفسه : لأجد
لى مكرمةً ولاذكراً أرفع من قتلِى هذا ، وهو أمانى عند الحجاج ، فاستقبلته
الرَّعْدَةُ حيث همَّ بما همَّ به ، فلما أبطأ بحلِّ الإداوة قال : ما يبطلك
بحلتها ! فتناول السكين من مَوَزَجِهِ^(١) فخرقها به ، ثم ناولها إياه ،
فأفرغ عليه من الماء . فقال حيَّان : منعتنى واللهِ الجُبْنُ وما أخذتني من

(١) الموزج : الحف ، فارسى عرب . الجواليق ٣١١ .

الردة أن أضرب عنقه بعد ما هممتُ به . ثمّ لَحِقَ شبيب بأصحابه في
عسكره .

[خروج مطرف بن المغيرة على الحجّاج وعبد الملك]

قال أبو جعفر : وفي هذه السنة خرج مُطَرَفُ بن المغيرة بنِ شُعْبَةَ
على الحجّاج ، وخلع عبد الملك بن مروان ولحق بالجهال فقتل .

* ذكر السبب الذي كان عند خروجه وخلعه عبد الملك بن مروان :

قال هشامٌ عن أبي مخنف ، قال : حدثني يوسفُ بنُ يزيدَ بن بكر
الأزدى أن بني المغيرة بن شعبة كانوا صلحاء نُبلاء ، أشرفاً بأبدانهم سوى
شرف أبيهم ومنزلتهم^(١) في قومهم . قال : فلما قدم الحجّاج فلقوه وشافهم
علم أنهم رجال قومه وبنو أبيه ، فاستعمل عروةَ بن المغيرة على
٩٨٠/٢ الكوفة ، ومطرفَ بن المغيرة على المدائن ، وحمزة بن المغيرة على همدان .

قال أبو مخنف : فحدثني الحُصَيْن بن يزيد بن عبد الله بن سعد بن نُسَيْبِ
الأزدى ، قال : قدّم علينا مطرف بن المغيرة بن شُعْبَةَ المدائن فصعد
المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثمّ قال : أيّها الناس ، إن الأمير الحجّاجَ
أصلحه الله قد ولّاني عليكم ، وأمّرني بالحكم بالحق ، والعدل في السيرة ، فإن
عملتُ بما أمّرني به فأنا أسعدُ الناس ، وإن لم أفعلْ فنفسى أوبقتُ ، وحظّ
نفسى ضيقت ، ألا^(٢) إني جالس لكم العَصْرَيْن ، فارفعوا إلى حوائجكم^(٣) ،
وأشيروا عليّ بما يصلحكم ويصلح بلادكم ، فإني لن ألوكم خيراً
ما استطعت . ثمّ نزل .

وكان بالمدائن إذ ذاك رجالٌ من أشرف أهل المصروبيوتات الناس ، وبها
مقاتلة لا تسعها عدّة ، إن كان كَوْنٌ بأرض جُوخَى أو بأرض الأنبار . فأقبل
مطرف حين نزل حتّى جلس للناس في الإيوان ، وجاء حكيمُ بن الحارث
الأزدى يمشى نحوه ، وكان من وجوه الأزد وأشرفهم ، وكان الحجّاج قد

(١) : « وبيرائهم » .

(٢-٢) ب ، ف : « ارفعوا إلى حوائجكم فإني جالس لكم العصرين » .

استعمله بعد ذلك على بيت المال - فقال له: أصلحك الله! إني كنتُ منك نائياً حين تكلمتَ ، وإني أقبلتُ نحوك لأجيبك ، فوافق ذلك نزولك ، إننا قد فهمنا ما ذكرتَ لنا ، أنه عهد إليك ، فأرشد الله العاهد والمعهود إليه ، وقد منيتَ من نفسك العدل ، وسألتَ المعونة على الحق ، فأعانك الله على ٩٨١/٢ ما نويتَ ، إنك تُشبه أباك في سيرته برضا الله والناس . فقال له مطرف : ها هنا إلى ؟ فأوسع له فجلس إلى جنبه .

قال أبو مخنف : فحدثني الحُصَيْن بن يزيد أنه كان من خير عامل قدم عليهم قط ، أقمعه لمُريب ، وأشدّه إنكاراً للظلم ، فقدم عليه بشر بن الأجدع الهمداني ، ثم الثوري ، وكان شاعراً فقال :

إني كلفتُ بخود غيرِ فاحشةٍ غراءً وهنائةٍ حُسانةٍ الجيدِ
 كأنها الشمس يومَ الدَّجْنِ إذ برزتْ تمشي معَ الأنسِ الهيفِ الأمايلِ
 سلُّ الهوى بعلنداقٍ مُذكِّرةٍ عنها إلى المُجتدى ذى العُرفِ والجدِ
 إلى الفتي الماجدِ الفياضِ نعرفهُ في الناس ساعةٍ يُحلى كلُّ مردودِ
 من الأكارم أنساباً إذا نُسبوا والحاملِ الثقلِ يومَ المغرمِ الصِّيدِ
 إني أعيدُكَ بالرحمنِ من نَفْرِ حمر السِّبالِ كأسدِ الغابةِ السُّودِ
 فرسانُ شيبانٍ لم نسمعِ بِمثلهمِ
 شدُّوا على ابنِ حُصَيْنٍ في كَتِيبَتِهِ
 وابنُ المجالِدِ أزدتُهُ رماحُهُمُ
 وكلُّ جَمْعٍ برودابارَ كان لهمُ
 فقال له : ويحك ما جئتُ إلا لترغبنا . وقد كان شبيب أقبل من سائديما ، فكتب مطرف إلى الحجَّاج :

أمّا بعد ، فإني أخبر الأميرَ أكرمَه الله أن شبيباً قد أقبل نحونا ، فإن رأى الأميرُ أن يُمدّني برجالٍ أضبط بهم المسدائن فتعل ، فإن المدائن باب الكوفة وحصنها .

فبعث إليه الحجَّاجُ بنُ يوسفَ سَبْرَةَ بن عبد الرحمن بن مِخْنَفٍ في مائتين وعبد الله بن كَنَاز في مائتين ، وجاء شيبب فأقبل حتَّى نزل قناطرَ حُدَيْفَةَ ، ثمَّ جاء حتَّى انتهى إلى كَلِّوَاذا ، فعَبَّرَ منها دَجَلَةَ ، ثمَّ أَقْبَلَ حتَّى نزل مدينة بَهْرَسِير ومطرف بن المغيرة في المدينة العتيقة الَّتِي فِيهَا مَنْزِلُ كَسْرَى ٩٨٣/٢ والقَصْرُ الأَبْيَضُ ، فلَمَّا نزل شيبب بَهْرَسِير قطع مطرف الجِسْرَ فِيهَا بينه وبين شيبب ، وبعث إلى شيبب أن ابعث إلى رجالا من صُلَحَاءِ أصحابك أدارِسْهُمْ القرآن ، وأنظر ما تَدْعُونَ إليه ، فبعث إليه رجالا ؛ منهم سويد بن سليم وقَعْنَبُ والمَحَلَّلُ بن وائل ، فلما أَدْنَيْ مِنْهُم المِجْبَرُ وأرادوا أن يَتَزَلَّوْا فِيهِ أَرْسَلَ إِلَيْهِمْ شيبب أَلَّا تَدْخُلُوا السَّقِينَةَ حتَّى يَرْجِعَ إِلَى رَسُولِي مِنْ عِنْدِ مَطْرَفٍ ، وبعث إلى مطرف : أن ابعث إلى بَعِيدَةَ مِنْ أَصْحَابِكَ حتَّى تَرُدَّ عَلَيَّ أَصْحَابِي ، فقال لرسوله : القه فقل له : فكيف آمْنُكَ عَلَى أَصْحَابِي إِذَا بَعَثْتُهُمُ الْآنَ إِلَيْكَ ، وَأَنْتَ لَا تَأْمِنُنِي عَلَى أَصْحَابِكَ ! فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ شيبب : إِنَّكَ قَدْ عَلِمْتَ أَنَّا لَا نَسْتَحِلُّ فِي دِينِنَا الغَدْرَ ، وَأَنْتُمْ تَفْعَلُونَهُ وَتَهْوُونَهِ . فَسَرَّحَ إِلَيْهِ مَطْرَفُ الرَّبِيعِ بنَ يَزِيدَ الأَسَدِيَّ ، وسليمان بن حُدَيْفَةَ بن هلال بن مالك المَزَنِيَّ ، ويزيد بن أبي زياد مولى المغيرة - وكان على حَرَّاسِ مَطْرَفٍ - فلَمَّا وَقَعُوا فِي يَدَيْهِ بَعَثَ أَصْحَابَهُ إِلَيْهِ .

قال أبو مِخْنَفٍ :

حدثني النَّضْرُ بنُ صالح ، قال : كنت عند مطرف بن المغيرة ابن شُعْبَةَ فَا أَدْرَى أَقَالَ : إني كنت في الجند الذين كانوا معه ، أو قال : كنت بإزائه حيث دخلت عليه رُسُلُ شيبب ! وكان لي ولأخي ٩٨٤/٢ وَدَا مَكْرَمًا ، ولم يكن ليستر منَّا شيئًا ، فدخلوا عليه وما عنده أحدٌ من الناس غيري وغير أخي حَلَامُ بن صالح ، وهم ستة ونحن ثلاثة ، وهم شاكُونَ في السلاح ، ونحن ليس علينا إلا سيوفنا ، فلَمَّا دَنَوْا قَالَ سُوَيْدُ : السَّلَامُ عَلَى مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَعَرَفَ الهُدَى وَأَهْلَهُ ، فَقَالَ لَهُ مَطْرَفُ : أَجَلٌ ، فَسَلَّمَ اللهُ عَلَى أَوْلَئِكَ ، ثُمَّ جَلَسَ القَوْمُ ، فَقَالَ لَهُمْ

مطرف: قُصِّوا على أمركم ، وخبروني ما الذي تطلبون؟ وإلام تدعون؟ فحمد الله سويد بن سليم وأثنى عليه ثم قال: أمّا بعد ، فإن الذي ندعو إليه كتاب الله وسنة محمد صلى الله عليه وسلم ، وإن الذي نقمنا على قومنا الاستثثار بالفتىء وتعطيل الحدود والتسلط بالجزرية . فقال لهم مطرف: ما دعوتكم إلا إلى حق ، ولا نقمتم إلا جوراً ظاهراً ، أنا لكم على هذا مستابع ، فتابعوني إلى ما أدعوكم إليه ليجتمع أمري وأمركم ، وتكون يدي وأيديكم واحدة ، فقالوا: هات ، اذكر ما تريد أن تذكر ، فإن يكن ما تدعوننا إليه حقاً نجيبك ؛ قال: فإني أدعوكم إلى أن نقاتل هؤلاء الظالمين العاصين على إحدائهم الذي أحدثوا^(١) ، وأن ندعوهم إلى كتاب الله وسنة نبيه ، وأن يكون هذا الأمر شورى بين المسلمين ، يؤمرون عليهم من يرضون لأنفسهم على مثل الحال التي تركهم عليها عمر بن الخطاب ؛ فإن العرب إذا علمت أن ما يراد بالشورى الرضا من قريش رضوا ، وكثر تبعكم منهم وأعاونكم على عدوكم ، وتم لكم هذا الأمر الذي تريدون .

قال: فتوثبوا من عنده ، وقالوا: هذا ما لا نجيبك إليه أبداً ، فلما ٩٨٥/٢ مضوا فكادوا أن يخرجوا من صفة البيت التفت إليه سويد بن سليم ، فقال: يا بن المغيرة ، لو كان القوم عداة غدراً كنت قد أمكنتهم من نفسك ، ففسر لها مطرف ، وقال: صدقت وإله موسى وعيسى .

قال: ورجعوا إلى شبيب فأخبروه بمقالته ، فطمع فيه ، وقال لهم: إن أصبحتم فليأتني أحدكم ؛ فلما أصبحوا بعث إليه سويداً وأمره بأمره ، فجاء سويد حتى انتهى إلى باب مطرف ، فكنت أنا المستأذن له ، فلما دخل وجلس أردت أن أنصرف ، فقال لي مطرف: اجلس فليس دونك ستر ؛ فجلست وأنا يومئذ شاب أعيد ، فقال له سويد: من هذا الذي ليس لك دونه ستر ؟ فقال له: هذا الشريف الحسيب ، هذا ابن مالك بن زهير بن جديمة ، فقال له: بسخ أكرمت فارتبط ، إن كان دينه على

(١) ١ ، س : « على إحدائهم التي أحدثوا » .

قدّر حسبه فهو الكامل ، ثم أقبل عليه فقال : إننا لقينا أمير المؤمنين بالذي ذكرت لنا ، فقال لنا : القوّه فقولوا له : ألسنت تعلم أن اختيار المسلمين منهم خيرهم لهم فيما يرون رأى رشيداً ! فقد مضت به السنة بعد الرسول صلى الله عليه وسلم ، فإذا قال لكم : نعم ، فقولوا له : فإننا قد اخترنا لأنفسنا أرضاً لنا ، وأشدنا اضطلاعاً لِمَا حُمِّل ، فالم يغيّر ولم يُبدل فهو ولي أمرنا . وقال لنا : قولوا له فيما ذكرت لنا من الشورى حين قلت : إن العرب إذا علمت أنّكم إنّما تريدون بهذا الأمر قريشاً^(١) كان أكثر لتبعكم منهم ؛ فإنّ أهل الحق لا ينقضهم عند الله أن يقلّوا ، ولا يزيد الظالمين خيراً أن يكثروا ، وإن توكنا حقنا الذي خرجنا له ، ودخولنا فيما دعوتنا إليه من الشورى خطيئة وعجز ورخصة إلى نصر الظالمين ووهن ، لأننا لا نرى أنّ قريشاً أحقّ بهذا الأمر من غيرها من العرب . وقال^(٢) : فإن زعم أنّهم أحقّ بهذا الأمر من غيرها من العرب فقولوا له : ولم ذلك ؟ فإن قال : لقرابة محمد صلى الله عليه وسلم بهم فقولوا^(٣) له : فوالله ما كان ينبغي إذنا لأسلافنا الصالحين من المهاجرين الأوّلين أن يتولّوا على أسرة محمد ، ولا على ولد أبي لهب لو لم يبق غيرهم ؛ ولولا أنّهم علموا أنّ خير الناس عند الله أتقاهم ، وأنّ أولاهم بهذا الأمر أتقاهم وأفضلهم فيهم ، وأشدّهم اضطلاعاً بحمّل أمورهم ما تولّوا أمور الناس ، ونحن أوّل من أنكر الظلم وغير الجور وقاتل الأحزاب ، فإن اتبّعنا فله ما لنا وعليه ما عاتينا ، وهو رجل من المسلمين ، وإلا يفعل فهو كعص من نُعادي ونقاتل من المشركين .

فقال له مطرف : قد فهمت ما ذكرت ، ارجع يومك هذا حتى تنظر في أمرنا .

فرجع ، ودعا مطرف رجالاً من أهل ثقافته وأهل نضائحه ؛ منهم سليمان بن حذيفة المرزقي ، والربيع بن يزيد الأسدي . قال النضر بن صالح ٩٨٧/٢ : وكنت أنا ويزيد بن أبي زياد مولى المغيرة بن شعبه قائمين على

(١) ب : « قريشياً » . (٢) ط : « فقال له » . (٣) ط : « فقل » .

رأسه بالسيف ، وكان على حرّسه ، فقال لهم مطرفٌ : يا هؤلاء ، إنكم نصحاء وأهلُ مودتي ومن أثقُ بصلاحه وحسن رأيه ، والله ما زلتُ لأعمال هؤلاء الظالمة كارهاً ، أنكرها بقلبي ، وأغيرها ما استطعتُ بفعلِي وأمرِي ، فلماً عظمتُ خطيئتهم ، ومرّ بي هؤلاء القومُ يجاهدونهم ، لم أرَ أنه يسعني إلا مناهضتهم وخيلافتهم إن وجدتُ أعواناً عليهم ، وإني دعوتُ هؤلاء القومَ فقلت لهم كسيتُ وكسيتُ ، وقالوا لي كيت وكيت ، فلستُ أرى القتالَ معهم ، ولو تابعتوني على رأيي وعلى ما وصفتُ لهم لخلعتُ عبدَ الملك والحجاج ، ولسرتُ إليهم أجاهدهم . فقال له المُرّاني : إنهم لن يتابعوك ، وإنك لن تتابعهم فأخف هذا الكلامَ ولا تُظهره لأحد ، وقال له الأسديُّ مثل ذلك ، فاجتأ مولاة ابن أبي زياد على ركبتيه ثم قال : والله لا يخفسي مما كان بينك وبينهم على الحجّاج كلمة واحدة ، وليزيدنّ على كلِّ كلمة عشرة أمثالها ، والله أن لو كنتُ في السحاب هارباً من الحجّاج ليلتمسن أن يصل إليك حتى يهلكك^(١) أنت ومن معك ؛ فالنّجاء النّجاء من مكانك هذا ، فإن أهلَ المسدائن من هذا الجانب ومن ذاك الجانب ، وأهلَ عسكر شيبب يتحدّثون بما كان بينك وبين شيبب ، ولا تمس من يومك هذا حتى يبلّغ الخبرُ الحجّاج ؛ فاطلبُ داراً غيرَ المسدائن . فقال له صاحبه : ما نرى الرأي إلا ٩٨٨/٢ كما ذكرلك^(٢) ، قال لهما مطرفٌ : فما عندكما ؟ قالا : الإجابة إلى ما دعوتنا إليه والمؤاساة لك بأنفسنا على الحجّاج وغيره . قال : ثمّ نظر إلى ، فقال : ما عندك ؟ فقلت : قتال عدوك ، والصبر معك ما صبرت ، فقال لي : ذاك الظنّ بك .

قال : ومكث حتى إذا كان في اليوم الثالث أتاه قعنب فقال له : إن تابعتنا فأنت منّا ، وإن أبيت فقد نابذناك ، فقال : لا تعجبكوا اليوم فإننا ننظر .

قال : وبعث إلى أصحابه أن ارحلوا الليلة من عند آخركم حتى تُوفوا الدسكرة معي لحدث حدث هنالك .

(٢) ب ، ف ، « ما قال » .

(١) ب ، ف : « تهلك » .

ثم أدلج وخرج أصحابه معه حتى مرَّ بدَيْرِيزْدَجِرْد فنزله ، فلقيه قَبِيصَةُ بنُ عبد الرحمن القحافي من خَشْتَعَم ، فدعاه إلى صُحْبته ، فصَحَبه فكسَاه وحَمَلته ، وأمرَ له بنَقْفة ، ثم سَار حتى نزل الدَّسْكَرَة ، فلمَّا أراد أن يرتحل منها لم يجد بداً من أن يُعَلِّم أصحابه ما يريد ، فجمع إليه رِيعوس أصحابه ، فذكر الله بما هو أهلُه وصلَّى على رسوله ، ثم قال لهم : أمَّا بعد ، فإنَّ الله كتب الجهاد على خلقه ، وأمر بالعدل والإحسان ، وقال فيما أنزل علينا : ﴿ وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى ، وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِنِّمِ وَالْعُدْوَانِ ، وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ (١) وإني أشهد الله أني قد خلعتُ عبدَ الملك بن مروانَ والحجَّاج بن يوسفَ ، فمن أحبَّ منكم صُحْبتي وكان على مثل رأيي فليتابعني ، فإن له الأسوة وحُسن الصُّحبة ، ومن أبي فليذهب حيث شاء ، فإنني لست أحبُّ أن يتبعني من ليست له نيَّةٌ في جهادِ أهلِ الجَورِ ، أَدْعوكم إلى كتابِ الله وسنة نبيِّه وإلى قتال الظلمة ، فإذا جمع الله لنا أمرنا كان هذا الأمرُ شُوْرَى بين المسلمين يرتضون لأنفسهم من أحبُّوا .

قال : فوثب إليه أصحابه فبايعوه ، ثمَّ إنَّه دخل رحلته وبعث إلى سَبْرَةَ بن عبد الرحمن بن مِخْنَف وإلى عبد الله بن كَنَاز النَهْدِي فاستخلاهما ، ودعاهما إلى مثل ما دعا إليه عامَّة أصحابه ، فأعطياه الرضا ، فلمَّا ارتحل انصرفا بمن معهما من أصحابه حتى أتيا الحجَّاج فوجداه قد نازل شيبًا ، فشهدا معه وقعة شيب . قال : وخرج مطرفٌ بأصحابه من الدَّسْكَرَة موجَّهًا نحو حُلوان ، وقد كان الحجَّاج بعث في تلك السنة سُويد بن عبد الرحمن السَّعْدِي على حُلوان وماسبذان ؛ فلمَّا بلغه أن مطرف بن المغيرة قد أقبل نحو أرضه عَرَف أنَّه إن رَفَّت في أمره أو داهن لا يتقبل ذلك منه الحجَّاج ، فجمع له سُويد أهلَ البلد والأكراد ، فأما الأكراد فأخذوا عليه ثنِيَّة حُلوان ، وخرج إليه سُويد وهو يجب أن يسلم من قتاله ، وأن يُعافى من الحجَّاج ، فكان خروجه كالتعذير .

قال أبو مِخْنَف : فحدثني عبدُ الله بنُ علقمة الخَشْتَعَمِي أن

الحجّاج بن جارية الخثعميّ حين سمع بخروج مطرف من المدائن نحو الجبل أتبعه في نحو من ثلاثين رجلاً من قومه وغيرهم . قال : وكنت فيهم فليحقتنا بحلوان ، فكنّا ممّن شهد معه قتال سُويد بن عبد الرحمن .
٩٩٠/٢ قال أبو مخنف : وحدثني بذلك أيضاً النضر .

قال أبو مخنف : وحدثني عبدُ الله بنُ علقمة . قال : ما هو إلا أن قدّمنا على مطرف بن المغيرة ، فُسّرَ بمقدّمنا عليه ، وأجلس الحجّاج ابن جارية معه على مجلسه .

قال أبو مخنف : وحدثني النضر بن صالح . وعبدُ الله بنُ علقمة ، أن سُويداً لمّا خرج إليهم بمن معه وقف في الرجال ولم يخرج بهم من البيوت ، وقدّم ابنه القعقاع في الخيّل ، وما خيله يومئذ بكثير .

قال أبو مخنف : قال النضر بن صالح : أراهم كانوا مائتين ، وقال ابنُ علقمة : أراهم كانوا يَنْقُصُونَ عن (١) الثلاثمائة . قال : فدعا مطرف الحجّاج بن جارية فسرحه إليهم في نحو من عِدّتهم (٢) ، فأقبلوا نحو القعقاع وهم جادّون في قتاله ، وهم فرسان متعالِمون ، فلمّا رآهم سُويد قد تيسروا (٣) نحو ابنه أرسل إليهم غلاماً له يقال له رُسَمٌ - قُتل معه بعد ذلك بسدير الجسماجم - وفي يده رايةُ بني سعد ، فانطلق غلامه حتّى انتهى إلى الحجّاج بن جارية ، فأسرّ إليه : إن كنتم تريدون الخروج من بلادنا هذه إلى غيرها فاخرجوا عنّا ، فإنّا لا نريد قتالكم ، وإن كنتم إيانا تريدون فلا بدّ من مننّع ما في أيدينا . فلمّا جاءه بذلك قال له الحجّاج بن جارية : ائت أميرنا فاذكّر له ما ذكرت لي ، فخرج حتّى أتى مطرفاً فذكر له مثل اللّدى ذكر للحجّاج بن جارية ، فقال له مطرف : ما أريدكم ولا بلادكم ، فقال له : فالزم هذا الطريق حتّى تخرج من بلادنا ، فإنّا لا نجد بداً من أن يسرى الناس وتسمع بذلك أنّا قد خرجنا إليك . قال : فبعث مطرف إلى الحجّاج فأتاه ، ولزموا الطريق حتّى مروا بالثنية فإذا الأكرادُ بها ، فنزل مطرف ونزل معه عامّة أصحابه

(١) كذا في ١ ، وفي ط : «من» . (٢) ١ : «عدهم» . (٣) ١ ، س : «سيلوا» .

وصعد إليهم في الجانب الأيمن الحجَّاجُ بنُ جارية، وفي الجانب الأيسر سليمانُ بنُ حذيفة، فهزماهم (٢) وقتلَاهم، وسَلِمَ مطرفٌ وأصحابُهُ ففضوا حتى دنوا من همدان، فتركها وأخذت ذات اليسار إلى ماه دينار، وكان أخوه حمزة بن المغيرة على همدان، فكره أن يدخلها فيقتلهم - أخوه عند الحجَّاج، فلما دخل مطرف أرضَ ماه دينار كتب إلى أخيه حمزة :

أماً بعد، فإن النِّفقة قد كَثُرَتْ والمؤنة قد اشتدت، فأمدد أخاك بما قدرتَ عليه من مال وسلاح .

وبعث إليه يزيد بن أبي زياد مولى المغيرة بن شعبة، فجاء حتى دخل على حمزة بكتاب مطرف ليلاً، فلما رآه قال له : ثكلتك أمك ! أنت قتلتَ مطرفاً ؟ فقال له : ما أنا قتلته جعلتُ فداك ! ولكن مطرفاً قتل نفسه وقتلتني، وليتني لا يقتلك، فقال له : ويحك ! من سؤل له هذا الأمر ! فقال : نفسه سؤلتُ هذا (٣) له . ثم جلس إليه فقص عليه القصص، وأخبره بالخبر، ودفع كتاب مطرف إليه، فقرأه ثم قال : نعم، وأنا باعثٌ إليه بمال وسلاح، ولكن أخبرني تَرَى ذلك يخفى لي ؟ قال : ما أظن أن يخفى، فقال له حمزة : فوالله لئن أنا خذلتك في أنفع النَّصيرين له نصر العلانية، لا أخذلته في أيسر النَّصيرين نصر السريرة . قال : فسرح إليه مع يزيد بن أبي زياد بمال وسلاح، فأقبل به حتى أتى مطرفاً ونحن نزولٌ في رُستاق من رساتيق ماه دينار، يقال له : سامان مُتأخيم أرض أصبهان، وهو رُستان كانت الحمراء تسترله .

قال أبو مخنف : فحدثني النَّضر بنُ صالح، قال : والله ما هو إلا أن مضى يزيد بن أبي زياد، فسمعتُ أهلَ العسكر يتحدثون أن الأمير بعث إلى أخيه يسأله النِّفقة والسلاح، فأثبت مطرفاً فحدثته بذلك، فضرب بيده على جبهته ثم قال : سبحان الله ! قال الأول : ما يخفى إلا ما لا يكون (٤)،

(١) ب، ف : « في الجانب » . (٢) س : « فهزموهم » .

(٣) ب، س : « له هذا » . (٤) كذا في أ، وهو الصواب، وفي ط : « قال » .

قال : وما هو إلا أن قدم يزيدُ بن أبي زياد علينا ، فسار مطرفٌ بأصحابه حتى نزل قُمٌّ وقاشان وأصبهان .

قال أبو مخنف : فحدثني عبدُ الله بنُ علقمة أن مطرفاً حين نزل قُمٌّ وقاشانَ وأطمأنَّ ، دعا الحجاجَ بن جارية فقال له : حدثني عن هزيمة شبيب يومَ السَّبْحَةِ أكانت وأنتَ شاهدَها ، أم كنتَ خرجتَ قبل الوقعة ؟ قال : لا ، بل شهدتُها^(١) ، قال : فحدثني حديثهم كيف كان ؟ فحدثته ، فقال : إني كنتُ أحبُّ أن يظفرَ شبيب وإن كان ضالاً فيقتل ضالاً . قال : فظننتُ أنه تمنى ذلك لأنه كان يرجو أن يتمَّ له الذي يطلبُ لو هلك الحجاج . قال : ثمَّ إنَّ مطرفاً بعثَ عماله .

قال أبو مخنف : فحدثني النَّضرُ بنُ صالح أن مطرفاً عمل عملاً ٩٩٣/٢ حازماً لولا أن الأقدار غالبية . قال : كتب^(٢) مع الربيع بن يزيد إلى سُويد ابن سرحان الثقفى ، وإلى بكير بن هارون البجلي :

أما بعد ، فإننا ندعوكم إلى كتاب الله وسنة نبيه ، وإلى جهادِ مَنْ عِنْدَ عن الحق ، واستأثر بالفقهاء ، وترك حُكْمَ الكتاب ، فإذا ظهر الحق ودُمِغ الباطل ، وكانت كلمةُ الله هي العليا ، جعلنا هذا الأمرَ شورى بين الأمة يرتضى المسلمون لأنفسهم الرضا ، فمن قَسِبَ هذا منا كان أخانا في ديننا . ووليتنا في محيانا ومماتنا ، ومن ردَّ ذلك علينا جاهدناه واستنصرنا الله عليه فكففتنا عليه حجة ، وكفى بتركه الجهادَ في سبيل الله غيبناً ، وبمُداينة الظالمين في أمر الله وهنأ ! إن الله كتب القتال على المسلمين وسماه كُرْهاً ، ولن يُنالَ رضوانُ الله إلا بالصبر على أمر الله ، وجهادِ أعداء الله ، فأجيبوا رحمكم الله إلى الحق ، وادعوا إليه مَنْ ترجون إجابته ، وعرفوه ما لا يعرفه ، وليقبيل لي كلُّ من رأى رأينا ، وأجاب دعوتنا ، ورأى عدوه عدونا . أرشدنا الله وإياكم ، وتاب علينا وعليكم ، إنه هو التَّوَابُ الرَّحِيمُ . وَالسَّلَامُ .

(١) ب ، ف : « شاهدتها » . (٢) ب ، ف : « وكتب » .

فلما قَدِمَ الكِتَابُ عَلَى ذَيْنِكَ الرَّجُلَيْنِ دَبَّيًّا فِي رِجَالٍ مِنْ أَهْلِ الرَّيِّ
وَدَعَا مِنْ تَابِعَيْهِمَا ، ثُمَّ خَرَجَا فِي نَحْوِ مِائَةِ مِنْ أَهْلِ الرَّيِّ سِرًّا لَا يُقْطَنُ (١)
٩٩٤/٢ بِهِمْ ، فَجَاءُوا حَتَّى وَافُوا مَطْرَفًا . وَكَتَبَ الْبَرَاءُ بْنُ قَبِيصَةَ ، وَهُوَ عَامِلُ الْحِجَّاجِ
عَلَى أَصْبَهَانَ :

أَمَا بَعْدُ ، فَإِنْ كَانَ لِلْأَمِيرِ أَصْلَحُهُ اللَّهُ حَاجَةً فِي أَصْبَهَانَ فَلْيَبْعَثْ إِلَى
مَطْرَفٍ جَيْشًا كَثِيفًا يَسْتَأْصِلُهُ وَمِنْ مَعَهُ ، فَإِنَّهُ لَا تَزَالُ عَصَابَةٌ قَدْ انْتَفَحَتْ
لَهُ مِنْ بَلَدَةٍ مِنَ الْبِلْدَانِ حَتَّى تُؤَافِيَهُ (٢) بِمَكَانِهِ الَّذِي هُوَ بِهِ ، فَإِنَّهُ قَدْ اسْتَكْشَفَ
وَكَثُرَ تَبَعُهُ ، وَالسَّلَامُ .

فَكَتَبَ إِلَيْهِ الْحِجَّاجُ :

أَمَا بَعْدُ ، إِذَا أَتَاكَ رَسُولِي (٣) فَعَسْكَرِي بِمَنْ مَعَكَ ، فَإِذَا مَرَّ بِكَ عِنْدِي
ابْنُ وَتَادٍ فَاخْرُجْ مَعَهُ فِي أَصْحَابِكَ ، وَاسْمَعْ لَهُ وَأَطِيع . وَالسَّلَامُ .
فَلَمَّا قَرَأَ كِتَابَتَهُ خَرَجَ فَعَسَكَرَ ، وَجَعَلَ الْحِجَّاجُ بْنُ يَوْسُفَ يَسْرُحُ إِلَى
الْبَرَاءِ بْنِ قَبِيصَةَ الرَّجَالَ عَلَى دَوَابِّ الْبَرِيدِ (٤) عَشْرِينَ عَشْرِينَ ، وَخَمْسَةَ عَشَرَ
خَمْسَةَ عَشَرَ ، وَعَشْرَةَ عَشْرَةَ ، حَتَّى سَرَحَ إِلَيْهِ نَحْوًا مِنْ خَمْسِمِائَةٍ ، وَكَانَ فِي الْفَيْنِ .
وَكَانَ الْأَسْوَدُ بْنُ سَعْدِ الْهَمْدَانِي (٥) أُنَى الرَّيِّ فِي فَتْحِ اللَّهِ عَلَى الْحِجَّاجِ يَوْمَ لَقِيَ
شَيْبِيًّا بِالسَّبَخَةِ ، فَرَّ بِهَمْدَانَ وَالْجِبَالَ ، وَدَخَلَ عَلَى حَمْزَةَ فَاعْتَذَرَ إِلَيْهِ ،
فَقَالَ الْأَسْوَدُ : فَأَبْلَغْتَ الْحِجَّاجَ عَنْ حَمْزَةَ ، فَقَالَ : قَدْ بَلَّغْنِي ذَلِكَ ، وَأَرَادَ
عِزْلَتَهُ ، فَخَشِيَ أَنْ يَمْكُرَ بِهِ ، وَأَنْ يَمْتَنِعَ مِنْهُ ، فَبَعَثَ إِلَى قَيْسِ بْنِ سَعْدِ الْعِجْلِيِّ -
وَهُوَ يَوْمئِذٍ عَلَى شُرْطَةِ (٦) حَمْزَةَ بْنِ الْمَغِيرَةَ وَلِبْنِي عِجْلٍ وَرَبِيعَةَ عَدَدُ بَهْمَدَانَ -
فَبَعَثَ إِلَى قَيْسِ بْنِ سَعْدٍ بَعَثَهُ عَلَى هَمْدَانَ ، وَكَتَبَ إِلَيْهِ أَنْ أَوْثِقْ حَمْزَةَ
٩٩٥/٢ ابْنَ الْمَغِيرَةَ فِي الْحَدِيدِ (٧) : وَاحْبِسْهُ قَيْلِكَ حَتَّى يَأْتِيَتِكَ أَمْرِي .

فَلَمَّا أَتَاهُ عَهْدُهُ وَأَمْرُهُ أَقْبَلَ وَمَعَهُ نَاسٌ مِنْ عَشِيرَتِهِ كَثِيرٌ ، فَلَمَّا دَخَلَ
الْمَسْجِدَ وَافَقَ الْإِقَامَةَ لِلصَّلَاةِ الْعَصْرِ ، فَصَلَّى حَمْزَةَ (٨) ، فَلَمَّا انْصَرَفَ حَمْزَةَ انْصَرَفَ مَعَهُ

- (١) ب ، ف : « فظن » .
(٢) ب : ف : « كتابي ورسولي » .
(٣) ب ، ف : « البرد » .
(٤) ب ، ف : « شرط » .
(٥) كذا في ا ، و في ط : « الحمداني » .
(٦) ب ، ف : « بالحديد » .
(٧) ب : « يأتيتك » .
(٨) ا : « وصل مع حمزة » .

قيس بن سعد العجليّ صاحب شُرطه ، فأقرأه كتابَ الحجّاج إليه ، وأراه عهدَه ، فقال حمزة . سمعاً وطاعة ؛ فأوثقه وحبّسه في السجن ، وتولى أمر هَمَسَدان ، وبعث عماله عليها ، وجعل عماله كلهم من قومه ؛ وكتب إلى الحجّاج :

أما بعد ، فإنّي أخبّر الأميرَ أصلحه الله ، أنّي قد شددتُ حمزةَ بنَ المغيرة في الحديد ، وحبّسته في السجن ، وبعثتُ عمالي على الخراج ، ووضعتُ يدي في الجباية ، فإن رأى الأميرُ أبقاه الله أن يأذن لي في المسير إلى مطرفَ أذن لي حتى أجاهده في قومي ، ومن أطاعني من أهل بلادى ؛ فإنّي أرجو أن يكون الجهادُ أعظمَ أجراً من جباية الخراج . والسلام .

فلما قرأ الحجّاج كتابه ضحك ثمّ قال : هذا جانب آثراً ما قد أمّناه . وقد كان حمزة بهمسَدان أثقل ما خلق الله على الحجّاج مخافة أن يمدّ أخاه بالسلاح والمال ، ولا يدرى لعله يبدو له فيعقب ، فلم يزل يكيده حتى عزله ؛ فاطمأنّ وقصد قصد مطرف .

قال أبو ميخنف : فحدثني مطرف بن عامر بن وائلة أنّ الحجّاج لما قرأ كتابَ قيس بن سعد العجليّ وسمع قولته : إنّ أحبّ الأميرُ سرت إليه حتى أجاهده في قومي ، قال : ما أبغض إليّ أن تتكثّر العربُ في أرض الخراج . قال : فقال لي ابن الغرق : ما هو إلا أن سمعتها من الحجّاج فعلمتُ أنه لو ٩٩٦/٢ قد فرغ له قد عزّله .

قال : وحدثني النضر بن صالح أنّ الحجّاج كتب إلى عدى بن وتاد الإياديّ وهو على الرّيّ يأمره بالمسير إلى مطرف بن المغيرة وبالمرّ على البراء ابن قبيصة ، فإذا اجتمعوا فهو أميرُ الناس .

قال أبو ميخنف : وحدثني أبي عن عبد الله بن زهير ، عن عبد الله بن سليم الأزديّ ، قال : إنّني لستجالسُ مع عدى بن وتاد على مجلسه بالرّيّ إذ أتاه كتابَ الحجّاج ، فأقرأه ثمّ دفعه إليّ ، فقرأته فإذا فيه :

أما بعد ، فإذا قرأتَ كتابي هذا فانهض بثلاثة أرباعِ من مَعك من أهل الرّيّ ، ثمّ أقبل حتى تمرّ بالبراء بن قبيصة بجيّ ، ثمّ سيراً جميعاً ، فإذا

لقبتهما فأنت أمير الناس حتى يقتل الله مطرفاً ، فإذا كَفَى الله المؤمنين مؤنته فانصرف إلى عملك في كَسَف من الله وكَلَاءتِه وسِيره . فلما قرأته قال لى : قم وتجهز .

قال : وخرج فعسكر ، ودعا الكتاب فصرَبوا البعث على ثلاثة أرباع الناس ، فما مضت جُمعة حتى سرنا فانتهينا إلى بجى ، ويؤاينا بها قبيلة القحافى فى تسعمائة من أهل الشام ، فيهم عُمر بن هُبيرة ، قال : ولم نلبث بجى إلا يومين حتى نهض عدى بن وتاد بمن أطاعه من الناس ومعه ثلاثة آلاف مقاتل من أهل الرى وألف مقاتل مع البراء بن قبيصة بعثهم إليه الحجاج من الكوفة ، وسبعمائة من أهل الشام ، ونحو ألف رجل من أهل أصبهان والأكراد ، فكان فى قريب من ستة آلاف مقاتل ، ثم أقبل حتى دخل على مطرف بن المغيرة .

قال أبو مخنف : فحدثني النضر بن صالح ، عن عبد الله بن علقمة ، أن مطرفاً لما بلغه مسيرهم إليه خندق على أصحابه خندقاً ، فلم يزالوا فيه حتى قدموا عليه .

قال أبو مخنف : وحدثني يزيد مولى عبد الله بن زهير ، قال : كنت مع مولاى إذ ذاك ؛ قال : خرج عدى بن وتاد فعبى الناس ، فجعل على ميمته عبد الله بن زهير ، ثم قال للبراء بن قبيصة : قم فى الميسرة ، فغضب البراء ، وقال : تأمرنى بالوقوف فى الميسرة وأنا أمير مثلك ! تلك خبيلى فى الميسرة ، وقد بعثت عليها فارس مضر الطميسيل بن عامر بن وائلة ؛ قال : فأنهيت ذلك إلى عدى بن وتاد ، فقال لابن أقيصر الخثعمي : انطلق فأنت على الخيل ، وانطلق إلى البراء بن قبيصة فقل له : إنك قد أمرت بطاعتي ، ولست من الميمنة والميسرة والخيل والرجال فى شىء ، إنما عليك أن تؤمر فتطيع ، ولا تعرض لى فى شىء أكرهه فأتكبر لك - وقد كان له مكرماً .

ثم إن عدياً بعث على الميسرة عمر بن هبيرة ، وبعثه فى مائة من أهل الشام ، فجاء حتى وقف برايته ، فقال رجل من أصحابه للطميسيل بن عامر :

نَحَلَّ رَايَتَكَ وَتَنَحَّ عَنَّا ، فَإِنَّمَا نَحْنُ أَصْحَابُ هَذَا الْمَوْقِفِ ؛ فَقَالَ الطُّمَيْسِيُّ :
 إِنِّي لَا أَخَاصِمُكُمْ ، إِنَّمَا عَقَدْتُ لِي هَذِهِ الرَّايَةَ الْبَرَاءَةَ بِنُ قَبِيصَةَ ، وَهُوَ أَمِيرُنَا ،
 وَقَدْ عَلِمْنَا أَنَّ صَاحِبَكُمْ عَلَى جَمَاعَةِ النَّاسِ ، فَإِنْ كَانَ قَدْ عَقَّدَ لِمَاصِحِكُمْ ٩٩٨/٢
 هَذَا فَبَارَكَ اللَّهُ لَهُ ، مَا أَسْمَعْنَا وَأَطَوَعْنَا ! فَقَالَ لَهُمُ عُمَرُ بْنُ هُبَيْرَةَ : مَهَلًا ، كُفُّوا
 عَنِ أَخِيكُمْ وَابْنِ عَمِّكُمْ ، رَايَتُنَا رَايَتَكَ ، فَإِنْ شِئْتَ آثَرْنَاكَ بِهَا . قَالَ : فَا
 رَأَيْنَا رَجُلَيْنِ كَانَا أَحْلَمَ مِنْهُمَا فِي مَوْقِفِهِمَا ذَلِكَ . قَالَ : وَنَزَلَ عَدِيُّ بْنُ وَتَادٍ ثُمَّ
 زَحَفَ نَحْوَ مَطْرَفٍ .

قَالَ أَبُو مِيخْنَفٍ : فَحَدَّثَنِي النَّضْرُ بْنُ صَالِحٍ وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَلْقَمَةَ أَنَّ
 مَطْرَفًا بَعَثَ عَلَى مِيْمَنَتِهِ الْحِجَّاجَ بْنَ جَارِيَةَ ، وَعَلَى مَيْسِرَتِهِ الرَّبِيعَ بْنَ يَزِيدَ
 الْأَسَدِيَّ ، وَعَلَى الْحَامِيَةِ سَلِيمَانَ بْنَ صَخْرَةَ الْمُرِّيَّ (١) ، وَنَزَلَ هُوَ يَمْشِي فِي الرَّجَالِ ،
 وَرَأَيْتُهُ مَعَ يَزِيدَ بْنَ أَبِي زِيَادٍ مَوْلَى أَبِيهِ الْمَغِيرَةَ بْنِ شُعْبَةَ . قَالَ : فَلَمَّا زَحَفَ
 الْقَوْمُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ وَتَدَانَسُوا قَالَ لِبَكِيرِ بْنِ هَارُونَ الْبَسَجَلِيُّ : أَخْرُجْ
 إِلَيْهِمْ فَادْعُهُمْ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ وَسُنَّةِ نَبِيِّهِ ، وَبَسِّكْتُهُمْ بِأَعْمَالِهِمُ الْخَبِيثَةَ . فَخَرَجَ
 إِلَيْهِمْ بَكِيرُ بْنُ هَارُونَ عَلَى فَرَسٍ لَهُ أَدَهَمَ أَقْرَحَ ذُنُوبٍ عَلَيْهِ الدَّرْعُ وَالْمِخْفَرُ
 وَالسَّاعِدَانُ ، فِي يَدِهِ الرَّمْحُ ، وَقَدْ شَدَّ دَرْعَهُ بِعَصَابَةِ حَمْرَاءَ مِنْ حَوَاشِي الْبُرُودِ ،
 فَنَادَى بِصَوْتٍ لَهُ عَالٌ رَفِيعٌ : يَا أَهْلَ قَبِيلَتِنَا ، وَأَهْلَ مِلَّتِنَا ، وَأَهْلَ دَعْوَتِنَا ،
 إِنَّا نَسْأَلُكُمْ بِاللَّهِ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الَّذِي عَلَّمَهُ بِمَا تُسْرُونَ مِثْلَ عِلْمِهِ بِمَا تُعْلَنُونَ
 لَمَّا أَنْصَفْتُمُونَا وَصَدَقْتُمُونَا ، وَكَانَتْ نَصِيحَتُكُمْ لِلَّهِ لَا لِخَلْقِهِ ، وَكُنْتُمْ شُهَدَاءَ
 لِلَّهِ عَلَى عِبَادِهِ بِمَا يَعْلَمُهُ اللَّهُ مِنْ عِبَادِهِ . نَجِسْرُونِي عَنْ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ ،
 وَعَنِ الْحِجَّاجِ بْنِ يَوْسُفَ ، أَلَسْتُمْ تَعْلَمُونَهُمَا جِبَارَيْنِ مُسْتَأْثَرَيْنِ يَتَّبِعَانِ الْهَوَى ، ٩٩٩/٢
 فَيَأْخُذَانِ بِالظَّنَّةِ ، وَيَقْتُلَانِ عَلَى الْغَضَبِ . قَالَ : فَتَنَادَوْا مِنْ كُلِّ جَانِبٍ :
 يَاعَدُوْا اللَّهَ كَذِبَتَ ، لَيْسَا كَذَلِكُ ، فَقَالَ لَهُمْ : وَيَسْأَلُكُمْ ﴿لَا تَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا
 فَيَسْجِجَكُمْ بِعَذَابٍ وَقَدْ خَابَ مَنْ آفَتَرَى﴾ (٢) وَيُلَكِّمُ ، أَوْ تَعْلَمُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لَا يَعْلَمُ ،
 إِنِّي قَدْ اسْتَشْهَدْتُكُمْ وَقَدْ قَالَ اللَّهُ فِي الشَّهَادَةِ : ﴿وَمَنْ يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ﴾ (٣) .

(١) ا : « المرى » . (٢) سورة طه : ٦١ . (٣) سورة البقرة : ٢٨٣ .

فخرج إليه صارمٌ مولىً عدى بن وتاذ وصاحب رايته، فحمل على بكير ابن هارون البجليّ، فاضطربا بسيفيهما، فلم تعمل ضربةٌ مولىً عدى شيئاً، وضربه بكير بالسيف فقتله، ثمّ استقدم، فقال: فارس لفارس، فلم يخرج إليه أحدٌ، فجعل يقول:

صَارِمٌ قَدْ لَا قَيْتَ سَيْفًا صَارِمًا وَأَسَدًا ذَا لِبْدَةٍ ضُبَارِمًا^(١)

قال: ثمّ إنّ الحجاج بن جارية حمل وهو في اليمين على عمر بن هبيرة وهو في اليسرة، وفيها الطّفَيْل بن عامر بن وائلة، فالتقى هو والطّفَيْل - وكانا صديقين متواخييين - فتعارفا، وقد رفع كلّ واحد منهما السيف على صاحبه، فكفأ أيديهما، واقتتلا طويلا. ثمّ إنّ ميسرة عدى بن وتاذ زالت غير بعيد، وانصرف الحجاج بن جارية إلى موقفه. ثمّ إنّ الربيع بن يزيد حمل على عبد الله بن زهير، فاقتتلا طويلا، ثمّ إنّ جماعة الناس حملت على الأسدى فقتلته، وانكشفت ميسرة مطرف ابن المغيرة حتى انتهت إليه. ثمّ إنّ عمر بن هبيرة حمل على الحجاج بن جارية وأصحابه فقاتلوه قتالا طويلا، ثمّ إنه حذره حتى انتهى إلى مطرف، وحمل ابن أقيصر الخثعمي في الخثيل على سليمان بن صخر المزنيّ فقتله، وانكشفت خيلهم، حتى انتهى إلى مطرف، فشمّ اقتتل الفُرسان أشدّ قتال رآه الناس قطّ، ثمّ إنه وصل إلى مطرف.

قال أبو مخنف: فحدثني النضر بن صالح أنه جعل يناديهم يومئذ:

﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾^(٢).

قال: ولم يزل يقاتل حتى قُتل، واحتزّ رأسه عمر بن هبيرة، وذكر أنه قتله، وقد كان أسرع إليه غير واحد، غير أنّ ابن هبيرة احتزّ رأسه وأوفده

(١) الضبارم: الشديد الخلق من الأسد. (٢) سورة آل عمران: ٦٤.

إلى عدى بن وتاد وحظى به ، وقاتل عمر بن هبيرة يومئذ وأبلى بلاءً حسناً .

قال أبو مخنف : وقد حدثني حكيم بن أبي سفیان الأزدي أنه قتل يزيد بن زياد مولى المغيرة بن شعبة ، وكان صاحب راية مطرف . قال : ودخلوا عسكر مطرف ، وكان مطرف قد جعل على عسكره عبد الرحمن بن عبد الله بن عفيف الأزدي ، فقتل ، وكان صالحاً ناسكاً عفيفاً .

أبو مخنف : حدثني زيد مولاهم أنه رأى رأسه مع ابن أقيصر الخثعمي ، فما ملكت نفسي أن قلت له : أما والله لقد قتلته من المصلين العابدين الذاكرين الله كثيراً . قال : فأقبل نحوي وقال : من أنت ؟ فقال له مولاى : هذا غلامى ١٠٠١/٢ ما له ؟ قال : فأخبره بمقاتلي ؛ فقال : إنه ضعيف العقل ؛ قال : ثم انصرفنا إلى الرى مع عدى بن وتاد . قال : وبعث رجالاً من أهل البلاء إلى الحججاج ، فأكرمهم وأحسن إليهم . قال : ولما رجع إلى الرى جاءت بجيلة إلى عدى بن وتاد فطلبوا لبكير بن هارون الأمان فأمنه ، وطلبت ثقيف لسويد بن سرحان الثقفي الأمان فأمنه ، وطلبت في كل رجل كان مع مطرف عشيرته ، فأمنهم وأحسن في ذلك ، وقد كان رجال من أصحاب مطرف أحيط بهم في عسكر مطرف ، فنادوا : يا براء ، خذنا الأمان ، يا براء ، اشفع لنا . فشفع لهم ، فتركوها ، وأسروا عدى ناساً كثيراً فخلت عنهم .

قال أبو مخنف : وحدثني النضر بن صالح أنه أقبل حتى قدم على سويد بن عبد الرحمن بجلوان ، فأكرمه وأحسن إليه ، ثم إنه انصرف بعد ذلك إلى الكوفة .

قال أبو ميخنف : وحدثني عبد الله بن علقمة أن الحججاج بن جارية الخثعمي أتى الرى وكان مكتتباً بها ، فطلب إلى عدى فيه ، فقال : هذا رجل مشهور قد شهير مع صاحبه ، وهذا كتاب الحججاج إلى فيه .

قال أبو ميخنف : فحدثني أبي عن عبد الله بن زهير ، قال : كنت فيمن كلمه في الحججاج بن جارية ، فأخرج إلينا كتاب الحججاج بن يوسف :

أما بعد: فإن كان الله قتلَ الحجاجَ بن جارية فبُعْدًا له . فذاك ما أهوى
وأحبَّ ؛ وإن كان حيًّا فاطلبه قبلك حتى تؤثِّقَه ، ثمَّ سَرِّحْ به إلى إن شاء الله . والسلام .

١٠٠٢/٢

قال : فقال لنا : قد كُتِبَ إلىّ فيه ، ولا بدّ من السمع والطاعة ، ولو لم
يُكْتَبَ إلىّ فيه آمنتَ لكم ، وكففتُ عنه فلم أطلبه . وقمنا من عنده .
قال : فلم يزل الحجاج بن جارية خائفًا حتى عزل عدى بن وتّاد ، وقدم خالد
ابن عتاب بن ورفاء ، فمُشيتُ إليه فيه ، فكلّمته فأمنه . وقال حبيب بن
خديرة مولى لبنى هلال بن عامر :

هل أتى فائدَ عن أيسارنا	إذ خَشِينَا مِنْ عَدُوِّ خُرُقَا
إذ أتانا الخَوْفُ من مَأْمِنَا»	فَطَوِينَا فِي سَوَادِ أَفُقَا
وسَلِي هَدِيَّةَ يَوْمًا هل رَأَتْ	بَشْرًا أَكْرَمَ مِنَّا خُلُقَا !
وسَلِيهَا أَعْلَى العَهْدِ لَنَا	أَوْ يُصِرُّونَ عَلَيْنَا حَنَقَا !
ولَكُم من خُلَّةٍ من قَبْلِهَا	قَدْ صَرَمْنَا حَبْلَهَا فَانطَلَقَا
قَدْ أَصَبْنَا العَيْشَ عَيْشَانَا عَمَّا	وَأَصَبْنَا العَيْشَ عَيْشًا رَنَقَا
وَأَصَبْتُ الدَّهْرَ دَهْرًا أَشْتَهِي	طَبَقًا مِنْهُ وَأَلْوَى طَبَقَا
وَشَهَدْتُ الخَيْلَ فِي مَلْمُومَةٍ	مَا تَرَى مِنْهُمْ إِلَّا الحَدَقَا
يَتَسَاقُونَ بِأَطْرَافِ القَنَا	مِنْ نَجِيعِ المَوْتِ كَأَسَا دَهَقَا
فَطِرَادُ الخَيْلِ قَدْ يُؤْنِقُنِي	وِيرِدُ اللُّهُوَ عَنِي الأَنْقَا
بِمُشِيحِ البَيْضِ حَتَّى يَتْرَكُوا	لِسُيُوفِ الهِنْدِ فِيهَا طُرُقَا
فَكَانِي مِنْ غَدٍ وَاقْتَهَا	مِثْلَ مَا وَافَقَ شَنْ طَبَقَا

١٠٠٣/٢

[ذكر الخبر عن وقوع الخلاف بين الأزارقة]

قال أبو جعفر : وفي هذه السنة وقع الاختلاف بين الأزارقة أصحاب

(١) : « هل أتانا الخوف » ، وسقط البيت الأول .

قَطْرَى بن النَجَّاءة ، فخالفه بعضهم واعتزله ، وباع عبد ربّه (١) الكبير ، وأقام بعضهم على بيعة قطرى .

* ذكر الخبر عن ذلك ، وعن السبب الذى من أجله حدث الاختلاف بينهم حتى صار أمرهم إلى الهلاك :

ذكر هشام عن أبي مخنف ، عن يوسف بن يزيد ، أن المهلب أقام بسابور فقاتل قَطْرَى وأصحابه من الأزارقة بعد ما صرف الحجاج عتاب بن ورفاء عن عسكره نحواً من سنة . ثم إنه زاحفهم يوم البُستان فقاتلهم قتالا شديداً ، وكانت كرمان في أيدي الخوارج ، وفارس في يد المهلب ، فكان قد ضاق عليهم مكانهم الذى هم به ، لا يأتيهم من فارس مادة ، وبعدت (١) ديارهم عنهم ، فخرجوا حتى أتوا كرمان وتبعهم المهلب حتى نزل بيجرقت - وجرقت مدينة كرمان فقاتلهم بها أكثر من سنة قتالا شديداً ، وحازم عن فارس كلها ، فلما صارت فارس كلها في يد المهلب بعث الحجاج عليها عماله وأخذها من المهلب ، فبلغ ذلك عبد الملك ، فكتب إلى الحجاج :

أما بعد ، فدع بييد المهلب خراج جبال فارس ، فإنه لا بد للجيش ١٠٠٤/٢ من قوة ، ولصاحب الجيش من معونة ، ودع له كورة فسأو درابجرد ، وكورة لصطخر .

فركها للمهلب ، فبعث المهلب عليها عماله ، فكانت له قوة على عدوه وما يصلحه ، ففى ذلك يقول شاعر الأزد وهو يعاتب المهلب :

نقائل عن قصور درابجرد ونجيبى للمغيرة والرقاد

وكان الرقاد بن زياد بن همام - رجل من العتيك - كريماً على المهلب ، وبعث الحجاج إلى المهلب البراء بن قبيصة ، وكتب إلى المهلب : أما بعد ، فإنك والله لو شئت فيما أرى لقد اصطلمت هذه الخاريجة المارقة ، ولكنك تحب طول بقائهم لتأكل الأرض حولك ، وقد بعثت إليك البراء بن

(١) كذا فى ١ ، وفى ط : « عبد رب » . (٢) ١ ، ط ، « بعد » ، وأثبت ما فى ب ، ف .

قبیصة لیسهوضك إلیهم ، فانهض إلیهم إذا قدّم علیك بجمیع المسلمین ، ثمّ جاهدهم أشدّ الجهاد ، وإیّاك والعلیل والأباطیل ، والأمر الّتی لیست لك عندی بسائغة ولا جائزة ، والسلام .

فأخرج المهلب بنیه ؛ کلّ ابن له فی کتبیبة ، وأخرج الناس علی رایاتهم ومصافئهم وأحماسهم ، وجاء البراء بن قبیصة فوقف علی تل قریب منهم ١٠٠٥/٢
 حیث یراهم . فأخذت الكتائب تحمل علی الكتائب ، والرّجال علی الرجال ، فیقتلون أشدّ (١) قتال رآه الناس من صلاة الغداة إلی انتصاف النهار ، ثمّ انصرفوا . فجاء البراء بن قبیصة إلی المهلب فقال له : لا والله ما رأیت کبّنیك فرساناً قطّ ، ولا کفرسانك من العرب فرساناً قطّ . ولا رأیت مثل قوم یقاتلونك قطّ أصبر ولا أبأس ، أنت والله المعذور . فرجع بالناس المهلب ، حتی إذا کان عند العصر خرج إلیهم بالناس وبنیه فی کتائبهم ، فقاتلوه کقتالهم فی أول مرّة .

قال أبو مخنف : وجدّنی أبو المغلس الکنانی ، عن عمه أبی طلحة ، قال : خرجت کتبیبة من کتائبهم لکتبیبة من کتائبنا ، فاشتدّ بینهما القتال ، فأخذت کلّ واحدة منهما لا تصدّ عن الأخری ، فاقتتلتا حتی حجّز اللیل بینهما ، فقالت إحداهما للأخری : ممن أنتم ؟ فقال هؤلاء : نحن من بنی تمیم ؛ وقال هؤلاء : نحن من بنی تمیم ؛ فانصرفوا عند المساء ، قال المهلب للبراء : کیف رأیت ؟ قال : رأیت قوماً والله ما یعینک علیهم إلاّ الله . فأحسن إلی البراء بن قبیصة وأجازه ، وحملته وكساه ، وأمر له بعشرة آلاف درهم ، ثمّ انصرف إلی الحجّاج فأتاه بعذر المهلب ، وأخبره بما رأى ، وكتب المهلب إلی الحجّاج :

أما بعد ، فقد أتانی کتابُ الأمير أصلحه الله ، واتهامه إیّای فی هذه الخارجة ١٠٠٦/٢
 المارقة ، وأمرنی الأميرُ بالتهوض إلیهم ، وإشهادِ رسولیه ذلك ، وقد فعلت ، فلیسألّه عمارأی ، فأما أنا فوالله لو كنت أقدر علی استئصالهم وإزالتهم عن مکانهم ثمّ أمسکتُ عن ذلك لقد غششتُ المسلمین ، وما وفّیتُ

(١) بعدها فی ب ، ف : « وأعظم » .

لأمير المؤمنين ، ولا نصحتُ للأمير (١) - أصلحه الله - فعاذ الله أن يكون هذا من رأى ، ولا مما أدين الله به ، والسلام .

ثم إن المهلب قاتلهم بها ثمانية عشر شهراً لا يستقل منهم شيئاً ، ولا يرى في موطن يُنقعون له ولن معه من أهل العراق من الطعن والضرب ما يردّ دعوتهم به ويكفونهم عنهم .

ثم إن رجلاً منهم كان عاملاً لقطري على ناحية من كيرمان خرج في سرية لم يدعى المقعطر من بنى ضبة ، فقتل رجلاً قد كان ذا بأس من الخوارج ، ودخل منهم في ولاية ، فقتله المقعطر ، فوثبت الخوارج إلى قطري ، فذكروا له ذلك ، وقالوا : أمكننا من الضبي نقتله بصاحبنا ، فقال لهم : ما أرى أن أفعل ؛ رجل تأول فأخطأ في التأويل ما أرى أن تقتلوه ، وهو من ذوى الفضل منكم ، والسابقة فيكم ، قالوا : بلى ؛ قال لهم : لا ، فوقع الاختلاف بينهم ، فولوا عبد ربّه الكبير ، وخلعوا قطرياً ، وباع قطرياً منهم عصابة نحواً من ربعمهم أو خمسمهم ، فقاتلهم نحواً من شهر غدوة وعشية . فكتب بذلك المهلب إلى الحجاج :

أما بعد ، فإن الله قد أتى بأس الخوارج بينهم ، فخلع عظمهم قطرياً وبايعوا عبد رب ، وبقيت عصابة منهم مع قطري ، فهم يقاتل بعضهم بعضاً غدواً وعشياً ، وقد رجوت أن يكون ذلك من أمرهم سبب هلاكهم إن شاء الله ؛ والسلام .

فكتب إليه :

أما بعد فقد بلغنى كتابك تذكر فيه اختلاف الخوارج بينها ، فإذا أتاك كتابي هذا فناهضهم على حال اختلافهم واقتراقهم قبل أن يجتمعوا ، فتكون مشورتهم عليك أشد ، والسلام .

فكتب إليه :

أما بعد ، فقد بلغنى كتاب الأمير ، وكل ما فيه قد فهمت ، ولست أرى أن أقاتلهم ما داموا يقتل بعضهم بعضاً ، وينقص بعضهم عند بعض ، فإن تموا على ذلك فهو الذى نريد وفيه هلاكهم ، وإن اجتمعوا لم

يَجْتَمِعُوا إِلَّا وَقَدْ رَقَّتْ بَعْضُهُمْ بَعْضًا ، فَأَنَا هِضْمُهُمْ عَلَى تَفِيئَةٍ (١) ذَلِكَ ، وَهَمْ
أَهْوَنَ مَا كَانُوا وَأَضْعَفُهُ شَوْكَةً ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ ، وَالسَّلَامُ .

فَكَفَّ عَنْهُ الْحِجَابُ ، وَتَرَكَهُمْ الْمَهْلَبُ يَقْتَتِلُونَ شَهْرًا لَا يَجْرُكُهُمْ .

ثُمَّ إِنْ قَطَّرِيًّا خَرَجَ بِنِ ابْتِعَهُ نَحْوَ طَبْرِسْتَانَ ، وَبَايَعَ عَامَتَهُمْ عَبْدَ رَبِّهِ
الْكَبِيرَ ، فَنَهَضَ إِلَيْهِمُ الْمَهْلَبُ ، فَقَاتَلُوهُ قِتَالًا شَدِيدًا . ثُمَّ إِنْ اللَّهُ قَتَلَهُمْ فَلَمْ
يَنْجُ مِنْهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ ، وَأَخَذَ عَسْكَرَهُمْ وَمَا فِيهِ وَسَبُّوهُ ، لِأَنَّهُمْ كَانُوا يَسْبُونَ
الْمُسْلِمِينَ . وَقَالَ كَعْبُ الْأَشْقَرِيِّ - وَالْأَشْقَرُ بَطْنٌ مِنَ الْأَزْدِ - يَذْكَرُ يَوْمَ
رَامَهُرْمُزٍ ، وَأَيَّامَ سَابُورَ ، وَأَيَّامَ جِيرَفَتٍ (٢) :

وَقَدْ أَرَقْتُ فَادَى عَيْبِي السَّهْرِ (٣)
وَالشَّيْبُ فِيهِ عَنِ الْأَهْوَاءِ مَزْدَجْرُ
أَمْ حَبَلُهَا إِذْ نَأَتْكَ الْيَوْمَ مُنْبَتِرُ
فِي غُرْفَةٍ دُونِهَا الْأَبْوَابُ وَالْحَجَرُ (٤)
تَكَادُ إِذْ نَهَضْتَ لِلْمَشْيِ تَنْبَتِرُ
دَارًا بِهَا يَسْعَدُ الْبَادُونَ وَالْحَضَرُ
مَا زَالَ فِيهِمْ لِمَنْ نَخْتَارُهُمْ خَيْرُ
وَطَالِبُ الْخَيْرِ مُرْتَادٌ وَمُنْتَظَرُ
أَرْجُو نَوَالِكَ لَمَّا مَسَّنِي الضَّرُّ
مَا دَامَتْ الْأَرْضُ فِيهَا الْمَاءُ وَالشَّجَرُ
إِلَّا يُرَى فِيهِمْ مِنْ سَبِيحِكُمْ أَثَرُ
تَحْيَا الْبِلَادُ إِذَا مَا مَسَّهَا الْمَطَرُ

يَا حَفْصُ إِنِّي عَدَانِي عَنْكُمْ السَّفَرُ
عَلَّقْتَ يَا كَعْبُ بَعْدَ الشَّيْبِ غَانِيَةً
أَمْسَكَ أَنْتَ عَنْهَا بِاللَّذَى عَهَدْتَ
عَلَّقْتَ خَوْدًا بِأَعْلَى الطَّفِّ مَنَزِلُهَا
دُرْمًا مَنَاكِبُهَا رِيًّا مَا كَمِهَا
وَقَدْ تَرَكْتُ بِشَطِّ الزَّابِئِينَ لَهَا
وَاخْتَرْتُ دَارًا بِهَا حَىَّ أَسْرُ بِهِمْ
لَمَّا نَبَتْ بِي بِلَادِي سِرْتُ مُنْتَجِعًا
أَبَا سَعِيدٍ فَإِنِّي جِئْتُ مُنْتَجِعًا
لَوْلَا الْمَهْلَبُ مَا زُرْنَا بِلَادَهُمْ
فَمَا مِنَ النَّاسِ مِنْ حَىَّ عِلْمَتُهُمْ
أَحْيَيْتَهُمْ بِسَجَالٍ مِنْ نَدَاكَ كَمَا

١٠٠٨/٢

١٠٠٩/٢

(١) لَمْ يَبْدُ ذَلِكَ . (٢) بَعْدَ فِي ب ، ف : « قَصِيدَةٌ » .

(٣) مَطْلَعُ الْقَصِيدَةِ فِي الْكَامِلِ ٣ : ٤٠٣ ، وَأَيَّامُهَا فِي الْأَغَانِي ١٤ : ٢٨٤ ، ٢٨٥ .

وَفِي الْكَامِلِ : « وَقَدْ سَهَرْتُ فَأَرَدِي عَيْبِي السَّهْرِ » . وَعَدَانِي : صَرْفِي وَشَغْلِي .

(٤) فِي الْأَغَانِي : « ذَكَرْتُ خَوْدًا » .

إِنِّي لِأَرْجُو إِذَا مَا فَاقَةٌ نَزَلَتْ
فَاجْبِرْ أَخَاكَ أَوْ هِيَ الْفَقْرُ قُوَّتَهُ
جَفَا ذُوو نَسَبِي عَنِّي وَأَخْلَفَنِي
يَا وَاهِبَ الْقَيْنَةِ الْحَسَنَاءِ سُنَّتِهَا
وَمَا تَزَالُ بُدُورٌ مِنْكَ رَائِحَةٌ
نَمَّاكَ لِلْمَجْدِ أَمْلاكَ وَرَثَتَهُمْ
ثَارُوا بِقَتْلِي وَأَوْتَارُ تَعَدُّدُهَا
وَاسْتَسْلَمَ النَّاسُ إِذْ حَلَّ الْعَدُوُّ بِهِمْ
وَمَا تَجَاوَزَ بَابَ الْجِسْرِ مِنْ أَحَدٍ
وَأَدْخَلَ الْخَوْفَ أَجْوَابَ الْبَيْوتِ عَلَى
وَاشْتَدَّتْ الْحَرْبُ وَالْبَلْوَى وَحَلَّ بِنَا
نَظْلٌ مِنْ دُونِ خَفِضِ مُعْصِمِينَ بِهِمْ
كَنَّا نَهْوْنُ قَبْلَ الْيَوْمِ شَأْنَهُمْ
لَمَّا وَهَنَّا وَقَدْ حَلُّوا بِسَاحَتِنَا
نَادَى أَمْرُو لَّا خِلَافَ فِي عَشِيرَتِهِ
أَفْشَى هِنَالِكَ مِمَّا كَانَ مَذْ عَصَرُوا
تَلَبَّسُوا الْقِرَاعِ الْحَرْبِ بَزَّتْهَا
سَارُوا بِاللَّوِيَةِ لِلْمَجْدِ قَدْ رُفِعَتْ
حَتَّى إِذَا خَلَّفُوا الْأَهْوَاذَ وَاجْتَمَعُوا
نَعَى بَشِيرٍ فَجَالَ الْقَوْمُ وَانْصَدَعُوا
ثُمَّ اسْتَمَرَّ بِنَا رَاضٍ بِبَيْعَتِهِ

فضلا من الله في كفيك يبتدِرُ
لعله بعد وهى العظم ينجبرُ
ظني فله درى كيف آتمرُ
كالشمس هر كولة في طرفها فتر (١)
وآخرون لهم من سيبك العررُ
شمُ العرانيين في أخلاقهم يسرُ
في حين لا حدث في الحرب يتثرُ ١٠١٠/٢
فما لأمرهم ورد ولا صدرُ
وعضت الحرب أهل المصر فانجروا
مثل النساء رجال ما بهم غيرُ
أمرُ تشمرُ في أمثاله الأزرُ
فشمُ الشيخ لما أعظم الخطرُ
حتى تفاقم أمرُ كان يُحتقرُ
واستنفر الناس تارات فما نفرُوا
عنه وليس به في مثله قصرُ
فيهم صنائع مما كان يُدخرُ ١٠١١/٢
فأصبحو من وراء الجسر قد عبرُوا
وتحتهن ليوث في الوغى وقرُ
برأهم رمز وأفاهم بها الخبرُ
إلا بقايا إذا ما ذكروا ذكروا
ينوى الوفاء ولم نغدر كما غدروا

(١) المركولة : الحسنة الجسم والخلق والمشية .

شُبِّتْ لَنَا وَلَهُمْ نَارٌ لَهَا شَرٌّ
 جِنَّ نَقَارِعُهُمْ مَا مِثْلُهُمْ بَشَرٌ
 مُسْتَأْنِفِي اللَّيْلِ حَتَّى أَسْفَرَ السَّحْرُ
 مِنَّا وَمِنْهُمْ دِمَاءٌ سَفَكَهَا هَدْرٌ
 مِنَّا لِيُوثَ إِذَا مَا أَقْدَمُوا جَسَرُوا
 عِنْدَ الطَّعَانِ وَلَا الْمَكْرُ الَّذِي مَكَّرُوا
 حَوْلَ الْمَهْلَبِ حَتَّى نَوَّرَ الْقَمَرُ
 وَحَالَ دُونَهُمُ الْأَنْهَارُ وَالْجُدُرُ
 بِكَازِرُونَ فَمَا عَزُّوا وَلَا ظَفَرُوا (١)
 ظَنُّوا بَأَنَّ يُنْصَرُوا فِيهَا فَمَا نُصِرُوا
 أَسَدٌ بِسَفْكِ دِمَاءِ النَّاسِ قَدْ زُرُّوا
 فِيهِمْ عَلَى مَنْ يِقَاسِي حَرْبَهُمْ صَعْرٌ
 وَالْعَاطِفِينَ إِذَا مَا ضَبِعَ الدَّبْرُ
 وَلَوْ خَزَايَا وَقَدْ فُلُّوا وَقَدْ قَهَرُوا
 إِلَّا أَصَابَهُمْ مِنْ حَرْبِنَا ظَفْرٌ
 تَرُوحُ مِنَّا مَسَاعِيرٌ وَتَبْتَكُرُ
 نَحْوَ الْحُرُوبِ فَمَا نَجَّاهُمْ الْحَدْرُ
 ضَخْمُ الدَّسِيعَةِ لَا وَانٍ وَلَا غَمْرٌ (٢)
 لَا يُسْتَخَفُّ وَلَا مِنْ رَأْيِهِ الْبَطْرُ
 يُقَارِعُ الْحَرْبَ أَطْوَارًا وَيَأْتُرُ

حَتَّى اجْتَمَعْنَا بِسَابُورِ الْجُنُودِ وَقَدْ
 نَلَقَى مَسَاعِيرَ أَبْطَالًا كَانَهُمْ
 نُسَقَى وَنُسَقِيهِمْ سَمًّا عَلَى حَنْقِي
 قَتَلِي هِنَالِكَ لَا عَقْلٌ وَلَا قَسْوَدٌ
 حَتَّى تَدَحَّوْا لَنَا عَنْهَا تَسْوِقَهُمْ
 لَمْ يُغْنِ عَنْهُمْ غَدَاةُ التَّلِّ كَيْدُهُمْ
 بَاتَتْ كِتَابُنَا تَرْدِي مَسُومَةً
 هِنَاكَ وَلَوْ حِزَانًا بَعْدَ مَا فَرِحُوا
 عَيْبُوا جُنُودَهُمْ بِالسَّفْحِ إِذْ نَزَلُوا
 وَقَدْ لَقُوا مَصْدَقًا مِنَّا بِمَنْزِلَةٍ
 بَدَشَبْتِ بَارِينَ يَوْمَ الشُّعْبِ إِذْ لَحِقَتْ
 لَا قَوْا كِتَابًا لَا يُخْلُونَ تُغْرَهُمْ
 الْمُقَدِّمِينَ إِذْ مَا خَيْلَهُمْ وَرَدَتْ
 وَفِي جُبَيْرِينَ إِذْ صَفُّوا بِزَحْفِهِمْ
 وَاللَّهِ مَا نَزَلُوا يَوْمًا بِسَاحَتِنَا
 نَنْفِيهِمْ بِالْقَنَا عَنْ كُلِّ مَنْزِلَةٍ
 وَلَوْ حَذَارًا وَقَدْ هَزُّوا أَسِنَّتَنَا
 صَلَّتْ الْجَبِينَ طَوِيلُ الْبَاعِ ذَوْفُرِحِ
 مُجَرَّبُ الْحَرْبِ مَيْمُونٌ نَقِيئْتُهُ
 وَفِي ثَلَاثِ سَنِينَ يَسْتَدِيمُ بِنَا

١٠١٢/٢

١٠١٣/٢

١٠١٤/٢

(١) الأغانى : « وما نصرُوا » .

(٢) الدسيعة : مجتمع الكتفين ، يقال ذلك للرجل الجواد .

يقولُ إِنَّ غَدًا مُبْدٍ لِنَاظِرِهِ
 دَعَا التَّنَابُحَ وَالْإِسْرَاعَ وَارْتَقَبُوا
 حَتَّى أَتَتْهُ أُمُورٌ عِنْدَهَا فَرَجٌ
 لَمَّا زَوَّاهُمْ إِلَى كَرْمَانَ وَانْصَدَعُوا
 سَرْنَا إِلَيْهِمْ بِمِثْلِ الْمَوْجِ وَازْدَلَفُوا
 وَزَادَنَا حَقًّا قَتْلَى نَذَكَّرُهَا
 إِذَا ذَكَرْنَا جَرُوزًا وَالذِّينَ بِهَا
 تَأْتَى عَلَيْنَا حَزَازَاتُ النُّفُوسِ فَمَا
 وَلَا يُقْبِلُونَنَا فِي الْحَرْبِ عَشْرَتَنَا
 لَا عُذْرٌ يُقْبَلُ مِنَّا دُونَ أَنْفُسِنَا
 صَفَّانٍ بِالْقَاعِ كَالطُّودَيْنِ بَيْنَهُمَا
 عَلَى بَصَائِرَ كُلِّ غَيْرٍ تَارِكِهَا
 يَمْشُونَ فِي الْبَيْضِ وَالْأَبْدَانِ إِذْ وَرَدُوا
 وَشِخْنَا حَوْلَهُ مِنَّا مُلْمَلَمَةٌ
 فِي مَوْطِنٍ يَقْطَعُ الْأَبْطَالُ مَنْظَرَهُ
 مَا زَالَ مِنَّا رِجَالٌ ثُمَّ نَضْرِبُهُمْ
 وَبَادَ كُلُّ سِلَاحٍ يُسْتَعَانُ بِهِ
 نَدُوسُهُمْ بَعْنَاجِيحٍ مُجَقَّفَةٌ
 يَغْشَيْنَ قَتْلَى وَعَقْرَى مَا بِهَا رَمَقٌ
 قَتْلَى بِقَتْلَى قِصَاصٌ يُسْتَقَادُ بِهَا

وَفِي اللَّيَالِي فِي الْأَيَّامِ مُعْتَبَرٌ
 إِنَّ الْمُحَارِبَ يَسْتَأْنِي وَيَنْتَظِرُ
 وَقَدْ تَبَيَّنَ مَا يَأْتِي وَمَا يَذُرُ
 وَقَدْ تَقَارَبَتِ الْأَجَالُ وَالْقَدَرُ
 وَقَبْلَ ذَلِكَ كَانَتْ بَيْنَنَا مِثْرًا^(١)
 لَا تَسْتَفِيقُ عَيْونُ كُلَّمَا ذُكِرُوا
 قَتْلَى مَضَى لَهُمْ حَوْلَانِ مَا قُبِرُوا
 نُبْقَى عَلَيْهِمْ وَمَا يَبْقُونَ إِنْ قَدَرُوا ١٠١٥/٢
 وَلَا نَقِيلُهُمْ يَوْمًا إِذَا عَشَرُوا
 وَلَا لَهُمْ عِنْدَنَا عُدْرٌ لَوْ اعْتَدَرُوا
 كَالْبَرْقِ يَلْمَعُ حَتَّى يَشْخَصَ الْبَصَرُ
 كَلَّا الْفَرِيقَيْنِ تُتْلَى فِيهِمُ السُّورُ
 مَشَى الزَّوَامِلُ تَهْدِي صَفَّهُمْ زُمْرًا^(٢)
 حَىٌّ مِنَ الْأَزْدِ فِيهَا نَابَهُمْ صَبْرٌ
 تُشَاطُ فِيهِ نُفُوسٌ حِينَ تَبْتَكِرُ
 بِالْمَشْرِفِ وَنَارُ الْحَرْبِ تَسْتَعِيرُ
 فِي حَوْمَةِ الْمَوْتِ إِلَّا الصَّارِمَ الذِّكْرُ ١٠١٦/٢
 وَبَيْنَنَا ثُمَّ مِنْ صُمِّ الْقَنَا كِسْرٌ
 كَأَنَّهَا فَوْقَهَا الْجَادَى يُعْتَصِرُ
 تَشْفِي صُدُورَ رِجَالِ طَالِمَا وَتَرُوا

(١) المثر : جمع مثرة ؛ وهي اللحل والمدواة .

(٢) الزوامل : جمع زاملة ؛ وهو البعير يحمل الطعام والمتاع .

مُجاورينَ بها خيلاً مُعَقَّرَةً للطيرِ فيها وفي أجسادهم جَزْرُ
 في مَقْرَبِ تَحَسُّبِ القَتْلِ بِسَاحَتِهِ أَعْجَازَ نَخْلِ زَفْتَهُ الرِّيحُ يَنْعَقِرُ
 وفي موَاطِنَ قَبْلَ اليَوْمِ قَدْ سَلَفَتْ قَدْ كَانَ لِلأَزْدِ فِيهَا الحَمْدُ وَالظَّفَرُ
 في كُلِّ يَوْمٍ تُلاقِي الأَزْدَ مُفْطِعةً يَشِيبُ في سَاعَةٍ مِنْ هولِهَا الشَّعْرُ
 والأَزْدُ قَوِي خِيَارُ القَوْمِ قَدْ عِلِمُوا إِذَا قُرُومُهُمْ يَوْمَ الوَغَى خَطَرُوا
 فِيهِمْ مَعَاقِلُ مِنْ عِزِّ يِلَادُ بِهَا يَوْمًا إِذَا شَمَرَتْ حَرْبٌ لَهَا دِرُّرُ
 حَىَّ بِأَسْيَافِهِمْ يَبِغُونَ مَجْدَهُمْ إِنَّ المَكَارِمَ فِي المَكْرُورِ تُبْتَدِرُ
 لولا المَهْلَبُ لِلجَيْشِ الَّذِي وَرَدُوا أَنهَارَ كَرَمَانَ بَعْدَ اللّهِ مَا صَدَرُوا
 إِنَّا اعتَصَمْنَا بِحِجْلِ اللّهِ إِذْ جَحَدُوا بِالمُحْكَمَاتِ وَلَمْ نَكْفُرْ كَمَا كَفَرُوا
 جَارُوا عَنِ القِصْدِ وَالإِسْلَامِ وَاتَّبَعُوا دِينًا يُخَالِفُ مَا جَاءَتْ بِهِ النُّزُرُ

١٠١٧/٢

وقال الطفيل بن عامر بن واثلة وهو يذكر قتل عبد ربه^(١) الكبير وأصحابه،
 وذهاب قطري في الأرض واتباعهم إياه ومراوغته إياهم :

لقد مسّ منّا عبد ربّ وجنّدهُ عقابٌ فأمسى سببُهُمْ في المقاسمِ
 سما لهمُ بالجيشِ حتى أزاحهمُ بكرمانَ عن مَثْوَى مِنَ الأَرْضِ ناعِمِ
 وما قَطْرَى الكُفْرِ إِلَّا نَعَامَةٌ طريدٌ يَدْوَى ليلَهُ غَيْرِ نائِمِ
 إِذَا فرّ منّا هارِباً كانَ وَجْهُهُ طريقاً سَوَى قِصْدِ الهُدَى والمَعَالِمِ
 فليسَ بِمَنْجِيهِ الفِرَارُ وَإِنْ جَرَتْ بِهِ الفُلُكُ في لُجٍّ مِنَ البَحْرِ دائِمِ

* * *

[ذكر الخبر عن هلاك قطري وأصحابه]

قال أبو جعفر : وفي هذه السنة كانت هلكة قطري وعبيدة بن هلال
 وعبد ربّ الكبير ومن كان معهم من الأزارقة .

١٠١٨/٢

(١) كذا في م ، وفي ط : « عبد رب » .

* ذكر سبب مهلكتهم^(١) :

وكان سبب ذلك أن أمر^(٢) الذين ذكرنا خبرهم من الأزارقة لما تشتت بالاختلاف الذى حدث بينهم بكرمان فصار بعضهم مع عبد ربّه الكبير وبعضهم مع قطرى ووهى أمر قطرى ، توجه يريد طبرستان ، وبلغ أمره الحجّاج ، فوجهه - فيما ذكر هشام عن أبي مخنف ، عن يونس بن يزيد - سفيان بن الأبرد ، ووجهه معه جيشاً من أهل الشام عظيم^(٣) فى طلب قطرى ، فأقبل سفيان حتى أتى الرى ثم أتبعهم . وكتب الحجّاج إلى إسحاق بن محمد ابن الأشعث وهو على جيش لأهل الكوفة بطبرستان ، أن اسمع وأطيع لسفيان . فأقبل إلى سفيان فسار معه فى طلب قطرى حتى لحقوه فى شعب من شعاب طبرستان ، فقاتلوه ، فترق عنه أصحابه ، ووقع عن دابته فى أسفل الشعب فتهدى^(٤) حتى خر إلى أسفله ، فقال معاوية بن مخصن الكندى : رأيتُه حيث هوى ولم أعرفه ، ونظرت إلى خمس عشرة امرأة عربية هن فى الجمال والبزاة وحسن الهيئة كما شاء ربك ، ما عدا عجوزاً فيهن ، فحملتُ عليهن فصرفتهن إلى سفيان بن الأبرد .

فلما دنوتُ بهنّ منه انتحنتُ لى بسيفها^(٥) العجوزُ فتضرب به عنق ، ١٠١٩/٢ فقطعت المغمفر ، فقطعت جلدة من حلقى ، وأختلج السيف فأضرب به وجهها ، فأصاب قحف رأسها ، فوقعت ميتة ، وأقبلتُ بالفستيات حتى دفعتهن إلى سفيان وإنه ليضحك من العجوز . وقال : ما أردت^(٦) إلى قتل هذه أخزاهما الله - فقلت : أو ما رأيت أصلحك الله ضربتها إياى ! والله إن كادت لتقتلنى ؛ قال : قد رأيت . فوالله ما ألومك على فعلك ، أبعدها الله . ويأتى قطرياً حيث تهدى من الشعب عالج من أهل البلد ، فقال له قطرى : اسقى من الماء - وقد كان اشتد عطشه - فقال : أعطنى شيئاً حتى أسقيك ، فقال : ويسحك ؛ والله ما معى إلا ما ترى من سلاحي . فأنا مؤتيكته إذا

(١) : « هلكهم » ، ب ، ف : « هلاكهم » .

(٢) ف : « الأمراء » .

(٣) ب ، ف : « عظيماً من أهل الشام » .

(٤) ب ، ف : « فتهدى » ، ا ، س : « فتهدى » .

(٥) س : « سيفها » . (٦) ب : « أردت » .

أتيتني بماء ، قال : لا ، بل أعطنيه الآن ، قال : لا ، ولكن ائتنى بماء قبل ، فانطلق العليج حتى أشرف على قَطْرِي ، ثم حذر عليه حَجْرًا عظيمًا من فوقه دَهْدَاه عليه ، فأصاب إحدى وَرْكَيْهِ فأَوْهتَهُ ، وصاح بالناس ، فأقبلوا نحوه . والعلجُ حينئذ لا يعرف قَطْرِيًّا ، غير أنه يظن أنه من أشرفهم لحسن هيئته ، وكمال سلاحه . فدفع إليه نفرٌ من أهل الكوفة فابتدروه فقتلوه ، منهم سَوْرَةُ بن أبيجر التميمي ، وجعفر بن عبد الرحمن بن ميخنف ، والصباح بن محمد بن الأشعث ، وبإذام مولى بنى الأشعث ، وعمر بن أبي الصلت بن كنار مولى بنى نصر بن معاوية ، وهو من الدَّهَّاقين ، فكل هؤلاء ادَّعَوْا قتله . فدفع إليهم أبو الجهم بن كنانة الكلبي - وكلهم يزعم أنه قاتله - فقال لهم : ادفعوه إلى حتى تصطلحوا ، فدفعوه إليه .

١٠٢٠/٢

فأقبل به إلى إسحاق بن محمد - وهو على أهل الكوفة - ولم يأت به جعفر لشيء كان بينه وبينه قبل ذلك - وكان لا يكلمه ، وكان جعفر مع سُفْيَان بن الأبرد ، ولم يكن معه إسحاق ، وكان جعفر على ربيع أهل المدينة بالري ، فلما مرَّ سُفْيَان بأهل الرِّي انتخب فرسانهم بأمر الحجاج ، فسار بهم معه . فلما أتى القومُ بالرأس فاختموا فيه إليه وهو في يدي^(١) أبي الجهم^(٢) بن كنانة الكلبي ، قال له : امض به أنت . ودع هؤلاء المختلفين ، فخرج برأس قَطْرِي حتى قدم به على الحجاج ، ثم أتى به عبد الملك بن مروان ، فألحق في ألفين ، وأعطى فطما^(٣) - يعني أنه يفرض للصغار في الديوان - وجاء جعفر إلى سُفْيَان فقال له : أصلحك الله ! إن قَطْرِيًّا كان أصاب والذى فلم يكن لي همٌ غيره ، فاجمع بيني وبين هؤلاء الذين ادَّعَوْا قتله ، فسلكهم ، ألم أكن أمامهم حتى بدرتهم فضربته ضربةً فصرعته ، ثم جاءوني بعد ، فأقبلوا يضربونه بأسيافهم ! فإن أقرؤا لي بهذا فقد صدقوا ، وإن أبوا فأنا أحلف بالله أتى صاحبه . وإلا فليحلفوا بالله أنهم أصحابه الذين قتلوه ، وأنهم لا يعرفون ما أقول ، ولاحق لي فيه . قال : جئت الآن وقد سرحنا بالرأس . فانصرف عنه فقال له أصحابه : أما والله إنك لأخلق القوم أن تكون صاحبه .

(١) ب ، ف : « يد » .

(٢) س : « جهم » .

ثمَّ إنَّ سُفْيَانَ بنَ الأبردِ أقبلَ منصرفًا إلى عسكرِ عبيدةِ بنِ هلالٍ ،
وقد تحصَّنَ في قصرِ بقوميسَ ، فحاصره فقاتلته أيامًا . ثمَّ إنَّ سُفْيَانَ بنَ
الأبردِ سارَ بنا إليهم حتى أحططنا بهم ، ثمَّ أمرَ مناديهُ فنادى فيهم : أيُّما
رجلٍ قتلَ صاحبهَ ثمَّ خرجَ إلينا فهو آمنٌ ؛ فقال عبيدةُ بنُ هلالٍ :

لَعَمْرِي لَقَدْ قَامَ الْأَصَمُّ بِخُطْبَةٍ لَدَى الشُّكِّ مِنْهَا فِي الصُّدُورِ غَلِيلُ
لَعَمْرِي لَشَنُّ أَعْطَيْتُ سُفْيَانَ بَيْعَتِي وَفَارَقْتُ دِينِي لِأَنِّي لَجَهْلُ
إِلَى اللَّهِ أَشْكَو مَا تَرَى بِجِيَادِنَا تَسَاوَكْ هَزَلِي مُخَيَّنٌ قَلِيلُ (١)
تَعَاوَرَهَا الْقُدَّافُ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ بِقُومِيسَ حَتَّى صَعِبَهُنَّ ذُلُوكُ
فَإِنْ يَكُ أَفْنَاهَا الْحِصَارُ فَرُبَّمَا تَشْحَطُ. فَمَا بَيْنَهُنَّ قَتِيلُ
وَقَدْ كُنَّ مِمَّا إِنْ يُقَدَّنَ عَلَى الْوَجَى لَهُنَّ بِأَبْوَابِ الْقِيَابِ صَهِيلُ

فحاصرهم حتى جهدوا ، وأكلوا دوابهم . ثمَّ إنهم خرجوا إليه فقاتلوه ،
فقتلهم وبعث برءوسهم إلى الحججاج ، ثمَّ دخل إلى دُنيا وتند وطبرستان ،
فكان هنالك حتى عزله الحججاج قبل الجسماجم .

* * *

[ذكر الخبر عن مقتل أمية بن عبد الله بن خالد بن أسيد]

قال أبو جعفر : وفي هذه السنة قتل بكير بن وشاح السعدي أمية بن
عبد الله بن خالد بن أسيد :

* ذكر سبب قتله إياه .

وكان سبب ذلك - فيما ذكر علي بن محمد ، عن المفضل بن محمد - أن
أمية بن عبد الله وهو عاملُ عبد الملك بن مروان على خراسان ، ولَّى بكيراً
غزواً ما وراء النهر ، وقد كان ولاه قبل ذلك طخارستان ، فتجهَّز للخروج
إليها ، وأنفق نفقةً كثيرةً ، فوشى به إليه بختيار بن ورقاء الصرمي على ما بيئت
قبلُ ، فأمره أمية بالمقام .

(١) التساوك : السير الضعيف ، والبيت في اللسان (سوك) بنسبته إلى عبيد الله بن الحر
الحمق .

فلما ولّاه غزوة ما وراء النهر تجهّز وتكلف الخيل والسلاح ، وادّان من رجال السغد وتجارهم ، فقال بجزير لأمية : إن صار بينك وبينه النهر ولقي الملوك خلع الخليفة ودعا إلى نفسه ، فأرسل إليه أمية : أقم لعل أغزو فتكون معي ، فغضب بكير وقال : كأنه يضارني . وكان عتاب اللقوة الغداني استدان ليخرج مع بكير ، فلما أقام أخذه غرامؤه ، فحبس فأدى عنه بكير وخرج ، ثم أجمع أمية على الغزو . قال : فأمر بالجهاز ليغزو بخارى ، ثم يأتي موسى بن عبد الله بن خازم بالترمذ ، فاستعدت الناس وتجهّزوا ، واستخلف على خراسان ابنته زيادا ، وسار معه بكير فعسكر بكشمتاهن ، فأقام أياما ، ثم أمر بالرحيل ، فقال له بجزير : إني لا آمن أن يتخلف الناس فقل لبكير : فلتكن في الساقة ولتحشر الناس . قال : فأمره أمية فكان على الساقة حتى أتى النهر ، فقال له أمية : اقطع يا بكير ؛ فقال عتاب اللقوة الغداني : أصلح الله الأمير ! اعبر ثم يعبر الناس بعدك . فعبّر ثم عبّر الناس ، فقال أمية لبكير : قد خفت ألا يضبط ابني عمله وهو غلام حدث ، فارجع إلى مرو فاكفنيها فقد وليتسكها ، فزيّن ابني وقم بأمره . فانتخب بكير قُرسانًا من قُرسان خراسان قد كان عرفهم ووثق بهم وعبّر ، ومضى أمية إلى بخارى وعلى مقدمته أبو خالد ثابت مولى خزاعة . فقال عتاب اللقوة لبكير لما عبّر وقد مضى أمية : إنا قتلنا أنفسنا وعشائرنا حتى ضبطننا خراسان ، ثم طلبنا أميرًا من قريش يجمع أمرنا ، فجاءنا أميرٌ يلهب بنا يحوّلنا من سجن إلى سجن ، قال : فما ترى ؟ قال : أحرق^(١) هذه السفن ، وامض إلى مرو فاخلع أمية ، وتقيم بمرو تأكلها إلى يوم ما ؛ قال : فقال الأحنف بن عبد الله العنبري : الرأي ما رأى عتاب ، فقال بكير : إني أخاف أن يهلك هؤلاء القُرسان الذين معي ، فقال : أتخاف عدم الرجال ! أنا آتيك من أهل مرو بما شئت إن هلك من هؤلاء الذين معك ، قال : يهلك المسلمون ؛ قال : إنما يكفيك أن ينادى منادٍ : من أسلم رفعنا عنه الخراج فإتيك خمسون ألفًا من المصلين أسمع لك من هؤلاء وأطوع ؛ قال : فيهلك أمية ومن معه ؛ قال : ولیم يهليكون وهم عُدّة وعدد ونجدة وسلاح ظاهر وأداة كاملة ، ليقاتلوا عن

١٠٢٣/٢

١٠٢٤/٢

(١) : « احرق » .

أنفسهم حتى يبلغوا الصين ! فأحرق بكير السفن ، ورجع إلى مرو ، فأخذ ابن أمية فحبسه ، ودعا الناس إلى نخل أمية فأجابوه ، وبلغ أمية ، فصالح أهل بخارى على فدية قليلة ، ورجع فأمر باتخاذ السفن ، فأتخذت له وجسمت ، وقال لمن معه من وجوه نعيم : ألا تعجبون من بكير ! إني قدمت خراسان فحذرتة ، ورفع عليه وشكى منه ، وذكروا أموالا أصابها ، فأعرضت عن ذلك كله ، ثم لم أفتشه عن شيء ولا أحداً من عماله ، ثم عرضت عليه شرطتي فأبى ، فأعفيتة ، ثم وليته فحذرتة ، فأمرته بالمقام وما كان ذلك إلا نظراً له ، ثم رددته إلى مرو ، ووليته الأمر ، فكفر ذلك كله ، وكافأني بما ترون . فقال له قوم : أيها الأمير ، لم يكن هذا من شأنه ، إنما أشار عليه بإحراق السفن عتاب اللقوة ، فقال : وما عتاب ! وهل ^(١) عتاب إلا دجاجة ١٠٢٥/٢ حاضنة ، فبلغ قوله ^(٢) عتاباً ، فقال عتاب في ذلك :

إِنَّ الْحَوَاصِينَ تَلْقَاهَا مَجْفَفَةً غُلِبَ الرَّقَابَ عَلَى الْمَنَسُوبَةِ النَّجِيبِ
تَرَكْتَ أَمْرَكَ مِنْ جُبْنٍ وَمِنْ خَوَرٍ وَجِئْتَنَا حُمُقًا يَا أَلَامَ الْعَرَبِ
لَا رَأَيْتَ جِبَالَ السُّغْدِ مُعْرَضَةً وَلَيْتَ مُوسَى وَنُوحًا عَكُودَةَ الذَّنْبِ
وَجِئْتَ ذِيخًا مُغْدًا مَا تَكَلَّمْنَا وَطِرْتَ مِنْ سَعَفِ الْبَحْرَيْنِ كَالْخَرَبِ
أَوْعِدْ وَعِيدِكَ إِنْ سَوْفَ تَعْرِفْنِي تَحْتَ الْخَوَافِقِ دُونَ الْعَارِضِ اللَّجِيبِ
يَحُبُّ بِي مَشْرَفٌ عَارِ نَوَاهِقَهُ يَغْشَى الْكَنْبِيَةَ بَيْنَ الْعَدُوِّ وَالْخَبِيبِ

قال : فلما تهيأت السفن ، عبر أمية وأقبل إلى مرو ، وترك موسى بن عبد الله ، وقال : اللهم إني أحسنت إلى بكير ، فكفّر إحساني ، وصنع ما صنع ، اللهم اكفنيه .

فقال شماس بن دثار — وكان رجع من سجستان بعد قتل ابن خازم ، ١٠٢٦/٢
فغزا مع أمية : أيها الأمير ، أنا أكفيك إن شاء الله . فقدّمته أمية في ثمانمائة ، فأقبل حتى نزل باسان وهي لبني نصر ، وسار إليه بكير ومعه مدرك بن أنيف وأبوه

(٢) ف : « ذلك » .

(١) ب ، ف : « وما » .

مع شماس ، فقال : أما كان في تميم أحدٌ يحاربني غيرك ! ولامته . فأرسل إليه شماس : أنت ألوم وأسوأ صنيعاً مني ، لم تَفِ لأمية ولم تشكر له صنيعته بك ؛ فقدم فأكرمك ولم يعرض لك ولا لأحد من عمالك .

قال : فيئته بكير ففرق جمعه وقال : لا تَمَقْتُلُوا منهم أحداً ، وخذلوا سلاحهم ، فكانوا إذا أخذوا رجلاً سلبوه وخذلوا عنه ، ففترقوا ، ونزل شماس في قرية لطية يقال لها : بُوَيْذَه ، وقدم أمية فنزل كَشْمَاهُن ، ورجع إليه شماس بن دثار فقدم أمية ثابت بن قطبة مولى خزاعة ، فلقية بكير فأسر ثابتاً وفرق جمعه ، وخلي بكير سبيل ثابت لبيد كانت له عنده . قال : فرجع إلى أمية ، فأقبل أمية في الناس ، فقاتله بكير وعلى شرطة بكير أبو رستم الخليل بن أوس العيسشي ، فأبلى يومئذ ، فنادوه : يا صاحب شرطة عارمة - وعارمة جارية بكير - فأحجم ، فقال له بكير : لا أبأسلك ، لا يهدك نداء هؤلاء القوم ، فإن للعارمة فتحلاً يمنعها ، فقدم لواءك ، فقاتلوا حتى انحاز بكير فدخل الحائط ، فنزل^(١) السوق العتيقة ، ونزل أمية بآسان فكانوا يلتقون في ميدان يزيد ، فانكشفوا يوماً ، فحماهم بكير ، ثم التقوا يوماً آخر في الميدان ، فضرب رجل من بني تميم على رجله فجعل يستحسبها ، وهريم يحميه ، فقال الرجل : اللهم أئدنا فأئدنا بالملائكة ، فقال له هريم : أيها الرجل ، قاتل عن نفسك ، فإن الملائكة في شغل عنك ، فتحامل ثم أعاد قوله : اللهم أئدنا بالملائكة ، فقال هريم : لتكفن عنى أو لأدعنك والملائكة ، وحماه حتى ألحقته بالناس . قال : ونادى رجل من بني تميم : يا أمية ، يا فاضح قريش ؛ فألى أمية إن ظفير به أن يذبحه ، فظفير به فذبحه بين شرفتين من المدينة ، ثم التقوا يوماً آخر ، فضرب بكير بن وشاح ثابت بن قطبة على رأسه وانتمى : أنا ابن وشاح ؛ فحمل حريث بن قطبة أخو ثابت على بكير ، فانحاز بكير ، وانكشف أصحابه ، وأتبع حريث بكيراً حتى بلغ القنطرة ، فناداه : أين يا بكير ؟ فكر عليه ، فضربه حريث على رأسه ، فقطع المغفر ، وعص

١٠٢٧/٢

(١) : «ترك» .

السيفُ برأسه ، فصرع ، فاحتسبته أصحابه ، فأدخلوه المدينة .
قال : فكانوا على ذلك يقاتلونهم ، وكان أصحابُ بكير يغدُون متفضلين
في ثياب مصبغة ، وملاحفة وأزر صُفْر وحُمْر ، فيجلسون على نواحي
المدينة يتحدَّثون ، ويُنادى منا : مَنْ رَمَى بسهم رَمِينَا إليه برأس رجل من
ولده وأهله ؛ فلا يرميهم أحد .

قال : فأشفت بكير ، وخاف إن طال الحصار أن يخذله الناس ، فطلب
الصِّلح ، وأحبَّ ذلك أيضاً أصحابُ أمية لمكان عيالاتهم بالمدينة ، فقالوا
لأمية : صالحه - وكان أمية يحبُّ العافية - فصالحه على أن يقضى عنه
أربعمائة ألف ، ويصِلَ أصحابه ويولِّيه أيضاً أى كُور خُرَّاسان شاء ،
ولا يسمع قولَ بَحِيرِ فيه ، وإن رابته منه رَيْبٌ فهو أمين أربعين يوماً حتى
يخرج عن مرو ، فأخذ الأمان لبكير من عهد الملك ، وكتب له كتاباً على
باب سنجان^(١) ، ودخل أميةُ المدينة .

قال : وقوم يقولون : لم يخرج بكير مع أمية غازياً ، ولكن أمية لما غزا
استخلفه على مرو فخلعه ، فرجع أميةُ فقاتله ، ثم صالحه ودخل مرو
وفتى أمية لبكير . وعاد إلى ما كان عليه من الإكرام وحُسْنُ الإذن ، وأرسل
إلى عتَّاب اللقوة ، فقال : أنت صاحبُ المشورة ؛ فقال : نعم أصلح الله
الأمير ! قال : ولِمَ ؟ قال : خفَّ ما كان في يدي ، وكشَّرَ ديني ،
وأعديت على غرماي ؛ قال : ويحك ! فضربت بين المسلمين ، وأحرقت السفن
والمسلمون في بلاد العدو ، وما خفت الله ! قال : قد كان ذلك ، فأستغفر
الله ، قال : كم دينك ؟ قال : عشرون ألفاً ؛ قال : تكفَّ عن غيش
المسلمين وأقضي دينك ؟ قال : نعم ، جعلني الله فداك ! قال : فضحك
أمية وقال : إن ظني بك غير ما تقول ، وسأقضي عنك . فأدَّى عنه عشرين
ألفاً ، وكان أمية سهلاً ليناسخياً ، لم يعط أحدٌ من عُمال خُرَّاسان بها مثل
عطاياه ؛ قال : وكان مع ذلك ثقيلاً عليهم ، كان فيه زهو شديد ، وكان
يقول : ما أكتفى بي خُرَّاسان^(٢) وسجستان لمطبخي . وعزل أميةُ بحيراً

(١) ا ، ب ، ف : « شنجار » . (٢) بمد ما في ب ، ف : « كلها » .

١٠٢٩/٢ عن شرطته . وولّاها عطاء بن أبي انساب . وكتب إلى عبد الملك بما كان من أمر بكير وصفحه عنه . فضرب عبد الملك ببعثا إلى أمية بخراسان . فتساجع على الناس . فأعطى شقيق بن سليل الأسدي جعلته رجلا من جرّم ، وأخذ أمية الناس بالخراج . واشتد عليهم فيه . فجلس بكير يوماً في المسجد وعنده ناس من بني تميم . فذكروا شدة أمية على الناس ، فندموا ، وقالوا : سلت علينا الدهاقين في الجباية وبخير وضرار بن حصين وعبد العزيز بن جارية ابن قدامة في المسجد ، فنقل بخير ذلك إلى أمية فكذب به فادعى شهادة هؤلاء ، وادعى شهادة مزاحم بن أبي المسجر السلمي ، فدعا أمية مزاحماً فسأله فقال : إنما كان يمزح ، فأعرض عنه أمية ، ثم أتاه بجبر فقال : أصلح الله الأمير ! إن بكيراً والله قد دعاني إلى خلعك ، وقال : لولا مسكانك لقتلت هذا القرشي وأكلت خراسان ؛ فقال أمية : ما أصدق بهذا وقد فعل ما فعل ؛ فأمنته ووصلته .

١٠٣٠/٢ قال : فأناه بضرار بن حصين وعبد العزيز بن جارية فشهدا أن بكيراً قال لهما : لو أطمعتماني لقتلت هذا القرشي الخنث ، وقد دعانا إلى الفستك بك . فقال أمية : أنتم أعلم وما شهدتم ، وما أظن هذا به وإن تركه ، وقد شهدتم بما شهدتم عجز ؛ وقال لحاجبه عبدة ولصاحب حرسه عطاء بن أبي السائب : إذا دخل بكير ، وبدل وشمردل ابنا أخيه ، فنهضت فخذوهم . وجلس أمية للناس ، وجاء بكير وابنا أخيه ، فلما جلسوا قام أمية عن سريره فدخل ، وخرج الناس وخرج بكير ، فحبسوه وابنى أخيه ، فدعا أمية ببكير فقال : أنت القاتل كذا وكذا ؟ قال : تشببت أصلحك الله ولا تسمعن قول ابن الخلوقة ! فحبسه ، وأخذ جاريته العارمة فحبسها ، وحبس الأحنف ابن عبد الله العنبري ، وقال : أنت ممن أشار على بكير بالخلع .

فلما كان من الغد أخرج بكيراً فشهد عليه بجبر وضرار وعبد العزيز بن جارية أنه دعاهم إلى خلعهم والقتل به ، فقال : أصلحك الله ! تشببت فإن هؤلاء أعدائي . فقال أمية لزياد بن عتبة - وهو رأس أهل العالية - ولا بن ولان العلوي - وهو يومئذ من رؤساء بني تميم - ليعقوب بن خالد الذهلي :

أتقتلونه ؟ فلم يجيبوه ؛ فقال لبسحير : أتقتلُهُ ؟ قال : نعم ، فدفعه إليه ،
 فنهض يعقوبُ بن القسحاق الأعلم الأزدي من مجلسه — وكان صديقاً لبسكير —
 فاحتضن أمية ، وقال : أذكرك الله أيها الأمير في بكير ، فقد أعطيتَه ما
 أعطيتَه من نفسك ، قال : يا يعقوب ما يقتله إلا قومه ، شهدوا عليه ، فقال
 عطاءُ بن أبي السائب الليثي وهو على حرس أمية : خلّ عن الأمير ؛ قال :
 لا ، فضربَه عطاءُ بقائم السيف ، فأصاب أنفه فأدماه ، فخرج ، ثم قال
 لبسكير : يا بسحير ، إن الناس أعطوا بكبيراً ذمتهم في صلحه ، وأنت منهم ،
 فلا تخفر ذمتك ؛ قال : يا يعقوب ، ما أعطيتَه ذمة . ثم أخذ بسحير سيفاً
 بكبير الموصول الذي كان أخذه من أسوار الترجمان ترسجمان ابن خازم ،
 فقال له بكير : يا بسحير ، إنك تفرق أمر بني سعد إن قتلتني ، فدع هذا
 القرشي يلى منى ما يريد ؛ فقال بسحير : لا والله يابن الإصبهانية لا تصلح
 بنو سعد ما دمننا حيين ، قال : فشأنك يابن المخلوقة ، فقتلته ، وذلك يوم
 جمعة .

وقتل أمية ابني أخى بكير ، وهب جارية بكير العارمة لبسحير ، وكلمت
 أمية في الأحنف بن عبد الله العنبري ، فدعا به من السجن ، فقال : وأنت
 ممن أشار على بسكير ، وشتمته ، وقال : قد وهبتك هؤلاء . قال : ثم وجه أمية
 رجلاً من نخزاعة إلى موسى بن عبد الله بن خازم ، فقتلته عمرو بن خالد بن
 حصين^(١) الكلابي غيلة ، ففرق جيشه ؛ فاستأمن طائفة منهم موسى ،
 فصاروا معه ، ورجع بعضهم إلى أمية .

وفي هذه السنة عبر النهر ، نهر بلسخ أمية للغزو ، فحوصر حتى جهيد
 هو وأصحابه ، ثم نجوا بعد ما أشرفوا على الهلاك ؛ فانصرف والذين معه من
 الجند إلى مرو . وقال عبد الرحمن بن خالد بن العاص بن هشام بن المغيرة
 يهجو أمية :

ألا أبلغ أمية أن سيجزى ثواب الشر إن له ثوابا
 ومن ينظر عتابك أو يرده فلست بناظر منك العتابا

(١) ط : « حصن » ، والنظر الفهرس .

محا المعروف منك خلالُ سَنُوهُ مُنَحَتَ صَنِيعَهَا بَاباً فَبَاباً
وَمَنْ سَمَّاكَ إِذْ قَسَمَ الْأَسَامِي أُمِّيَّةَ إِذْ وُلِدْتَ فَقَدْ أَصَابَا

قال أبو جعفر : وحجَّ بالناس في هذه السنة أبان بن عثمان ، وهو أميرٌ على
المدينة ، وكان على الكوفة والبصرة الحجاج بن يوسف ، وعلى خراسان أمية
ابن عبد الله بن خالد بن أسيد . ١٠٣٢/٢

وحدثني أحمد بن ثابت ، عن حدثه ، عن إسحاق بن عيسى ، عن
أبي معشر ، قال : حجَّ أبان بن عثمان وهو على المدينة بالناس حججتين سنة
ست وسبعين وسنة سبع وسبعين .

وقد قيل : إن هلاك شبيب كان في سنة ثمان وسبعين ، وكذلك قيل في
هلاك قَطْرِيَّ وعبيدة بن هلال وعبد ربه (١) الكبير .

وغزًا في هذه السنة الصائفة الوليد .

(١) كذا في أ ، وفي ط : « عبد ربه » .

ثم دخلت سنة ثمان وسبعين

ذكر الخبر عن الكائن في هذه السنة من الأحداث الجليلة
فمن ذلك عزّلُ عبد الملك بن مروان أميّة بن عبد الله عن خراسان
وضمّه خراسان وسجستان إلى الحجاج بن يوسف . فلما ضمّ ذلك إليه فرق
فيه عماله (١) .

* * *

ذكر الخبر عن العمال الذين ولّاهم الحجاج خراسان وسجستان

وذكر السبب في توليته من ولّاه ذلك وشيئاً منه

ذكر أنّ الحجاج لما فرغ من شبيب ومطرف شخّص من الكوفة إلى
البصرة ، واستخلف على الكوفة المغيرة بن عبد الله بن أبي عقيل - وقد
قيل : لأنه استخلف عبد الرحمن بن عبد الله بن عامر الحضرمي ، ثم عزّله ،
وجعل مكانه المغيرة بن عبد الله - فقدم عليه المهلب بها ، وقد فرغ من ١٠٣٢/٢
[أمر] (٢) الأزارقة .

فقال هشام : حدثني أبو ميخنف عن أبي المخارق الراسبي ، أنّ
المهلب بن أبي صفرة لما فرغ من الأزارقة قدّم على الحجاج - وذلك سنة
ثمان وسبعين - فأجلسه معه ، ودعا بأصحاب البلاء من أصحاب المهلب ،
فأخذ الحجاج لا يتذكر له المهلب رجلاً من أصحابه ببلاء حسن إلا
صدّقه الحجاج بذلك ، فحمدتهم الحجاج وأحسن عطاياهم ، وزاد في
أعطياتهم ، ثم قال : هؤلاء أصحاب الفِعال ، وأحقّ بالأموال ، هؤلاء
حُماة الثغور ، وغیظ الأعداء .

قال هشام عن أبي ميخنف : قال يونس بن أبي إسحاق : وقد كان
الحجاج ولي المهلب سجستان مع خراسان ، فقال له المهلب : ألا أدلك على
رجل هو أعلم بسجستان مني ، وقد كان ولي كابل وزابل ، وجباهم

(١) « عماله فيها » . (٢) من ١ -

وقَاتَلَتْهُمُ وَصَالَحَتْهُمُ ؟ قال له : بلى ، فمن هو ؟ قال عبيد الله بن أبي بَكْرَةَ .
 ثم إنه بعث المهلب على خراسان وعبيد الله بن أبي بَكْرَةَ على سجستان ،
 وكان العامل هنالك أمية بن عبد الله بن خالد بن أسيد بن أبي العيص بن أمية ،
 وكان عاملاً لعبد الملك بن مروان ، لم يكن للحجاج شيء من أمره حين بُعث
 على العراق حتى كانت تلك السنة ، فعزلته عبد الملك وجمع سلطانه للحجاج ،
 ففضى المهلب إلى خراسان ، وعبيد الله بن أبي بكرة إلى سجستان ، فكث
 عبيد الله بن أبي بَكْرَةَ بقية سنته .

فهذه رواية أبي مخنف عن أبي الخارق ، وأما علي بن محمد فإنه ذكر
 عن المفضل بن محمد أن خراسان وسجستان جُمِعتا للحجاج مع العراق في ١٠٣٤/٧
 أول سنة ثمان وسبعين بعد ما قتل الخوارج ، فاستعمل عبيد الله بن أبي بَكْرَةَ
 على خراسان ، والمهلب بن أبي صفرة على سجستان ، فكره المهلب سجستان ،
 فلقى عبد الرحمن بن عبيد بن طارق العَبَشَمِيَّ — وكان على شُرطة الحجاج —
 فقال : إن الأمير ولأني سجستان ، وولي ابن أبي بَكْرَةَ خراسان ، وأنا
 أعرف بخراسان منه ، قد عرفت أيام الحكم بن عمرو الغفاري ، وابن
 أبي بَكْرَةَ أقوى على سجستان مني ، فكلم الأمير يحولني إلى خراسان ، وابن
 أبي بَكْرَةَ إلى سجستان ؛ قال : نعم ، وكلم زاذان فرّوخ يعينني ؛ فكلمه ،
 فقال : نعم ، فقال عبد الرحمن بن عبيد للحجاج : وليت المهلب سجستان
 وابن أبي بَكْرَةَ أقوى عليها منه ، فقال زاذان فرّوخ : صدق ، قال : إننا
 قد كتبنا عهداً ؛ قال زاذان فرّوخ : ما أهون تحويل عهدنا ! فحول ابن
 أبي بكرة إلى سجستان ، والمهلب إلى خراسان ، وأخذ المهلب بألف ألف
 من خراج الأهواز ، وكان ولاها إياه خالد بن عبد الله ، فقال المهلب لابنه
 المغيرة : إن خالداً ولأني الأهواز ، وولأك إصطخّر ، وقد أخذني الحجاج
 بألف ألف ، فنصف علي ونصف عليك ، ولم يكن عند المهلب مال ، كان
 إذا عزل استقرض ؛ قال : فكلم أبا ماوية مولى عبد الله بن عامر — وكان
 أبو ماوية على بيت مال عبد الله بن عامر — فأسلف المهلب ثلاثمائة ألف (١) ،

(١) ب ، ف : « ألف ألف » .

فقالَت خَيْبَرَةُ القُشَيْرِيَّةُ امرأةَ المهلب: هذا لا يبقِي (١) بما عليك؛ فباعَت ١٠٣٥/٢ حُلِيًّا لها ومناعمًا، فأكملت خمسمائة ألف، وحملت المغيرة إلى أبيه خمسمائة ألف (٢) فحملها إلى الحجَّاج، ووجَّهَ المهلب ابنه حبيباً على مقدَّمته، فأقَى الحجَّاجُ فودَّعه، فأمر الحجَّاجُ له بعشرة آلاف وبغلة خضراء، قال: فسار حبيبٌ على تلك البغلة حتَّى قَدِمَ خُرَّاسانَ هو وأصحابُه على البريد، فسار عشرين يوماً، فتلقاهم حين دخلوا حملُ حطب، فنزَّرت البغلة فتعجبوا منها ومن نِفارها بعد ذلك التعبِ وشدة السير. فلم يعرض لأمية ولا لعماله، وأقام عشرة أشهر حتى قدم عليه المهلب سنة تسع وسبعين.

* * *

وجَّحَ بالناس في هذه السنة الوليدُ بنُ عبد الملك، حدثني بذلك أحمدُ ابنُ ثابت عن ذكره، عن إسحاق بن عيسى، عن أبي معشر. وكان أميرَ المدينة في هذه السنة أبانُ بنُ عثمان، وأميرَ الكوفة والبصرة وخُرَّاسانَ وسجستانَ وكيرمانَ الحجَّاجُ بنُ يوسف، وخليفتَه بخُرَّاسانَ المهلبُ، وبسجستانَ عبِيد الله ابنُ أبي بكرٍ، وعلى قضاء الكوفة شريح، وعلى قضاء البصرة - فيما قيل - موسى بن أنس.

* * *

وأغزَى عبد الملك في هذه السنة يَمِيحِي بنَ الحَكَمِ.

(١) ب، ف: «لا يبقِي هذا» .

(٢) ب، ف: «ألف ألف» .

ثم دخلت سنة تسع وسبعين

ذكر ما كان فيها من الأحداث الجليلة

فمن ذلك ما أصاب أهل الشام في هذه السنة من الطاعون حتى كادوا
يفنّون من شدته ، فلم يغزُ في تلك السنة أحدٌ - فيما قيل - للطاعون الذي
كان بها ، وكثرة الموت .

١٠٣٦/٢

وفيهما - فيما قيل - : أصابت الرومُ أهلَ أنطاكية .

* * *

[ذكر الخبر عن غزو عبید الله بن أبي بكره رُتبيل]

وفيهما غزا عبید الله بن أبي بكره رُتبيل .

ذكر الخبر عن غزوته لإياه :

قال هشام : حدثني أبو ميخنف ، عن أبي المخارق الراسبيّ ، قال :
لما ولّى الحجاجُ المهلبَ خراسانَ ، وعبید الله بن أبي بكره سجستانَ ، مضى
المهلبُ إلى خراسانَ وعبید الله بن أبي بكره إلى سجستانَ ، وذلك في سنة
ثمان وسبعين ، فكث عبید الله بن أبي بكره بقيّة سنته . ثمّ إنه غزا رُتبيل
وقد كان مصالحتاً ، وقد^(١) كانت العرب قبل ذلك تأخذ منه خراجاً ، وربّما
امتنع فلم يفعل ، فبعث الحجاجُ إلى عبید الله بن أبي بكره أن ناجزه بمن
معك من المسلمين فلا ترجع حتى تستبيح أرضه ، وتهدم قلاعته ، وتقتل
مقاتلته ، وتسي ذريته . فخرج بمن معه من المسلمين من أهل الكوفة وأهل
البصرة ، وكان على أهل الكوفة شريح بن هانئ الحارثي ثمّ الضبابي ، وكان
من أصحاب عليّ ، وكان عبید الله على أهل البصرة ، وهو أمير الجماعة ،
فضى حتى وغل في بلاد رُتبيل ، فأصاب من البقر والغنم والأموال ما شاء
وهدم قلاعاً وحصوناً ، وغلب على أرض من أرضهم كثيرة ، وأصحاب^(٢)
رُتبيل من الترك يخلون لهم عن أرض بعد أرض ، حتى أمعنوا في بلادهم

١٠٣٧/٢

(١) ساقطة من أ . (٢) ب ، ف : « وأصاب » .

ودنوا من مدينتهم ، وكانوا منها ثمانية عشر فرسخًا ، فأخذوا على المسلمين العقاب والشعاب ، وخلوهم والرساتيق ، فسقط في أيدي المسلمين ، وظنوا أن قد هلكوا ، فبعث ابن أبي بكر إلى شريح بن هاني : إني مصالح القوم على أن أعطيهم مالا ، ويخلوا بيني وبين الخروج ، فأرسل إليهم فصالحهم على سبعمائة ألف درهم ، فلقية شريح فقال : إنك لا تصالح على شيء إلا حسبه السلطان عليكم في أعطيائكم ، قال : لو منعنا العطاء ما حيينا كان أهون علينا من هلاكنا ؛ قال شريح : والله لقد بلغت سنًا ، وقد هلكت لداي ، ما تأتي على ساعة من ليل أو نهار فأظننها تمضي حتى أموت ، ولقد كنت أطلب الشهادة منذ زمان ، ولئن فاتني اليوم ما إخالني مُدركها حتى أموت ، وقال : يا أهل الإسلام ، تعاونوا على عدوكم ؛ فقال له ابن أبي بكر : إنك شيخ قد خرفت ، فقال شريح : إنما حسبك أن يقال : بستان ابن أبي بكر وحمام ابن أبي بكر ، يا أهل الإسلام ، من أراد منكم الشهادة فإلي . فاتبعه ناس من المتطوعة غير كثير ، وفرسان الناس وأهل الحفاظ ، فقاتلوا حتى أصيبوا إلا قليلا ، فجعل شريح يرتجز يومئذ ويقول :

أصبحتُ ذا بئث أقاسى الكبراً قد عشتُ بين المشركين أعصراً ١٠٣٨/٢
ثمّت أدركتُ النبيّ المُنيرا وبعده صديقُه وعمراً
ويومَ مهرانَ ويومَ تُسترا والجمَع في صيفينهم والنهراً
وباجميراتٍ مع المشقرا هيهات ما أطولَ هذا عمراً
فقاتل حتى قتيل في ناس من أصحابه ، ونجا من نجا ، فخرجوا من بلاد رُتَيْبيل حتى خرجوا منها ، فاستقبلتهم من خرجوا إليهم من المسلمين بالأطعمة ، فإذا أكل أحدٌهم وشيع مات ، فلما رأى ذلك الناس حذروا يطعمونهم ، ثم جعلوا يطعمونهم السمّن قليلا قليلا ، حتى استمروا . وبلغ ذلك الحجاج ، فأخذه ما تقدّم وما تأخر ، وبلغ ذلك منه كل مبلغ ، وكتب إلى عبد الملك :

أما بعد ، فإنّ جنّد أمير المؤمنين الذين بسجستان أصيبوا فلم

يَنجُ منهم إلا القليل ، وقد اجتراً العدو بالذى أصابه على أهل الإسلام فدخلوا بلادهم ، وغلبوا على حصونهم وقصورهم ، وقد أردت أن أوجه إليهم جنداً كثيفاً من أهل المصرين ، فأحببتُ أن أستطلع رأيَ أمير المؤمنين في ذلك ، فإن رأى لى بعثة ذلك الجند أمضيته ، وإن لم يتر ذلك فإن أمير المؤمنين أولى بجنده ، مع أنى أتخوف إن لم يأت رُتبيل ومن معه من المشركين جندٌ كثيفٌ عاجلاً أن يستولوا على ذلك القترج كله .

وفي هذه السنة قَدِمَ المهلب خراسانَ أميراً ، وانصرف عنها أمية بن عبد الله ، وقيل استعفى شريح القاضي من القضاء في هذه السنة ، وأشار بأبي بردة بن أبي موسى الأشعري ، فأعفاه الحجاج وولى أبا بردة .

* * *

وحجَّ بالناس في هذه السنة— فيما حدثني أحمد بن ثابت عمّن ذكره، عن إسحاق بن عيسى ، عن أبي معشر— أبان بن عثمان ، وكذلك قال الواقدي وغيره من أهل السير .

وكان أبان هذه السنة أميراً على المدينة من قبيل عبد الملك بن مروان وعلى العراق والمشرق كله الحجاج بن يوسف .
وكان على خراسان المهلب من قبيل الحجاج .

وقيل : إن المهلب كان على حربها ، وابنه المغيرة على خراجها ، وعلى قضاء الكوفة أبو بردة بن أبي موسى ، وعلى قضاء البصرة موسى بن أنس (١) .

(١) يملأ في أ : وهو آخر الجزء السادس والأربعون .

ثم دخلت سنة ثمانين

ذكر الأحداث الجلييلة التي كانت في هذه السنة

(١) وفي هذه السنة جاء^(١) - فيما حدثت عن ابن سعد ، عن محمد بن عمر الواقدي - سيل بمكة ذهب بالحجاج ، ففرقت بيوت مكة فسمي ذلك العام عام الجحاف ، لأن ذلك السيل جحف كل شيء مرة به .

قال محمد بن عمر : حدثني محمد بن رفاعة بن ثعلبة ، عن أبيه ، عن جده ، قال : جاء السيل حتى ذهب بالحجاج ببطن مكة ، فسمي لذلك عام الجحاف ، ولقد رأيت الإبل عليها الحمولة والرجال والنساء تتمر بهم مالأحد فيهم حيلة ، وإني لأنظر إلى الماء قد بلغ الركن وجاوزه .

وفي هذه السنة كان بالبصرة طاعون الجارف ، فيما زعم الواقدي .

[ذكر خبر غزو المهلب ما وراء النهر]

وفي هذه السنة قطع المهلب نهر بلك فترز على كيس ، فذكر على بن محمد ، عن المفضل بن محمد وغيره أنه كان على مقدمة المهلب حين نزل على كيس أبو الأدهم زياد بن عمرو الزماني في ثلاثة آلاف وهم خمسة آلاف إلا أن أبا الأدهم كان يغني غناء ألفين في البأس والتدبير والنصيحة . قال : فأق المهلب وهو نازل على كيس ابن عم ملك الختل ، فدعاه إلى غزو الختل ، فوجته معه ابنه يزيد ، فترز في عسكره ، ونزل ابن عم الملك - وكان الملك يومئذ اسمه السبيل^(٢) - في عسكره على ناحية ، فبيت السبيل ابن عمه ، فكبر في عسكره ، فظن ابن عم السبيل أن العرب قد غدروا به ، وأنهم خافوه . على الغدر حين اعتزل عسكرهم ، فأسره السبيل ، فأق به قلعته فقتله . قال : فأطاف يزيد بن المهلب بقلعة السبيل ، فصالحوه على فدية حملوها إليه ، ورجع^(٣) إلى المهلب فأرسلت أم الذي قتله السبيل إلى أم السبيل : كيف ترجين

(١-١) ب ، ف ، « فيها » . وقيلها في أ : « قال أبو جعفر » .

(٢) ط : « كس » ، سواه من أ . (٣) ابن الأثير : « رجع » .

بقاء السبيل بعد قتل ابن عمه ، وله سبعة إخوة قد وترهم ! وأتت أمّ واحد فأرسلت إليها : إن الأسدَ تَقِيلَ أولادُها ، والخنازير كثير أولادها .

ووجه المهلب ابنه حبيباً إلى رَيْنَجَن (١) فوافى صاحب بخارى في أربعين ألفاً ، فدعا رجلٌ من المشركين إلى المبارزة ، فبرز له جببلة غلام حبيب ، فقتل المشرك ، وحمل على جمعهم ، فقتل منهم ثلاثة نفر ، ثم رجع ورجع العسكر ، ورجع العدو إلى بلادهم ، ونزلت جماعة من العدو قرية ، فسار إليهم حبيب في أربعة آلاف ، فقَاتَلَهُمْ فظفر بهم ، فأحرقها ، ورجع إلى أبيه فسميت المحترقة . ويقال إن الذي أحرقها جببلة غلام حبيب .

قال : فكث المهلب سنتين مقياً بكس ، فقيل له : لو تقدمت إلى السغد وما وراء ذلك ! قال : ليت حظي من هذه الغزوة سلامة هذه الجند ، حتى يرجعوا إلى مرو سالمين .

قال : وخرج رجلٌ من العدو يوماً ، فسأله البراز ، فبرز إليه هريم بن عدى ، أبو خالد بن هريم وعليه عمامة قد شدّها فوق البيضة ، فانتهى إلى جندٍ وُل ، فجاوَلَه المشرك ساعة فقتله هريم وأخذ سلبه ، فلامه المهلب ، وقال : لو أصبت ثم أمددتُ بألف فارس ما عندكوك عندي ، واتهم المهلب وهو بكس قوماً من مضر فحبسهم بها ، فلما قفل وصار صلحٌ خلاهم ، فكتب إليه الحجاج : إن كنت أصبت بحبسهم فقد أخطأت في تخليتهم ؛ وإن كنت أصبت بتخليتهم فقد ظلمتهم إذ حبستهم . فقال المهلب : خفتهم فحبستهم ، فلما أمنت تخليتهم .

١٠٤٢/٢

وكان فيمن حبس عبد الملك بن أبي شيخ القشيري . ثم صالح المهلب أهل كِس على فدية ، فأقام ليقبضها ، وأتاه كتاب ابن الأشعث بخلع الحجاج ويدعوه إلى مساعدته على خلعها ، فبعث بكتاب ابن الأشعث إلى الحجاج .

[تسيير الجنود مع ابن الأشعث لحرب رتبيل]

وفي هذه السنة وجه الحجاج عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث إلى سجستان لحرب رتبيل صاحب الترك ؛ وقد اختلف أهل السير في سبب

(١) : « صاحب رينجن » .

توجيهه إياه إليها، وأين كان عبد الرحمن يوم ولّاه الحجاج سجستان وحرب رُتَيْبِل؛ فأما يونس بن أبي إسحاق - فيما حدث هشام، عن أبي مِخْنَف عنه فإنه ذَكَرَ أنَّ عبد الملك لما ورد عليه كتابُ الحجاج بن يوسف بخبر الجيش الذي كان مع عبيد الله بن أبي بكر في بلاد رُتَيْبِل وما لَقُوا بها كتب إليه :

أما بعد ، فقد أتاني كتابك تسدُّك فيه مُصابَ المسلمين بسجستان ، ١٠٤٣/٢ ، وأولئك قومٌ كتب الله عليهم القتل فبرزوا إلى مضاجعهم ، وعلى الله ثوابهم . وأما ما أردت أن يأتيك فيه رأيي من توجيه الجنود وإمضائها إلى (١) ذلك الفرج الذي أصيب فيه المسلمون أو كفتها ، فإن رأيي في ذلك أن تُمضي رأيك راشداً موفِّقاً .

وكان الحجاج وليس بالعراق رجلٌ أبغضَ إليه من عبد الرحمن بن محمد ابن الأشعث ، وكان يقول : ما رأيته قط إلا أردتُ قتله .

قال أبو مِخْنَف : فحدثني نعيم بن وَعَلَة الهَمْدَانِي ، ثمّ اليناعي ، عن الشعبي ، قال : كنتُ عند الحجاج جالساً حين دخل عليه عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث ، فلما رآه الحجاج قال : انظر إلى مشيئته ، والله لَهَممتُ أن أضربَ عنقه . قال : فلما خرج عبد الرحمن خرجت فسبقتُه وانتظرتُه على باب سعيد بن قيس السبيعي ، فلما انتهى إلى قلت : ادخل بنا الباب ، إني أريد أن أحدثك حديثاً هو عندك بأمانة الله أن تذكره ما عاش الحجاج . فقال : نعم ، فأخبرته بمقالة الحجاج له ؛ فقال : وأنا كما زعم الحجاج إن لم أحاول أن أزيلاه عن سلطانه ، فأجهد الجهد إذ طال بي وبه بقاء .

ثمّ إنَّ الحجاج أخذ في جهاز عشرين ألف رجل من أهل الكوفة ، وعشرين ألف رجل من أهل البصرة ، وجدَّ في ذلك وشمر ، وأعطى الناس أعطياتهم كملاً^(٢) ، وأخذهم بالخيل الرّوائع ، والسلاح الكامل ، وأخذ في عرض الناس ، ولا يرى رجلاً تُذكر منه شجاعة إلا أحسنَ معونته ، فرَّ عبيد الله بن أبي مُجَنِّب الثقفي على عباد بن الحصين الحلبطي ، وهو مع الحجاج يريد عبد الرحمن بن أم الحكم الثقفي ، وهو يعرض الناس ، فقال

(١) : « في ذلك الفرج » . (٢) يقال : أعطاه المال كلاً ، أي كاملاً .

عباد: ما رأيتُ فرساً أروعَ ولا أحسنَ من هذا^(١) ، وإنّ الفرس قوةً وسلاحاً
 وإنّ هذه البغلة عكّنداءة ، فزاده الحجاج خمسين وخمسمائة درهم ، ومرّ به
 عطية العنبري ، فقال له الحجاج ؛ يا عبد الرحمن ، أحسن إلى هذا .
 فلما استتبّ له أمرُ ذَيْنِكَ الجندَيْن ، بعث الحجاج عطارد بن عمّس التميمي
 فعسكر بالأهواز ، ثم بعث عبّيد الله بن حجر بن ذى الجوشن العامري من
 بني كلاب . ثم بدا له ، فبعث عليهم عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث
 وعزل عبّيد الله بن حجر ، فأثى الحجاج عمّه إسماعيل بن الأشعث ، فقال له :
 لا تبعثه فإنّي أخاف خلافه ، والله ما جازَ جسر الفرات قطّ فأرى لوال
 من الولاة عليه طاعةً وسلطاناً . فقال الحجاج : ليس هناك ، هو لي أهيب
 وفي أرغب من أن يخالف أمرى ، أو يخرج من طاعتي ؛ فأمضاه على
 ذلك الجليش ، فخرج بهم حتى قدم سجستان سنة ثمانين ؛ فجمع أهلها
 حين قدّمها .

قال أبو مخنف : فحدثني أبو الزبير الأرحبيّ - رجل من همدان
 كان معه - أنه صعد منبرها فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : أيها الناس ، إنّ
 الأمير الحجاج ولّاني ثغركم ، وأمّرتني بجهاد عدوكم الذي استباح بلادكم
 وأباد خياركم ، فإياكم أن يتخلّف منكم رجل فيحيل بنفسه العقوبة ، اخرجوا
 إلى معسكركم فمسيروا به مع الناس . فمسيروا كلهم في معسكرهم
 ووُضعت لهم الأسواق ، وأخذ الناس بالجهاز والهيئة بآلة الحرب ، فبلغ ذلك
 رُئييل ، فكتب إلى عبد الرحمن بن محمد يعتذر إليه من مُصاب المسلمين
 ويخبره أنه كان لذلك كارهاً ، وأنهم أُلحّثوه إلى قتالهم ، ويسأله الصلح
 ويعرض عليه أن يقبل منه الخراج ، فلم يُجبه ، ولم يقبل منه .
 ولم ينشأ عبد الرحمن أن سار في الجنود إليه حتى دخل أوّل بلاده ، وأخذ
 رُئييل يضم إليه جنده ، ويدع له الأرض رُستاقاً رُستاقاً ، وحصناً حصناً ، وطفق
 ابن الأشعث كلما حوى بلدأ بعث إليه عاملاً ، وبعث معه أعواناً ، ووضع

١٠٤٥/٢

(١) : ١ « من ذا » .

(٢) الملتدأة : الغليظة .

البرُدَ فيما بين كلِّ بلد وبلد، وجعل الأرصَادَ على العقاب والشعاب، ووضع المسالِحَ بكلِّ مكانٍ تخوف ، حتى إذا جاز من أرضه أرضاً عظيمة ، وملاً يديه من البقر والغنم والغنائم العظيمة ، حبس الناسَ عن الوُغُولِ في أرض رُتَيْبِلِ وقال : نكتني بما أصبناه العام من بلادهم حتى نجبيها ونعرفها ، وتجتريُّ المسلمون على طُرُقِها ، ثم نتعاطى في العام المقبل ما وراءها ، ثم لم نزل ننتقصهم في كلِّ عام طائفةً من أرضهم حتى نقاتلهم آخر ذلك على كنوزهم وذرائعهم ، وفي أقصى بلادهم ، وممتنع حصونهم ، ثم لا نزال بلادهم حتى يهلكهم الله . ثم كتب إلى الحجاج بما فتح الله عليه من بلاد العدو ، وبما صنع الله للمسلمين ، وبهذا الرأي الذي رآه لهم .

١٠٤٦/٢

وأما غيرُ يونسَ بنِ أبي إسحاق وغيرُ من ذكرت الرواية عنه في أمر ابن الأشعث فإنه قال في سبب ولايته سجستانَ ومسيره إلى بلاد رُتَيْبِلِ غير الذي رويت عن أبي مخنف ، وزعم أن السبب في ذلك كان أن الحجاج وجه هيمان بن عدى السدوسيَّ إلى كرمان ، مسلحة لها ليمد عاملَ سجستانَ والسند إن احتاجا إلى مدد ، فعصى هيمانُ ومن معه ، فوجه الحجاج ابن الأشعث في محاربتة ، فهزمه ، وأقام بموضعه .

ومات عبيد الله بن أبي بكر ، وكان عاملاً على سجستان ، فكتب الحجاج عهداً لابن الأشعث عليها ، وجهز إليها جيشاً أنفق عليهم ألفى سوى أعطياتهم ، كان يدعى جيشَ الطواويس ، وأمره بالإقدام على رُتَيْبِلِ .

وحجَّ بالناس في هذه السنة أبان بن عثمان ، كذلك حدثني أحمد بن ثابت ، عن ذكره ، عن إسحاق بن عيسى ، عن أبي معشر ، وكذلك قال محمد بن عمر الواقدي .

١٠٤٧/٢

وقال بعضهم : الذي حجَّ بالناس في هذه السنة سليمان بن عبد الملك . وكان على المدينة في هذه السنة أبان بن عثمان ، وعلى العراق والمشرق كلُّه

الحجاجُ بن يوسف ، وعلى خراسانَ المهلب بن أبي صفرة من قبيل الحجاج ،
وعلى قضاء الكوفة أبو بردة بن أبي موسى ، وعلى قضاء البصرة موسى بن أنس

* * *

وأغزى عبدُ الملك في هذه السنة ابنه الوليد .

ثم دخلت سنة إحدى وثمانين

ذكر ما كان فيها من الأحداث

في هذه السنة كان فتح قاليقلا، حدثني عمر بن شبة، قال: حدثنا علي بن محمد، قال: أغزى عبد الملك سنة إحدى وثمانين ابنه عبيد الله بن عبد الملك، ففتح قاليقلا.

[ذكر الخبر عن مقتل بحير بن ورقاء بخراسان]

وفي هذه السنة قتل بحير بن ورقاء الصرمي بخراسان.

ذكر الخبر عن مقتله:

وكان سبب قتله أن بحيراً كان هو الذي تولى قتل بكير بن وشاح بأمر أمية بن عبد الله إياه بذلك، فقال عثمان بن رجاء بن جابر بن شداد أحد بني عوف بن سعد من الأبناء يحض رجلاً من الأبناء من آل بكير بالوتر: لعمري لقد أغضبت عيناً على القدي وبنت بطينا من رحيق مروقٍ ومن شرب الصهباء بالوتر يسبق^(١) وتركت بحيراً في دم مترقري^(٢) فقل لبجير نم ولا تخش نائراً دع الضان يوماً قد سبقتم بوتركم وهبوا فلو أمسى بكير كعهده وقال أيضاً:

فلو كان بكر بارزاً في أداتيه وذى العرش لم يقدم عليه بحير

(١) ابن الأثير: «ومن يشرب». (٢) الحليقي: صفار الفم.

(٣) في اللسان: «كتيبة جاواه: بينة الجاهي، وهي التي يعلوها لون السواد لكثرة الدروع».

ففي الدهر إن أبقاني الدهر مطلب وفي الله طلابٌ بذاك جديرٌ

وبلغ بحيراً أن الأبناء يتوعدونه ، فقال :

توعدني الأبناء جهلاً كأنما يرون فيناي مُقْفِرًا من بني كعب
رفعتُ له كفىً بحدِّ مُهَنَّدٍ ^(١) حُسامٍ كلونِ المِلحِ ذى رَوْنَقٍ عَضْبٍ ^(٢)

١٠٤٩/٢

فذكر علي بن محمد ، عن المفضل بن محمد ، أن سبعة عشر رجلاً من بني عوف بن كعب بن سعد تعاقبوا على الطلب بدم بُكَيْرٍ ، فخرج فتى منهم يقال له الشمردل من البادية حتى قدم خراسان ، فنظر إلى بحير واقفاً ، فشد عليه فطعنه فصرعه ، فظن أنه قد قتله ، وقال الناس : خارجي ، فراكضهم ، فعثر فرسه فنسدر عنه فقتل .

ثم خرج صعصعة بن حرب السعوي ، ثم أحد بني جندب ، من البادية وقد باع غنيمات له ، واشترى حماراً ، ومضى إلى سجستان فجاور قرابة لبحير هناك ولاطفهم ، وقال : أنا رجل من بني حنيفة من أهل اليمامة ، فلم يزل يأتيهم ويجالسهم حتى أنسوا به ، فقال لهم : إن لي بخراسان ميراثاً قد غلبت عليه ، وبلغني أن بحيراً عظيم القدر بخراسان ، فاكتبوا لي إليه كتاباً يُعِينُنِي على طلب حتى ، فكتبوا إليه ، فخرج فقدم مرو والمهلب غاز . قال : فلقى قوماً من بني عوف ، فأخبرهم أمره ، فقام ^(٣) إليه مولى لبكير صيفل ^(٤) ، فقبل رأسه ، فقال له صعصعة : اتخذ لي خنجرآ ، فعمل له خنجرآ وأحماء وغمسه في لبن أتانٍ مراراً ، ثم شخص من مرو فقطع النهر حتى أتى عسكر المهلب وهو بأخرون يومئذ ، فلقى بحيراً بالكتاب ، وقال : إنى رجل من بني حنيفة ، كنت من أصحاب ابن أبي بكر ، وقد ذهب مالي بسجستان ، ولى ميراث بمرو ، فقد مت لأبيعه ، وأرجع إلى اليمامة . قال : فأمر له بنفقة وأنزله معه ، وقال له : استعين بي على ما أحببت ، قال : أقيم عندك حتى يفضل الناس ، فأقام شهراً أو نحواً من شهر يحضر

١٠٥٠/٢

(١) ب ، ف : « يعضب » . (٢) ابن الأثير : « كلون الطلج » .

(٣) ب ، ف : « فأقبل » . (٤) الصقيل : شحاذ السيوف وجلاؤها .

معه بابَ المهلبِ ومجلسه حتى عرف به . قال : وكان بحير يخاف الفتك به ، ولا يأمن أحداً ، فلما قدِم صعصعةُ بكتابِ أصحابه قال : هو رجلٌ من بكر بن وائل ، فأمنه ، فجاء يوماً وبحير جالس في مجلس المهلب ، عليه قميص ورداء ونعلان ، فقعده خلفه ، ثم دنا منه ، فأكبَّ عليه كأنه يكلمه ، فوجأه بخنجره في خاصرته ، فغيبه في جوفه ، فقال الناس : خارجي ! ، فنادى : يالشارت بكبير ، أنا ثائر ببكير ! فأخذه أبو العجفاء بن أبي الخرقاء ، وهو يومئذ على شرط المهلب ، فأتى به المهلب فقال له : بؤساً لك ! ما أدركت بثارك ، وقتلت نفسك ، وما على بحير بأس ، فقال : لقد طعنته طعنةً لو قُسمت بين الناس لماتوا ، ولقد وجدتُ ريحَ بطنه في يدي ، فحبسسه فدخل عليه السجن قومٌ من الأبناء فقبلوا رأسه . قال : ومات بحير من غد عند ارتفاع النهار ، فقبل لصعصعة : مات بحير ، فقال : اصنعوا بي الآن ما شئتم ، وما بدا لكم ، أليس قد حلت نذورُ نساء بني عرف ، وأدركتُ بثأري ! لا أبالي ما لقيت ، أما والله لقد أمكنني ما صنعتُ خالياً غيرَ مرة ، فكرهت أن أقتله سرّاً ؛ فقال المهلب : ما رأيتُ رجلاً أسخى نفساً بالموت صبراً من هذا ؛ وأمر بقتله أبا سؤيقة ابن عمِّ لبـحـير ، فقال له أنس بن طلق : ١٠٥١/٢ ويحك ! قتيل بحير فلا تقتلوا هذا ، فأبى وقتلته ، فشتّمه أنس .

وقال آخرون : بعث به المهلب إلى بحير قبل أن يموت ، فقال له أنس ابن طلح العيشي : يا بحير ، إنك قتلت بكبيراً ، فاستحي هذا ، فقال بحير : أذنوه مني ، لا والله لا أموت وأنت حي ، فأذنوه منه ، فوضع رأسه بين رجليه وقال : اصبر عفاق ، إنه شرّ باق ، فقال ابن طلحة لبـحـير : لعنك الله ! أكلمك فيه وتقتله بين يدي ! فطعنه بحير بسيفه حتى قتله ومات بحير ، فقال المهلب : إنا لله وإنا إليه راجعون ، غزوة أصيب فيها بحير ؛ فغضب عوف بن كعب والأبناء وقالوا : علام قتيل صاحبنا ، وإنما طلب بثأره ! فنازعتهم مقاعس والبطنون حتى خاف الناس أن يعظم البأس ، فقال أهل الحجي : احملوا دم صعصعة ، واجعلوا دم بحير بواءً ببكبير

فَوَدَّوْا صَعَصَعَةَ ، فقال رجل من الأبناء يمدح صعصعة :
 لِلَّهِ دَرٌّ قَتَى تَجَاوَزَ هَمَّهُ دُونَ الْعِرَاقِ مَفَاوِزًا وَبُحُورًا
 مَا زَالَ يَدَابُّ نَفْسَهُ وَيَكُدُّهَا حَتَّى تَنَاقَلَ فِي خَرُونٍ بَحِيرًا
 قال : وخرج عبدُ ربه الكبير أبو وكيع ، وهو من رهط صعصعة إلى
 البادية ، فقال لرهط بكثير : قُتِلَ صَعَصَعَةُ بِطَلْبِهِ بِدَمِ صَاحِبِكُمْ ،
 فَوَدَّوْهُ ، فَأَخَذَ لَصَعَصَعَةَ دَيْتَيْنِ .

[ذكر الخبر عن خلاف ابن الأشعث على الحجّاج]

قال أبو جعفر : وفي هذه السنة خالف عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث
 الحجّاج ومن معه من جنود العراق ، وأقبلوا إليه لحربه في قول أبي مخنف ،
 وروايته لذلك عن أبي المخارق الراسبي ، وأما الواقدي فإنه زعم أن ذلك كان
 في سنة اثنتين وثمانين .

١٠٥٢/٢

* ذكر الخبر عن السبب الذي دعا عبد الرحمن بن محمد إلى ما فعل
 من ذلك وما كان من صنيعه بعد خلافه الحجّاج في هذه السنة :
 قد ذكرنا فيما مضى قبل ما كان من عبد الرحمن بن محمد في بلاد رثبيل ،
 وكتابه إلى الحجّاج بما كان منه ^(١) هناك ، وبما عرض ^(٢) عليه من الرأي فيما
 يستقبل من أيامه في سنة ثمانين ^(٣) ، ونذكر الآن ما كان من أمره في سنة إحدى
 وثمانين في رواية أبي مخنف ، عن أبي المخارق .

ذكر هشام عن أبي مخنف قال : قال أبو المخارق الراسبي : كتب
 الحجّاج إلى عبد الرحمن بن محمد جواب كتابه :

أما بعد ، فإن كتابك أتاني ، وفهمت ما ذكرت فيه ، وكتابك كتاب
 امرئ يجب الهدنة ، ويستريح إلى الموادعة ، قد صانع عدواً قليلاً ذليلاً ، قد
 أصابوا من المسلمين جنوداً كان بلاؤهم حسناً ، وغنائمهم في الإسلام عظيماً .
 لعمرك يا بن أم عبد الرحمن ؛ إنك حيث تكف عن ذلك العدو يجتدي وحدتي

١٠٥٣/٢

لسخبي النفس عمن أصيب من المسلمين . إني لم أعدد رأيك الذي زعمت أنك رأيته رأى مكيدة ، ولكني رأيت أنه لم يملك عليه إلا ضعفك ، والتيال رأيك ، فامض لما أمرتك به من الغول في أرضهم ، والهدم لحصونهم ، وقتل مقاتلتهم ، وسبي ذراريهم . ثم أردفه كتاباً فيه :

أما بعد ، فمر من قبلك من المسلمين فليحرقوا وليقيموا ، فإنها دارهم حتى يفتتحها الله عليهم . ثم أردفه كتاباً آخر فيه :

أما بعد ، فامض لما أمرتك به من الغول في أرضهم ، وإلا فإن إسحاق ابن محمد أخاك أمير الناس ، فخله وما وليته .

فقال حين قرأ كتابه : أنا أحمل ثقل إسحاق ؛ فعترض له ، فقال : لا تفعل ، فقال : ورب هذا - يعني المصحف - لن ذكرت له لأحد لأقتلنك . فظن أنه يريد السيف ، فوضع يده على قائم السيف ، ثم دعا الناس إليه ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : أيها الناس ، إني لكم ناصح ، ولصلاحيكم محب ، ولكم في كل ما يحيط بكم نفعه ناظر ، وقد كان من رأيي فيما بينكم وبين عدوكم رأي استشرت فيه ذوي أحلامكم ، وأولى التجربة للحرب (١) منكم ، فرضوه لكم رأياً ، ورأوه لكم في العاجل والآجل صلاحاً ، وقد كتبت (٢) إلى أميركم الحجاج ، فجاءني منه كتاب يعجزني ويضعفني ، ويأمرني بتعجيل الغول بكم في أرض العدو ، وهي البلاد التي هلك إخوانكم فيها (٣) بالأمس ، وإنما أنا رجل منكم أمضى إذا مضيت ، وآبى إذا أبيتم . فثار إليه الناس فقالوا : لا ، بل نأبى على عدو الله ، ولا نسمع له ولا نطيع .

١٠٥٤/٢

قال أبو ميخنف : فحدثني مطرف بن عامر بن وائلة الكناني أن أباه كان أول متكلم يومئذ ، وكان شاعراً خطيباً ، فقال بعد أن حمد الله وأثنى عليه : أما بعد ، فإن الحجاج والله ما يترى بكم إلا ما رأى القائل الأول إذ قال

(١) ب ، ف : « منكم للحرب » .

(٢) بعدها في ب ، ف : « بذلك » .

(٣) ب ، ف : « فيها إخوانكم » .

لأخيه: احمِل عبدك على الفرس، فإن هلك هلك، وإن نجا فلك. إن الحجاج والله ما يبالي أن يخاطر بكم فيفحِمكم بلاداً كثيرة اللُهب والصبوب^(١)، فإن ظفرتُم فغنمتم أكمل البلاد وحاز المال، وكان ذلك زيادة في سلطانه، وإن ظفرتُم عدوكم كنتم أنتم الأعداء البغضاء الذي لا يبالي عنتمهم، ولا يبقى عليهم، اخلعوا عدو الله الحجاج وبايعوا عبد الرحمن، فإني أشهدكم أني أول خالع. فنادى الناس من كل جانب، فعلنا فعلنا، قد خلعتنا عدو الله، وقام عبد المؤمن بن شبيب بن ربيعي التميمي ثانياً - وكان على شُرطته حين أقبل - فقال: عباد الله، إنكم إن أطعتم الحجاج جعل هذه البلاد بلادكم ما بقيتم، وجمرتكم تجمير فرعون الجنود، فإنه بلغني أنه أول من جمّر البعوث، ولن تعابنوا الأحبة^(٢) فيما أرى أو يموت أكثركم^(٣). بايعوا أميركم، وانصروا إلى عدوكم فانفوه عن بلادكم، فوثب الناس إلى عبد الرحمن فبايعوه، فقال: تبايعوني على خلع الحجاج عدو الله وعلى النصرة لي بجيهاده معي حتى ينفيه الله من أرض العراق. فبايعه الناس، ولم يذكر خلع عبد الملك إذ ذاك بشيء.

١٠٥٥/٢

قال أبو مخنف: حدثني عمر بن ذر القاص أن أباه كان معه هناك، وأن ابن محمد كان ضربته وحبسه لانقطاعه كان إلى أخيه القاسم بن محمد، فلما كان من أمره الذي كان من الخلاف دعاه فحمته وكساه وأعطاه، فأقبل معه فيمن أقبل، وكان قاصاً خطيباً.

قال أبو مخنف: حدثني سيف بن بشر العجلي، عن المنخل بن حابس العبدي أن ابن محمد لما أقبل من سجستان أمر على بسنت عياض ابن هميان البكري، من بني سدوس بن شيبان بن ذهل بن ثعلبة، وعلى زرتج عبد الله بن عامر التميمي ثم الدارمي، ثم بعث إلى رثيبيل، فصالحه على أن ابن الأشعث إن ظهر فلا خراج عليه أبداً ما بقي، وإن هزم فأراده الجأه عنده.

(١) اللهب: جمع لب، وهو وجه من الجبل لا يمكن ارتقاؤه، والصبوب: جمع لصب، وهو مضيق الوادي. (٢-٢) ب، ف: «فما أرى أو يموت أكثرهم».

قال أبو مخنف : حدثني خُشَيْبَةُ بنُ الْوَلِيدِ الْعَبْسِيُّ أَنَّ عَبْدَ الرَّحْمَنِ لَمَّا خَرَجَ مِنْ سِجِسْتَانَ مَقْبِلًا إِلَى الْعِرَاقِ سَارِبِينَ يَدِيهِ الْأَعَشَى عَلَى فَرَسٍ ، وَهُوَ يَقُولُ :

شَطَّتْ نَوَى مِنْ دَارُهُ بِالْإِيوَانِ إِيوَانِ كِسْرَى ذِي الْقُرَى وَالرَّيْحَانِ (١)
 مِنْ عَاشِيَةِ أَمْسَى بِزَابُلِسْتَانَ إِنَّ ثَقِيفًا مِنْهُمْ الْكَذَّابَانِ
 كَذَّابُهَا الْمَاضِي وَكَذَابُ ثَانَ أَمْكَنَ رَبِّي مِنْ ثَقِيفٍ هَمْدَانُ
 يَوْمًا إِلَى اللَّيْلِ يُسَلِّي مَا كَانَ إِنَّا سَمَوْنَا لِلْكَفُورِ الْفَتَّانِ
 حِينَ طَغَى فِي الْكُفْرِ بَعْدَ الْإِيمَانِ بِالسَّيِّدِ الْغَطْرِيفِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ
 سَارَ بِجَمْعِ كَالدَّبِّيِّ مِنْ قَحْطَانَ (٢) وَمِنْ مَعَدٍّ قَدْ أَتَى ابْنَ عَدْنَانَ
 بِجَحْفَلِ جَمٍّ شَدِيدِ الْإِرْزَانِ (٣) فَقُلْ لِحِجَّاجٍ وَلى الشَّيْطَانِ
 يَثْبُتُ لَجَمْعٍ مَدْحِجٍ وَهَمْدَانِ فَإِنَّهُمْ سَاقُوهُ كَأْسَ الدِّيْقَانِ

* وَمُحِقُّوهُ بَقْرَى ابْنِ مَرْوَانَ * ١٠٥٧/٢

قال : وبعثت على مقدمته عطية بن عمرو العنبري ، وبعث الحجاج إليه الخليل ، فجعل لا يلقى خيلا إلا هزمتها ، فقال الحجاج : من هذا ؟ فقيل له : عطية ، فذلك قول الأعشى :

فَإِذَا جَعَلْتَ دُرُوبَ فَارِسٍ خَلْفَهُمْ دُرِيًّا فَدَرِيًّا (٤)
 فَابْعَثْ عَطِيَّةً فِي الْخِيُولِ يُكَبِّهَنَّ عَلَيْكَ كَبًّا
 ثم إن عبد الرحمن أقبل يسير بالناس ، فسأل عن أبي إسحاق السبعي ، وكان قد كتبه في أصحابه ، وكان يقول : أنت خالي ، فقيل له : ألا تأتبه فقد سألت عنك ! فذكره أن يأتيه ، ثم أقبل حتى مرّ بكرمان فبعث عليهم خمرًا شاة ابن عمرو التميمي ، ونزل أبو إسحاق بها ، فلم يدخل في فتنته حتى كانت

(١) هو أعشى همدان ، وانظر الأغاني ٦ : ٥٩ ، ٦٠ ، فهناك رواية مخالفة .

(٢) الدبي : الجراد ، وفي الأغاني : « كالقمل » .

(٣) الإرزان : الضوضاء والجلبة .

الجماجم ، ولما دخل الناسُ فارسَ اجتمع الناس بعضهم إلى بعض ، وقالوا :
إنا إذا نخلعنا الحجَّاجَ عاملَ عبد الملك فقد نخلعنا عبد الملك ، فاجتمعوا إلى
عبد الرحمن ، فكان أول الناس .

قال أبو مخنف فيما حدثني أبو الصلت التيمي : خلسع عبد الملك بن
مروان تيحان بن أبجر من بني تيم الله بن ثعلبة ، فقام فقال : أيها الناس ،
إني خلعت أبا ذيبان^(١) كخُلعتي قميصي ، فخلعه الناسُ إلا قليلا منهم ،
ووثبوا إلى ابن محمد فبايعوه ، وكانت بيعته تُبايعون على كتاب الله وسنة
نبيه وخلع أئمة الضلالة^(٢) وجهاد المحلِّين ، فإذا قالوا : نعم بايع . فلما
بلغ الحجَّاج خلعهُ كتب إلى عبد الملك يخبره خبر عبد الرحمن بن محمد بن
الأشعث ، ويسأله أن يعجل بعثة الجنود إليه ، وبعث كتابه إلى عبد الملك
يتمثل في آخره بهذه الأبيات ، وهي للحرث بن وعلّة :

١٠٥٨/٢

سَائِلٌ مُجَاوِرٌ جَرْمٍ هَلْ جَنَيْتُ لَهُمْ حَرْبًا تُفَرِّقُ بَيْنَ الْجِيرَةِ الْخُلُطِ^(٣)
وَهَلْ سَمَوْتُ بِجَرَّارٍ لَهُ لَعِبٌ^(٤) جَمُّ الصَّوَاهِلِ بَيْنَ الْجَمِّ وَالْفُرْطِ^(٥)
وَهَلْ تَرَكْتُ نِسَاءَ الْحَيِّ ضَاحِيَةً فِي سَاحَةِ الدَّارِ يَسْتَوْفِدْنَ بِالْغُبُطِ^(٦)
وجاء حتى نزل البصرة . وقد كان بلغ المهلب شقاق عبد الرحمن وهو
بسجستان ، فكتب إليه :

أما بعد ، فإنك وضعت رجلك يا بن محمد في غرز طويل الحَيِّ على أمة
محمد صلى الله عليه وسلم . اللهَ اللهَ فانظر^(٧) لنفسك لا تهلكها ؛ ودماء
المسلمين فلا تسفكها ، والجماعة فلا تفرقها ، والبيعة فلا تنكسها ،
فإن قلت : أخاف الناسَ على نفسي فإلهُ أحقَّ أن تخافه عليها من الناس ،
فلا تُعرِّضها لله في سَفْكَ دم ، ولا استحلال محرَّم والسلام عليك .

١٠٥٩/٢

(١) أبو ذبان ، كنيته عبد الملك بن مروان ؛ وكان ينهب بها . وانظر ثمار القلوب ٢٤٦
(٢) ب ، ف : « وعلى جهاد أهل الضلالة وخلقهم » .
(٣) الأغاني ١٩ : ١٤٠ . (٤) الأغاني : « أم هل علوت » .
(٥) الأغاني : « يفتى المحارم بين السهل والفرط » .
(٦) الأغاني : « حتى تركت » . (٧) ب ، ف : « انظر » .

وكتسب المهلب إلى الحجاج :

أما بعد فإن أهل العراق قد أقبلوا إليك وهم مثل السيل المنحدر من عمل ، وليس شيء يردّه حتى ينتهي إلى قراره ، وإن لأهل العراق شرةً في أول مخرجهم ، وصبابة إلى أبنائهم ونسائهم ، فليس شيء يردّهم حتى يسقطوا إلى أهلهم ، ويشمّوا أولادهم ، ثم واقفهم عندها ، فإن الله ناصرٌ عليهم إن شاء الله .

فلما قرأ كتابه قال : فعّل الله به وفعل ، لا والله ما لي نظير . ولكن لابن عمّه نصّح . لما وقع كتاب الحجاج إلى عبد الملك هاله ثم نزل عن سريره وبعث إلى خالد بن يزيد بن معاوية ، ودعاه فأقرأه الكتاب ، ورأى ما به من الجزع ، فقال : يا أمير المؤمنين ، إن كان هذا الحدث من قبيل سجستان ، فلا تخفه ، وإن كان من قبيل خراسان تخوفته . قال : فخرج إلى الناس فقام فيهم فحمد الله وأثنى عليه ثم قال :

١٠٦٠/٤

إن أهل العراق طال عليهم عمري فاستعجلوا قدري . اللهم سلط عليهم سيوف أهل الشام حتى يبلغوا رضاك ، فإذا بلغوا رضاك لم يجاوزوا إلى سُخطك . ثم نزل .

وأقام الحجاج بالبصرة وتجهّز ليلقَى ابن محمد . وترك رأى المهلب وفرسان^(١) الشام يسقطون إلى الحجاج ، في كل يوم مائة وخمسون وعشرة وأقل على البرد من قبيل عبد الملك ، وهو في كل يوم تسقط إلى عبد الملك كُتبه ورُسله بخبر ابن محمد أي كورة نزل ، ومن أي كورة يرتحل ، وأي الناس إليه أسرع .

قال أبو مخنف : حدثني فضيل بن خديج أن مكتبه كان بكرمان ، وكان بها أربعة آلاف فارس من أهل الكوفة وأهل البصرة ، فلما مرّ بهم ابن محمد بن الأشعث ، انجفلوا معه ، وعزم الحجاج رأيه على استقبال ابن الأشعث ، فسار بأهل الشام حتى نزل تُستّر ، وقدم بين يديه مطهر بن حرّ العكيّ - أو الجُدائي - وعبد الله بن رُمَيْثه الطائي ، ومطهر على الفريقين ، فجاءوا حتى انتهوا إلى دُجَيْل ، وقد قطع عبد الرحمن بن محمد خيلا له ،

(١) ب ، ف : « وسار » .

عليها عبد الله بن أبان الخارثي في ثلثمائة فارس - وكانت مسلحة له ولجند - فلما انتهى إليه مطهر بن حرّ أمر عبد الله بن ربيعة الطائي فأقدم عليهم ، فهزمت خيل عبد الله حتى انتهت إليه ، وجرح أصحابه . ١٠٦١/٢

قال أبو مخنف : فحدثني أبو الزبير الهمداني ، قال : كنت في أصحاب ابن محمد إذ دعا الناس وجمعهم إليه ثم قال : اعبروا إليه من هذا المكان ، فأقم الناس خيولهم دجسيل من ذلك المكان الذي أمرهم به ، فوالله ما كان بأسرع من أن عبّر عظم خيولنا ، فما تكاملت حتى حملنا على مطهر بن حرّ والطائي فهزمناهما يوم الأضحى في سنة إحدى وثمانين وقتلناهم قتلاً ذريعاً ، وأصبنا عسكرهم ، وأنت الحجاج المزيمه وهو يخطب ، فصعد إليه أبو كعب بن عبيد بن سرجس فأخبره بهزيمة الناس ، فقال : أيها الناس ، ارتحلوا إلى البصرة إلى معسكر ومقاتل وطعام ومادة ، فإن هذا المكان الذي نحن به لا يحمل الجند . ثم انصرف راجعاً وتبعته خيول أهل العراق ، فكلما أدركوا منهم شاذاً قتلوه ، وأصابوا ثقلًا حوروه ، ووضي الحجاج لا يسوى على شيء حتى نزل الزاوية ، وبعث إلى طعام التجار بالكلاء (١) فأخذه فحمله إليه ، وخطى البصرة لأهل العراق . وكان عامله عليها الحكيم ابن أيوب بن الحكم بن أبي عقيل الثقفي . وجاء أهل العراق حتى دخلوا البصرة . وقد كان الحجاج حين صدم تلك الصدمة وأقبل راجعاً دعا بكتاب المهلب ، فقرأه ثم قال : لله أبوه ! أي صاحب حرب هو ! أشار علينا بالرأي ، ولكننا لم نقبل .

* * *

وقال غير أبي مخنف : كان عامل البصرة يومئذ الحكم بن أيوب على الصلاة والصدقة ، وعبد الله بن عامر بن مسمع على الشرط ، فسار الحجاج في جيشه حتى نزل رستقباد وهي من دستوى من كور الأهواز ، فعسكر بها ، وأقبل ابن الأشعث فنزل تستر ، وبينهما نهر ، فوجه الحجاج مطهر ابن حرّ العسكي في ألفي رجل ، فأوقعوا بمسلة لابن الأشعث ، وسار ابن

١٠٦٢/٢

(١) الكلاء : سوق بالبصرة .

الأشعث مبادراً، فواقعهم، وهي عشية عرفة من سنة إحدى، وثمانين فيقال :
لأنهم قتلوا من أهل الشام ألفاً وخمسمائة ، وجاءه الباكون منهزمين ، ومعه
يومئذ مائة وخمسون ألف ألف، ففرقها في قواديه، وضمنتهم إياها، وأقبل
منهزماً إلى البصرة . وخطب ابن الأشعث أصحابه فقال : أما الحججاج فليس
بشيء ، ولكننا نريد غزو عبد الملك ، وبلغ أهل البصرة هزيمة الحججاج ،
فأراد عبد الله بن عامر بن مسمع أن يقطع الجسر دونه ، فرشاه الحكيم
ابن أيوب مائة ألف ، فكف عنه . ودخل الحججاج البصرة ، فأرسل إلى
ابن عامر فانتزع المائة الألف منه .

رَجَعَ الحديث إلى حديث أبي مخنف عن أبي الزبير الهَمْدَانِي .
فلما دخل عبد الرحمن بن محمد البصرة بايعه على حرب الحججاج ،
وخلع عبد الملك جميع أهلها من قرأتها وكهولها ، وكان رجل من الأزد من
الجهنم يقال له عَقْبَةُ بن عبد الغافر له صحابة ، فتزأ فبايع (١) عبد الرحمن
مستبصراً في قتال الحججاج ، وخذل الحججاج عليه ، وخذل عبد الرحمن
على البصرة . وكان دخول عبد الرحمن البصرة في آخر ذى الحجة من سنة
إحدى وثمانين .

وحج بالناس في هذه السنة سليمان بن عبد الملك ، كذا حدثني أحمد
ابن ثابت ، عن ذكره ، عن إسحاق بن عيسى ، عن أبي معشر . وكذلك
قال الواقدي ، وقال : في هذه السنة وُلِدَ ابنُ أبي ذئب .
وكان العامل في هذه السنة على المدينة أبان بن عثمان ، وعلى العراق
والمشرق الحججاج بن يوسف . وعلى حرب خراسان المهلب ، وعلى خراسانها
الغيرة بن مهلب من قبيل الحججاج ، وعلى قنصاء الكوفة أبو بردة بن
أبي موسى ، وعلى قنصاء البصرة عبد الرحمن بن أذينة .

(١) ب ، ف : « فرأى أن يبايع » .

ثم دخلت سنة اثنتين وثمانين

ذكر الخبر عن الكائن من الأحداث فيها

* * *

[خبر الحرب بين الحجاج وابن الأشعث بالزاوية]

فمن ذلك ما كان بين الحجاج وعبد الرحمن بن محمد من الحروب بالزاوية.

ذكر هشام بن محمد، عن أبي مخنف، قال: حدثني أبو الزبير الهمداني

قال: كان دخول عبد الرحمن البصرة في آخر ذي الحجة، واقتتلوا في الحرم ١٠٦٤/٢

من سنة اثنتين وثمانين، فتزاحفوا ذات يوم، فاشتد قتالهم. ثم إن أهل العراق

هزموهم حتى انتهوا إلى الحجاج، وحتى قاتلهم على خناد قهم، وانهمزت عامة

قريش وشقيف، حتى قال عبيد بن موهب مولى الحجاج وكاتبه:

فر البراء وابن عمه مضعب وفرت قريش غير آل سعيد

ثم لانهم تزاحفوا في الحرم في آخره في اليوم الذي هزم فيه أهل العراق

أهل الشام، فنكصت ميمنتهم وميسرتهم، واضطربت رماحهم، وتقوض

صفتهم؛ حتى دنوا منا، فلما رأى الحجاج^(١) ذلك جثا على ركبتيه، وانتضى نحواً

من شبر من سيفه، وقال: لله در مضعب! ما كان أكرمه حين نزل به

ما نزل! فعلمت أنه والله لا يريد أن يفر. قال: فغمزت أبي بعيني ليأذن

لي فيه فأضربه بسيفي، فغمزني غمزة شديدة، فسكنت^(٢)، وحانت مني

التفاتة، فإذا سفيان بن الأبرد الكلبي قد حمل عليهم فهزّمهم من قبيل

الميمنة، فقلت: أبشر أيها الأمير، فإن الله قد هزّم العدو. فقال لي: قم

فانظر؛ قال: فقممت فنظرت؛ فقلت: قد هزّمهم الله، قال: قم يا زياد

فانظر؛ قال: فقام فنظر فقال: الحق أصلحك الله يقيناً^(٣) قد هزّموا،

فخرّ ساجداً، فلما رجعت شتمني أبي وقال: أردت أن تهلكني وأهل بيتي. ١٠٦٥/٢

(١) ب، ف: «فلما رأى ذلك الحجاج». (٢) س: «فسكت».

(٣-٣) ب، ف: «أيها الأمير أصلحك الله».

وقتل في المعركة عبد الرحمن بن عَوْسَجَةَ أَبُو سُفْيَانَ النَّهْمِيَّ ، وقتل عقبة ابن عبد الغافر الأزديّ ثمّ الجهميّ ، في أولئك القراء في رِبْضَةِ (١) واحدة ، وقتل عبد الله بن رِزَامِ الحارثيّ ، وقتل المنذر بن الجارود ، وقتل عبد الله ابن عامر بن مِسْمَعٍ ، وأتت الحجاجُ برأسه ، فقال : ما كنتُ أرى هذا فارقي حتى جاءني الآن برأسه ؛ وبارز سعيد بن يحيى بن سعيد بن العاص رجلاً يومئذ فقتله ، وزعموا أنه كان مولى للفضل (١) بن عباس بن ربيعة بن الحارث ابن عبد المطلب ، كان شجاعاً يدعى نُصَيْرًا ، فلما رأى مشيته بين الصفيين ، وكان يلومه على مشيته قال : لا ألومه على هذه المشية أبداً .

وقتل الطفيل بن عامر بن وائلة ، وقد كان قال وهو بفارس يقبل مع عبد الرحمن من كتر مان إلى الحجاج :

ألا طرقتنا بالغيريين بعد ما كَلَلْنَا على شحط. المزارِ جنوبُ
أتوك يقودون المنايا وإنما هدتها بأولانا إليك ذنوبُ
ولا خيرَ الدنيا لمن لم يكن له من الله في دارِ القرارِ نصيبُ
ألا أبلغ الحجاج أن قد أظله عذاب بأيدي المؤمنين مُصِيبُ
متى نهبط. المصرين يهرب محمدٌ وليس بمنجى ابن اللعين هروبُ
قال : منيتنا أمراً كان في علم الله أنك أولى به ، فمَجَّلَ لك في الدنيا ، وهو معذبك في الآخرة . وانهزم الناس ، فأقبل عبد الرحمن نحو الكوفة وتبعه من كان معه من أهل الكوفة ، وتبعه أهل القوة من أصحاب الخيل من أهل البصرة .

ولما مضى عبدُ الرحمن نحو الكوفة وتب أهل البصرة إلى عبد الرحمن ابن عباس بن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب فبايعوه ، فقاتل بهم خمس ليال الحجاج أشد قتال رآه الناس ، ثم انصرف فلاحق بابن الأشعث ، وتبعه طائفة من أهل البصرة فلاحقوا به ، وخرج الحريش بن هلال السعدي وهو من بني أنف الناقة — وكان جريحاً — إلى سَفَوَانَ فمات من جراحته ،

(١) الربيعة بكسر الراء وسكون الباء ؛ مقتل كل قوم قتلوا في بقعة واحدة .

(٢) ط : « المفضل » ، تصحيف .

وقُتِلَ في المعركة زيادُ بنُ مقاتلِ بنِ مِسمَعٍ من بني قيسِ بنِ ثعلبة ، فقامت
حَمِيْدَةُ ابنتُهُ تَسَدُّبُهُ ، وكان على خُمسِ بكرِ بنِ وائلٍ مع ابنِ الأشعثِ
وعلى الرجالِ ، فقالت :

١٠٦٧/٢

وحامى زيادُ على رايتهِ^(١) وفرَّ جُدىُّ بني العنبرِ
فجاء البلتعِ السعدى فسمعها وهي تَسَدُّبُ أباهَا ، وتعيبُ التميميَّ ، فجاء
وكان يبيعُ سَمْنًا بالمربدِ ، فترك سَمْنَهُ عند أصحابه ، وجاء حتى قام تحتها
فقال :

علامَ تَلومينَ من لم يَلِمَ تطاولَ لَيْلِكَ من مُعْصِرِ !
فإن كَانَ أَردى أَباكِ السَّنَانُ فَقَدْ تَلَحَّقُ الخَيْلُ بالمُدْبِرِ
وَقَدْ تَنْطَحُ الخَيْلُ تحتَ العَجَا ج غيرَ البريِّ ولا المُعْذِرِ
وَنَحْنُ مَنعنا لواءَ الحَرِيشِ وطاح لواءُ بني جَحْدرِ

فقال عامر بن وائلة يري ابنته طُفَيْلا :

خَلَى طُفَيْلٌ عَلَيَّ الهَمَّ فانشَعَبَا وَهَدَّ ذلكَ رُكني هَدَّةً عَجَبَا^(٢)
وابنني سُمِيَّةَ لا أَنسَاهما أَبداً فيمن نَسِيتُ وكلَّ كان لي نَصَبَا^(٣)
وأخطأتني المنايا لا تُطالَعُنِي حتى كَبِرْتُ ولم يَتَرُكَنَّ لي نَشَبَا
وكنْتُ بَعْدَ طُفَيْلٍ كالذي نَضَبْتُ عنه المِياهُ وفاضُ الماءِ فأنْقَضَبَا
فلا بَعِيرَ لَهْ في الأَرْضِ يَرَكِبُهُ وإن سَعى لِإِثرِ مَنْ قَدْ فاتَهُ لَغَبَا
وسارَ من أَرْضِ خاقانِ التي غَدَبْتُ أبناؤُ فارِسِ في أَرَبائِها غَلَبَا
ومن سَجِسْتانَ أسبابُ تَزِينُها لك المِنيَّةُ حِيناً كان مُجْتَلَبَا
حتى وَرَدتْ حياضَ الموتِ فأنكَشَفَتْ عنكَ الكِتابُ لا تَخفى لها عَقَبَا
وَغادِرُوكَ صريعاً رَهَنَ مَعْرَكَةَ تُرَى النُسورُ على القَتلى بها عُصَبَا

١٠٦٨/٢

١٠٦٩/٢

(١) ط : « حامى » . (٢) الأغاني ١٥ : ١٥٢ ، مع اختلاف في الرواية .

(٣) الأغاني : « صبا » .

تعاهدوا ثم لم يوفوا بما عهدوا وأسلموا للعدو السببي والسلبيا
يا سوعة القوم إذ تسبي نساؤهم وهم كثير يرون الخزي والحربا

قال أبو مخنف : فحدثني هشام بن أيوب بن عبد الرحمن بن أبي عقيل
الثقفي أن الحججاج أقام بقية الحرم وأول صفر ، ثم استعمل على البصرة أيوب
ابن الحكم بن أبي عقيل ، ومضى ابن الأشعث إلى الكوفة ، وقد كان الحججاج
خلف عبد الرحمن بن عبد الرحمن بن عبد الله بن عامر الحضرمي ، حليف حرب
ابن أمية على الكوفة .

قال أبو مخنف - كما حدثني يونس بن أبي إسحاق : إنه كان على أربعة
آلاف من أهل الشام .

قال أبو مخنف : فحدثني سهم بن عبد الرحمن الجهمي أنهم كانوا
الفين ، وكان حنظلة بن الوارد من بني رياح بن يربوع التميمي وابن عتاب
ابن ورقاء على المدائن ، وكان مطر بن ناجية من بني يربوع على المعونة ،
فلما بلغه ما كان من أمر ابن الأشعث أقبل حتى دنا من الكوفة ، فتحصن
منه ابن الحضرمي في القصر ، ووثب أهل الكوفة مع مطر بن ناجية بابن
الحضرمي ومن معه من أهل الشام فحاصروهم ، فصالحوه على أن يخرجوا ويخلوه
والقصر ، فصالحهم .

قال أبو مخنف : فحدثني يونس بن أبي إسحاق أنه رأى يترلون من
القصر على العجمل ، وفتح باب القصر لمطر^(١) بن ناجية ، فازدحم الناس على
باب القصر ، فزحم مطر على باب القصر ، فاخرط سيفه ، فضرب به جحفة فلكة
بغل من بغال أهل الشام وهم يخرجون من القصر ، فألقى بجحفته ودخل
القصر ، واجتمع الناس عليه فأعطاهم مائتي درهم . قال يونس : وأنا رأيتها
تقسم بينهم ، وكان أبو السقر فيمن أعطيها . وأقبل ابن الأشعث منهزماً إلى
الكوفة ، وتبعه الناس إليها .

(١) ب ، ف : « لطر » .

[وقعة دير الجماجم بين الحجاج وابن الأشعث]

قال أبو جعفر: وفي هذه السنة كانت وقعة دَيْرِ الْجَمَاجِمِ بين الحجاج وابن الأشعث في قول بعضهم . قال الواقدي: كانت وقعة دَيْرِ الْجَمَاجِمِ في شعبان من هذه السنة ، وفي قول بعضهم : كانت في سنة ثلاث وثمانين * ذكر الخبر عن ذلك وعن سبب مصير ابن الأشعث إلى دَيْرِ الْجَمَاجِمِ وذكر ما جرى بينه وبين الحجاج بها :

ذكر هشام عن أبي مخنف ، قال : حدثني أبو الزبير الهمداني ثم الأرحبي ، قال : كنت قد أصابتني جراحة ، وخرج أهل الكوفة يستقبلون ابن الأشعث حين أقبل ، فاستقبلوه بعد ما جازَ قنطرةَ زبارا (١) ، فلما دنا منها قال لي : إن رأيتَ أن تعدل عن الطريق — فلا يرى الناسُ جراحَتَكَ فإني لا أحبُّ أن يستقبلهم الجرحى — فافعل . فعدلتُ ودخل الناسُ ، فلما دخل الكوفة مالَ إليه أهلُ الكوفة كلهم ، وسبقتُ همدان إليه ، فحفت به عند دارِ عمرو بن حريث إلا طائفةً من تميم ليمسوا بالكثير قد أتوا مطرَ بن ناجية ، فأرادوا أن يقاتلوا دونَه ، فلم يُطبقوا قتالَ الناس . فدعا عبد الرحمن بالسلامة والعجل ، فوضعتُ ليمسعد الناسُ القصر ، فصعد الناسُ القصر فأخذوه ، فأتي به عبد الرحمن بن محمد ، فقال له : استبقني فإني أفضلُ فُرسانيك وأعظمهم عنك غناءً ؛ فأمر به فحبس ، ثم دعا به بعد ذلك فعفا عنه . وبأبعه مطرٌ ، ودخل الناسُ إليه فبايعوه ، وسقطَ إليه أهلُ البصرة ، ونسَوَتْ إليه المسالِح والثغور ، وجاءه فيمن جاءه من أهل البصرة عبد الرحمن ابنُ العباس بن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب ، وعرف بذلك ، وكان قد قاتل الحجاج بالبصرة بعد خروج ابن الأشعث ثلاثاً ، فبلغ ذلك عبد الملك ابنُ مروان ، فقال : قاتل الله عدِي الرَّحْمَنِ ، إنه قد فرَّ ! وقاتل غلماناً من غلمان قريش بعده ثلاثاً . وأقبل الحجاج من البصرة فسار في البرِّ حتى مرَّ بين القادسية والعديب ، ومنعوه من نزول القادسية ، وبعث إليه عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث عبد الرحمن بن العباس في نخيل عظيمة من نخيل المصريين

١٠٧١/٢

١٠٧٢/٢

(١) ب : « زبارا » ، س : « دبارا » .

فنعوه من نزول القادسيّة ، ثم سايروه حتى ارتفعوا على وادي السباع ، ثمّ تسايروا حتى نزل الحجاج ديسر قُرّة ، ونزل عبد الرحمن بن العباس ديسر الجماجم ، ثمّ جاء ابن الأشعث فنزل بدير الجمّاجم والحجاج بدير قُرّة ، فكان الحجاج بعد ذلك يقول : أما كان عبد الرحمن يزجّر الطير حيث رآني نزلت ديسر قُرّة ، ونزل ديسر الجمّاجم !

واجتمع أهل الكوفة وأهل البصرة وأهل الثغور والمسالح بدير الجمّاجم والقرّاء من أهل المصرين ، فاجتمعوا جميعاً على حرب الحجاج ، وجمعتهم عليه بغضهم والكراهية له ، وهم إذ ذاك مائة ألف مقاتل ممن يأخذ العطاء ، ومعهم مثلهم من مواليهم . وجاءت الحجاج أيضاً أمداده^(١) من قبيل عبد الملك من قبل أن ينزل ديسر قُرّة ، وقد كان الحجاج أراد قبل أن ينزل ديسر قُرّة أن يرتفع إلى هيت وناحية الجزيرة إرادة أن يقترب من الشام والجزيرة فيأتيه المدد من الشام من قريب ، ويقترب من رفاغة سِعْر الجزيرة ، فلما مرّ بدير قُرّة قال : ما بهذا المنزل بعد من أمير المؤمنين ، وإنّ الفلاليح وعين النمر إلى جثّتنا . فنزل فكان في عسكره مخند قمّا وابن محمد في عسكره مخندقاً ، والناس يخرجون في كلّ يوم فيقتتلون ، فلا يزال أحدهما يُدني خندقه نحو صاحبه ، فإذا رآه الآخر خندقاً أيضاً ، وأدنى خندقه من صاحبه . واشتدّ القتال بينهم . فلما بلغ ذلك رموس قريش وأهل الشام قبيل عبد الملك ومواليه قالوا : إن كان إنما يُرضي أهل العراق أن يُنزَع عنهم الحجاج ، فإنّ نزع الحجاج أيسر من حرب أهل العراق ، فانزعه عنهم تُخلص لك طاعتهم ، وتحقن به دماءنا ودماءهم . فبعث ابنه عبد الله بن عبد الملك ، وبعث إلى أخيه محمد بن مروان بأرض الموصل يأمره بالقدوم عليه ، فاجتمعوا جميعاً عنده ، كلاهما في جيشيّهما ، فأمرهما أن يعرضا على أهل العراق نزع الحجاج عنهم ، وأن يُجري عليهم أعطياتهم كما تُجرى على أهل الشام ، وأن ينزل ابن محمد أي بلد من عراق شاء ، يكون عليه والياً ما دام حياً ، وكان عبد الملك والياً ؛ فإن هم قبلوا ذلك عزل عنهم الحجاج ، وكان محمد بن مروان

(١) ب ، ف : « أمداد » .

أمير العراق ، وإن أبوا أن يقبلوا فالحجاج أمير جماعة أهل الشام وولى القتال ، ومحمد بن مروان وعبد الله بن عبد الملك فى طاعته . فلم يأت الحجاج أمر قط كان أشد عليه ولا أعيظ له ولا أوجع لقلبه منه مخافة أن يقبلوا فيعزل عنهم ، فكاتب إلى عبد الملك :

يا أمير المؤمنين ، والله لئن أعطيت أهل العراق نزعى لآ يلبثون إلا قليلا حتى يخالفوك ويسيروا إليك ، ولا يزيدهم ذلك إلا جرأة عليك ، ألم تر وتسمع بوئوب أهل العراق مع الأشتر على ابن عفان ، فلما سألم ما يريدون قالوا : نزع سعيد بن العاص ، فلما نزع لم تم لهم السنة حتى ساروا إليه فقتلوه ! إن الحديد بالحديد يفتلح . نحر الله لك فيما ارتأيت . والسلام عليك .

فأبى عبد الملك إلا عرض هذه الخصال على أهل العراق إرادة العافية من الحرب . فلما اجتمعوا مع الحجاج خرج عبد الله بن عبد الملك فقال : يا أهل العراق ، أنا عبد الله بن أمير المؤمنين ، وهو يعطيكم كذا وكذا ، فذكر هذه الخصال التى ذكرنا . وقال محمد بن مروان : أنا رسول أمير المؤمنين إليكم ، وهو يعرض عليكم كذا وكذا ، فذكر هذه الخصال . قالوا : نرجع العشيّة ، فرجعوا فاجتمعوا عند ابن الأشعث ، فلم يبق قائد ولا رأس قوم ولا فارس إلا أتاه ، فحمد الله ابن الأشعث وأثنى عليه ثم قال :

أما بعد ، فقد أعطيتم أمرا انتهازكم اليوم إياه فرصة ، ولا آمن أن يكون على ذى الرأى غدا حسرة ، وإنكم اليوم على النصف وإن كانوا اعتدوا بالزاوية فأنتم تعتدون عليهم بيوم تستر ، فاقبلوا ما عرضوا عليكم وأنتم أعزاء أقوياء ، والقوم لكم هائبون وأنتم لهم منتقصون^(١) . فلا والله^(٢) لا زلتم عليهم جرأا ، ولا زلتم عندهم أعزاء ، إن أنتم قبلتم أبدا ما بقيتم .

فوثب الناس من كل جانب ، فقالوا : إن الله قد أهلكهم ، فأصبحوا فى

(١) ب : « منتقصون » .

(٢) ب ، ف : « فوالله » .

الأزَل والضنك والمجاعة والقلة والذلة ، ونحن ذوو العَدَد الكثير ، والسعر الرفيغ^(١) والمادة القريبة ، لا والله لا تقبل .

فأعادوا خلعه ثانية . وكان عبد الله بن ذواب السلمى وعمير بن تيحان أول من قام بخلعه في الجماسم ، وكان اجتماعهم على خلعه بالجماسم^(٢) أجمع من خلعهم ليايه بفارس .

فرجع محمد بن مروان وعبد الله بن عبد الملك إلى الحجاج فقالوا : شأنك بعسكرك وجندك فاعمل برأيك ، فلما قد أمرنا أن نسمع لك ونطيع ، فقال : قد قلت لكما : إنه لا يراد بهذا الأمر غيركما ، ثم قال : إنما أقاتل لكما ، وإنما سلطاني سلطانكما ، فكانا إذا لقياه سلما عليه بالإمرة ، وقد زعم أبو يزيد السكسكى أنه إنما كان أيضا يسلم عليهما بالإمرة إذا لقيهما ، وخطياه والحرب فتولاها .

قال أبو مخنف : فحدثني الكلبي محمد بن السائب أن الناس لما اجتمعوا بالجماسم سمعت عبد الرحمن بن محمد وهو يقول : ألا إن بني مروان يعيرون بالزرقاء ، والله ما لهم نسب أصح منه إلا أن بني أبي العاص أعالج من أهل صفوربة ، فإن يكن هذا الأمر في قريش فعنى فقتت بيضة قريش ، وإن يسك في العرب فأنا ابن الأشعث بن قيس - ومدت بها صوته يسمع الناس - وبرزوا للقتال ، فجعل الحجاج على ميمنته عبد الرحمن ابن سليم الكلبي ، وعلى ميسرته عمارة بن تميم اللخمي ، وعلى نخيله سفيان ابن الأبرد الكلبي ، وعلى رجاله عبد الرحمن^(٣) بن حبيب^(٤) الحكمي ، وجعل ابن الأشعث على ميمنته الحجاج بن جارية الخثعمي ، وعلى ميسرته الأبرد بن قرّة التميمي ، وعلى نخيله عبد الرحمن بن عباس بن ربيعة بن الحارث الهاشمي ، وعلى رجاله محمد بن سعد بن أبي وقاص ، وعلى مجففته^(٥) عبد الله بن رزام الحارثي ، وجعل على القراء جبيلة بن زحر بن قيس الجعفي ،

(٢) ب ، ف : « بدير الجماسم » .

(٤) ابن الأثير : « حبيب » .

(٥) الخيل المجففة : التي عليها التجفاف ، وهو ما جليل به من سلاح .

(١) السعر الرفيغ : السهل .

(٣) ب ، ف : « الله » .

وكان معه خمسة عشر رجلاً من قريش ، وكان فيهم عامر الشعبي ، وسعيد ابن جبير ، وأبو البخترى الطائى ، وعبد الرحمن بن أبى ليلى .

ثم لأنهم أخذوا يتزاحفون فى كل يوم ويقتتلون ؛ وأهل العراق تأتيهم موادهم من الكوفة ومن سوادها فيما شاءوا من خصبيهم ، وإخوانهم من أهل البصرة وأهل الشام فى ضيق شديد ، قد غلت عليهم الأسعار ، وقيل عندهم ، الطعام ، وفقسوا اللحم ، وكانوا كأنهم فى حصار ، وهم على ذلك يغادون أهل العراق ويرأو حوزنهم ، فيقتتلون أشد القتال ، وكان الحجاج يئس من خندقه مرة وهؤلاء أخرى ، حتى كان اليوم الذى أصيب فيه جبلة بن زحر . ثم إنه بعث إلى كميل بن زياد النخعي وكان رجلاً ركيناً وقوراً عند الحرب ، له بأس وصوت فى الناس ، وكانت كتيبته تدعى كتيبة القراء ، يحمل عليهم فلا يكادون يبرحون ، ويحملون فلا يكذبون ، فكانوا قد عرفوا بذلك ، فخرجوا ذات يوم كما كانوا يخرجون ، وخرج الناس ، فعبى الحجاج أصحابه ، ثم زحف فى صفوفه ، وخرج ابن محمد فى سبعة صفوف بعضها على أثر بعض ، وعبى الحجاج لكتيبة القراء التى مع جبلة بن زحر ثلاث كتائب ، وبعث عليها الجراح بن عبد الله الحكيمى ، فأقبلوا نحوهم .

١٠٧٧/٢

قال أبو مخنف : حدثنى أبو يزيد السكسكى ، قال : أنا والله فى الخيل التى عبىت لجبلة بن زحر ، قال : حملنا عليه وعلى أصحابه ثلاث حملات ؛ كل كتيبة تحمل حملة ، فلا والله ما استنقصنا منهم شيئاً .

* * *

[ذكر الخبر عن وفاة المغيرة بن المهلب]

وفى هذه السنة توفى المغيرة بن المهلب بخراسان .

ذكر على بن محمد ، عن المفضل بن محمد ، قال : كان المغيرة بن المهلب خليفة أبيه بمرو على عمه كله ، فمات فى رجب سنة اثنتين وثمانين ، فأقى الخبر يزيد ، وعلمه أهل العسكر فلم يُخبروا المهلب ، وأحب يزيد أن يبلغه ، فأمر النساء فصرخن ، فقال المهلب : ما هذا ؟ فقيل : مات المغيرة ،

فاسترجع ، وحزّ حتى ظهر جزعه عليه ، فلأمه بعضُ خاصته ، فدعا يزيدَ فوجهته إلى مَرَوَ ، فجعل يُوصيه بما يعملُ ودموعه تنحدر على لحيته . وكتب الحجّاج إلى المهلب يعزّيه عن المغيرة ، وكان سيّداً ، وكان المهلب يومَ مات المغيرة مقيماً بكيسَ وراء النهر لحرب أهلها .

قال : فسار يزيدُ في ستين فارساً - ويقال : سبعين - فيهم مُجاعة بن عبد الرحمن العتيكي ، وعبد الله بن مُعمر بن مُسمير اليشكري ، ودينار السجستاني ، والهيثم بن المنخل الجرموزي ، وغزوان الإسكاف صاحب زَمَ - وكان أسلمَ على يد المهلب - وأبو محمد الزمي ، وعطية - مولى لعتيك - فلقيتهم خمسمائة من الترك في متقازة نَسَفَ ، فقالوا : ما أنتم ؟ قالوا : تجار ؛ قالوا : فأين الأتقال ؟ قالوا : قد مناهنا ؛ قالوا : فأعطونا شيئاً ، فأبى يزيد ، فأعطاهم مُجاعة ثوباً وكرابيسَ وقوساً ، فانصرفوا ثم غَدَرُوا وعادوا إليهم ، فقال يزيد : أنا كنتُ أعلمُ بهم فقاتلوهم ، فاشتدّ القتال بينهم ، ويزيدُ على فرس قريب من الأرض ، ومعه رجلٌ من الحوارج كان يزيدُ أخذَه ، فقال : استبقني ؛ فنّ عليه ، فقال له : ما عندك ؟ فحمل عليهم حتى خالطهم وصار من ورائهم وقد قتل رجلاً ، ثم كرّ فخالطهم حتى تقدّمهم وقتل رجلاً ثم رجع^(١) إلى يزيد . وقتل يزيدُ عظيماً من عظمائهم . ورُمي يزيدُ في ساقه ، واشتدّت شوكتهم ، وهرب أبو محمد الزمي ، وصبر لهم يزيدُ حتى حاجزوه ، وقالوا : قد غَدَرنا ، ولكن لا ننصرف حتى نموت جميعاً أو نموتوا أو تعطونا شيئاً ، فحلف يزيدُ لا يعطيهم شيئاً ، فقال مُجاعة : أذكرك الله ، قد هلك المغيرة ، وقد رأيت ما دخل على المهلب من مصابه ، فأنشُدك الله أن تصابَ اليومَ !

قال : إن المغيرة لم يبعدُ أجله ، وليستُ أعدو أجلى . فرمى إليهم مُجاعة بِعمامة صفراءَ فأخذوها وانصرفوا ، وجاء أبو محمد الزمي بفوارسَ وطعام ، فقال له يزيد : أسلمتنا يا أبا محمد ؛ فقال : إنما ذهبتُ لأجيشكم بمدّ وطعام ، فقال الراجز :

(١) س : « ورجع » .

يزيدُ يا سَيْفَ أَبِي سَعِيدٍ قد علمَ الأَقْوَامُ والجنودُ
والجمعُ يَوْمَ المجمعِ المشهودِ أنك يَوْمَ التُّركِ صَلْبُ العودِ
وقال الأشقريُّ :

والتُّركُ تعلمُ إذ لَاقَى جُموعَهُمْ أنْ قد لَقوهُ شِهاباً يَفْرِجُ الظُّلماً
بِفِتْيَةٍ كَأَسودِ الغابِ لم يَجِدُوا غيرَ التَّائِسِي وغيرَ الصَّبْرِ مُعْتَصِماً
نرى سَرائِجَ تَغشى القومَ من علقِ وما أرى نبوةً منهم ولا كَرَمًا
وتحتَهُمُ قَرَحٌ يَرَكِبُنَ ما رَكِبُوا من الكريمةِ حتى يَنْثَلَعنَ دَمًا
في حازِرةِ الموتِ حتى جَنَّ لَيْلُهُمْ كِلاَ الفريقيينِ ما وَلَّى ولا انهزما

* * *

وفي هذه السنة صالح المهلب أهل كس^(١) على فدية، ورحل عنها يريد مرو.

ذكر الخبر عن سبب انصراف المهلب عن كس

ذكر علي بن محمد، عن المفضل بن محمد، أن المهلب اتهم قومًا من مضر فحبسهم وقتل من كس وخلفهم، وخلف حريث بن قنطبة مولى خزاعة، وقال: إذا استوفيت الفدية فرد عليهم الرهن. وقطع الشهر فلما صار ببلخ أقام بها وكتب إلى حريث: إني لست آمن إن رددت عليهم الرهن أن يغيروا عليك، فإذا قبضت الفدية فلا تخلي الرهن حتى تقدم أرض بلخ. فقال حريث للملك كس: إن المهلب كتب إلى أن احبس الرهن حتى أقدم أرض بلخ، فإن عجلت لي ما عليك سلمت إليك رهائتك، وسرت فأخبرته أن كتابه ورد، وقد استوفيت ما عليكم، ورددت عليكم الرهن؛ فعجل لهم صلحتهم، ورد عليهم من كان في أيديهم منهم. وأقبل فعرض لهم الترك، فقالوا: أفد نفسك ومن معك، فقد لقينا

(١) ط: «كس»، وكس مدينة تقارب سمرقند.

يزيد بن المهلب ففسدنى نفسه. فقال حرث: ولدتنى إذا أم يزيدا وقتلتهم فقتلتهم، وأسر منهم أسرى ففقدوهم، فنزل عليهم وخلاهم، ورد عليهم الفداء. وبلغ المهلب قوله: ولدتنى أم يزيد إذا، فقال: يأنف العبد أن تسلكه رَحِمُهُ اِ وَغَضِبَ .

فلما قدم عليه بسخ قال له: أين الرهن؟ قال: قبضت ما عليهم وخليتهم، قال: ألم أكتب إليك ألا تخليهم ا قال: أتانى كتابك وقد خليتهم، وقد كفت ما خفت؛ قال: كذبت، ولكنك تقربت إليهم وإلى ملكهم فأطلعتهم على كتابي إليك. وأمر بتجريدته، فجزع من التجريد حتى ظن المهلب أن به برصاً، فجرده وضربه ثلاثين سوطاً. فقال حرث: وددت أنه ضربنى ثلاثمائة سوط ولم يجر دنى، أنفأ واستحياء من التجريد، وحلف ليقتلن المهلب .

فركب المهلب يوماً وركب حرث، فأمر غلامين له وهو يسير خلف المهلب أن يضرباه، فأبى أحدهما وتركه وانصرف، ولم يجزئ الآخر لما صار وحده أن يقدم عليه، فلما رجع قال للغلام: ما منعك منه؟ قال: الإشفاق والله عليك، والله ما جزعت على نفسى، وعلمت أنا إن قتلناه أنك ستقتل ونقتل، ولكن كان نظرى لك، ولو كنت أعلم أنك تسلم من القتل لقتلته .

قال: فترك حرث إتيان المهلب، وأظهر أنه وجيع، وبلغ المهلب ١٠٨٢/٢ أنه تمارض وأنه يريد الفتك به، فقال المهلب لثابت بن قطبة: جئنى بأخيك، فإنما هو كبعض ولدى عىدى، وما كان ما كان منى إليه إلا نظراً له وأدباً، ولربما ضربت بعض ولدى أود به. فأتى ثابت أخاه فناشده، وسأله أن يركب إلى المهلب، فأبى وخافه وقال: والله لا أجيئه بعد ما صنع بى ما صنع، ولا آمنه ولا يأمننى. فلما رأى ذلك أخوه ثابت قال له: أما إن كان هذا رأيك فاخرج بنا إلى موسى بن عبد الله بن خازم، وخاف ثابت أن يقتل حرث بالمهلب فيقتلون جميعاً؛ فخرجا فى ثلاثمائة من شاكريتهما والمنقطعين إليهما من العرب .

[خبر وفاة المهلب بن أبي صفرة]

قال أبو جعفر : وفي هذه السنة توفى المهلب بن أبي صفرة .

* ذكر الخبر عن سبب موته ومكان وفاته :

قال علي بن محمد : حدثني المفضل ، قال : مضى المهلب منصوراً من كسّ يريد مرواً ، فلما كان بزاغول من مرو الروذ أصابته الشوصة — وقوم يقولون : الشوكة^(١) — فدعا حبيباً ومن حضره من ولده ، ودعا بسهام فحزمت ، وقال : أترونكم كاسريها مجتمعة ؟ قالوا : لا ، قال : أفرونكم كاسريها متفرقة ؟ قالوا : نعم ؛ قال : فهكذا الجماعة ، فأوصيكم بتقوى الله وصلة الرحيم ، فإن صلة الرحيم تُنسى في الأجل ، وتُشترى المال ، وتُكثر العداة ؛ وأنها كم عن القطيعة ، فإن القطيعة تُعقب النار ، وتورث الذلّة والقلّة ، فتحابوا وتواصلوا ، وأجمعوا أمرهم ولا تختلفوا ، وتباروا تجتمع أموركم ؛ إن بني الأمّ يختلفون ، فكيف ببني العائلات ! وعليكم بالطاعة والجماعة ، وليكن فعالكم أفضل من قولكم ، فإنّي أحبّ للرجل أن يكون لعمله فضل على لسانه ، واثقوا الجواب وزلّة اللسان ، فإنّ الرجل تزلّ قدمه فينتعش من زلته ، ويزلّ لسانه فيسهلك . اعرفوا لمن بغشاكم حقّه ، فكفى بغدو الرجل ورواحه إليكم تذكرة له ، وآثروا الجود على البخل ، وأحبوا العرب واصطنعوا العرف ، فإنّ الرجل من العرب تعدّه العدة فيموت دونك ، فكيف الصنيعة عنده ! عليكم في الحرب بالأناة والمكيدة ، فإنها أنفع في الحرب من الشجاعة ، وإذا كان اللقاء نزل القضاء ، فإنّ أخذ رجل بالحزم فظهر على عدوه قيل : أتى الأمر من وجهه ، ثمّ ظفر فحمد ، وإن لم يظفر بعد الأناة قيل : ما فرط ولا ضيّع ، ولكنّ القضاء غالب . وعليكم بقراءة القرآن ، وتعليم السنن ، وأدب الصالحين ، وإياكم والخيفة وكثرة الكلام في مجالسكم ، وقد استخلفت عليكم يزيد ، وجعلت حبيباً على الجسند حتى يتقدم بهم على يزيد ، فلا تخالفوا يزيد ، فقال له المفضل : لو لم تقدمه لقدّمناه .

١٠٨٣/٢

(١) في اللسان : «الشوصة : ريح تأخذ الإنسان في لحمه تجول مرة هنا ومرة هنا ، ومرة في الجنب ومرة في الظهر ومرة في الحواقرن . وفيه أيضاً : « الشوكة داء كالطاعون » .

ومات المهلب وأوصى إلى حبيب، فصلّى عليه حبيب، ثم سار إلى مرو. وكتب يزيد إلى عبد الملك بوفاة المهلب واستخلافه إياه، فأقره الحجاج (١). ويقال: إنه قال عند موته ووصيته: لو كان الأمر إلى لوليت سيد ولدي حبيباً. قال: وتوفّي في ذى الحجة سنة اثنتين وثمانين، فقال نهار بن تسمية التميمي:

ألا ذهب الغزو المُقربُ للغنى ومات الندى والجودُ بعد المهلب (٢)
 أقاماً بمرو الروذ رهني ضريحه وقد غيباً عن كل شرقٍ ومغربٍ
 إذا قيلَ أيُّ الناسِ أولى بنعمةٍ على الناسِ؟ قلناه ولم نتهبب
 أباح لنا سهلَ البلادِ وحزنها بخيلٍ كآرسال القَطَا المتسرب
 يُعرضها للطعنِ حتى كأنما يُجلُّها بالأرجوانِ المُخضبِ
 تُطيفُ به قحطانُ قد عصبتُ به وأحلافها من حيِّ بكرٍ وتغلبِ
 وحباً معدُّ عودٌ بلوائه يُفدونه بالنفسِ والأمِّ والأبِ

* * *

وفي هذه السنة ولى الحجاجُ بن يوسفَ يزيدَ بنَ المهلب خراسانَ بعد موت المهلب.

وفيهما عزّل عبدُ الملكُ أبانَ بنَ عثمانَ عن المدينة؛ قال الواقدي: عزله عنها لثلاث عشرة ليلة خلت من جمادى الآخرة.

قال: وفيها ولّى عبدُ الملكُ هشامَ بنَ إسماعيلَ الخزوميّ المدينة. وعزّل هشامُ بنَ إسماعيلَ عن قضاء المدينة لما وليها نوفلُ بنُ مُساحقِ العامريّ، وكان يحيى بنَ الحكمِ هو الذي استقضاه على المدينة، فلما عزّل يحيى ووليها أبانُ ابنُ عثمانَ أقره على قضائها، وكانت ولاية أبانَ المدينة سبع سنين وثلاثة أشهر وثلاث عشرة ليلة، فلما عزّل هشامُ بنُ إسماعيلَ نوفلُ بنُ مُساحقِ عن القضاء ولّى مكانه عمرو بنُ خالد الزُرقيّ.

(١) ابن الأثير: «فلما توفى كتب ابنه يزيد إلى الحجاج يعلمه بوفاته، فأقر يزيد على خراسان».

(٢) البيت الأول والثاني في كتاب المعمرين ١٤٣.

وَحَجَّ بِالنَّاسِ فِي هَذِهِ السَّنَةِ أَبَانُ بْنُ عُثْمَانَ ، كَذَلِكَ حَدَّثَنِي أَحْمَدُ بْنُ
 ثَابِتٍ عَنْ عَمْرِو بْنِ ذَكْرَانَ ، عَنْ إِسْحَاقَ بْنِ عِيسَى ، عَنْ أَبِي مَعْشَرٍ .
 وَكَانَ عَلَى الْكُوفَةِ وَالْبَصْرَةِ وَالْمَشْرِقِ الْحَجَّاجُ ، وَعَلَى خُرَّاسَانَ يَزِيدُ
 بْنُ الْمُهَلَّبِ مِنْ قَبْلِ الْحَجَّاجِ .

ثم دخلت سنة ثلاث وثمانين

ذكر الأحداث التي كانت فيها

* * *

[خبر هزيمة ابن الأشعث بدير الجماجم]

فما كان فيها من ذلك هزيمة عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث بدير الجماجم .
الجماجم .

* ذكر الخبر عن سبب انهزامه :

ذكر هشام بن محمد، عن أبي مخنف، قال : حدثني أبو الزبير الهمداني، قال : كنت في خيبل جبلة بن زحل، فلما حتمل عليه أهل الشام مرة بعد مرة، نادانا^(١) عبد الرحمن بن أبي ليلى الفقيه فقال : يا معشر القراء، إن الفِرار ليس بأحد من الناس بأقبح منه بكم، إني سمعتُ علياً^(٢) - رفع الله درجته في الصالحين ، وأثابه^(٣) أحسن ثواب الشهداء والصدّيقين^(٤) - يقول يوم لقينا أهل الشام : أيها المؤمنون ، إنه من رأى عدواناً يُعَمَلُ به ، ومُنكراً يُدعى إليه ، فأنكره بقلبه فقد سلم وبسرّئ ، ومن أنكر بلسانه فقد أجبر ، وهو أفضل من صاحبه ، ومن أنكره بالسيف لتكون كلمة الله العلياً وكلمة الظالمين السفلى ، فذلك الذي أصاب سبيل الهدى ، ونور في قلبه اليقين^(٤) . فقاتلوا هؤلاء المُسحّلين المُحدّثين المبتدعين الذين قد جهلوا الحقّ فلا يعرفونه ، وعمدوا بالعدوان فليس يُنكرونه .

وقال أبو البختري : أيها الناس ، قاتلوهم على دينكم ودنياكم ، فوالله لن تظهروا عليكم ليُفسدُ دينكم ، وليغلبنّ على دنياكم .
وقال الشعبي : يا أهل الإسلام ، قاتلوهم ولا يأخذكم حرج من قتالهم ،

(١) ب : « نادى يا » ، ابن الأثير : « نادى جبلة يا » .

(٢) ب : « على بن أبي طالب » . (٣-٣) ب : « ثواب الصديقين والشهداء » .

(٤) نهج البلاغة ٢ : ٢٢٤ .

فوالله ما أعلم قوماً على بساطِ الأرضِ أعمَلِ بِظُلْمٍ ، ولا أجهورَ منهم في الحُكْمِ (١) ، فليكن بهم البدار . ١٠٨٧/٢

وقال سعيد بن جبير : قاتلوهم ولا تأثموا من قتالهم بنيتة ويقين ، وعلى آثامهم قاتلوهم على جهورهم في الحُكْمِ ، وتجبّرهم في الدين ، واستذلّ لهم الضعفاء ، وإماتتهم الصلاة .

قال أبو مخنف ، قال أبو الزبير : فتهيأنا للحملة عليهم ، فقال لنا جبيلة : إذا حملتم عليهم فاحملوا حملةً صادقة ، ولا تردوا وجوهكم عنهم حتى تواقعوا صفّهم . قال : فحملنا عليهم حملةً يجذّ منا في قتالهم ، وقوة منا عليهم ، فضربنا الكتاببَ الثلاث حتى اشفرت (٢) ، ثم مضينا حتى واقعنا صفّهم فضربناهم حتى أزلناهم عنه ، ثم انصرفنا فررنا بجميلة صريعاً لا ندري كيف قُتل .

قال : فهدنا ذلك وجبنا فوقفنا موقفنا الذي كنا به ، وإن قرأنا المتوافرون ، ونحن نستساعى جبلة بن زحر بيننا ، كأنما فقد به كل واحد منا أباه أو أخاه ، بل هو في ذلك الموطن كان أشدّ علينا فقدآ . فقال لنا أبو البسخري الطائي : لا يستبينن فيكم قتل جبيلة بن زحر ، وإنما كان كرجل منكم أنته منيته ليسومها ، فلم يكن ليتقدم يومه ولا ليتأخر عنه ، وكلّكم ذائق ما ذاق ، ومدعو فجيح . قال : فنظرت إلى (٣) وجوه القراء فإذا الكأبة على وجوههم بيّنة ، وإذا ألسنتهم منقطعة ، وإذا الفشسل فيهم قد ظهر ، وإذا أهل الشام قد سرّوا وجدّوا ، فنادوا (٤) : يا أعداء الله ، قد هلككم وقد قتلت الله طاغوتكم (٥) . ١٠٨٨/٢

قال أبو مخنف : فحدثني أبو يزيد السكسكي أن جبيلة حين حمل هو وأصحابه علينا انكشفنا ، وتبعونا ، وافتقت منا فرقة فكانت (٦) ناحية ، فنظرنا فإذا أصحابه يتبعون أصحابنا ، وقد وقف لأصحابه ليرجعوا إليه على

(١) ب : « بحكم » . (٢) اشفرت : افتقت . (٣) ب : « في » . (٤) ب ، ف : « فنادونا » . (٥) ب ، ف : « طاغوتكم » . (٦) ب ، ف : « فقامت » .

رأس رهوة ، فقال بعضنا ، هذا والله بجبيلة بن زحر ، احملا عليه ما دام أصحابه مشاغيل بالقتال عنه لعلكم تصيبونه . قال : فحملنا عليه ، فأشبهه ما وكى ، ولكن حمل علينا بالسيف . فلما هبط من الرهوة (١) شجرناه بالرماح فأذريناه عن فرسه فوقع قتيلا ، ورجع أصحابه ، فلما رأيناهم مقبلين تنحيننا عنهم ، فلما رأوه قتيلا رأينا من استرجاعهم وجزعهم ما قررت به أعيننا ؛ قال : فتبيننا ذلك في قتالهم إيانا ونحروجهم إلينا .

* * *

قال أبو مخنف : حدثني سهم بن عبد الرحمن الجهني ، قال : لما أصيب بجبيلة هد الناس مقتله ، حتى قدم علينا بسطام بن مصقلة بن هبيرة الشيباني ، فشجع الناس مقدمه ، وقالوا : هذا يقوم مقام جبيلة ، فسمع هذا القول من بعضهم أبو البختري ، فقال : قُبِّحتم ! إن قتل منكم رجل (٢) واحد ظننتم أن قد أحيط بكم ، فإن قُتل الآن ابن مصقلة ألقستم بأيديكم إلى التهلكة ، وقلتم : لم يسبق أحد يقاتل معه ! ما أخلفكم أن يُخلف رجائنا فيكم ! وكان مقدم بسطام بن الرمي ، فالتقى هو وقتيبة في الطريق ، فدعاه قتيبة إلى الحجاج وأهل الشام ، ودعاه بسطام إلى عبد الرحمن وأهل العراق ، فكلاهما أبي على صاحبه ، وقال بسطام : لأن أموت مع أهل العراق أحسب إلى من أن أعيش مع أهل الشام ، وكان قد نزل ماسبندان ؛ فلما قدم قال لابن محمد : أمرتني على نخيل ربيعة ؛ ففعل ، فقال لهم : يا معشر ربيعة ، إن في شرسفة عند الحرب فاحتملوها لي - وكان شجاعا - فخرج الناس ذات يوم ليقبضوا ، فحمل في نخيل ربيعة حتى دخل عسكرهم ، فأصابوا فيهم نحواً من ثلاثين امرأة من بين أمّة وسريّة ، فأقبل بهن حتى إذا دنا من عسكره ردّهن ، فجنّ ودخلن عسكر الحجاج ، فقال : أولتني لهم ! متبع القوم نساءهم ، أما لو لم يردّوهن لسببت نساؤهم غداً إذا ظهرت . ثم اقتتلوا يوماً آخر بعد ذلك ، فحمل عبد الله بن مُليل الهمداني في نخيل له حتى دخل

(١) ب ، ف : « الرهو » ، والرهو : ما اطمأن من الأرض وارتفع ما حوله .

(٢) ب ، ف : « رجل واحد منكم » .

عسكرهم فسبا ثمانى عشرة امرأة ، وكان معه طارق بن عبد الله الأسدي - وكان رامياً - فخرج شيخ من أهل الشام من فسطاطه ، فأخذ الأسدى يقول لبعض أصحابه : استر منى (١) هذا الشيخ لعنتى أرميه أو أحمل عليه فأطعته ، فإذا الشيخ يقول رافعاً صوته : اللهم لمتنا وإياهم بعافية ؛ فقال الأسدى : ما أحب أن أقتل مثل هذا ، فتركه ، وأقبل ابن مليل بالنساء غير بعيد ؛ ثم نلتى سبيلهن أيضاً ، فقال الحجاج مثل مقالته الأولى .

١٠٩٠/٢

قال هشام : قال أبى : أقبل الوليد بن نحيث الكلبي من بنى عامر فى كتيبة إلى جبلة بن زحر ، فانحط عليه الوليد من رابية - وكان جسيماً ، وكان جبلة رجلاً ربيعة - فالتصيا ، فضربته على رأسه فسقط ، وانهزم أصحابه وجىء برأسه .

قال هشام : فحدثنى بهذا الحديث أبو مخنف وعوانة الكلبي ، قال : لما جىء برأس جبلة بن زحر إلى الحجاج حمّله على رحين ثم قال : يا أهل الشام ، أبشروا ؛ هذا أول الفتح ، لا والله ما كانت فينة قط فخبست حتى يقتل فيها عظيم من عظماء أهل اليمس ، وهذا من عظمائهم . ثم خرجوا ذات يوم فخرج رجل من أهل الشام يدعو إلى المبارزة ، فخرج إليه الحجاج ابن جارية ، فحمل عليه ، فطعنته فأذراه ، وحمل أصحابه فاستنقده ، فإذا هو رجل من خثعم يقال له أبو الدرداء ، فقال الحجاج بن جارية : أما لى لم أعرفه حتى وقع ، ولو عرفته ما بارزته ، ما أحب أن يصاب من قومي مثله . وخرج عبد الرحمن بن عوف الرؤاسى أبو حميد فدعا إلى المبارزة ، فخرج إليه ابن عم له من أهل الشام ، فاضطربا بسيفيهما ، فقال كل واحد منهما : أنا الغلام الكلابى ، فقال كل واحد منهما لصاحبه : من أنت ؟ فلما تساءلا تحاجزاً . وخرج عبد الله بن رزام الحارثى إلى كتيبة الحجاج ، فقال : اخرجوا إلى رجلا رجلا ، فأخرج إليه رجل ، فقتله ثم فعل ذلك ثلاثة أيام ، يقتل كل يوم رجلاً ، حتى إذا كان اليوم الرابع

١٠٩١/٢

(١) ب ، ف : « استراعى » .

أقبل ، فقالوا : قد جاء لا جاء الله به ! فدعا إلى المبارزة ، فقال الحجاج للجراح : انخرج إليه ، فخرج إليه ، فقال له عبد الله بن رزام — وكان له صديقاً : ويحك يا جراح ! ما أخرجك إلى ! قال : قد ابتليت بك ، قال : فهل لك في خير ؟ قال : ما هو ؟ قال : أنهزم لك فارجع إلى الحجاج وقد أحسنت عنده وحمدك ، وأما أنا فإني أحتمل مقالة الناس في انهزامي عنك حبباً لسلامتك ، فإني لا أحب أن أقتل من قومي مثلك ؛ قال : فافعل ، فحمل عليه فأخذ يستطرد له — وكان الحارثي قد قطع لهاتيه ، وكان يعطش كثيراً ، وكان معه غلام له معه إداوة من ماء ، فكلما عطش سقاه الغلام — فاطرد له الحارثي ، وحمل عليه الجراح حملةً يجدد لا يريد إلا قتله ، فصاح به غلامه : إن الرجل جاد في قتلك ا فعطف عليه فصر به بالعمود على رأسه فصرعه ، فقال لغلامه : انضح على وجهه من ماء الإداوة ، واسقه ؛ ففعل ذلك به ، فقال : يا جراح ، بشمًا ما جزيتني ، أردت بك العافية وأردت أن تزيروني المنية ! فقال : لم أرد ذلك ، فقال : انطليق فقد تركتلك للقرابة والعشيرة .

قال محمد بن عمر الواقدي : حدثني ابن أبي سبيرة ، عن صالح بن كيسان ، قال : قال سعيد الحرشي : أنا في صف القتال يومئذ إذ خرج رجل من أهل العراق ، يقال له : قدامة بن الحريش التميمي ، فوقف بين الصفيين ، فقال : يا معشر جرّامية أهل الشام ، إنا ندعوكم إلى كتاب الله وسنة رسوله ، فإن أبيتم فليخرج إلى رجل ، فخرج إليه رجل من أهل الشام فقتله ، حتى قتل أربعة ، فلما رأى ذلك الحجاج أمر منادياً فنادى : لا يخرج إلى هذا الكلب أحد ، قال : فكف الناس . قال سعيد الحرشي : فدنوت من الحجاج فقلت : أصلح الله الأمير ! إنك رأيت ألا يخرج إلى هذا الكلب أحد ، وإنما هلك من هلك من هؤلاء النفر بأجالم ، ولهذا الرجل أجمل ، وأرجو أن يكون قد حضر ، فأذن لأصحابي الذين قتلوا معي فليخرج إليه رجل منهم ، فقال الحجاج : إن هذا الكلب لم يزل هذا^(١) له عادة

(١) بعدها في ب ، ف : « الدعاء » .

وقد أرب الناس ، وقد أذنت لأصحابك ، فن أحب أن يقوم فليقيم .
 فرجع سعيد الحرشى إلى أصحابه فأعلمهم ، فلما نادى ذلك الرجل بالبراز برز
 إليه رجل من أصحاب الحرشى ، فقتله قدامه^(١) ، فشق ذلك على سعيد ، وثقل
 عليه لكلامه الحجاج ، ثم نادى قدامة : من يبارز ؟ فدنا سعيد من الحجاج ،
 فقال : أصلح الله الأمير ! ائذن لى فى الخروج إلى هذا الكلب ، فقال :
 وعندك ذلك ؟ قال سعيد : نعم ، أنا كما تحب^(١) ؛ فقال الحجاج : أرني
 سيفك ، فأعطاه إياه ، فقال الحجاج : معى سيف أثقل من هذا ، فأمر
 له بالسيف^(٢) ، فأعطاه إياه ، فقال الحجاج - ونظر إلى سعيد فقال : ما أجود
 د رعك وأقوى فرسك ! ولا أدرى كيف تكون مع هذا الكلب ! قال سعيد :
 أرجو أن يظفرنى الله به ؛ قال الحجاج : اخرج على يركة الله . قال سعيد :
 فخرجت إليه ، فلما دنوت منه ، قال : قف يا عدو الله ، فوقف ، فسرني
 ذلك منه ، فقال : اختر إما أن تمكنى فأضربك ثلاثاً ، وإما أن أمكنك
 فتضربنى ثلاثاً ، ثم تمكنى . قلت : أمكنى ، فوضع صدره على قتر بوسه
 ثم قال : اضرب ، فجمعت يدي على سيني ، ثم ضربت على المغفر
 متمكناً ، فلم يصنع شيئاً ، فساعنى ذلك من سيني ومن ضربتى ، ثم أجمع
 رأى أن أضربه على أصل العاتق ، فيما أن أقطع وإما أن أوهن يده عن ضربته ،
 فضربته فلم أصنع شيئاً ؛ فساعنى ذلك ومن غاب عنى ممن هو فى ناحية العسكر
 حين بلغه ما فعلت ، والثالثة كذلك . ثم اخترت سيفاً ثم قال : أمكنى ،
 فأمكنته ، فضربنى ضربة صرعى منها ، ثم نزل عن فرسه وجلس على
 صدرى ، وانتزع من خفيته خنجرأ أو سكيناً فوضعها على حلقى يريد
 ذبحى ، فقلت له : أنشدك الله ! فإنك لست مصيباً من قتلى الشرف
 والذكر مثل ما أنت مصيب من ترمى ، قال : ومن أنت ؟ قلت : سعيد
 الحرشى ، قال : أولى يا عدو الله ! فأنطقت فأعلم صاحبك^(٣) ما لقيت .
 قال سعيد : فانطلقت أسعى حتى انتهيت إلى الحجاج ، فقال : كيف

١٠٩٣/٢

١٠٩٤/٢

(٢) ب ، ف : « بسيف » .

(١) ب ، ف : « كما يحب الأمير » .

(٣) ب ، ف : « أصحابك » .

رأيت ا فقلت : الأميرُ كان أعلمَ بالأمر (١) .

* * *

رجع الحديث إلى حديث أبي مخنف ، عن أبي يزيد (٢) ، قال : وكان أبو البختري الطائي وسعيد بن جببير يقولان : ﴿ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كِتَابًا مُوَجَّلًا ... ﴾ (٣) إلى آخر الآية ، ثم يحملان حتى يوافقا الصفت . قال أبو المخارق : قاتلناهم مائة يوم سواء أعدّها عددا . قال : نزلنا ديرَ الجماجيم مع ابن محمد غداة الثلاثاء لليلة مضت من شهر ربيع الأول سنة ثلاث وثمانين ، وهزمتنا يوم الأربعاء لأربع عشرة مضت من جمادى الآخرة عند امتداد الضحى ومُتَوِّع النهار ، وما كنا قطّ أجراً عليهم ولا هم أهون علينا منهم في ذلك اليوم .

قال : خرجنا إليهم وخرجوا إلينا يوم الأربعاء ، لأربع عشرة مضت من جمادى الآخرة ، فقاتلناهم عامة النهار أحسن قتال قاتلناهم قطّ ، ونحن آمنون من الهزيمة ، عالون للقوم ، إذ خرج سُفيان بن الأبرد الكلبى في الخيل من قبيل ميمنة أصحابه ، حتى دنا من الأبرد بن قرة التميمى ، وهو على ميسرة عبد الرحمن بن محمد ، فوالله ما قاتلته كبير قتال حتى انهزم ، فأنكرها الناسُ منه ، وكان شجاعاً ، ولم يكن الفِرار له بعادة ، فظنّ الناسُ أنه قد كان أومين ، ووصلح على أن ينهزم بالناس ، فلما فعلها ١٠٩٥/٢ تقوضت الصفوفُ من نحوه ، وركب الناس وجوههم (٤) وأخذوا في كل وجه ، وصعد عبد الرحمن بن محمد المنبسر ، فأخذ (٥) ينادى الناس : عباد الله ، إلى أنا ابنُ محمد ؛ فأتاه عبد الله بن رزام الحارثى ، فوقف تحت منبره ، وجاء عبدُ الله بن ذؤاب السُلَيمى في خيل له (٦) ، فوقف منه قريباً ، وثبت حتى دنا منه أهلُ الشام ، فأخذت نسبُهم تحوزهُ ، فقال : يا بن رزام ، احمل على هذه الرجال والخيل ، فحمل عليهم حتى أمعنوا . ثم جاءت

(١) يعلها في ب ، ف : « منى » . (٢) أول الحديث ص ٣٥٨ .

(٣) سورة آل عمران: ١٤٥ . (٤) ب ، ف : « رؤسهم » .

(٥) ب ، ف : « وأخذ » . (٦) ب ، ف : « لم خيل » .

خيل لهم أخرى ورجالة ، فقال : احمل عليهم يا بن ذؤاب ، فحمل عليهم حتى أمعنوا ، وثبت لا يبرح منبره ، ودخل أهل الشام العسكر ، فكثروا^(١) ، فصعد إليه عبد الله بن يزيد بن المغفل الأزدي - وكانت ملسيكة ابنة أخيه امرأة عبد الرحمن - فقال : انزل ، فإني أخاف عليك إن لم تنزل أن تؤمّر ، ولعلك إن انصرفت أن تجمع لهم جسمعا يهلكهم الله به بعد اليوم . فنزل ونحسب أهل العراق العسكر ، وانهمزوا لا يلوون على شيء ، ومضى عبد الرحمن بن محمد مع ابن جعدة بن هبيرة ومعه أناس من أهل بيته ؛ حتى إذا حاذوا قرية بني جعدة بالفلوجة دعوا بمعبر ، فعبروا فيه ، فأنهى إليهم بسطام بن مصقلة ، فقال : هل في السفينة عبد الرحمن بن محمد ؟ فلم يكلموه ، وظن أنه فيهم ، فقال :

• لا وألت نفس عليها تُحاذرُ *

ضَرَمَ قَيْسٌ عَلَى الْبِلَاءِ دَ حَتَّى إِذَا اضْطَرَمْتَ أَجْدَمَا^(١) ١٠٩٦/٢

ثم جاء حتى انتهى إلى بيته وعليه السلاح ، وهو على فرسه لم ينزل عنه ، فخرجت إليه ابنته فالتزمها ، وخرج إليه أهله يبكون ، فأوصاهم بوصية وقال : لا تسبوا ، رأيتم إن لم أترككم ، كم عسيت أن أبقى معكم حتى أموت ! وإن أنا مت فإن الذي رزقكم الآن حتى لا يموت ، وسيسرزقكم بعد وفاتي كما رزقكم في حياتي ؛ ثم ودع أهله وخرج من الكوفة .

قال أبو مخنف : فحدثني الكلبي محمد بن السائب ، أنهم لما هزموا ارتفاع النهار حين امتدّ واستع ، قال : جثت أشدّ ومعى الرمح والسيف والترس حتى بلغت أهلي من يومي ، ما ألقيت شيئاً من سلاحي ، فقال الحجاج : اتركوهم فليتبذروا ولا تتبعوهم ، ونادى المنادي : من رجع فهو أمين . ورجع محمد بن مروان إلى الموصل ، وعبد الله بن عبد الملك إلى الشام بعد الواقعة ، وخطب الحجاج والعراق ، وجاء الحجاج حتى دخل الكوفة ، وأجلس مصقلة ابن كرب بن رقة العبدى إلى جنبه ، وكان خطيباً ، فقال : اشم كل

(١) س : «فكثروا» . (٢) من أبيات الربيع بن زياد ، ديوان الحماة بشرح التبريزي ٦١ : ٢ .

امرئ بما فيه ممن كُنَّا أحسنًا إليه، فاشتبهه بقلّة شكره، ولو لم عهدته؛ ومن علمت منه عيبًا فعبه بما فيه، وصغرت إليه نفسه. وكان لا يبایعه أحدًا إلا قال له: أتشهد أنك قد كفرت؟ فإذا قال: نعم، بايعه وإلا قستله، فجاء إليه رجل ١٠٩٧/٢ من خثعم قد كان معتزلاً للناس جميعاً من وراء الفُرات، فسأله عن حاله فقال: ما زلتُ معتزلاً وراء هذه النطفة، منتظراً أمر الناس حتى ظهرت، فأتيتك لأبايعك مع الناس؛ قال: أمر بئس! أتشهد أنك كافر؟ قال: بشس الرجل أنا إن كنتُ عبدتُ الله ثمانين سنة ثم أشهد على نفسي بالكفر؛ قال: إذا أقتلتك؛ قال: وإن قتلتنى فوالله ما بقى من عُمرى إلا ظيمٌ حمار، وإني لأنتظر الموت صباح مساء، قال: اضربوا عنقه، فضربتُ عنقه، فترعموا أنه لم يبق حولته قرشي ولا شامي ولا أحد من الحزبين إلا رحمه ورثي له من القَتيل.

ودعاً بكُميل بن زياد النخعي فقال له: أنت المقتص من عثمان أمير المؤمنين؟ قد كنت أحب أن أجد عليك سبيلاً، فقال: والله ما أدري على أين أنت أشد غضباً؟ عليه حين أقاد من نفسه، أم على حين عفوت عنه؟ ثم قال: أيها الرجل من ثقيف، لا تصريف على أنيابك، ولا تهدم على تهدم الكشييب، ولا تكشر كشران الذئب، والله ما بقى من عمرى إلا ظيمٌ الحمار، فإنه يشرب غدوة ويموت عشية، ويشرب عشية ويموت غدوة، اقض ما أنت قاض، فإن الموعد الله، وبعد القتل الحساب. قال الحججاج: فإن الحججة عليك، قال: ذلك إن كان القضاء إليك، قال: بلى، كنت فيمن قتل عثمان، وخلعت أمير المؤمنين، اقتلوه. ١٠٩٨/٢ فسقُدتم فقتل، قتلته أبو الجهم بن كنانة الكلبي من بني عامر بن عوف، ابن عم منصور بن جمهور.

وأتى بأخر من بعده، فقال الحججاج: إني أرى رجلاً ما أظنه يشهد على نفسه بالكفر، فقال: أخادعي عن نفسي! أنا أكفر أهل الأرض، وأكفر من فرعون ذي الأوتاد، فضحك الحججاج وختلى سبيلته. وأقام بالكوفة شهراً، وعزل أهل الشام عن بيوت أهل الكوفة.

[هزيمة ابن الأشعث وأصحابه في وقعة مسكن]

وفي هذه السنة كانت الوقعة بمسكن بين الحجاج وابن الأشعث بعدما أنهزم من دير الجماجم .

* ذكر الخبر عن سبب هذه الوقعة وعن صفتها :

قال هشام : حدثني أبو مخنف ، عن أبي يزيد السكسكي ، قال : خرج محمد بن سعد بن أبي وقاص بعد وقعة الجماجم حتى نزل المدائن ، واجتمع إليه ناسٌ كثير ، وخرج عبيد الله بن عبد الرحمن بن سمرة بن حبيب بن عبد شمس القرشي حتى أتى البصرة وبها أيوب بن الحكم بن أبي عقيل ، ابن عم الحجاج ، فأخذها ، وخرج عبد الرحمن بن محمد حتى قدم البصرة وهو بها ، فاجتَمَعَ الناسُ إلى عبد الرحمن ونزل ، فأقبل عبيد الله حينئذ إلى ابن محمد بن الأشعث ، وقال له : إني لم أريد فراقك ، وإنما أخذتها لك . وخرج الحجاج فبدأ بالمدائن ، فأقام عليها خمسةً حتى هيا الرجال في المعابر ، فلما بلغ محمد بن سعد عبورهم إليهم خرجوا حتى لحقوا بابن الأشعث جميعاً . وأقبل نحوهم الحجاج ، فخرج الناسُ معه إلى مسكن على دجيل ، وأتاه أهل الكوفة والفلول من الأطراف ، وتلاوم الناسُ على الفرار ، وباع أكثرهم بسطام بن مصلح على الموت ، وخندق عبد الرحمن على أصحابه ، وبشق الماء من جانب ، فجعل القتال من وجه واحد ، وقدم عليه خالد بن جرير بن عبد الله القسري من خراسان في ناسٍ من بعث الكوفة ، فاقتتلوا خمسَ عشرةَ ليلةً^(١) من شعبان أشدَّ القتال حتى قُتِل زيادُ بن غنيم القيني ، وكان على مسالِح الحجاج ، فهذه ذلك وأصحابه^(٢) هداً شديداً .

قال أبو مخنف : حدثني أبو جهمم الأزدي ، قال : بات الحجاج ليلةً كلَّه يسير فينا يقول لنا : إنكم أهل الطاعة ، وهم أهل المعصية ، وأنتم تسعون في رضوان الله ، وهم يسعون في سُخط الله ، وعادة الله عندكم فيهم

(١) ب : « خمسة عشر يوماً » .

(٢) ب : « وهذ أصحابه » .

حَسَنَةً ؛ ما صدقتموهم في موطنٍ قطّ ولا صبرتم لهم إلا أعقبكم الله النصرَ عليهم والظفرَ بهم ؛ فأصبحوا إليهم عاديين جادين ، فإنّي لست أشكّ في النصر إن شاء الله .

قال : فأصبحنا^(١) ، وقد عبأنا في السحر ، فباكرناهم^(٢) فقاتلناهم ١١٠٠/٢
أشدّ قتالاً قاتلناهموه قطّ ، وقد جاءنا عبدُ الملك بن المهلب محققاً ، وقد كشفتُ خيل سفيان بن الأبرد ، فقال له الحجاج : ضمّ إليك يا عبد الملك هذا النشتر^(٣) لعل أحصيل عليهم ، ففعل ، وحمل الناس من كل جانب ، فانهزم أهل العراق أيضاً ، وقتل أبو البختري الطائي وعبد الرحمن بن أبي ليلى ، وقال قبل أن يقتل : إنّ الفرار كل ساعة بنا لتبجح . فأصيبا .
قال : ومشى بسطام بن مَصْقَلَة الشيباني في أربعة آلاف من أهل الحِفاظ من أهل المصريين ، فكسروا جفون السيوف ، وقال لهم ابن مَصْقَلَة : لو كنا إذا فررنا بأنفسنا من الموت نجونا منه فررنا ، وإنكنا^(٤) قد علمنا أنه نازل بنا عما قليل ، فأين المتحيد عما لا بدّ منه ! يا قوم إنكم محقون ، فقاتلوا على الحقّ ، والله لو لم تكونوا على الحقّ لكان موت في عزّ خيراً من حياة في ذلّ .
فقاتل هو وأصحابه قتالاً شديداً كَشَفُوا فيه أهل الشام مراراً ، حتى قال الحجاج : على بالرماة لا يقاتلهم غيرهم ، فلما جاءتهم الرماة وأحاط بهم الناس من كل جانب قتلوا إلا قليلاً ، وأخذ بكبير بن ربيعة بن ثروان^(٥) الضبّي أسيراً ، فأتى به الحجاج فقتله .

قال أبو مخنف : فحدثني أبو الجَهْضَم ، قال : جئت بأسير كان الحجاج يعرفه بالبأس ، فقال الحجاج : يا أهل الشام ، إنه من صنّع الله لكم أن هذا غلام من الغيلمان جاء بفارس أهل العراق أسيراً ، اضرب عنقه ، فقتله . ١١٠١/٢

قال : ومضى ابن الأشعث والفُسل من المنهزمين معه نحو سجستان فأتبهم الحجاج عمارة بن تميم اللخميّ ومعه ابنه محمد بن الحجاج وعمارة أمير

(١) بعدها في ب : « لاجم » . (٢) ب : « وباكرناهم » .

(٣) النشتر : القوم المتفرقون لا يجمعهم رئيس . وفي ب : « البشر » .

(٤) ب : « لكنا » . (٥) ط : « أبي ثروان » ، والصواب ما أثبتته .

على القوم؛ فسار عمارة بن تميم إلى عبد الرحمن فأدركه بالسوس، فقَاتَسَلَهُ ساعةً من نهار، ثمَّ إنه انهزم هو وأصحابه فضوا حتى أتوا سابور، واجتمعت إلى عبد الرحمن بن محمد الأكرادُ مع من كان معه من الفُلول، فقَاتَسَلَهُم عمارة بن تميم قتلاً شديداً على العقبية حتى جريح عمارة وكثير من أصحابه، ثمَّ انهزم عمارة وأصحابه وخلصوا لهم عن العقبية، ومضى عبد الرحمن حتى مرَّ بكِرمَان .

قال الواقدي: كانت وقعة الزاوية بالبصرة في الحرَّم سنة ثلاث وثمانين .

قال أبو مخنف: حدثني سيف بن بشر العجلي، عن المنخل بن حابس العبدى، قال: لما دخل عبد الرحمن بن محمد كِرمَان تلقاه عمرو بن لقيط العبدى - وكان عامله عليها - فهياً له نُزُلاً فنزل، فقال له شيخ من عبد القيس يقال له معقل: والله لقد بَلَّغْنَا عنك يا بن الأشعث أن قد كنت جسيباً، فقال عبد الرحمن: والله ما جَسِبْتُ، والله لقد دَلَّسْتُ الرِّجَال بالرجال، ولففتُ الخيلَ بالخيل، ولقد قاتلتُ فارساً، وقاتلت راجلاً، وما انهزمتُ، ولا تركتُ العرصة للقوم في موطن حتى لا أُجِدَ مُقَاتِلاً ولا أرى معي مُقَاتِلاً، ولكني زاولتُ مُلُكاً مؤجلاً. ثمَّ إنه مضى بمن معه حتى فوز في مَفَاذَةِ كِرمَان .

١١٠٢/٢

قال أبو مخنف: فحدثني هشام بن أيوب بن عبد الرحمن بن أبي عَقِيلِ الثقفى، قال: لما مضى ابن محمد في مفازة كِرمَان وأتبعه أهلُ الشَّام دخل بعضُ أهل الشَّام قصرًا في المفازة، فإذا فيه كتاب قد كتبه بعض أهل الكوفة من شعر أبي جلدة اليشكُرى، وهي قصيدة طويلة:

أَيَا لَهْفًا وَيَا حَزَنًا جَمِيعًا	وَيَا حَرَّ الْفَوَادِ لِمَا لَقِينَا !
تَرَكَنَا الدِّينَ وَالدُّنْيَا جَمِيعًا	وَأَسْلَمْنَا الْحَلَالََ وَالْبَنِينَ
فَمَا كُنَّا أَنَاسًا أَهْلَ دِينٍ	فَنَنْصِرَ فِي الْبَلَاءِ إِذَا ابْتَلَيْنَا
وَمَا كُنَّا أَنَاسًا أَهْلَ دُنْيَا	فَنَمْنَعُهَا وَلَوْ لَمْ نَرْجُ دِينَا

تركنا دُورنا لَطَعَامِ عَكَ* وَأَنْبَاطِ الْقُرَى وَالْأَشْعَرِينَا^(١)

ثمَّ إنَّ ابنَ محمد مَضَى حَتَّى خَرَجَ عَلَى زَرْنَجِ مَدِينَةِ سِجِسْتَانَ ، وَفِيهَا رَجُلٌ مِنْ بَنِي تَمِيمٍ قَدْ كَانَ عَبْدَ الرَّحْمَنِ اسْتَعْمَلَهُ عَلَيْهَا ، يُقَالُ لَهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنِ عَامِرِ الْبَعَّارِ مِنْ بَنِي مُجَاشِعِ بْنِ دَارِمٍ ، فَلَمَّا قَدِمَ عَلَيْهِ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ مُحَمَّدٍ ١١٠٣/٢ مِنْهَزِمًا أَغْلَقَ بَابَ الْمَدِينَةِ دُونَهُ ، وَمَنْعَهُ دُخُولَهَا ، فَأَقَامَ عَلَيْهَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ أَيَّامًا رِجَاءَ افْتِتَاحِهَا وَدُخُولِهَا . فَلَمَّا رَأَى أَنَّهُ لَا يَصِلُ إِلَيْهَا خَرَجَ حَتَّى أَتَى بُسْتًا ، وَقَدْ كَانَ اسْتَعْمَلَ عَلَيْهَا رَجُلًا مِنْ بَكْرِ بْنِ وَاثِلٍ يُقَالُ لَهُ عِيَاضُ بْنُ هِمِّيَانَ أَبُو هِشَامِ بْنِ عِيَاضِ السُّدُوسِيِّ ، فَاسْتَقْبَلَهُ ، وَقَالَ لَهُ : انزِلْ ، فَجَاءَ حَتَّى نَزَلَ بِهِ ، وَانْتَظَرَ حَتَّى إِذَا غَفَلَ أَصْحَابُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ وَتَفَرَّقُوا عَنْهُ وَثَبَّ عَلَيْهِ فَأَوْثَقَهُ ، وَأَرَادَ أَنْ يَأْمَنَ بِهِاعندَ الْحِجَاجِ ، وَيَتَخَذَ بِهِاعندَهُ مَكَانًا . وَقَدْ كَانَ رُتْبِيلٌ سَمِعَ بِمَقْدَمِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ عَلَيْهِ ، فَاسْتَقْبَلَهُ فِي جَنُودِهِ ، فَجَاءَ رُتْبِيلٌ حَتَّى أَحَاطَ بِبُسْتٍ ، ثُمَّ نَزَلَ وَبَعَثَ إِلَى الْبَكْرِىِّ : وَاللَّهِ لَئِنْ آذَيْتَهُ بِمَا يُقْدِرُ عَلَيْهِ ، أَوْ ضَرَرْتَهُ بِبَعْضِ الْمَضْرُوءَةِ ، أَوْ رَزَأْتَهُ حَبْلًا مِنْ شَعْرٍ لَا أُبْرِحُ الْعَرِضَةَ حَتَّى اسْتَنْزِلَ لَكَ فَأَقْتُلَكَ وَجَمِيعَ مَنْ مَعَكَ ، ثُمَّ أَسْبِي ذُرَارِيَكُمْ ، وَأَقْسَمُ بَيْنَ الْجُنْدِ أَمْوَالَكُمْ . فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ الْبَكْرِىُّ أَنْ أَعْطَانَا أَمَانًا عَلَى أَنْفُسِنَا وَأَمْوَالِنَا ، وَنَحْنُ نَدْفَعُهُ إِلَيْكَ سَالِمًا ، وَمَا كَانَ لَهُ مِنْ مَالٍ مَوْفُورًا . فَصَالِحُهُمْ عَلَى ذَلِكَ ، وَأَمْنُهُمْ ، فَفَسَّحُوا لِابْنِ الْأَشْعَثِ الْبَابَ وَخَلَّوْا سَبِيلَهُ ، فَأَتَى رُتْبِيلٌ فَقَالَ لَهُ : إِنَّ هَذَا كَانَ عَامِلِي عَلَى هَذِهِ الْمَدِينَةِ ، وَكُنْتُ حَيْثُ وَابَيْتُهُ وَاقْتَابَهُ ، مَطْمَئِنًّا إِلَيْهِ ، فَغَدَرَ بِي وَرَكِبَ مِنِّي مَا قَدَرَأَيْتَ ، فَأَذَنْ لِي فِي قَسْتَلِهِ ، قَالَ : قَدْ آمَنْتُهُ وَأَكْرَهَ أَنْ أَغْدِرَ بِهِ ، قَالَ : فَأَذَنْ لِي فِي دَفْعِهِ وَهَزْرِهِ^(٢) ، وَالتَّصْغِيرِ ١١٠٤/٢ بِهِ ، قَالَ : أَمَّا هَذَا فَنَعَمْ . فَفَعَلَ بِهِ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ مُحَمَّدٍ ، ثُمَّ مَضَى حَتَّى دَخَلَ مَعَ رُتْبِيلٍ بِلَادَهُ ، فَأَنْزَلَهُ رُتْبِيلٌ عِنْدَهُ وَأَكْرَمَهُ وَعَظَّمَهُ ، وَكَانَ مَعَهُ نَاسٌ مِنَ الْفِئَلِ كَثِيرٌ .

ثمَّ إنَّ عَظْمَ الْفُلُولِ وَجَمَاعَةَ أَصْحَابِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ وَمَنْ كَانَ لَا يَرْجُو

(٢) الهز : الضرب .

(١) انظر : الأغاني ١١ : ٣١٢ ، ٣١٣ .

الأمان؛ من الرعوس والقادة الذين نصبوا للحجاج في كل موطن مع ابن الأشعث، ولم يتقبلوا أمان الحجاج في أول مرة، وجهتوا عليه الجهد كله، أقبلوا في أثر ابن الأشعث وفي طلبه حتى سقطوا بسجستان، فكان بها منهم ومن تبعهم من أهل سجستان وأهل البلد نحو من ستين ألفاً، ونزلوا على عبد الله بن عامر البعّار فحصره، وكتبوا إلى عبد الرحمن يخبرونه بقدمهم وعقدهم وجماعتهم، وهو عند رتبيل. وكان يصلى بهم عبد الرحمن بن العباس بن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب، فكتبوا إليه: أن أقبل إلينا لعلنا نسير إلى خراسان، فإن بها منا جنوداً عظيماً، فلعلهم يبايعوننا على قتال أهل الشام، وهي بلاد واسعة عريضة، وبها الرجال والحصون. فخرج إليهم عبد الرحمن بن محمد بن محمد بن عامر البعّار حتى استنزاه، فأمر به عبد الرحمن فضرب وعذب وحبس. وأقبل نحوهم عمارة بن تميم في أهل الشام، فقال أصحاب عبد الرحمن بن محمد لعبد الرحمن: اخرج بنا عن سجستان فلندعها^(١) له ونأتى خراسان، فقال عبد الرحمن بن محمد: على خراسان يزيد بن المهلب، وهو شاب شجاع صارم، وليس بتارك لكم سلطانه، ولو دخلتموها وجدتموه إليكم سريعاً، وإن يدع أهل الشام اتباعكم، فأكره أن يجتمع عليكم أهل خراسان وأهل الشام، وأخاف ألا تنالوا ما تطلبون^(٢)، فقالوا: إنما أهل خراسان منّا، ونحن نرجو أن لو قد دخلناها أن يكون من يتبعنا منهم أكثر من يقاتلنا، وهي أرض طويلة عريضة نتحى^(٣) فيها حيث شئنا، ونمكث حتى يهلك الله الحجاج أو عبد الملك، أو نرى من رأينا. فقال لهم عبد الرحمن: سيروا على اسم الله.

فساروا حتى بلغوا هرة، فلم يشعروا بشيء حتى خرج من عسكره عبيد الله بن عبد الرحمن بن سمرة القرشي في ألفين، ففارقته، فأخذ طريقاً سوى طريقهم، فلما أصبح ابن محمد قام فيهم فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال:

أما بعد، فإنني قد شهدتكم في هذه المواطن، وليس فيها مشهد

(١) ب: «ولندعها». (٢) ب: «ألا تنالوا ما تطلبونه». (٣) ب: «نتحى».

إلا أصبر لكم فيه نفسى حتى لا يسبقنى منكم فيه أحد ، فلما رأيتُ أنكم لا تقاتلون ، ولا تصبرون ، أتيتُ ملجأً ومأمنًا فكننتُ فيه ، فجاءتني كتبكم بأن أقبل إلينا ، فإذا قد اجتمعنا وأمرنا واحد ، لعلنا نقاتل عدوتنا ، فأتيتكم فرأيتُ أن أمضى إلى خراسان وزعمتم أنكم مجتمعون لى ، وأنكم لن تفرقوا عني . ثم هذا عبيد الله بن عبد الرحمن قد صنع ما قد رأيتم ، فتحسبى منكم يوى هذا فاصنعوا ما بدا لكم ، أما أنا فنصرف إلى صاحبي الذى أتيتكم من قبله ، فن أحب منكم أن يتبعنى فليتبعنى ، ومن كره ذلك فليذهب حيث أحب في عياذ من الله .

١١٠٦/٢

فتفرقت منهم طائفة ، ونزلت معه طائفة^(١) ، وبقي عظيم العسكر ، فوثبوا إلى عبد الرحمن بن العباس لما انصرف عبد الرحمن ، فبايعوه . ثم مضى ابن محمد إلى رتبيل ومضوا هم إلى خراسان حتى انتهوا إلى هراة ، فلقوا بها الرقاد الأزدي من العتيك ، فقتلوه ، وسار إليهم يزيد بن المهلب .

وأما على بن محمد المدائني فإنه ذكر عن المفضل بن محمد أن ابن الأشعث لما انهزم من مسكين مضى إلى كابل ، وأن عبيد الله بن عبد الرحمن بن سمره أتى هراة ، فدم ابن الأشعث وعابه بفراره ، وأتى عبد الرحمن بن عباس سجستان فانضم إليه فكل ابن الأشعث ، فسار إلى خراسان فى جمع يقال فى^(٢) عشرين ألفاً ، فنزل هراة ولقوا الرقاد بن عبيد العتيكى فقتلوه ، وكان مع عبد الرحمن من عبد القيس عبد الرحمن بن المنذر بن الجارود ، فأرسل إليه يزيد بن المهلب : قد كان لك فى البلاد متسع ، ومن هو أكل منى حنذاً وأهون شوكة ، فارتحل إلى بلد ليس فيه سلطان ، فإنى أكره قتالك ، وإن أحببت أن أمدك بمال لسفرك أعنتك به ؛ فأرسل إليه : ما نزلنا هذه البلاد لمحاربة ولا لمقام ، ولكننا أردنا أن نريح ، ثم نشخص إن شاء الله ، وليست بنا حاجة إلى ما عرضت . فانصرف رسول يزيد إليه ،

١١٠٧/٢

وأقبل الهاشمى على الجباية ، وبلغ يزيد ، فقال : من أراد أن يريح ثم يجتاز لم يحب الخراج ؛ فقدّم المفضل فى أربعة آلاف - ويقال فى ستة آلاف -

(١) ب : « طائفة معه » . (٢) كذا فى ب .

ثم أتبعه في أربعة آلاف ، ووَزَنَ يزيدُ نفسهَ بِسَلاحِهِ ، فكانَ أربعَ مائةِ رطلٍ ، فقال : ما أَرَانِي إِلَّا قد تُسَقِّلتُ عن الحربِ ، أَي فرسٍ يَحْمِلُنِي ! ثمَّ دعا بِفرسهِ الكاملِ فَرَكِبَهُ ، واستخَلَفَ على مَرَوَ خالتهِ جُدَيْعَ بنِ يزيدٍ ، وصيَّرَ طريقتهِ على مَرَوَ الرُّودِ ، فأَتَى قَبْرَ أبيه فأقامَ عندهِ ثلاثةَ أَيامٍ ، وأعطى مَن معه مائةَ درهمٍ مائةَ درهمٍ ، ثمَّ أتَى هَرَاةَ فأرسلَ إلى الهاشميِّ : قد أرحمتَ وأسمنتَ وجببتَ ، فلكَ ما جببتَ ، وإن أردتَ زيادةَ زِدناكَ ، فأخرجَ فواللهِ ما أَحِبُّ أن أقاتلَكَ . قال : فأبى إِلَّا القتالَ ومعه عبيدُ الله بنُ عبد الرحمن بنِ سَمُرَةَ ، ودسَّ الهاشميُّ إلى جنودِ يزيدٍ يَمْنِيهِم ويَدْعُوهم إلى نفسه ، فأخبرَ بعضهم يزيدَ ، فقال : جَسَلٌ الأمرُ عن العتابِ ، أتعدِّي بهذا قبل أن يتعتنى بي ؛ فسارَ إليه حتى تَدانَى العسكرانُ ، وتأهبوا للقتالِ ، وألتيَ ليزيدَ كرسىً فقعَدَ عليه ، وولَّى الحربَ أخاه المفضلَ ، فأقبلَ رجلٌ من أصحابِ الهاشميِّ - يقالُ له خُلَيْدٌ عَيْسِيَّيْنِ - من عبدِ القيسِ - على ظَهْرِ فرسهِ ، فرفعَ صوتَه فقال (١) :

دَعَتْ يا يَزِيدَ بنَ المَهْلَبِ دَعْوَةٌ لها جَزَعٌ ثمَّ استهلَّتْ عيُونُها
ولويُسمعُ (٢) الداعِي النداءَ (٣) أجابها بِصُمِّ القَنَازِ والبِيضِ تُلقَى جفُونُها
وقد فرَّ أشرافُ العِراقِ وغادروا بها بقرًا للحينِ جُمًّا قُرُونُها (٤)

وأراد أن يحضُرَ يزيدَ ، فسكتَ يزيدُ طويلًا حتى ظنَّ الناسُ أن الشَّعرَ قد حرَّكه ، ثمَّ قالَ لرجلٍ : نادِ وأسمِعْهم ، جَسَمُوهم ذلكَ ، فقالَ خُلَيْدٌ : لبسَ المنادى والمنوَّةَ باسمِهِ
يزيدُ إذا يدعى ليومَ حَفِيظَةِ تُنادِيهِ أبكارُ العِراقِ وَعُونُها
فإنِّي أراه عن قليلٍ بنفسِهِ ولا يَمْنَعُ السَّوآتِ إِلَّا حُصُونُها
فلا حُرَّةٌ تَبْكِيهَ لكنَّ نوائِحُ يُدانُ كما قد كانَ قَبْلُ يَدِينُها
تُبْكِي عليه البُقْعُ منها وجُونُها

(١) ب : « وقال » .

(٢) ر : « تسمع » .

(٣) ب : « يزيد » .

(٤) ب : « بها نفر » .

فقال يزيدُ للمفضل: قدّم خيلك ، فتقدّم بها ، وتهايسجوا فلم يكن بينهم كبيرُ قتال حتى تفرّق الناس عن عبد الرحمن ، وصبر وصبرت معه ١١٠٩/٢ طائفةٌ من أهل الحِفاظ ، وصبر معه العبديون ، وحمل سعد بن نجد القردوسيّ على حُلَيْس (١) الشيبانيّ وهو أمام عبد الرحمن ، فطعنه حُلَيْس فأذراه عن فرسيه ، وحماه أصحابه ، وكثرهم الناس فانكشفوا ، فأمر يزيدُ بالكفّ عن اتباعهم ، وأخذوا ما كان في عسكرهم ، وأسروا منهم أسرى ، فولى يزيدُ عطاء بن أبي السائب العسكر ، وأمره بضمّ ما كان فيه ، فأصابوا ثلاث عشرة امرأة ، فأتوا بهن يزيد ، فدفعهن إلى مرة بن عطاء بن أبي السائب ، فحسّهن إلى الطبّسّين ، ثمّ حملهن إلى العراق . وقال يزيد لسعد بن نجد: منّ طعنك ؟ قال : حليس الشيبانيّ ، وأنا والله راجلا أشدّ منه وهو فارس . قال : فبلغ حُلَيْسًا ، فقال : كذب والله ، لأننا أشدّ منه فارسًا وراجلاً . وهرب عبد الرحمن بن منذر بن بشر بن حارثة فصار إلى موسى بن عبد الله بن نخازم . قال : فكان في الأسرى محمد بن سعد بن أبي وقاص ، وعمرو بن موسى بن عبيد الله بن معمر ، وعيَّاش بن الأسود بن عوف الزهريّ والهلّاق بن نعيم بن القسّاقع بن معبد بن زُرارة ، وفَيْر وزحصين ، وأبو العليج مولّى عبيد الله بن معمر ، ورجل من آل أبي عَقِيل ، وسوّار بن مروان ، ١١١٠/٢ وعبد الرحمن بن طلحة بن عبد الله بن خَلَف ، وعبد الله بن فضالة الزهرانيّ . ولحق الهاشميّ بالسند ، وأتى ابنُ سَمْرَةَ مرو ، ثمّ انصرف يزيدُ إلى مروّ وبعث بالأسرى إلى الحجاج مع سَبْرَةَ بن نَخْف بن أبي صُفْرَةَ ، ونحلى عن ابن طلحة وعبد الله بن فضالة ، وسعى قومٌ بعبيد الله بن عبد الرحمن بن سَمْرَةَ ، فأخذه يزيدُ فحبسه .

وأما هشام فإنه ذكر أنه حدّثه القاسم بن محمد الحضرميّ ، عن حفص ابن عمرو بن قبيصة ، عن رجل من بني حنيفة يقال له جابر بن عمارة ، أن يزيد بن المهلب حبس عندّه عبد الرحمن بن طلحة وآمنه ، وكان الطلحيّ قد آلتى على يمينٍ ألا يصرّى يزيد بن المهلب في موقفٍ إلّا أتاه حتى يقبل يده شكرًا لما أبلاه . قال : وقال محمد بن سعد بن أبي وقاص ليزيد : أسألك

(١) ب : « حليس » .

بدعوة أبي لأبيك! فخلني سبيلته . ولقول محمد بن سعد ليزيد : « أسألك بدعوة أبي لأبيك » حديث فيه بعض الطول .

قال هشام : حدثني أبو مخنف ، قال : حدثني هشام بن أيوب بن عبد الرحمن بن أبي عَقِيلِ الثَّقَفِيِّ ، قال : بعث يزيد بن المهلب ببقية الأسرى إلى الحجاج بن يوسف ؛ بعمر بن موسى بن عبيد الله بن معمر ، فقال : أنت صاحب شرطة عبد الرحمن ؟ فقال : أصلح الله الأمير ! كانت فتنة شملت البرّ والفاجر ، فدخلنا فيها ، فقد أمكنتك الله منا ، فإن عفوت ^(١) « فبِحلمك وفضلك » ، وإن عاقبت عاقبت ظالمة مذنبين ، فقال ^(٢) الحجاج : أما قولك : « إنها شملت البرّ والفاجر » فكذبت ، ولكنها شملت الفجّار ، وعوفي منها الأبرار ، وأما اعترافك بذنبك فمسي أن يستفعلك . فعزل ، ورجا الناس له العافية حتى قدّم بالهلقام بن نعيم ، فقال له الحجاج : أخيرني عنك ، ما رجوت من إتباع عبد الرحمن بن محمد ؟ أرجوت أن يكون خليفة ؟ قال : نعم ، رجوت ذلك ، وطمعت ^(٣) أن ينزلي منزلتك من عبد الملك ، قال : فغضب الحجاج وقال : اضربوا عنقه ، فقتل . قال : ونظر إلى موسى بن عمر بن عبيد الله بن معمر وقد نُحِى عنه فقال : اضربوا عنقه ، وقتل بقيتهم . وقد كان آمن عمرو بن أبي قرّة الكندي ثمّ الحجريّ وهو شريف وله بيت قديم ، فقال : يا عمرو ، كنت تُفضي إليّ وتحدثني أنك ترغب عن ابن الأشعث وعن الأشعث قبله ، ثمّ تبعته عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث ؛ والله ما بك عن اتباعهم رغبة ، ولا نعمة عين لك ولا كرامة .

قال : وقد كان الحجاج حين هُزم الناس بالجمام نادى مناديه : من لحق بقتيبة بن مسلم بالريّ فهو أمانه ، فلحق ناس كثير بقتيبة ^(٤) ، وكان ^(٥) فيمن لحق به عامر الشعبيّ ، فلذكر الحجاج الشعبيّ يوماً فقال : أين هو ؟ وما فعل ؟ فقال له يزيد بن أبي مسلم : بلغني أيها الأمير أنه لحق بقتيبة بن مسلم بالريّ ، قال : فابعت إليه فلنوت ^(٦) به ،

(١-١) ب : « فبفضلك وحلمك » . (٢) بعدها في ب : « له » .

(٣) ب : « فطمعت فيه » . (٤) ب : « بأرض قتيبة » .

(٥) ب : « فكان » . (٦) ر : « فليوت » .

فَكَتَبَ الحِجَّاجَ إِلَى قَتِيْبَةِ : أَمَا بَعْدَ ، فَاْبَعَثَ إِلَى الشَّعْبِيِّ حِينَ تَنْظُرُ فِي كِتَابِي هَذَا ؛ وَالسَّلَامَ عَلَيْكَ ؛ فَسُرِّحْ إِلَيْهِ .

قال أبو مخنف: فحدثني السري بن إسماعيل عن الشعبي، قال: كنت لابن أبي مسلم صديقاً، فلما قدم بي^(١) على الحجاج لقيت ابن أبي مسلم فقلت: أشير عليّ؟ قال: ما أدري ما أشيرُ به عليك^(٢) غير أن أعتذر ما استطعت من عذر^(٣)! وأشار بمثل ذلك عليّ نُصَحَائِي وإخواني، فلما دخلتُ عليه رأيتُ والله غيرَ ما رأوا لي، فسَلَّمْتُ عليه بالإمرة^(٤) ثم قلت: أيتها الأمير، إن الناس قد أمروني أن أعتذرَ إليك بغير ما يعلم الله أنه الحق، وإيمُ الله لا أقول في هذا المقام إلا حقاً، قد والله سوّدنا^(٥) عليك، وحرّضنا وجهدنا عليك كلَّ الجهد، فما آلونا^(٦)، فما كنا بالأقوياء الفسجيرة، ولا الأتقياء^(٧) البررة، ولقد نصرك الله علينا، وأظفرك بنا، فإن سطوتَ فبذُنوبنا وما جرت إليه أيدينا، وإن عفوت عنا فبحلمك، وبعد الحجّة^(٨) لك علينا، فقال له الحجاج: أنت والله أحبّ إلىّ قولاً ممن يدخل علينا يتقطر سيفه من دماثنا ثم يقول: ما فعلتُ ولا شهدتُ؛ قد أمّنت عندنا يا شعبيّ، فانصرف. قال: فانصرفتُ، فلما مشيت قليلاً قال: هلمّ يا شعبيّ؟ قال: فوجّلتُ لذلك قلبي، ثمّ ذكرتُ قوله: «قد أمّنت يا شعبيّ»، فاطمأنت نفسي، قال: كيف وجدتَ الناس يا شعبيّ بعدنا؟ قال: وكان لي مكرماً: فقلتُ: أصلحَ اللهُ الأمير! اكتحلّتُ والله بعدك السّهْر، واستوعرتُ الجَساب، واستحسنتُ الخوف، وفقدتُ صالحَ الإخوان، ولم أجد من الأمير خلساً. قال: انصرف يا شعبيّ، فانصرفتُ.

قال أبو مخنف: قال خالد بن قطن الحارثي: أتيت الحجاج بالأعشى، أعشى همدان، فقال: إيه يا عبدُ اللهِ! أنشدني قولك: «بين الأشجّ وبين

(١) ب: «قدمت». (٢) ب: «عليك به». (٣) ب: «بعد». .

(٤) ر: «فلما دخلت عليه سلمت». (٥) ب: «تمردنا». (٦) ب: «وما آلونا». .

(٧) ب: «ولا بالأتقياء». .

(٨) ب: «فالحجة». .

قيس « ، أنفذه بيتك ، قال : بل أنشدك ما قلت لك ؛ قال : بل أنشدني هذه ؛ فأنشده :

أبى الله إلا أن يتم نوره
ويظهر أهل الحق في كل موطن
ويُنزل ذلاً بالعراق وأهله
وما أخذوا من بدعة وعظيمة (١)
وما نكثوا من بيعة بعد بيعة
وجبناً حشاه ربهم في قلوبهم
فلا صدق في قول ولا صبر عندهم
فكيف رأيت الله فرق جمعهم
فقتلهم قتلى ضلال وفتنة
ولما زحفنا لابن يوسف غدوة (٢)
قطعنا إليه الخندقين وإنما
فكأفحنا الحجاج دون صفونا (٣)
بصف كان البرق في حجراته
دلنا إليه في صفوف كأنها
فما لبث الحجاج أن سل سيفه
وما زاحف الحجاج إلا رأيته

ويطوع نور الفاسقين فيخمد (٤)
ويعدل وقع السيف من كان أصيدا
لما نقضوا العهد الوثيق الموكد (٥)
من القول لم تصعد إلى الله مصعدا (٦)
إذا ضمئوها اليوم خاسوا بها غدا
فما يقربون الناس إلا تهددا
ولكن فخرا فيهم وتزييدا
ومزقهم عرض البلاد وشردا
وحجهم أمسى ذليلا مطردا (٧)
وأبرق منا العارضان وأرعدا
قطعنا وأفضينا إلى الموت مرصدا (٨)
كفاحاً ولم يضرب لذلك موعدا
إذا ما تجلى بيضه وتوقدا
جبال شرورى لوتعان فتنها
علينا فولى جمعنا وتبددا
معانا ملقى للفتوح معودا

(١) الأغاني ٦ : ٥٩ - ٦١ ، المسعودي ٣ : ١٦٢

(٢) الأغاني : « كما نقضوا » . (٣) المسعودي : « وضلالة » .

(٤) ابن الأثير : « لم يصعد » . (٥) ابن الأثير : « وحجهم أمسى » .

(٦) الأغاني : « ضلة » . (٧) مرصداً : مترقباً .

(٨) الأغاني : « فصادفنا الحجاج » .

نُسِبَ هَهَا قِطْعًا مِنَ اللَّيْلِ أَسْوَدًا
 ١١١٦/٢ أَلَا رُبَّمَا لَاقَى الْجَبَانَ فَجَرَّدَا
 بِفِرْسَانِهَا وَالسَّمْهَرَى مُقْصِدَا
 مِنَ الطَّعْنِ سِنْدُ بَاتٍ بِالصَّبْغِ مُجْسِدَا
 مَسَاعِيرُ أَبْطَالٍ إِذَا النُّكُوسُ عَرَّدَا
 فَآنَهَلَّ حِرْصَانَ الرَّمَاحِ وَأُورِدَا
 وَسُلْطَانُهُ أَمْسَى عَزِيزًا مُوَيْدَا
 عَلَى أُمَّةٍ كَانُوا بَغَاةً وَحَسَدَا
 وَكَانُوا هُمُ أَبْغَى الْبَغَاةِ وَأَعْنَدَا
 وَأَفْضَلَ هَذِي النَّاسِ حِلْمًا وَسُودَا
 ١١١٧/٢ وَأَكْرَمَهُمْ إِلَّا النَّبَى مُحَمَّدَا
 وَجَدْنَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مُسَدَّدَا
 وَإِنْ كَايَدُوهُ كَانَ أَقْوَى وَأَكِيدَا
 مَرِيضًا وَمَنْ وَالَى التُّفَاقَ وَالْحَدَا
 وَبَيْضًا عَلَيْهِنَّ الْجَلَابِيبَ حُرَّدَا
 وَيُذْرِينَ دَمْعًا فِي الْخُدُودِ وَإِثْمَدَا
 يَكُنَّ سَبَايَا وَالْبُعُولَةَ أَعْبَدَا
 أَهَانَ الْإِلَهَ مِنْ أَهَانَ وَأَبْعَدَا
 بِحَقِّ وَمَا لَاقَى مِنَ الطَّيْرِ أَسْعَدَا (٢)

وَإِنَّ ابْنَ عَبَّاسٍ لَنِي مَرْجِحِنَّةٍ
 فَمَا شَرَعُوا رُمْحًا وَلَا جَرَّدُوا لَهُ
 وَكَرَّتْ عَلَيْنَا خَيْلُ سُفْيَانَ كَرَّةً
 وَسُفْيَانَ يَهْدِيهَا كَأَنَّ لَوَاءَهُ
 كَهَوْلٌ وَمُرْدٌ مِنْ قُضَاعَةَ حَوْلَهُ
 إِذَا قَالَ شُدُّوا شِدَّةَ حَمَلُوا مَعَا
 جُنُودُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَخَيْلُهُ
 فِيهِنِّي أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ظُهُورُهُ
 نَزَوْا يَشْتَكُونَ الْبَغْيَ مِنْ أَمْرَائِهِمْ
 وَجَدْنَا بَنِي مَرْوَانَ خَيْرَ أُمَّةٍ
 وَخَيْرَ قُرَيْشٍ فِي قُرَيْشِ أَرْوَمَةٍ
 إِذَا مَا تَدَبَّرْنَا عَوَاقِبَ أَمْرِهِ
 سَيُغْلِبُ قَوْمَ غَالِبُوا اللَّهَ جَهْرَةً (١)
 كَذَلِكَ يَفْضِلُ اللَّهُ مَنْ كَانَ قَلْبُهُ
 فَقَدْ تَرَكَوا الْأَهْلِينَ وَالْمَسَالَ خَلْفَهُمْ
 يُنَادِينَهُمْ مُسْتَعْبِرَاتٍ إِلَيْهِمْ
 فَلَا تَنَاوِلُهُنَّ مِنْكَ بَرَحْمَةَ
 أَنْكُثْنَا وَعِصْيَانًا وَغَدْرًا وَذِلَّةً
 لَقَدْ شَامَ الْمِصْرِينَ فَرَّخُ مُحَمَّدٍ

(١) الأغاني : « سيغلب قوماً » .

(٢) رواية الأغاني :

فَظَلُّوا وَمَا لَاقُوا مِنَ الطَّيْرِ أَسْعَدَا

لَقَدْ شِمَّتْ يَا بَنِي الْأَشْعَثِ الْعَامِ مِصْرَنَا

١١١٨/٢ كما شامَّ اللهُ النُّجَيْرَ وأَهْلَهُ بجدُّ لهُ قد كانَ أشقى وأنكدًا

فقال أهل الشام: أحسن، أصلح الله الأمير! فقال الحجاج: لا، لم يحسن، إنكم لا تدرون ما أراد بها، ثم قال: يا عدو الله، إنا لسنا نحمدك على هذا القول، إنما قلت: تأسف ألا يكون ظهرك وظنير، وتحريضاً لأصحابك علينا، وليس عن هذا سألتناك، أنفذ لنا قولك:

* بين الأشج وبيِّن قيسٍ باذخ* (١)

فأنفدَها، فلما قال:

* بَخْ بَخْ لوالديه وللمولود*

قال الحجاج: لا والله لا تُبَخِّخ بعدَها لأحد أبداً، فقدَته فضربَ عنقَه.

وقد ذكر من أمر هؤلاء الأسرى الذين أسرهم يزيد بن المهلب ووجههم إلى الحجاج ومن فلول ابن الأشعث الذين انهزموا يوم مسكين أمر غير ما ذكره أبو مخنف عن أصحابه. والذي ذكر عنهم من ذلك أنه لما انهزم ابن الأشعث مضى هؤلاء مع سائر الفل إلى الرى، وقد غلب عليها عمر بن أبي الصلت بن كنانة مولى بني نصر بن معاوية، وكان من أفرس الناس، فانضموا إليه، فأقبل قتيبة بن مسلم إلى الرى من قبيل الحجاج وقد ولاه عليها. فقال النفر الذين (٢) ذكرت أن يزيد بن المهلب ووجههم إلى الحجاج مقيدين وسائر فل ابن الأشعث الذين صاروا إلى الرى لعمر بن أبي الصلت: نوليك أمرنا وتحارب بنا قتيبة؛ فشاور عمر أباه أبا الصلت، فقال له أبوه: والله يا بُنى ما كنت أبالي إذا سار هؤلاء تحت لوائك أن تُقتل من غد. فعقد لواءه، وسار فهزم وهزم أصحابه، وانكشفوا إلى سجستان، واجتمعت بها الفلول، وكتبوا إلى عبد الرحمن بن محمد وهو عند رتبيل، ثم كان من أمرهم وأمر يزيد بن المهلب ما قد ذكرت.

١١١٩/٢

(١) المسعودى ٣: ١٦٣.

(٢) ب: «اللى».

وذكر أبو عبيدة أن يزيد لما أراد أن يوجه الأسرى إلى الحجاج قال له أخوه حبيب : بأى وجه تنظر إلى الهانية وقد بعثت ابن طلحة ! فقال يزيد : هو الحجاج ، ولا يتعرض له ! وقال : وطن نفسك على العزل ، ولا ترسل به ، فإن له عندنا بلاء ، قال : وما بلاءه ؟ قال لئيم المهلب في مسجد الجماعة بمائتي ألف ، فأدأها طلحة عنه . فأطلقه ، وأرسل بالباقيين ، فقال الفرزدق :
وَجَدَ ابْنَ طَلْحَةَ يَوْمَ لَاقَى قَوْمَهُ قَحْطَانَ يَوْمَ هَرَاةَ خَيْرَ الْمَعَشِرِ

وقيل : إن الحجاج لما أتى بهؤلاء الأسرى من عند يزيد بن المهلب قال لحاجبه : إذا دعوتك بسيدهم فأتني بفسير روز ، فأبرز سيره — وهو حينئذ ١١٢٠/٢ بواسط القصب قبل أن تبني مدينة واسط — ثم قال لحاجبه : جئني بسيدهم ؛ فقال لفسير روز : قم ؛ فقال له الحجاج : أبا عثمان ، ما أخرجتك مع هؤلاء ؟ فوالله ما لحمتك من لحومهم ، ولا دمك من دماهم ! قال : فتنته عممت الناس ، فكنتا فيها ، قال : اكتب لي أموالك ، قال : ثم ماذا ؟ قال : اكتبها أول ؛ قال : ثم أنا أمين على دمي ؟ قال : اكتبها ، ثم أنظر ؛ قال : اكتب يا غلام ، ألف ألف ألى ألف ، فذكر مالاً كثيراً ، فقال الحجاج : أين هذه الأموال ؟ قال : عندي ، قال : فأدأها ؛ قال : وأنا أمين على دمي ؟ قال : والله لتؤدبنيها ثم لأقتلنك ؛ قال : والله لا تجمع مالي ودمي ، فقال الحجاج للحاجب : نحه ، فنحاه .

ثم قال : اتنى بمحمد بن سعد بن أبي وقاص ، فدعاه ، فقال له الحجاج : إيه يا ظيل الشيطان أعظم الناس تبهها وكبراً ، تنأى بيعة يزيد بن معاوية ، وتشبه بحسين وابن عمر ، ثم صرت مؤذناً لابن كناراً^(١) عبد بن نصر — يعنى عمر بن أبي الصلت — وجعل يضرب بعود في يده رأسه حتى أدماه ؛ فقال له محمد : أيها الرجل ، سلكت فأسجح ! فكشف يده ، فقال : إن رأيت أن تكتب إلى أمير المؤمنين فإن جعك عفو كنت شريكاً في ذلك محموداً ، وإن جعك غير ذلك كنت قد أعدرت . فأطرق ملياً ثم قال : اضرب عنقه ، فضربت عنقه .

(١) ط : « كزار » ، وانظر التصويبات .

١١٢١/٢

ثم دعا بعمر بن موسى فقال : يا عبد المرأة ، أتقوم بالعمود على رأس ابن الخائف^(١) ، وتشرب معه الشراب في حمام فارس ، وتقول المقالمة التي قلت ! أين الفرزدق ؟ قم فأنشده ما قلت فيه ، فأنشده :

وخصبت أيرك للزناء ولم تكن يوم الهياج لتخصب الأبطالا
فقال : أما والله لقد رفعتُه عن عقائل نساءك ، ثم أمر بضرب عنقه .

ثم دعا ابن عبيد الله بن عبد الرحمن بن سمرة ، فإذا غلام حدث ، فقال : أصلح الله الأمير ! ما لي ذنب ، إنما كنت غلاماً صغيراً مع أبي وأمى لا أمر لي ولا نهى ، وكنت معهما حيث كانا ، فقال : وكانت أمك مع أبيك في هذه الغين كلها ؟ قال : نعم ، قال : على أهلك لعنة الله .

ثم دعا بالهلقام بن نعيم فقال : اجعل ابن الأشعث طائباً ما طائب ، ما الذي أمّلت أنت معه ؟ قال : أمّلت أن يملك فيولّيني العراق كما ولاك عبد الملك . قال : قم يا حوشب فاضرب عنقه ، فقام إليه ، فقال له الهلقام : يا بن لقيطة^(٢) ، أتتكتأ القرح ! فضرب عنقه .

ثم أتى بعبد الله بن عامر ، فلما قام بين يديه قال : لا رأيت عينك يا حجاج الجنة إن أقلت ابن المهلب بما صنع . قال : وما صنع ؟ قال :

لأنه كاس في إطلاق أسرتيه وقاد نحوك في أغلالها مضراً
وقى بقومك ورد الموت أسرتك وكان قومك أدنى عنده خطراً

فأطرق الحجاج ملبياً وقرت في قلبه ، وقال : وما أنت وذاك ! اضرب عنقه . فضربت عنقه . ولم تزل في نفس الحجاج حتى عزل يزيد عن خراسان وحبيسه . ١١٢٢/٢

ثم أمر بفتيروز فعذب ، فكان فيما عذب به أن كان يُشد عليه القصب الفارسي المشقوق ، ثم يجر عليه حتى يخرق جسده ، ثم يُسضح عليه الخلل والملح ، فلما أحس بالموت قال لصاحب العذاب : إن الناس لا يشكرون أني قد قُتلت ، ولي ودائع وأموال عند الناس ، لا تؤدّي

(١) ابن الخائف ، هو محمد بن الأشعث ، وكان يعير بذلك .

(٢) كذا في ب ، س ، وفي ط : « لطيفة » .

إليكم أبدأ ، فأظهِروني للناس لِيَعْلَمُوا أَنِي حَيٌّ فَيُؤَدَّوْا الْمَالَ . فَأَعْلِمِ
الْحِجَّاجَ ، فَقَالَ : أَظْهَرُوهُ ، فَأَخْرَجَ إِلَى بَابِ الْمَدِينَةِ ، فَصَاحَ فِي النَّاسِ : مَنْ
عَرَفْتِي فَقَدْ عَرَفْتِي ، وَمَنْ أَنْكَرْتِي فَأَنَا فَيْرُوزُ حَصِينٍ ؛ إِنَّ لِي عِنْدَ أَقْوَامٍ
مَالًا ، فَمَنْ كَانَ لِي عِنْدَهُ شَيْءٌ فَهُوَ لَهُ ، وَهُوَ مِنْهُ فِي حَيْلٍ ، فَلَا يُؤَدِّينَ
مِنْهُ أَحَدٌ دَرَهْمًا ، لِيُسَبِّلَ الشَّاهِدُ الْغَائِبَ . فَأَمَرَ بِهِ الْحِجَّاجُ فَقُتِلَ . وَكَانَ ذَلِكَ
مِمَّا رَوَى الْوَلِيدُ بْنُ هِشَامٍ بْنُ قَحْطَمٍ ، عَنْ أَبِي بَكْرٍ الْهَنْدَلِيِّ .

وذكر ضَمْرَةُ بن ربيعة ، عن أبي شَوَّاذٍ ، أَنَّ عَمَّالَ الْحِجَّاجِ كَتَبُوا إِلَيْهِ :
إِنَّ الْخِزْرَاجَ قَدْ انْكَسَرَ ، وَإِنَّ أَهْلَ الذِّمَّةِ قَدْ أَسْلَمُوا وَاحْتَقُوا بِالْأَمْصَارِ ،
فَكَتَبْنَا إِلَى الْبَصْرَةِ وَغَيْرِهَا أَنَّ مَنْ كَانَ لَهُ أَصْلٌ فِي قَرْيَةٍ فَلْيَخْرُجْ إِلَيْهَا .
فَخَرَجَ النَّاسُ فَعَسَّكَرُوا ، فَجَعَلُوا يَسْبِكُونَ وَيَنَادُونَ : يَا مُحَمَّدَاهُ يَا مُحَمَّدَاهُ !
وَجَعَلُوا لَا يَرُونَ أَيْنَ يَذْهَبُونَ ! فَجَعَلَ قَرَاءُ أَهْلِ الْبَصْرَةِ يَخْرُجُونَ إِلَيْهِمْ مُتَقَنِّعِينَ
فَيَسْبِكُونَ لِمَا يَسْمَعُونَ مِنْهُمْ وَيَرُونَ . قَالَ : فَقَدِمَ ابْنُ الْأَشْعَثِ عَلَى ١١٢٣/٢
تَقْسِيئَةَ ذَلِكَ ، وَاسْتَبَصَّرَ قَرَاءُ أَهْلِ الْبَصْرَةِ فِي قِتَالِ الْحِجَّاجِ مَعَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ
ابْنِ مُحَمَّدِ بْنِ الْأَشْعَثِ .

وذكر عن ضَمْرَةَ بن ربيعة عن الشَّيْبَانِيِّ ، قَالَ : قَتَلَ الْحِجَّاجُ يَوْمَ
الزَّوَايَةِ أَحَدَ عَشَرَ أَلْفًا ، مَا اسْتَحْيَا مِنْهُمْ إِلَّا وَاحِدًا ، كَانَ ابْنُهُ فِي كُتَّابِ
الْحِجَّاجِ ، فَقَالَ لَهُ : أَتَحِبُّ أَنْ نَعْفُوَ لَكَ عَنْ أَبِيكَ ؟ قَالَ : نَعَمْ ، فَتَرَكَتَهُ
لِابْنِهِ ؛ وَإِنَّمَا خَدَعْتَهُمْ بِالْأَمَانِ ، أَمْرٌ مَنَادِيًا فَنَادَى عِنْدَ الْهَزِيمَةِ : أَلَا لَا أَمَانَ
لِفُلَانٍ وَلَا فُلَانٍ ، فَسَمَّى رِجَالًا مِنْ أَوْلِيكَ الْأَشْرَافِ ، وَلَمْ يَقْبَلْ : النَّاسُ آمِنُونَ ،
فَقَالَتِ الْعَامَّةُ : قَدْ آمَنَ النَّاسُ كُلُّهُمْ إِلَّا هَؤُلَاءِ النَّفَرِ ، فَأَقْبَلُوا إِلَى حُجْرَتِهِ
فَلَمَّا اجْتَمَعُوا أَمَرَهُمْ بِوَضْعِ أَسْلِحَتِهِمْ ، ثُمَّ قَالَ : لَأَمْرُنَ بِكُمْ الْيَوْمَ رِجَالًا
لَيْسَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ قَرَابَةٌ ، فَأَمَرَ بِهِمْ عُمَارَةُ بْنُ تَمِيمٍ اللَّخْمِيُّ فَقَتَلَهُمْ .

وَرَوَى عَنِ النَّضْرِ بْنِ شُمَيْلٍ ، عَنْ هِشَامِ بْنِ حَسَّانٍ ، أَنَّهُ قَالَ : بَلَغَ

ما قَتَلَ الحِجَّاجُ صَبْرًا مائةً وعشرين ، أو مائةً وثلاثين ألفًا .

وقد ذُكر في هزيمة ابن الأشعث بمسكين قول غير الذي ذكره أبو مخنف؛ والذي ذُكر من ذلك أن ابن الأشعث والحجاج اجتمعوا بمسكين من أرض أذربايد ، فكان عسكرُ ابن الأشعث على نهر يُدعى خدش مؤخر النهر ، نهر تيرى ، ونزل الحجاج على نهر أفريد والعسكران جميعًا بين دجلة والسيب والكرخ ، فاقتتلوا شهراً - وقيل : دون ذلك - ولم يكن الحجاج يعرف إليهم طريقاً إلا الطريق الذي يلتقون فيه ، فأتى بشيخ كان راعياً يُدعى زورقاً ، فدله على طريق من وراء الكرخ طوله ستة فراسخ ، في أجمية وضحاضح من الماء ، فانتخب أربعة آلاف من بجلة أهل الشام ، وقال لقائدهم : ليكن هذا العليج أمامك ، وهذه أربعة آلاف درهم معك ، فإن أقامك على عسكرهم فادفع المال إليه ، وإن كان كذباً فاضرب عنقه ، فإن رأيتهم فاحمل عليهم فيمن معك ، وليكن شعاركم : يا حجاج يا حجاج . فانطلق القائد صلاة العصر ، والتقى عسكرُ الحجاج وعسكرُ ابن الأشعث حين فصل القائد بمن معه ، وذلك مع صلاة العصر ، فاقتتلوا إلى الليل ، فانكشف الحجاج حتى عبر السيب - وكان قد عقده - ودخل ابن الأشعث عسكره فانتهب ما فيه ، فقيل له : لو اتبعته ؟ فقال : قد تعيننا ونصبتنا ، فترجع إلى عسكره فألقى أصحابه السلاح ، وباتوا آمنين في أنفسهم لهم الظفر . وهجم القوم عليهم نصف الليل يصيحون بشعارهم ، فجعل الرجل من أصحاب ابن الأشعث لا يدرى أين يتوجه ! دُجبل عن يساره ودجلة أمامه ، ولها جرف منكر ، فكان من غرق أكثر ممن قُتل . وسمع الحجاج الصوت فعب السيب إلى عسكره ، ثم وجه خيلته إلى القوم فالتقى العسكران على عسكر ابن الأشعث ، وانحاز في ثلثائة ، فضى على شاطئ دجلة حتى أتى دجيباً فعبه في السفن ، وعقرُوا دوابهم ، وانحدروا في السفن إلى البصرة ، ودخل الحجاج عسكره فانتهب ما فيه ، وجعل يقتل من وجد حتى قتل أربعة آلاف ؛ فيقال : إن فيمن قُتل عبد الله

١١٢٤/٢

١١٢٥/٢

ابن شدّاد بن الهاد ؛ وقتل فيهم بسطام بن مصلمة بن هبيرة ، وعمر (١) ابن ضبيعة الرقاشي ، وبشر بن المنذر بن الجارود والحكم بن مخزومة العبديين ، وبكبير بن ربيعة بن ثروان الضبي ؛ فأبى الحجاج برءوسهم على ترس ، فجعل ينظر إلى رأس بسطام ويتمثل :

إذا مررت بوادي حية ذكر فاذهب ودعني أقاسي حية الوادي

ثم نظر إلى رأس بكبير ، فقال : ما ألقى هذا الشقي مع هؤلاء . خذ بأذنه يا غلام فألقه عنهم . ثم قال : ضع هذا الرس بين يدي مسمع بن مالك ابن مسمع ، فوضع بين يديه ، فبكى ، فقال له الحجاج : ما أبكاك ؟ أحرزنا عليهم ؟ قال : بل جزعاً لهم من النار .

* * *

[ذكر خبر بناء مدينة واسط]

وفي هذه السنة : بنى الحجاج واسطاً ، وكان سبب بنائه ذلك - فيما ذكر - أن الحجاج ضرب البعث على أهل الكوفة إلى خراسان ، فعسكروا بحمام عمر . وكان فئ من أهل الكوفة من بنى أسد حديث عهد بعمرس بابنة عم له ، انصرف من العسكر إلى ابنة عمه لسيلا ، فطرق الباب طارقاً ودقّه دقاً شديداً ، فإذا سكران من أهل الشام ، فقالت للرجل ابنة عمه : لقد لقينا من هذا الشامي شراً ، يفعل بنا كل ليلة ما ترسى ، يريد المكروه ، وقد شكوته إلى مشيخة أصحابه ، وعرفوا ذلك (٢) ، فقال : ائذنوا له ، ففعلوا ، فأغلق الباب ، وقد كانت المرأة نجدت منزلها وطيبته ، فقال الشامي : قد آن لكم ، فاستقنأه الأسدي ، فأندّر رأسه (٢) ، فلما أذن بالفجر خرج الرجل إلى العسكر وقال لامرأته : إذا صليت الفجر فابعثي إلى الشاميين أن أخرجوا صاحبكم ، فسيأتون بك الحجاج ، فاصدقيه الخبر على وجهه ؛

(١) ابن الأثير : « عمرو » .

(٢ - ٢) ابن الأثير : « فقال لها زوجها : ائذني له ، فأذنت له ، فقتله زوجها » . وفي

اللسان : « أفنأت الرجل : حملته على القتل » .

فعلت ، ورُفِعَ القتيلُ إلى الحجاج ، وأدخلت المرأة عليه وعنده عثبسة ابن سعيد على سريره ، فقال لها : ما نخطبُك ؟ فأخبرته ، فقال : صدقتني . ثم قال لولاة الشامى : ادفنوا صاحبكم فإنه قتيلُ الله إلى النار ، لا قودَ له ولا عقْل ، ثم نادى مناديه : لا ينزلنَّ أحدٌ على أحد ، واخرجوا فمَسَكروا . وبعث رُوَادًا يرتادون له مَسْرِيًا ، وأمعن (١) حتى نزل أطراف كَسَسَكْر ، فبينما هو في موضع واسِطٍ إذا راهبٌ قد أقبل على حمار له وعبرَ دِجْلَةَ ، فلما كان في موضع واسِطٍ تفاجت الأتان فبالت ، فنزل الراهب ، فاحتفر ذلك البول ، ثم احتمسَه فرمى به في دِجْلَةَ ، وذلك بَعَيْنِ الحجاج ، فقال : علىَّ به ، فأتى به ، فقال : ما حَمَمَك على ما صنعت ؟ قال : نجد في كُتُبنا أنه يُبْنَى في هذا الموضع مَسْجِدٌ يُعْبِدُ اللهُ فيه ما دام في الأرض أحدٌ يوحده . فاخترت الحجاج مدينةَ واسِطٍ ، وبني المسجدَ في ذلك الموضع .

* * *

وفي هذه السنة عزلَ عبدُ الملك - فيما قال الواقدي - عن المدينة أبانَ بنَ عثمان ، واستعملَ عليها هشامَ بنَ إسماعيلَ المخزومي . ١١٢٧/٢

وحجَّ بالناس في هذه السنة هشامُ بنُ إسماعيلَ ، حدثني بذلك أحمدُ ابنُ ثابت ، عن حدثه ، عن إسحاق بنِ عيسى ، عن أبي معشر .

وكان العمال في هذه السنة على الأمصار سيوى المدينة هم العمال الذين كانوا عليها في السنة التي قبلها ؛ وأما المدينة فقد ذكرنا من كان عليها فيها (٢) .

(١) ب : « فأبعد » .

(٢) ب : « فيها عليها » س : « عليها في السنة التي قبلها » .

ثم دخلت سنة أربع وثمانين

ذكر ما كان فيها من الأحداث

ففيها كانت غزوةُ عبد الله بن عبد الملك بن مروانَ الروم ، ففتَحَ فيها المصَيِّبَةَ ، كذلك ذَكَرَ الواقدي .

[خبر قتل الحجاج أيوب بن القريّة]

وفيها قتل الحجاجُ أيوبَ بن القريّة ، وكان ممن كان مع ابن الأشعث ، وكان سبب قتله إياه - فيما ذُكِرَ - أنه كان يدخل على حوشب بن يزيد بعد انصرافه من دير الجسّاجم - وحوشب على الكوفة عامل للحجاج^(١) - فيقول حوشب : انظروا إلى هذا الواقف معي ، وغداً أو بعد غد يأتي^(٢) كتاب من الأمير لا أستطيع إلا نفاذه ، فيينا هو ذات يوم واقف إذ أتاه كتابٌ من الحجاج :

أما بعد ، فإنك قد صرت كهنفاً لمنافقي أهل العراق وسأوي ، فإذا نظرت في كتابي هذا فابعث إلى بابن القريّة مشدودة يده إلى عنقه ، مع ثقةٍ من قبلك .

فلما قرأ حوشب الكتاب رَمَى به إليه ، فقرأه فقال : سمعاً وطاعة ؛ فبعث به إلى الحجاج مؤثّقاً ، فلما دخل الحجاج قال له : يا بن القريّة ، ما أعددت لهذا الموقف ؟ قال : أصلح الله الأمير ! ثلاثة أحروف كأنهنَّ ركبٌ وقوف ، دنيا ، وآخرة ، ومعروف . قال : اخرج مما قلت ، قال : أفعل ، أما الدنيا فال حاضر ، يأكلُ منه البرّ والفاجر ، وأما الآخرة فيزان عادل ، ومشهد ليس فيه باطل ، وأما المعروف فإن كان عليّ اعترفت ، وإن كان لي اغترفت . قال : إمّا لا فاعترف بالسيف إذا وقّع بك . قال : أصلح الله الأمير ! أقلّني عشرتي ، وأسغني^(٣) ريتي ؛ فإنه ليس بجوادٍ إلا له

(٢) ب : « يأتيني » .

(١) ب : « الحجاج » .

(٣) ط : « واسغني » .

كسبوة، ولا شجاعٌ إلا له هسبوة^(١). قال الحجاج: كلا والله لأرينك^(٢) جهنم ، قال : فأرحتني فإني أجد حسرها ، قال : قدمه يا حرسى فاضرب عنقه . فلما نظر إليه الحجاج يتشحط في دمه قال : لو كنا تركنا ابن القرية حتى نسمع من كلامه ! ثم أمر به فأخرج فرمى به .
قال هشام : قال عروانة : حين منسح الحجاج من الكلام ابن القرية ، قال له ابن القرية : أما والله لو كنت أنا وأنت على السواء لسكنا جميعاً ، أو لألفيت منيعاً .

١١٢٦/٢

* * *

[فتح يزيد بن المهلب قلعة نيزك ببادغيس]

وفي هذه السنة فتح يزيد بن المهلب قلعة نيزك ببادغيس .
* ذكر سبب فتحه إياها :

ذكر علي بن محمد ، عن المفضل بن محمد ، قال : كان نيزك ينزل بقلعة بادغيس ، فتحين يزيد غزوه ، ووضع عليه العيون ، فبلغه خروجه ، فخاله يزيد إليها ، وبلغ نيزك فرجع ، فصالحه على أن يدفع إليه ما في القلعة من الخزائن ، ويرتحل عنها بعياله ، فقال كعب بن معدان الأشقري :

وبادغيس التي من حل ذروتها	عز الملك فإن شا جارا أو ظلما
منيعاً لم يكدها قبله ملك	إلا إذا واجهت جيشاً له وجماً
تحال نيرانها من بعد منظرها	بعض النجوم إذا ماليلها عماً
لما أطاف بها ضاقت صدورهم	حتى أقرؤا له بالحكم فاحتكما
فدل ساكنها من بعد عزته	يُعطي الجزى عارفاً بالذل مهتماً
وبعد ذلك أياماً نعددها	وقبلها ما كشفت الكرب والظلما
أعطاك ذاك ولي الرزق يقسمه	بين الخلائق والمحروم من حرماً

١٢٣٠/٢

(٢) ابن الأثير : « لأزيرك » .

(١) البيان والتبيين ١ : ١١٢ ، ٣٥٠ .

يداك إحداهما تُسقى العدو بها
فهل كَسَيْبٍ يَزِيدَ أَوْ كِنَائِلِهِ
ليسا بأجود منه حينَ مَدَّهُمَا
وقال :

ثنائي على حيِّ العتيك بأنَّها
إذا عقدوا للجارِ حلَّ بنجوةٍ
نفى نيزكاً عن بادغيسٍ ونيزكٍ
مُخلِّقةً دونَ السماءِ كأنَّها
ولا يبلِّغُ الأزوى شاريخها العلا
وما خُوفتُ بالذئبِ ولِدانُ أهلها
تمنيتُ أن ألقى العتيك ذوى النهى
كما يمتنى صاحبُ الحرثِ أعطشتُ
فأسقى بعد اليأس حتى تحيرتُ
لقد جمع الله النوى وتشعبتُ
قال : وكان نيزكٌ يُعظمُ القلعة إذا رآها سجد لها . وكَتَسَبَ يزيدُ بن
المهلب إلى الحجاج بالفتح ، وكانت كُتِّبَ يزيد إلى الحجاج يكتبها
يحيى بن يَعمَر العَدَوَانِي ، وكان حليفاً لهذيل ، فكتب : إنا لتقينا العدو
فنجحنا الله أكتافهم ، فقتلنا طائفةً ، وأسرنا طائفةً ، ولحقت طائفة برءوس
الجبال وعراعر الأودية ، وأهضام الغيطان وأثناء الأنهار^(١) ؛ فقال الحجاج :
من يكتب ليزيد ؟ فقيل : يحيى بن يَعمَر ، فكتب إلى يزيد فحمَلته على
البريد ، فقدم عليه أفصح الناس ، فقال له : أين ولدت ؟ قال : بالأهواز ؛
قال : فهذه الفصاحة ؟ قال : حفظت كلام أبي وكان فصيحاً^(٢) . قال : من

١١٣١/٢

١١٣٢/٢

(١) المرعة قلة الجبل ، وجمعها عراعر ، والأهضام : أحضان الأودية وأسافلها .

(٢) الفائق ٢ : ٣٣٩ ، ٣٤٠ .

هناك فأخبرني هل يَلْحَنُ عنبسة بن سعيد؟ قال : نَعَمْ كثيراً ، قال : ففُلان؟
قال : نعم ، قال : فأخبرني عنى أَلْحَنُ؟ قال : نعم تلحَن لسحنا خفياً ؛
تزيد حرفاً وتَسْتَقْص حرفاً ، وتجعَل أنْ في موضع إنْ ، وإنْ في موضع أنْ .
قال : قد أجبَلتكَ ثلاثاً ، فإن أجدُكَ بعدَ ثلاث بأرض العراق قتلتكَ .
فرَجَعَ إلى خراسان .

* * *

وحجَّ بالناس في هذه السنة هشامُ بنُ إسماعيلَ الخزويّ ، كذلك حدثني
أحمد بن ثابت ، عمَّن ذَكَرَهُ ، عن إسحاق بن عيسى ، عن أبي معشر .
وكانت عمّالُ الأمصار في هذه السنة عمّالها الذين سمّيتُ قبلُ في سنة
ثلاث وثمانين .

ثمّ دخلت سنة خمس وثمانين
ذكر ما كان فيها من الأحداث

* * *

[خبر هلاك عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث]

ففيها كان هلاكُ عبدِ الرحمن بن محمد بن الأشعث .
* ذكر السبب الذي به هلك ، وكيف كان :

ذَكَرَ هشام بنُ محمد ، عن أبي مَخْنَفٍ ، قال : لما انصرفَ ابنُ الأشعثِ من هَرَآةَ راجِعاً إلى رُتْبَيْلٍ ^(١) كان معه رجلٌ من أُوْدٍ يقال له عِلْقَمَةُ بن عمرو ، فقال له : ما أريد أن أدخُلَ معك ؛ فقال له عبد الرحمن : لمَ ؟ قال : لأنني ^(٢) أتخوفُ عليك وعلى من معك ، والله لكأني بكتابِ الحجاج قد جاء ، فوقع إلى رُتْبَيْلٍ يُرْغِبُهُ وَيُرْهَبُهُ ، فإذا هو قد بعث بك سَلْمًا أو قَتَلَكُم . ولكن ها هنا خمسمائة قد تبايعنا على أن ندخل مدينةَ فَنتحصن ^(٣) فيها ، ونقاتلَ حتى نُعطَى أماناً أو نموتَ كراماً . فقال ^(٤) له عبد الرحمن : أما لو دخلتَ معي لَأَسْبِغُكَ ^(٥) وأكرمتك ، فأبى عليه علقمةُ ؛ ودخل عبد الرحمن بنُ محمد إلى رُتْبَيْلٍ . وخرج هؤلاء الخمسمائة فبعثوا عليهم مودوداً النَّضْرِيَّ ، وأقاموا حتى قدم عليهم عمارة بن تميم اللّخميّ فحاصرهم ، فقاتلوه وامتنعوا منه حتى آمنهم ، فخرجوا إليه فَوَفَى لهم .

قال : وتتابعتْ كُتُوبُ الحجاج إلى رُتْبَيْلٍ في عبد الرحمن بن محمد أن ابعث به إلى ، وإلا فوالذي لا إله إلا هو لأوطئتن أرضك ألفَ ألفِ مُقاتِلٍ . وكان عند رُتْبَيْلٍ رجلٌ من بني تميمٍ ثمّ من بني يَرْبُوعٍ يقال له عُبَيْدُ بن أبي سُبَيْعٍ ، فقال لرُتْبَيْلٍ : أنا آخذُك من الحجاج عهداً ليكفّن الخراجَ

(١) بعدها في ب : « ملك الترك » . (٢) س : « إن » .
(٣) ب : « نتحصن » . (٤) ب : « قال » .
(٥) ب : « لأمّتك » .

عن أرضك سبع سنين على أن تدفع إليه عبد الرحمن بن محمد ، قال رُتَبِيل لعبيد : فإن فعلتَ فإنَّ لك عندي ما سألتَ .

فكَتَبَ إلى الحَجَّاجِ بِخَيْرِهِ أَنْ رُتَبِيلَ لَا يَعْصِيهِ ، وَأَنَّهُ لَنْ يَدَعَ رُتَبِيلَ حَتَّى يَبْعَثَ إِلَيْهِ بَعْدَ الرَّحْمَنِ بْنِ مُحَمَّدٍ ، فَأَعْطَاهُ الْحَجَّاجُ عَلَى ذَلِكَ مَالًا وَأَخَذَ مِنْ رُتَبِيلَ عَلَيْهِ مَالًا ، وَبَعَثَ رُتَبِيلَ بِرَأْسِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ مُحَمَّدٍ إِلَى الْحَجَّاجِ ، وَتَرَكَ لَهُ الصَّلْحَ الَّذِي كَانَ يَأْخُذُهُ مِنْهُ سَبْعَ سِنِينَ . وَكَانَ (١) الْحَجَّاجُ يَقُولُ : بَعَثَ إِلَى رُتَبِيلَ بَعْدَ اللَّهِ . فَأَلْقَى نَفْسَهُ مِنْ فَوْقِ إِبْرَارِ فَمَاتَ . (٢)

١١٣٤/٢

قال أبو مخنف : وحدثني سليمان بن أبي راشد . أنه سمع مئبدة ابنة يزيد تقول : والله لمات عبد الرحمن وإن رأسه لعل فسخذي ، كان السل قد أصابه . فلما مات وأرادوا دفنه بعث إليه رُتَبِيلَ فَحَزَرَ رَأْسَهُ ، فَبَعَثَ بِهِ إِلَى الْحَجَّاجِ ، وَأَخَذَ ثَمَانِيَةَ عَشَرَ رَجُلًا مِنْ آلِ الْأَشْعَثِ فَجَبَسَهُمْ عِنْدَهُ ، وَتَرَكَ جَمِيعَ مَنْ كَانَ مَعَهُ مِنْ أَصْحَابِهِ . وَكَتَبَ إِلَى الْحَجَّاجِ بِأَخْذِهِ الثَّمَانِيَةَ عَشَرَ رَجُلًا مِنْ أَهْلِ بَيْتِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ ، فَكَتَبَ إِلَيْهِ : أَنْ اضْرِبْ رِقَابَهُمْ ، وَابْعَثْ إِلَى بَرَعُوسِهِمْ ، وَكِرَهُ أَنْ يُؤْتَى بِهِمْ إِلَيْهِ أَحْيَاءً فَيُطْلَبَ فِيهِمْ إِلَى عَبْدِ الْمَلِكِ ، فَيَتْرَكَ مِنْهُمْ أَحَدًا .

وقد قيل في أمر بن أبي سبيع وابن الأشعث غير ما ذكرت عن أبي مخنف ، وذلك ما ذكر عن أبي عبيدة مَعَمَرِ بْنِ الْمُثَنَّى أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ : زَعِمَ أَنَّ عُمَارَةَ بْنَ تَمِيمٍ خَرَجَ مِنْ كَرْمَانَ فَأَتَى سَجِسْتَانَ وَعَلَيْهَا رَجُلٌ مِنْ بَنِي الْعَبْرِ يُدْعَى مَوْدُودًا ، فَحَصَرَهُ ثُمَّ آمَنَهُ ، ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى سَجِسْتَانَ ، وَأَرْسَلَ إِلَى رُتَبِيلَ . وَكَتَبَ إِلَيْهِ الْحَجَّاجُ : أَمَا بَعْدَ ، فَإِنِّي قَدْ بَعَثْتُ إِلَيْكَ عُمَارَةَ بْنَ تَمِيمٍ فِي ثَلَاثِينَ أَلْفًا مِنْ أَهْلِ الشَّامِ لَمْ يَخَالِفُوا طَاعَةَ ، وَلَمْ يَسْخَطُوا خَلِيفَةَ ، وَلَمْ يَتَّبِعُوا إِمَامَ ضَلَالَةٍ ، يُجْرِي عَلَى كُلِّ رَجُلٍ مِنْهُمْ فِي كُلِّ شَهْرٍ مِائَةَ دِرْهَمٍ ، يَسْتَطْعِمُونَ الْحَرْبَ اسْتَطْعَامًا ، يَسْتَطْبُونُ ابْنَ الْأَشْعَثِ . فَأَبَى رُتَبِيلُ أَنْ يَسْلَمَهُ . وَكَانَ مَعَ ابْنِ الْأَشْعَثِ عُبَيْدُ بْنُ أَبِي سُبَيْعٍ التَّمِيمِيُّ قَدْ نَخَصَ بِهِ ،

١١٣٥/٢

(١) ب : « فكان » .

(٢) كذا في ط ، وانظر الصفحة التالية . والإجاز : سطح المنزل .

وكان رسوله إلى رُتَيْبيل ، فخصَّ برُتَيْبيل أيضاً ، ونحفَ عليه . فقال القاسم ابن محمد بن الأشعث لأخيه عبد الرحمن : إني لا آمن غدرَ التميمي ، فاقتله ، فهَمَّ به ، وبلغ ابن أبي سبيح ، فخافه فوشى به إلى رُتَيْبيل ، وخوفه الحجاج ، ودعاه إلى الغدُرِ بابن الأشعث فأجابهُ ، فخرج سراً إلى عُمارة بن تميم ، فاستعجل في ابن الأشعث ، فجعل له ألفَ ألف ، فأقام عنده ، وكتَّبتْ بذلك عُمارة إلى الحجاج ، فكتب إليه أن أعطَ عبيداً ورُتَيْبيلَ ما سألك واشترط^(١) ، فاشترط رُتَيْبيلُ ألا تغزى بلاده عشر سنين ، وأن يؤدِّيَ بعد العشر سنينَ في كلِّ سنة تسعمائة ألف ، فأعطى رُتَيْبيلَ وعبيداً^(٢) ما سألا ، وأرسل رُتَيْبيل إلى ابن الأشعث فأحضره وثلاثين من أهل بيته ، وقد أعدَّ لهم الجوامع والقيود ، فألقى في عنقه جماعة ، وفي عنق القاسم جماعة ، وأرسل بهم جميعاً إلى أدنى مسالِحِ عمارة منه ، وقال لجماعة من كان مع ابن الأشعث من الناس : تفرقوا إلى حيث شئتم ، ولما قرب ابن الأشعث من عمارة ألقى نفسه من فوق قَصْر فمات ، فاحتزَّ رأسه ، فأتى به وبالأسرى عمارة ، فضرب أعناقهم ، وأرسل برأس ابن الأشعث وبروس أهله وبامراته إلى الحجاج ، فقال في ذلك بعضُ الشعراء :

هيهات موضعُ جُثَّةٍ من رأسها رأسٌ بمصرَ وجُثَّةٌ بالرَّحجِ^(٣) ١١٣٦/٢

وكان الحجاج أرسل به إلى عبد الملك ، فأرسل^(٤) به عبد الملك إلى عبد العزيز وهو يومئذ على مصر .

وذكر عمر بن شبة أن ابن عائشةَ حدثه قال : أخبرني سعد بن عبيد الله قال : لما أتى عبدُ الملك برأس ابن الأشعث أرسل به مع خصيٍّ إلى امرأةٍ منهم كانت تحت رجل من قريش ، فلما وُضِعَ بين يديها قالت : مرحباً بزائر لا يتكلم ؛ مسلِك من الملوك طلب ما هو أهلُه فأبت المقادير . فذهب الخصيُّ يأخذ الرأسَ فاجتذبتُه من يده ، قالت : لا واللهِ حتى أبلغ

(١) كذا في ب ، وفي ط : « فاشترط » . (٢) ر : « وعبيد الله » .

(٣) ر : « بالرَّحج » ، س : « بالريح » . (٤) ب : « وأرسل » .

حاجتي ، ثم دعت بخطمي فغمسكته وغلقتته ثم قالت : شأنك به الآن .
فأخذه ، ثم أخبر عبد الملك ، فلماً دخل عليه زوجها ، قال : إن استطعت
أن تصيبَ منها سَخْلَةً .

وذكر أن ابن الأشعث نظر إلى رجل من أصحابه وهو هاربٌ إلى بلاد
رتبيلَ فتمثّل :

يطرده الخوف فهو تائه^(١) كذلك من يكره حرّ الجِلادِ
مُنخرقُ الخُفّين يشكو الوجأ تنكبه أطراف مروٍ حِدادِ
قد كان في الموت له راحةٌ والموتُ حتمٌ في رقابِ العبادِ

فالتفت إليه فقال : يا لحية ، هلاّ ثبتّ في موطن من المواطنين فنموت
بين يديك ، فكان خيراً لك مما صرتَ إليه !

قال هشام : قال أبو مخنف : خرج الحجاج في أيامه تلك يسير ومعه
حُمَيد الأرقط وهو يقول :

١١٣٧/٢

ما زال يبنى خندقاً ويهدمه^(٢) عن عسكرٍ يقوده فيسلمه
حتى يصير في يديك مقسمة هيهات من مصفه منهزمه
* إن أخا الكِظاظِ من لايسأمة *

فقال الحجاج : هذا أصدقُ من قولِ الفاسق أعشى هَمَدان :

نُبئت أن بُني يو سف حرٌّ من زلّتي فتباً

قد تبين له من زلّتي وتبّ ودحّض فانكبّ ، وخاف وخاب ، وشكّ
وارتاب ؛ ورفع صوته فما بقي أحدٌ إلا فنزع لفضبه ، وسسكت الأرقط ، فقال
له الحجاج : عدّ فيما كنت فيه ، ما لك يا أرقط ! قال : إني جعلت
فداك أيها الأمير وسلطان الله عزيز ، ما هو إلا أن رأيتك غضبت فأرعدت
خصائلي ، واحزألت متعاصلي ، وأظلم بصصري ، ودارت بي الأرض . قال له

(١) ب : « طرده الخوف » . (٢) ر : « ويهدمه » .

الحجاج : أجل ، إن سلطان الله عزيز ، عدو فيها كنت فيه ، ففعل .
 وقال الحجاج وهو ذات يوم يسيرُ ومعه زياد بن جَرير بن عبد الله البَجَلِيّ
 وهو أعور ، فقال الحجاج للأريقط : كيف قلت لابن سَمُرّة ؟ قال : قلت :
 يا أعور العين فدَيْتُ العُوراً^(١) كنت حَسِبْتَ الخَنْدَقَ المحفوراً
 يرُدُّ عنك القدرَ المقسوداً ودائرات السوء أن تدورا
 وقد قيل : إن مهلك عبد الرحمن بن محمد كان في سنة أربع وثمانين . ١١٣٨/٢

* * *

[عزل يزيد بن المهلب عن خراسان]

وفي هذه السنة عزل الحجاج بن يوسف يزيد بن المهلب عن خراسان
 وولّاه المفضل بن المهلب أخا يزيد .

* ذكر السبب الذي من أجله عزله الحجاج عن خراسان واستعمل المفضل :

ذَكَرَ علي بن محمد ، عن المفضل بن محمد ، أن الحجاج وفد إلى
 عبد الملك ، فرّ في مُصْرَفِهِ بدير فنزله ، فقيل له : إن في هذا الدير
 شيخاً من أهل الكُتُب عالمًا ، فدعا به فقال : يا شيخ ، هل تجدون في
 كُتُبِكُمْ ما أنتم فيه ونحن ؟ قال : نعم ، نجد ما مضى من أمرِكُمْ وما أنتم فيه
 وما هو كائن ؛ قال : أفسمى أم موصوفًا ؟ قال : كل ذلك ؛ موصوف بغير
 اسم ، واسم بغير صفة ، قال : فما تجدون صفة أمير المؤمنين ؟ قال : نجده
 في زماننا الذي نحن فيه ؛ ملك أقرع ، من يقيم لسبيله يُصرع ، قال : ثم
 من ؟ قال : اسم رجل يقال له الوليد ، قال : ثم ماذا ؟ قال : رجل اسمه
 اسمُ نبيّ يفتح به على الناس ، قال : أفتعرفني ؟ قال : قد أخبرت بك .
 قال : أفتعلم ما ألي ؟ قال : نعم ، قال : فمن يليه بعدى ؟ قال : رجل
 يقال له يزيد ، قال : في حياتي أم بعد موتي ؟ قال : لا أدري ، قال : أفتعرف
 صفة ؟ قال : يغدر غدرة ؛ لا أعرف غير هذا . ١١٣٩/٢

قال : فَوَقَّعَ فِي نَفْسِهِ يَزِيدُ بْنُ الْمُهَلَّبِ ، وَارْتَحَلَ فَسَارَ سَبْعِمِائًا وَهُوَ وَجَلِيلٌ مِنْ قَوْلِ الشَّيْخِ ؛ وَقَدِمَ فَكَتَبَ إِلَى عَبْدِ الْمَلِكِ يَسْتَعْفِيهِ مِنَ الْعِرَاقِ ، فَكَتَبَ إِلَيْهِ : يَا بَنَ أُمَّ الْحِجَّاجِ ، قَدْ عَلِمْتُ الَّذِي نَغَزُو ، وَأَنْتَ تَرِيدُ أَنْ تَعْلَمَ رَأْيِي فِيكَ ، وَلَسَعَمْرَى إِنِّي لَأَرَى مَكَانَ نَافِعِ بْنِ عَسْكَمَةَ ، فَالَهُ عَنْ هَذَا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِمَا هُوَ آتٍ ؛ فَقَالَ الْفَرَزْدَقُ يَتَذَكَّرُ مَسِيرَهُ :

لَوْ أَنَّ طَيْرًا كُتِفَتْ مِثْلَ سَيْرِهِ إِلَى وَاسِطٍ مِنْ إِيْلِيَاءٍ لَمَلَّتْ (١)
سَرَى بِالْمَهَارِي مِنْ فِلَسْطِينَ بَعْدَمَا دَنَا اللَّيْلُ مِنْ شَمْسِ النَّهَارِ فَوَلَّتْ (٢)
فَمَا عَادَ ذَلِكَ الْيَوْمُ حَتَّى أَنَاخَهَا . بِمَيْسَانَ قَدْ مَلَّتْ سُرَاهَا وَكَلَّتْ (٣)
كَأَنَّ قُطَامِيًّا عَلَى الرَّحْلِ طَاوِيًّا إِذَا غَمْرَةُ الظُّلْمَاءِ عَنْهُ تَجَلَّتْ (٤)

قال فبيننا (٥) الحججاج يوماً خال (٦) إذ دعا عبيد (٧) بن موهب ، فدخل وهو ينكس في الأرض ، فرفع رأسه فقال : ويحك يا عبيد ! إن أهل الكتب يتذكرون أن ماتحت يدي يليه رجل يقال له يزيد ، وقد تذكرت يزيد بن أبي كبشة ، ويزيد بن حصين بن نمير ، ويزيد بن دينار ، فليسوا هناك ، وما هو إن كان إلا يزيد بن المهلب ؛ فقال عبيد : لقد شرفتهم وأعظمت (٨) ولايتهم ، وإن لم لعدداً وحكداً ، وطاعة وحظاً ، فأخلق به . فأجمع على عزل يزيد فلم يجد له شيئاً حتى قدم الخيار بن أبي سبرة بن ذؤيب بن عرفة بن محمد بن سفيان بن مجاشع — وكان من قرسان المهلب — وكان مع يزيد — فقال له الحججاج : أخبرني عن يزيد ، قال : حسن الطاعة ، لين السيرة ، قال : كذبت ، أصدقني عنه ، قال : الله أجل وأعظم ، قد أسرج ولم يلجم ، قال : صدقت ، واستعمل الخيار على عُمان بعد ذلك .

١١٤٠/٢

(١) ديوانه ١٣٧ .

(٢) الديوان : « قد حلت عراها وملت » .

(٣) الديوان : « قد حلت عراها وملت » .

(٤) ب : « خاليا » .

(٥) ب : « فبيننا » .

(٦) ب : « بمبيد » .

(٧) ب : « وعظمت » .

(٨) ب : « وعظمت » .

قال : ثم كتبت إلى عبد الملك يدمّ يزيد وآل المهلب بالزبيريّة ، فكتب إليه عبد الملك : إني لا أرى نقصاً بآل المهلب طاعتهم لآل الزبير ، بل أراه وفاء منهم لهم ، وإنّ وفاءهم لهم يدعوهم إلى الوفاء لي . فكتبت إليه الحجاج يخوفه غدراً لما أخبره به الشيخ . فكتب إليه عبد الملك : قد أكثرت في يزيد وآل المهلب ، فسمّ لي رجلاً يصلح لخراسان ؛ فسمّى له جماعة بن سمر السعدى ، فكتب إليه عبد الملك : إنّ رأيك الذى دعاك إلى استفساد آل المهلب هو الذى دعاك إلى جماعة بن سمر ، فانظر لي رجلاً صارماً ، ١١٤١/٢ ماضياً لأمرى ، فسمّى قتيبة بن مسلم ، فكتب إليه : ولّه . وبلغ يزيد أنّ الحجاج عزّله ، فقال لأهل بيته : من ترون الحجاج يولى خراسان ؟ قالوا : رجلاً من ثقيف ، قال : كلا ، ولكنه يكتب إلى رجل منكم بعهدته ، فإذا قدمت عليه عزّله وولى رجلاً من قيس ، وأخلق بقتيبة ! قال : فلما أذن عبد الملك للحجاج فى عزّله يزيد كره أن يكتب إليه بعزله ، فكتب إليه أن استخلف المفضل وأقبل . فاستشار يزيد حُضَيْنَ بن المنذر ، فقال له : أقم واعتلّ ، فإنّ أمير المؤمنين حسّن الرأى فيك ، وإنما أتيت من الحجاج ، فإنّ أقتى ولم تتعجل رجوت أن يكتب إليه أن يقرّ يزيد ، قال : إنّنا أهل بيت بُورِكَ لنا فى الطاعة ، وأنا أكره المعصية والخلاف ، فأخذ فى الجهّاز ، وأبطأ ذلك على الحجاج ، فكتب إلى المفضل : إني قد ولّيتك خراسان ، فجعل المفضل يستحثّ يزيد ، فقال له يزيد : إنّ الحجاج لا يقرّك بعدى ، وإنما دعاه إلى ما صنع مخافة أن أمتنع عليه ، قال : بل حسدتنى ، قال يزيد : يا بن بهلة ، أنا أحسدك ! ستعلم . وخرج يزيد فى ربيع الآخر سنة خمس وثمانين . فعزل الحجاج المفضل ، فقال الشاعر للمفضل وعبد الملك وهو أخوه لأمه :

يا بنى بهلة إنّما أخزأكما ربى غداة غدا الهمام الأزهر
أحفرتم لأخيكم فوقتم فى قعر مظلمة أحسوها المعور
جودوا بتوبة مخلّصين فإنما يابى ويأنف أن يتوب الأخر

وقال حُضَيْن ليزيد :

أمرتك أمراً حازماً فعصيتني فأصبحتَ مَسْلُوبَ الإِمَارَةِ نَادِماً
فما أنا بالبأكي عليكَ صَبَسَابَةً وما أنا بالدأعي لترجعَ سَالِماً
فلما قدم قتيبة خراسان قال لحضين : كيف قلت ليزيد ؟ قال : قلت :

أمرتكَ أمراً حازماً فعصيتني فَنَفْسُكَ أَوَّلُ اللُّؤْمِ إِنْ كُنْتَ لَأَمَّا
فإِنْ يَبْلُغُ الحِجَّاجَ أَنْ قَدْ عَصَيْتَهُ فإِنَّكَ تَلْقَى أَمْرَهُ مَتَّفَاقِماً

قال : فاذا أمرته به فعصاك ؟ قال : أمرته ألا يدع صفراء ولا
بيضاء إلا حملتها إلى الأمير ، فقال رجل لعياض بنِ حضين : أما أبوك
فوجدته قتيبة حين فره قارحاً بقوله : « أمرته ألا يدع صفراء ولا بيضاء
إلا حملها إلى الأمير » .

قال عليّ : وحدثنا كُتَيْبُ بنِ خَلَسَف ، قال : كتب الحجاج إلى يزيد
أن اغزو خوارزم ، فكتب إليه : أيها الأمير ، إنها قليلة السلب ، شديدة
الكتلب . فكتب إليه الحجاج : استخلف واقدم ، فكتب إليه : إني
أريد أن اغزو خوارزم . فكتب إليه : لا تغزها فإنها كما وصفت ؛ فغزا
ولم يقطع ، فصالحه أهل خوارزم ، وأصاب سببياً مما صالحوه ، وقتل
في الشتاء ، فاشتد عليهم البرد ، فأخذ الناس ثياب الأبرى فلبسوها ، مات
ذلك السبي من البرد . قال : ونزل يزيد بلستانة ، وأصاب أهل مرو
الروذ طاعون ذلك العام ، فكتب إليه الحجاج : أن اقدم ، فقدم ، فلم يمر
ببلد إلا فرشوا له الرياحين . وكان يزيد ولي سنة اثنتين وثمانين ، وعزل سنة خمس
وثمانين ، وخرج من خراسان في ربيع الآخر سنة خمس وثمانين ، وولى قتيبة .

١١٤٣/٢

وأما هشام بن محمد ، فإنه ذكر عن أبي مخنف في عزل الحجاج يزيد عن
خراسان سبباً غير الذي ذكره عليّ بن محمد ، والذي ذكر من ذلك عن
أبي مخنف أن أبا المخارق الراسبي وغيره حدثوه أن الحجاج لم يكن له حين
فرغ من عبد الرحمن بن محمد هم إلا يزيد بن المهلب وأهل بيته — وقد

كان الحجاج أذلّ أهل العراق كلّهم إلا يزيد وأهل بيته ومن معهم من أهل
المصّرّين بخُرّاسان ، ولم يكن يتخوف بعد عبد الرحمن بن محمد بالعراق
غير يزيد بن المهلب — فأخذ الحجاج في مواربة يزيد ليستخرجه من خُرّاسان ،
فكان يبعث إليه لياتيه ، فيعتلّ عليه بالعدوّ وحرب خُرّاسان ، فمكث
بذلك^(١) حتى كان آخر سلطان عبد الملك . ثمّ إنّ الحجاج كتب إلى عبد الملك
يشير عليه بعزل يزيد بن المهلب ، ويخبره بطاعة آل المهلب لابن الزبير ،
وأنه لا وفاء لهم ؛ فكتب إليه عبد الملك : إنّي لا أرى تقصيراً بولّد المهلب
طاعتهم لآل الزبير ووفاءهم لهم ، فإنّ طاعتهم ووفاءهم لهم ، هو دعاهم إلى
طاعتي والوفاء لي .

ثمّ ذكر بقيّة الخبر نحو الذي ذكره عليّ بن محمّد .

* * *

[غزو المفضّل باذغيس وأخرون]

وفي هذه السنة غزا المفضّل باذغيس ففتّحها .

* ذكر الخبر عن ذلك :

ذَكَرَ عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ ، عَنِ الْمُفْضَلِ بْنِ مُحَمَّدٍ ، قَالَ : عَزَلَ الْحَجَّاجُ
يَزِيدَ ، وَكَتَبَ إِلَى الْمُفْضَلِ بِوِلَايَتِهِ عَلَى خُرَّاسَانَ سَنَةَ خَمْسٍ وَثَمَانِينَ ، فَوَلِيَهَا
تِسْعَةَ أَشْهُرٍ ، فَغَزَا بِأَذْغِيسَ فَفَتَّحَهَا وَأَصَابَ مَغْنَمًا ، فَقَسَمَهَا بَيْنَ النَّاسِ ،
فَأَصَابَ كُلَّ رَجُلٍ مِنْهُمْ ثَمَانِمِائَةَ دِرْهَمٍ ، ثُمَّ غَزَا أَخْرُونَ وَشُومَانَ ، فَظَفِيرَ
وَعَسِيمٍ ، وَقَسَمَ مَا أَصَابَ بَيْنَ النَّاسِ ، وَلَمْ يَكُنْ لِلْمُفْضَلِ بَيْتَ مَالٍ ، كَانَ
يُعْطِي النَّاسَ كُلَّمَا جَاءَهُ شَيْءٌ ، وَإِنْ غَنِمَ شَيْئًا قَسَمَهُ بَيْنَهُمْ ، فَقَالَ كَعْبُ
الْأَشْقَرِيُّ يمدح المفضّل :

ترى ذا الغنى والفقر من كلِّ معشِرٍ^(٢) عَصَائِبَ شَتَّى يَنْتَوُونَ الْمُفْضَلَا
فمن زائرٍ يرجو فَوَاضِلَ سَبِيهِ وَأَخْرَ يَقْضِي حَاجَهُ قَدْ تَرَجَّلَا^(٣)

(٢) ب : « نرى ذا الغنى » .

(١) ب : « كذلك » .

(٣) ب : « ترجلا » .

إذا ما انتويننا غير أرضك لم نجد
 إذا ما عددنا الأكرمين ذوى النهى
 لعمرى لقد صال المفضل صولة
 ويوم ابن عباس تناولت مثلها
 صفت لك أخلاق المهلب كلها
 أبوك الذى لم يسع ساع كسعيه
 بها منتوى خيراً ولا متعللاً
 وقد قدموا من صالح كنت أولاً
 أباحت بشومان المناهل والكلأ
 فكانت لنا بين الفريقين فيصلاً
 وسرّيلت من مسعته ما تسربلاً
 فأورث مجدداً لم يكن متنجلاً^(١)

١١٤٥/٢

* * *

[خبر مقتل موسى بن عبد الله بن خازم بالترمذ]

وفي هذه السنة قتل موسى بن عبد الله بن خازم السلمي بالترمذ .
 * ذكر سبب قتله ومصيره إلى الترمذ حتى قتل بها :

ذكر أن سبب مصيره إلى الترمذ كان أن أباه عبد الله بن خازم لما قتل
 من قتل من بني تميم بفرستنا - وقد مضى ذكرى خبر قتله إيتاهم - تفرق
 عنه عظم من كان بى معه منهم ، فخرج إلى نيسابور وخاف بني تميم على
 نقله بمرو ، فقال لابنه موسى : حول ثقلى عن مرو ، واقطع نهر بلسخ حتى
 تلجأ إلى بعض الملوك أو إلى^(٢) حصن تقيم^(٣) فيه . فشخص موسى من
 مرو في عشرين ومائى فارس ، فأتى أملى وقد ضوى إليه قوم من الصعاليك ،
 فصار في أربعمائة ، وانضم إليه رجال من بني سليم ، منهم زُرعة بن علقمة ،
 فأتى زم فقاتلوه ، فظفر بهم وأصاب^(٤) مالا ، وقطع النهر ، فأتى بخارى
 فسأل صاحبها أن يلجأ إليه ، فأبى وخافه ، وقال : رجل فاتك ، وأصحابه
 مثله أصحاب حرب وشرب ، فلا آمنه . وبعث إليه بصلة عين ودواب
 وكسوة ، ونزل على عظيم من عظماء أهل بخارى في نوقان ، فقال له : إنه

١١٤٦/٢.

(٢) ب : « وإلى » .

(١) ب : « متخلا » .

(٣) ابن الأثير : « تقوم » .

(٤) ب : « فأصاب » .

لا خيرَ في المُقامِ في هذه البلاد ، وقد هابك القومُ وهم لا يأمَنونك . فأقام عند دهقان نوقان أشهراً ، ثم خرج يلتمس مليكاً يسلمجناً إليه أو حصناً ، فلم يأت بلداً إلا كسرها مقامه فيهم ، وسأله أن يخرج عنهم .

قال عليّ بن محمد: فأني سمرقند فأقام بها ، وأكرمه طرخونُ ملكها ، وأذن له في المُقام ، فأقام ما شاء الله ، ولأهل الصغد مائدةً يوضع عليها لحم ودك^(١) وخبز وإبريق شراب ، وذلك في كل عام يوماً ، يُجعل ذلك لفارس الصغد فلا يتقرّبه أحد غيره ، هو طعامه في ذلك اليوم ، فإن أكل منه أحدٌ غيره بارزه فأيهما قتل صاحبه فالمائدة له ، فقال رجلٌ من أصحاب موسى: ما هذه المائدة ؟ فأخبر عنها ، فسكت ، فقال صاحب موسى : لا تكن ما على هذه المائدة ، ولأبارزن فارس الصغد ، فإن قتلته كنت فارسهم . فجلس فأكل ما عليها ، وقيل لصاحب المائدة ، فجاء مغضباً ، فقال : يا عربى ، بارزنى ، قال : نعم ، وهل أريد إلا المبارزة ! فبارزه فقتله صاحب موسى ، فقال ملك الصغد: أنزلتكم وأكرمتمكم فقتلتم فارس الصغد ! لولا أنى أعطيتك وأصحابك الأمان لقتلتكم ، اخربوا عن بلدى ، ووصله . فخرج موسى فأنى كس فكاتب صاحب كس إلى طرخون يستنصره ، فأناه ، فخرج إليه موسى في سبعمائة فقاتلهم حتى أمسوا ، وتماجزوا وبأصحاب موسى جراح كثيرة ، فلما أصبح أمرهم موسى فحلّقوا رؤوسهم كما يصنع^(٢) الخوارج ، وقطعوا صفينات أخبيتهم كما يصنع العجم إذا استماتوا . وقال موسى لزرعة بن علقمة : انطلق إلى طرخون فاحتل له . فأناه ، فقال له طرخون: ليم صنع أصحابك ما صنعوا ؟ قال : استقتلوا فما حاجتك إلى أن تقتل أيتها الملك موسى وتقتل ! فإنك لا تصل إليه حتى يقتل مثل عدتهم منكم ، ولو قتلته وإياهم جميعاً ما نلت حظاً ، لأن له قناراً في العرب ، فلا يلي أحد خراسان إلا طالبتك بدمه ، فإن سلمت من واحد لم تسلم من آخر ، قال : ليس إلى ترك كس في يده سبيل ؛ قال : فكف عنه حتى

١١٤٧/٢

(١) لحم ودك : فيه دسم .

(٢) ب : « تصنع » .

يَرتَحِل ، فكف وأتى موسى الترميد وبها حصن يُشرف على النهر إلى جانب منه ، فنزل موسى على بعض دهاقين الترميد خارجاً من الحصن والدّهقان مُجانِب لِتَرميدشاه ، فقال لموسى : إنَّ صاحبَ التَرميد متكرّم شديدُ الحياء ، فإنَّ اللطفتَه^(١) وأهديت إليه أدخلك حصنَه ، فإنه ضعيف ، قال : كلاً ، ولكني أسأله أن يُدخِلني حصنَه ، فسأله فأبى ، فأكثَرَه موسى وأهدى له^(٢) والطفته ، حتى لطف الذي بينهما ، وخرج فتصيّد معه ، وكثر اللطاف موسى له ، فصنّع صاحبُ الترمذ طعاماً وأرسل إليه : إني أحبُّ أن أكرِمك ، فتغدّ عندى ، واثنتى فى مائة من أصحابك . فانتخب موسى من أصحابه مائة ، فدخلوا على خيولهم ، فلما صارت فى المدينة تصاهمت ، فتطير أهلُ الترمذ وقالوا لهم : انزلوا ، فنزلوا ، فأدخلوا بيناً ، خمسين فى خمسين ، وغدّوهم .

١١٤٨/٢

فلما فرغوا من الغداء اضطجع موسى ، فقالوا له : اخرج ، قال : لا أصيب منزلاً مثل هذا ، فلست بخارج منه حتى يكون بيتى أو قببرى . وقتلواهم فى المدينة ، فقتل من أهل الترمذ عدّة ، وهرب الآخرون فدخلوا متنازليهم ، وغلب موسى على المدينة ، وقال ليرميد شاه : اخرج ، فأبى لست أعرض لك ولا لأحد من أصحابك . فخرج المليك وأهل المدينة فأتوا الترك يستنصرونهم ، فقالوا : دخل إليكم مائة رجل فأخرجوكم عن بلادكم ، وقد قاتلناهم بكس ، فنحن لانقاتل هؤلاء . فأقام ابن خازم بالترميد ، ودخل إليه أصحابه ، وكانوا سبعمائة ، فأقام ، فلما قُتل أبوه انضم إليه من أصحاب أبيه أربعمائة فارس ، فقوى ، فكان يخرج فيغير على من حولته . قال : فأرسل الترك قوماً إلى أصحاب موسى ليعلموا علمه ، فلما قدّموا قال موسى لأصحابه : لا بدّ من مكيدة هؤلاء — قال : وذلك فى أشدّ الحرّ — فأمر بنار فأججّت ، وأمر أصحابه فلبسوا ثياب الشتاء ، ولبسوا فوقها لُبوداً ، ومدّوا أيديهم إلى النار كأنهم يسطكون . وأذن موسى للترك فدخلوا ، ففزعوا ممّا رأوا ، وقالوا :

١١٤٩/٢

(١) ب : « لطفته » .

(٢) ب : « إليه » .

لِمَ صَنَعْتُمْ هَذَا ؟ قَالُوا : نَجِدُ الْبَرْدَ فِي هَذَا الْوَقْتِ ، وَنَجِدُ الْحَرَّ فِي الشِّتَاءِ ، فَرَجَعُوا وَقَالُوا : جِنٌّ لَا نُقَاتِلُهُمْ . قَالَ : وَأَرَادَ صَاحِبُ التَّرْكِ أَنْ يَغْزُوَ مُوسَى ، فَوَجَّهَ إِلَيْهِ رُسُلًا ، وَبَعَثَ بِسَمِّ وَنَشَابِ فِي مَسْكِ ، وَإِنَّمَا أَرَادَ بِالسَّمِّ أَنْ حَرِبَهُمْ شَدِيدَةً ، وَالنَّشَابِ الْحَرْبَ ، وَالْمَسْكَ السَّلْمَ ، فَاخْتَرَهُ الْحَرْبَ أَوْ السَّلْمَ ، فَأَحْرَقَ السَّمَّ ، وَكَسَرَ النَّشَابَ ، وَنَبَذَ الْمَسْكَ ، فَقَالَ الْقَوْمُ : لِمَ يَرِيدُوا الصَّلْحَ ، وَأَخْبِرَ أَنْ حَرِبَهُمْ مِثْلَ النَّارِ ، وَإِنَّهُ يَكْسِرُنَا ، فَلَمْ يَغْزُهُمْ .

قال : فولى بُكَيْرُ بْنُ وَشَّاحٍ خُرَّاسَانَ فَلَمْ يَتَعَرَّضْ لَهُ ، وَلَمْ يُوَجِّهْ إِلَيْهِ أَحَدًا ، ثُمَّ قَدِمَ أُمِيَّةٌ ^(١) فَسَارَ بِنَفْسِهِ يَرِيدُهُ ، فَعَاثَتْهُ بِكَيْرٍ ، وَخَلَعَ ، فَرَجَعَ إِلَى مَرُو ، فَلَمَّا صَالَحَ أُمِيَّةٌ بِكَيْرًا أَقَامَ عَامَتَهُ ذَلِكَ ، فَلَمَّا كَانَ فِي قَابِلٍ وَجَّهَهُ إِلَى مُوسَى رَجُلًا مِنْ خُرَّاعَةَ فِي جَمْعٍ كَثِيرٍ ، فَعَادَ أَهْلُ التَّرْمِذِ إِلَى التَّرْكِ فَاسْتَنْصَرُوهُمْ فَأَبَوْا ، فَقَالُوا لَهُمْ : قَدْ غَزَاهُمْ قَوْمٌ مِنْهُمْ وَحَصَرُوهُمْ ، فَإِنْ أَعْنَاهُمْ عَلَيْهِمْ ظَفِيرُنَا بِهِمْ . فَسَارَتِ التَّرْكُ مَعَ أَهْلِ التَّرْمِذِ فِي جَمْعٍ كَثِيرٍ ، فَأَطَافَ بِمُوسَى التَّرْكُ وَالْخُرَّاعِيَّ ، فَكَانَ يُقَاتِلُ الْخُرَّاعِيَّ أَوَّلَ النَّهَارِ وَالتَّرْكَ آخِرَ النَّهَارِ ، فَقَاتَلَهُمْ شَهْرَيْنِ أَوْ ثَلَاثَةَ ، فَقَالَ مُوسَى لِعَمْرُو بْنِ خَالِدِ بْنِ حَصِينِ ^(٢) الْكَلَابِيِّ - وَكَانَ فَارِسًا : قَدْ طَالَ أَمْرُنَا وَأَمْرُهُؤَلَاءِ ، وَقَدْ أَجْمَعْتُ أَنْ أُبَيِّتَ عَسْكَرَ الْخُرَّاعِيَّ ، فَإِنَّهُمْ لِلْبَيَاتِ آمِنُونَ ، فَمَا تَرَى ؟ قَالَ : الْبَيَاتُ نَعْمًا هُوَ ، وَلِيَكُنْ ذَلِكَ بِالْعَجَمِ ، فَإِنَّ الْعَرَبَ أَشَدَّ حَذَرًا ، وَأَسْرَعَ فَتْرَعًا ، وَأَجْبَرًا عَلَى اللَّيْلِ مِنَ الْعَجَمِ ، فَبَيَّسْتُهُمْ فَلِئِنْ أَرَجَوُ أَنْ يَنْصَرِنَا اللَّهُ عَلَيْهِمْ ، ثُمَّ نَنْفِرَدَ لِقِتَالِ الْخُرَّاعِيَّ فَنَحْنُ فِي حِصْنٍ وَهُمْ بِالْعَرَاءِ ، وَلَيْسُوا بِأَوْلَى بِالصَّبْرِ ، وَلَا أَعْلَمُ بِالْحَرْبِ مِنَّا . قَالَ : فَأَجْمَعَ مُوسَى عَلَى بَيَاتِ التَّرْكِ ، فَلَمَّا ذَهَبَ مِنَ اللَّيْلِ ثُلُثُهُ خَرَجَ فِي أَرْبَعِمِائَةٍ ، وَقَالَ لِعَمْرُو بْنِ خَالِدٍ : اخْرُجُوا بَعْدَنَا وَكُونُوا مِنَّا قَرِيبًا ؛ فَإِذَا سَمِعْتُمْ تَكْبِيرَنَا فَكَبِّرُوا ، وَأَخِذْ عَلَى شَاطِئِ النَّهْرِ حَتَّى ارْتَفَعَ فَوْقَ الْعَسْكَرِ ، ثُمَّ أَخِذْ مِنْ نَاحِيَةِ كَفْتَانِ ، فَلَمَّا قَرُبَ مِنْ عَسْكَرِهِمْ جَعَلَ أَصْحَابُهُ أَرْبَاعًا ، ثُمَّ قَالَ : أَطِيفُوا بِعَسْكَرِهِمْ ؛ فَإِذَا سَمِعْتُمْ تَكْبِيرَنَا فَكَبِّرُوا ، وَأَقْبَلْ

(١) هو أمية بن عبدالله بن خالد بن الوليد .

(٢) ب ، ر : « حصن » .

وقدّم عمرًا بين يديه ومشّوا خلفه ، فلما رأته أصحاب الأرصّاد قالوا : من أنتم ؟ قالوا : عابري سبيل .

قال : فلما جازوا الرّصد تفرّقوا وأطافوا بالعسكر وكبّروا ، فلم يشعر الترك إلا بوقوع السيوف ، فثاروا يقتل بعضهم بعضًا وولّوا ، وأصيب من المسلمين ستّة عشر رجلًا ، وحوّوا عسكرهم وأصابوا سلاحًا ومالًا ، وأصبح الخزاعي وأصحابه قد كسرهم ذلك^(١) ، وخافوا مثلها من البيّات ، فتحذّروا^(٢) . فقال لموسى عمرو بن خالد : إنك لا تنظف^(٣) إلا بمكيّدة^(٤) ولم أمداد وهم يكثرن ، فدعنى آتيم لعلّى أصيب من صاحبهم فرصة ؛ إني^(٥) إن خلوتُ به قتلته ، فتناولنى بضرب ، قال : تتعجّل الضرب وتعرض للقتل ! قال : أما التعرّض للقتل فأنا كلّ يوم متعرّض له ، وأما الضرب فما أينسره في جنب ما أريد . فتناولته بضرب ؛ ضربه خمسين سوطًا ، فخرج من عسكر موسى فأتى عسكر الخزاعي مستأمنًا وقال : أنا رجل من أهل اليمّين كنتُ مع عبد الله بن خازم ، فلما قُتِلَ أُنيتُ ابنه فلم أزل معه ، وكنتُ أوّل من أتاه ، فلما قدمت اتهمتني ، وتعصّب علىّ ، وتنكّر لى وقال لى : قد تعصبت لعدونا ، فأنت عينٌ له ، فضربنى ، ولم آمن القتل ، وقُلت : ليس بعد الضرب إلا القتل ؛ فهربت منه ، فأمنه الخزاعي وأقام معه .

قال : فدخل يومًا وهو خال ولم يترّ عنده سلاحًا ، فقال كأنه ينصّح له : أصلحك الله ! إن مثلك في مثل حالك لا ينبغي أن يكون في حال من أحواله بغير سلاح ، فقال : إنّ معى سلاحًا ، فرفع صدر فراشه فإذا سيفٌ منتضى ، فتناوله عمرو فضربته فقتله ، وخرج فركب فرسه ، ونسّروا به بعد ما أمعن ، فطلبوه فقاتهم ، فأتى موسى وتفرّق ذلك الجيش ، فقطع بعضهم النهر ، وأتى بعضهم موسى مستأمنًا ، فأمنه ، فلم يوجه إليه أميّة أحدًا . قال : وعزّل أميّة ، وقدّم المهلب أميرًا ، فلم يعرض لابن خازم ،

(١) ب : « ذلك » .

(٢) ب : « إنكم لا تظفرون » .

(٣) ب : « فاني » .

(٤) ب : « لمكيّدة » .

(٥) ب : « فاني » .

وقال لبيته : إياكم وموسى ، فإنكم لا تزالون ولادة هذا الثغرما أقام هذا الثظ^(١) ١١٥٢/٢
بمكانه ، فإن قُتِلَ كان أول طالع عليكم أميراً على خراسان رجل من
قيس . فمات المهلب ولم يوجه إليه أحداً ، ثم تولى^(٢) يزيد بن المهلب فلم
يعرض له . وكان المهلب ضرب حريث بن قُطَيْبَةَ الخُزَاعِيَّ ، فخرج هو
وأخوه ثابت إلى موسى ، فلما ولي يزيد بن المهلب أخذ أموالهما وحرمتهما
وقتل أخاهما لأمهما ؛ الحارث بن مُنْقِذٍ ، وقتل صِهْرًا لهما كانت عنده
أم حفص ابنة ثابت ، فبانتغهما ما صنع يزيد .

قال : فخرج ثابت إلى طَرْخُونٍ فَشَسِكَا إليه ما صنع به - وكان ثابت
محبباً في العَجَمِ ، بعيد الصوت ، يعظمونه ويثقون به ، فكان الرجل منهم
إذا أعطى عهداً يريد الوفاء به حلف بحياة ثابت فلا يتغير - فغضب له
طَرْخُونُ وجمع له نيزك والسبيل وأهل بخارى والصغانيان ، فقددوا مع
ثابت إلى موسى بن عبد الله ، وقد سقط إلى موسى قتل عبد الرحمن بن العباس
من هرة ، وقل ابن الأشعث من العراق ومن ناحية كابل ، وقوم من بني
تميم من كان يقاتل ابن خازم في الفتنة من أهل خراسان ، فاجتمع إلى موسى
ثمانية آلاف من تميم وقيس وربيعة واليمن ، فقال له ثابت وحريث : سر
تقطع النهر فتخرج يزيد بن المهلب عن خراسان ؛ ونوليك ، فإن طَرْخُونُ
ونيزك والسبيل وأهل بخارى معك ، فهم أن يفعل ، فقال له أصحابه : ١١٥٣/٢
إن ثابتاً وأخاه خائفان ليزيد ، وإن^(٣) أخرجت يزيد عن خراسان وأمننا توليا
الأمر وغلبناك على خراسان ، فأقم مكانك . فقبل رأيهم ، وأقام بالترمذ .
وقال لثابت : إن أخرجنا يزيد قدّم عامل لعبد الملك ، ولكننا نخرج عمال
يزيد من وراء النهر مما يلينا ، وتكون هذه الناحية لنا نأكلها . فرضى ثابت
بذلك ، وأخرج من كان من عمال يزيد من وراء النهر ، وحملت إليهم
الأموال ، وقوى أمرهم وأمر موسى ، وانصرف طرخون ونيزك وأهل بخارى والسبيل
إلى بلادهم ، وتسدبير الأمر لحريث وثابت ، والأمير موسى ليس له غير الاسم ،

(١) الثظ : الثقيل البطن ، أو الكويج الذي عرى وجهه من الشعر .

(٢) ر : « ولي » ، س : « نزل » . (٣) ب : « فإن » .

فقال لموسى أصحابه : لسنا نرى من الأمر في يدك شيئاً أكثر من اسم الإمارة ، فأما التدبير فلحريث وثابت ، فاقتلُهما وقول الأَمْر . فأبى وقال : ما كنت لأغدر بهما وقد قويا أمرى ، فحسدُوهما وألحوا على موسى في أمرهما حتى أفسدوا قلبه ، وخوفوه غدرَهما ، وهم بما تبعتهم على الوثوب بثابت وحريث . واضطرب أمرهم ؛ فإنهم لفي ذلك إذ خرجت عليهم الهياطلة والتببت والتُرك ، فأقبلوا في سبعين ألفاً لا يعدون الخاسر ولا صاحب بيضة جماء ، ولا يعدون إلا صاحب بيضة ذات قونس . قال : فخرج ابن خازم إلى ربض المدينة في ثلثمائة راجل وثلاثين مجنفاً ، وألقى له كرسى فقعد عليه . قال : فأمر طرخون أن ينلم^(١) حائط الرُبض ، فقال موسى : دعوهم ، فهدموا ودخل أوائلهم ، فقال : دعوهم يكثرن ، وجعل يقلب طبرزيناً بيده ، فلما كثروا قال : الآن امنعهم ، فركب وحمل^(٢) عليهم فقاتلهم حتى أخرجهم عن الثلثة ، ثم رجع فجلس على الكرسى وذمر الملك أصحابه ليعودوا ، فأبتوا ، فقال لفرسانه : هذا الشيطان ، من سره أن ينظر إلى رسم فلينظر إلى صاحب الكرسى ، فن أبى فليقدم عليه . ثم تحولت الأعاجم إلى رُستاق كفتان . قال : فأغاروا على سرح موسى ، فاغتم ولم يطم ، وجعل يعبث بلحيته ، فسار ليلاً على نهر في حافسته^(٣) نبات لم يكن فيه ماء ، وهو يفضي إلى خند قهم ، في سجمائة ، فأصبحوا عند عسكرهم ، وخرج السرح فأغار عليه فاستاقه ، وأتبعه قوم منهم ، فعطف عليه سوار ، مولى لموسى ، فطعن رجلاً منهم فصرعه ، فرجعوا عنهم وسلم موسى بالسرح . قال : وغاداهم العجم القتال ، فوقف ملكهم على تل في عشرة آلاف في أكمل عُدّة ، فقال موسى : إن أزلتم هؤلاء فليس الباقيون بشيء . فقصدهم حريث بن قُطبة فقاتلهم صدر النهار ، وألح عليهم حتى أزالوهم عن التل ، ورعى يومئذ حريث بشبابه في جبهته ، فتحاجزوا ، فبستهم موسى ، وحمل أخوه خازم بن عبد الله بن خازم حتى وصل إلى شمة ملكهم ،

١١٥٤/٢

(٢) ب : « وركب فحمل » .

(١) ب : « يستلم » .

(٣) ب : « ناحيته » .

فوجاً رجلاً منهم بقسيبة^(١) سيفه ، فطعن فرسه . فاحتمله فألقاه في نهر
بسلخ فغرق ، وعليه درعان ، فقتل العجم قتلاً ذريعاً ، ونجا منهم من
نجا بشر ، ومات حرث بن قطبة بعد يومين ، فدُفن في قبته .

١١٥٥/٢

قال : وارتحل موسى ، وحملوا الرعوس إلى الترمذ ، فبنوا من تلك الرعوس
جوسسقين ، وجعلوا الرعوس يقابل بعضها بعضاً . وبلغ الحجاج خبر الواقعة ،
فقال : الحمد لله الذي نصر المنافقين على الكافرين ، فقال أصحاب موسى :
قد كُفينا أمر حرث ، فأرحنا من ثابت ، فأبى وقال : لا . وبلغ ثابتاً بعض
مايخوضون فيه ، فدرس محمد بن عبد الله بن مرثد الخزاعي ، عم نصر بن
عبد الحميد عامل أبي مسلم على الرى - وكان في خدمة موسى بن عبد الله - وقال
له : إياك أن تتكلم بالعربية ، وإن سألك من أين أنت ! فقل : من سبى
البايان^(٢) ، فكان يسخدم موسى وينقل إلى ثابت خبرهم ، فقال له :
تحفظ ما يقولون . وحذر ثابت فكان لا ينام حتى يرجع الغلام ، وأمر قوماً
من شاكريته يحرسونه ويبثون عنده في داره ، ومعهم قوم من العرب ،
وألح القوم على موسى فأضجروه ، فقال لهم ليلة : قد أكثرتم على ، وفيم تريدون
هلاكتكم ، وقد أبرمتموني افعلى أى وجه تفتكون به ، وأنا لا أغدير به ! فقال
نوح بن عبد الله أخو موسى : خكنا وإياه ، فإذا غدا إليك غدة عدلنا به
إلى بعض الدور ، فضربنا عنقه فيها قبل أن يصل إليك ، قال : أما والله
إنه لهلاككم ، وأنتم أعلم - والغلام يسمع - فأتى ثابتاً فأخبره ، فخرج من
ليلته في عشرين فارساً ، فضى وأصبحو وقد ذهب فلم يدروا من أين أتوا ،
وفقدوا الغلام ، فعلموا أنه كان عينا له عليهم ، ولحق ثابت بحشورا فنزل
المدينة ، وخرج إليه قوم كثير من العرب والعجم ، فقال موسى لأصحابه :
قد فتحتم على أنفسكم باباً فسدوه ، وسار إليه موسى^(٣) ، فخرج إليه ثابت
في جمع كثير فقاتلهم ، فأمر موسى بإحراق السور ، وقتلتهم حتى أبلثوا
ثابتاً وأصحابه إلى المدينة ، وقتلهم عن المدينة .

١١٥٦/٢

(١) القيمة : ما يكون على طرف مقبص السيف ، تكون من فضة أو حديد .

(٢) ر : « البايان » .

(٣) ب : « موسى إليه » .

فأقبل رقية بن الحر العسبري حتى اقتحم النار^(١)؛ فانتهى إلى باب المدينة ورجل من أصحاب ثابت واقفٌ يحمي أصحابه ، فقستله ، ثم رجع فخاص النار وهي تلتهب ، وقد أخذت بجوانب تمتط عليه ، فرمى به عنه ووقف ، وتحصن ثابت في المدينة ، وأقام موسى في الربض ، وكان ثابت حين شذخص إلى حشورا أرسل إلى طرنخون ، فأقبل طرنخون مُعينًا له ، وبلغ موسى مجيء طرنخون ، فرجع إلى الترمذ ، وأعانه أهل كيس ونسّف وبُخارى ، فصار ثابت في ثمانين ألفًا ، فحصرّوا موسى وقطعوا عنه المادة حتى بجهدوا .

قال : وكان أصحابُ ثابت يسعون نهرًا إلى موسى بالنهار—ثم يرجعون بالليل إلى عسكرهم ، فخرج يومًا رقية — وكان صديقًا لثابت ، وقد كان ينهى أصحاب موسى عما صنعوا — فنادى ثابتًا ، فبرّر له — وعلى رقية قباء خنز — فقال له : كيف حالك يا رقية ؟ فقال : ما تسأل عن رجل عليه جبّة خنز في حمارّة القسيظ ! وشكا إليه حالهم ، فقال : أنتم صنعتم هذا بأنفسكم ، فقال : أما والله ما دخلت في أمرهم ، ولقد كرهت ما أرادوا ، فقال ثابت : أين تكون حتى يأتيتك ما قدّر لك ؟ قال : أنا عند المُحلّ الطفاوى — رجلٌ من قيس من يعصّر — وكان المُحلّ شيخًا صاحب شراب — فنزل رقية عنده .

١١٥٧/٢

قال : فبعث ثابت إلى رقية بخمسمائة درهم مع علي بن المهاجر الخزاعي ، وقال : إن لنا تجارًا قد خرجوا من بلخ ، فإذا بلغك أنهم قد قدّوا فأرسل إلى تأتيك حاجتُك . فأتى علي باب المُحلّ ، فدخل فإذا رقية والمُحلّ جالسان بينهما جفنته فيها شراب ، وخرانٌ عليه دجاج وأرغفة ، ورقية شعث الرأس ، متوشّح بملحفة حمراء ، فدفع إليه الكيس ، وأبلغته الرسالة وما كلمه ، وتناول الكيس وقال له بيده ، اخرج ، ولم يكلمه . قال : وكان رقية جسيماً كبيراً ، غائر العينين ، نائى الوجنتين ، مفلج ، بين كل سنين له موضع سن ، كأن وجهه تُرس .

قال : فلما أضاق أصحابُ موسى واشتدَّ عليهم الحصارُ قال يزيدُ بنُ هزِيل : إنما مقامُ هؤلاء مع ثابتٍ والقستلُ أحسنُ من الموتِ جوعاً ، والله لأفتكنَّ بِنابتٍ أو لأموتنَّ . فخرج إلى ثابتٍ فاستأمنه ، فقال له ظهير : أنا أعرفُ بهذا منك ، إن هذا لم يأتِكَ رغبةٌ فيكَ ولا جزعاً لك ، ولقد جاءك بغدرةٌ ، فاحذره ونحلتني وإياه ، فقال : ما كنتُ لأقدم على رجلٍ أتاني ، لا أدرى أكذلك هو أم لا . قال : فدعني أرتهن منه رهناً ، فأرسل ثابتٌ إلى يزيدٍ فقال : أما أنا فلم أكن أظنُّ رجلاً يتغدر بعد ما يسأل الأمان ، وابنُ عمِّك أعلم بك مني ، فانظر ما يعاملك عليه ، فقال يزيد لظهير : أبيت يا أبا سعيد إلا حسدًا قال : أما يكتفيك ما ترى من الذلِّ ا تشردتُ عن العراق وعن أهلي ، وصرتُ بخُرَّاسان فيما ترى ، أفما تعطفك الرَّحْمُ ا فقال له ظهير : أما والله لو تركتُ ورأيتُ فيكَ لما كان هذا ، ولكن أرهنا ابنيتك قدامة والضحاك . فدفعهما^(١) إليهم ، فكانا في يدي ظهير .

١١٥٨/٢

قال : وأقام يزيدُ يَلتَمِسُ غيرةَ ثابتٍ ، لا يتقدَّر منه على ما يريد ، حتى مات ابنُ لزياد القصير الخزاعي ، أتى أباه نعيه من مرو ، فخرج متفضلاً إلى زياد ليعزيه ، ومعه ظهير ورهطٌ من أصحابه ، وفيهم يزيد بن هزِيل ، وقد غابت الشمس ، فلما صار على نهر الصغانيان تأخر يزيدُ بن هزِيل ورجلان معه ، وقد تقدم ظهير وأصحابه ، فدنا يزيد من ثابتٍ فضربه فعضَّ السيف برأسه ، فوصل إلى الدماغ . قال : ورمى يزيد وصاحبه بأنفسهم في نهر الصغانيان ، فرمواهم ، فنجى يزيدُ سباحةً وقتل صاحبه ، وحمل ثابتٌ إلى منزله ، فلما أصبح طرَّخون أرسل إلى ظهير : ائمني بابنِّي يزيد ، فأثاه بهما ، فقدم ظهيرُ الضحاك بن يزيد فقتله ، ورمى به وبرأسه في النهر ، وقدم قدامة ليقبله ، فالتفت فوقَّع السيف في صدره ، ولم يبسن ، فألقاه في النهر حياً فغرق ، فقال طرخون : أبوهما قتلها وغدره . فقال يزيد بن هزِيل : لأقتلن يابنِّي كلَّ خزاعي بالمدينة ، فقال له عبد الله بن بُدَيْل بن عبد الله بن بُدَيْل بن ورفاء — وكان ممن أتى موسى من قتل ابن الأشعث :

(١) ب « فدفعهم » .

لورُمْتَ ذَاكَ مِنْ خُرْزَاعَةَ لَتَصْعُبَ عَلَيْكَ . وعاش ثابت سبعة أيام ثم مات . وكان يزيدُ بن هزِيلُ سخياً شجاعاً شاعراً ، ولي أَيْسَامُ ابن زياد جزيرةَ ابن كاوان ، فقال :

١١٥٩/٢

قد كنتُ أدعو الله في السرِّ مخلصاً ليُمكِّنني من جزيرةٍ ورجالٍ^(١)
فأتركُ فيها ذِكْرَ طَلْحَةَ خاملاً ويُحمَدُ فيها نائلي وفعالي

قال : فقام بأمرِ العَجَمِ بعد موتِ طَرْنُخُونِ ، وقام ظُهَيْرُ بأمرِ أصحابِ ثابت ، فقاما قياماً ضعيفاً ، وانتَشَرَ أمرُهُم ، فأجمع موسى على بياتِهِم ، فجاء رجلٌ فأخبرَ طَرْنُخُونِ ، فضحك وقال : موسى يسهجُ أن يدخل متوضئاً ، فكيف يبيئتنا ! لقد طار قلبك ، لا يحرسن الليلة أحدٌ العسكِرَ . فلما ذهب من الليل ثلثه خرج موسى في ثمانمائة قد عبأهم من النهار ، وصيرهم^(٢) أرباعاً . قال : فصير على رُبْعِ رَقَبَةِ بن الحرِّ وعلى رُبْعِ أخاه نُوحِ بن عبد الله بن خازم ، وعلى رُبْعِ يزيدِ بن هزِيلِ ، وصار هو في ربع ، وقال لهم : إذا دخلتم^(٣) عسكرهم ففتروا ، ولا يمرن أحدٌ منكم بشيء إلا ضربه ، فدخلوا عسكرهم من أربع نواحٍ لا يمرن بدابةً ولا رجل ولا خيابةً ولا جوالق إلا ضربوه . وسمع الوجبة نيزك فلبس سلاحه ، ووقف في ليلة مظلمة ، وقال لعلي بن المهاجر الخُرْزاعي : انطلق لي طَرْنُخُونِ فأعلمه موقفي ، وقل له : ما ترى أعمل به ، فأتى طَرْنُخُونِ ، فإذا هو في فَاذَةِ^(٤) قاعدٍ على كرسى وشاكِرِيته قد أوقدوا النيران بين يديه ، فأبلغه رسالة نيزك ، فقال : اجلس ، وهو طامح ببصره نحو العسكر والصوت ، إذا أقبل محميةُ السُّلَمِيّ وهو يقول : «حم لا يُنصرون» ، ففتفرق في الشاكرية ، ودخل محميةُ الفَاذَةِ ، وقام إليه طَرْنُخُونِ فبدره فصرَّبه ، فلم يُغن شيئاً ، قال : وطعننه طَرْنُخُونِ بذياب السيف في صدره فصرَّعه ، ورجع إلى الكرسى فجلس عليه ، وخرج محميةً يعدو .

١١٦٠/٢

(١) ب ، ر : « حربه وحلالى » . (٢) ب : « وميزهم » .

(٣) ب : « ادخلوا » . (٤) الفَاذَةُ : مظلة تمد بعمود .

قال : ورجعت الشاكرية ، فقال لهم طرّخون : فرّرتم من رجل ! أرايتم لو كان ناراً هل كانت تحرق منكم أكثر من واحد ! فما فرغ من كلامه حتى دخل جواريه الفازة ، ونحرج الشاكرية هراً ، فقال للجوارى : اجلسن ، وقال لعلّى بن المهاجر : قم ، قال : فخرجنا فإذا نوح بن عبد الله ابن خازم في السرداق ، فتجاوآ ساعة ، واختلّفا ضربتين ، فلم يصنعا شيئاً ، وولّى نوح وأتبعه طرّخون ، فطعن فرس نوح في خاصرته فشسب ، فسقط نوح والفرس في نهر الصغانيان ، ورجع طرّخون وسيفه يقطر دماً ، حتى دخل السرداق وعلى بن المهاجر معه ، ثم دخلا الفازة .

وقال طرّخون للجوارى : ارجعن ، فرجعن إلى السرداق ؛ وأرسل طرخون إلى موسى : كُف أصحابك ؟ فإننا نرتحل إذا أصبحنا ، فرجع موسى إلى عسكره ، فلما أصبحوا ارتحل طرّخون والعجم جميعاً ، فأتى كل قوم بلادهم . قال : وكان أهل خراسان يقولون : ما رأينا مثل موسى ابن عبد الله بن خازم ، ولا سمعنا به ، قاتل مع أبيه سنتين ، ثم خرج يسير في بلاد خراسان حتى أتى ملكاً فكتبه على مدينته وأخرجته منها ، ثم سارت إليه الجنود من العرب والترك فكان يُقاتل العرب أول النهار والعجم آخر النهار ، وأقام في حصنه خمس عشرة سنة ، وصار ما وراء النهر لموسى ، لا يُعازّه فيه أحد .

١١٦١/٢

قال : وكان بقوميس رجل يُقال له عبد الله ، يجتمع إليه فتيان يتنادون عنده في مؤونته ونفقتته ، فلزمه دين ، فأتى موسى بن عبد الله ، فأعطاه أربعة آلاف ، فأتى بها أصحابه ، فقال الشاعر يُعاتب رجلاً يُقال له موسى :

فما أنت موسى إذ يُناجى إلهه ولا واهب القينات موسى بن خازم
قال : فلما عزل يزيد وولّى المفضل خراسان أراد أن يحظى عند
الحجاج بقتال موسى بن عبد الله ، فأخرج عثمان بن مسعود - وكان يزيد
حبسه - فقال : إني أريد أن أوجهك إلى موسى بن عبد الله ، فقال : والله
لقد وترتني ، وإني لثائر بابن عمي ^(١) ثابت وبالخراسي ، وما يد أبئك

وأخيك عندي وعند أهل بيتي بالحسنة ، لقد حبستموني وشردتني بني عمي ، واصطفيتهم أمواهم . فقال له المفضل : دَعُ هذا عنك ، وسرُّ فأدرك بئارك ، فوجهه في ثلاثة آلاف ، وقال له : مرُّ منادياً فليناد : مَنْ لحق بنا فلته ديوان ، فنادى بذلك في السوق ، فسارع إليه الناس . وكتب المفضل إلى مدرك وهو بسبيل أن يسير معه ، فخرج ، فلما كان ببلخ خرج ليلة يطوف في العسكر ، فسمع رجلاً يقول : قتلته والله ، فرجع إلى أصحابه ، فقال : قتلْتُ موسى ورب الكعبة !

١١٦٢/٢

قال : فأصبح فسار من بلخ وخرج مدرك معه مُتثاقلاً ، فقطع النهر فنزل جزيرة بالترمذ يقال لها اليوم جزيرة عمان - لنزول عمان بها في خمسة عشر ألفاً - وكتب إلى السبيل وإلى طرخون فقدموا عليه ، فحاصروا موسى ، فضيقوا عليه وعلى أصحابه ، فخرج موسى ليلاً فأتى كفتان ، فامتار منها ، ثم رجع فكث شهرين في ضيق ، وقد خشدت عمان وحذر البيئات ، فلم يتقدّر موسى منه على غيرة ، فقال لأصحابه : حتى متى ! انخرجوا بنا فاجعلوا يومكم ؛ إما ظفرتم وإما قتلتم . وقال لهم : اقصدوا للصغد والترك ، فخرج وخلف النضر بن سليمان بن عبد الله بن خازم في المدينة ، وقال له : إن قتلْتُ فلا تدفن المدينة إلى عمان ، وادفعها إلى مدرك بن المهلب . وخرج فصير ثلث أصحابه بإزاء عمان وقال : لا تهايجوه إلا أن يقاتلكم ، وقصد لطرخون وأصحابه ، فصعد قوهم ، فانهزم طرخون والترك ، وأخذوا عسكرهم فجعلوا ينقلونه ، ونظر معاوية بن خالد بن أبي برزة إلى عمان وهو على بردون لخالد بن أبي برزة الأسلمي ، فقال : انزل أيها الأمير ، فقال خالد : لا تنزل فإن معاوية مشوم . وكرت الصغد والترك (١) راجعة ، فحالوا بين موسى وبين الحصن ، فقالت لهم ، فعقر به فسقط ، فقال لمولى له : احملني ، فقال : الموت كبريه ، ولكن ارتد ، فإن نجونا نجونا جميعاً ، وإن هلكنا هلكنا جميعاً . قال : فارتد ، فنظر إليه عمان حين رتب فقال : وثبة موسى ورب الكعبة ! وعليه مغفر له مؤشئ بخز أحمر

١١٦٣/٢

(١) ب : « الترك والصغد » .

في أعلاه^(١) يا قوتة اسما نَجُونِيَّةً ، فخرج من الخندق فكشسقا أصحاب موسى .
فقصد لموسى ، وعثرت دابة موسى فسقط هو ومولاه ، فابتدروه فانطروا
عليه فقتلوه ، ونادى منادى عثمان : لا تقتلوا أحداً ، من لقيتموه فخذوه
أسيراً .

قال : فتفرق أصحاب موسى ، وأسير منهم قومٌ ، فعرضوا على عثمان ،
فكان إذا أتى بأسير من العرب قال : دماؤنا لكم حلال ، ودماؤكم علينا
حرام ! ويأمر بقتله ، وإذا أتى بأسير من الموالى شتمته ، وقال : هذه العرب
تقاتلني ، فهتلاً غضبت لي ! فيأمر به فيشده . وكان فظاً غليظاً ، فلم
يسلم عليه يومئذ أسيراً إلا عبد الله بن بُدَيْل بن عبد الله بن بُدَيْل بن
ورقاء ؛ فإنه كان مولاه ، فلما نظر إليه أعرض عنه وأشار بيده أن تخلوا عنه ،
ورقية بن الحر لما أتى به نظرت إليه وقال : ما كان من هذا إلينا كبير ذنب ،
وكان صديقاً ثابتاً ، وكان مع قوم فتوى لهم ، والعجب كيف أسرتموها
قالوا : طعن فرسه فسقط عنه في وهدة فأسر ؛ فأطلقه وحملته ، وقال
نخالد بن أبي برة : ليكن عندك . قال : وكان الذي أجهز على موسى
ابن عبد الله واصل بن طيسلة العسبري .

ونظر يومئذ عثمان إلى زُرعة بن علقمة السلمى والحجاج بن مروان
وسنان الأعرابي ناحية فقال : لكم الأمان ، فظن الناس أنه لم يؤمنهم حتى كاتبوه .
قال : وبقيت المدينة في يدى النضر بن سليمان بن عبد الله بن خازم ، فقال :

١١٦٤/٧

لا أدفعها إلى عثمان ، ولكني أدفعها إلى مدرك ، فدفعها إليه وآمنه ، فدفعها
مدرك إلى عثمان . وكتب المفضل بالفتوح إلى الحجاج ، فقال الحجاج : العجب
من ابن بهلة ! أمره بقتل ابن سمرة فيكتب إلى أنه لمآبه ويكتب إلى : إنه
قتل موسى بن عبد الله بن خازم ؛ قال : وقتل موسى سنة خمس وثمانين ،
فذكر البحرى أن مغراء بن المغيرة بن أبي صبرة قتل موسى فقال :

وقد عركت بالترمد الخيل خازماً ونوحاً وموسى عركة بالكلاكل

(١) ب : « وفي أعلاه » .

قال: فضرب رجل من الجند ساق موسى، فلما ولت قتيبة أخبر عنه فقال: ما دعاك إلى ما صنعتَ بفتى العرب بعد موتِه! قال: كان قَتَلْتُ أخِي، فأمر به قُتِيبة فقتل بين يديه.

* * *

[عزم عبد الملك بن مروان على خلع أخيه عبد العزيز]

وفي هذه السنة أراد عبدُ الملك بنُ مروانُ خلعَ أخيه عبدِ العزيز بنِ مروان.

* ذكر الخبر عن ذلك وما كان من أمرهما فيه :

ذَكَرَ الواقديُّ أنَّ عبدَ الملكَ همَّ بذلك، فسَنَهاه عنه قَبِيصَةُ بنُ ذُوَيْبٍ، وقال: لا تَفْعَلْ هَذَا، فَإِنَّكَ بَاعَثْتَ عَلَى نَفْسِكَ صَوْتِ نَعَارٍ^(١)، وَلَعَلَّ الْمَوْتَ يَأْتِيهِ فَتَسْتَرِيحُ مِنْهُ! فَكَفَّ عَبْدُ الْمَلِكِ عَنْ ذَلِكَ وَنَفْسُهُ تُنَازِعُهُ إِلَى أَنْ يَسْخَطَهُ. وَدَخَلَ عَلَيْهِ رَوْحُ بْنُ زَيْنَبِاعِ الْجُدَامِيِّ - وَكَانَ أَجَلَ النَّاسِ عِنْدَ عَبْدِ الْمَلِكِ - فَقَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، لَوْ خَلَعْتَهُ مَا انْتَسَطَحَ فِيهِ عُنْزَانٌ، فَقَالَ: تَرَى ذَلِكَ يَا أَبَا زُرْعَةَ؟ قَالَ: إِي وَاللَّهِ، وَأَنَا أَوْلُ مَنْ يُجِيبُكَ إِلَى ذَلِكَ؛ فَقَالَ: نَصِيحٌ^(٢) إِنْ شَاءَ اللَّهُ. قَالَ: فَبَيْنَا هُوَ عَلَى ذَلِكَ وَقَدْ نَامَ عَبْدُ الْمَلِكِ وَرَوْحُ ابْنُ زَيْنَبِاعٍ إِذْ دَخَلَ عَلَيْهِمَا قَبِيصَةُ بْنُ ذُوَيْبٍ طَرَوْقًا، وَكَانَ عَبْدُ الْمَلِكِ قَدْ تَقَدَّمَ إِلَى حُجَّتَابِهِ فَقَالَ: لَا يُحِبُّ عَنِّي قَبِيصَةُ أَيْ سَاعَةَ جَاءَ مِنْ لَيْلٍ أَوْ نَهَارٍ، إِذَا كُنْتُ خَالِيًا أَوْ عِنْدِي رَجُلٌ وَاحِدٌ، وَإِنْ كُنْتُ عِنْدَ النِّسَاءِ أَدْخِلِ الْجُلُوسَ وَأَعْلِمْتُ بِمَكَانِهِ فَدَخِلْ، وَكَانَ الْخَاتَمُ إِلَيْهِ، وَكَانَتِ السِّكَّةُ إِلَيْهِ، تَأْتِيهِ الْأَخْبَارُ قَبْلَ عَبْدِ الْمَلِكِ، وَيَسْقُرُ الْكِتَابَ قَبْلَهُ، وَيَأْتِي بِالْكِتَابِ إِلَى عَبْدِ الْمَلِكِ مَسْشُورًا فَيَقْرؤه، لِإِعْظَامِ الْقَبِيصَةِ - فَدَخَلَ عَلَيْهِ فَسَلَّمَ عَلَيْهِ وَقَالَ: آجَرَكَ اللَّهُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ فِي أَخِيكَ عَبْدِ الْعَزِيزِ! قَالَ: وَهَلْ تُؤَفِّي؟ قَالَ: نَعَمْ، فَاسْتَرْجِعْ عَبْدُ الْمَلِكِ، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى رَوْحٍ فَقَالَ: كَفَانَا اللَّهُ أَبَا زُرْعَةَ مَا كُنَّا نُرِيدُ وَمَا أَجْمَعُنَا عَلَيْهِ، وَكَانَ ذَلِكَ مَخَالَفًا لَكَ يَا أَبَا إِسْحَاقَ، فَقَالَ قَبِيصَةُ: مَا هُوَ؟ فَأَخْبَرَهُ بِمَا كَانَ؛ فَقَالَ قَبِيصَةُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، إِنَّ الرِّأْيَ كُلَّهُ

١١٦٥/٢

(١) ابن الأثير: «عار». (٢) ابن الأثير: «نصيح».

في الأنساء، والعجلة فيها ما فيها ، فقال عبدُ الملك : ربما كان في العجلة خيراً كثيراً ، رأيت أمرَ عمرو بنِ سعيد ، ألم تكن العجلة فيه خيراً من التأني!

* * *

[خبر موت عبد العزيز بن مروان]

وفي هذه السنة توفى عبدُ العزيز بنُ مروان بمصر في جمادى الأولى ، فضمَّ عبد الملك حملته إلى ابنه عبد الله بن عبد الملك ، وولاه مصر .
وأما المدائني فإنه قال في ذلك ما حدثنا به أبو زيد عنه ، أن الحجاج كتب إلى عبد الملك يزين له بيعة الوليد ، وأوفد وفداً في ذلك عليهم عمرانُ ابن عيصم اللعنزى ، فقام عمران خطيباً ، فتكلم وتكلم الوفد وحشوا عبد الملك ، وسألوه ذلك ، فقال عمران بن عيصم :

١١٦٦/٢

أمير المؤمنين إليك نُهدى	على النأي التحية والسلاماً ^(١)
أجبتني في بنيك يكن جوابي	لهم عاديةً ولنا قواماً
فلو أن الوليد أطاع فيه	جعلت له الخلافة والذماماً ^(٢)
شبيهك حول قبته قريش	به يستمطرُ الناس الغماما
ومثلك في التقي لم يصب يوماً	لذن خلع القلائد والتماما
فإن تُؤثر أخاك بها فإننا	وجدك لا نطبق لها اتهاما
ولكننا نحاذر من بنيه	بني العلات مائرة سماما
ونخشى إن جعلت الملك فيهم	سحاباً أن تعود لهم جهاماً
فلايك ما حلبت غداً لقوم	وبعد غد بنوك هم العياما
فأقسيم لو تخطأني عيصم	بدلك ما عذرت به عيصاما
ولو أني حبوتُ أحاً بفضل	أريدُ به المقالة والمقاما

(١) الأغاني ١٦ : ٥٨ (سامي) وفيه : « على الشط » .

(٢) الأغاني : « جعلت له الإمامة » .

١١٦٧/٢

لَعَقَّبَ فِي بَنِيَّ عَلَى بَنِيهِ كَذَلِكَ أَوْ لَرُمْتُ لَهُ مَرَامًا^(١)
 فَمَنْ يَكُ فِي أَقَارِبِهِ صُدُوعٌ فَصَدْعُ الْمَلِكِ أَبْطُوهُ التَّثَامَا
 فقال عبدُ الملكِ : يا عمرانُ ، إنه عبدُ العزيزِ ، قال : احتسَلْ له
 يا أميرَ المؤمنين .

قال عليّ : أراد عبدُ الملكِ بيعةَ الوليدِ قبلَ أمرِ ابنِ الأشعثِ ، لأنَّ
 الحجاجَ بعثَ في ذلكِ عمرانَ بنَ عَصَامٍ ، فلما أبى عبدُ العزيزِ أعرَضَ عبدُ الملكِ
 عمَّا أرادَ حتى ماتَ عبدُ العزيزِ ، ولما أرادَ أنَ يَخْلَعَ أخاهُ عبدَ العزيزِ وَيُبَايِعَ
 لابنه الوليدَ كتبَ إلى أخيه : إن رأيتَ أنَ تصيِّرَ هذا الأمرَ لابنِ أخيكِ فأبى ،
 فكَتَبَ إليه : فاجعلْها له من بعدك ، فإنه أعزُّ الخلقِ على أميرِ المؤمنينِ . فكَتَبَ
 إليه عبدُ العزيزِ : إني أرى في أبي بكرِ بنِ عبدِ العزيزِ ما تَسْرَى في الوليدِ ،
 فقال عبدُ الملكِ : اللهمَّ إنَّ عبدَ العزيزِ قَطَعَنِي فاقطعْهُ . فكَتَبَ إليه
 عبدُ الملكِ : احْمِلْ خِرَاجَ مِصْرَ . فكَتَبَ إليه عبدُ العزيزِ : يا أميرَ المؤمنينِ ، إني
 وإيَّاكَ قدَ بَلَّغْنَا سَنًا لم يبلِّغْها أحدٌ من أهلِ بيتكِ إلا كانَ بقاؤه قليلاً ،
 وإني لأدري ولا تَدْرِي^(٢) أَيُّنا يَأْتِيهِ المَوْتُ أَوَّلًا ! فإن رأيتَ ألا تَغْفُثَ^(٣) على
 بقيةِ عمري فافعلْ .

١١٦٨/٢

فوقَ له عبدُ الملكِ وقال : لَسَعْمَرِي لا أَغْثُثُ عليه بقيةِ عُمرِهِ ، وقال
 لابنَيْهِ : إن يردَ الله أنَ يُعْطِيَكُمُوهَا لا يَتَقَدَّرُ أحدٌ من العبادِ على رَدِّ ذلكِ .
 وقال لابنَيْهِ : الوليدِ وسليمانِ : هل قارَفْتُمَا حَرَامًا قطَّ ؟ قالَا : لا والله ،
 قال : اللهُ أكبرُ ، نِلْتُمَاها وربُّ الكعبةِ !

قال : فلما أبى عبدُ العزيزِ أنَ يَجِيبَ عبدَ الملكِ إلى ما أرادَ ، قال
 عبدُ الملكِ : اللهمَّ قدَ قَطَعَنِي فاقطعْهُ ، فلما ماتَ عبدُ العزيزِ قالَ أهلُ
 الشَّامِ : رَدَّ على أميرِ المؤمنينِ أَمْرَهُ ، فدعا عليه ، فاستجِيبَ له .

قال : وكتبَ الحجاجُ إلى عبدِ الملكِ يَشِيرُ عليه أنَ يستكتبَ محمدَ بنَ يزيدَ
 الأَنْصَارِيَّ ، وكتبَ إليه : إن أردتَ رجلاً مأمونًا فاضلاً عاقلاً وِدِيعاً مُسْلِمًا

(١) ب : « أو لزمته » . (٢) ب : « ولا أرى » . (٣) لا تَغْفُثُ على ، أى لا تفسد .

كَتَبُوا تَتَّخِذُهُ لِنَفْسِكَ ، وَتَضَعُ عِنْدَهُ سِرِّكَ ، وَمَا لَا تَحِبُّ أَنْ يَظْهَرَ ، فَاتَّخِذْهُ
 مُحَمَّدُ بْنُ يَزِيدَ . فَكَتَبَ إِلَيْهِ عَبْدُ الْمَلِكِ : أَحْمِلْهُ إِلَى . فَحَمَلَهُ ، فَاتَّخِذْهُ
 عَبْدُ الْمَلِكِ كَاتِبًا . قَالَ مُحَمَّدٌ : فَلِمَ يَكُنْ يَأْتِيهِ كِتَابٌ إِلَّا دَفَعَهُ إِلَيَّ ، وَلَا
 يَسْتَرُ شَيْئًا إِلَّا أَخْبَرَنِي بِهِ وَكَتَمَهُ النَّاسَ ، وَلَا يَكْتُبُ إِلَى عَامِلٍ مِنْ
 عَمَالِهِ إِلَّا أَعْلَمَنِيهِ ، فإِنِّي لَجَالِسٌ يَوْمًا نِصْفَ النَّهَارِ إِذَا بِسَرِيدٍ قَدْ قَدِمَ
 مِنْ مِصْرَ ، فَقَالَ : الإِذْنَ عَلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ . قُلْتُ : لَيْسَتْ هَذِهِ سَاعَةٌ إِذْنَ ،
 فَأَعْلَمْنِي مَا قَدْ قَدِمْتَ لَهُ ، قَالَ : لَا . قُلْتُ : فَإِنْ كَانَ مَعَكَ كِتَابٌ
 فَادْفَعْهُ إِلَيَّ . قَالَ : لَا ، قَالَ : فَأَبْلِغْ بَعْضُ مَنْ حَضَرَ نِيَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ،
 فَخَرَجَ فَقَالَ : مَا هَذَا ؟ قُلْتُ : رَسُولٌ قَدِمَ مِنْ مِصْرَ ، قَالَ : فَخُذْ الْكِتَابَ ،
 قُلْتُ : زَعَمَ أَنَّهُ لَيْسَ مَعَهُ كِتَابٌ ، قَالَ : فَسَلِّهُ عَمَّا قَدِمَ لَهُ ، قُلْتُ : قَدْ
 سَأَلْتُهُ فَلَمْ يُخْبِرْنِي ، قَالَ أَدْخِلْهُ ، فَأَدْخَلْتُهُ ، فَقَالَ : آجْرَكَ اللَّهُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ
 فِي عَبْدِ الْعَزِيزِ ! فَاسْتَرْجِعْ وَبِسْكَتِي وَوَجِّعْ سَاعَةً ثُمَّ قَالَ : يَرْحَمَ
 اللَّهُ عَبْدَ الْعَزِيزِ ! مَضَى وَاللَّهِ عَبْدُ الْعَزِيزِ لَشَأْنِهِ ، وَتَرَكَنَا وَمَا نَحْنُ فِيهِ ،
 ثُمَّ بَكَى النِّسَاءُ وَأَهْلَ الدَّارِ ، ثُمَّ دَعَانِي مِنْ غَدَاةٍ ، فَقَالَ : إِنَّ عَبْدَ الْعَزِيزِ
 رَحِمَهُ اللَّهُ قَدْ مَضَى لِسَبِيلِهِ ، وَلَا بَدَّ لِلنَّاسِ مِنْ عِلْمِهِ وَقَائِمٌ يَقُومُ بِالْأَمْرِ مِنْ
 بَعْدِي ، فَمَنْ تَسْرَى ؟ قُلْتُ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، سَيِّدَ النَّاسِ وَأَرْضَاهُمْ وَأَفْضَلُهُمْ
 الْوَلِيدُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ ، قَالَ : صَدَقْتَ وَفَقَلْتَ اللَّهُ ! فَمَنْ تَسْرَى أَنْ يَكُونَ بَعْدَهُ (١) ؟
 قُلْتُ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، أَيْنَ تَعْلَمُهَا عَنْ سُلَيْمَانَ فَتَسَى الْعَرَبُ ! قَالَ : وَفَقَّتْ ، أَمَا
 إِنَّا لَوَتَرَكْنَا الْوَلِيدَ وَإِيَّاهَا لَجَعَلْنَا لِبَنِيهِ ، أَكْتُبَ عَهْدًا لِلْوَلِيدِ وَسُلَيْمَانَ مِنْ بَعْدِهِ ،
 فَكَتَبْتُ بَيْعَةَ الْوَلِيدِ ثُمَّ سُلَيْمَانَ مِنْ بَعْدِهِ . فَغَضِبَ عَلَيَّ الْوَلِيدُ فَلَمْ يُؤَلِّنِي
 شَيْئًا حِينَ أَشْرْتُ بِسُلَيْمَانَ مِنْ بَعْدِهِ .

١١٦٩/٢

قَالَ عَلِيُّ ، عَنْ ابْنِ جَعْدَةَ (٢) : كَتَبَ عَبْدُ الْمَلِكِ إِلَى هِشَامِ بْنِ
 إِسْمَاعِيلَ الْخَزَوِيِّ أَنْ يَدْعُوَ النَّاسَ لِبَيْعَةِ الْوَلِيدِ وَسُلَيْمَانَ ، فَبَايَعُوا غَيْرَ سَعِيدِ بْنِ
 الْمُسَيَّبِ ، فَإِنَّهُ أَبِي ، وَقَالَ : لَا أَبَايِعُ وَعَبْدَ الْمَلِكِ حَتَّى ؛ فَضَرَبَهُ هِشَامُ ضَرْبًا

(١) ب : « ثم من » ، ر : « ثم قال من » .

(٢) ب : « ابن جعدة » . ر : « عن أبي جعدة » .

مُبْرَحًا وَأَلْبَسَهُ الْمُسُوحَ ، وَسَرَّحَهُ إِلَى ذَبَابٍ - ثَنِيَّةَ بِالْمَدِينَةِ كَانُوا يُقْتَلُونَ عِنْدَهَا وَيُصَلَّبُونَ فَظَنَّ أَنَّهُمْ يَرِيدُونَ قَتْلَهُ ، فَلَمَّا انْتَهَوْا بِهِ إِلَى ذَلِكَ الْمَوْضِعِ رَدَّوهُ ، فَقَالَ : لَوْ ظَنَنْتُ أَنَّهُمْ لَا يَصَلَّبُونِي مَا لَبَسْتُ سُرَاوِيلَ مُسُوحٍ ، وَلَكِنْ قُلْتُ : يَصَلَّبُونِي فَيَسْتَرْنِي . وَبَلَغَ عَبْدَ الْمَلِكِ الْخَبْرُ ، فَقَالَ : قَبِحَ اللَّهُ هَشَامًا ! إِنَّمَا كَانَ يَنْبَغِي أَنْ يَدْعُوهُ إِلَى الْبَيْعَةِ ، فَإِنْ أَبِي يَضْرِبُ عُنُقَهُ ، أَوْ يَكْفُ عَنْهُ .

١١٧٠/٢

* * *

[بَيْعَةُ عَبْدِ الْمَلِكِ لِابْنِيهِ : الْوَلِيدِ ثَمَّ سُلَيْمَانَ]

وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ بَايَعَ عَبْدُ الْمَلِكِ لِابْنِيهِ : الْوَلِيدَ ، ثُمَّ مِنْ بَعْدِهِ لِسُلَيْمَانَ ، وَجَعَلَهُمَا وَلِيَّيْ عَهْدِ الْمُسْلِمِينَ ، وَكَتَبَ بِبَيْعَتِهِمَا لِمَا إِلَى الْبُلْدَانِ ، فَبَايَعَ النَّاسَ ، وَامْتَنَعَ مِنْ ذَلِكَ سَعِيدُ بْنُ الْمُسَيَّبِ ، فَضْرِبَهُ هَشَامُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ - وَهُوَ عَامِلٌ عَبْدَ الْمَلِكِ عَلَى الْمَدِينَةِ - وَطَافَ بِهِ وَحَبَسَهُ ، فَكَتَبَ عَبْدُ الْمَلِكِ إِلَى هَشَامٍ يَلُومُهُ عَلَى مَا فَعَلَ مِنْ ذَلِكَ ، وَكَالَ ضَرْبَهُ سَتِينَ سَوَاطًا ، وَطَافَ بِهِ فِي تَبَّانٍ^(١) شَعَرَ حَتَّى بَلَغَ بِهِ رَأْسَ الثَّنِيَّةِ .

وَأَمَّا الْحَارِثُ فَإِنَّهُ قَالَ : حَدَّثَنِي ابْنُ سَعْدٍ ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَمْرٍو الْوَاقِدِيِّ ، قَالَ : حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ جَعْفَرٍ وَغَيْرُهُ مِنْ أَصْحَابِنَا قَالُوا : اسْتَعْمَلَ عَبْدُ اللَّهِ ابْنُ الزُّبَيْرِ جَابِرَ بْنَ الْأَسْوَدِ بْنِ عَوْفِ الزُّهْرِيِّ عَلَى الْمَدِينَةِ ، فَدَعَا النَّاسَ إِلَى الْبَيْعَةِ لِابْنِ الزُّبَيْرِ ، فَقَالَ سَعِيدُ بْنُ الْمُسَيَّبِ : لَا ، حَتَّى يَجْتَمِعَ النَّاسُ ؛ فَضْرِبَهُ سَتِينَ سَوَاطًا ، فَسَبَلَغَ ذَلِكَ ابْنُ الزُّبَيْرِ ، فَكَتَبَ إِلَى جَابِرِ يَلُومُهُ ، وَقَالَ : مَا لَنَا وَسَعِيدٍ ، دَعَا !

وَحَدَّثَنِي الْحَارِثُ ، عَنْ ابْنِ سَعْدٍ ، أَنَّ مُحَمَّدَ بْنَ عَمْرٍو أَخْبَرَهُ ، قَالَ : حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ جَعْفَرٍ وَغَيْرُهُ مِنْ أَصْحَابِنَا أَنَّ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنَ مَرْوَانَ تَوَفَّى بِمَصْرَ فِي جُمَادَى سَنَةِ أَرْبَعٍ وَثَمَانِينَ ، فَعَقَدَ عَبْدُ الْمَلِكِ لِابْنِيهِ الْوَلِيدِ وَسُلَيْمَانَ الْعَهْدَ ، وَكَتَبَ بِالْبَيْعَةِ لِمَا إِلَى الْبُلْدَانِ ، وَعَامِلُهُ يَوْمَئِذٍ هَشَامُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ الْخَزَوِيِّ ،

١١٧١/٢

(١) التَّبَّانُ : سُرَاوِيلٌ صَغِيرٌ يَسْتُرُ الْعُورَةَ .

فدعا الناس إلى البيعة ، فبايع الناس ، ودعا سعيد بن المسيب أن يبايع
لهما ، فأبى وقال : لا حتى أنظر ، فضربه هشام بن إسماعيل ستين سوطاً ،
وطاف به في تبتان شعر حتى بلغ به رأس الثنية ، فلما كرّوا به قال : أين
تكرّون^(١) بي ؟ قالوا : إلى السجن ؛ قال : والله لولا أني^(٢) ، ظننت أنه
الصلب لما لبست هذا التبتان أبداً. فردّه^(٣) إلى السجن ، وحبسه^(٤) ، وكتب
إلى عبد الملك يخبره بخلافه^(٥) ، وما كان من أمره ، فكتب إليه عبد الملك
يلومه فيما صنع ويقول : سعيدٌ والله كان أحوج أن تصل رحمته من أن
تنصره ، وإنا لنعلم ما عنده من شقاق ولا خلاف .

* * *

وحجّ بالناس في هذه السنة هشام بن إسماعيل الخزومي ، كذلك حدّثنا
أحمد بن ثابت عن ذكره ، عن إسحاق بن عيسى ، عن أبي معشر .
وكذلك قال الواقدي .
وكان العامل على المشرق في هذه السنة مع العراق الحجاج بن يوسف .

(١) ر : « تكررون » . (٢) ب : « إنني » .
(٣) ب : « فردوه » . (٤) ب : « فحبسه » .
(٥) ب : « بنجر خلافته » .

ثم دخلت سنة ست وثمانين

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

* * *

[خبر وفاة عبد الملك بن مروان]

فمّا كان فيها من ذلك هلاك عبد الملك بن مروان، وكان مهلكه في النصف من شوال منها . حدثني أحمد بن ثابت عمّن ذكره، عن إسحاق بن عيسى، عن أبي معشر، قال : توفّي عبد الملك بن مروان يوم الخميس للنصف من شوال سنة ست وثمانين^(١)، فكانت خلافته ثلاث عشرة سنة وخمسة أشهر^(٢).

وأما الحارث فإنه حدثني عن ابن سعد، عن محمد بن عمرو، قال : حدثني شريحيل بن أبي عون، عن أبيه، قال : أجمع^(٣) الناس على عبد الملك بن مروان سنة ثلاث وسبعين .

قال ابن عمر : وحدثني أبو معشر نجيع، قال : مات عبد الملك بن مروان بدمشق يوم الخميس للنصف من شوال سنة ست وثمانين ، فكانت^(٤) ولايته منذ^(٥) يوم بؤيع إلى يوم توفّي إحدى وعشرين سنة وشهراً ونصفاً ، كان^(٦) تسع سنين منها يقاتل فيها عبد الله بن الزبير ، ويسلم عليه بالخلافة بالشام ، ثم بالعراق بعد مقتل مصعب ، وبقى بعد مقتل عبد الله بن الزبير واجتماع الناس عليه ثلاث عشرة سنة وأربعة أشهر إلا سبع ليال .

وأما علي بن محمد المدائني، فإنه - فيما حدثنا أبو زيد عنه - قال : مات عبد الملك سنة ست وثمانين بدمشق ، وكانت ولايته ثلاث عشرة سنة وثلاثة أشهر وخمسة عشر يوماً .

(١) بعدها في س : « بدمشق » .
 (٢) بعدها في س : « وذلك بعد موت ابن الزبير » .
 (٣) ب : « أجمع » .
 (٤) ب : « وكانت » .
 (٥) ب : « من يوم بؤيع » .
 (٦) ب : « وكان » .

ذكر الخبر عن مبلغ سنه يوم توفى

اختلف أهل السِّيَر في ذلك، فقال أبو معشر فيه — ما حدثني الحارثُ عن ابن سعد، قال: أَخْبَرَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عُمَرَ، قال: حدثني أبو معشر نَسَجِيح. قال: مات عبدُ الملك بنُ مروانَ وله ستون سنةً . قال الواقدي: وقد روي لنا أنه مات وهو ابن ثمان وخمسين سنةً . قال: والأول أثبت. وهو على مولده، قال: وولد سنة ست وعشرين في خلافة عثمان ابن عفان رضي الله عنه، وشهيد يوم الدار مع أبيه وهو ابنُ عشر سنين . وقال المدائني علي بن محمد — فيما ذكر، أبو زيد عنه: مات عبدُ الملك وهو ابنُ ثلاثٍ وستين سنةً .

ذكر نسبه وكنيته

أمّا نسبه، فإنه عبدُ الملك بنُ مروان بن الحَكَم بن أبي العاص بن أمية ابن عبد شمس بن عبد مناف. وأمّا كنيته فأبو الوليد. وأمه عائشة بنت معاوية بن المغيرة بن أبي العاص بن أمية، وله يقول ابن قيس الرقيّات:

أنتَ ابنُ عائِشَةَ الَّتِي فَضَلْتَ أُرُومَ نَسَائِهَا^(١)
 لَمْ تَلْتَفِتْ لِإِلْدَاتِهَا وَمَضَتْ عَلَى غُلُوثِهَا

* * *

ذكر أولاده وأزواجه

منهم الوليد، وسليمان، ومروان الأكبر — درج^(٢) — وعائشة؛ أمهم ولادة بنت العباس بن جَزء بن الحارث بن زهير بن جسدِيمة بن رَواحة بن

(٢) درج، أي مات صغيراً.

(١) ديوانه ١١٧.

ربيعة بن مازن بن الحارث بن قُطَيْبَةَ بن عَبَسْ بن بَغِيض .
 ويزيد، ومروان، ومعاوية - درج - وأم كلثوم، وأمهم عائكة بنت
 يزيد بن معاوية بن أبي سفيان .
 وهشام، وأمّه أمّ هشام بنت هشام بن إسماعيل بن هشام بن الوليد بن
 المغيرة المخزومي . وقال المدائني : اسمها عائشة بنت هشام .
 وأبو بكر، واسمُه بكار، أمّه عائشة بنت موسى بن طلحة بن عبّيدالله،
 والحكم - درج - أمه أمّ أيوب بنت عمرو بن عثمان بن عفان .
 وفاطمة بنت عبد الملك، أمّها أمّ المغيرة بنت المغيرة بن خالد بن العاص
 ابن هشام بن المغيرة .
 وعبد الله وسَلَمَة والمنذر وعَنْبِسة ومحمد وسعيد الخير والحجاج ؛ لأمهات
 أولاد .

* * *

قال المدائني : وكان له من النساء - سوى من ذكرنا - شقراء بنت سَلَمَة
 ابن حلبس الطائي، وابنة لعلّ بن أبي طالب عليه السلام ، وأمّ أبيها بنت
 عبد الله بن جعفر .

وذكر المدائني ، عن عوانة وغيره أن سَلَمَة بن زيد بن وهب بن نُبَاتَة
 القسيمي دخل على عبد الملك فقال له : أي الزمان أدركت أفضل ؟ وأي
 الملوك أكمل ؟ قال : أما الملوك فلم أر إلا ذاماً وحامداً ؛ وأما الزمان فيترفع
 أقواماً ويضع أقواماً ، وكلهم يدوم زمانه لأنه يسبى جديدهم ، ويهرم صغيرهم ،
 وكل ما فيه منقطع غير الأمل ؛ قال : فأخبرني عن قسيمي ، قال : هم
 كما قال من قال :

١١٧٥/٢

دَرَجَ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ عَلَى فَهٍ مَـ بنِ عَمْرٍو فَاصْبَحُوا كَالرَّمِيمِ
 وَخَلَّتْ دَارُهُمْ فَأَضَحَتْ يَبَاباً بَعْدَ عَزٍّ وَثَرْوَةٍ وَنَعِيمِ
 كَذَلِكَ الزَّمَانُ يَذْهَبُ بَالِنَا سَ وَتَبَقِيَ دِيَارُهُمْ كَالرُّسُومِـ

قال : فمن يقول منكم (١) :

رَأَيْتُ النَّاسَ مَذْخُلُوقًا وَكَانُوا يُحِبُّونَ الْغَنِيَّ مِنَ الرِّجَالِ
وَإِنْ كَانَ الْغَنِيُّ قَلِيلَ خَيْرٍ بَخِيلًا بِالْقَلِيلِ مِنَ النِّوَالِ
فَمَا أَذْرَى عَلَامَ وَفِيمَ هَذَا وَمَاذَا يَرْتَجُونَ مِنَ الْبِخَالِ (٢) !
أَلِدُنِّيَا ؟ فَلَيْسَ هُنَاكَ دُنْيَا وَلَا يُرْجَى لِحَادِثَةِ اللَّيَالِي
قال : أنا .

قال عليّ : قال أبو قطيفة عمرو بن الوليد بن عصفية بن أبي مُعَيْطٍ
لعبدِ المَلِكِ بنِ مَرْوَانَ :

نَبَّئْتُ أَنَّ أَبْنَ الْقَلَمْسِ عَابَنِي وَمَنْ ذَا مِنَ النَّاسِ الصَّحِيحِ الْمَسْلَمِ (٣) !
فَأَبْصَرَ سُبُلَ الرُّشْدِ سَيِّدُ قَوْمِهِ وَقَدْ يُبْصِرُ الرُّشْدَ الرَّئِيسُ الْمَعْمَمُ
فَمَنْ أَنْتُمْ ؟ هَا خَبَرُونَا مَنْ أَنْتُمْ ؟ وَقَدْ جَعَلْتَ أَشْيَاءَ تَبْدُو وَتُكْتَمُ

١١٧٦/٢

فقال عبد الملك : ما كنتُ أرى أنْ مثلنا يقال له : مَنْ أَنْتُمْ ! أما
والله لولا ما تتعلم لقلتُ قَوْلًا أَلْحَقَكُمْ بِأَصْلَكُمْ الْخَبِيثِ ، وَلضربتُكَ حَتَّى
تَمُوتَ .

وقال عبدُ الله بنُ الحجاجِ الثعلبيُّ لعبدِ الملكِ :

يَا بَنَ أَبِي الْعَاصِ وَيَا خَيْرَ فَتَى أَنْتَ سِدَادُ الدِّينِ إِنْ دِينَ وَهَى (٤)
أَنْتَ الَّذِي لَا يَجْعَلُ الْأَمْرَ سُدَى جِيئَتْ قَرِيشٌ عَنْكُمْ جُوبَ الرَّحَى
إِنَّ أَبَا الْعَاصِي وَفِي ذَاكَ أَعْتَصَى أَوْصَى بَنِيهِ فَوَعَوْا عَنْهُ الْوَصَى
إِنْ يَسْعُرُوا الْحَرْبَ وَيَأْبُوا مَا أَبِي الطَّاعِنِينَ فِي النَّحُورِ وَالْكُلَى
شَزْرًا وَوَضَلًا لِلسُّيُوفِ بِالْخَطَا إِلَى الْقِتَالِ فَحَوُوا مَا قَدْ حَوَى

(٢) البخال : جمع بخيل ، مثل كريم وكرام .

(١) ب : « فيكم » .

(٣) الأغاني ١ : ٣٤ ، والقلمس : الرجل الداعية . (٤) الأغاني ١٣ : ١٦٩ ، مع

اختلاف في الرواية .

وقال أعشى بنى شيبان :

عرفت قريش كلها لبني أبي العاص الإمارة
 لأبرها وأحقها عند المشورة بالإشارة
 المانعين لِمَا وكُوا والنافعين ذوى الضرارة
 وَهُمْ أَحَقُّهُمْ بِهَا عند الحلاوة والمرارة

وقال عبد الملك : ما أعلم مكان أحد أقوى على هذا الأمر منى ، وإن
 ابن الزبير لطويل الصلاة ، كثير الصيام ، ولكن لبخله لا يصلح أن
 يكون سائساً .

خلافة الوليد بن عبد الملك

وفي هذه السنة بُويِعَ للوليد بن عبد الملك بالخلافة، فشدُّ كُرَاهٍ لما دَفِنَ أباه وانصرف عن قَبْرِهِ، دَخَلَ المسجدَ فصعد المنبرَ، واجتمعَ إليه الناسُ، فسخطبَ فقال: إنا لله وإنا إليه راجعون! واللهُ المستعانُ على مصيبتنا بموتِ أميرِ المؤمنين، والحمدُ لله على ما أنعمَ به علينا من الخلافة. قوموا فبايعوا. فكان أولُ مَنْ قامَ لبيعته عبدُ الله بن هَمَّامِ السَّلُولِيّ، فإنه قام وهو يقول:

اللَّهُ أَعْطَاكَ الَّتِي لَا فَوْقَهَا
عَنْكَ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا سَوْقَهَا
وَقَدْ أَرَادَ الْمَلْحُدُونَ عَوْقَهَا
حَتَّى قَلَدُوكَ طَوْقَهَا

فبايعه، ثم تتابع الناسُ على البيعة.

١١٧٨/٢

وأما الواقدي فإنه ذكر أن الوليد لما رجع من دَفِنِ أَبِيهِ، ودَفِنِ خَارِجِ بابِ الجابية، لم يَدْخُلْ منزله حتى صعد على منبرِ دِمَشقَ، فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله، ثم قال:

أيها الناسُ، إنه لا مُقَدِّمَ لِمَا أَخَّرَ اللهُ، ولا مؤخِّرَ لِمَا قَدَّمَ اللهُ، وقد كان من قضاء الله وسابقِ عِلْمِهِ وما كَتَبَ على أنبيائه وحَمَلَةَ عرشِهِ الموت. وقد صار إلى منازل الأبرارِ ولى هذه الأمة الذي يحقُّ عليه الله من الشدة على المرئيب، واللين لأهل الحقِّ والفضل، وإقامة ما أقام الله من سننِ الإسلام وأعلامه؛ مِن حَجِّ هذا البيت، وغزْوِ هذه الثغور، وشنِّ هذه الغارة على أعداء الله، فلم يكن عاجزاً ولا مُفْرطاً. أيها الناس، عليكم بالطاعة، ولزوم الجماعة، فإن الشيطان مع الفرد. أيها الناس، من أبدى لنا ذاتَ نفسه ضربنا الذي فيه عَيْنَاه، ومن سَكَتَ ماتَ بدائه.

ثم نزل، فنظَّر إلى ما كان من دوابِّ الخلافة فحسَّاه، وكان جباراً عنيداً.

[ولاية قتيبة بن مسلم على خراسان من قبل الحجاج]

وفي هذه السنة قدم قتيبة بن مسلم خراسان والياً عليها من قبل الحجاج ، فذكر علي بن محمد أن كليب بن خنكس ، أخبره عن طفيل ابن مرداس العمي^(١) والحسن بن رشيد ، عن سليمان بن كثير العمي ، قال : أخبرني عمي قال : رأيت قتيبة بن مسلم حين قدم خراسان في سنة ست وثمانين ، فقدم والمفضل يعرض الجند ، وهو يريد أن يغزو أخرون وشومان ، فخطب الناس قتيبة ، وحثهم على الجهاد ، وقال :

إن الله أحلكم هذا المحل ليعز دينه ، ويذب بكم عن الحرمات ، ويزيد بكم المال استفاضة ، والعدو وقسا^(٢) ، ووعد نبيه صلى الله عليه وسلم النصر بحديث صادق ، وكتاب ناطق ، فقال : ﴿ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴾^(٣) .

ووعده المجاهدين في سبيله أحسن الثواب ، وأعظم الدخر عنده فقال :

﴿ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ ، إلى قوله : ﴿ أَحْسَنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾^(٤) . ثم أخبر عن قتيل في سبيله أنه حي مرزوق ، فقال : ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْواتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴾^(٥) . فتنجزوا وعود ربكم ووطنوا أنفسكم على أقصى أثر وأمضى ألم ، وإياي والهويني .

* * *

ذكر ما كان من أمر قتيبة بخراسان في هذه السنة

ثم عرض قتيبة الجند في السلاح والكراع ، وسار واستخلف عمرو على حربها إياس بن عبد الله بن عمرو ، وعلى الخراج عثمان بن السعدي^(٦) ، فلما كان بالطالقان تلقاه دهاقين بلسخ وبعض عظمائهم فساروا معه ، فلما قطع النهر تلقاه تيش^(٧) الأعور ملك الصغانيان بهدايا ومفتاح من

(١) ب : « العمي » . (٢) الوقم : الذل . (٣) سورة الصف : ٩ .

(٤) سورة التوبة : ١٢٠ ، ١٢١ . (٥) سورة آل عمران : ١٦٩ .

(٦) ابن الأثير : « عثمان السعدي » . (٧) ط : « بيش » .

ذهب ، فدعاه إلى بلاده ، فأتاه وأتى ملك كفتان بهدايا وأموال ، ودعاه إلى بلاده ، فمضى مع بيش إلى الصغانيين ، فسلم إليه بلاده ، وكان ملك أخرون وشومان قد أساءَ جوارَ تيش وغزاه وضيّق عليه ، فسار قتيبة إلى أخرون وشومان - وهما من طُخارستان ، فجاءه غشتاسبان^(١) فصالحه على فدية أدّأها إليه ، فتقبلها قتيبة ورضى ، ثمّ انصرف إلى مرو ، واستخلف على الجند أخاه صالح بن مسلم ، وتقدّم بجندَه فسيّرتهم إلى مرو ، وفتح صالح بعد رجوع قتيبة بأسارا ، وكان معه نصر بن سيار فأبلى يومئذ ؛ فوهب له قرية تدعى تنجانه ، ثمّ قدّم صالح على قتيبة فاستعملته على الترمذ .

قال : وأما الباهليّون فيقولون : قدّم قتيبة خراسان سنة خمس وثمانين فعرّض الجند ، فكان جميع ما أحصوا من الدرّوع في جند خراسان ثلثائة وخمسين درعاً ، فغزا أخرون وشومان ، ثمّ قنقل فركب السفن فأنحدر إلى آمل ، وخلف الجند ، فأخذوا طريق بلسخ إلى مرو ، وبلغ الحجّاج ، فكتب إليه يلومه ويعجز رأيه في تخليفه الجند ، وكتب إليه : إذا غزوت فكن في مقدّم الناس ، وإذا قفلت فكن في آخرياتهم وساقاتهم .

١١٨١/٢

وقد قيل : إن قتيبة أقام قبل أن يقطع النهر في هذه السنة على بلسخ ، لأن بعضها كان منتقضا عليه ، وقد ناصب المسلمين ، فحارب أهلها ، فكان ممن سبى امرأة برمك ، أبى خالد بن برمك - وكان برمك على النوبهار - فصارت لعبد الله بن مسلم الذي يقال له الفقير ، أخت قتيبة بن مسلم ، فوقع عليها ، وكان به شيء من الجذام . ثمّ إن أهل بلسخ صالحوا من غد اليوم الذي حاربهم قتيبة ، فأمر قتيبة برد السبى ، فقالت امرأة برمك لعبد الله بن مسلم : يا تازى ، إني قد علكت منك . وحضرت عبد الله بن مسلم الوفاة ، فأوصى أن يسلحق به ما في بطنها ، وردت إلى برمك ، فذكر أن ولد عبد الله بن مسلم وجاءوا أيام المهدي حين قدّم الرى إلى خالد ، فادعوه ، فقال لهم مسلم بن قتيبة : إنه لا بدّ لكم إن

(١) ط : « غيلستان » .

استلحققتموه ففعل من أن تزوجوه ، فتركوه وأعرضوا عن دعواهم .
وكان برمك طبيبا ، فدأزى بعد ذلك مسلمة من علة كانت به .

* * *

وفي هذه السنة غزا مسلمة بن عبد الملك أرض الروم .
وفيها حبس الحجاج بن يوسف يزيد بن المهلب ، وعزل حبيب بن
المهلب عن كرمان ، وعبد الملك بن المهلب عن شُرطته .

١١٨٢/٢

* * *

وحج بالناس في هذه السنة هشام بن إسماعيل الخزومي ، كذلك
حدثني أحمد بن ثابت ، عمن ذكره ، عن إسحاق بن عيسى ، عن أبي معشر .
وكذلك قال الواقدي .

وكان الأمير على العراق كله والمشرق كله الحجاج بن يوسف . وعلى
الصلاة بالكوفة المغيرة بن عبد الله بن أبي عقيل . وعلى الحرب بها من قبل
الحجاج زياد بن جرير بن عبد الله . وعلى البصرة أيوب بن الحكم . وعلى
خراسان قتيبة بن مسلم .

ثم دخلت سنة سبع وثمانين ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

ففي هذه السنة عزّل الوليدُ بنُ عبد الملك هشامَ بنَ إسماعيل عن المدينة ،
ووردَ عزله عنها - فيما ذكر - ليلة الأحد لسبع ليال خلّوَن من شهر
ربيع الأول سنة سبع وثمانين . وكانت إمرته^(١) عليها أربع سنين غير شهر
أو نحوه .

* * *

[خبر إمارة عمر بن عبد العزيز على المدينة]

وفي هذه السنة ولّى الوليدُ عمرَ بنَ عبد العزيز المدينة . قال الواقدي :
قدِمَها والياً في شهر ربيع الأول ؛ وهو ابن خمس وعشرين سنة ، وولد
سنة اثنتين وستين .

قال : وقَدِم على ثلاثين بعيراً ، فنَزَلَ دارَ مروان . قال : فحدثني
عبدُ الرحمن بن أبي الزناد ، عن أبيه ، قال : لما قَدِم عمر بنُ عبد العزيز
المدينة ونَزَلَ دارَ مروان دخل عليه الناسُ فسَلَّموا ، فلما صلّى الظهر دعا
عشرة من فقهاء المدينة : عروة بن الزبير ، وعبيد الله بن عبد الله بن عتبة ،
وأبا بكر بن عبد الرحمن ، وأبا بكر بن سليمان بن أبي حثمة^(٢) ، وسليمان بن
يسّار ، والقاسم بن محمد ، وسالم بن عبد الله بن عمر ، وعبد الله بن عبد الله
ابن عمرو ، وعبد الله بن عامر بن ربيعة ، وخارجة بن زيد ؛ فدخلوا عليه
فجلسوا ، فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ، ثم قال :

إني إنما دعوتكم لأمرٍ توجرون عليه ، وتكونون فيه أعواناً على الحق ،
ما أريد أن أقطع أمراً إلا برأيكم أو برأي من حضّر منكم ، فإن رأيتم أحداً

(١) ساقطة من ب .

(٢) ط : « خيشمة » ، وانظر الفهرس .

يتعدى ، أو بلغنكم عن عامل لى ظلامه ، فأحرج الله على من بلغه ذلك إلا بلغنى .

فخرجوا يُجزونه خيراً ، وافترقوا .

قال : وكتب الوليدُ إلى عمرَ يأمره أن يقف هشامَ بنَ إسماعيلَ للناس ، وكان فيه سيئُ الرأي .

قال الواقدي : فحدثني داودُ بنُ جبير ، قال : أخبرتني أمّ ولد سعيد بن المسيب أن سعيداً دعا ابنه ومواليه فقال : إن هذا الرجل يُوقف للناس - أو قد وقف - فلا يتعرض له أحدٌ ولا يؤذيه بكلمة ، فإننا سنترك ذلك لله وللرحم ، فإن كان ما علمتُ لسيئُ النظر لنفسه ، فأما كلامه فلا أكلمه أبداً .

قال : وحدثني محمد بنُ عبد الله بن محمد بن عمر ، عن أبيه ، قال : كان هشامُ بنُ إسماعيلَ يسيء جوارنا ويؤذي بنا ، ولقي منه على بنُ الحسين أذى شديداً ، فلما عزل أمر به الوليدُ أن يُوقف للناس ، فقال : ما أخاف إلا من عليّ بن الحسين . فتر به عليّ وقد وقف عند دار مروان ، وكان عليّ قد تقدم إلى خاصته ألاّ يتعرض له أحد منهم بكلمة ؛ فلما مر ناداه هشامُ بنُ إسماعيلَ : الله أعلم حيث يجعل رسالته .

١١٨٤/٢

* * *

[خبر صلح قتيبة ونيزك]

وفي هذه السنة قدم نيزك على قتيبة ، وصالح قتيبة أهل بادغيس على ألاّ يدخلها قتيبة .

* ذكر الخبر عن ذلك :

* ذكر عليّ بن محمد أن أبا الحسن الجشمي أخبره عن أشياخ من أهل خراسان ، وجبله بن فروخ عن محمد بن المثنى ، أن نيزك طرخان كان في يديه أسراء من المسلمين ، وكتب إليه قتيبة حين صالح مالك شومان فيمن في يديه من أسرى المسلمين أن يطلقهم ، ويهدده^(١) في كتابه ،

(١) ب : « وتهده » .

فخافه^(١) نيزك ، فأطلق الأسرى ، وبعث بهم إلى قتيبة ، فوجه إليه قتيبة
سليماً الناصح مولى عبيد الله بن أبي بكره يدعو إلى الصلح وإلى أن يؤمنه ،
وكتب إليه تاباً يحلف فيه بالله: لئن لم يقدم عليه ليغزوته ، ثم ليطلبته حيث
كان ، لا يقطع - نه حتى يظفر به أو يموت - قبل ذلك . فقدم سليم على
نيزك بكتاب قتيبة - وكان يستنصحه - فقال له : يا سليم ، ما أظن عند صاحبك
خيراً ، كتب إلى - تاباً لا يكتب إلى مثلي ! قال له سليم : يا أبا
الهيّاج ، إن هذا رجل شديد في سلطانه ، سهل إذا سوهل ، صعب إذا
عوسر ، فلا يمنعك منه غلظة كتابه إليك ، فأحسن حالك عنده وعند
جميع مضر ! فقدم نيزك مع سليم على قتيبة ، فصالحه أهل باذغيس
في سنة سبع وثمانين على ألا يدخل باذغيس .

* * *

[خبر غزو مسلمة بن عبد الملك أرض الروم]

وفي هذه السنة غزا مسلمة بن عبد الملك أرض الروم، ومعه يزيد بن
جبير ، فلقي الروم في عدد كثير بسوسة من ناحية المصبصة .
قال الواقدي : فيها لاقى مسلمة ميموناً الجرجماني ومع مسلمة نحو
من ألف مقاتل من أهل أنطاكية عند طوانة ، فقتل منهم بشراً كثيراً ،
وفتح الله على يديه حصوناً .

وقيل : إن الذي غزا الروم في هذه السنة هشام بن عبد الملك ،
ففتح الله على يديه حصن بولس وحصن الأخرم وحصن بولس وقمقم ،
وقتل من المستعربة نحواً من ألف مقاتل ، وسبى^(٢) ذراريهم ونساءهم .

* * *

[خبر غزو قتيبة بيكند]

وفي هذه السنة غزا قتيبة بيكند .

* ذكر الخبر عن غزوته هذه :

(٢) ر : « وساق » .

(١) ب : « مخافة » .

١١٨٦/٢

ذَكَرَ عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ أَنَّ أَبَا الذِّيَالِ أَخْبَرَهُ عَنِ الْمُهَلَّبِ بْنِ إِيَّاسٍ ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ حُسَيْنٍ ^(١) بْنِ مُجَاهِدِ الرَّازِيِّ وَهَارُونَ بْنِ عَيْسَى ، عَنْ يُونُسِ بْنِ أَبِي إِسْحَاقٍ وَغَيْرِهِمْ ، أَنَّ قَتَيْبَةَ لَمَّا صَالَحَ نَيْزِكَ أَقَامَ إِلَى وَقْتِ الْغَزْوِ ، ثُمَّ غَزَا فِي تِلْكَ السَّنَةِ - سَنَةِ سَبْعٍ وَثَمَانِينَ - بِيكَنْدَ ، فَسَارَ مِنْ مَرَّوٍ وَأَتَى مَرَّوَ الرُّوْدَ ، ثُمَّ أَتَى آمُلَ ، ثُمَّ مَضَى إِلَى زَمٍّ فَقَطَعَ النَّهْرَ ، وَسَارَ إِلَى بِيكَنْدَ - وَهِيَ أَدْنَى مَدَائِنِ بُخَارَى إِلَى النَّهْرِ ، يُقَالُ لَهَا مَدِينَةُ التَّجَارِ عَلَى رَأْسِ الْمَسَافَةِ مِنْ بُخَارَى - فَلَمَّا نَزَلَ بَعَثُوا تَهْمَ اسْتَنْصَرُوا الصُّغْدَ ، وَاسْتَمَدُوا مِنْ حَوْلِهِمْ ، فَأَتَوْهُمْ فِي جَمْعٍ كَثِيرٍ ، وَأَخَذُوا بِالطَّرِيقِ ، فَلَمْ يَنْفِذْ لِقَتَيْبَةَ رَسُولٌ ، وَلَمْ يَصِلْ إِلَيْهِ رَسُولٌ ، وَلَمْ يَجْرِ لَهُ خَبْرٌ شَهْرَيْنِ ، وَأَبْطَأَ خَبْرُهُ عَلَى الْحِجَّاجِ ، فَأَشْفَقَ الْحِجَّاجُ عَلَى الْجُنْدِ ، فَأَمَرَ النَّاسَ بِالِدَّعَاءِ لَهُمْ فِي الْمَسَاجِدِ ، وَكَتَبَ بِذَلِكَ إِلَى الْأَمْصَارِ وَهُمْ يَتَقَتِّلُونَ فِي كُلِّ يَوْمٍ .

قال : وكان لقتيبة عينٌ يقال له تنذر ^(٢) من العجم ، فأعطاه أهل بخارى الأعلى مالاً على أن يتفثاً عنهم قتيبة ؛ فأتاه ، فقال : أخلني ، فذهبتهم الناسُ واحتبس قتيبةُ ضرارَ بنَ حصين الضبي ، فقال تنذر : هذا عاملٌ يتقدم عليك ، وقد عزل الحجاج ، فلو انصرفت بالناس إلى مرو ! فدعا قتيبة سييأه مولاه ، فقال : اضرب عنق تنذر ، فقتله ، ثم قال لضرار : لم يبق أحدٌ يتعلم هذا الخبر غيبري وغيرك ، وإني ^(٣) أعطى الله عهداً إن ظهر هذا الحديث من أحد حتى تنقضي حربنا هذه لأحقتك به ، فاملِكْ لسانك ، فإن انتشار هذا الحديث يفتت في أعضاء الناس . ثم أذن للناس .

١١٨٧/٢

قال : فدخلوا ، فرأعهم قتل تنذر ، فوجموا وأطرقوا ، فقال قتيبة : ما يبرو عنكم من قتل عبد أمانه الله ! قالوا : إنا كنا نظنه ناصحاً للمسلمين ، قال : بل كان غاشياً ^(٤) فأحازته الله بذنبه ، فقد مضى لسبيله ، فاغدوا على

(٢) ر : « تيندر » .

(١) ب : « وحصين » .

(٤) بعدها في ب : « لهم » .

(٣) ب : « فإني » .

قتال عدوكم ، والقوهم بغير ما كنتم تملقونهم به . فغدا الناس متأهبين ، وأخذوا مصافهم ، ومشي قتيبة فحضر أهل الرايات ، فكانت بين الناس مشاورة^(١) ، ثم تراحقوا^(٢) والتقوا ، وأخذت السيوف مأخذها ، وأنزل الله على المسلمين الصبر ، فقاتلوه حتى زالت الشمس ، ثم منحه الله المسلمين أكفأتهم ، فانهزموا يريدون المدينة ، واتبعهم المسلمون فشقواهم عن الدخول فتفرقوا ، وركبهم المسلمون قتلاً وأسرأ كيف شاءوا ، واعتصم من دخل المدينة بالمدينة ، وهم قليل ، فوضع قتيبة الفعلة في أصلها ليهديها ، فسألوه الصلح فصالحهم ، واستعمل عليهم رجلا من بني قتيبة .

وارتحل عنهم يريد الرجوع ، فلما سار مرحلة أوثنتين ، وكان منهم على خمسة فراسخ نفضوا وكفروا ، فقتلوا العامل وأصحابه ، وحدثوا أنفسهم وأذانهم ، وبلغ قتيبة فرجع إليهم ، وقد تحصنوا ، فقاتلهم شهراً ، ثم وضع الفعلة في أصل المدينة فعلقوها^(٣) بالخشب ، وهو يريد إذا فرغ من تعليقها أن يحرق الخشب فتنهديم ، فسقط الخائط وهم يعلقونه ، فقتل أربعين من الفعلة ، فطلبوا الصلح ، فأبى وقتلهم ، فظفر بهم عشوة ، فقتل من كان فيها من المقاتلة ، وكان فيمن أخذوا في المدينة رجل أعور كان هو الذي استجاش الترك على المسلمين ، فقال لقتيبة : أنا أفدي نفسي ، فقال له سليم الناصح : ما تبذل ؟ قال : خمسة آلاف حريرة صينية قيمتها ألف ألف ، فقال قتيبة : ما ترون ؟ قالوا : نرى أن فداءه زيادة في غنائم المسلمين ، وما عسى أن يبلغ من كسب هذا ! قال : لا والله لا تروغ بك مسلمة أبداً ، وأمر به فقتل .

قال علي : قال أبو الديال ، عن المهلب بن إياس ، عن أبيه والحسن ابن رشيد ، عن ططيل بن مرداس ، أن قتيبة لما فتح بيكند أصابوا فيها من آنية الذهب والفضة ما لا يحصى ، فولى الغنائم والقسم عبد الله بن آلان العدوي أحد بني مسكان - وكان قتيبة يسميه الأمين ابن الأمين - وإياس بن

(١) ب : « مساواة » . والمشاورة : القتال بالرياح .

(٢) ب : « تراجعا » .

(٣) ب : « فعلقها » .

بَيْهَتَسِ الْبَاهِلِيَّ ، فَأَذَابَا الْآنِيَةَ وَالْأَصْنَامَ فَرَفَعَاهُ إِلَى قَتَيْبَةَ ، وَرَفَعَا إِلَيْهِ خَبِيثَ مَا أَذَابَا ، فَوَهَبَهُ لَهَا ، فَأَعْطِيَا بِهِ أَرْبَعِينَ أَلْفًا ، فَأَعْلَمَاهُ فَرَجَعَ فِيهِ وَأَمَرَهُمَا أَنْ يَنْدِيْبَاهُ فَأَذَابَاهُ ، فَخَرَجَ مِنْهُ خَمْسُونَ وَمِائَةٌ أَلْفٌ مِثْقَالٌ - أَوْ خَمْسُونَ أَلْفٌ مِثْقَالٌ - وَأَصَابُوا فِي بَيْكَنْدَ شَيْئًا كَثِيرًا ، وَصَارَ فِي أَيْدِي الْمُسْلِمِينَ مِنْ بَيْكَنْدَ شَيْءٌ لَمْ يُصِيبُوا مِثْلَهُ بِخُرَّاسَانَ . وَرَجَعَ قَتَيْبَةُ إِلَى مَرَوْ ، وَقَوِيَ الْمُسْلِمُونَ ، فَاشْتَرَوْا السَّلَاحَ وَالْخَيْلَ ، وَجَلِبَتْ إِلَيْهِمُ الدَّوَابُّ ، وَتَسَانَفَسُوا فِي حُسْنِ الْهَيْئَةِ وَالْعُدَّةِ ، وَغَالَتُوا بِالسَّلَاحِ حَتَّى بَلَغَ الرَّمْحُ سَبْعِينَ ؛ وَقَالَ الْكُفَيْتُ :

وَيَوْمَ بَيْكَنْدَ لَا تُحْصَى عَجَائِبُهُ وَمَا بُخَارَاءُ مِمَّا أَخْطَأَ الْعَدْدُ

وكان في الخزائن سلاحٌ وآلةٌ من آلة الحرب كثيرة ، فكاتب قتيبةُ إلى الحجَّاج يستأذنه في دفع ذلك السلاح إلى الجُند ، فأذن له ، فأخرجوا ما كان في الخزائن من عُدَّة الحرب وآلة السِّقْرِ ، فقَسَمَهُ فِي النَّاسِ ، فَاسْتَعْدُوا ، فَلَمَّا كَانَ أَيَّامُ الرَّبِيعِ نَدَبَ النَّاسَ وَقَالَ : لِيْ أَغْزِيَكُمْ قَبْلَ أَنْ تَحْتَاجُوا إِلَى حَمَلِ الزَّادِ ، وَأَنْتَقِلَكُمْ قَبْلَ أَنْ تَحْتَاجُوا إِلَى الْإِدْفَاءِ ؛ فَسَارَ فِي عُدَّةِ حَسَنَةَ مِنَ الدَّوَابِّ وَالسَّلَاحِ ، فَأَتَى آمُلَ ؛ ثُمَّ عَبَرَ مِنْ زَمَّ إِلَى بُخَارَى ، فَأَتَى نَوْمُشْكَتَ - وَهِيَ مِنْ بُخَارَى - فَصَالَحَهُ .

قال عليٌّ : حدثنا أبو الذِّيَالِ ، عَنْ أَشْيَاحٍ مِنْ بَنِي عَدِيٍّ ، أَنَّ مُسْلِمًا الْبَاهِلِيَّ قَالَ لِوَالِدِهِ : إِنَّ عِنْدِي (١) مَالًا أَحَبُّ أَنْ أَسْتَوْدِعَكَهُ ، قَالَ : أَتُرِيدُ أَنْ يَكُونَ مَكْتُومًا أَوْ لَا تُكْرَهُ أَنْ يَعْلَمَهُ النَّاسُ ؟ قَالَ : أَحِبُّ أَنْ تَسْكُنَّهُ ؛ قَالَ : ابْعَثْ بِهِ مَعَ رَجُلٍ تَشِقُّ بِهِ إِلَى مَوْضِعٍ كَذَا وَكَذَا ، وَمُرَّهُ إِذَا رَأَى رَجُلًا فِي ذَلِكَ الْمَوْضِعِ أَنْ يَضَعُ مَا مَعَهُ وَيَنْصَرِفُ ؛ قَالَ : نَعَمْ ، فَجَعَلَ مُسْلِمُ الْمَالَ فِي خُرْجٍ ، ثُمَّ حَمَلَهُ عَلَى بَعْلِ وَقَالَ لِمَوْلَى لَهُ : انْطَلِقْ بِهَذَا الْبَعْلَ إِلَى مَوْضِعٍ كَذَا وَكَذَا ، فَإِذَا رَأَيْتَ رَجُلًا جَالِسًا فَعَلِّ عَنْ الْبَعْلَ وَانْصَرِفْ . فَانْطَلَقَ الرَّجُلُ بِالْبَعْلِ ، وَقَدْ كَانَ وَالِدَانِ أَتَى الْمَوْضِعَ لِمِيعَادِهِ ،

(١) ب : « عِنْدِي مَالٌ » .

فأبطأ عليه رسولُ مسلم ، ومضى الوقتُ الذي وَعَدَهُ ، فظنَّ أنه قد بدا له ، فانصرف ، وجاء رجلٌ من بني تغلب فجلس في ذلك الموضع ، وجاء مولَى مسلم فرأى الرجل جالساً ، فخلَّى عن البغل ورجع ، فقام التغلبيُّ إلى البغل ، فلما رأى المال ولم يرمع البغل أحدًا قَادَ البغل إلى منزله ، فأخذ البغلَ وأخذَ المالَ ، فظنَّ مسلم أن المال قد صار إلى وألان ، فلم يسأل عنه حتى احتاج إليه ، فلكَّيِّه فقال : مالي ! فقال : ما قبضت شيئاً ، ولا لك عندي مال . قال : فكان مسلم يشكوه ويتنقصه . قال : فأتى يوماً مجلس بني ضُبَيْعَةَ فشكاه والتغلبىُّ جالسٌ ، فقام إليه فخلَّا به وسأله عن المال ، فأخبره ، فانطأق به إلى منزله ، وأخرج الخُرُجَ فقال : أتعرفه ؟ قال : نعم ، قال : والخاتم ؟ قال : نعم ؛ قال : اقبض مالك ، وأخبره الخبر ، فكان مسلم يأتي الناسَ والقبائلَ التي كان يشكو إليهم وألان فيعذره ويُخبرهم الخبر ، وفي وألان يقول الشاعر :

وَلَسْتَ كَوَأَلَانَ الَّذِي سَادَ بِالتُّقَى وَلَسْتَ كَعِمْرَانَ وَلَا كَالْمُهَلَّبِ ١١٩١/٢
وعِمْرَانُ : ابنُ الفصِيلِ البُرْجُمِيِّ .

وحجَّ بالناس في هذه السنة - فيما حدثني أحمد بن ثابت ، عمَّن ذكره ، عن إسحاق بن عيسى ، عن أبي معشر - عمر بن عبد العزيز ، وهو أميرُ على المدينة .

وكان على قضاء المدينة في هذه السنة أبو بكر بن عمرو بن حزم من قبيلِ عُمر بن عبد العزيز .

وكان على العراق والمشرق كلُّهُ الحجاج بن يوسف ، وخليفته على البصرة في هذه السنة - فيما قيل - الجراح بن عبد الله الحكَمي . وعلى قضائها عبد الله ابن أذينة ، وعامله على الحرب بالكوفة زياد بن جريير بن عبد الله ، وعلى قضائها أبو بكر بن أبي موسى الأشعري ، وعلى خراسان قتيبة بن مسلم .

ثم دخلت سنة ثمان وثمانين

[ذكر ما كان فيها من الأحداث]

* * *

[خبر فتح حصن طُوَانة من بلاد الروم]

فمن ذلك ما كان من فَتْحِ الله على المسلمين حِصْنًا من حصون الروم يُدعى طُوَانة في جُمَادَى الآخِرَةِ (١) ، وَشَتَّوْا بِهَا ، وَكَانَ عَلَى الْجَيْشِ مَسْلَمَةُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ ، وَالْعَبَّاسُ بْنُ الْوَلِيدِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ .

فذكر محمد بن عمر الواقدي أن ثور بن يزيد حدثه عن أصحابه قال : كان فتح طُوَانة على يدي مسلمة بن عبد الملك والعباس بن الوليد ، وهزم المسلمون العدو يومئذ هزيمة صاروا إلى كنيستهم ، ثم رجعوا فانهم الناس حتى ظنوا ألا يجتبروها أبدًا ، وبقي العباس معه نفسير ؛ منهم ابن مُحَيَّرِيزِ الجُمَحِيِّ ، فقال العباس لابن مُحَيَّرِيزِ : أين أهل القرآن الذين يريدون الجنة ؟ فقال ابن مُحَيَّرِيزِ : نادهم يأتوك ؛ فنادى العباس : يا أهل القرآن ! فأقبلوا جميعًا ، فهزم الله العدو حتى دخلوا طُوَانة .

١١٩٢/٢

وكان الوليد بن عبد الملك ضرب البعث على أهل المدينة في هذه السنة . فذكر محمد بن عمر ، عن أبيه ، أن تخمرمة بن سليم الوالي قال : ضرب عليهم بعث ألفين . وأنهم تجاعكوا فخرج ألف وخمسمائة ، وتخلّف خمسمائة ، فغزوا الصائفة مع مسلمة والعباس ، وهما على الجيش . وإنهم شتوا بطُوَانة وافتتمحوها .

* * *

وفيها ولد الوليد بن يزيد بن عبد الملك .

* * *

(١) ب وابن الأثير : « الأولى منها » .

[ذكر عمارة مسجد النبي ﷺ عليه وسلم]

وفيهما أمر الوليد بن عبد الملك بهدم مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وهدم بيوت أزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم وإدخالها في المسجد ، فذكر محمد بن عمر ، أن محمد بن جعفر بن وردان البناء قال : رأيت الرسول الذي بعثه الوليد بن عبد الملك قديماً في شهر ربيع الأول سنة ثمان وثمانين ، قدم مُعْتَجِرًا ، فقال الناس : ما قديماً به الرسول ! فدخل على عمر بن عبد العزيز بكتاب الوليد يأمره بإدخال حجرات أزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم في مسجد رسول الله ، وأن يشتري ما في مؤخره ونواحيه حتى يكون مائتي ذراع في مائتي ذراع ويقول له : قديم القبيلة إن قديرت ، وأنت تقدر لمكان أخوالك ، فإنهم لا يخافونك ، فمن أي منهم فر أهل المصر فليقوموا له قيمة عدل ، ثم اهدم عليهم وادفع إليهم الأثمان ، فإن لك في ذلك ستألف صدق ؛ عمر وعثمان فأقرأهم كتاب الوليد وهم عنده ، فأجاب القوم إلى الثمن ، فأعظام إياه ، وأخذت في هدم بيوت أزواج النبي ^(١) صلى الله عليه وسلم وبناء المسجد ، فلم يملك إلا يسيراً ^(٢) حتى قديم الفعلة ، بعث بهم الوليد . قال محمد بن عمر : وحدثنى موسى بن يعقوب ، عن عمه ، قال : رأيت عمر بن عبد العزيز يهدم المسجد ومعه وجوه الناس : القاسم ، وسالم ، وأبو بكر بن عبد الرحمن بن الحارث ، وعبيد الله بن عبد الله بن عتبة ، ونخارجة بن زيد ، وعبد الله بن عبد الله بن عمر ، يرونه أعلاماً في المسجد ويقدرونه ، فأسسوا أساسه .

قال محمد بن عمر : وحدثنى يحيى بن النعمان الغفاري ، عن صالح بن كيسان ، قال : لما جاء كتاب الوليد من دمشق وسار ^(٣) خمس عشرة بهدم المسجد ، تجرد عمر بن عبد العزيز . قال صالح : فاستعملني على هدمه وبناءه ، فهدمناه بعمال المدينة ، فبدأنا بهدم بيوت أزواج النبي صلى الله عليه وسلم حتى قديم علينا الفعلة الذين بعث بهم الوليد .

(١) ب : « رسول الله » . (٢) ب : « قليلا » .

(٣) ط : « سار » .

قال محمد : وحدثنى موسى بن أبي بكر ، عن صالح بن كيسان ، قال : ابتدأنا بهدم مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم في صفر من سنة ثمان وثمانين ، وبعث الوليد إلى صاحب الروم يعلمه أنه أمر بدم مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأن يعينه فيه ، فبعث إليه بمائة ألف مثقال ذهب ، وبعث إليه بمائة عامل ، وبعث إليه من الفسيفساء بأربعين حملاً ، وأمر أن يتتبع الفسيفساء في المدائن التي خربت ، فبعث بها إلى الوليد ، فبعث بذلك الوليد إلى عمر بن عبد العزيز .
وفي هذه السنة ابتدأ عمر بن عبد العزيز في بناء المسجد .

* * *

وفيها غزاً أيضاً مسلمة الروم ، ففتح على يديه حصون ثلاثة : حصن قسطنطينية ، وغزاة ، وحصن الأخرم . وقتل من المستعربة نحو من ألف مع سببي الذرية وأخذ الأموال .

* * *

[ذكر غزو قتيبة نومشكث وراميشنه]

وفي هذه السنة غزا قتيبة نومشكث وراميشنه .

* ذكر الخبر عما كان من خبر غزوته هذه :

ذكر علي بن محمد ، أن المفضل بن محمد أخبره عن أبيه ومصعب بن حيان ، عن مولى لهم أدرك ذلك ، أن قتيبة غزا نومشكث في سنة ثمان وثمانين ، واستخلف على مرو بشار بن مسلم ، فتلقات أهلها ، فصالحهم ، ثم صار إلى راميشنه فصالحه أهلها ، فانصرف عنهم^(١) وزحف إليه الترك ، معهم^(٢) السغد وأهل فرغانة ، فاعترضوا المسلمين في طريقهم ، فلاحقوا عبد الرحمن ابن مسلم الباهلي وهو على الساقة ، بينه وبين قتيبة وأوائل العسكر ميل ، فلما قربوا منه أرسل رسولاً إلى قتيبة بخبره ، وغشيه الترك فقاتلوه ، وأتى الرسول قتيبة فرجع بالناس ، فأنهى إلى عبد الرحمن وهو يقاتلهم ، وقد كاد

١١٩٥/٢

(٢) ب : « ومهم » .

(١) ب : « عنها » .

الترك يستعملونهم ، فلما رأى الناس قتيبة طابت أنفسهم فصبروا ، وقاتلوهم إلى الظهر ، وأبدى يومئذ نيزك وهو مع قتيبة ، فهزم الله الترك ، وفض جسمهم ، ورجع قتيبة يريد مرو . وقطع النهر من الترمذ يريد بلخ ، ثم أتى مرو . وقال الباهليون : لقي الترك المسلمين عليهم كورمغانون التركي ابن أخت مسلك الصين في مائتي ألف ، فأظهر الله المسلمين عليهم .

* * *

[ذكر ما عمل الوليد من المعروف]

وفي هذه السنة كتب الوليد بن عبد الملك إلى عمر بن عبد العزيز في تسهيل الثنايا وحنقر الآبار في البلدان .

قال محمد بن عمر : حدثني ابن أبي سبيرة ، قال : حدثني صالح بن كيسان ، قال : كتب الوليد إلى عمر في تسهيل الثنايا وحنقر الآبار بالمدينة ، وخرجت كتبه إلى البلدان بذلك ، وكتب الوليد إلى خالد بن عبد الله بذلك . قال : وحبس المجذمين عن أن يخرجوا على الناس ، وأجرى عليهم أرزاقاً ، وكانت (٢) تجرى عليهم .

وقال ابن أبي سبيرة ، عن صالح بن كيسان ، قال : كتب الوليد إلى عمر ابن عبد العزيز أن يعمل الفوارة التي عند دار يزيد بن عبد الملك اليوم ، فعملها عمر وأجرى ماءها ، فلما حج الوليد وقف عليها ، فنظر إلى بيت الماء والفوارة ، فأعجبته ، وأمر لها بقوام يتقومون عليها ، وأن يسقى أهل المسجد منها ، ففعل ذلك .

* * *

وحج بالناس في هذه السنة عمر بن عبد العزيز في رواية محمد بن عمر . ذكر أن محمد بن عبد الله بن جبشير - مولى لبني العباس - حدثه عن صالح بن كيسان ، قال : خرج عمر بن عبد العزيز تلك السنة - يعني سنة ثمان وثمانين - بعدة من قريش ، أرسل إليهم بصلات وظهر للحمولة ، وأحرموا معه من ذى الحليفة ، وساق معه بدنا ، فلما كان بالتشيم لقيهم نقر

(٢) ب : « فكانت » .

(١) ط : « كورمغانون » .

من قريش، منهم ابن أبي مَسَيْكَة وغيره ، فأخبروه أنَّ مَكَّةَ قليلة الماء، وأنهم يخافون على الحاجِّ العَطَشَ . وذلك أن المطر قلَّ ، فقال عمر : فالمتطلب هاهنا بيِّن، تعالوا نَدْعُ الله . قال : فرأيتهم دَعَوْا ودعا معهم ، فألحوا في الدِّعاء . قال صالح : فلا^(١) والله إن وصلنا إلى البيت ذلك اليوم إلا مع المطر حتى كان مع الليل ، وسكَّبت السماء ، وجاء سَيْلُ الوادي ، فجاء أمرُ خافته أهلُ مَكَّةَ، ومُطرت عَرَفَةُ ومِئِيَّ وجُمُوعٌ ؛ فما كانت إلا عُبْرًا ، قال : ونبتت مَكَّةَ تلك السنة للخصب .

١١٩٧/٢

وأما أبو مَعَشَرٍ فإنه قال : حجَّ بالناس سنة ثمان وثمانين عمرُ بنُ الوليد ابن عبدِ الملك ، حدثني بذلك أحمدُ بنُ ثابتِ عمِّن ذكره ، عن إسحاقِ ابن عيسى عنه .

وكانت العمَّال على الأمصار في هذه السنة العمَّال الذين ذكرنا أنهم كانوا عمَّالها في سنة سبع وثمانين .

(١) ب : « فواقه » ، س : « ولا واقه » .

ثم دخلت سنة تسع وثمانين

ذكر الخبر عن الأحداث التي كانت فيها

* * *

[خبر غزو مسلمة أرض الروم]

فمن ذلك افتتاح المسلمين في هذه السنة حصن سورية ، وعلى الجيش مسلمة بن عبد الملك ، زعم الواقدي أن مسلمة غزا في هذه السنة أرض الروم ، ومعه العباس بن الوليد ودخلها جميعاً ثم نفرقا ، فافتتح مسلمة حصن سورية ، وافتتح العباس أذرولية ، ووافق من الروم جمعاً فهزمهم .
وأما غير الواقدي فإنه قال : قصد مسلمة عمورية فوافق بها للروم جمعاً كثيراً ، فهزمهم الله ، وافتتح هرقلة وقمودية .
وغزا العباس الصائفة من ناحية البغدندون .

* * *

[خبر غزو قتيبة بخارى]

وفي هذه السنة غزا قتيبة بخارى ، ففتح راميشنه . ذكر علي بن محمد عن الباهليين أنهم قالوا ذلك ، وأن قتيبة رجع بعد ما فتحها في طريق بلخ ، فلما كان بالفارياب أتاه كتاب الحجاج : أن رد وردان خذاه . فرجع قتيبة سنة تسع وثمانين ، فأتى زم ، فقطع النهر ، فلقية السعد وأهل كيس ونسّف في طريق المفازة ، فقاتلوه ، فظفر بهم ومضى إلى بخارى ، فنزل خرقانة السفلى عن يمين وردان ، فلقوه بجمع كثير ، فقاتلهم يومين وليلتين ، ثم أعطاه الله الظفر عليهم ؛ فقال نهار بن توسعة : وباتت لهم منا بخرقان ليلة وليلتنا كانت بخرقان أطولاً قال علي : أخبرنا أبو الذبّال عن المهلب بن إياس ، وأبو العلاء عن

١١٩٩/٢ إدريس بن حنظلة . أن قتيبة غزا ووردان خذاه ^(١) ملك بخارى سنة تسع وثمانين فلم يطيقه . ولم يظفر من البلد بشيء . فرجع إلى مرو ، وكتب إلى الحجاج بذلك . فكتب إليه الحجاج : أن صورها لي ، فبعث إليه بصورتها ، فكتب إليه الحجاج : أن ارجع إلى مراغتك ^(٢) فتب إلى الله مما كان منك ، وأتيا من مكان كذا وكذا .

وقيل : كتب إليه الحجاج أن كس يكس وانسف نسف وردد وردان ، وإياك والتحويط ^(٣) ، ودعني من بئيات الطريق ^(٤)

* * *

[خبر ولاية خالد القسري على مكة]

وفي هذه السنة ولي خالد بن عبد الله القسري مكة فيما زعم الواقدي ، وذكر أن عمر بن صالح حدثه عن نافع مولى بنى مخزوم . قال : سمعت خالد بن عبد الله يقول على منبر مكة وهو يخطب :

أيها الناس . أيهما أعظم ؟ أخليفة الرجل على أهله ، أم رسوله إليهم ؟ والله لو لم تعلموا فضل الخليفة ، إلا أن إبراهيم خليل الرحمن استسقى فسقاه ملحاً أجاباً ، واستسقاه ^(٥) الخليفة فسقاه عذباً فراثاً ، بئراً حفراً الوليد بن عبد الملك بالثنتين - ثنية طوى وثنية الحجون ^(٦) - فكان ينقل ماؤها فيوضع في حوض من آدم إلى جنب زمزم ليُعرف فضله على زمزم . قال : ثم غارت البئر فذهبت فلا يُدرى أين هي اليوم .

١٢٠٠/٢

(١) ب : « خذاه » .

(٢) المراجعة في الأصل : ممرغ الدابة ؛ أراد بها بخارى أي أن يفتحها ويتخذها مقلاً يتقلب فيه كما تتقلب الدابة في مراغتها .

(٣) حوط حول الأمر ، أي دار ، وأصله من حوط كرمه تحويطاً ، أي بني حوله حائطاً ؛ يريد : إياك والدوران في القول وكثرة المراجعة فيه .

(٤) بئيات الطريق : الطرق الصغار تشعب من الجادة ، أي اسلك الطريق المستقيم الذي لا تمرح فيه .

(٥) ب : « واستسقى » .

(٦) ابن الأثير : « ثنية طوى في ثنية الحجون » .

* * *

وفيها غزاً مسلماً بنُ عبد الملك التُّرُكَّ حتى بلغ البابَ من ناحية
أذُرْبَيْجان ، ففتَحَ حُصُوناً ومدائنَ هنالك .

* * *

وحجَّ بالناس في هذه السنة عمرُ بنُ عبد العزيز ، حدثني بذلك أحمدُ
ابنُ ثابت ، عمَّن ذَكَرَهُ ، عن إسحاق بن عيسى ، عن أبي معشَر .
وكال العمَّال في هذه السنة على الأمصار العمال في السنة التي قبَلَتْها ،
وقد ذكرناهم قبَل .

ثم دخلت سنة تسعين

ذكر الخبر عن الأحداث التي كانت فيها

في هذه السنة غزا مسلمة أرض الروم فيما ذكر محمد بن عمر - من ناحية سورية ، ففتحت الحصون الخمسة التي بسورية .

وغزا فيها العباس بن الوليد ؛ قال بعضهم : حتى يبلغ الأرز ؛ وقال بعضهم : حتى يبلغ سورية . وقال محمد بن عمر : قول من قال : حتى يبلغ سورية أصبح .

وفيهما قتل محمد بن القاسم الثقفي داهر بن صمصمة ملك السند ، وهو على جيش من قبيل الحججاج بن يوسف .

وفيهما استعمل الوليد قررة بن شريك على مصر موضع عبد الله بن عبد الملك .

وفيهما أسرت الروم نخالد بن كيسان صاحب البحر ، فذهبوا به إلى ملكهم ، فأهداه ملك الروم إلى الوليد بن عبد الملك . ١٢٠١/٢

* * *

[خبر فتح بخارى]

وفيهما فتحت قتيبة بخارى ، وهزم جموع العدو بها .

* ذكر الخبر عن ذلك :

ذكر علي بن محمد أن أبا الديال أخببره عن المهلب بن إياس ؛ وأبا العلاء عن لإدريس بن حسنظة ؛ أن كتّاب الحججاج لما ورد على قتيبة يأمره بالتوبة مما كان ، من انصرافه عن وردان نخذاه ملك بخارى قبل الظفر به والمصير إليه ، ويعرفه الموضع الذي ينبغي له أن يأتي بلده منه ، خرج قتيبة إلى بخارى في سنة تسعين غازياً ، فأرسل وردان نخذاه إلى السغد والتشرك ومن حولهم

يستنصرونهم^(١)، فأتوهم وقد سبقت إليها قتيبة^٢ فحصرهم، فلما جاءتهم أمدادهم خرجوا إليهم ليقاتلوهم، فقالت الأزد: اجعلونا على حدة^(٢)، ونحنا وبيننا وبين قتلهم. فقال قتيبة: تقدموا؛^(٣) فتقدموا يقاتلونهم^(٣) وقتيبة جالس، عليه رداء أصفر فوق سلاحه، فصبروا جميعاً ملياً، ثم جال المسلمون، وركبهم المشركون فحطموهم حتى دخلوا في عسكر قتيبة وجازوه حتى ضرب النساء وجوه الخيل وبكسين، فكروا راجعين، وانطوت مجنبتنا المسلمين على الترك، فقاتلوهم حتى ردوهم إلى موافقهم، فوقف الترك على ١٢٠٢/٢ نشز، فقال قتيبة: من يزيلهم لنا عن هذا الموضع^(٤)؟ فلم يقدم عليهم أحد،^(٥) والأحياء كلها وقوف^(٥).

فشى قتيبة إلى بني تميم، فقال: يا بني تميم، إنكم أنتم بمنزلة الخطيئة، فيوم كأيامكم، أبي^(٦) لكم الفداء! قال: فأخذ وكيع اللواء بيده، وقال: يا بني تميم، أنسلموني اليوم؟ قالوا: لا يا أبا مطرف - وهريم بن أبي طلحة المجاشعي على خيل بني تميم ووكيع رأسهم، والناس وقوف - فأحجموا جميعاً، فقال وكيع: يا هريم، قدّم^(٧)، ودفع إليه الرابية، وقال: قدّم خيالك فتقدم هريم، ودب وكيع في الرجال، فأنهى هريم إلى نهر بينه وبين العدو فوقف، فقال له وكيع: أقحم يا هريم؛ قال: فنظر هريم إلى وكيع نظراً الجحش الصئول^(٨) وقال: أنا أقحم^(٩) خيلي هذا النهر، فإن انكشفت كان هلاكها! والله إنك لأحمق؛ قال: يا بن اللسّاء، ألا أراك تردّ امرى! وحده به بعمود كان معه، فضرّب هريم فرسه فأقحمه، وقال: ما بعد هذا أشدّ من هذا، وعبر هريم في الخيل، وانتهى^(١٠) وكيع إلى النهر، فدعا بخشّب؛ فتعسّط النهر وقال لأصحابه: من وطن منكم نفسه على الموت فليعبّر، ومن لا فليشّبت مكانه؛ فما عبّر معه إلا ثمانمائة

- (١) ب: «يستنصرونهم» .
 (٢-٣) ب: «فقاتلوهم» .
 (٥-٥) ب: «والأحياء من العرب كلهم وقوف» .
 (٧) ابن الأثير: «قدم خيلك» .
 (٩) ابن الأثير: «أقحم» .
 (٢) ب: «ناحية» .
 (٤) ب: «الموقف» .
 (٦) ر: «إني» .
 (٨) ب: «الهائج» .
 (١٠) ب: «فانتهى» .

راجل^(١)، فذبّ فيهم حتى إذا أعيوا^(٢) أفعدّهم فأراحوا حتى دنا من العدو ، فجعل^(٣) الخليل مجنّبتين ، وقال لهريم : إني مُطاعن القوم ، فاشغلهم عنا بالخليل ، وقال للناس : شدّوا ، فحملوا فما انثنوا حتى خالطوهم ، وحمل هريم خيلته عليهم فطاعنهم بالرّماح ، فما كفّوا عنهم حتى حدّروهم عن موقفهم ، ونادى قتيبة : أما ترّون العدوّ منهزمين ! فما عبر أحدٌ ذلك النهر حتى ولّى العدوّ منهزمين ، فأتبعهم الناسُ ، ونادى قتيبة : من جاء برأسٍ فله مائة .

١٢٠٣/٢

قال : فزعم موسى بن المتوكّل القرّيعيّ ، قال : جاء يومئذ أحد عشر رجلاً من بني قرّيع ، كلّ رجلٍ يبيء برأس ، فيقال له : من أنت ؟ فيقول : قرّيعيّ .. قال : فجاء رجل من الأزد برأس فألقاه ، فقالوا له : من أنت ؟ قال : قرّيعيّ ؛ قال : وجّههم بن زحّبر قاعد ، فقال : كذبَ والله أصلحك الله ! إنه لابن عمّي ؛ فقال له قتيبة : ويحك ! ما دعاك إلى هذا ؟ قال : رأيتُ كلّ من جاء قرّيعيّ : فظننتُ أنه ينبغي لكلّ من جاء برأس أن يقول : قرّيعيّ . قال : فضحك قتيبة .

قال : وجرّح^(٤) يومئذ خاقان وابنه ، ورجع قتيبة إلى مروّ ، وكتب إلى الحجّاج : إني بعثتُ عبدَ الرحمن بن مسلم ، ففتح الله على يديه .

قال : وقد كان شهد الفتح مولّى للحجّاج ، فقدم فأخبره الخبر ، فغضب الحجّاج على قتيبة ، فاغتم لذلك^(٥) ، فقال له الناس . ابعثْ وقدأ من بني تميم وأعطهم وأرضهم بخبروا الأمير أن الأمر على ما كتبت ، فبعث رجلاً فيهم عُرّام بن شتير الضبّي ، فلما قدموا على الحجّاج صاح بهم وعاتبهم ودعا بالحجّام بيده مقرّاض فقال : لأقطّعن ألسنتكم أو لتصدّقنني ، قالوا : الأمير قتيبة ، وبعث عليهم عبدَ الرحمن ، فالفتح^(٦) للأمير والرأس الذي يكون على الناس ، وكلمه بهذا عُرّام بن شتير . فسكن الحجّاج .

١٢٠٤/٢

(٢) ب : « عبروا » .

(٤) ب ، ر : « وخرج » .

(٦) ب : « بالفتح » .

(١) ب : « رجل » .

(٣) ب : « وجعل » .

(٥) ب : « كذلك » .

[خبر صلح قتيبة مع السغد]

وفي هذه السنة بجدد قتيبة الصلح بينه وبين طرخون ملك السغد .
* ذكر الخبر عن ذلك :

قال عليّ : ذكر أبو السري عن الجهم الباهليّ ، قال : لما أوقع قتيبة بأهل بخارى ففتنّ جمعهم هابته أهل السغد ، فرجع طرخون ملك السغد ومعه فارسان حتى وقف قريباً من عسكر قتيبة ، وبينهما نهر بخارى ، فسأل أن يبعث إليه رجلاً يكلمه ، فأمر قتيبة رجلاً فدنا منه .
وأما الباهليون فيقولون : نادى طرخون حيان النبطي فاتاه ، فسأله الصلح على فدية يؤديها إليهم ، فأجابه قتيبة إلى ما طلب ، وصالحه ، وأخذ منه رهناً حتى يبعث إليه بما صالحه عليه ، وانصرف طرخون إلى بلاده ، ورجع قتيبة ومعه نيزك .

* * *

[غدر نيزك]

وفي هذه السنة غدر نيزك ، فنقض الصلح الذي كان بينه وبين المسلمين وامتنع بقلعته ، وعاد حرباً ، فغزاه قتيبة .

* ذكر الخبر عن سبب غدره وسبب الظفر به :

قال عليّ : ذكر أبو الديال ، عن المهلب بن إياس والمفضل الضبيّ ، عن أبيه ، وعليّ بن مجاهد وكليب بن خنيس العمي ؛ كل قد ذكر شيئاً فآلفته ؛ وذكر الباهليون شيئاً فآلفته في خيبر هؤلاء وألفته ؛ أن قتيبة فصل من بخارى ومعه نيزك وقد ذعره ما قد رأى من الفتح ، وخاف قتيبة ، فقال : لأصحابه وخاصته : متهمم أنا مع هذا ، ولست آمنه ؛ وذلك أن العربيّ بمنزلة الكلب ؛ إذا ضربته نبتح ، وإذا أطعمته بصيص واتبعك ، وإذا غزوته ثم أعطيته شيئاً رضى ، ونسى ما صنعت به ، وقد فاتك طرخون مراراً ، فلما أعطاه فدية قبلها رضى ، وهو شديد السطوة فاجر

فلو استأذنت^(١) ورجعتُ كان الرأي ، قالوا : استأذنه . فلما كان قتيبة بأمْل استأذنته في الرجوع إلى تخارستان ، فأذن له ، فلما فارق عسكره متوجهًا إلى بسلخ قال لأصحابه : أغدُّوا السيرَ ؛ فساروا^(٢) سيرًا شديدًا حتى أتوا النوبهار^(٣) ، فنزل يصلّي فيه وتبرك به . وقال لأصحابه : إني لا أشكُّ أن قتيبة قد ندم حين فارقتنا عسكره على إذنه لي ، وسيقدم الساعة رسولُه على المغيرة بن عبد الله يأمرُه بحبسي ، فأقيموا ريثةً تنظر ، فإذا رأيتم الرسولَ قد جاوزَ المدينةَ وخرج من الباب فإنه لا يبلغ البروقان حتى يبلغ تخارستان ، فيبعث المغيرة رجلا فلا يدركنا حتى ندخل شعب نخلم ؛ ففعلوا .

قال : وأقبل رسولٌ من قبيل^(٤) قتيبة إلى المغيرة يأمرُه بحبس نيزك .

فلما مرَّ الرسول إلى المغيرة وهو بالبروقان — ومدينة بسلخ يومئذ خراب — ركب نيزك وأصحابه فمضوا ، وقدم الرسول على المغيرة فركب بنفسه في طلبه ، فوجدته قد دخل شعب نخلم ، فانصرف المغيرة ، وأظهر نيزك الخلع ، وكتب إلى أصبهيد بسلخ وإلى باذام ملك مسروروذ ، وإلى سهرب^(٥) ملك الطالقان ، وإلى ترسل ملك الفارياب ، وإلى الجوزجاني ملك الجوزجان يدعوهم إلى خلع قتيبة ، فأجابوه ، وواعدتهم الربيع أن يجتمعوا ويغزوا قتيبة . وكتب إلى كابل شاه يستظهر به ، وبعث إليه بثقله وماله ، وسأله أن يأذن له إن اضطر إليه أن يأتيه ويؤمنه في بلاده ، فأجابه إلى ذلك وضم ثقله .

قال : وكان جبغويه ملك تخارستان ضعيفًا ، واسمه الشذ ، فأخذه نيزك فقيده بقيد من ذهب مخافة أن يشغب عليه — وجبغويه ملك تخارستان ونيزك من عبيده — فلما استوثق منه وضع عليه الرقباء ، وأخرج عامل قتيبة من بلاد جبغويه ، وكان العامل محمد بن سليم الناصح ، وبلغ قتيبة خلعه قبل الشتاء ، وقد تفرق الجند فلم يسبق مع قتيبة إلا أهل مسرو ، فبعث عبد الرحمن أخاه إلى بسلخ في اثني عشر ألفًا إلى البروقان ، وقال : أقم بها ،

(١) ب : « استأذنته » . (٢) ب : « سار » .

(٣) ب : « التوبهار » . (٤) ب : « عند » .

(٥) ط : « سهرب » ، وانظر الطبري ٢ : ١٥٦٦ ، ١٥٦٩ (أوربا) .

وَلَا تُحَدِّثْ شَيْئًا ، فَإِذَا حَسَسَ الشَّوَاءَ فَعَسَّ كَبِيرٌ وَسِرٌّ نَحْوَ تَخَارِسْتَانَ ، وَعَلِمَ أَنِّي قَرِيبٌ مِنْكَ ، فَسَارَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ فَنَزَلَ الْبُرُوقَانَ ، وَأَمَهَّلَ قَتِيْبَةَ حَتَّى إِذَا كَانَ فِي آخِرِ الشَّوَاءِ كَتَبْتُ إِلَى أَبِي شَهْرٍ وَبِيُوْرَدٍ وَسَرَّخَسِ وَأَهْلِ هَرَّاءَ لِيَقْدَمُوا قَبْلَ أَوْلَانِيهِمُ الَّذِي كَانُوا يَتَّقِدَمُونَ عَلَيْهِ فِيهِ .

[خبر فتح الطالقان]

وفي هذه السنة ، أوقع قتيبة بأهل الطالقان بخراسان - فيما قال بعض أهل الأخبار - فقتل من أهلها مقتلة عظيمة ، وصلب منهم ستمائتين أربعة فراسخ في نظام واحد .

* ذكر الخبر عن سبب ذلك :

وكان السبب في ذلك - فيما ذكر - أن نيزك طرخان لما غدر وخالع قتيبة وعزَمَ على حربه ، طابَقَهُ على حربه ملك الطالقان ، وواعده المصيرَ إليه من استجاب للنهوض معه من الملوك لحرب قتيبة ، فلما هرب نيزك من قتيبة ودخل شعب خلم الذي يأخذ إلى طخارستان عليهم أنه لا طاقة له بقتيبة ، فهرب ، وسار قتيبة إلى الطالقان فأوقع بأهلها ، ففعل ما ذكرتُ فيما قبل . وقد خولف قائلُ هذا القول فيما قال من ذلك ، وأنا ذاكرُهُ في أحداث سنة إحدى وتسعين .

١٢٠٨/٢

وحجَّ بالناس في هذه السنة عمرُ بنُ عبد العزيز ، كذلك حدثني أحمد ابن ثابت عمَّن ذكره ، عن إسحاق بن عيسى ، عن أبي معشر . وكذلك قال محمد بن عمر .

وكان عمرُ بنُ عبد العزيز في هذه السنة عامل الوليد بن عبد الملك على مكة والمدينة والطائف . وعلى العراق والمشرق الحججاج بن يوسف ، وعامل الحججاج على البصرة الجراح بن عبد الله . وعلى قضاها عبد الرحمن بن أذينة ، وعلى الكوفة زياد بن جسرير بن عبد الله . وعلى قضاها أبو بكر بن أبي موسى . وعلى خراسان قتيبة بن مسلم . وعلى مصر قرة بن قرة بن شريك .

[هرب يزيد بن المهلب وإخوته من سجن الحججاج]

وفي هذه السنة هرب يزيد بن المهلب وإخوته الذين كانوا معه في السجن مع آخرين غيرهم، فلحقوا بسليمان بن عبد الملك مستجيرين به من الحججاج ابن يوسف، والوليد بن عبد الملك.

* ذكر الخبر عن سبب تخلصهم من سجن الحججاج ومسيرهم إلى سليمان :

قال هشام : حدثني أبو مخنف، عن أبي المخارق الراسبي، قال : خرج الحججاج إلى رستقباد للبعث، لأن الأكراد كانوا قد غلبوا على عامة أرض فارس، فخرج بيزيد وإخوته المفضل وعبد الملك حتى قدم بهم رستقباد؛ فجعلهم في عسكريه، وجعل عليهم كهيشة الحندق، وجعلهم في فسطاط قريباً من حججرتة، وجعل عليهم حرساً من أهل الشام، وأغرمتهم ستة آلاف ألف، وأخذ يعذبهم، وكان يزيد يتصير صبراً حسناً، وكان الحججاج يغيظه ذلك، فقبل له : إنه رُمي بنشابة فثبت نصلها في ساقه، فهو لا يمسه شيء إلا صاح، فإن حركت أدنى شيء سمعت صوته، فأمر أن يعذب ويدهق^(١) ساقه، فلما فعل ذلك به صاح، وأخته هند بنت المهلب عند الحججاج، فلما سمعت صياح يزيد صاحت وناحت، فطلقتها. ثم إنه كف عنهم، وأقبل يستأديهم، فأخذوا يؤدون وهم يعملون في التخلص من مكانهم، فبعثوا إلى مروان بن المهلب وهو بالبصرة يأمره أن يضم لهم الخيل، ويرى الناس أنه إنما يريد بيعها ويعرضها على البيع، ويغلي بها لثلاً تشتري فتكون لنا عدة إن نحن قدرنا على أن ننجو مما هاهنا. ففعل ذلك مروان، وحبیب بالبصرة^(٢) يعذب أيضاً، وأمر يزيد بالخرس فصنع لهم طعام كثير فأكلوا؛ وأمر بشراب فسقوا، فكانوا متشاغلين به، وليس يزيد ثياب طيبانحه، ووضع على لحيته لحيه

١٢٠٩/٢

(٢) ب : « يعذب بالبصرة » .

(١) الدهق : شد الساق بخشيتين .

بَيْضَاءَ ، وخرج فرآه بعضُ الحرس فقال : كأنّ هذه مِشِيَّةُ يزيدٍ ! فجاء حتى استعرض وجهه ليلاً ، فرأى بياضَ اللّحية ، فانصرف عنه ، فقال : هذا شيخ . وخرج المفضلُ على أثره ، ولم يُفطِن له ، فجاءوا إلى سُفْنِهِمْ وقد هَيَّئُوا في البطائح ، وبينهم وبين البصرة ثمانية عشرَ فرَسَخًا ، فلما انتهوا إلى السفن أبطأ عليهم عبدُ الملك وشغِلَ عنهم ، فقال يزيد للمفضل : اركب بنا فإنه لاحقٌ ، فقال المفضل - وعبد الملك أخوه لأُمّه - وهى بهلة ، هندية : لا والله ، لا أبرح حتى يجيء ولو رجعتُ إلى السجن . فأقام يزيدُ حتى جاءهم عبد الملك ، وركبوا عند ذلك السفن ، فساروا ليلتهم حتى أصبحوا ، ولما أصبح الحرس عليهم بدأ بهم ، فرُفِعَ ذلك إلى الحجّاج ، وقال الفرزدق في خروجهم (١) :

١٢١٠/٢

فلمْ أَر كَالرُّهْطِ الَّذِينَ تَتَابَعُوا عَلَى الْجِدْعِ وَالْحِرَاسِ غَيْرُ نِيَامِ -
مَضُوا وَهُمْ مُسْتَيْقِنُونَ بِأَنَّهُمْ إِلَى قَدَرِ آجَالِهِمْ وَحِمَامِ -
وإنْ مِنْهُمْ إِلَّا يُسْكَنُ جَاشُهُ (٢) بَعْضُ صَقِيلِ صَارِمٍ وَحُسَامِ
فَلَمَّا التَقَوْا لَمْ يَلْتَقُوا بِمُنْفَعِهِ (٣) كَبِيرٍ وَلَا رَخِصِ الْعِظَامِ غَلَامِ
بِمِثْلِ أَبِيهِمْ حِينَ تَمَّتْ لِدَاتُهُمْ لَخْمِسِينَ قَلْ فِي جُرْأَةٍ وَتَمَامِ

١٢١١/٢

ففرغ له الحجّاج ، وذهب وهمه أنّهم ذَهَبُوا قِبَلَ خُرَاسَانَ ، وبعث البريدَ إلى قتيبة بن مسلم يحذّره قدومهم ، ويأمره أن يستعدّ لهم ، وبعث إلى أمراء الثغور والكُور أن يرصدوهم ، ويستعدّوا لهم ، وكتب إلى الوليد بن عبد الملك يُخبره بهربهم ، وأنّه لا يراهم أرادوا إلا خُرَاسَانَ . ولم يزل الحجّاج يظنّ بيزيدَ ما صنع ، كان يقول : إني لأظنه يحدث نفسه بمِثْلِ الذي صنع ابنُ الأشعث .

ولمّا دنا يزيدُ من البطائح ، من مَوْقُوعِ (٤) استقبلته الخيلُ وقد هَيَّئَتْ له وإخوته ، فخرجوا عليها ومعهم دليلٌ لهم من كتّاب يقول له : عبد الجبار بن يزيد بن الربعة ، فأخذ بهم على السّمَاوَةِ ، وأتى الحجّاج بعد يومين ، فقيل

(١) ديوانه ٨١٦ - ٨١٧ . (٢) الديوان : « وما منهم » .

(٣) كذا في ب والديوان ، والمنفَع : الضيف من الملة . وفي ط : « بمنفَع » .

(٤) مَوْقُوع : ماء بناحية البصرة .

له : إنما أخذ الرجل طريقَ الشام ، وهذه الخيلُ حَسْرَى في الطريق ، وقد أتى من رآهم موجَّهين في البرِّ ، فبعث إلى الوليد يُعَلِّمه ذلك ، ومَضَى يزيدُ حتى قَدِمَ فِلَسْطِينَ ، فَسَزَلَ على وهيب بن عبد الرحمن الأزديّ - وكان كريمًا على سليمان - وأنزل بعضَ ثَقَلِه وأهله على سُفْيَانِ بن سليمان الأزديّ ، وجاء وهيب بن عبد الرحمن حتى دخل على سليمان ، فقال : هذا يزيدُ بن المهلب ، وإخوته في منزلي ، وقد أتوك هُرَابًا من الحججاج متعوذين بك ؛ قال : فأتيتني بهم فهم آمِنون لا يُوصَلُ إليهم أبدًا وأنا حيٌّ . فجاء بهم حتى أدخلتهم عليه ، فكانوا في مكان آمِن . وقال الكلبي^(١) دليلهم في مسيرهم :

أَلَا جَعَلَ اللهُ الأَخْلَاءَ كُلَّهُمْ	فداء على ما كان لابن المهلب
لَنِعْمَ الفتى يا معشر الأزد أسعفت	ركابكم بالوهب شرقي منقبي ^(٢)
عدلن يميناً عنهم رملُ عالج	وذات يمين القوم أعلام غرب ^(٣)
فإلا تُصَبِّحُ بعدَ خمسِ ركابنا	سليان من أهل اللوى تتأوب ^(٤)
تقرُّ قَرَارَ الشمسِ مما وراءنا ^(٥)	وتذهب في داج من الليل غيب
يقومُ همُّ كانوا الملوك هديتهم ^(٦)	بظلمات لم يبصر بها ضوء كوكب
ولا قمرٍ إلا ضيلاً كأنه	سوار حناه صائح السور مذهب

قال هشام : فأخبرني الحسن بن أبان العليمي ، قال : بينا عبد الجبار ابن يزيد بن الربعة يسرى بهم فسقطت عمامة يزيد ، ففقدتها فقال : يا عبد الجبار ، ارجع فاطلبها لنا ، قال : إن مثلي لا يؤمر بهذا ، فأعاد ؛ فأبى ، فتناوكته بالسوط ، فانتسب له ، فاستحيا منه ، فذلك قوله :

أَلَا جَعَلَ اللهُ الأَخْلَاءَ كُلَّهُمْ فداء على ما كان لابن المهلب

- | | |
|---------------------------------|------------------------------------|
| (١) ب : « وقد قال ابن » . | (٢) ب : « ركابهم بالوهب » . |
| (٣) ب : « عزب » ، ر : « عرب » . | (٤) ب : « تتأوب » . |
| (٥) ب : « نقر فرار » . | (٦) ب : « يقوم من أبناء الملوك » . |

وكتب الحجاج: إن آل المهلب خانوا مال الله وهرّبوا منّي ولحقوا بسليمان، وكان آل المهلب قدّموا على سليمان، وقد أمر الناس أن يحصلوا ليسرّحوا إلى خراسان، لا يترّون إلا أن يزيد توجه إلى خراسان ليقتل من بها. فلما بلغ الوليد مكانه عند سليمان هوّن عليه بعض ما كان في نفسه، وطار غضباً للمال الذي ذهب به. وكتب سليمان إلى الوليد: إن يزيد بن المهلب عندي وقد آمنته، وإنما عليه ثلاثة آلاف ألف، كان الحجاج أغرمهم ستة آلاف ألف فأدوا ثلاثة آلاف ألف، وبقي ثلاثة آلاف ألف، فهي على. فكتب إليه: لا والله لا أؤمنه حتى تبعث به إلى. فكتب إليه: لئن أنا بعثت به إليك لأجيتنّ معه، فأشددك الله أن تفضّحنى ولا أن تُخيفرنى. فكتب إليه: والله لئن جئتني لا أؤمنه. فقال يزيد: ابعثني إليه، فوالله ما أحب أن أوقع بينك وبينه عداوةً وحرّاً، ولا أن يتشاءم بي لكما الناس، ابعث إليه بي^(٢)، وأرسل معي ابنك، واكتب إليه بالطف ما قدرت عليه. فأرسل ابنه أيوب معه. وكان الوليد أمره أن يبعث به إليه في وثاق، فبعث به إليه، وقال لابنه: إذا أردت أن تدخل عليه فادخل أنت ويزيد في سلسلة ثم ادخلا جميعاً على الوليد، ففعل ذلك به حين انتهى إلى الوليد، فدخلا عليه، فلما رأى الوليد ابن أخيه في سلسلة، قال: والله لقد بلغنا من سليمان ثم إن الغلام دفع كتاب أبيه إلى عمه وقال: يا أمير المؤمنين، نفسي فداؤك! لا تخفر ذمة أبي، وأنت أحق من منعتها، ولا تقطع منا رجاء من رجاء السلامة في جوارنا لمكاننا منك، ولا تدل من رجا العز في الانقطاع إلينا لعزنا بك. وقرأ الكتاب:

لعبد الله الوليد أمير المؤمنين من سليمان بن عبد الملك. أما بعد يا أمير المؤمنين، فوالله إن كنت لأظن لو استجار بي عدو قد نأبذك وجاهدك فأزلته وأجرته أنك لا تدل جاري، ولا تخفر جوارى، بله لم أجبر إلا سامعاً مطيعاً حسن البلاء والأثر في الإسلام هو وأبوه وأهل بيته، وقد بعثت إليك، فإن كنت إنما تخزو قطيعتي والإخضار لدمتي، والإبلاغ في مسأعتي، فقد

(١) ب: «بينه وبينك». (٢) ب: «بي إليه».

قدرت إن أنت فعلت . وأنا أعيدُك بالله من احتراد^(١) قَطِيعَتِي ، وانتهاكِ حُرْمَتِي
وتركِ بِرِّي وصلاتي ، فوالله يا أمير المؤمنين ما تدرِي ما بقائي وبقاؤك ، ولا متى
يُفَرِّقُ الموتُ بيني وبينك ! فإن استطاع أمير المؤمنين أدام الله سروره ألا يأتي
علينا أجلُ الوفاة إلا وهو لي واهل ، ولحقتي مؤدِّ ، وعن مساعتي نازع ، فليُفعل .
والله يا أمير المؤمنين ما أصبحتُ بشيء من أمر الدنيا بعد تقوى الله فيها بأسرِّ
منِّي برضاك وسرورك . وإن رضاك مما ألتجس به رضوان الله ، فإن كنت
يا أمير المؤمنين تريد يوماً من الدهر مسرتي وصلاتي وكترامتي وإعظام حقتي
فتجاوز لي عن يزيد ، وكل ما طلبسته به فهو عليّ .

١٢١٥/٢

فلما قرأ كتابه ، قال : لقد شققنا على سليمان ! ثم دعا ابن أخيه فأدناه
منه . وتكلم يزيدُ فحمد الله وأثنى عليه وصلى على نبيته صلى الله عليه وآله
وسلم ثم قال :

يا أمير المؤمنين ، إن بلاءكم عندنا أحسنُ البلاء ، فمن يتنس ذلك فلنسننا
ناسيه ، ومن يكفر فلنسننا كافرينه ، وقد كان من بلائنا أهل البيت في
طاعتكم والطعن في أعين أعدائكم في المواطن العظام في المشارق والمغرب
ما إن المنة علينا فيها عظيمة .

فقال له : اجلس ، فجلس فأمسته وكف عنه ، ورجع إلى سليمان وسعى
إخوته في المال الذي عليه ، وكسب إلى الحججاج :
إني لم أصِلْ إلى يزيد ، وأهل بيته مع سليمان ، فاكف عنهم ، والله عن
الكتاب إلى فيهم .

فلما رأى ذلك الحججاج كف عنهم . وكان أبو عبيدة بن المهلب عند
الحججاج عليه ألف ألف درهم ، فتركها له ، وكف عن حبيب بن المهلب .
ورجع يزيدُ إلى سليمان بن عبد الملك فأقام عنده يُعلِّمه الهسيئة ، ويصنِّع
له طيبَ الأطعمة ، ويُهدِي له^(٢) الهدايا العظام . وكان من أحسن الناس
عنده منزلةً ، وكان تأتي يزيدَ بنَ المهلب هدية إلا بعث بها إلى سليمان ،
ولا تأتي سليمانَ هديةً ولا فائدةً إلا بعث بنصفها إلى يزيدَ بنَ المهلب ،

١٢١٦/٢

(١) الاحتراد : من الحرد ؛ وهو القصد ، وفي ابن خلكان ٢ : ٢٧٠ : « اختيار » .

(٢) ب : « إليه » .

وكان لا تُعجبه جاريةٌ إلا بعث بها إلى يزيدٍ إلا خطيئة الجارية . فبلغ ذلك الوليد بن عبد الملك ، فدعا الحارث بن مالك بن ربيعة الأشعري ، فقال : انطلق إلى سليمان فقل له : يا خالفةَ أهلِ بيته ، إن أمير المؤمنين قد بلغه (١) أنه لا تأتيك هديّة ولا فائدةٌ إلا بعثت إلى يزيدٍ بنصفها ، وإنك تأتي الجاريةُ من جواريك فلا يستقضى (٢) طهرها حتى تسبعث بها إلى يزيدٍ ، وقبّح ذلك عليه ، وعيّرهُ به ، أتراك مبلّغاً ما أمرتُك به ؟ قال : طاعتُك طاعة ، وإنما أنا رسولٌ ؛ قال : فأته فقل له ذلك ، وأقيمُ عنده ، فأني باعث إليه بهديّة فادفعها إليه ، وخذُ منه البراءة بما تدفع إليه .

ثمّ أقبلَ ففضّى حتى قدّم عليه وبين يديه المصحف ، وهو يقرأ ، فدخل عليه فسلم ، فلم يردّ عليه السلام حتى فرغ من قراءته ، ثمّ رفع رأسه إليه فكلمه (٣) بكلّ شيء أمره به الوليدُ ، فتمعر وجهه ، ثمّ قال : أما والله لئن قدرتُ عليك يوماً من الدهر لأقطعنّ منك طابقاً ! فقال له : إنما كانت على الطاعة .

ثمّ خرج من عنده . فلما أتى بذلك الذي بعث به الوليدُ إلى سليمان ، دخل عليه (٤) الحارث بن ربيعة الأشعري وقال له : أعطني البراءة بهذا الذي دفعتُ إليك ، فقال : كيف قلت لي ؟ قال : لا أعيدُه عالماً أبداً (٥) ، إنما كان على فيه الطاعة . فسكن ، وعلم أن قد صدّقه الرجل ، ثمّ خرج وخرجوا معه ، فقال : خذوا نصف هذه الأعدال وهذه الأسفاط (٦) وابعثوا بها إلى يزيدٍ (٧) .

قال : فعلم الرجل أنه لا يطيع في يزيدٍ أحداً ، ومكث يزيدُ بن المهلب عند سليمان تسعة أشهر .
وتوفّي الحجاج سنة خمس وتسعين في رمضان لتسع بقين منه في يوم الجمعة .

(١) ب : « إنه قد بلغ أمير المؤمنين » .

(٢) ب : « يقضى » .

(٣) ب : « وكلمه » .

(٤) ب : « له » .

(٥) ر : « إليك أبداً » .

(٦) ب : « ونصف هذه الأسفاط » .

(٧) ب : « يزيد بن المهلب » .

ثم دخلت سنة إحدى وتسعين

ذكر ما كان فيها من الأحداث

ففيها غزا - فيما ذكر محمد بن عمرو وغيره - الصائفة عبد العزيز بن الوليد ، وكان على الجيش مسالمة بن عبد الملك .

وفيهما غزا أيضاً مسالمة الترك ؛ حتى بلغ الباب من ناحية أذربيجان ، ففتح على يديه مدائن وحصون .

وفيهما غزا موسى بن نصير الأندلس ، ففتح على يديه أيضاً مدائن وحصون .

* * *

وفي هذه السنة قتل قتيبة بن مسلم نيزك طرخان .

١٢١٨/٢

* * *

[تتمة خبر قتيبة مع نيزك]

رجع الحديث إلى حديث علي بن محمد وقصة نيزك وظاهر قتيبة به حتى قتله . ولما قدم من كان قتيبة كتبت إليه يأمره بالقدوم عليه من أهل أبرشهر وبيورد وسرخس وهراة على قتيبة ، سار بالناس إلى مرو وروذ واستخلف على الحرب حماد بن مسلم ، وعلى الخراج عبد الله بن الأهم . وبلغ مرزبان مرو وروذ إقباله إلى بلاده ، فهرب إلى بلاد الفرس . وقدم قتيبة مرو وروذ فأخذ ابنين له فقتلتهما وصلبهما ، ثم سار إلى الطالقان فقام صاحبها ولم يحاربه ، فكف عنه ، وفيها لصوص ، فقتلهم قتيبة وصلبهم ، واستعمل على الطالقان عمرو بن مسلم ، ومضى إلى الفارياب ، فخرج إليه مسلك الفارياب مدعياً مقرأ بطاعته ، فرضى عنه ، ولم يقتل بها أحداً ، واستعمل عليها رجلاً من باهلة . وبلغ صاحب الجوزجان خبرهم ، فترك أرضه وخرج إلى الجبال هارباً ، وسار قتيبة إلى الجوزجان فلقه أهلها سامعين مطيعين ،

فقتيل منهم ، فلم يقتل فيها (١) أحداً ، واستعمل عليها عامر بن مالك الحماني ، ثم أتى بلسخ فلقية الأصبهني في أهل بلسخ ، فدخلها فلم يقيم بها إلا يوماً واحداً .

١٢١٩/٢ ثم مضى يتبع عبد الرحمن حتى أتى شعب خلم ، وقد مضى نيزك فمسكر ببغلان ، وخلف مقاتلة على فم الشعب ومضايقه بمنعونه (٢) ، ووضع مقاتلة في قلعة حصينة من وراء الشعب ، فأقام قتيبة أياماً يقاتلهم على مضيق الشعب لا يقدر منهم على شيء ، ولا يتقدر على دخوله ، وهو مضيق ، الوادي يجري وسطه ، ولا يعرف طريقاً يفضي به (٣) إلى نيزك إلا الشعب أو مفازة لا تحتل العساكر ، فبقي متلداً يلتمس الحيل .

قال: فهو في ذلك إذ قدم عليه الروب خان ملك الروب وسمنجان ، فاستأمنته على أن يدلته على مسخل القلعة التي وراء هذا الشعب ، فأمنه قتيبة ، وأعطاه ما سأله ، وبعث معه رجالاً ليلاً ، فأنهى بهم إلى القلعة التي من وراء شعب خلم ، فطرقوهم وهم آمنون فقتلوهم ، وهرب من بقي منهم ومن كان في الشعب ، فدخل قتيبة والناس الشعب ، فأتى القلعة ثم مضى إلى سمنجان ونيزك ببغلان بعين تدعى فنسج جاه ، وبين سمنجان وبغلان مفازة ليست بالشديدة

قال : فأقام قتيبة بسمنجان أياماً ، ثم سار نيزك ، وقدام أخاه عبد الرحمن ، وبلغ نيزك فارتحل من منزله حتى قطع وادي فرغانة ، ووجه ثقله وأمواله إلى كابل شاه ، ومضى حتى نزل الكرز وعبد الرحمن بن مسلم يتبعه ، فنزل عبد الرحمن وأخذ بمضايق الكرز ، ونزل قتيبة أسكيمشت بينه (٤) وبين عبد الرحمن فرسخان . فتحرز نيزك في الكرز وليس إليه مسلك إلا من وجه واحد ، وذلك الوجه صعب لا تطيقه الدواب ، فحصره قتيبة شهرين حتى قل ما في يد نيزك من الطعام ، وأصابهم الجُدري وجد جغويه ، وخاف قتيبة الشتاء ، فدعا سلباً الناصح ، فقال : انطلق إلى نيزك

١٢٢٠/٢

(١) ب : « ولم يقتل بها » .

(٢) ر : « بمنون » .

(٣) ب : « ويته » .

(٤) ب : « فيه » .

واحتسَلْ لَأَنْ تَأْتِيَنِي بِهِ بِغَيْرِ أَمَانٍ ، فَإِنَّ أَعْيَاكَ وَأَبَى فَأَمِنَهُ ، وَعَلِمَ أَنِّي إِنْ عَايَنْتُكَ وَلَيْسَ هُوَ مَعَكَ صِلْبَتُكَ ؛ فَاعْمَلْ لِنَفْسِكَ . قَالَ : فَكَتَبَ لِي إِلَى عَبْدِ الرَّحْمَنِ لَا يُخَالِفُنِي ؛ قَالَ : نَعَمْ . فَكَتَبَ لَهُ إِلَى عَبْدِ الرَّحْمَنِ فَقَدِمَ عَلَيْهِ ، فَقَالَ لَهُ : ابْعَثْ رِجَالًا فَلْيَكُونُوا عَلَى فِئْمِ الشَّعْبِ ، فَإِذَا خَرَجْتَ أَنَا وَنِيْزِكَ فَلْيَعْطِفُوا مِن وِرَائِنَا فَيَسْجُلُوا بَيْنَنَا وَبَيْنَ الشَّعْبِ . قَالَ : فَبِعَثْتُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ خَيْلًا فَكَانُوا حَيْثُ أَمَرَهُمْ سَلِيمٌ ، وَمَضَى سَلِيمٌ وَقَدْ حَمَلَ مَعَهُ مِنَ الْأَطْعَمَةِ الَّتِي تَبَى أَيَّامًا وَالْأَخْبِيصَةَ أَوْقَارًا ، حَتَّى أَتَى نِيْزَكَ ، فَقَالَ لَهُ نِيْزَكَ : خَذَلْتَنِي يَا سَلِيمُ ، قَالَ : مَا خَذَلْتُكَ ، وَلَكِنَّكَ عَصَيْتَنِي وَأَسَأْتَ بِنَفْسِكَ ، خَلَعْتَ وَغَدَرْتَ ، قَالَ : فَمَا الرَّأْيُ ؟ قَالَ : الرَّأْيُ أَنْ تَأْتِيَنِي فَقَدْ أَحْكَمْتَهُ (١) ، وَلَيْسَ بِيَارِحَ مَوْضِعَهُ هَذَا ، قَدْ اعْتَزَمَ عَلَى أَنْ يَسْتَوْ بِمَكَانِهِ (٢) ؛ هَلَكَ أَوْسَلَمٌ ؛ قَالَ : آتِيَهُ (٣) عَلَى غَيْرِ أَمَانٍ ! قَالَ : مَا أَظُنُّهُ يُوْمِنُكَ لِمَا فِي قَلْبِهِ عَلَيْكَ ، فَإِنَّكَ قَدْ مَلَأْتَهُ غِيْظًا ، وَلَكِنِّي أَرَى الْآلَ يَعْلَمُ بِكَ حَتَّى تَتَضَعَّ يَدَكَ فِي يَدِهِ ، فَإِنِّي أَرْجُو إِنْ فَعَلْتَ ذَلِكَ أَنْ يَسْتَحْيِيَ وَيَعْفُوَ عَنْكَ ، قَالَ : أَتَرَى ذَلِكَ (٤) ؟ قَالَ : نَعَمْ ؛ قَالَ : إِنْ نَفْسِي لِنَأْبَى هَذَا ، وَهُوَ إِنْ رَأَى قَدَسْتَنِي ، فَقَالَ لَهُ سَلِيمٌ : مَا أَتَيْتُكَ إِلَّا لِأَشِيرَ عَلَيْكَ بِهَذَا ، وَلَوْ فَعَلْتَ لِرَجْوَتِ أَنْ تَسْلَمَ وَأَنْ تَعُودَ (٥) حَالُكَ عِنْدَهُ إِلَى مَا كَانَتْ ؛ فَأَمَّا إِذْ أُبَيَّتَ فَإِنِّي مُنْصَرِفٌ . قَالَ : فَتَغْدِيْكَ (٦) إِذَا ، قَالَ : إِنِّي لِأُظَنُّكُمْ فِي شُغْلٍ عَنِ تَهْيِئَةِ الطَّعَامِ ، وَمَعَنَا طَعَامٌ كَثِيرٌ .

١٢٢١/٢

قَالَ : وَدَعَا سَلِيمٌ بِالْغَنَدَاءِ فَجَاءُوا بِطَعَامٍ كَثِيرٍ لَا عَهْدَ لَهُمْ بِمِثْلِهِ مِنْذُ حَصَرُوا ، فَانْتَهَبَهُ الْأَثْرَاكُ ، فَغَمَّ ذَلِكَ نِيْزَكَ ، وَقَالَ سَلِيمٌ : يَا أَبَا الْهِيَاجِ ، أَنَا لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ ، أَرَى أَصْحَابَكَ قَدْ جَاهَدُوا ، وَإِنْ طَالَ بِهِمُ الْحَصَارُ وَأَقَمْتَ عَلَى حَالِكَ لَمْ آمَنْهُمْ أَنْ يَسْتَأْمِنُوا بِكَ ، فَانطَلَقْتُ وَأَتَيْتُ قَتِيْبَةَ ، قَالَ : مَا كُنْتُ لِأَمْنَهُ عَلَى نَفْسِي ، وَلَا آتِيَهُ عَلَى غَيْرِ (٧) أَمَانٍ ؛ فَإِنَّ ظَنِّي بِهِ أَنَّهُ

- | | |
|------------------------------|----------------------|
| (١) الحك : الغضب والمشاركة . | (٢) ب : « مكانه » . |
| (٣) ب : « آتياه » . | (٤) ب : « ذاك » . |
| (٥) ب : « ويعود » . | (٦) ب : « فيغديك » . |
| (٧) ب : « بغير » . | |

قاتلي وإن آمنني ، ولكن الأمان أعذر لي وأرجى ، قال : فقد آمنتك أفتتسمني ! قال : لا ، قال : فانطلق معي ، قال له أصحابه : اقبل قول سليم ، فلم يكن ليقول إلا حقاً ، فدعا بدوابه وخرج مع سليم ، فلما انتهى إلى الدرجة التي يسهب منها إلى قرار الأرض قال : يا سليم ، من كان لا يعلم متى يموت فلني أعلم متى أموت ، أموت إذا عابنت قتيبة ؛ قال : كلاً أقتلك مع الأمان ! فركب ومضى معه جبنويه - وقد برأ من الجندري - ووصول عثمان أبنا أخي نيزك - وصول طرخان خليفة جبنويه ، وخنس طرخان صاحب شرطه (١) - قال : فلما خرج (٢) من الشعب عطفت الخيل التي خلفها سليم على فوهة (٣) الشعب ، فحالوا بين الأتراك وبين الخروج ، فقال نيزك لسليم : هذا أول الشر ؛ قال : لا تفعل ، تخلف هؤلاء عنك خير لك . ١٢٢٢/٢

وأقبل سليم ونيزك ومن خرج معه حتى دخلوا على عبد الرحمن بن مسلم ، فأرسل رسولاً إلى قتيبة يعلمه ، فأرسل قتيبة عمرو بن أبي ميهزم إلى عبد الرحمن : أن اقدم بهم على ، فقدم بهم عبد الرحمن عليه ، فحبس أصحاب نيزك ، ودفع نيزك إلى ابن بسام الليثي ، وكتب إلى الحجاج يستأذنه في قتل نيزك ، فجعل ابن بسام نيزك في قبسته ، وحنف حول القبة خندقاً ، ووضع عليه حترساً . ووجه قتيبة معاوية بن عامر بن علقمة العليمي ، فاستخرج ما كان في الكوز من متاع ومن كان فيه ، وقدم به على قتيبة ، فحبسهم ينتظر كتاب الحجاج فيما كتب إليه ، فأناه كتاب الحجاج بعد أربعين يوماً بأمره بقتل نيزك . قال : فدعا به فقال : هل لك عندي عقيد أوعند عبد الرحمن أو عند سليم ؟ قال : لي عند سليم ؛ قال : كذبت ، وقام فدخّل ورد نيزك إلى حبسه ، فمكث ثلاثة أيام لا يظهر للناس . قال : فقام (٤) المهلب ابن إياس العدوي ، وتكلم في أمر نيزك ، فقال بعضهم : ما يحل له أن يقتله ، وقال بعضهم : ما يحل له تركه ، وكثرت الأقاويل فيه .

(٢) ب : « خرجوا » .

(٤) ب : « خرجوا » .

(١) ب : « شرطته » .

(٣) ب : « فم الشعب » .

(٥) كذا في ر ، وفي ط : « فقال » .

وخرج قتيبة اليوم الرابع فجلس وأذن للناس، فقال: ما ترون في قتل نيزك؟ فاحتكفوا، فقال قائل: «اقتله»، وقال قائل: «أعطيتَه عَهْدًا فلا تقتله»؛ وقال قائل: ما نأمنه^(١) على المسلمين. ودخل ضيرار بن حصين الضبي فقال: ما تقول يا ضرار؟ قال: أقول: إني سمعتك تقول: أعطيت الله عهداً إن أمكنتك منه أن تقتله، فإن لم^(٢) تفعل لا ينصرك^(٣) الله عليه أبداً. فأطرق قتيبة طويلاً، ثم قال: والله لو لم يبق من أجلي إلا ثلاث كلمات لقلت: اقتلوه، اقتلوه، وأرسل إلى نيزك فأمر بقتله وأصحابه^(٤) فقتل مع سبعائة.

١٢٢٣/٢

وأما الباهلييون فيقولون: لم يؤمنه ولم يؤمنه سليم، فلما أراد قتله دعا به ودعا بسيف حنقي فانتضاه^(٥) وطول كميته^(٦) ثم ضرب عنقه بيده، وأمر عبد الرحمن فضرب عنق صول، وأمر صالحاً فقتل عثمان - ويقال: شقران ابن أخي نيزك - وقال لبكر بن حبيب السهمي من باهليّة: هل بك قوة؟ قال: نعم، وأريد - وكانت في بكر أعرابية - فقال: دونك هؤلاء الدهاقين. قال: وكان إذا أتى برجل ضرب عنقه وقال: أوردوا ولا تُصدروا، فكان من قتل يومئذ اثنا عشر ألفاً في قول الباهليين، وصلب نيزك وابني أخيه في أصل عين تدعى ونخش نخاشان في أسكيمشت، فقال المغيرة بن حبيّس^(٧) يذكّر ذلك في كلمة له طويلة:

لعمري لنعمت غزوة الجند غزوة قضت نحبها من نيزك وتعلت

قال علي: أخبرنا مصعب بن حيان، عن أبيه، قال: بعث قتيبة برأس نيزك مع محسن بن جزة الكلابي، وسوار بن زهدم الجسري، فقال الحجاج: إن كان قتيبة لحقيقاً أن يبعث برأس نيزك مع ولد مسلم، فقال سوار:

١٢٢٤/٢

(٢-٢) ب: «يفعل فلا ينصرك».

(١) ب: «تأمنه».

(٤) ب: «فانتضى».

(٣) ب: «فقتل وقتل أصحابه».

(٦) ابن الأثير: «نهار بن تومة».

(٥) ب: «كته».

أَقُولُ لِمُحَفَّنٍ وَجَرَى سَنِحٌ وَأَخْرُ بَارِحٌ مِنْ عَنِّ يَمِينِي
وَقَدْ جَعَلْتُ بَوَائِقُ مِنْ أُمُورٍ تَرْفَعُ حَوْلَهُ وَتَكْفُ دُونِي
نَشِدْتُكَ هَلْ يَسُرُّكَ أَنْ سَرُّجِي وَسَرُّجِكَ فَوْقَ أَبْغُلٍ بَاذِبِينِ
قال : فقال مُحَفَّنٌ : نعم وبالصَّيْنِ .

قال عليّ : أَخْبَرَنَا حمزة بن إبراهيم وعليّ بن مجاهد ، عن حسن بن أبي حريذة ، عن مَرْزِيَانَ قَهْسْتَانَ وغيرهما ، أن قتيبة دعا يوماً بني زك وهو محبوبوس ، فقال : ما رأيك في السَّبَل والشَّد ؟ أتراهما يأتيان إن أرسلت إليهما ؟ قال : لا ؛ قال : فأرسل إليهما قتيبة فقدم ما عليه ، ودعا نيزك وجبغويه فسَدَخَلا ، فإذا السَّبَل والشَّد بين يديه على كرسيين ، فجلسا بإزائهما ، فقال الشَّد لقتيبة : إن جبغويه — وإن كان لي عدواً — فهو أسنّ مني ، وهو الملك وأنا كعبيده ، فأذن لي أذن منه ، فأذن له ، فدنا منه ، فقبّل يده وسجّد له ، قال : ثم استأذنه في السَّبَل ، فأذن له فدنا منه فقبّل يده ، فقال نيزك لقتيبة : ائذن لي أذن من الشَّد ، فإني عبيده ، فأذن له ، فدنا منه فقبّل يده ، ثم أذن قتيبة للسَّبَل والشَّد^(١) فانصرفا إلى بلادهما ، وضم إلى الشَّد الحجاج القينى ، وكان من وجوه أهل خراسان. وقتل قتيبة نيزك ، فأخذ الزبير مولى عابس الباهلى خفياً لنيزك فيه جوهر ، وكان أكثر من في بلاده مالاّ وعقاراً ؛ من ذلك الجوهر الذى أصابه في خفّته . فسوّغه إياه قتيبة ، فلم يزل مؤسراً حتى هلك بكابل في ولاية أبي داود .

قال : وأطلق قتيبة جبغويه ومنّ عليه ، وبعث به إلى الوليد ، فلم يزل بالشام حتى مات الوليد . ورجع قتيبة إلى مرو ، واستعمل أخاه عبد الرحمن على بلخ ، فكان الناس يقولون : غدر قتيبة بنيزك ، فقال ثابت قطنة :

لَا تَحْسَبَنَّ الْغَدْرَ حَزْماً فَرُبَّمَا تَرَقَّتْ بِهِ الْأَقْدَامُ يَوْماً فَرَكَتْ
وقال : وكان الحجاج يقول : بعثت قتيبة فتى غراً فما زدته ذراعاً إلا

(١) ب : « للشد والسبل » .

زادني باعاً .

قال عليّ : أخبرنا حمزةُ بنُ إبراهيم ، عن أشياخ من أهل خراسان ، وعلى بن مجاهد ، عن حنبل بن أبي حريدة ، عن مرزبان قهستان وغيرهما ، أن قتيبة بن مسلم لما رجع إلى مرو وقتل نيزك طلب ملك الجوزجان - وكان قد هرب عن بلاده - فأرسل يطلب الأمان ، فأمنه على أن يأتيه فيصالحه ، فطلب رهناً يكونون في يديه ويعطى رهائن ، فأعطى قتيبة حبيب بن عبد الله بن عمرو بن حصين الباهلي ، وأعطى ملك الجوزجان رهائن من أهل بيته ، فخلف ملك الجوزجان حبيباً بالجوزجان في بعض (١) حصونه ، وقدم على قتيبة فصالحه ، ثم رجع فات بالطاقان . فقال أهل الجوزجان : سموه ، فقتلوا حبيباً ، وقتل قتيبة الرهمن الذين كانوا عنده ، فقال نهار بن تسمية لقتيبة :

١٢٢٦/٢

أراك الله في الأتراك حُكماً كحُكم في قُرَيْظَةَ وَالنَّضِيرِ
قضاءً من قُتَيْبَةَ غَيْرُ جُورٍ بِهِ يُشْفَى الْغَلِيلُ مِنَ الصُّدُورِ
فإن يرَ نيزكُ خزيًا وذلاً فكم في الحربِ حُقمٌ من أميرا
وقال المغيرة بن حبيب يمدح قتيبة ويذكر قتل نيزك ووصول ابن
أخي نيزك وعثمان - أو شقران :

لِمن الديارُ عَفَتْ بِسَفْحِ سَنَامِ - إِلَّا بَقِيَّةَ أَيْصِرٍ وَثَمَامِ -
عَصَفَ الرِّيحُ ذُبُولَهَا فَمَحَوْنَهَا - وَجَرَيْنَ فَوْقَ عِرَاصِهَا بِتَمَامِ -
دارٌ لِجَارِيَةٍ كَأَنَّ رُضابَهَا - مِسْكٌ يُشَابُ مِزاجَهُ بِمَدَامِ -
أبلغ أبا حفص قُتَيْبَةَ مِدْحَتِي - واقراً عليه نَحِيَّتِي وَسِلايِ -
يا سيفُ أبلغها فإن ثناءها - حَسَنٌ وَإِنَّكَ شَاهِدٌ لِمَقايِ -
يسمو فتضِعُ الرِّجالُ إذا سما - لِقُتَيْبَةَ الْحامِي حِمَى الْإِسْلامِ -

(١) ب : « وبعض » .

لَاغْرَ مُنْتَجِبٍ لِكُلِّ عَظِيمَةٍ نَحْرُ يَبَاحٍ بِهِ الْعُدُوْ لُهُامٍ (١)
 مَعْضَى إِذَا هَابَ الْجَبَانُ وَأَحْمِشَتْ (٢) مَحْرَبٌ تَسَعَّرُ نَارُهَا بِضِرَامٍ
 تُرَوَّى الْقَنَاءُ مَعَ اللِّوَاءِ أَمَامَهُ تَحْتَ اللِّوَامِعِ وَالنَّحْوَرُ دَوَامٌ (٣)
 وَهَامٌ تَفْرِيه السُّيُوفُ كَأَنَّهُ بِالْقَاعِ حِينَ تَرَاهُ قَبِيضُ نَعَامٍ (٤) ١٢٢٧/٢
 وَتَرَى الْجِيَادَ مَعَ الْجِيَادِ ضَوَامِرًا بَفَنَائِهِ لِحَوَادِثِ الْأَيَّامِ
 وَبِهِنَّ أَنْزَلَ نِيْزَكًا مِنْ شَاهِقٍ وَالكَرْزُ حَيْثُ يَرُومُ كُلِّ مَرَامٍ
 وَأَخَاهُ شَقْرَانًا سَقِيَتْ بِكَأْسِهِ (٥) وَسَقِيَتْ كَأْسُهُمَا أَخَا بَادَامٍ
 وَتَرَكَتْ صَوْلًا حِينَ صَالَ مُجَدَّلًا يَرْكَبْنَهُ بَدَوَابِرَ وَحَبَّامٍ

* * *

(خبر غزو قتيبة شومان وكس ونسف)

وفي هذه السنة - أعني سنة إحدى وتسعين - غزا قتيبة شومان وكس ونسّف غزو وّمه الثانية وصالح طرخان (٦).

* ذكر الخبر عن ذلك :

قال عليّ : أخبرنا بشر بن عيسى عن أبي صفوان ، وأبو السريّ وجبيلة بن فروخ عن سليمان بن مجالد ، والحسن بن رشيد عن طفيل بن مِرْدَاسِ الْعَمِيّ ، وأبو السريّ المَرَوَزِيّ عن عمه ، وبشر بن عيسى وعليّ ابن مجاهد ، عن حنبل بن أبي حريدة عن مَرزُبَانِ قَهْشْتَانَ ، وعيَّاش ابن عبد الله الغَسَوِيّ ، عن أشياخ من أهل خُرَّاسَانَ ، قال : وحدّثني ظئري - كلُّ قَدْ ذَكَرَ شَيْئًا ، فَأَلْفَتَهُ ، وَأَدْخَلْتُ مِنْ حَدِيثِ بَعْضِهِمْ فِي حَدِيثِ بَعْضٍ - أَنَّ فَيْلَسْنَشِبَ بَادِقٍ - وَقَالَ بَعْضُهُمْ : قَيْسَبِشْتَانَ (٧) مَلِكُ شُومَانَ - طَرَدَ عَامِلَ قَتِيْبَةَ وَمَنْعَ الْفِدْيَةَ الَّتِي صَالِحٌ عَلَيْهَا قَتِيْبَةَ ، فَبَعَثَ إِلَيْهِ قَتِيْبَةُ عِيَّاشًا الْغَسَوِيّ وَمَعَهُ رَجُلٌ مِنْ نَسَّائِكِ أَهْلِ خُرَّاسَانَ يَدْعَوَانِ مَلِيكَ شُومَانَ إِلَى أَنْ يُؤَدِيَ الْفِدْيَةَ ١٢٢٨/٢

(١) النحر : العاقل المجرّب . (٢) ب : « وأحمست » .

(٣) ب : « دوامي » . (٤) ر : « بيض نعام » .

(٥) ر : « وأخوه شقرانا سقيت » . (٦) ط : « طرخان » .

(٧) ط : « قيسلستان » .

على ما صالح عليه قتيبة، فقدما البلدة، فخرجوا إليهما فرموهما، فانصرف الرجل وأقام عياش الغسوي فقال: أما ها هنا مسلم! فخرج إليه رجل من المدينة فقال: أنا مسلم، فما تريد؟ قال: تُعِينُنِي على جهادهم، قال: نعم، فقال له عياش: كن خلكني لتمنع لي ظهري، فقام خلفه - وكان اسم الرجل المهلب - فقاتلهم عياش، فحمل عليهم، ففترقوا عنه، وحمل المهلب على عياش من خلفه فقتله، فوجدوا به ستين جراحة، فغممهم قتله، وقالوا: قتلنا رجلاً شجاعاً.

وبلغ قتيبة، فسار إليهم بنفسه، وأخذ^(١) طريق بلسخ، فلما أتاها قدّم أخاه عبد الرحمن، واستعمل على بلسخ عمرو بن مسلم، وكان ملك شومان صديقاً لصالح بن مسلم، فأرسل إليه صالح رجلاً يأمره بالطاعة، ويضمن له رضا قتيبة إن رجع إلى الصلح، فأبى وقال لرسول صالح: ما تخوفني به من قتيبة، وأنا أمتنع الملوكة حصناً أرمى أعلاه، وأنا أشد الناس قوساً وأشد الناس رمياً^(٢)، فلا تسبلغ نشابتي نصف حصني، فما أخاف من قتيبة! فضى قتيبة من بلسخ فعبس النهر، ثم أتى شومان وقد تحصن مسكها فوضع عليه المجانيق، ورمى حصنه فتهشمه، فلما خاف أن يظهر عليه، ورأى ما نزل به جماع ما كان له من مال وجواهر فرمى به في عين في وسط القلعة لا يدرك قعرها.

قال: ثم فتّح القلعة وخرج إليهم فقاتلهم فقتل، وأخذ قتيبة القلعة عنوة، فقتل المقاتلة وسبي الذرية^(٣)، ثم رجع إلى باب الحديد فأجاز منه إلى كس ونسّف، وكتب^(٤) إليه الحجاج، أن كس بكس وانسف نسّف^(٥)، وإيّاك والتحويط. ففتّح كس ونسّف، وامتنع عليه فرياب^(٦) فحرقها فسميت المحترقة. وسرح قتيبة من كس ونسّف أخاه عبد الرحمن بن مسلم إلى السغد^(٧)، إلى طرخون، فسار حتى نزل بمرج قريباً منهم، وذلك في وقت

١٢٢٩/٢

- | | |
|---------------------|--------------------------------|
| (١) ب: « فأخذ ». | (٢) كذا في ب، وفي ط: « أشده ». |
| (٣) ب: « من فيها ». | (٤) ب: « فكتب ». |
| (٥) ب: « نسفا ». | (٦) ب: « قريات ». |
| (٧) ب: « الصغد ». | |

العَصْر ، فانتَبَذَ الناسُ وشَرِبوا حتى عبثوا وعاثوا وأفسدوا ، فأمر عبدُ الرحمن أبا مرضيةً - مولى لهم - أن يَمْنَحَ الناسَ من شُرْبِ العَصِيرِ ، فكان يضرهم ويكسر أنيتهم ويصبُ نبيذهم ، فسال في الوادي ، فسُمِّي مَرَجَ النَبِيذِ ، فقال بعضُ شعرائهم :

أَمَّا النَّبِيذُ فَلَسْتُ أَشْرِبُهُ أَخَشَى أبا مَرْضِيَةَ الكَلْبِ
مُتَعَسِّفًا يَسْعَى بِشِكْمَتِهِ يَتَوَثَّبُ الحَيِطَانَ للشُّرْبِ

فَقَبَضَ عبدُ الرحمنُ من طرخون شيئاً كان قد صالحه عليه قتيبة ، ودفع إليه رهناً كانوا معه ، وانصرف عبد الرحمن إلى قتيبة وهو ببُخَارَى ، فرجعوا إلى مَرَوْ ، فقالت السُّغْدُ لطرخون : إنك قد رضيت بالذلِّ واستطبت^(١) الجزية ، وأنت شيخٌ كبيرٌ فلا حاجةَ لنا بك^(٢) . قال : فولوا من أحببتهم . قال : فولوا غَوَزَكَ^(٣) ، وحسبوا طرخون ؛ فقال طرخون : ليس بعد سلب المُلْكِ إلا القتل ، فيكون ذلك بيدي أحبَّ إلى من أن يديه مني غيري ، فاتكأ على سيفه حتى خرج من ظهْرِهِ . قال : وإنما صنعوا بطرخون ١٢٣٠/٢ هذا^(٤) حين خرج قتيبة إلى سَجِسْتَانَ ولولا غوزك .

وأما الباهليون فيقولون : حصّر قتيبة ملك شومان ، ووضع على قلعتة المسجانيق ، ووضع منجنيقاً كان يسميها الفَحْجَاء ، فرمى بأول حجر فأصاب الحائط ، ورمى بأخر فوقع في المدينة ، ثم تابعت الحجارة في المدينة فوقع حجر منها في مجلس المليك ، فأصاب رجلاً فقتله ، ففتح القلعة عشوة ، ثم رجع إلى كس ونسّف ، ثم مضى إلى بُخَارَى فتنزل قرية فيها بيت نار وبيت آلهة ، وكان فيها طواويس ، فسموه منزل الطواويس ، ثم سار إلى طرخون بالسُّغْدِ ليقبض منه ما كان صالحه عليه ، فلما أشرف على وادي السُّغْدِ فرأى حُسْنَهُ تمثل :

(١) ر : « وأعطيت » .
(٢) ب : « فيك » .
(٣) ويقال . « غورك » .
(٤) ب : « هذا بطرخون » .

وَأِدِّ خَصِيبٌ عَشِيبٌ ظَلَّ بِمَنَعَةٍ مِنْ الْأَيْبِيرِ حَذَارُ الْيَوْمِ ذِي الرَّهَجِ (١)
 وَرَدَّتُهُ بَعْنَانِيحٍ مُسَوِّمَةٍ يَرْدِينَ بِالشُّعْثِ سَفَاكِينَ لِلْمُهَجِ (٢)
 قال : فقَبَضَ من طَرِيحونِ صَلْحَه ، ثمَّ رَجَعَ إلى بُخَارَى فَهَلَّكَ بِبُخَارَى
 خُدَاهُ غَلَامًا حَدَثًا ، وَقَتَّلَ من خَافَ أنْ يُضَادَّهُ ، ثمَّ أَخَذَ عَلى أَمَلٍ
 ثمَّ أَتَى مَرَّو .

قال : وذكر الباهلييون عن بشار بن عمرو ، عن رجل من باهليّة ، قال :
 لم يفرغ الناس من ضرب أبينتهم حتى افتتحت القلعة .

[ولاية خالد بن عبد الله القسري على مكة]

وفي هذه السنة ولّى الوليدُ بنُ عبد الملك مكةَ خالدَ بنَ عبد الله القسريّ
 فلم يزل والياً عليها إلى أن مات الوليد . فذكر محمد بن عمرو الواقدي أن إسماعيلَ
 بنَ إبراهيم بن عُقبة حدثه عن نافع مولى بني مخزوم ، قال : سمعتُ
 خالدَ بنَ عبد الله يقول :

يأيّها الناس ، إنكم بأعظم بلادِ الله حرمةً ، وهي التي اختار الله من
 البلدان ، فوضّع بها بيته ، ثم كتب على عباده حجّه من استطاع إليه
 سبيلاً . أيها الناس ، فعليكم بالطاعة ، ولزوم الجماعة ، وإياكم والشبهات ،
 فإنّي والله ما أوتيتُ بأحدٍ يطعن على إمامه إلا صلبتُه في الحرم . إن الله
 جعل الخلافة منه بالموضع الذي جعلها ، فسلموا وأطيعوا ، ولا تقولوا كيف
 وكسيت . إنه لا رأى فيما كتبتُ به الخليفة أو رآه إلا إمضاؤه ، واعلموا أنه
 بلغني أن قوماً من أهل الخلفاء يقدمون عليكم ، ويقومون في بلادكم ، فإنّ
 أن تنزلوا أحداً ممن تعلمون أنه زائف عن الجماعة ، فإنّي لا أجد أحداً منهم
 في منزل أحد منكم إلا هدمتُ منزله (٣) ، فانظروا من تنزلون في منازلكم ،
 وعليكم بالجماعة والطاعة ، فإنّ الفرقة هي البلاء العظيم .

قال محمد بن عمرو : حدثنا إسماعيلُ بنُ إبراهيم ، عن موسى بن عُقبة

(١) ب : « الموت والرهج » . (٢) العناجيج : جمع عنجوج ؛ وهي الخليل النجيبة .

(٣) ب : « هلمت » .

عن أبي حبيبة ، قال : اعتمرتُ فنزلتُ دورَ بني أسدٍ في منازل الزبير ، فلم أشعر إلا به يدعوني ، فدخلت عليه ، فقال : من أنت ؟ قلت : من أهل المدينة ؛ قال : ما أنزلك^(١) في منازل المخالفين للطاعة ! قلت : إنما مقامي إن أقمت يوماً أو بعضه ، ثم أرجع إلى منزلي وليس عندي خلاف ، أنا ممن يُعظم أمر الخلافة ، وأزعم أن من جحدتها فقد هلك . قال : فلا عليك ١٢٣٢/٢ ما أقمت ، إنما يكره^(٢) أن يُقيم من كان زارياً على الخليفة ، قلت : معاذ الله !

وسمعتُه يوماً يقول : والله لو أعلمُ أن هذه الوحش التي تأمن في الحرم لو نطقت لم تقرب بالطاعة لأخرجتها من الحرم . لأنه لا يسكن حرم الله وأمنته مخالف للجماعة ، زار عليهم . قلت : وفق الله الأمير .

* * *

وحجَّ بالناس في هذه السنة الوليدُ بنُ عبد الملك ، حدثني أحمدُ بنُ ثابت^(٣) ، عن ذكره ، عن إسحاق بن عيسى ، عن أبي معشر ، قال : حجَّ الوليد بن عبد الملك سنة إحدى وتسعين .

وكذلك قال محمد بن عمر : حدثني موسى بن أبي بكر ، قال : حدثنا صالح بن كيسان ، قال : لما حضر قدوم الوليد أمر عمر بن عبد العزيز عشرين رجلاً من قريش يخرجون معه ، فيتلقون الوليد بن عبد الملك ، منهم أبو بكر بن عبد الرحمن بن عبد الحارث بن هشام ، وأخوه محمد بن عبد الرحمن ، وعبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفان ، فخرجوا حتى بسكغوا السويداء ، وهم مع عمر بن عبد العزيز - وفي الناس يومئذ دوابٌ وخيولٌ - فلقوا الوليد وهو على ظهرك ، فقال لهم الحاجب : انزلوا لأمر المؤمنين ، فنزلوا ، ثم أمرهم فركبوا ، فدعا بعمر بن عبد العزيز فسأره حتى نزل بذي خشيب ، ثم أحضروا ، فدعاهم رجلاً رجلاً ، فسلموا عليه ، ودعا^(٣) بالغداء ، فتغدوا عنده ، وراح من ذي خشيب ، فلما دخل المدينة غدا إلى المسجد ينظر إلى بنائه ، فأخرج الناس منه ، فأتى ترك

(١) ب : « فا أنزلك » .

(٢) ر : « نكره » .

(٣) ب : « ثم دعا » .

فيه أحدٌ ، وبقى سعيد بن المسيب ما يجترئ أحد من الحرس^(١) أن يخرجه ، وما عليه إلا رِبَطَتَانِ ما تساويان إلا خمسة دراهم في مُصَلَّاه ، فقيل له : لو قمت ! قال : والله لا أقوم حتى يأتي الوقت الذي كنت أقوم فيه . قيل : فلو سلّمت على أمير المؤمنين ! قال : والله لا أقوم إليه . قال عمر بن عبد العزيز : فجعلتُ أعدل بالوليد في ناحية المسجد رجاءً ألا يرى سعيداً حتى يقوم ، فحانت من الوليد نظرة إلى القبلة ، فقال : من ذلك الجالس ؟ أهو الشيخ سعيد بن المسيب ؟ فجعل عمر يقول : نعم يا أمير المؤمنين ومن حاله ومن حاله ... ولو علم بمكانك لقام فسلم عليك ، وهو ضعيف البصر . قال الوليد : قد علمتُ حاله ، ونحن نأتيه فنسلم عليه ، فدار في المسجد حتى وقف على القبر ، ثم أقبل حتى وقف على سعيد فقال : كيف أنت أيها الشيخ ؟ فوالله ما تحرك سعيد ولا قام ، فقال : بخير والحمد لله ، فكيف أمير المؤمنين وكيف حاله ؟ قال الوليد : خير والحمد لله . فانصرف وهو يقول لعمر : هذا بقيّة الناس ، فقلت : أجل يا أمير المؤمنين .

قال : وقسّم الوليد بالمدينة رقيقاً كثيراً عجباً بين الناس ، وآنية من ذهب وفضة ، وأموراً وخطب بالمدينة في الجمعة وصلّى بهم .

قال محمد بن عمر : وحدّثني إسحاق بن يحيى ، قال : رأيتُ الوليد يخطب على منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الجمعة عام حجّ ؛ قد صفّ له جندُه صقّين من المنبر إلى جدار مؤخر المسجد ، في أيديهم الجِرَزَة وعمد الحديد على العواتق ، فرأيتُه طلّح في دُرَاعَة وقَلَسَنَسُوَة ، ما عليه رداء ، فصعد المنبر ، فلما صعد سلم ثم جلس فأذن^(٢) المؤذنون ، ثم سكتوا ، فخطب الخطبة الأولى وهو جالس ، ثم قام فخطب الثانية قائماً ، قال إسحاق : فلقيتُ رجاء بن حسيوة وهو معه ، فقلت : هكذا يصنعون^(٣) ! قال : نعم ، وهكذا صنع معاوية فهلم جراً ، قلت : أفلا تكلمه ؟ قال : أخبرني قبيصة بن ذؤيب أنه كلم عبد الملك بن مروان

(٢) ب : « وجلس وأذن » .

(١) ر : « الناس » .

(٣) ابن الاثر : « تصمون » .

فَأَبَى أَنْ يَفْعَلَ ؛ وَقَالَ : هَكَذَا خَطَبَ عَثْمَانُ ، فَقُلْتُ : وَاللَّهِ مَا خَطَبَ هَكَذَا ، مَا خَطَبَ عَثْمَانُ إِلَّا قَائِمًا . قَالَ رَجَاءٌ : رَوَى لَمْ هَذَا فَأَخَذُوا بِهِ .
قَالَ إِسْحَاقُ : لَمْ نَرِ مِنْهُمْ أَحَدًا أَشَدَّ تَجْبِيرًا مِنْهُ .

قال محمد بن عمر : وَقَدِمَ بِطَيْبِ مَسْجِدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَجَمْرَهُ وَبِكِسْوَةِ الْكَعْبَةِ فَنَشِرَتْ وَعُلِقَتْ عَلَى حَبَالِ فِي الْمَسْجِدِ مِنْ دِيْبَاجِ حَسَنٍ لَمْ يُرَ مِثْلُهُ قَطًّا ، فَنَشَرَهَا يَوْمًا وَطُورَى^(١) وَرَفَعَ .
قال : وَأَقَامَ الْحَجَّ الْوَلِيدُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ .

وكانت عمال الأمصار في هذه السنة هم العمال الذين كانوا عمالها في سنة تسعين ، غير مكة فإن عاملها كان في هذه السنة خالد بن عبد الله القسري في قول الواقدي .
وقال غيره : كانت ولاية مكة في هذه السنة أيضاً إلى عمر بن عبد العزيز .

(١) ب : « ثم طوى » .

ثمّ دخلت سنة اثنتين وتسعين

ذكر الأحداث التي كانت فيها

فمن ذلك غزوة مسلمة بن عبد الملك وعمر بن الوليد أرض الروم ،
ففتّح على يدي مسلمة حصون ثلاثة ، وجلا أهل سُوسنة إلى جوف
أرض الروم .

* * *

[فتح الأندلس]

وفيهما غزا طارق بن زياد مولى موسى بن نصير الأندلس في اثني
عشر ألفاً ، فلقى ملك الأندلس - زعم الواقدي أنه يقال له أدريز ، وكان
رجلاً من أهل أصبهان ، قال : وهم ملوك عجم الأندلس - فزحف
له طارق بجميع من معه ، فزحف الأدرينوق في سرير الملك ، وعلى
الأدرينوق تاجه وقفازه وجميع الحلية التي كان يلبسها الملوك ،
فاقتتلوا قتالاً شديداً حتى قتل الله الأدرينوق ، وفتح الأندلس سنة
اثنتين وتسعين .

* * *

وفيهما غزا - فيما زعم بعض أهل السير - قتيبة سجستان يريد ريبيل
الأعظم والزابل ، فلما نزل سجستان تلقته رسل ريبيل بالصلح ،
فقبل ذلك وانصرف ، واستعمل عليهم عبد ربه بن عبد الله بن عمير
الليثي .

* * *

وحجّ بالناس في هذه السنة عمر بن عبد العزيز وهو على المدينة ، كذلك
حدثني أحمد بن ثابت عمّن ذكره ، عن إسحاق بن عيسى ، عن أبي معشر .
وكذلك قال الواقدي وغيره .

وكان عمّال الأمصار في هذه السنة عمّالها في السنة التي قبلها .

ثم دخلت سنة ثلاث وتسعين

ذكر الأحداث التي كانت فيها

فما كان فيها من ذلك غزوة العباس بن الوليد أرض الروم ، ففتحت الله على يديه سمسطية .

وفيهما كانت أيضاً غزوة مروان بن الوليد الروم ، فبلغ خنجرية وفيها كانت غزوة مسلمة بن عبد الملك أرض الروم ، فافتتح ما وحصن الحديد وغزالة وبرجمة من ناحية ملطية .

* * *

[صلح قتيبة ملك خوارزم شاه وفتح خام جرد]

وفيهما قتلت قتيبة ملك خام جرد ، وصالح ملك خوارزم صلحاً مجدداً .

* ذكر الخبر عن سبب ذلك وكيف كان الأمر فيه :

١٢٣٧/٢
ذكر علي بن محمد أن أبا الذيال أخبره عن المهلب بن إياس والحسن بن رشيد ، عن طقسيل بن مرداس العمي وعلي بن مجاهد ، عن حنبل ابن أبي حريذة ، عن مرزبان قهستان وكليب بن نخلف والباهليين وغيرهم — وقد ذكر بعضهم ما لم يتذكر بعضهم — أن ملك خوارزم كان ضعيفاً ، فغلبه أخوه خرزاد على أمره — وخرزاد أصغر منه — فكان إذا بلغه أن عند أحد من هو منقطع إلى الملك جارية أو دابة أو متاعاً فاحراً أرسل فأخذته ، أو بلغه أن لأحد منهم بنتاً أو أختاً أو امرأة جميلة أرسل إليه فغصبه ، وأخذ ما شاء ، وحبس ما شاء ، لا يمتنع عليه أحد ، ولا يمنعه الملك ، فإذا قيل له ، قال : لا أقوى عليه ، وقد ملأه مع هذا غيظاً ، فلما طال ذلك منه عليه كتب إلى قتيبة يدعو إلى أرضه يريد أن يسلمها إليه ، وبعث إليه بمفاتيح مدائن خوارزم ، ثلاثة مفاتيح من ذهب ، واشترط عليه أن يدفع إليه أخاه وكل من كان يضاده ، يحكم فيه بما يرى . وبعث في ذلك رسلاً ، ولم يطلع أحداً من مرزبانه ولا دهاقينه على ما كتب به

إلى قتيبة ، فتقدمت رسالته على قتيبة في آخر الشتاء وقت الغزو ، وقد تهيأ للغزو ، فأظهر قتيبة أنه يريد السغد ، ورجع رسل خوارزم شاه إليه بما يجب من قبيل قتيبة ، وسار واستخلف على مرو ثابتاً الأعور مولى مسلم . قال : فجمع ملوكه وأجباره ودهاقينه فقال : إن قتيبة يريد السغد ، وليس بغازيكم ، فهل ننتعم في ربيعنا هذا . فأقبلوا (١) على الشرب (٢) ، والتنعم ، وأمنوا عند أنفسهم الغزو .

قال : فلم يشعروا حتى نزل قتيبة في هزازسب دون النهر ، فقال خوارزم شاه لأصحابه : ما ترون ؟ قالوا : نرى أن نقاتله (٣) ، قال : لكني لا أرى ذلك ، قد عجز عنه من هو أقوى منا وأشد شوكة ، ولكني أرى أن نصره بشيء نؤديه إليه ، فنصره عامنا (٤) ، هذا ، ونرى رأينا . قالوا : ورأينا رأيك . فأقبل خوارزم شاه فنزل في مدينة الفيل من وراء النهر . قال : ومدائن خوارزم شاه ثلاث مدائن يطيف بها فارقين واحد ، فمدينة الفيل أحصنها ، فنزلها خوارزم شاه — وقتيبة في هزازسب دون النهر لم يعبره بينه وبين خوارزم شاه نهر بلخ — فصالحه على عشرة آلاف رأس ، وعين ومستاع ، وعلى أن يعينه على ملك خام جرد ، وأن يتولى له بما كتبت إليه ، فقبل ذلك منه قتيبة ، ووفى له . وبعث قتيبة أخاه إلى ملك خام جرد ، وكان يعادي خوارزم شاه ، فقَاتلته ، فقتلته عبد الرحمن ، وغلب على أرضه وقدم منهم على قتيبة بأربعة آلاف أسير ، فقتلهم ، وأمر قتيبة لما جاءهم بهم (٥) عبد الرحمن بسريه فأخرج وبرز للناس . قال : وأمر بقتل الأسرى فقتل بين يديه ألف وعن يمينه ألف وعن يساره ألف وخسفت ظهره ألف . قال : قال المهلب بن إياس : أخذت يومئذ سيوف الأشراف فضرب بها الأعناق ، فكان فيها ما لا يقطع ولا يسرح ، فأخذوا سيوفهم فلم يضرب به شيء إلا أبانه ، فحسدني بعض آل قتيبة ، فغمز الذي يضرب أن أصفح به ، فصفتح به قليلا ، فوقع في ضرس المقتول فثكته . قال أبو الذئبال : والسيف عندي . قال : ودفع قتيبة إلى خوارزم شاه أخاه

١٢٣٨/٢

١٢٣٩/٢

(١) ب : « فهلما » . (٢) ر : « الشراب » . (٣) ب : « نقاتل » .
(٤) ب : « عامتنا » . (٥) كذا في ب ، وفي ط : « لما جاءهم بهم أخاه عبد الرحمن » .

ومن كان يخالفه فقتلهم ، واصطفتى أموالهم فبعث بها إلى قتيبة ،
ودخل قتيبة مدينة فيل ، فقبيل من خوارزم شاه ما صالحه عليه ، ثم رجع
إلى هزاسب . وقال كعب الأشقرى :

رَمْتِكَ فَيْلٌ بِمَا فِيهَا وَمَا ظَلَمْتُ
لَا يُجْزِي الشُّغْرَ خَوَازِ الْقَنَاةَ وَلَا
هَلْ تَذْكُرُونَ لِيَالِي التُّرْكِ تَقْتُلُهُمْ
لَمْ يَرْكَبُوا الْخَيْلَ إِلَّا بَعْدَ مَا كَبَرُوا
أَنْتُمْ شَبَاسٌ وَمِرْدَاذَانُ مُحْتَقِرٌ
إِنِّي رَأَيْتُ أَبَا حَفْصٍ تُفَضِّلُهُ
قَيْسَ صَرِيحٍ وَبَعْضَ النَّاسِ يَجْمَعُهُمْ
لَوْ كُنْتَ طَاوَعْتَ أَهْلَ الْعِجْزِ مَا اقْتَسَمُوا
وَفِي سَمَرْقَنْدٍ أُخْرَى أَنْتَ قَاسِمُهَا
مَا قَدَّمَ النَّاسُ مِنْ خَيْرٍ سَبَقَتْ بِهِ
قَالَ : أَنَشِدُنِي عَلِيَّ بْنَ مُجَاهِدٍ :

ورامها قبلك الفجفاجة الصلِفُ^(١)
هش المكاسر والقلب الذي يعجف
ما دون كازة والفجفاج ملتجف
فهم ثقيل على اكتافها عنف
وبسخراء قبور حشوها القلف^(٢) ١٢٤٠ / ٢
أيامه ومساعي الناس تختلف
قرى وريف فمنسوب ومقترف
سبعين ألفاً وعز السغد مؤتلف
لئن تأخر عن حوائك التلف
ولا يفتك مما خلّفوا شرف

* رَمْتِكَ فَيْلٌ بِمَا دُونَ كَازٍ ... *

قال : وكذلك قال الحسن بن رشيد الخوزجاني ؛ وأما غيرهما فقال :

* رَمْتِكَ فَيْلٌ بِمَا فِيهَا ... *

وقالوا : فيل مدينة سمرقند ؛ قال : وأثبتها عندي قول علي بن مجاهد .

قال : وقال الباهليون : أصاب قتيبة من خوارزم مائة ألف رأس . قال :

وكان خاصة قتيبة كلموه سنة ثلاث وتسعين وقالوا : الناس كانوا قد مروا

(١) الأغاني ١٤ : ٢٩٩ ، ياقوت ٦ : ٤١٤ . والفجفاجة : الكثير الكلام .

(٢) رواية البيت في الأغاني :

منهم شناس ومرداذاء نعرفه وفسخراء قبور حشوها القلف

قال في شرحه : « شناس اسم أبي صفرة ، فغيره وتسمى ظالماً ، ومرداذاء : أبو أبي صفرة ، وسموه يسراق لما تعربوا . وفسخراء : جده وهم قوم من الخوز من أعمال أهل عمان ، نزلوا الأزدي ثم ادعوا أنهم صليبة صرحاء منهم » .

من سجستان فأجمعهم عامهم هذا، فأبى. قال: فلما صالح أهل خوارزم
سار إلى السغد، فقال الأشقري:
لو كنت طاعت أهل العجز ما اقتسموا سبعين ألفاً وعز السغد مؤتلف

[فتح سمرقند]

قال أبو جعفر: وفي هذه السنة غزا قتيبة بن مسلم منصرفة من خوارزم
سمرقند، فافتتحها.

* ذكر الخبر عن ذلك:

قد تقدم ذكرى الإسناد عن القوم الذين ذكر على بن محمد أنه أخذ عنهم
حين صالح قتيبة صاحب خوارزم، ثم ذكر مدرجا في ذلك أن قتيبة لما
قبض صلح خوارزم قسام إليه المحبش^(١) بن مزاحم السلمي فقال: إن لي حاجة،
فأخلى، فأخلاه، فقال: إن أردت السغد يوماً من الدهر فالآن، فإنهم
آمنون من أن تأتيهم من عامك هذا، وإنما بينك وبينهم عشرة أيام.
قال: أشار بهذا عليك أحد؟ قال: لا، قال: فأعلمتهُ أحداً؟ قال:
لا، قال: والله لئن تكلم به أحد لأضربن عنقك. فأقام يومه ذلك، فلما
أصبح من الغد دعا عبد الرحمن فقال: سر في الفرسان والمرامية، وقدّم
الأنقال إلى مرو، فوجهت الأنقال إلى مرو، ومضى عبد الرحمن
يتبج الأنقال يريد مرو يومه كله، فلما أمسى كتب إليه: إذا أصبحت
فوجه الأنقال إلى مرو وسر في الفرسان والمرامية نحو السغد، واكتم الأخبار،
فلن بالأنسر.

١٢٤٢/٢

قال: فلما أتى عبد الرحمن الخبر أمر أصحاب الأنقال أن يمضوا إلى
مرو، وسار حيث أمره، وخطب قتيبة الناس فقال:

إن الله قد فتح لكم هذه البلدة في وقت الغزو فيه ممكن، وهذه^(٢)
السغد شاغرة برجلها، قد نقتضوا العهد الذي كان بيننا، منعونا ما كنا

(١) ط: «المجر»، تحريف. (٢) ب: «هذه».

صَالِحُنَا عَلَيْهِ طَرَحُونَ ، وَصَنَعُوا بِهِ مَا بَلَغَكُمْ ، وَقَالَ اللَّهُ : ﴿ فَمَنْ نَكَثَ قَائِمًا يَنْكُثْ عَلَى نَفْسِهِ ﴾^(١) ، فَسِيرُوا عَلَى بَرَكَةِ اللَّهِ ، فَلِئِي أَرْجُو أَنْ يَكُونَ خَوَارِزْمَ وَالسُّغُنْدُ كَالنَّضِيرِ وَقُرَيْظَةَ ، وَقَالَ اللَّهُ : ﴿ وَأُخْرَى لَمْ تَقْدِرُوا عَلَيْهَا قَدْ أَحَاطَ اللَّهُ بِهَا ﴾^(٢) .

قال : فَأَتَى السُّغُنْدُ وَقَدْ سَبَقَتْهُ إِلَيْهَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنِ مُسْلِمٍ فِي عَشْرِينَ أَلْفًا ، وَقَدِمَ عَلَيْهِ قَتِيْبَةُ فِي أَهْلِ خَوَارِزْمَ وَبُخَارَى بَعْدَ ثَلَاثَةِ أَوْ أَرْبَعَةِ مِائَاتٍ مِنْ نَزُولِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بِهِمْ ، فَقَالَ : إِنْ إِذَا نَزَلْنَا بِسَاحَةِ قَوْمِ ﴿ فَسَاءَ صَبَاحُ الْمُتَنَدِّرِينَ ﴾^(٣) . فَحَصَرَهُمْ شَهْرًا ، فَقَاتَلُوا فِي حِصَارِهِمْ مِرَارًا مِنْ وَجْهِ وَاحِدٍ . وَكَتَبَ أَهْلُ السُّغُنْدِ وَخَافُوا طَوْلَ الْحِصَارِ إِلَى مَلِكِ الشَّاشِ وَإِخْشَادَ فَرَّغَانَةَ : إِنْ الْعَرَبُ إِنْ ظَفَرُوا بِنَا عَادُوا^(٤) عَلَيْكُمْ بِمِثْلِ مَا أَتَوْنَا بِهِ ، فَانظُرُوا لِأَنْفُسِكُمْ . فَاجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَأْتُوهُمْ ، وَأَرْسَلُوا إِلَيْهِمْ : أَرْسِلُوا مَنْ يَشْغَلُهُمْ حَتَّى نَبِيْتِ عَسْكَرِهِمْ .

قال : وَانْتَخَبُوا فُرْسَانًا مِنْ أَبْنَاءِ الْمَرَّازِبَةِ وَالْأَسَاوِرَةِ وَالْأَشْدَاءِ الْأَبْطَالِ ٢/٢٤٣ . فَوَجَّهَهُمْ وَأَمَرَهُمْ أَنْ يَبِيْتُوا عَسْكَرَهُمْ ، وَجَاءَتْ عِيُونُ الْمُسْلِمِينَ فَأَخْبَرُوهُمْ . فَانْتَخَبَ قَتِيْبَةُ ثَلَاثَةً أَوْ سِتًّا مِنْ أَهْلِ النَّجْدَةِ ، وَاسْتَعْمَلَ^(٥) عَلَيْهِمْ صَالِحَ ابْنِ مُسْلِمٍ ، فَصَيَّرَهُمْ فِي الطَّرِيقِ الَّذِي يَخَافُ أَنْ يُؤْتِيَ مِنْهُ . وَبَعَثَ صَالِحٌ عِيُونًا يَأْتُونَهُ بِخَبَرِ الْقَوْمِ ، وَنَزَلَ عَلَى فَرَسَيْنِ مِنْ عَسْكَرِ الْقَوْمِ ، فَرَجَعَتْ إِلَيْهِ عِيُونُهُ فَأَخْبَرُوهُ أَنَّهِمْ يَصِلُونَ إِلَيْهِ مِنْ لَيْلَتِهِمْ ، فَفَرَّقَ صَالِحٌ خَيْلَهُ ثَلَاثَ فِرَقٍ ؛ فَجَعَلَ كَسْمِينَ فِي مَوْضِعَيْنِ ، وَأَقَامَ عَلَى قَارِعَةِ الطَّرِيقِ ، وَطَرَفَهُمْ الْمَشْرُوكُونَ لَيْلًا ، وَلَا يَعْلَمُونَ بِمَكَانِ صَالِحٍ ، وَهُمْ آمِنُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ مِنْ أَنْ يَلْقَاهُمْ أَحَدٌ دُونَ الْعَسْكَرِ ، فَلَمْ يَعْلَمُوا بِصَالِحٍ حَتَّى غَشَوْهُ . قَالَ : فَشَدَّ وَاعْلَمَ عَلَيْهِ حَتَّى إِذَا اخْتَلَفَتِ الرِّمَاحُ بَيْنَهُمْ خَرَجَ الْكَسْمِيَّانِ فَاقْتَتَلَا . قَالَ : وَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْبَرَامِجِ : حَصَرْتُهُمْ فَمَا رَأَيْتُ قَطُّ قَوْمًا كَانُوا أَشَدَّ قِتَالًا مِنْ أَبْنَاءِ أَوْلِيَّتِكَ الْمَلُوكِ وَلَا أَصْبَرَ ، فَفَقْتَلْنَاهُمْ فَلَمْ يُفْلِتْ مِنْهُمْ إِلَّا نَفْرًا يَسِيرًا ، وَحَوْبَنَا

(١) سورة الفتح: ١٠ . (٢) سورة الفتح: ٢١ . (٣) سورة الصافات: ١٧٧ .

(٤) ب : « اغاروا » . (٥) ب : « فاستعمل » .

سلاحهم ، واحتزرتنا رؤوسهم ، وأسرتنا منهم أسرى ، فسألناهم عمّن قتلنا ، فقالوا : ما قتلتم إلا ابن مملك ، أو عظيماً من العُظماء ، أو بطلاً من الأبطال ؛ ولقد قتلتم رجالاً إن كان الرجل ليعُدل بمائة رجل . فكتبنا على آذانهم ، ثم دخلنا العسكر حين أصبحنا وما منا رجل إلا معلق رأساً معروفًا باسمه ، وسلبنا من جيّد السلاح وكريم المتاع ومناطق الذهب ودواب فرّهة ، فنقلنا قتيبة ذلك كله . وكسّر ذلك أهل السغد ، ووضع قتيبة عليهم الحجابيق ، فرماهم بها ، وهوى ذلك بقاتلهم لا يُقلع عنهم ، وناصحتهم من معه من أهل بخارى وأهل خوارزم ، فقاتلوا قتالا شديداً ، وبدلوا أنفسهم .

١٢٤٤/٢

فأرسل إليه غوزك : إنما تقاتلني بإخوتى وأهل بيتى من العجم ، فأخرج إلى العرب ، فغضب قتيبة ودعا الجدل فقال : اعرض الناس ، وميِّز أهل البأس فجمعهم ، ثم جلس قتيبة يعرضهم بنفسه ، ودعا العرفاء فجعل يدعو برجل رجل . فيقول : ما عندك ؟ فيقول العريف : شجاع ، ويقول : ما هذا ؟ فيقول : مختصر ، ويقول : ما هذا ؟ فيقول : جبان ، فسمى قتيبة الجبنة الأنتان ، وأخذ خيلهم وجيّد سلاحهم فأعطاه الشجعان والمختصرين ، وترك لهم رث السلاح ، ثم زحف بهم فقاتلهم بهم فرساناً ورجالاً ، ورمى المدينة بالحجابيق ، فشكّم فيها ثلثة فسدّها بغرائر الدخن ، وجاء رجل حتى قام على الثلثة فشتم قتيبة ، وكان مع قتيبة قوم رُماة ، فقال لهم قتيبة : اختاروا منكم رجلين ، فاختاروا ، فقال : أيكما يرمى هذا الرجل ، فإن أصابه فله عشرة آلاف ، وإن أخطاه قطعت يده ؟ فتلكأ أحدهما وتقدّم الآخر ، فرماه فلم يُخطئ عينه ، فأمر له بعشرة آلاف .

قال : وأخبرنا الباهليسون ، عن يحيى بن خالد ، عن أبيه خالد بن باب مولى مسلم بن عمرو ، قال : كنت في رُماة قتيبة ، فلما افتتحنا المدينة صعدت السور فأتيت مقام ذلك الرجل الذى كان فيه فوجدته ميتاً على الحائط ، ما أخطأت النشابة عينه حتى خرجت من قفاه ، ثم أصبحوا من

١٢٤٥/٢

غد فرموا المدينة ، فثاموا فيها . وقال قتيبة : ألحوا عليها حتى تعبوا
الثلمة ، فقاتلهم حتى صاروا على ثلمة المدينة ، ورامهم السغد بالنشاب ، فوضعا
ترسهم (١) فكان الرجل يضع ترسه على عيسته ، ثم يحمل (٢) حتى
صاروا على الثلمة ، فقالوا له : انصرف عنا اليوم حتى نصلحك غداً .

فأما باهلة فيقولون : قال قتيبة : لانصالحهم إلا ورجلنا على الثلمة ،
ومجانيقنا تخط على رؤوسهم ومدبنتهم .

قال : وأما غيرهم فيقولون : قال قتيبة : جزع العبد ، فانصرفوا
على ظفركم ، فانصرفوا ، فصالحهم من الغد على ألف وماتت ألف (٣)
في كل عام ، على أن يعطوه تلك السنة ثلاثين ألف رأس ، ليس فيهم
صبي ولا شيخ ولا عيب ، على أن يخلوا المدينة لقتيبة فلا يكون لهم فيها
مقاتل ، فيبنت له فيه مسجد فيدخل ويصلي ، ويوضع له فيها منبر
فيخطب ، ويتغدى ويخرج .

قال : فلما تم الصلح بعث قتيبة عشرة ، من كل خمس رجلين ،
فقتبوا ما صالحهم عليه ، فقال قتيبة : الآن ذلوا حين صار إخوانهم وأولادهم
في أيديكم . ثم أخلوا المدينة وبنوا مسجداً ووضعوا منبراً ، ودخلوها في
أربعة آلاف انتخبهم ، فلما دخلوها أتى المسجد فصلى وخطب ثم
تغدى ، وأرسل إلى أهل السغد : من أراد منكم أن يأخذ متاعه فليأخذ ؛
فإني لست خارجاً منها ، وإنما صنعت هذا لكم ، ولست آخذ منكم أكثر
مما صالحتكم عليه ، غير أن الجند يقيمون فيها .

قال : أما الباهليسون فيقولون : صالحهم قتيبة على مائة ألف رأس ،
وبيوت النيران وحلية الأصنام ، فقتبوا ما صالحهم عليه ، وأتى بالأصنام
فسلبت ، ثم وضعت بين يديه ، فكانت كالتصير العظيم حين جمعت ،
فأمسرتحريقها ، فقالت الأعاجم : إن فيها أصناماً ممن حرقها هلكك ،
فقال قتيبة . أنا أحرقها بيدي ، فجاء غوزك ، فجثا بين يديه وقال :

(١) ب : « ترسم » . (٢) ب : « يحمل » . (٣) بدها في ب : « مقاتل » .

أيها الأمير، إن شكرك على واجب، لا تعرض لهذه الأصنام؛ فمدعا قتيبة بالنار وأخذت شعلة بيده، وخرج فكبر، ثم أشعلها، وأشعل الناس فاضطربت، فوجدوا من بقايا ما كان فيها من مسامير الذهب والفضة خمسين ألف مثقال.

* * *

قال: وأخبرنا مَخْلَدُ بْنُ حَمِزَةَ بْنِ بَيْضِ بْنِ أَبِيهِ، قَالَ: حَدَّثَنِي مِنْ شَهْدِ قَتِيْبَةَ وَقَتَحَ سَمْرَقَنْدَ أَبُو بَعْضِ كُورِ خُرَّاسَانَ فَاسْتَخْرَجُوا مِنْهَا قَدُورًا عَظَامًا مِنْ نَحَّاسٍ، فَقَالَ قَتِيْبَةُ لِحَضْرَيْنِ: يَا أَبَا سَاسَانَ، أَتُرَى رِقَاشٍ كَانَ لَهَا مِثْلُ هَذِهِ الْقُدُورِ؟ قَالَ: لَا، لَكِنْ كَانَ لَعَيْلَانَ قِدْرٌ مِثْلُ هَذِهِ الْقُدُورِ، فَضَحِكَ قَتِيْبَةُ وَقَالَ: أَدْرَكَتَ بِشَأْرِكَ.

قال: وقال محمد بن أبي عيسى لسلم بن قتيبة بين يدي سليمان بن علي: إن العجم ليعيرون قتيبة الغدر لأنه غدر بخوارزم وسمرقند.

قال: فأخبرنا شيخ من بني سدوس عن حمزة بن بيض قال: أصاب قتيبة بخراسان بالسغد بجارية من ولد يزيد جرد، فقال: أترون ابن هذه يكون هجيناً؟ فقالوا: نعم، يكون هجيناً من قبيل أبيه، فبعث بها إلى الحجاج، فبعث بها الحجاج إلى الوليد، فولدت له يزيد ابن الوليد.

١٢٤٧/٢

قال: وأخبرنا بعض الباهليين، عن نَهْشَلِ بْنِ يَزِيدَ، عَنْ عَمِّهِ — وَكَانَ قَدْ أَدْرَكَ ذَلِكَ كُلَّهُ — قَالَ: لَمَّا رَأَى غُوزَكَ لِالْحَاحِ قَتِيْبَةَ عَلَيْهِمْ كَتَبَ إِلَى مَلِكِ الشَّامِ وَإِخْشَادِ فَرُغَانَةَ وَنَاقَةَ: إِنَّا نَحْنُ دُونَكُمْ فِيمَا بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الْعَرَبِ، فَإِنْ وَصَلْ إِلَىنَا كُنْتُمْ أَضْعَافَ وَأَذَلَّ، فَهَمَا كَانَ عِنْدَكُمْ مِنْ قُوَّةٍ فَايْدُ لَوْهَا؛ فَنَظَرُوا فِي أَمْرِهِمْ فَقَالُوا: إِنَّمَا نُؤْتِي مِنْ سَقَلَتْنَا، وَإِنَّهُمْ لَا يَسْجِدُونَ كَسُجْدِنَا، وَنَحْنُ مَعَشَرَ الْمُلُوكِ الْمَعْنِيَتُونَ بِهَذَا الْأَمْرِ، فَانْتَحَبُوا أَبْنَاءَ الْمُلُوكِ وَأَهْلَ النَّبْجَةِ مِنْ فِتْيَانِ مَلُوكِهِمْ، فَلِيَخْرُجُوا حَتَّى يَأْتُوا عَسْكَرَ قَتِيْبَةَ فَلِيَهْبِيتَ، فَإِنَّهُ مَشْغُولٌ بِحَصَارِ السُّغْدِ، فَفَعَلُوا، وَلَوْ عَلَيْهِمْ ابْنًا لَخَاقَانَ، وَسَارُوا وَقَدْ

أجمعوا أن يبيتوا العسكر ، وبلغ قتيبةُ فانتخب أهلَ النجدة والبأس ووجوه الناس ، فكان شعبة بن ظهير وزهير بن حيان فيمن انتخب ، فكانوا أربعمائة ، فقال لهم : إن عدوكم قد رأوا بلاءَ الله عندكم ، وتأيدته إياكم في مزارحتيكم ومكائرتيكم ، كل ذلك يُفلجكم الله عليهم ، فأجمعوا على أن يحتالوا غرتكم وبياتكم ، واختاروا دهاقينهم وسلوكهم ، وأنتم دهاقين العرب وقرسانهم ، وقد فضلكم الله بدينه ، فأبلوا الله بلاءً حسناً تستوجبون به الثواب ، مع الذب عن أحسابكم .

١٢٤٨/٢

قال : ووضِعَ قتيبةُ عيوناً على العدو حتى إذا قرَّبوا منه قدَّرَ ما يصلون إلى عسكره من الليل أدخل الذين انتخبهم ، فكلَّمهم وخصَّهم ، واستعمل عليهم صالح بن مسلم ، فخرجوا من العسكر عند المغرب ، فساروا ، فنزلوا على فرسَسخين من العسكر على طريق القوم الذين وصَّفوا لهم ، ففرق صالح خيلَه ، وأكن كميناً عن يمينه ، وكميناً عن يساره ، حتى إذا مضى نصف الليل أو ثلثاه ، جاء العدو باجتماع وإسراع وصمت ، وصالح واقفٌ في خيَّله ، فلما رأوه شدوا عليه ، حتى إذا اختلفت الرماح شدَّ الكمينان عن يمين وعن شمال ، فلم تسمع إلا الاعتراء ، فلم نرَ قوماً كانوا أشدَّ منهم .

قال : وقال رجلٌ من البراجم : حدثني زهير أو شعبة قال : إنا لنختلف عليهم بالظعن والضرب إذ تبينت تحت الليل قتيبة ، وقد ضربتُ ضربةً أعجبتني وأنا أنظر إلى قتيبة ، فقلت : كيف ترى بأبي أنت وأمي ا قال : اسكُت دقَّ اللهُ فاك ! قال : فقتلناهم فلم يُفلت منهم إلا الشريد ، وأقمنا نَحوي الأسلاب ونحتزُّ الرعوسَ حتى أصبحنا ، ثم أقبلنا إلى العسكر ، فلم أر جماعةً قطَّ بجاءوا بمثل ما جئنا به ، ما مِننا رجلٌ إلا معلقٌ رأساً معروفاً باسمه ، وأسير في وثاقه .

قال : وجئنا قتيبةَ بالرعوس ، فقال : جزاكم الله عن الدين والأعراض خيراً . ١٢٤٩/٢
وأكرمنا قتيبة من غير أن يكون باحٍ لى بشيء ، وقرن بي في الصلَّة والإكرام حيانَ العدو وحليسي الشيباني ، فظننتُ أنه رأى منهما مثل الذي رأى

منى ، وكسر ذلك أهل السُّغند، فطلبوا الصلح، وعترضوا الفدية فأبى ، وقال : أنا نائر بدم طَرُون ، كان مولاى وكان من أهل ذمتى .

قالوا: حدث عمرو بن مسلم ، عن أبيه . قال : أطال قتيبةُ المُقامَ ، وثَلَمَتِ الثلثة فى سمرقند . قال : فنادى مناد فصيح بالعربية يشتُم قتيبة ؛ قال : فقال عمرو بن أبى زهْدَم : ونحنُ حولَ قتيبةَ ، فحين سمعنا الشتم خرجنا مسرعين ، فسكَّشنا طويلا وهو مُلِحٌّ بالشم ، فجيئتُ إلى رِواقِ قُتَيْبَةَ فاطلعت ، فإذا قتيبةُ مُحتَبَبٌ بشملة يقول كالمناجى لنفسه : حتى متى يا سمرقند يعيش فيك الشيطان ! أما والله لئن أصبحتُ لأحاولنَّ من أهلك أقصى غاية ، فانصرفتُ إلى أصحابى ، فقلت : كم من نفس أبيتة ستموت غداً منا ومنهم ! وأخبرتُهم الخبر .

قال : وأما باهلة فيقولون : سارَ قتيبةُ فجعلَ النهرَ يمينه حتى وردَ بُخَارَى ، فاستنهنَّضهم معه ، وسار حتى إذا كان بمدينة أربنجن ، وهى التى تُجلبب منها اللبود الأربنجيَّة ، لقيهم غوزك صاحبُ السُّغند فى جمع عظيم من الترك وأهل الشاش وفرغانة ، فكانت بينهم وقائعٌ من غير مُزاحفة ، كلُّ ذلك يظهر المسلمون ، ويستحاجزون حتى قَرَبُوا من مدينة سمرقند ، فتزاحفوا يومئذ ، فحمل السُّغند على المسلمين حملةً حطموهم حتى جازوا عسكرهم ، ثمَّ كَرَّ المسلمون عليهم حتى رَدُّوهم إلى عسكرهم ، وقتل الله من المشركين عدداً كثيراً ، ودخلوا مدينة سمرقند فصالحوهم .

١٢٥٠/٢

قال : وأخبرنا الباهليون عن حاتم بن أبى صغيرة ؛ قال : رأيت خيلا يومئذ تُطاعينُ خيلَ المسلمين ، وقد أمر يومئذ قتيبةُ بسريه فأبرز ، وقعد عليه ، وطاعنوه حتى جازوا قتيبة ، ولأنه لمُحتَبَبٌ بسيفه ما حلَّ حَبَوته ، وانطوتُ مجنبتا المسلمين على الذين همزوا القسب ، فهزموهم حتى رَدُّوهم إلى عسكرهم ، وقتل من المشركين عددٌ كثير ، ودخلوا مدينة سمرقند فصالحوهم . وصنع غوزك طعاماً ودعا قتيبةَ ، فأناه فى عدد من أصحابه ، فلما تغلَّى استوهبَ منه سمرقند ، فقال للملك : انتقل عنها ، فانتقل عنها ، وتلا قُتَيْبَةَ :

﴿ وَأِنَّهُ أَهْلَكَ عَادَا الْأُولَى * وَوَمُودَ قَمَا أَبْقَى ﴾^(١)

قال : وأخبرنا أبو الذّيال، عن عمر بن عبد الله التميمي، قال : حدثني الذي سرّحه قتيبة إلى الحجاج بفتح سمرقند ، قال : قدمت على الحجاج فوجهني إلى الشام ، فقدمتها فدخلت مسجداً ، فجلست قبل طلوع الشمس وإلى جنب رجلٍ ضريب ، فسألته عن شيء من أمر الشام ، فقال : إنك ١٢٥١/٢ لغريب ، قلت : أجدل ؛ قال : من أي بلد أنت ؟ قلت : من خراسان . قال : ما أقدمت بك ؟ فأخبرته ؛ فقال : والذي بعث محمداً بالحق ما افتتحوها إلا غدرًا ، وإنكم يا أهل خراسان للذين تسلّبون بني أمية ملوكهم ، وتنفقون دمشق حَجراً حَجراً .

قال : وأخبرنا العلاء بن جرير ، قال : بلغني أن قتيبة لما فتح سمرقند وقف على جبلها فنظر إلى الناس متفرقين في مروج السغد ، فتمثل قول طرفة :

وَأَرْتَعَ أَقْوَامٌ وَلَوْلَا مَعْلُنَا
بِمَخْشِيَةِ رُدُّوا الْجَمَالَ فِقَوْضُوا

قال : وأخبرنا خالد بن الأصمّح ، قال : قال الكُمَيْت :
كَانَتْ سَمْرَقَنْدُ أَحْقَاباً يَمَانِيَةً
فَالْيَوْمَ تَنْسُبُهَا قَيْسِيَّةٌ مُضَرُّ

قال : وقال أبو الحسن الجُشمي : فدعا قتيبة نهار بن تَوْسِعة حين صالح أهل السغد ، فقال : يا نهار ، أين قولك :

أَلَا ذَهَبَ الْغَزْوُ الْمُقْرَبُ لِلْغَنَى
وَمَاتَ النَّدَى وَالْجُودُ بَعْدَ الْمُهْلَبِ
أَقَامَا يَمْرُؤِ الرُّودِ رَهْنٌ ضَرِيحِهِ
وَقَدْ غُيِّبَا عَنْ كُلِّ شَرْقٍ وَمَغْرِبِ

أَفَغَزَوْا هَذَا يَا نَهَارُ ؟ قال : لا ، هذا أحسن^(١) ، وأنا الذي أقول :

وَمَا كَانَ مَذْ كُنَّا وَلَا كَانَ قَبْلَنَا
وَأَكْثَرَ فِينَا مَقْسِمًا بَعْدَ مَقْسِمِ
أَعَمُّ لِأَهْلِ التُّرْكِ قَتْلًا بِسَيْفِهِ
وَلَا هُوَ فِيمَا بَعَدْنَا كَأَبْنِ مُسْلِمِ

(١) في الشعر والشراء ٥٢٣ : « إن الذي أنت فيه ليس بالغزو ولكنه الحرب » .

قال : ثم ارتحل قتيبة راجعاً إلى مرو ، واستخلف على سمرقند عبد الله ابن مسلم ، وخلّف عنده جنداً كثيفاً ، وآلةً من آلة الحرب كثيرةً ، وقال : لا تدعني مشركاً يدخل باباً من أبواب سمرقند إلا مختوم اليد ، وإن جفت الطينة قبل أن يخرج فاقتله ، وإن وجدت معه حديدةً ؛ سيكيناً فما سواه فاقتله ، وإن أغلقت الباب ايلاً فوجدت فيها أحداً منهم فاقتله ، فقال كعب الأشقرى - ويقال رجلٌ من جموعه :

كُلُّ يَوْمٍ يَحْوِي قَتِيْبَةً نَهْبًا وَيَزِيدُ الْأَمْوَالَ مَالًا جَدِيدًا
بَاهِلِيٌّ قَدْ أَلْبَسَ التَّاجَ حَتَّى شَابَ مِنْهُ مَفَارِقُ كَنْ سُودًا
دَوَّخَ السُّغْدَ بِالْكَتَائِبِ حَتَّى تَرَكَ السُّغْدَ بِالْعِرَاءِ قُعُودًا
فَوَلِيدٌ يَبْكِي لِفَقْدِ أَبِيهِ وَأَبٌ مُوجِعٌ يُبْكِي الْوَلِيدَا
كَلِمَا حَلَّ بِلَدَّةٍ أَوْ آتَاهَا تَرَكَتْ خَيْلُهُ بِهَا أَخْدُودًا

قال : وقال قتيبة : هذا العداءُ لا عداؤُ عَيْرِينَ ، لأنه فتَحَ خُورَزْمَ وسمِرقَنْدَ في عام واحد ؛ وذلك أن الفارس إذا صرَّح في طلق واحد عَيْرِينَ قيل : عادى بين عَيْرِينَ . ثم انصرف عن سمرقند فأقام بمرو .

١٢٥٣/٢

* * *

وكان عامله على خوارزم إياس بن عبد الله بن عمرو على حربها ، وكان ضعيفاً . وكان على خراجها عبید الله بن أبي عبید الله مولى بنى مسلم . قال : فاستضعف أهلُ خوارزم إياساً ، وجمعهوا له ، فكتب عبید الله إلى قتيبة ، فبعث قتيبة عبد الله بن مسلم في الشتاء عاملاً ، وقال : اضرب إياس بن عبد الله وحياتى النَّبَطَى مائة مائة ، واحلقهما ، وضم إليك عبید الله بن أبي عبید الله ، مولى بنى مسلم ، واسمع منه فإن له وفاء . فضى حتى إذا كان من خوارزم على سكة ، فدس إلى إياس فأندره فتنحى ، وقدم فأخذ حياتى فضربه مائة وحلقه .

قال : ثم وجه قتيبة بعد عبد الله المغيرة بن عبد الله في الجنود إلى خوارزم ، فبسلتهم ذلك ، فلما قدم المغيرة اعتزل أبناء الذين قتلتهم

نحو أرم شاه . وقالوا : لا نعينك ، فهرب إلى بلاد الترك . وقدِم المغيرة فسبى وقتل .
وصالحتة الباقون : فأخذ الجزية . وقدِم على قتيبة ، فاستعمله على نيسابور .

* * *

[فتح طليطلة]

وفي هذه السنة عزل موسى بن نصير طارق بن زياد عن الأندلس
ووجهه إلى مدينة طليطلة .

* ذكر الخبر عن ذلك :

ذكر محمد بن عمر أن موسى بن نصير غضب على طارق في سنة
ثلاث وتسعين ، فشخص إليه في رجب منها ، ومعه حبيب بن عتبة بن نافع
الفهري ، واستخلف حين شخص على إفريقية ابنه عبد الله بن موسى بن
نصير ، وعبر موسى إلى طارق في عشرة آلاف ، فتلقاه ، فرضاه ،
فرضي عنه ، وقبيل منه عذره ، ووجهه منها إلى مدينة طليطلة - وهي
من عظام مدائن الأندلس ، وهي من قرطبة على عشرين يوماً (١) - فأصاب
فيها مائدة سليمان بن داود ، فيها من الذهب والحوهر ما الله أعلم به .

١٢٥٢/٢

* * *

قال : وفيها أجذب أهل إفريقية جندباً شديداً ، فخرج موسى بن نصير
فاستسقى ، ودعا يوماً حتى انتصف النهار ، وخطب الناس ، فلما أراد
أن ينزل قيل له : ألا تدعو لأمر المؤمنين ! قال : ليس هذا يوم ذلك .
فسقوا سقياً كفاهم حيناً .

* * *

[خبر عزل عمر بن عبد العزيز عن الحجاز]

وفيها عزل عمر بن عبد العزيز عن المدينة .

* ذكر سبب عزل الوليد إياه عنها :

وكان سبب ذلك فيما ذكر - أن عمر بن عبد العزيز كتبت إلى الوليد
يُخبره بعسف الحجاج أهل عمله بالعراق ، واعتدائه عليهم ، وظلمه لهم
بغير حق ولا جناية ، وأن ذلك بلغ الحجاج ، فاضطغنه على عمر ، وكتب
إلى الوليد : إن من قبلى من مرّاق أهل العراق وأهل الشقاق قد جعلوا عن

(١) بعدها في ابن الأثير : « ففتحها » .

العراق ، ولجئوا إلى المدينة بمكة ، وإنّ ذلك وهن .
فكتب الوليدُ إلى الحجّاج : أن أشرّ علىّ برجلين ، فكتب إليه يشير عليه
بعثمان بن حيّان ونخالد بن عبد الله ، فولى خالدًا مكة وعثمان المدينة ، وعزل
عمر بن عبد العزيز .

قال : محمد بنُ عمر : خرج عمرُ بنُ عبد العزيز من المدينة فأقام
بالسويداء وهو يقول لمزاحم : أتخاف أن تكون من نعتته طيبة !

* * *

وفيها ضربَ عمرُ بن عبد العزيز خُبيبَ بن عبد الله بن الزبير بأمر الوليد
إياه ، وصبَّ على رأسه قربةً من ماء بارد . ذكر محمد بنُ عمر ، أن أبا المليلح
حدثه عمن حضر عمرَ بن عبد العزيز حين جسد خُبيب بن عبد الله بن
الزبير خمسين سوطاً ، وصبَّ على رأسه قربةً من ماء في يوم شاتٍ .
ووقفه على باب المسجد ، ففكست يومه ثم مات .

١٢٥٥/٢

* * *

وحجَّ بالناس في هذه السنة عبدُ العزيز بنُ الوليد بن عبد الملك ، حدثني
بذلك أحمد بنُ ثابت ، عن ذكره ، عن إسحاق بن عيسى ، عن أبي مَعشَر .
وكانت عمّال الأمصار في هذه السنة تُمهلها في السنة التي قبلها ، إلا ما كان من
المدينة ، فإنّ العاملَ عليها كان عثمان بن حيّان المرثي ، وليها - فيما قيل -
في شعبان سنة ثلاث وتسعين .

وأما الواقديّ فإنه قال : قدّم عثمانُ المدينةَ لليلتين بقيتا من شوال
سنة أربع وتسعين .

وقال بعضهم : شخّص عمرُ بنُ عبد العزيز عن المدينة معزولاً في
شعبان من سنة ثلاث وتسعين وغزاً فيها ، وأستخلف عليها حين شخّص
عنها أبا بكر بن محمد بن عمرو بن حزم الأنصاري . وقدّم عثمانُ بنُ
حيّان المدينةَ لليلتين بقيتا من شوال .

ثم دخلت سنة أربع وتسعين ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

فمن ذلك ما كان من غزوة العباس بن الوليد أرض الروم ، فقبيل : إنه
فتشح فيها أنطاكية .

وفيها غزاة - فيما قيل - عبد العزيز بن الوليد أرض الروم حتى بلغ غزاة .
ويبلغ الوليد بن هشام المعيطي أرض بروج الحمام ، ويزيد بن أبي كعبشة
أرض سورية .

وفيها كانت الرجفة^(١) بالشام^(٢) .
وفيها افتتح القاسم بن محمد الثقفي أرض الهند .

* * *

[غزو الشاش وفرغانة]

وفيها غزاة قتيبة شاش وفرغانة حتى بلغ خجندة وكاشان ؛ مدينتي
فرغانة .

* ذكر الخبر عن غزوة قتيبة هذه :

ذكر علي بن محمد ؛ أن أبا الفوارس التميمي ، أخبره عن ماهان ويونس
ابن أبي إسحاق ، أن قتيبة غزا سنة أربع وتسعين . فلما قطع النهار فرض على
أهل بخارى وكس ونسف وخوارزم عشرين ألف مقاتل . قال : فساروا
معه إلى السغد ، فوجهوا إلى الشاش ، وتوجه هو إلى فرغانة ، وسار حتى أتى
خجندة ، فجمع له أهلها . فلقوه فاقتتلوا مراراً ، كل ذلك يكون الظفر
للمسلمين . ففرغ الناس يوماً فركبوا خيولهم ، فأوفى رجل على نَشْرٍ
فقال : تالله ما رأيت كالיום غرة ، لو كان هبج اليوم ونحن على ما أرى

(١) ب : « الزحفة » .

(٢) ابن الأثير : « وفيها كانت الزلازل بالشام ، ودامت أربعين يوماً ، فخربت البلاد ؛ وكان
عظم ذلك في أنطاكية » .

من الانتشار لسكانت الفضيحة ، فقال له رجل إلى جنبه : كلا ، نحن كما قال عوف بن الحرير :

نؤمّ البلادَ لحُبِّ اللُّقْمَا ولا ننتفى طائراً حيثُ طارَا ١٢٥٧/٢
سنيحاً ولا جارياً بارحاً على كلِّ حالٍ نُلَاقِي اليَسَارَا^(١)
وقال سحبان وائل يذكر قتالهم بخُجَندة :

فَسَلِرِ الفَوَارِسِ فِي حُجْنَدَ دةً تَحْتَ مُرْهَقَةِ العَوَالِي
هَلْ كُنْتُ أَجْمَعُهُمْ^(٢) إِذَا هُزِمُوا وَأُقَدِمُ فِي قِتَالِي
أَمْ كُنْتُ أَضْرِبُ هَامَةَ الِ عَاتِي^(٣) وَأَصْبِرُ لِلعَوَالِي
هَذَا وَأَنْتَ قَرِيعُ قَيْدِ مِسْ كُلِّهَا ضَخْمُ النُّوَالِ
وَفَضَلْتَ قَيْسًا فِي النَّدَى وَأَبُوكَ فِي الحِجَجِ الخَوَالِي
وَلَقَدْ تَبَيَّنَ عَدْلُ حُكْمِ حِكْمِ فِيهِمْ فِي كُلِّ مَالِ
تَمَّتْ مَرُوءَتُكُمْ وَنَا غِي عِزُّكُمْ غُلْبَ الجِبَالِ

قال : ثم أتى قتيبة كاشانَ مدينةَ فرغانة ، وأتاه الجنودُ الذين وجههم إلى الشاش وقد فتحوها وحرّقوا أكثرها ، وانصرف قتيبة إلى مرو . وكتب الحجاج إلى محمد بن القاسم الثقفي أن وجه من قبلك من أهل العراق إلى قتيبة ، ووجه إليهم جهنم بن زحر بن قيس ، فإنه في أهل العراق خير منه في أهل الشام . وكان محمد واداً لجهنم بن زحر ، فبعث سليمان بن صعصعة وجهنم بن زحر ، فلما ودّعه جهنم بكى وقال : يا جهنم ، إنه لكفراق ؛ قال : لا بدّ منه .

قال : وقدم على قتيبة سنة خمس وتسعين .

* * *

(١) ر : « النصارا » . (٢) ب : « أحيم » . (٣) ب : « العاف » .

[ولاية عثمان بن حيان المريّ على المدينة]

وفي هذه السنة قدّم عثمانُ بنُ حَيَّانَ المريّ المدينةَ واليًّا عليها من قبيل ١٢٥٨/٢
الوليد بن عبد الملك .

* ذكر الخبر عن ولايته :

قد ذكرنا قبلُ سببَ عزْلِ الوليدِ عمرَ بنَ عبد العزيز عن المدينة ومكّة
وتأميره على المدينة عثمانَ بنَ حَيَّانَ ، فزعم محمد بنُ عمر أن عثمانَ قدم المدينة
أميراً عليها للسّلتين بقيتتا من شوال سنة أربع وتسعين ، فنزل بها دارَ مَرَوَّانَ
وهو يقول : محلّة والله مِظعانٌ ، المغرور من غرّ بك . فاستقضى أبا بكر بن حزم .

قال محمد بنُ عمر : حدثني محمد بنُ عبد الله بن أبي حرّة ، عن عمه
قال : رأيتُ عثمانَ بنَ حَيَّانَ أخذَ رِيَّاحَ بنَ عبيد الله ومُنِقِذاً العِراقِيّ فحبسَهُم
وعاقبَهُم ، ثمّ بعث بهم في جوامع إلى الحجّاج بن يوسف ، ولم يترك بالمدينة
أحدًا من أهل العراق تاجرًا ولا غير تاجر ، وأمر بهم أن يُخَرَّجُوا من كلِّ
بلد ، فرأيتُهُم في الجوامع ، وأتبع أهل الأهواء ، وأخذ هَيِّصًا فقطعه ، ومنحورًا -
وكان من الخوارج - قال : وسمعتُه يخطُبُ على المنبر يقول بعد حمد الله :

أيها الناس ، إنا وجدناكم أهلَ غِشٍّ لأمير المؤمنين في قديمِ الدَّهرِ
وحديثه ، وقد ضَوَى إليكم من يزيدكم خبلاً . أهلُ العِراقِ هم أهلُ
الشقاق والنفاق ، هم والله عِشَّ النفاق وبيّضتته التي تفلقت عنه . والله ما
جربتُ عِراقِيًّا قطّ إلا وجدتُ أفضلهم عند نفسه الذي يقول في آل ١٢٥٩/٢
أبي طالب ما يقول ، وما هم لهم بشيعة ، وإنهم لأعداء لهم ولغيرهم ، ولكن لما
يريد الله من سفك دمائهم فإني والله لا أوتى بأحدٍ أوى أحدًا منهم ، أو
أكثره مسزلاً ، ولا أنزله ، إلا هدمتُ منزله ، وأنزلتُ به ما هو أهله . ثمّ إنَّ
البلدانَ لما مصرها عُمر بنُ الخطاب وهو مجتهد على ما يُصلح رعيته جعل
عمرَ عليه من يريد الجهاد فيستشيره : الشأم أحب إليك أم العراق ؟ فيقول :
الشأم أحب إليّ . إني رأيتُ العراقَ داءً عُضالاً ، وبها فرخ الشيطان . والله

لقد أعضلوا^(١) بي، وإني لأراني سأفرقهم في البُلْدان، ثم أقول: لو فرقتهم لأفسدوا من دخلوا عليه بجمدال وحجاج؛ وكيف؟ ولِمَ؟ وسُرعةٍ وجيف في الفتنة، فإذا خبروا عند السيوف لم يخبر منهم طائل^(٢). لم يصلحوا على عثمان، فلقى منهم الأمرين^(٣)، وكانوا أول الناس فسقاً هذا الفتق العظيم، ونقضوا عرى الإسلام عروة عروة، وأنزلوا^(٤) البُلْدان. والله إني لأتقرب إلى الله بكل ما أفعل بهم لما أعرف من رأيهم وسداهيهم. ثم وليهم أمير المؤمنين معاوية فداهم^(٥) فلم يصلحوا عليه، وليهم رجل الناس^(٦) جلدأ فبسط عليهم السيف، وأخافهم، فاستقاموا له أحبوا أو كرهوا، وذلك أنه خببرهم وعرفتهم.

أيها الناس، إنا والله ما رأينا شعراً قطّ مثل الأمن، ولا رأينا جلساً^(٧) قطّ شراً من الخوف، فالزموا الطاعة، فإنّ عندي يا أهل المدينة خيرة من الخلاف. والله ما أنتم بأصحاب قتال، فكونوا من أحلاس بيوتكم، وعصوا على النواجد، فإني قد بعثت في مجالسكم من يسمع فيبلغني عنكم. لأنكم في فضول كلام غيره أنزمت لكم، فدعوا عيب الولاة. فإنّ الأمر إنما يُنقض شيئاً شيئاً حتى تكون الفتنة وإنّ الفتن من البلاء. والفتن تسدهب بالدين وبالمال والوالتد.

قال: يقول القاسم بن محمد: صدق في كلامه هذا الأخير، إنّ الفتنة لهكذا.

قال محمد بن عمر: وحدثني خالد بن القاسم، عن سعيد بن عمرو الأنصاري، قال: رأيت منادياً عثمان بن حيان ينادي عندنا: يا بني أمية بن زيد، برؤس ذمة من آوى عيراً قياً — وكان عندنا رجل من أهل البصرة له فضل

- (١) عضل به الأمر وأعضل: اشتد.
- (٢) الطائل والطائلة والطول: الفضل والقدرة.
- (٣) الأمران: الفقر والحرم؛ وهما كناية عن اشتداد الأمر.
- (٤) أنزلوا: أفسدوا، من نعل الأديم إذا فسد في الدباغ، وأنزله: أفسده.
- (٥) داهمهم: وافقهم؛ من المدامجة وهي مثل المداجاة. (٦) رجل الناس: يريد الحجاج.
- (٧) المجلس في الأصل: كساء على ظهر بعير يوضع تحت رحله؛ والمراد لزوم الشيء.

يقال له أبو سَوَادَةَ ، من العُبَيْدِ - فقال : والله ما أَحِبُّ أن أدخِلَ عليكم مَكْرُوهاً ، بلغوني (١) مَا مَسَى ؛ قلت : لا خَيْرَ لك في الخُرُوجِ ، إنَّ الله يَسُدُّ فَمْعَ عِنا وَعِنا . قال : فأدخِلْتُهُ بَيْتِي ، وبلغَ عِمانَ بنَ حِمْيَانَ فَبَعَثَ أَحْرَاساً فأخْرَجْتُهُ إلى بَيْتِ أَخِي ، فما قَدَرُوا على شَيْءٍ ، وكانَ الَّذِي سَمِعَنِي بي عَدُوًّا ، فقلتُ للأَميرِ : أصْلَحَ اللهُ الأَميرَ ! يُؤْتِنِي بِالْباطِلِ فلا تُعاقِبْ عليه . قال : فَضَرَبَ الَّذِي سَمِعَنِي بِعِشرينَ سَوْطاً . وأخْرَجْنَا العِراقِيَّ ، فكانَ يَصَلِّي معنا ما يَغيبُ يوماً واحداً ، وَحَدِّبَ عليه أَهلُ دارِنَا ، فقالوا : نَموتُ دونَكَ ! فما بَرِحَ حَتَّى عَزَلَ الحَبِيثَ .

قال محمد بنُ عَمْرٍو : وَحَدَّثَنَا عَبْدُ الحَكيمِ (٢) بنُ عبدِ اللهِ بنُ أَبِي فَرَوَةَ ، قال : إنَّما بَعَثَ الوَلِيدُ عِمانَ بنَ حِمْيَانَ إلى المَدِينَةِ لإِخْرَاجِ مَنَ بها مِنَ العِراقِيَّينَ ١٢٦١ / ٢ وَتَفْرِيقِ أَهلِ الأَهْواءِ وَمَنَ ظَهَرَ (٣) عَلَيْهِمُ أوْ عَلا بِأَمْرِهِمُ (٤) ، فلمَ يَبْعَثْهُ وَالِيًّا ، فَكانَ لا يَصْعَدُ المِنْبَرَ ولا يَسْخَطُ عليه ، فلما فَعَلَ في أَهلِ العِراقِ ما فَعَلَ . وَفي مَسْجِدِ وَغَيْرِهِ أَثْبَتَهُ على المَدِينَةِ ، فَكانَ يَصْعَدُ على المِنْبَرِ .

* * *

[ذَكَرَ الخَبيرَ عَن مَقْتَلِ سَعِيدِ بنِ جُبَيْرٍ]

وَفي هَذِهِ السَّنَةِ قَتَلَ الحِجْاجُ سَعِيدَ بنَ جُبَيْرٍ .

* ذَكَرَ الخَبيرَ عَن مَقْتَلِهِ :

وَكانَ سَبَبُ قَتْلِ الحِجْاجِ إِياءَهُ خُرُوجَهُ عليه مَعَ مَنَ خَرَجَ عليه . مَعَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بنِ مُحَمَّدِ بنِ الأَشْعَثِ ، وَكانَ الحِجْاجُ جَعَلَهُ على عِطاءِ الجُنُودِ حينَ وَجَّهَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ إلى رُتْبِيلِ لِقِئالِهِ ، فلما نَخَلَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الحِجْاجَ كانَ سَعِيدُ فِيمَنْ خَلَعَهُ مَعَهُ ، فلما هَزِمَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ وَهَرَبَ إلى بِلادِ رُتْبِيلِ هَرَبَ سَعِيدُ .

فَحَدَّثَنَا أَبُو كَرِيبٍ ، قال : حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بنُ عِياشٍ ، قال : كَتَبَ الحِجْاجُ إلى فِلانَ وَكانَ على أَصْبَهانَ - وَكانَ سَعِيدُ ، قال الطَّبْرِيُّ : أَظنُّهُ أَنَّهُ لما هَرَبَ

(١) ب : « بلغوا بي » . (٢) ط : « الحكم » ، تصحيف

(٣) ب : « طمن » . (٤) ب : « عاب أمرهم » .

من الحجاج ذهب إلى أصبهبان فكتب إليه - إن سعيداً عندك فخذُه .
فجاء الأمر إلى رجل تحرج ، فأرسل إلى سعيد : تحول عتي ، فتنحى عنه ،
فأتى أذربيجان ، فلم يزل بأذربيجان فطال عليه السنون ، واعتصر
فخرج إلى مكة فأقام بها . فكان أناس من ضربه يستخفون فلا يخبرون
بأسمائهم . قال : فقال أبو حصين " وهو يحدثنا هذا : فبكتنا أن فلاناً قد أمر
على مكة ، فقلت له : يا سعيد ، إن هذا الرجل لا يؤمن ، وهو رجل
سوء ، وأنا أتقيه عليك ، فاطعن واشخص ، فقال : يا أبا حصين ، قد
والله فررت حتى استحيت من الله ! سيجيئني ما كتب الله لي . قلت :
أظنك والله سعيداً كما سميتك أمك . قال : فقدم ذلك الرجل إلى مكة ،
فأرسل فأخذ فلان له وكلمه ، فجعل يديره .

١٢٦٢/٢

وذكر أبو عاصم عن عمر بن قيس ، قال : كتب الحجاج إلى
الوليد : إن أهل النفاق والشقاق قد لجئوا إلى مكة ، فإن رأيت
أمير المؤمنين أن يأذن لي فيهم ! فكتب الوليد إلى خالد بن عبد الله القسري ؛
فأخذ عطاء وسعيد بن جببير ومجاهد وطلق بن حبيب وعمرو بن دينار ؛
فأما عمرو بن دينار وعطاء فأرسلوا لأنهما مكيان ، وأما الآخرون فبعث بهم
إلى الحجاج ، فات طلق في الطريق ، وحبس مجاهد حتى مات الحجاج ،
وقتل سعيد بن جببير .

حدثنا أبو كريب . قال : حدثنا أبو بكر ، قال : حدثنا الأشجعي ،
قال : لما أقبل الحرسيان بسعيد بن جببير نزل منزلاً قريباً من الربدة ،
فانطلقت أحد الحرسيين في حاجته وبقى الآخر ، فاستيقظ الذي عنده ،
وقد رأى رؤيا ، فقال : يا سعيد ، إنى أبرأ إلى الله من دمك ! إنى رأيت
في منامى ؛ فليل لي : ويلك ! تبرأ من دم سعيد بن جببير . اذهب
حيث شئت لا أطلبك أبداً ؛ فقال سعيد : أرجو العافية وأرجو ، وأبى حتى

١٢٦٣/٢

(١) هو أبو حمين عثمان بن عاصم ، روى عنه أبو بكر بن عياش ، وانظر الجزء الأول

جاء ذاك؛ فتنزلاً من الغد، فأرى مثلها، فقيل: ابرأ من دم سعيد .
 فقال: يا سعيد، اذهب حيث شئت، إني أبرأ إلى الله من دمك، حتى جاء به .
 فلما جاء به إلى داره التي كان فيها سعيد وهي دارهم هذه، حدثنا
 أبو كريب، قال: حدثنا أبو بكر، قال: حدثنا يزيد بن أبي زياد
 مولى بنى هاشم قال: دخلت عليه في دار سعيد هذه، فجاء به
 مقيداً فدخل عليه قراء أهل الكوفة . قلت: يا أبا عبد^(١) الله، فحدّثكم؟
 قال: إى والله ويضحك، وهو يحدثنا، وبُنِيَّة له في حجره، فنظرت
 نظرةً فأبصرت القييد فبككت، فسمعتُه يقول: أى بُنِيَّة لا تَطَيَّرى،
 إياك - وشقّ والله عليه - فاتبعناه نشيعه، فانتبهينا به إلى الجسر، فقال
 الحرسيان: لا نعبّر به أبداً حتى يعطينا كفيلاً، نخاف أن يغرق نفسه .
 قال: قلنا: سعيدٌ يغرق نفسه! فما عبروا حتى كفلنا به .

قال وهب بن جرير: حدثنا أبي، قال: سمعت الفضل بن سويد
 قال: بعثني الحجاج في حاجة، فجاء بسعيد بن جبير، فرجعتُ
 فقلت: لأنظرن ما يصنع، فقامت على رأس الحجاج، فقال له الحجاج: ١٢٦٤/٢
 يا سعيد، ألم أشركك في أمانتي! ألم أستعملك! ألم أفعل! حتى ظننتُ
 أنه يخلى سبيله؟ قال: بلى، قال: فما حَمَمَك على خروجك على؟
 قال: عزيم على، قال: فطار غضباً وقال: هيه! رأيت لعزيمة عدو
 الرحمن عليك حقاً، ولم تر لله ولا لأمر المؤمنين ولا لى عليك حقاً!
 اضربا عنقه، فضربت عنقه، فننذر رأسه عليه كمة بيضاء
 لا طية صغيرة .

وحدثت عن أبي غسان مالك بن إسماعيل، قال: سمعت خلف بن خليفة
 يذكر عن رجل قال: لما قُتِل سعيد بن جبير فننذر رأسه لله، هلك ثلاثاً:
 مرة يفصح بها، وفي الثنتين يقول. مثل ذلك فلا يفصح بها .
 وذكر أبو بكر^(٢) الباهلي، قال: سمعت أنس بن أبي شيخ، يقول: لما

(١) أبو عبد الله كنية يزيد بن أبي زياد . تهذيب التهذيب .

(٢) ط: « بكرة » ، وانظر الفهرس .

أتى الحجاجُ بسعيد بن جبير ، قال : لعن الله ابنَ النصرانية - قال : يعنى خالد القسرى ، وهو الذى أرسل به من مكة - أما كنتُ أعرف مكانه ! بلى والله والبيت الذى هو فيه بمكة . ثم أقبلَ عليه فقال : يا سعيد ، ما أخرجك على ؟ فقال : أصلح الله الأمير ! إنما أنا امرؤ من المسلمين يُخطئُ مرّةً ويصيبُ مرّةً ، قال : فطابت نفسُ الحجاج ، وتطلق وجهه ، ورجا أن يتخلص من أمره ، قال : فعاودته فى شيء ، فقال له : إنما كانت له بيعة فى عنقى ؛ قال : فغضب وانفخ حتى سقط أحد طرعى رداً عن منكبيه ، فقال : يا سعيد ، ألم أقدم مكة فقتلت ابنَ الزبير ، ثم أخذت (١) بيعة أهلها ، وأخذتُ بيعتك لأمر المؤمنين عبد الملك ! قال : بلى ، قال : ثم قدمت الكوفة والياً على العراق فجددت لأمر المؤمنين البيعة ، فأخذتُ بيعتك له ثانية ! قال : بلى ؛ قال : فتنكث (٢) بيعتين لأمر المؤمنين ، وتقبى بواحدة للحائك ابن الحائك ! اضربا عنقه ؛ قال : فإياه عسى جرير بقوله :

١٢٦٥/٢

يأربُّ ناكثٍ بيعتين تركتهُ وخِصابٌ لحيته دَمُ الأوداج (٣)

وذكر عتاب بن بشر ، عن سالم الأفطس ، قال : أتى الحجاج بسعيد بن جبير وهو يريد الركوب ، وقد وضع إحدى رجليه فى الغرز - أو الركاب - فقال : والله لا أركب حتى تسبوا مقعدك من النار ، اضربوا عنقه . فضربت عنقه ، فالتبس مكانه ، فجعل يقول : قيودنا قيودنا ، فظنوا أنه قال : القيود التى على سعيد بن جبير ، فقتلوا رجله من أنصاف ساقيه وأخذوا القيود .

قال محمد بن حاتم : حدثنا عبد الملك بن عبد الله عن هلال بن خبيب (٤) قال : جىء بسعيد بن جبير إلى الحجاج فقال : أكتسبت إلى مصعب ابن الزبير ؟ قال : بل كتبت إلى مصعب ؛ قال : والله لأقتلنك ؛ قال :

(١) ب : « وأخذت » .

(٢) ب : « فنكثت » .

(٣) ط : « جناب » ، وانظر الفهرس .

(٤) ديوانه ٩٠ .

لأنتي إذًا لسعيد كما سمّنتي أمي! قال : فتقتله ؛ فلم يسلُبَتْ بعده إلا نحرًا
من أربعين يومًا ، فكان إذا نام يراه في منامه يأخذ بمجامع ثوبه فيقول :
يا عدو الله ، لِمَ قتلْتَنِي ؟ فيقول : مالي ولسعيد بن جببيرا مالي ولسعيد
ابن جببيرا !

* * *

قال أبو جعفر: وكان يقال لهذه السنة سنة الفُتُهاء، مات فيها عامّة
فُتُهاء أهل المدينة، مات في أولها عليّ بنُ الحسين عليه السلام (١)، ثمّ
عروة بن الزبير، ثمّ سعيد بن المسيّب، وأبو بكر بن عبد الرحمن بن
الحارث بن هشام .

واستقضى الوليدُ في هذه السنة بالشّام سليمان بن حبيب .
واختلف فيمن أقام الحجّ للناس في هذه السنة ، فقال أبو معشر -
فيما حدّثني أحمد بنُ ثابت عن ذكره ، عن إسحاق بن عيسى عنه -
قال : حجّ بالناس مسلمة بن عبد الملك سنة أربع وتسعين .
وقال الواقديّ : حجّ بالناس سنة أربع وتسعين عبد العزيز بن الوليد بن
عبد الملك - قال : ويقال : مسلمة بن عبد الملك .

وكان العاملُ فيها على مكة خالد بن عبد الله القسريّ ، وعلى المدينة
عثمان بن حبان المرّيّ ، وعلى الكوفة زياد بن جرير ، وعلى قضائها أبو بكر
ابن أبي موسى . وعلى البصرة الجراح بن عبد الله . وعلى قضائها عبد الرحمن
ابن أذينة . وعلى خراسان قتيبة بن مسلم ، وعلى مصر قرّة بن شريك ،
وكان العراق والمشرق كله إلى الحجاج (٢) .

(١) ب : «على بن الحسين بن عليّ صلى الله عليهم» .

(٢) بعده في ب : « بن يوسف » .

ثم دخلت سنة خمس وتسعين

ذكر الأحداث التي كانت فيها

ففيها كانت غزوة العباس بن الوليد بن عبد الملك أرض الروم ، ففتَح اللهُ على يديه ثلاثة حصون فيما قيل ، وهي : طولس ، والمرزبانين ، وهيرقلة . وفيها فتح آخر الهند إلا الكيسرج والمسندال . وفيها بُنيت واسط القصب في شهر رمضان . وفيها انصرف موسى بن نصير إلى إفريقيا من الأندلس ، وضحى بقصر الماء - فيما قيل - على ميل من القسروان .

١٢٦٧/٢

* * *

[بقية الخبر عن غزو الشاش]

وفيها غزا قتيبة بن مسلم الشاش .

* ذكر الخبر عن غزوته هذه :

رجع الحديث إلى حديث علي بن محمد ، قال : وبعث الحجاج جيشاً من العراق فقدموا على قتيبة سنة خمس وتسعين ، فغزا ، فلما كان بالشاش - أو بكشهاهن - أتاه موت الحجاج في شوال ، فغمه ذلك ، وقفل راجعاً إلى مرو ، وتمثل :

أعمرى لنعم المرء من آل جعفر بحوران أمسى أعلقتُه الحبال^(١)

فإن تحي لا أمل حياتي وإن تمت فما في حياة بعد موتك طائل

قال : فرجع بالناس ففرقهم ، فخلف في بخارى قوماً ، ووجه قوماً

إلى كس ونسف ، ثم أتى مرو فأقام بها ، وأتاه كتاب الوليد : قد عرّف

أمير المؤمنين بلاءك وجيدك^(٢) في جهاد أعداء المسلمين ، وأمير المؤمنين^(٣)

١٢٦٨/٢

(١) للحطية ، ديوانه ١٠٠ ، وذكروا أنه خرج يريد علقمة بن علاثة وهو بحوران ، فات

علقمة قبل أن يصل إليه الحطية ؛ فقال أبياتاً منها هذان البيتان . (٢) ب : « وجهادك » .

(٣) ب : « المسلمين » .

رافعك وصانع بك كالذى يجب لك ، فلم مسغازيك ، وانتظر ثواب ربك ، ولا تغيب^(١) عن أمير المؤمنين كتبك ؛ حتى كأني أنظرُ إلى بلادك^(٢) والثغر الذى أنت به^(٣) .

* * *

وفيهما مات الحجاج بن يوسف في شوال— وهو يومئذ ابن أربع وخمسين سنة وقيل : ابن ثلاث وخمسين سنة — وقيل : كانت وفاته في هذه السنة لخمس ليال بقيت من شهر رمضان .

وفيهما استخلف الحجاج لما حضرته الوفاة على الصلاة ابنه عبد الله بن الحجاج . وكانت إمرة الحجاج على العراق فيما قال الواقدي عشرين سنة . وفي هذه السنة افتتح العباس بن الوليد قنسرين .

وفيهما قتل الواحى بأرض الروم ونحو من ألف رجل معه .
وفيهما — فيما ذكر — ولد المنصور عبد الله بن محمد بن علي .

وفيهما ولي الوليد بن عبد الملك يزيد بن أبي كعبشة على الحرب والصلاة بالمصرين^(٤) : الكوفة والبصرة ، وولي خراجهما يزيد بن أبي مسلم .

وقيل : إن الحجاج كان استخلف حين حضرته الوفاة على حرب البلدين والصلاة بأهلها يزيد بن أبي كعبشة ، وعلى خراجهما يزيد بن أبي مسلم ، فأقرهما الوليد بعد موت الحجاج على ما كان الحجاج ١٢٦٩/٢ استخلفهما عليه . وكذلك فعل بعمال الحجاج كلهم ، أقرهم بعده على أعمالهم التي كانوا عليها في حياته .

* * *

وحج بالناس في هذه السنة بشر بن الوليد بن عبد الملك ، حدثني

(١) ب : « تغيب » .

(٢) ب : « بلادك » .

(٣) ب : « فيه » .

(٤) ب : « على المصريين » .

بذلك أحمدُ بنُ ثابتٍ عمّن ذكره، عن إسحاق بن عيسى ، عن أبي مَعشَر .
وكذلك قال الواقديّ .

* * *

وكان عُمالُ الأمصار في هذه السنة هم العمال الذين كانوا في السنة
التي قبلها ، إلا ما كان من الكُوفَةِ والبَصْرَةِ ، فإنهما ضُمَّتَا إلى مَنْ
ذَكَرْتُ بَعْدَ مَوْتِ الْحِجَّاجِ .

ثم دخلت سنة ست وتسعين
ذكر الأحداث التي كانت فيها

ففيها كانت - فيما قال الواقدي - غزوة بشر بن الوليد الشامية ،
فقتل وقد مات الوليد .

* * *

[ذكر الخبر عن موت الوليد بن عبد الملك]

وفيهما كانت وفاة الوليد بن عبد الملك، يوم السبت في النصف من
جمادى الآخرة سنة ست وتسعين في قول جميع أهل السير .

واختلف في قدر مدة خلافته، فقال الزهري في ذلك - ما حدثت

عن ابن وهب عن يونس عنه : مَلَكَ الوليدُ عشرَ سنين إلا شهراً .

وقال أبو معشر فيه ، ما حدثني أحمد بن ثابت ، عمّن ذكره ،

عن إسحاق بن عيسى ، عنه : كانت خلافة الوليد تسع سنين وسبعة أشهر .

وقال هشام بن محمد : كانت ولاية^(١) الوليد ثمان سنين وستة^(٢) أشهر .
١٢٧٠/٢

وقال الواقدي : كانت خلافته تسع سنين وثمانية أشهر وليلتين .

واختلف أيضاً في مبلغ عمره ، فقال محمد بن عمر : توفي بدمشق

وهو ابن ست وأربعين سنة وأشهر .

وقال هشام بن محمد : توفي وهو ابن خمس وأربعين سنة .

وقال علي بن محمد : توفى وهو ابن اثنتين وأربعين سنة وأشهر .

وقال علي : كانت وفاة الوليد بدير مرّان، ودفن خارج باب الصغير .

ويقال : في مقابر الفراءيس .

ويقال : لأنه توفي وهو ابن سبع وأربعين سنة .

وقيل : صلى عليه عمر بن عبد العزيز .

(١) ب : « خلافة » .

(٢) ب : « ثمانية » .

وكان له - فيما قال علي - تسعة عشر ابناً: عبدالعزيز، ومحمد، والعباس،
ولإبراهيم، وتمّام، وخالد، وعبد الرحمن، ومبشر، ومسور، وأبو عبيدة،
وصدقة، ومنصور، ومروان، وعنبسة، وعمر، وروح، وبشر،
وزيد، ويحيى؛

أم عبد العزيز ومحمد وأمّ البنين بنت عبد العزيز ابن مسروان، وأم
أبي عبيدة فزارية، وسائرهم لأمهات شتى.

* * *

* ذكر الخبر عن بعض سيره :

حدثني عمّس، قال: حدثني عليّ، قال: كان الوليدُ بنُ عبد الملك عند
أهل الشام أفضل جلائقهم، بنى المساجدَ مسجدَ دمشق ومسجدَ المدينة،
ووضعَ المنارَ، وأعطى الناسَ، وأعطى المسجدينَ مين، وقال: لا تسألوا
الناسَ. وأعطى كلَّ مُتَعَدِّ خادماً، وكلَّ ضَرِيرٍ قائداً. وفتحَ في ولايته
فتوحَ عِظامَ؛ فتحَ موسى بنَ نصير الأندلسَ، وفتحَ قتيبة كاشغرَ،
وفتحَ محمد بنُ القاسم الهندَ.

١٢٧١/٢

قال: وكان الوليدُ يمرُّ بالبقال فيسقي عليه فيأخذ حُرْمَةَ البقل
فيقول: بكم هذه؟ فيقول: بفلس؛ فيقول: زد فيها.

قال: وأتاه رجلٌ من بني مخزوم يسأله في دينه. فقال: نعم، إن
كنت مستحقاً لذلك، قال: يا أمير المؤمنين، وكيف لا أكون مستحقاً
لذلك مع قرابتي! قال: أقرأت القرآن؟ قال: لا، قال: ادن مني،
فدنا منه، فنزع عمامته بقضيب كان في يده، وقرعه قرعات بالقضيب،
وقال لرجل: ضم هذا إليك، فلا يفارقك حتى يقرأ القرآن، فقام إليه عثمانُ
ابنُ يزيد بن خالد بن عبد الله بن خالد بن أسيد، فقال: يا أمير المؤمنين،
إن عليّ ديننا، فقال: أقرأت القرآن؟ قال: نعم، فاستقرأه عشر آيات
من الأنفال، وعشر آيات من برّاءة، فقرأ، فقال: نعم، نَقَضِي^(١) عنكم،
وزصل أرحامكم على هذا.

١٢٧٢/٢

(١) ب: «يقضي».

قال : ومَرِيضُ الْوَلِيدُ فَرَهَقْتُهُ غَشِيَّةً ، فَكَثَّ عَامَّةً يَوْمَهُ عِنْدَهُمْ مَيْتًا ، فَبَسُكِيَ عَلَيْهِ ، وَخَرَجَتْ الْبُرْدُ بِمَوْتِهِ ، فَقَدِمَ رَسُولٌ عَلَى الْحِجَاجِ ، فَاسْتَرْجَعَ ، ثُمَّ أَمَرَ بِجَبَلٍ فُشِدَتْ فِي يَدَيْهِ ، ثُمَّ أُوثِقَ لِيْ أَسْطَوَانَةٌ ، وَقَالَ : اللَّهُمَّ لَا تَسْلُطْ عَلَيَّ مِنْ لَارِحْمَةٍ لَهُ ، فَقَدْ طَالَمَا سَأَلْتُكَ أَنْ تَجْعَلَ مِنِّي قَبْلَ مَنِّيَّةٍ ! وَجَعَلَ يَدْعُو ، فَإِنَّهُ لَكَذَلِكَ إِذْ قَدِمَ عَلَيْهِ بِرِيدٍ يَأْفَاقْتُهُ .

قال عليّ : ولما أفاق الوليدُ قال : ما أحدٌ أسرَّ بعافيةِ أميرِ المؤمنين (١) من الحجاج ؛ فقال عمرُ بنُ عبد العزيز : ما أعظمَ نعمةَ الله علينا بعافيتك ، وكأني بكتابِ الحجاجِ قد أتاكَ يذكُرُ فيه أنه لما بلغه برؤكُ خَرَّ لَهِ سَاجِدًا ، وَأَعْتَقَ كُلَّ مَمْلُوكٍ لَهُ ، وَبَعَثَ بِقَوَارِيرٍ مِنْ أَنْبَاجِ الْهِنْدِ . فَا لَبِثَ إِلَّا أَيَّامًا حَتَّى جَاءَ الْكِتَابُ بِمَا قَالَ .

قال : ثمَّ لم يَمُتِ الْحِجَاجُ حَتَّى تُثَقِّلَ عَلَى الْوَلِيدِ ، فَقَالَ خَادِمٌ لَلْوَلِيدِ : إِنِّي لِأَوْضَعِي الْوَلِيدَ يَوْمًا لِلْغَدَاءِ ، فَدَبَّ يَدَهُ ، فَجَعَلْتُ أُصَبُّ عَلَيْهِ الْمَاءَ ، وَهُوَ سَاهٍ وَالْمَاءُ يَسِيلُ وَلَا أَسْتَطِيعُ أَنْ أَتَكَلَّمَ ، ثُمَّ نَضَّحَ الْمَاءَ فِي وَجْهِهِ ، وَقَالَ : أَنَاعَسُ أَنْتَ ! وَرَفَعَ رَأْسَهُ إِلَيَّ وَقَالَ : مَا تَدْرِي مَا جَاءَ اللَّيْلَةَ ؟ قُلْتُ : لَا ؛ قَالَ : وَيَحْسُوكَ ! مَاتَ الْحِجَاجُ ! فَاسْتَرْجَعْتُ . قَالَ : اسْكُتْ مَا يُسْرَرُ مَوْلَاكَ أَنْ فِي يَدِهِ تَفَاحَةٌ يَسْمُومُهَا .

قال عليّ : وكان الوليد صاحب بناء واتخاذ للمصانع والضبياع ، وكان الناس يلتقون في زمانه ، وإنما يسأل بعضهم بعضاً عن البناء والمصانع . فولى سليمان ، فكان صاحب نكاح وطعام ، فكان الناس يسأل بعضهم بعضاً عن التزويج والحواري . فلما ولّى عمرُ بن عبد العزيز كانوا يلتقون فيقول الرجل للرجل : ما وردك الليلة ؟ وكم تحفظ من القرآن ؟ ومتى تسختم ؟ ومتى خستمت ؟ وما تصوم من الشهر ؟ ورثي جرير الوليد فقال :

يَا عَيْنَ جُودِي بِدَمْعِ هَاجَةِ الدُّكْرِ فَمَا لَدَمْعِكَ بَعْدَ الْيَوْمِ مُدْخَرٌ (١)

(١) س : « الوليد » .

(٢) ديوانه ٢٩٦ .

إِنَّ الْخَلِيفَةَ قَدْ وَارَتْ شَمَائِلَهُ غِبْرَاءُ مُلْحَدَةٌ فِي جَوْلِهَا زَوْرٌ^(١)
أَضْحَى بَنُوهُ وَقَدْ جَلَّتْ مُصِيبَتُهُمْ مِثْلَ النُّجُومِ هَوَى مِنْ بَيْنِهَا الْقَمَرُ
كَانُوا جَمِيعاً فَلَمْ يَدْفَعْ مَنِيَّتَهُ عَبْدُ الْعَزِيزِ وَلَا رَوْحٌ وَلَا عَمْرٌ^(٢)

حدثني عمر، قال: حدثنا علي، قال: حج الوليد بن عبد الملك، وحج محمد بن يوسف من اليمسن، وحمل هدايا للوليد، فقالت أم البنين للوليد: يا أمير المؤمنين، اجعل لي هدية محمد بن يوسف، فأمر بصرفها إليها، فجاءت رسل أم البنين إلى محمد فيها، فأبى وقال: ينظر إليها أمير المؤمنين فيترى رأيه - وكانت هدايا كثيرة - فقالت: يا أمير المؤمنين، إنك أمرت بهدايا محمد أن تصرف لي، ولا حاجة لي بها، قال: ولم؟ قالت: بلغني أنه غصبها الناس، وكلفهم عملها، وظلمهم. وحمل محمد المتاع إلى الوليد، فقال: بلغني أنك أصبتها غصباً، قال، معاذ الله! فأمر فاستحلف بين الركن والمقام خمسين يميناً بالله ما غصب شيئاً منها، ولا ظلم أحداً، ولا أصابها إلا من طيب؛ فحلف، فقبلتها الوليد ودفعتها إلى أم البنين، فمات محمد بن يوسف باليمسن، أصابه داء تنقطع منه.

١٢٧٤/٢

وفي هذه السنة كان الوليد أراد الشخصوص إلى أخيه سليمان نخلعه، وأراد البسعة لابنه من بعده، وذلك قبل مرضته التي مات فيها. حدثني عمر، قال: حدثنا علي، قال: كان الوليد وسليمان ولي عهد عبد الملك، فلما أفضى الأمر إلى الوليد، أراد أن يبايع لابنه عبد العزيز ويخلع سليمان، فأبى سليمان، فأراده على أن يجعله له من بعده، فأبى، فعرض عليه أموالاً كثيرة، فأبى، فكتب إلى عماله أن يبايعوا لعبد العزيز،

(١) الديوان: «غبراء ملحودة». وأجوال البئر: نواحيها. والزور: الاعوجاج.

(٢) بعده في الديوان.

وخالِدٌ لو أراد الدهرُ فديتَهُ
قد شقني روعة العباس من فزع
أغلوا مخاطرةً لو يقبلُ الخطرُ
لما أتاه بدير القسطل الخبرُ

ودعا الناس إلى ذلك ؛ فلم يُجبه أحد إلا الحجاج وقتيبة وخواص من الناس . فقال عبّاد بن زياد : إن الناس لا يُجيبونك إلى هذا ، ولو أجابوك لم آمنهم على الغدر بابتك ، فكتب إلى سليمان فليقدم عليك ، فإن لك عليه طاعة ، فأردّه على البسيطة لعبد العزيز من بعده ، فإنه لا يتقدّر على الامتناع وهو عندك ، فإن أبي كان الناس عليه .

فكتب الوليد إلى سليمان يأمره بالقدوم^(١) ، فأبطأ ، فاعتزم الوليد على المسير إليه وعلى أن يسخّله ، فأمر الناس بالتأهب ، وأمر بحجره فأخرجت ، فمرض ، ومات قبل أن يسير^(٢) وهو يريد ذلك .

قال عمر : قال عليّ : وأخبرنا أبو عاصم الزيّادي عن الهيثوث الكلبيّ ، قال : كنا بالهند مع محمد بن القاسم ، فقتل الله داهراً^(٣) ، وجاءنا كتاب من الحجاج أن اخلعوا سليمان ، فلما ولي سليمان جاءنا كتاب سليمان ، أن ازرعوا واحرثوا ، فلا شأماً لكم ، فلم نزل بتلك البلاد حتى قام عمر بن عبد العزيز فأوقفنا .

قال عمر : قال عليّ : أراد الوليد أن يبني مَسْجِدَ دمشق ، وكانت فيه كنيسة ، فقال الوليد لأصحابه : أقسمت عليكم لَمَّا أتاني كل رجل منكم بِلِسْبِنَةٍ ، فَجعل كل رجل يأتيه بِلِسْبِنَةٍ ، ورجل من أهل العراق يأتيه بِلِسْبِنَتَيْنِ ، فقال له : ممن أنت ؟ قال : من أهل العراق ؛ قال : يا أهل العراق ، تُفْرطون في كل شيء حتى في الطاعة ! وهدموا الكنيسة وبنوها مسجداً ، فلما ولي عمر بن عبد العزيز شكوا ذلك إليه ، فقيل : إن كل ما كان خارجاً من المدينة افتتح عنوة ، فقال لهم عمر : نردّ عليكم كنيستكم ونهدم كنيسة توما ، فإنها فُتحت عنوة ، بنيتها مسجداً ، فلما قال لهم ذلك قالوا : بل نردّ لكم هذا الذي هدّمه الوليد ، ودعوا لنا كنيسة توما . ففعل عمر ذلك .

(١) بعدها في ب : « عليه » .

(٢) بعدها في ب : « إليه » .

(٣) داهر ، ملك مكران .

[فتح قتيبة كاشغر وغزو الصين]

وفي هذه السنة افتتح قتيبة بن مسلم كاشغر ، وغزأ الصين .

* ذكر الخبر عن ذلك :

رَجَعَ الحديث إلى حديث علي بن محمد بالإسناد الذي ذكرتُ قبلُ . قال : ثم غزا قتيبة في سنة ست وتسعين ، وحَمَلَ مع الناس عيالهم وهو يريد أن يُحْرِزَ عياله في سمرقند خوفاً من سليمان ، فلما عبر النهر استعمل رجلاً من مواليه يقال له الخوارزمي على مَقَطَعِ النهر ، وقال : لا يجوزن أحدٌ إلا بجواز ؛ ومَضَى إلى فَرَغانة ، وأرسل إلى شِعْبِ عصام من يُسَهِّلُ له الطريق إلى كاشغر ، وهي أذنسى مدائن الصين ، فأتاه موتُ الوليد وهو بفَرَغانة .

١٢٧٦/٢

قال : فأخبرنا أبو الذيال عن المهلب بن إياس ، قال : قال إياس بن زهير : لما عبر قتيبة النهر أتيتُه فقلت له : إنك خرجت ولم أعلم رأيتك في العيال فأتيتُ أهبة ذلك ، وبني الأكايرمعي ، ولي عيال قد خلقتهم وأم عجوز ، وليس عندهم من يقوم بأمرهم ، فإن رأيت أن تكتب لي كتاباً مع بعض بني أوجهه فيقدم علي بأهلي ! فكتب ، فأعطاني الكتاب فأنتهيت إلى النهر وصاحب النهر من الجانب الآخر ، فألويت بيدي ، فجاء قوم في سفينة فقالوا : من أنت ؟ أين جوازك ؟ فأخبرتهم ، فقصتُ معي قوم ورد قوم السفينة إلى العامل ، فأخبروه . قال : ثم رجعوا إلى فحملوني ، فأنتهيت إليهم وهم يأكلون وأنا جائع : فرميتُ بنفسي ، فسألني عن الأمر ، وأنا آكل لا أجيبه ، فقال : هذا أعرابي قد مات من الجوع ، ثم ركبتُ فضيتُ فأتيت مرو ، فحملت أمي ، ورجعتُ أريدُ العسكر ، وجاءنا موتُ الوليد ، فانصرفتُ إلى مرو .

وقال : وأخبرنا أبو مخنف ، عن أبيه ، قال : بعث قتيبة كثير بن فلان إلى كاشغر ، فسبى منها سبيًا ، فحَمَّ أعناقهم مما أفاء الله على قتيبة ، ثم رجع قتيبة وجاءهم موتُ الوليد .

قال : وأخبرنا يحيى بن زكرياء الهمداني عن أشياخ من أهل خراسان

والحكيم بن عثمان ، قال : حدثني شيخٌ من أهل خراسان . قال : وغلب قتيبة حتى قرب^(١) من الصين . قال : فكتب إليهِ ملك الصين أن ابعث إلينا رجلاً من أشرف من معكم يُخبرنا عنكم ، ونسأله عن دينكم . فانتخب قتيبة من عسكره اثني عشر رجلاً - وقال بعضهم : عشرة - من أفناء القبائل ، لهم جمال وأجسام وألسن وشعور وبأس ، بعد ما سأل عنهم فوجدتهم من صالح من هم منه . فكلّمهم قتيبة ، وفاظتنهم فرأى عقولا وجمالا ، فأمرهم بعدة حسنة من السلاح والمتاع الجيد من الخنز والوشى واللين من البياض والرقيق^(٢) والنعال^(٣) والعطر ، وحملتهم على خيول مطهّمة تُقاد معهم ، ودواب يركبونها^(٤) . قال : وكان هبيرة بن المشمرج الكلابي مفوهاً بسيطاً اللسان ، فقال : يا هبيرة ، كيف أنت صانع ؟ قال : أصلح الله الأمير ! قد كُفيت الأدبَ وقل ما شئت أقله . وأخذ به ، قال : سيروا على بركة الله ، وبالله التوفيق . لا تتضعوا العمامة عنكم حتى تقدموا البلاد ، فإذا دخلتم عليه فأعلموه أني قد حلفتُ ألا أنصرفَ حتى أطأ بلادهم ، وأختم ملوكهم ، وأجبي خراجهم .

قال : فساروا ، وعليهم هبيرة بن المشمرج ، فلما قدموا أرسل إليهم ملكُ الصين يدعوهم ، فدخلوا الحمام ، ثم خرجوا فلبسوا ثياباً بيضاً^(٥) نحتسها الغلائل ، ثم مسّوا الغالية ، وتدخّنوا^(٥) ولبسوا النعال والأردية ، ودخلوا عليه وعندة عظماء أهل مملكته ، فجلسوا ، فلم يكلمهم الملك ولا أحدٌ من جلسائه فنهضوا ، فقال الملك لمن حضّره : كيف رأيتم هؤلاء ؟ قالوا : رأينا قومًا ما هم إلا نساء ، ما بقى منا أحد حين رأهم ووجد رائحتهم إلا انتشر ما عنده .

قال : فلما كان الغد أرسل إليهم فلبسوا الوشى وعمائم الخنز والمطاريف ، وغدوا عليه ، فلما دخلوا عليه قيل لهم : ارجعوا ، فقال لأصحابه : كيف

(٢) ب : « الرقاق » .

(١) ب : « بلغ قرب » .

(٤) ب : « يربطونها » .

(٣) ب : « والنعال » .

(٥) في اللسان : « الدخنة : بخور يدخن به الثياب أو البيت ، وقد تدخن بها ودخن غيره » .

(٦) ط : « بياضاً » .

رَأَيْتُمْ هَذِهِ الْهَيْئَةَ ؟ قَالُوا : هَذِهِ الْهَيْئَةُ أَشْبَهَتْ بِهَيْئَةِ الرَّجَالِ مِنْ تِلْكَ الْأُولَى ، وَهَمْ أَوْلَئِكَ ، فَلَمَّا كَانَ الْيَوْمَ الثَّلَاثَ أَرْسَلَ إِلَيْهِمْ فَشَدَّوْا عَلَيْهِمْ سِلَاحَهُمْ ، وَلَتَبَسُوا الْبَيْضَ وَالْمَغَافِرَ ، وَتَقَلَّدُوا السِّيُوفَ ، وَأَخَذُوا الرِّمَاحَ ، وَتَنَكَّبُوا الْقَسِيَّ ، وَرَكِبُوا خَيْولَهُمْ ، وَغَدَّوْا فَنَظَّرَ إِلَيْهِمْ صَاحِبُ الصِّينِ فَرَأَى أَمْثَالَ الْجِبَالِ مُقْبِلَةً ، فَلَمَّا دَنَوْا رَكَزُوا رِمَاحَهُمْ ، ثُمَّ أَقْبَلُوا نَحْوَهُمْ مَشْمَرِينَ ، فَقِيلَ لَهُمْ قَبْلَ أَنْ يَدْخُلُوا : ارْجِعُوا ، لِمَا دَخَلَ قُلُوبَهُمْ مِنْ خَوْفِهِمْ .

قال : فَاَنْصَرَفُوا فَمَرَكِبُوا خَيْولَهُمْ ، وَاخْتَلَعُوا رِمَاحَهُمْ ، ثُمَّ دَفَعُوا خَيْولَهُمْ كَأَنَّهُمْ يَتَطَارِدُونَ بِهَا ، فَقَالَ الْمَلِكُ لِأَصْحَابِهِ : كَيْفَ تَرَوْنَهُمْ ؟ قَالُوا : مَا رَأَيْنَا مِثْلَ هَؤُلَاءِ قَطُّ ، فَلَمَّا أَمْسَى أَرْسَلَ إِلَيْهِمُ الْمَلِكُ ، أَنْ ابْعَثُوا إِلَى زَعِيمَتِكُمْ وَأَفْضَلِكُمْ رَجُلًا ، فَبَعَثُوا إِلَيْهِ هُبَيْرَةَ ، فَقَالَ لَهُ حِينَ دَخَلَ عَلَيْهِ : قَدْ رَأَيْتُمْ (١) عَظِيمَ مُسْكَى ، وَإِنَّهُ لَيْسَ أَحَدٌ يَمْنَعُكُمْ مِنْهُ ، وَأَنْتُمْ فِي بِلَادِي ، وَإِنَّمَا أَنْتُمْ بِمَنْزِلَةِ الْبَيْضِ فِي كَفِّي . وَأَنَا سَأَلْتُكَ (٢) عَنْ أَمْرِ فَإِنْ لَمْ تَصْدُقْنِي (٣) قَتَلْتُكُمْ . قال : سَلِّ ؛ قال : لِمَ صَنَعْتُمْ مَا صَنَعْتُمْ مِنَ الزَّيِّ فِي الْيَوْمِ الْأَوَّلِ وَالثَّانِي وَالثَّلَاثِ ؟ قال : أَمَا زَيْتُنَا الْأَوَّلُ فَلِيَبَاسُنَا فِي أَهَالِينَا (٤) وَرِيحُنَا عِنْدَهُمْ ، وَأَمَا يَوْمُنَا الثَّانِي فَإِذَا أَتَيْنَا أَمْرَاءَنَا ، وَأَمَا الْيَوْمُ الثَّلَاثُ فَزَيْتُنَا لَعَدْنَا ، فَإِذَا هَاجَنَنَا هَيْجٌ وَفَزَعٌ (٥) كُنَّا هَكَذَا . قال : مَا أَحْسَنَ مَا دَبَّرْتُمْ دَهْرَكُمْ ! فَاَنْصَرَفُوا إِلَى صَاحِبِكُمْ فَقَوْلُوا لَهُ : يَنْصَرِفُ ، فَإِنِّي قَدْ عَرَفْتُ حِرْصَهُ وَقَلَّةَ أَصْحَابِهِ ، وَإِلَّا بَعَثْتُ عَلَيْكُمْ مِنْ يُهْلِكِكُمْ وَيُهْلِكُهُ ، قَالَ لَهُ : كَيْفَ يَكُونُ قَلِيلُ الْأَصْحَابِ مَنْ أَوْلَ خَيْلِهِ فِي بِلَادِكَ وَأَخِيرَهَا فِي مَنَابِتِ الزَّيْتُونِ ! وَكَيْفَ يَكُونُ حَرِيصًا مِنْ خُلُفِ الدُّنْيَا قَادِرًا عَلَيْهَا وَغَزَاكَ ! وَأَمَا تَخْوِيفُكَ إِيَّانَا بِالْقَتْلِ فَإِنَّ لَنَا أَجَالَ إِذَا حَضَرَتْ فَأَكْرَمَهَا الْقَتْلُ ، فَلَسْنَا نَكْرَهُهُ وَلَا نَخَافُهُ ؛ قال : فَمَا الَّذِي يُرْضِي صَاحِبَكُ ؟ قال : إِنَّهُ قَدْ حَلَفَ أَلَّا يَنْصَرِفَ حَتَّى يَطَّأَ أَرْضَكُمْ ، وَيَخْتَمَ مَلُوكَكُمْ ، وَيُعْطَى الْجِزْيَةَ ، قال : فَإِنَّا نَخْرِجُهُ مِنْ يَمِينِهِ ، نَبْعَثُ إِلَيْهِ

١٢٧٩/٢

- (١) ب : « أَرَأَيْتُمْ » .
 (٢) ب : « أَسْأَلْتُكَ » .
 (٣) ب : « تَصْدُقْنِي » .
 (٤) ب : « أَهْلُنَا » .
 (٥) ب : « أَوْ فَزَعٌ » .

بتراب من تراب أرضنا فيطوئه ، ونسبت بعض أبنائنا فيختمهم ، ونبتت إليه
بجزية يرضهاها . قال : فدعا بصحاف من ذهب فيها تراب ، وبتت بحريير
وذهب وأربعة غلمان من أبناء ملوكهم ، ثم أجازهم فأحسن جوائزهم ،
فساروا فقدوا بما بعثت به ، فتقبل قتيبة الجزية ، وختم الغلطة وردهم ،
ووطئ التراب ، فقال سودة بن عبد الله السلولي :

لا عيبَ في الوَفْدِ الذينَ بَعَثْتَهُمْ للصين إن سَلَكَوا طريقَ المَنهَجِ
كسروا الجفونَ على القَدَى خوفَ الرَدَى حاشا الكريم هُبيرةَ بن مُشمرَجِ
لَمْ يَرْضَ غيرَ الخَتَمِ في أعناقِهِمْ ورهائنِ دُفِعَتْ بِحَمَلِ سَمْرَجِ
أَدَى رسالتِكَ التي استرَعَيْتَهُ وأتاك مِن حِنثِ اليمينِ بمُخرَجِ
قال : فأوفد قتيبة هبيرة إلى الوليد ، فأتت بقرية^(١) من فارس ، فرتاه
سودة ، فقال :

لله قَبْرُ هُبيرةَ بن مُشمرَجِ ماذا تَضَمَّنَ من نَدَى وَجَمالِ !
وبديهة يَعِينَا بها أبناؤها عند احتفالِ مَشاهدِ الأقوالِ
كان الربيعَ إذا السَّنونُ تَتَابَعَتْ والليثَ عند تَكَعُكِ الأبطالِ
فَسَقَّتْ بقريةَ حيثُ أَمسى قَبْرُهُ غُرٌّ يَرْحَنَ بِمَسْبِلِ هَطالِ
بَكَتِ الجيادُ الصافناتُ لفقده ويكاه كلُّ مُثَقِّفِ عَسالِ
وبكته شُعْتُ لم يجدنَ مواسياً في العامِ ذى السَّنواتِ والإمجالِ

قال : وقال الباهليون : كان قتيبة إذا رجع من غزواته كل سنة اشترى
اثنى عشر فرساً من جياد الخيل ؛ واثني عشر هجيناً . لا يجاوز بالفرس أربعة
آلاف ، فيقام عليها إلى وقت الغزو ، فإذا تأهب للغزو وعسكرت قيادت
وأضمرت ، فلا يقطع نهراً بخيل حتى تخف لحومها ، فيحمل عليها
من بحمله في الطلائع . وكان يبعث في الطلائع الفرسان من الأشراف ،
ويبعث معهم رجالاً من العجم ممن يستنصح على تلك الهجن ، وكان إذا بعث

(١) قرية : اسم موضع .

بطليعة^(١) أمر بلووح فنقش ، ثم يشقه شقتين فأعطاه شقة ، واحتبس شقة ، لثلاث يمثل مثلها ، ويأمره أن يدفننها في موضع يصفه له من^(٢) مخاضة معروفة ، أو تحت شجرة معلومة ، أو خربة ، ثم يبعث بعده من يستبريها ليعلم أصادق في طليعته أم لا .

وقال ثابت قُطنة العتسكى يذكر من قُتيل من ملوك الترك :

أقر العين مقتل كارزلك وكشبيز وما لاقى بيار

وقال الكميت يذكر غزوة السغد وخوازم :

وبعد في غزوة كانت مباركة	تردى زراعة أقوام وتحتصد
نالت غمامتها فيلاً بوابلها	والسغد حين دنا شوئوبها البرد
إذ لا يزال له نهب يتقله	من المقاسم لا وخش ولا نكد
تلك الفتوح التي تذل بحجتها	على الخليفة إنا معشر حشد
لم تشن وجهك عن قوم غزوتهم	حتى يقال لهم : بعداً وقد بعدوا
لم ترض من حصنهم إن كان ممتنعاً	حتى يكبر فيه الواحد الصمد

(١) ب : « طليعة » .

(٢) ب : « في » .

خلافة سليمان بن عبد الملك

قال أبو جعفر : وفي هذه السنة بُويع سليمانُ بنُ عبد الملك بالخلافة ، وذلك في اليوم الذي تُوقى فيه الوليدُ بنُ عبد الملك ، وهو بالرَّملة .

وفيهما عَزَلَ سليمانُ بنُ عبد الملك عثمانَ بنَ حِيَّانَ عن المدينة ، ذَكَرَ محمد بن عمر ، أنه نَزَعَهُ عن المدينة لسبع بقين من شهر رمضان سنة ست (١) ١٢٨٢/٢ وتسعين .

قال : وكان عملُه على المدينة ثلاثَ سنين . وقيل : كانت إمرته عليها سنتين غير سبع (٢) ليال .

قال الواقدي : وكان أبو بكر بن محمد بن عمرو بن حَزَمٍ قد استأذن عثمانَ أن ينام في غد ، ولا يجلس للناس ليقوم ليلةً إحدى وعشرين ، فأذن له . وكان أيوب بن سلمة المخزومي عنده ، وكان الذي بين أيوب بن سلمة وبين أبي بكر بن عمرو بن حَزَمٍ سَيْسًا ، فقال أيوب لعُثمان : ألم تَسر إلى ما يقول هذا ؟ إنما هذا منه رثاء ؛ فقال عثمان : قد رأيتُ ذلك ، ولست لأبى إن أرسلتُ إليه غُدوةً ولم أجده جالسًا لأجلدنه مائة ، ولأحلقن رأسه ولحيته .

قال أيوب : فجاءني أمرٌ أحبه ، فتعجَّلت من السحر ، فإذا شَمَعَةٌ في الدار ، فقلت : عَجَلِ المرءى ، فإذا رسولُ سليمانَ قد قدِمَ على أبي بكر بتأميره وعَزَلَ عثمانَ وحده .

قال أيوب : فدخلتُ دارَ الإمارة ، فإذا ابنُ حِيَّانَ جالس ، وإذا بأبي بكر على كرسى يقول للحدَّاد : اضربْ في رجلِ هذا الكلدِ ، ونظر لي عثمانُ فقال (٣) :

أبو على أدبارهم كُشِّفًا والأمرُ يَحْدُثُ بعده الأمرُ

(١) ب : « في سنة » .

(٢) ط : « سبعة » ، والصواب ما أثبتته من ب .

(٣) بدلها في ب : « مثملا » .

وفي هذه السنة عَزَلَ سليمانُ يزيدَ بنَ أبي مسلمٍ عن العراق ، وأمرَ عليه يزيدَ بنَ المهلبِ ، وجعلَ صالحَ بنَ عبدِ الرحمنِ على الخِراجِ ، وأمره أن يَسْتَقْبَلَ آلَ أبي عَقِيلٍ وَيَبْسُطَ عَلَيْهِمُ الْعَذَابَ . فحدَّثني عمرُ بنُ شَبَّهَةَ ، قال : حدَّثني عليُّ بنُ محمدٍ ، قال : قدِمَ صالحُ العِراقَ على الخِراجِ ، ١٢٨٣/٢
 ويزيدُ على الحَرْبِ ، فبعثَ يزيدُ زيادَ بنَ المهلبِ على عُمانَ ، وقال له : كاتبُ صالحاً ، وإذا كتبتَ إليه فابدأ باسمه ، وأخذَ صالحُ آلَ أبي عَقِيلٍ فكان يُعَذِّبُهُمْ ، وكان يلبى عذابَهُمْ عبدُ الملكِ بنَ المهلبِ .

* * *

[خبر مقتل قتيبة بن مسلم]

وفي هذه السنة قُتِلَ قَتَيْبَةُ بْنُ مُسْلِمٍ بِخُرَّاسَانَ .

ذكر الخبر عن سبب مقتله :

وكان سبب ذلك أن الوليد بن عبد الملك أراد أن يجعل ابنته عبد العزيز ابن الوليد ولياً عهده ، ودس في ذلك إلى القواد والشعراء ، فقال جرير في ذلك :

إذا قيلَ أَيّْ النَّاسِ خَيْرُ خَلِيفَةٍ؟ أشارتْ إلى عبدِ العزيرِ الأصابعِ^(١)
 رَأَوْهُ أَحَقُّ النَّاسِ كُلِّهِمْ بِهَا وما ظَلَمُوا ، فبايعوه وسارِعُوا^(٢)

وقال أيضاً جرير يحض الوليد على بسعة عبد العزيز :

إلى عبدِ العزيرِ سَمَتِ عِيُونَُ السَّرِّ عِيَةً إِذْ تَحَيَّرَتِ الرُّعَاةُ^(٣)
 إليه دَعَتْ دَوَاعِيهِ إِذَا مَا عِمَادُ الْمُلْكِ خَرَّتْ وَالسَّمَاءُ
 وقال أولو الحكومة من قريش علينا البيعُ إن بلغ الغلاءُ^(٤)

(١) ديوانه ٣٥٧ .

(٢) ب : « إذ بايعوه وسارعوا » ، ر : « فبايعوه وسارعوا » .

(٣) ديوانه ٩ .

(٤) الديوان : « إذ بلغ الغلاء » .

رَأَوْا عَبْدَ الْعَزِيزِ وَوَلِيَّ عَهْدِهِ
 فَمَاذَا تَنْظُرُونَ بِهَا وَفِيكُمْ
 فَزَحَلْفَهَا بِأَزْمَلِهَا إِلَيْهِ
 فَإِنَّ النَّاسَ قَدْ مَدُّوا إِلَيْهِ
 وَلَوْ قَدْ بَايَعُوكَ وَوَلِيَّ عَهْدِهِ
 لِقَامِ الْوِزْنِ وَاعْتَدَلَ الْبِنَاءُ^(٢) ١٢٨٤/٢
 فَبَايَعْتَهُ عَلَى خَلْعِ سُلَيْمَانَ الْحِجَاجِ بْنِ يُوْسُفَ وَقَتِيْبَةَ . ثُمَّ هَلَكَ الْوَلِيدُ
 وَقَامَ سُلَيْمَانُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ ، فَخَافَهُ قَتِيْبَةُ .

قال علي بن محمد : أَخْبَرَنَا بِشْرُ بْنُ عَيْسَى وَالْحَسَنُ بْنُ رُشَيْدٍ وَكُلَيْبُ
 ابْنِ خَلَسَفَ ، عَنْ طُفَيْلِ بْنِ مِرْدَاسٍ ، وَجَبَلَةَ بْنِ فَرَّوْخَ ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَزِيزِ
 الْكِنْدِيِّ ، وَجَبَلَةَ بْنِ أَبِي رَوَّادٍ^(٣) وَمُسْلِمَةَ بْنِ مَحَارِبَ ، عَنِ السَّكِّينِ بْنِ قَتَادَةَ ؛
 أَنَّ قَتِيْبَةَ لَمَّا أَتَاهُ مَوْتُ الْوَلِيدِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ وَقِيَامُ سُلَيْمَانَ ، أَشْفَقَتْ مِنْ سُلَيْمَانَ
 لِأَنَّهُ كَانَ يَسْعَى فِي بَيْعَةِ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ الْوَلِيدِ مَعَ الْحِجَاجِ ، وَخَافَ أَنْ
 يُوَلِّيَ سُلَيْمَانُ يُزَيْدَ بْنَ الْمَهْلَبِ خُرَّاسَانَ . قَالَ : فَكُتِبَ إِلَيْهِ كِتَابًا يُهَيِّئُهُ
 بِالْخِلَافَةِ ، وَيُعْزِيهِ عَلَى الْوَلِيدِ ، وَيُعَلِّمُهُ بِلَاءَةَ وَطَاعَتِهِ لِعَبْدِ الْمَلِكِ وَالْوَلِيدِ ،
 وَأَنَّهُ لَهُ عَلَى مِثْلِ مَا كَانَ لَهَا عَلَيْهِ مِنَ الطَّاعَةِ وَالنَّصِيحَةِ إِنْ لَمْ يَعْزِلْهُ عَنْ
 خُرَّاسَانَ . وَكُتِبَ إِلَيْهِ كِتَابًا آخَرَ يُعَلِّمُهُ فِيهِ فَتُوْحَهُ وَنِيكَايَتَهُ وَعَظْمَ
 قَدْرِهِ عِنْدَ مُلُوكِ الْعَجَمِ ، وَهَيْبَتِهِ فِي صُدُورِهِمْ ، وَعَظْمَ صَوْتِهِ فِيهِمْ ، وَيَذَمُّ
 الْمَهْلَبَ وَآلَ الْمَهْلَبِ ، وَيُحْلِفُ بِاللَّهِ لَنْ اسْتَعْمَلَ يُزَيْدَ عَلَى خُرَّاسَانَ لِيُخْلَعَنَّ .
 وَكُتِبَ كِتَابًا ثَالِثًا فِيهِ خَلْعُهُ ، وَبَعِثَ بِالْكَتُبِ الثَّلَاثَةِ مَعَ رَجُلٍ مِنْ بَاهِلَةَ^(٤) ،
 وَقَالَ لَهُ : ادْفَعْ إِلَيْهِ هَذَا الْكِتَابَ ، فَإِنْ كَانَ يُزَيْدُ بْنُ الْمَهْلَبِ حَاضِرًا ، فَقَرَأْهُ
 ثُمَّ أَلْقَاهُ إِلَيْهِ ، فَادْفَعْ إِلَيْهِ هَذَا الْكِتَابَ ، فَإِنْ قَرَأَهُ وَأَلْقَاهُ إِلَى يُزَيْدَ فَادْفَعْ
 إِلَيْهِ هَذَا الْكِتَابَ ، فَإِنْ قَرَأَ الْأَوَّلَ وَلَمْ يَدْفَعْهُ إِلَى يُزَيْدَ فَاحْتَبَسِ الْكِتَابَيْنِ
 الْآخَرَيْنِ .

(١) زحلفها إليه ، أي ادفعها . وقوله : « بأزملها » ، أي بأجمعها .

(٢) الديوان : « لقيام القسط » . (٣) ط : « دواد » ، تحريف . (٤) ب : « أهله » .

قال : فقَدِمَ رسولُ قُتَيْبَةَ فدخل على سليمانَ وعندهَ يزيدُ بنُ المهلبِ ، فدفَعَ إليه الكتابَ ، فقرأه ، ثم ألقاه إلى يزيدِ ، فدفَعَ إليه كتاباً آخرَ فقرأه ، ثم رَمَى به إلى يزيدَ ، فأعطاه الكتابَ الثالثَ ، فقرأه فتمعَّرَ لونه^(١) ، ثم دَعَا بطيِّينَ فختمه ثم أمسكه بيده .

* * *

وأما أبو عُبَيْدَةَ مَعْمَرُ بنُ المُنْثَى ، فإنه قال - فيما حدَّثت عنه : كان في الكتابِ الأوَّلِ وقِيعَةٌ في يزيدِ بنِ المهلبِ . وذكرُ غدرِهِ وكفرِهِ وقلةَ شكرِهِ ، وكان في الثاني ثناءً على يزيدِ ، وفي الثالث : لئن لم تُقرِّتني على ما كنتُ عليه وتؤمِّنني لأخلعنك خلعَ النَّعْلِ ، ولأملأَنَّها عليك خَسِيلاً ورجالاً . وقال أيضاً : لما قرأ سليمانُ الكتابَ الثالثَ وضعه بين مئائتين من المُشَلِّ التي تحته ولم يُحسِرْ في ذلك مرجوعاً .

* * *

رجع الحديث إلى حديثِ عليِّ بنِ محمدٍ . قال : ثمَّ أمر - يعني سليمانَ - برسولِ قُتَيْبَةَ أن يُنزَلَ . فحوَّلَ إلى دارِ الضيافة ، فلما أمسى دعا به سليمانَ ، فأعطاه صُرَّةً فيها دنانيرٌ ، فقال : هذه جوائزُك ، وهذا عهدُ صاحبِك على خراسانَ فسرُّ ، وهذا رسولُ معك بعَهْدِهِ . قال : فخرج الباهليُّ ، وبعث معه سليمانُ رجلاً من عبدِ القيسِ ، ثمَّ أحدُ بني لَيْسَ يُقال له صَعْمُصَةُ - أو مُصْعَبٌ - فلما كان بحُلوانَ تلقَّاهم الناسُ بخَمَلِ قُتَيْبَةَ ، فرجع العبدىُّ ، ودفَعَ العهدَ إلى رسولِ قُتَيْبَةَ ، وقد خلعَ ؛ واضطرب الأمرُ ، فدفَعَ إليه عهدَهُ ، فاستشار إخوتَهُ ، فقالوا : لا يَسْتَقِ بِكَ سليمانُ بعدَ هذا .

١٢٨٦/٢

قال عليٌّ : وحدَّثني بعضُ العَسْبَرِيِّينَ ، عن أشياخِ منهم ، أن تَوْبَةَ ابنِ أبي أسيدِ العَسْبَرِيِّ ، قال : قدِمَ صالحُ العراقِ ، فوجهني إلى قُتَيْبَةَ ليُطلِّعني^(٢) طليعَ ما في يده ، فصَحَّبتني رجلٌ من بني أسدٍ ، فسألني عما خرجتُ فيه ، فكأتمته أمرى ، فلإنا لنسيرُ إذ سنحَ لنا سائحٌ ؛ فنظر إلى رفيقي

(١) تمعَّرَ لونه ، أى تغيَّرَ .

(٢) ب : « ليطلع » .

فقال : أراك في أمر جسيم وأنت تكتنني ! فضيت ، فلما كنت بحلوان تلقاني الناسُ بقتل قتيبة .

قال عليّ : وذكر أبو الذّيال وكُساب بن نخلف وأبو عليّ الجوزجانيّ عن طفيل بن مرداس ، وأبو الحسن الجشميّ ومصعب بن حيان (١) عن أخيه مقاتيل بن حيان ، وأبو مخنف وغيرهم ، أن قتيبة لما همّ بالخيل استشار إخوته ، فقال له عبدالرحمن : اقطع بعثاً فوجه فيه كلّ من تخافه ، ووجه قوماً إلى مرو ، وسرّ حتى تنزل سمّرقند ، ثم قل لمن معك : من أحبّ المقام فله المواسة ، ومن أراد الانصراف فغير مستكره ولا متبروع بسوء ، فلا يقيم معك إلا مناصح . وقال له عبد الله : اخلعه مكانك ، وادع الناس إلى خلعهم . فليس يختلف عليك رجلان . فأخذ برأى عبد الله ، فخلع سليمان ، ودعا الناس إلى خلعهم ، فقال للناس :

١٢٨٧/٢

إني قد جمعتكم من عين التمر وفيض البحر فضمت الأخ إلى أخيه ، والولد إلى أبيه ، وقسمت بينكم فينكم ، وأجريت عليكم أعطيانيكم غير مكدرة ولا مؤخرّة ، وقد جرتبتم الولاية قبلي ؛ أتاكم أمية (٢) فكتب إلى أمير المؤمنين إن خراج خراسان لا يقوم (٣) بمطبخي ، ثم جاءكم أبو سعيد (٤) فدوم بكم (٥) ثلاث سنين لا تدرّون أفي طاعة أنتم أم في معصية لم يجب فيننا ، ولم ينكنا عدواً ، ثم جاءكم بنوه بعده ؛ يزيد ، فحل تباري إليه النساء ، وإنما خليفتمكم يزيد بن ثروان هبنقة القيسي (٦) .

قال : فلم يجبه أحد ، فغضب فقال : لا أعزّ الله من نصرتم ، والله لو اجتمعتم على عنز ما كسرتم قرنهما ، يا أهل السافلة — ولا أقول أهل العالية — يا أوباش الصدقة ، جمعتمكم كما تجمع إبل الصدقة من كل أوب . يا معشر بكر بن وائل ، يا أهل النفخ والكذب والبخل ، بأيّ

(١) ط : « جان » ، تحريف . (٢) أمية بن عبد الله بن خالد بن أسيد بن أبي العاص بن أمية ، عامل عبد الملك على خراسان حتى سنة ٧٨ . (٣) ط : « لا يقيم » ، وفي البيان : « لو كان في مطبخه لم يكفه » . (٤) أبو سعيد كنية المهلب بن أبي صفرة . (٥) ب : « فرزم فيكم » . (٦) هو يزيد بن ثروان بن هبنقة ذو الودعات القيسي ، المضروب به المثل في الحق .

يَوْمَيْكُمْ تَفْخَرُونَ ؟ بِيَوْمِ حَرْبِكُمْ ، أَوْ بِيَوْمِ سَلَمِكُمْ ! فَوَاللَّهِ لَأَنَا أَعَزُّ مِنْكُمْ . يَا أَصْحَابَ مُسَيْلَمَةَ ، يَا بَنِي ذَمِيمٍ - وَلَا أَقُولُ تَمِيمٍ - يَا أَهْلَ الْخَمُورِ (١) وَالْقَصِيفِ وَالغَدْرِ ، كُنْتُمْ تَسْمُونَ الْغَدْرَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ كَيْسَانَ (٢) . يَا أَصْحَابَ سَجَّاحٍ ، يَا مَعْشَرَ عَبْدِ الْقَيْسِ الْقُسَاةَ ، تَبَدَّلْتُمْ بِأَبْرِ النَّحْلِ (٣) أَعْنَةَ الْخَيْلِ . يَا مَعْشَرَ الْأَزْدِ ، تَبَدَّلْتُمْ بِقَلْبُوسٍ (٤) السَّفْنَ أَعْنَةَ الْخَيْلِ الْحُصْنَ ؛ (٥) إِنَّ هَذَا لَسَبْدَةٌ فِي الْإِسْلَامِ ! وَالْأَعْرَابُ ، وَمَا الْأَعْرَابُ ! لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْأَعْرَابِ ! يَا كِنَاسَةَ الْمَصْرِيِّينَ ، جَمَعْتُمْ مِنْ مَنَابِتِ الشَّيْخِ وَالْقَيْصُومِ وَمَنَابِتِ الْقَلْقَلِ (٦) ، تَرْكَبُونَ الْبَيْتَرَ وَالْحُمْرُ فِي جَزِيرَةِ ابْنِ كَاوَانَ ، حَتَّى إِذَا جَمَعْتُمْ كَمَا تُجْمَعُ قَرْعَ الْخَرِيفِ (٧) قُلْتُمْ كَيْتَ وَكَيْتَ ! أَمَا وَاللَّهِ إِنِّي لَابْنُ أَبِيهِ ! وَأَخُو أَخِيهِ ، أَمَا وَاللَّهِ لِأَعَصَبَتِكُمْ عَصَبَ السَّلَامَةِ . إِنَّ حَوْلَ الصَّلِيَّانِ الزَّمْرَمَةَ (٨) . يَا أَهْلَ خُرَّاسَانَ ، هَلْ تَدْرُونَ مَنْ وَلِيْتُمْ ؟ وَلَيْسَ بِيَزِيدُ بْنُ ثَرْوَانَ . كَأَنِّي بِأَمِيرٍ مَزْجَاءٍ (٩) ، وَحِكْمَةٍ قَدْ جَاءَكُمْ فَتَغْلَبَكُمْ عَلَى فَيْتِكُمْ وَأُظْلَالِكُمْ . إِنَّهَا هُنَا نَارًا أَرْمُوهَا أَرْمُوا مَعَكُمْ ، أَرْمُوا غَرْضَكُمْ الْأَقْصَى . قَدْ اسْتُخْلِفَ عَلَيْكُمْ أَبُو نَافِعٍ ذُو الْوَدْعَاتِ . إِنَّ الشَّامَ أَبٌ مَبْرُورٌ ، وَإِنَّ الْعِرَاقَ أَبٌ مَكْفُورٌ . حَتَّى مَتَى يَتَبَطَّحُ (١٠) أَهْلُ الشَّامِ بِأَفْنِيَّتِكُمْ وَظِلَالِ دِيَارِكُمْ يَا أَهْلَ خُرَّاسَانَ ، أَنْسَبُونِي تَسْجُدُونِي عِرَاقِي الْأُمَّ ، عِرَاقِي الْأَبِ ، عِرَاقِي الْمَوْلِيدِ ، عِرَاقِي الْهَوِيِّ وَالرَّأْيِي وَالدِّينِ (١١) ، وَقَدْ أَصْبَحْتُمْ الْيَوْمَ فَمَا تَرَوْنَ مِنَ الْأَمْنِ وَالْعَافِيَةِ قَدْ فَتَّحَ اللَّهُ لَكُمْ الْبِلَادَ ، وَأَمِنْ سُبُلِكُمْ ، فَالظَّهْمِيَّةَ تَسْخَرُجُ مِنْ مَسْرُورٍ إِلَى بَسَلَخٍ بِغَيْرِ جَوَازٍ ،

١٢٨٨/٢

(١) ب : « الجور » .
 (٢) البيان : « وأما هذا الحى من تميم ، فإنهم كانوا يسمون الغدر كيسان » .
 (٣) أهر النحل : إصلاحه ، وفي ب : « تأبير » .
 (٤) القلوس : جمع قلس ؛ وهو حبل ضخم من ليف أو خوص أو غيرها من قلوس سفن البحر .
 (٥) الحصن : جمع حصان . (٦) الشيخ والقيصوم والققل ، من منابت البادية .
 (٧) ط : « قزع » تحريف : والقزع : كل شيء يكون قطعاً متفرقة ؛ ومنه قطع السحاب .
 (٨) الصليان : نبت من أفضل المرمى ، يختل للخيل التي لا تفارق الحى . والزرمية ، يعنى صوت الفرس إذا رآه ؛ وهو مثل يضرب للرجل يخدم لثروته . قال الميداني ١ : ٢٠٦ : « ويروى : « حول الصليان الزرمية » ؛ جمع صليب ، والزرمية : صوت عابديها ؛ يضرب لمن يحوم حول الشيء لا يظهر مرآه » .
 (٩) مزجاء للمطى ، أى كثير الإزجاء لها ، زجاءها وأزجاءها : ساقها .
 (١٠) س : « يتبطح » .
 (١١) ب : « الرأى والهوى » .

فاحمدوا الله على النعمة ، وسلكوه الشكر والمزيد^(١) .

قال : ثم نزل فدخل منزله ، فأناه أهل بيته فقالوا : ما رأينا كالיום قط ، والله ما اقتصرت على أهل العالية وهم شعارك وديارك ، حتى تناولت بركراً وهم أنصارك ، ثم لم ترض بذلك حتى تناولت نيماً وهم إخوتك ، ثم لم ترض بذلك حتى تناولت الأزد وهم يدك ! . فقال : لما تكلمت فلم يجبني أحدٌ غضبت ، فلم أدري ما قلت ؛ إن أهل العالية كإبل الصدقة قد جمعت من كل أوب ، وأما بركر فإنها أمة لا تمنع يد لامس ، وأما نيم فجمل أجرب ، وأما عبد القيس فما يضرب العير بذنبه ، وأما الأزد فأعلاج ، شرار من خلقت الله ، لو ملكت أمرهم لوسمتهم .

قال : فغضب الناس وكبرها وخلع سليمان ، وغضبت القبائل من شتم قتيبة ، فأجمعوا على خلافه وخلعوه ، وكان أول من تكلم في ذلك الأزد ، فأتوا حُضَيْنَ بن المنذر فقالوا : إن هذا قد دعا إلى ما دعا إليه من خلع الخليفة ، وفيه فساد الدين والدنيا ، ثم لم يرض بذلك حتى قصر بنا وشتمنا ، فما تترى يا أبا حفص ؟ وكان يُكْتَسَى في الحرب بأبي ساسان ، ويقال : كُتِسِيته أبو محمد - فقال لهم : حُضَيْنُ : مُضَرُّ بخُرَّاسان تعدل هذه الثلاثة الأخماس ؛ وتميم أكثر الحمسين ، وهم فُرسانُ خُرَّاسان ، ولا يرضون أن يصير الأمر في غير مُضَرِّ ، فإن أخرجتموهم من الأمر أعانوا قتيبة ؛ قالوا : إنه قد وتر بنى تميم بقتل ابن الأهم ، قال : لا تنظروا إلى هذا فإنهم يتعصبون للمُضَرِّيَّة ، فانصرفوا رادين لرأى حُضَيْنِ ، فأرادوا أن يولوا عبد الله بن حيَّوْذان الجَهْضَمِيَّ ، فأبى ، وتدافعوها ، فرجعوا إلى حُضَيْنِ ، فقالوا : قد تدافعنا الرياسة ، فنحن نوليكم أمرنا ، وربيعة لا تخالفك ، قال : لا ناقة لي في هذا ولا جمل ؛ قالوا : ما تترى ؟ قال : إن جعلتم هذه الرياسة في تميم تم أمركم ، قالوا : فمن تترى من تميم ؟ قال : ما أرى أحداً غير وكيع ، فقال حيَّان مولى بنى شيبان : إن أحداً لا يتقلد هذا الأمر فيصلي بحره ، ويبذل دمه ، ويتعرض للقتل ، فإن قديم أمير

(١) أورد الجاحظ خطبة قتيبة في ثلاث خطب متفرقة ، في البيان والتبيين ٢ : ١٣٢ - ١٣٥ .

أخذته بما جنسى وكان المهناً لغيره إلا هذا الأعرابي وكيع ؛ فإنه مقدم لا يُبالي ما ركب ، ولا يتنظر في عاقبة ، وله عشيرة كثيرة تطيعه ، وهو مَوْتُورٌ يطلبُ قتيبةَ برياسته التي صرفها عنه وصيرها لضرار بن حُصَيْن بن زَيْد الفُوارس بن حُصَيْن بن ضرار الضبِّي . فحشى الناسُ بعضهم إلى بعض سراً ، وقيل لقتيبة : ليس يُفسد أمر الناس إلا حيّان ، فأراد أن يغتاله — وكان حيّانٌ يلاطف حشَم الولاة فلا يُخفون عنه شيئاً — قال : فدعا قتيبة رجلاً فأمره بقتل حيّان ، وسمعه بعضُ الخدم ، فأتى حيّان فأخبره ، فأرسل إليه يدعوه ، فحذر وتمازى ، وأتى الناسُ وكيعاً فسألوه أن يقوم بأمرهم ؛ فقال : نعم ، وتمثل قول الأشهب بن رُمَيْلة :

سأجني ما جنيت وإن رُكِنِي لمعتمدٌ إلى نضدٍ رَكِينِ

قال : وبخراسان يومئذ من المقاتلة من أهل البصرة من أهل العالية تسعة آلاف ، وبسكر سبعة آلاف ، رئيسهم الحُصَيْن بن المنذر ، وتميم عشرة آلاف عليهم ضرار بن حُصَيْن الضبِّي ، وعبد القيس أربعة آلاف عليهم عبد الله بن علوان عوذى^(١) ، والأزد عشرة آلاف رأسهم عبد الله ابن حوذان ، ومن أهل الكوفة سبعة آلاف عليهم جيهم بن زحر — أو عبید الله بن علي — والموالي سبعة آلاف عليهم حيّان — وحيّان يقال إنه من الديلم ، ويقال : إنه من خراسان ، وإنما قيل له نبطي للكنية — فأرسل حيّان إلى وكيع : أرأيت إن كفتُ عنك وأعنتك تجعل لي جانبَ نهر بلسخ وخرابته ما دمتَ حيّاً ، وما دمتُ والياً ؟ قال : نعم ؛ فقال للعجم هؤلاء يقاتلون على غير دين ، فدعوهم يقتل بعضهم بعضاً ؛ قالوا : نعم ، فبايعوا وكيعاً سراً ، فأتى ضرار بن حُصَيْن قتيبة ، فقال : إن الناس يختلفون إلى وكيع ، وهم يُبايعونه — وكان وكيع يأتي منزل عبد الله بن مسلم الفقير فيشرب عنده — فقال عبد الله : هذا يحسد وكيعاً ، وهذا الأمر باطل ، هذا وكيع في بيتي يشرب ويسكر ويسلح في ثيابه ؛ وهذا يترجم أنهم يبايعونه . قال : وجاء وكيع إلى قتيبة فقال : احذر ضراراً فإنه

١٢٩١/٢

لا آمستهُ عليك ، فأنزل قتيبةُ ذلكَ منهما على التحاسد . وتمارض وكيع .
 ثم إن قتيبةَ دسَّ ضرارَ بنَ سنانِ الضَّبِّيِّ إلى وكيعٍ فبايعه سرّاً ، فتيبَنَ لقتيبةَ
 أن الناسَ يبايعونه ، فقال لضرار : قد كنتَ صدقتني ، قال : إني لم أخبرك
 إلا بعلم ، فأنزلت ذلكَ مني على الحسَد ، وقد قضيتُ الذي كان على ، قال : ١٢٩٢/٢
 صدقت . وأرسل قتيبةُ إلى وكيعٍ يبدؤه^١ فوجدَه رسولُ قتيبةَ قد طأسى
 على رِجله مَعْرَةَ ، وعلى ساقه^١ خَرَزاً وودعاً ، وعنده رجلان من
 زهران يرقبان رِجله ، فقال له : أجب الأميرَ ، قال : قد تمرى ما يرجلى .
 فرجع الرسولُ إلى قتيبةَ فأعاده إليه ، قال : يقول لك : اثنى محمولا على
 سرير ، قال : لا أستطيع . قال قتيبة لشريك بن الصامت الباهلي أحد
 بني وائل — وكان على شرطته — ورجلٌ من غنى انطلقا إلى وكيعٍ فأتيا به .
 فإن أبي فاضرٍ با عنقه ؛ وجهه معهما خيلا ، ويقال : كان على شُرطه
 بخراسان ورفاءُ بن نصرُ الباهلي .

قال علي : قال أبو الذَّيَال : قال ثُمَامَةُ بن ناجذ العَدَوِي : أرسل قتيبةُ
 إلى وكيعٍ من يأتيه به ، فقلت : أنا آتيك به أصلحك الله ! فقال : اثنى
 به ، فأتيتُ وكيعاً — وقد سبقَ إليه الخبرُ أن الخليل تآتبه — فلما رآني قال :
 يا ثُمَامَةُ ، ناد في الناس ؛ فناديتُ ، فكان أول من أتاه هُرَيْمُ بن
 أبي طَحْمَةَ في ثمانية .

قال : وقال الحسن بن رشيد الجوزجاني : أرسل قتيبةُ إلى وكيع ،
 فقال هُرَيْمُ : أنا آتيك به ، قال : فانطلق . قال هُرَيْمُ : فركبتُ برذوني
 مخافة أن يردني ، فأتيتُ وكيعاً وقد خرج .

قال : وقال كليب بن خلسف : أرسل قتيبةُ إلى وكيع شعبة بن ظهير
 أحد بني صخر بن نهشل ، فأتاه ، فقال : يا بن ظهير :

* لبث قليلاً تلحق الكئاب *

ثم دعا بسكين فقطع خرزاً كان على رجليه ، ثم لبس سلاحه ، وتمثل : ١٢٩٣/٢

شدوا على سرتي لا تنقليف يوم لهمدان ويوم للصدف

(١ - ١) ب : « فوجده قد طلى رجليه بمغرة وعلق على رأسه . » والمغرة : طين أحمر يصنع به .

وخرج وحده ، ونظر إليه نسوة^١ فقلن : أبو مطرف وحده ؛ فجاء هُرَيْمُ بن أبي طَحْصَمَةَ في ثمانية ، فيهم عميرة البَرِيد بن ربيعة العُجَيْبِي . قال حمزة بن إبراهيم وغيره : إن وكيعة خرج فتلقتاه رجل ، فقال : ممن أنت ؟ قال : من بني أسد ؛ قال : ما اسمك ؟ قال : ضيرغامة ؛ قال : ابن من ؟ قال : ابن لَيْث ، قال : دونك هذه الراية .

قال المفضل بن محمد الضبي : وُدِّعَ وكيع رايته إلى عتبة بن شهاب المازني ؛ قال : ثم رجع إلى حديثهم ، قالوا : فخرج وكيع وأمر غلمانته ، فقال : اذهبوا بثقتي إلى بني العم ، فقالوا : لا نعرف موضعهم ، قال : انظروا رُمحين مجموعين أحدهما فوق الآخر ، فوقهما مخللة ، فهم بنو العم . قال : وكان في العسكر منهم خمسمائة ؛ قال : فنادى وكيع في الناس ، فأقبلوا أرسلوا من كل وجه ، فأقبل في الناس يقول :

قَرَمٌ إِذَا حُمِّلَ مَكْرُوهَةً شَدَّ الشَّرَاسِيفَ لَهَا وَالْحَزِيمَ^(١)

وقال قومٌ : تمثل وكيع حين خرج :

أَنْخَنَ بَلْقَمَانَ بِنِ عَادٍ فَجُسِّنَهُ أَرِينِي سِلَاحِي لَنْ يَطِيرُوا بِأَعْزَلٍ
واجتمع إلى قتيبة أهل بيته ، وخواص من أصحابه وثقاته ، فيهم إياس ابن بيهس بن عمرو ، ابن عم قتيبة دنيا ، وعبد الله بن وألان العدوي ، وناس من رهطه ، بنو وائل . وأتاه حيان بن إياس العدوي في عشرة ، فيهم عبد العزيز بن الحارث ، قال : وأتاه ميسرة الجدلي - وكان شعاعاً - فقال : إن شئت أتيتك برأس وكيع ، فقال : قف مكانك . وأمر قتيبة رجلاً ، فقال : ناد في الناس ، أين بنو عامر ؟ فنادى : أين بنو عامر ؟ فقال محض بن جزء الكلابي - وقد كان جفاهم : حسيث وضعتمهم ؛ قال : ناد أذكركم الله والرحيم ! فنادى محض : أنت قطعتهما ، قال : ناد لكم العثبي ، فناداه محض أو غيره : لا أقالنا الله إذا ، فقال قتيبة :

يَا نَفْسُ صَبِرًا عَلَى مَا كَانَ مِنْ أَلَمٍ إِذْ لَمْ أَجِدْ لِمُضْمُولِ الْقَوْمِ أَقْرَانًا

(١) الشرايف : أطراف أضلاع الصدر التي تشرف على البطن . والحزيم : موضع الخزام من الصدر والظهر .

ودعا بعمامة كانت أمته بعثت بها إليه ، فاعتم بها ، كان يعتم بها في الشدائد ، ودعا ببردون له مدرّب ، كان يتطيّر إليه في الزحوف ، فقرب إليه ليسركبه ، فجعل يقيص حتى أعياه . فلما رأى ذلك عاد إلى سريره فقعد عليه وقال : دعوه ؛ فإن هذا أمرٌ يُراد . وجاء حيّان النبطي في العجم ، فوقف وقتيبة واجد عليه ، فوقف معه عبد الله بن مسلم ، فقال عبد الله لحيّان : احمل على هذين الطرفين ، قال : لم يأن لذلك ، فغضب عبد الله ، وقال : ناولني قوسي ، قال حيّان : ليس هذا يوم قوس ، فأرسل ١٢٩٥ / ٢ وكيع إلى حيّان : أين ما وعدتني ؟ فقال حيّان لابنه : إذا رأيتني قد حولت فكنسوتني ، ومضيت نحو عسكر وكيع ، فليل بمن معك في العجم إلى . فوقف ابن حيّان مع العجم ، فلما حول حيّان فكنسوته مالت الأعمام إلى عسكر وكيع ، فكبر^(١) أصحابه . وبعث قتيبة أخاه صالحاً إلى الناس فرماه رجل من بني ضبّة يقال له سليمان الزنجيرج - وهو الخردوب ، ويقال : يل رماه رجل من بلسم فأصاب هامته - فحميل إلى قتيبة ورأسه مائل ، فوضع في مصلاّه ، فتحول قتيبة فجلس عنده ساعة ، ثم تحول إلى سريره .

قال : وقال أبو السريّ الأزديّ : رى صالحاً رجلاً من بني ضبّة فأثقله ، وطعته زياد بن عبد الرحمن الأزديّ ، من بني شريك بن مالك .

قال : وقال أبو مخنف : حمل رجل من غنيّ على الناس فرأى رجلاً مجفناً فشبّهه بجهنم بن زحر بن قيس فطعنه ، وقال :

إِنَّ غَنِيًّا أَهْلُ عِزٍّ وَمَصْدَقٍ إِذَا حَارَبُوا وَالنَّاسُ مُفْتَتِنُونَا

فلذا الذي طعن عيلنج . وتهايج الناس ، وأقبل عبد الرحمن بن مسلم نحوهم ، فرماه أهل السوق والغوغاء ، فقتلوه ، وأحرق الناس موضعاً كانت فيه إبل لقتيبة ودوابه ، ودنوا منه ، فقاتل عنه رجل من باهلة من بني وائل ، فقال له قتيبة : انج بنفسك ، فقال له : بش ما جزيتك إذا ،

(١) ب : « فكثر » .

وقد أطعمتني الجردق^(١) وألبستني الترمق^(٢) !

قال : فدعا قتيبةً بدابةً ، فأتي بيبرذون فلم يقر ليركبه ، فقال : إن له لساناً ؛ فلم يركبه . وجلس وجاء الناس حتى بلغوا الفسسطاط ، فخرج إياس بن بيتهس وعبد الله بن آلان حين بلغ الناس الفسسطاط وتركوا قتيبة . وخرج عبد العزيز بن الحارث يطلب ابنه عمراً - أو عمراً - فلقبه الطائي فحذره ، ووجد ابنه فأردفه . قال : وفطن قتيبة للهيتيم بن المنخل وكان ممن يعين عليه ، فقال :

١٢٩٦/٢

أَعْلَمُهُ الرَّمَايَةَ كُلَّ يَوْمٍ فَلَمَّا أَشْتَدَّ سَاعِدُهُ رَمَائِي

قال : وقتل معه إخوته عبد الرحمن وعبد الله وصالح وحصين وعبد الكريم ، بنو مسلم ، وقتل ابنه كثير بن قتيبة وناس من أهل بيته ، ونجا أخوه ضرار ، استنقده أحواله ، وأمه غراء بنت ضرار بن القسقع بن معبد بن زرارة . وقال قوم : قتل عبد الكريم بن مسلم بقزوين . وقال أبو عبيدة : قال أبو مالك : قتلوا قتيبة سنة ست وتسعين ، وقتل من بني مسلم أحد عشر رجلاً ، فصلبهم وكعب ، سبعة منهم لصلب مسلم وأربعة من بني أبنائهم : قتيبة ، وعبد الرحمن ، وعبد الله الفقير ، وعبيد الله ، وصالح ، وبششار ، ومحمد بنو مسلم . وكثير بن قتيبة ، ومغلس بن عبد الرحمن ، ولم ينج من صلب مسلم غير عمرو - وكان عامل الجوزجان - وضرار ، وكانت أمه الغراء بنت ضرار بن القسقع بن معبد بن زرارة ، فجاء أحواله فدفعه حتى نحوه ، ففي ذلك يقول الفرزدق :

١٢٩٧/٢

عَشِيَّةَ مَا وَدَّ ابْنُ غَرَّةٍ أَنَّهُ لَهْ مِنْ سِوَانَا إِذْ دَعَا أَبَوَانَ^(٢)

وضرب إياس بن عمرو - ابن أخي مسلم بن عمرو - على ترقوته فعاش . قال : ولما غشي القوم الفسسطاط قطعوا أطنابه . قال زهير : فقال جهنم ابن زحر لسعد : انزل ، فحز رأسه ، وقد أثن جراحاً ، فقال : أخاف

(١) الجردق : الرغيف ، بالفارسية . والترمق : اللين ، وهو فارسي أيضاً . وفي ب : « الترمق » .

(٢) ديوانه ٨٧٢ .

أَن تَجُولَ الخليلُ ، قال : تخاف وأنا إلى جننك ! فنزل سعد فشق
صَوْقَمَةَ (١) الفُسطاط ؛ فاحتزَّ رأسه ، فقال حُضَيْنُ بن المنذر :

وإن ابن سعد وابن زحرٍ تعاورا بسيفيهما رأس الهمام المتوج
عشية جئنا بابن زحرٍ وجئتم بأدغم مرقوم الذراعين ديزج
أصم غدائي كأن جبينه لطاخة نقس في أديم ممجج

قال : فلما قتل مسلمة يزيد بن المهلب استعمل على خراسان سعيد بن
خديزة بن عبد العزيز بن الحارث بن الحكم بن أبي العاص ، فحبس عمال
يزيد ، وحبس فيهم جهنم بن زحر الجعفي ، وعلى عذابه رجل من باهلة ،
فقيل له : هذا قاتل قتيبة ، فقتله في العذاب ، فلامه سعيد ، فقال :
أمرتني أن أستخرج منه المال فعذبتة فأتى علي أجله .

قال : وسقطت على قتيبة يوم قتل جارية له خوارزمية ، فلما قتل
خرجت ، فأخذها بعد ذلك يزيد بن المهلب ، فهي أم خنسية .

قال علي : قال حمزة بن إبراهيم وأبو اليسر : لما قتل قتيبة صعد
عمارة بن جنية الرياحي المنبر فتكلم فأكثر ، فقال له وكيع : دعنا من قنك
وهذرك ، ثم تكلم وكيع فقال : مثلي ومثلي قتيبة كما قال الأول :

* من ينيك العير ينيك نياكا *

أراد قتيبة أن يقتلني وأنا قتال .

قد جربوني ثم جربوني من غلوتين ومن المشين
حتى إذا شبت وشيبوني خلوا عنائي وتنكبوني
أنا أبو مطرف .

قال : وأخبرنا أبو معاوية ، عن طلحة بن إياس ، قال : قال وكيع
يوم قتل قتيبة :

(١) صوقمة الفسطاط ، أي أعلاه .

أنا ابن خنيدفَ تَنَمِينِي قَبَائِلُهَا لِلصالحاتِ وَعَمِي قَيْسُ عَيْلَانَا
ثم أخذ بلحيتيه ثم قال :

شَيْخٌ إِذَا حُمِّلَ مَكْرُوهَةً شَدَّ الشَّرَاسِيفَ لَهَا وَالْحَزِيمَ

والله لأقتلنّ ، ثم لأقتلنّ ، ولأصلبنّ ، ثم لأصلبنّ ؛ إني والغبّ دماً ، إن
مَرَّزُبَانَكُم هذا ابنُ الزانيةِ قد أغلّسَ عليكم أسعاريكم ، والله ليصيرنّ القفيزُ
في السوقِ غدّاً بأربعةِ أو لأصلبته ، صلّوا على نبيكم . ثم نزل .

قال عليّ : وأخبرنا المفضل بن محمد وشيخ من بني تميم ، ومسلمة بن
محارب ، قالوا : طلب وكيع رأس قتيبة ونخاتمته ، فقبل له : إن الأزد أخذته ،
فخرج وكيع وهو يقول : دُهْ دُرَيْنِ ، سعدُ القَيْنِ :

فِي أَيِّ يَوْمٍ مِنَ الْمَوْتِ أَفِرَّ أَيُّومَ لَمْ يُقَدَّرْ أَمْ يَوْمَ قُدِرَ
لَا خَيْرَ فِي أَحْزَمِ جِيَادِ الْقَرَعِ فِي أَيِّ يَوْمٍ لَمْ أَرِغْ وَلَمْ أَرِغْ

والله الذي لا إله غيره لا أبرح حتى أوتى بالرأس ، أو يذُهب برأسي
مع رأس قتيبة . وجاء بخششب فقال : إن هذه الخليل لا بد لها من فرسان -
يتهدّدُ بالصلب - فقال له حضين : يا أبا مطرف ، تؤقني به فاسكن . وأتى
حضين الأزد فقال : أحمقني أنتم ! بايعناه وأعطيناه المقادة ، وعرض
نفسه ، ثم تأخذون الرأس ! أخرجوه لعنه الله من رأس ! فجاجوا بالرأس
فقالوا : يا أبا مطرف . إن هذا هو احتزّه ، فاشكّمه ؛ قال : نعم ، فأعطاه
ثلاثة آلاف ، وبعث بالرأس مع سليل بن عبد الكريم الحنفيّ ورجال
من القبائل وعليهم سليل ، ولم يبعث من بني تميم أحداً .

قال : قال أبوالذّيال : كان فيمن ذهب بالرأس أنسيف بن حسان أحد
بني عدى .

قال أبو مخنف : وقى وكيع لحيان النبطي بما كان أعطاه . قال :
قال خريم بن أبي يحيى ، عن أشياخ من قيس ، قالوا : قال سليمان للهذيل

ابن زُفَرٍ حين وُضِعَ رَأْسُ قَتَيْبَةَ ورعوسُ أهل بيته بين يديه : هل ساءك هذا يا هُذَيْلُ؟ قال : لو ساءني ساء قومًا كثيرًا؛ فكلمته خُرَيْمُ بن عمرو والقَعَمَقَاعُ ابن نُخَيْلِدٍ، فقال : ائذَنَ في دَفْنِ رَعُوسِهِمْ ، قال : نعم ، وما أردت هذا كله .
قال عليّ : قال أبو عبد الله السلمي ، عن يزيد بن سُوَيْدٍ ، قال : قال رجلٌ من عَسَجَمِ أَهْلِ خُرَّاسَانَ : يا معشر العَرَبِ ، قَتَلْتُمْ قَتَيْبَةَ ، والله لو كان قَتَيْبَةُ منَا فَمَاتَ فِينَا جَعَلْنَاهُ في تَابُوتِ فِكُنْنَا نَسْتَفْتِحُ بِهِ إِذَا غَزَوْنَا ، وما صنع أحد قطّ بخُرَّاسَانَ ما صنع قَتَيْبَةَ ، إلا أنه قد غَدَرَ ، وذلك أن الحجاج كتب إليه أن اختلهم واقتلهم في الله .

قال : وقال الحسن بن رُشَيْدٍ : قال الإصْبَهَيْسِيُّ لِرَجُلٍ : يا معشر العَرَبِ ، قَتَلْتُمْ قَتَيْبَةَ وَيَزِيدَ وَهُمَا سَيِّدَا الْعَرَبِ ! قال : فَأَيُّهُمَا كَانَ أَعْظَمَ عِنْدَكُمْ وَأَهْيَبَ ؟ قال : لو كان قَتَيْبَةَ بِالْمَغْرِبِ بِأَقْصَى جُحُرٍ بِهِ فِي الْأَرْضِ مَكْبَلًا بِالْحَدِيدِ ، وَيَزِيدَ مَعْنَا فِي بِلَادِنَا وَالِ عَلَيْنَا لَكَانَ قَتَيْبَةُ أَهْيَبَ فِي صَدُورِنَا وَأَعْظَمَ مِنْ يَزِيدَ .

قال عليّ : قال المفضل بن محمد الضبيّ جاء رجل إلى قَتَيْبَةَ يَوْمَ قُتِلَ وَهُوَ جَالِسٌ ، فقال : اليوم يُقْتَلُ ملك العَرَبِ - وكان قَتَيْبَةُ عِنْدَهُمْ مَلِكًا الْعَرَبِ - فقال له : اجلس .

قال : وقال كُلسَيْبُ بن خَلَسَفٍ : حدَّثني رجل من كان مع وكيع حين قُتِلَ قَتَيْبَةَ ، قال : أمر وكيع رجلاً فنَادَى : لا يُسَلِّبَنَّ قَتِيلٌ ، فَمَرَّ ابْنُ عُبَيْدِ الْمُهَاجِرِيِّ عَلَى أَبِي الْحَجَرِ الْبَاهِلِيِّ فَسَلَّسَبَهُ ، فَبَلَغَ وَكَيْعًا فَضَرَبَ عُنُقَهُ .
قال أبو عبيدة : قال عبد الله بن عمر ، من تَسِيمِ اللَّاتِ : رَكِبَ وَكَيْعٌ ذَاتَ يَوْمٍ ، فَأَتَوْهُ بِسُكْرَانَ ، فَأَمَرَ بِهِ فُقُتِلَ ، فَقِيلَ لَهُ : لَيْسَ عَلَيْهِ الْقَتْلُ ، إِنَّمَا عَلَيْهِ الْحَدُّ ، قال : لا أعاقب بالسياط ، ولكني أعاقب بالسيف ، فقال نهار بن تَوْسِعَةَ :

وَكُنَّا نُبَكِّي مِنَ الْبَاهِلِيِّ فِهَذَا الْغُدَايُ شَرٌّ وَشَرٌّ

وقال أيضاً :

ولما رأينا البَاهِلِيَّ ابنَ مسلمٍ
وقال الفرزدق يذكُر وقعةَ وكيع :

ومنا الذي سلَّ السيوفَ وشامها
عشية لم تمنعَ بنيتها قبيلة
عشية ماودُ ابنُ غراء أنه
عشية لم تستر هوازنُ عامر
عشية ودَّ الناسُ أنهم لنا
رأوا جبلا يعلو الجبال إذا التقت
رجال على الإسلام إذ ما تجالذوا
وحتى دعا في سور كلِّ مدينة
سيجزي وكيعاً بالجماعة إذ دعا
جزاء بأعمال الرجال كما جرى
وقال الفرزدق في ذلك أيضاً :

١٣٠٢/٢

أتاني ورخلى بالمدينة وقعةً
لألِّ تميم أقعدت كلَّ قائم (٢)
وقال عليّ : أخبرنا خُرم بن أبي يحيى ، عن بعض عمومته قال : أخبرني
شيوخ من غسان قالوا : إنا لسبئنيّة العقاب إذ نحن برجل يشبه الفسيوج (٣) معه
عصاً وجراب ، قلنا : من أين أقبست ؟ قال : من خراسان ؛ قلنا : فهل
كان بها من خبر ؟ قال : نعم ، قُتل قتيبةُ بن مسلم أمّس ، فتعجبنا
لقوله ، فلما رأى إنكارنا ذلك قال : أين ترونتي الليلة من إفريقية ؟ ومضى
واتبعناه على خيولنا ، فإذا شيء يسبق الطرف . وقال الطرمّاح :

لولا فوارس مذحج ابنة مذحج
والأزد زعزع واستبيح العسكر

(٢) ديوانه ٨٥٣ .

(١) ديوانه ٨٧٢ .

(٣) الفيج : جمع فيج وهو رسول السلطان .

وَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْبِلَادُ وَلَمْ يَكُوبُ
وَأَسْتَضَلَّتْ عَقْدَ الْجَمَاعَةِ وَازْدَرَى
قَوْمٌ هُمْ قَتَلُوا قُنَيْبَةَ عَذْوَةً
بِالْمَرَجِ مَرَجِ الصُّبَيْنِ حَيْثُ تَبَيَّنَتْ
إِذْ خَالَفَتْ جَزَعًا رُبَيْعَةً كُلَّهَا
وَتَقَدَّمَتْ أَزْدُ الْعِرَاقِ وَمَلْجِحٌ
قَحْطَانٌ تَضْرِبُ رَأْسَ كُلِّ مَدَجَّجٍ
وَالْأَزْدُ تَعْلَمُ أَنَّ تَحْتَ لَوَائِهَا
فَبِعِزَّتِنَا نُصِرَ النَّبِيُّ مُحَمَّدٌ

مِنْهُمْ إِلَى أَهْلِ الْعِرَاقِ مُخْبِرٌ
أَمْرُ الْخَلِيفَةِ وَأَسْتَحِيلَ الْمُنْكَرُ
وَالْخَيْلُ جَانِحَةٌ عَلَيْهَا الْعِشِيرُ
مُضَرُّ الْعِرَاقِ مِنَ الْأَعْزِ الْأَكْبَرِ
وَتَفَرَّقَتْ مُضَرٌّ وَمَنْ يَتَمَضَّرُ
لِلْمَوْتِ يَجْمَعُهَا أَبُوهَا الْأَكْبَرُ
تَحْمِي بِصَائِرَهُنَّ إِذْ لَا تَبْصُرُ
مُلْكًا قُرَاسِيَّةً وَمَوْتَ أَحْمَرُ
وَبِنَا تَثَبَّتْ فِي دِمَشْقَ الْمَنْبِرُ

١٣٠٣/٢

وقال عبد الرحمن بن جُمَانَةَ الْبَاهِلِيُّ :

كَأَنَّ أَبَا حَفْصٍ قُنَيْبَةَ لَمْ يَسِرْ
وَلَمْ تَخْفِئِ الرَّايَاتُ وَالْقَوْمُ حَوْلَهُ
دَعَتْهُ الْمَنَايَا فَاسْتَجَابَ لِرَبِّهِ
فَمَا رُزِيَ الْإِسْلَامُ بَعْدَ مُحَمَّدٍ
- بِعَنَى أُمَّمٌ وَكَلَدَهُ .

بِجَيْشٍ إِلَى جَيْشٍ وَلَمْ يَعْلُ مِنْبِرًا
وَقُوفٌ وَلَمْ يَشْهَدْ لَهُ النَّاسُ عَسْكَرًا
وَرَاغَ إِلَى الْجَنَّاتِ عَفَا مُطَهَّرًا
بِمَثَلِ أَبِي حَفْصٍ فَبَكَيَهُ عَبَهَرًا

وقال الأصمُّ بنُ الْحَجَّاجِ بِرَثِي قُنَيْبَةَ :

أَلَمْ يَأْنِ لِلْأَحْيَاءِ أَنْ يَعْرِفُوا لَنَا
نَقُودٌ تَمِيمًا وَالْمَوَالِي وَمَدْحِجًا
نَقُتْلُ مَنْ شَتْنَا بِعِزَّةٍ مُلْكَنَا
سُلَيْمَانَ كَمْ مِنْ عَسْكَرٍ قَدْ حَوَتْ لَكُمْ
وَكَمْ مِنْ حَصُونٍ قَدْ أَبْحَنَّا مَنِيعَةً
وَمِنْ بِلْدَةٍ لَمْ يَغْزُهَا النَّاسُ قَبْلَنَا

بَلَى نَحْنُ أَوْلَى النَّاسِ بِالْمَجْدِ وَالْفَخْرِ
وَأَزْدٌ وَعَبْدُ الْقَيْسِ وَالْحَيُّ مِنْ بَكْرِ
وَنَجْبَرُ مَنْ شَتْنَا عَلَى الْخَسْفِ وَالْقَسْرِ
أَسْتَنْتُنَا وَالْمُقَرَّبَاتُ بِنَا تَجْرِي
وَمِنْ بِلْدٍ سَهْلٍ وَمِنْ جَبَلٍ وَغَيْرِ
غَزَوْنَا نَقُودُ الْخَيْلِ شَهْرًا إِلَى شَهْرِ

١٣٠٤/٢

مرنٌ على الغزو الجرور ووقرت
 وحتى لو أن النار شبت وأكرهت
 تلاعب أطراف الأسنه والقنا
 بهن أبحنأ أهل كل مدينة
 ولو لم تعجلنا المنايا لجاوزت
 ولكن آجالاً قضين ومدة
 على النفر حتى ما تهال من النفر
 على النار خاضت في الوغى لهب الجمر
 بلباتها والموت في لجاج خضر
 من الشرك حتى جاوزت مطلع الفجر
 بنار دم ذى القرنين ذا الصخر والقطر
 تناهى إليها الطيبون بنو عمرو

وفي هذه السنة عزّل سليمان بن عبد الملك خالد بن عبد الله القسري
 عن مكة ، وولاه طلسحة بن داود الحضرمي . ١٣٠٥/٢

وفيها غزا مسلحة بن عبد الملك أرض الروم الصائفة ، ففتح حصناً
 يقال له حصن عوف .

وفي هذه السنة توفى قرّة بن شريك العبسي وهو أمير مصر في صفر في
 قول بعض أهل السّير .

وقال بعضهم : كان هلاك قرّة في حياة الوليد في سنة خمس وتسعين
 في الشهر الذي هلك فيه الحجاج .

وحج بالناس في هذه السنة أبو بكر بن محمد بن عمرو بن حزم الأنصاري ،
 كذلك حدثني أحمد بن ثابت عمّن ذكره ، عن إسحاق بن عيسى ، عن
 أبي معشر . وكذلك قال الواقدي وغيره .

وكان الأمير على المدينة في هذه السنة أبو بكر بن محمد بن عمرو بن
 حزم ، وعلى مكة عبد العزيز بن عبد الله بن خالد بن أسيد ، وعلى حرب
 العراق وصلاتها يزيد بن المهلب ، وعلى خراسان صالح بن عبد الرحمن .
 وعلى البصرة سفيان بن عبد الله الكندي من قبل يزيد بن المهلب ، وعلى
 قضاء البصرة عبد الرحمن بن أذينة ، وعلى قضاء الكوفة أبو بكر بن أبي موسى ،
 وعلى حرب خراسان وكيع بن أبي سود .

ثم دخلت سنة سبع وتسعين

ذكر الخبر عما كان في هذه السنة من الأحداث

فمن ذلك ما كان من تجهيز سليمان بن عبد الملك الجيوش إلى القسطنطينية ١٣٠٦/٢ واستعماله ابنه داود بن سليمان على الصائفة ، فافتتح حصن المرأة .
وفيها غزا - فيما ذكر الواقدي - مسلمة بن عبد الملك أرض الروم ،
ففتح الحصن الذي كان فتحه الوضاح صاحب الوضاحية .
وفيها غزا عمر (١) بن هبيرة الفزاري في البحر أرض الروم ، فشتا بها .
وفيها قتل عبد العزيز بن موسى بن نصير بالأندلس ، وقدم برأسه
على سليمان حبيب بن أبي عبيد القهري .

[ولاية يزيد بن المهلب على خراسان]

وفيها ولي سليمان بن عبد الملك يزيد بن المهلب خراسان

* ذكر الخبر عن سبب ولايته خراسان :

وكان السبب في ذلك أن سليمان بن عبد الملك لما أفضت الخلافة إليه
ولى يزيد بن المهلب حرب العراق والصلاة وخرأجها .

فذكر هشام بن محمد ، عن أبي مخنف ، أن يزيد نظر لما ولاه سليمان
ما ولاه من أمر العراق في أمر نفسه ، فقال : إن العراق قد أخرجها الحجاج ،
وأنا اليوم رجاء أهل العراق ؛ ومتى قدمتها وأخذت الناس بالخرأج وعدتبتهم
عليه صرت مثل الحجاج أدخل على الناس الحرب ، وأعيد عليهم تلك
السجون التي قد عافاهم الله منها ، ومتى لم آت سليمان بمثل ما جاء به الحجاج
لم يقبل مني . فأتى يزيد سليمان فقال : أدلتك على رجل بصير بالخرأج توليه
إياه ، فتكون أنت تأخذ به ؟ صالح بن عبد الرحمن ، مولى بني تميم . ١٣٠٧/٢
فقال له : قد قبلنا رأيك ، فأقبل يزيد إلى العراق .

(١) ط : « عمرو » ، تحريف .

وحدثني عمرُ بنُ شُبَيْتَةَ، قال : قال عليٌّ : كان صالحٌ قدّم العراق قبل قدوم يزيدٍ ، فنزل واسطاً . قال عليٌّ : فقال عباد بن أيوب : لما قدم يزيدٌ نَحَرَجَ الناسُ يتلقّونه ، فقبل لصالح : هذا يزيد ، وقد خرج الناسُ يتلقّونه ، فلم يخرج حتى قرّب يزيدُ من المدينة ، فخرج صالحٌ ، عليه دُرّاعةٌ ودبوسيةٌ صفراءٌ صغيرة ، بين يديه أربع مائة من أهل الشام ، فلقى يزيدَ فسأيرَه ، فلما دخل المدينة قال له صالح : قد فرغت لك هذه الدار — فأشار له إلى دار — فنزل يزيد ، ومضى صالح إلى منزله . قال : وصيقتُ صالحٌ على يزيدٍ فلم يملكه شيئاً ، واتخذ يزيدُ ألفَ خوانٍ يُطعمُ الناسَ عليها ، فأخذها صالح ، فقال له يزيد : اكتبْ ثمنها عليّ ، واشترى متاعاً كثيراً ، وصلك صيكاكاً إلى صالح لباعتها^(١) منه ، فلم ينفذه ، فرجعوا إلى يزيدٍ ، فغضب وقال : هذا عملي بنفسي ، فلم يلبث أن جاء صالحٌ ، فأوسع له يزيد ، فجلس وقال ليزيد : ما هذه الصيكاك ؟ الحراجُ لا يقوم لها ، قد أنفذتُ لك منذ أيام صيكاكاً بمائة ألف ، وعسجت لك أرزاقك ، وسألت مالا للجند ، فأعطيتك ، فهذا لا يقوم له شيء ، ولا يرضى أميرُ المؤمنين به ، وتؤخذ به ! فقال له يزيد : يا أبا الوليد ، أجزء هذه الصيكاك هذه المرة ، وضاحتك . قال : فإني أجزؤها ، فلا تُكثِرَنَّ عليّ ، قال : لا^(٢) .

١٣٠٨/٢

قال عليٌّ بنُ محمدٍ : حدثنا مسالمة بن مُحاربٍ وأبو العلاء التّيميُّ والطفيل بن ميرداس العمّي وأبو حفص الأزديّ عمّن حدثه عن جدهم ابن زحر بن قيس ، والحسن بن رشيد عن سليمان بن كثير ، وأبو الحسن الخراسانيّ عن الكترمانيّ ، وعامر بن حفص وأبو مخنف عن عثمان ابن عمرو بن محصن الأزديّ وزهير بن هنيد وغيرهم — وفي خبر بعضهم ما ليس في خبر بعض ، فألفت ذلك — أن سليمان بن عبد الملك ولي يزيد ابن المهلب العيراق ولم يولّه خراسان ، فقال سليمان بن عبد الملك لعبد الملك ابن المهلب وهو بالشام ويزيدُ بالعراق : كيف أنت يا عبد الملك إن وليتُك خراسان ؟ قال : يجيئني أميرُ المؤمنين حيثُ يجيب ، ثمّ أعرض سليمان عن

(١) ابن خلكان : «ليتاها» . (٢) الخبر في ابن خلكان ٢ : ٢٧١ ، نقله عن الطبري .

ذلك . قال : وكتب عبدُ الملك بنُ المهلب إلى جرير بن يزيد الجهمي وإلى رجال من خاصته : إن أمير المؤمنين عرّض عليّ ولاية خراسان . فبلغ الخبرُ يزيد بنَ المهلب ، وقد ضمّج بالعراق ، وقد ضيّق عليه صالح ابنُ عبد الرحمن ، فليس يصلّ معه إلى شيء ، فدعا عبد الله بن الأهمم ، فقال : إني أريدك لأمر قد أهمّني ، فأحبّ أن تسكّفينيه ، قال : مرّني ١٣٠٩/٢ بما أحببت ، قال : أنا فيما ترى من الضيق ، وقد أضجرتني ذلك ، وخراسان شاغرةٌ برجالها ، وقد بسّغني أن أمير المؤمنين ذكرّها لعبدِ الملك بن المهلب ، فهل من حيلة ؟ قال : نعم ، سرّخني^(١) إلى أمير المؤمنين ، فإني أرجو أن آتيك بعهدك عليها ، قال : فآتم ما أخبرتكم به . وكتب إلى سليمان كتابين : أحدهما يتككّر له فيه أمر العراق ، وأثنى فيه على ابن الأهمم وذكّر له علمه بها ، ووجه ابن الأهمم وحمّله على البريد ، وأعطاه ثلاثين ألفاً . فسار سبعةً ، فتقدّم بكتاب يزيد على سليمان ، فدخل عليه وهو يتغدّى ، فجلس ناحيةً ، فأثني بدجاجتين فأكلتهما .

قال : فدخل ابنُ الأهمم فقال له سليمان : لك مجلسٌ غيرٌ هذا تعود^(٢) إليه . ثمّ دعا به بعد ثلاثة ، فقال له سليمان : إن يزيد بنَ المهلب كتب إلى يدكّر علمك بالعراق وبخراسان ، ويثني عليك ، فكيف علمك بها ؟ قال : أنا أعلم الناس بها ؛ بها ولدتُ ، وبها نشأتُ ، فلي بها وبأصلها خبر وعلم . قال : ما أحوج أمير المؤمنين إلى مثلك يُشاوره في أمرها ! فأشر على برجل أوليه خراسان ، قال : أمير المؤمنين أعلم بمن يريد يولى ، فإن ذكر منهم أحداً أخبرته برأي فيه ، هل يصلح لها أو لا ؛ قال : فسمي سليمان رجلاً من قريش ؛ قال : يا أمير المؤمنين ، ليس من رجال خراسان ، قال : فعبدُ الملك بنُ المهلب ، قال : لا ، حتى عدد رجالا ، فكان في آخر من ذكر وكيع بن أبي سؤد ، فقال : يا أمير المؤمنين ، وكيع رجلٌ شجاعٌ صارمٌ بشيس^(٣) مقدام ، وليس بصاحبها^(٤) مع هذا ، إنه لم

(١) ب : « تسرخني » .

(٢) ابن خلكان : « تعود » .

(٣) ب : « ديس » . والبشيس : الشديد .

(٤) ب : « لصاحبها » .

يقعدُ ثلاثاً قطّ فرأى^(١) لأحد عليه طاعة . قال : صدقتَ وَيَحْكُ ، فن لها !
قال : رجلٌ أعلمه لم تُسمّه^(٢) ، قال : فن هو ؟ قال لا أبووح باسمه إلا
أن يَصْمَنَ لي أميرُ المؤمنين ستر ذلك ، وأن يُجِيرَنِي منه إن علم ؛ قال :
نعم ، سمّه من هو ؟ قال : يزيدُ بنُ المهلب ؛ قال : ذاك بالعراق ، والمُقام
بها أحبّ إليه من المقام بخُرَاسان ، قال : قد علمتُ يا أميرَ المؤمنين ، ولكن
تُكرهه على ذلك ، فيستخلف على العراق رجلاً ويسير ؛ قال : أصبتَ
الرأى . فكُتِبَ عهدُ يزيدٍ على خُرَاسان ، وكتب إليه كتاباً : إن ابنَ
الأهمّ كما ذكرت في عَقْلِهِ ودينه وفضله ورأيه . ودفع الكتابَ وعهدُ يزيدٍ إلى
ابن الأهمّ ، فسار سَبْعاً ، فقدم على يزيدٍ فقال له : ما وراءك ؟ قال :
فأعطاه الكتاب ، فقال : وَيَحْكُ ! أعينك خير ؟ فأعطاه العهد ، فأمر
يزيدُ بالجهاز للمسير من ساعته ، ودعا ابنه مُحَمَّدًا فقدمه إلى خُرَاسان . قال :
فسار من يومه ، ثم سار يزيدُ واستخلف على واسطَ الجَرَّاح بن عبد الله
الحكَمي ، واستعمل على البَصْرَةَ عبد الله بن هلال الكلابي ، وصيّر مروانَ
ابن المهلب على أمواله وأموره بالبصرة ، وكان أوثقَ إخوته عنده ، ولمروان
يقول أبو البهاء الإيادي :

رَأَيْتُ أَبَا قَبِيصَةَ كُلَّ يَوْمٍ عَلَى الْعَلَاتِ أَكْرَمَهُمْ طِبَاعًا
إِذَا مَا هُمْ أَبْوًا أَنْ يَسْتَطِيعُوا جَسِيمَ الْأَمْرِ يَحْمِلُ مَا اسْتَطَاعَا
وَأِنْ ضَاقَتْ صُدُورُهُمْ بِأَمْرِ فَضَلَّتَهُمْ بِذَلِكَ نَدَى وَبَاعَا

١٣١١/٢

* * *

وأما أبو عبيدة معمر بن المنفي فإنه قال في ذلك : حدثني أبو مالك أن
وكيع بن أبي سود بعث بطاعته وبرأس قتيبة إلى سليمان ، فوقع ذلك من
سليمان كلِّ موقع ، فجعل يزيدُ بنُ المهلب لعبد الله بن الأهمّ مائة ألف
على أن ينقُر^(٤) ، وكيعاً عنده ، فقال : أصلح الله أمير المؤمنين ! والله ما أحدٌ

(١) ب : « ولا رأى » . (٢) ب : « لم يسمه أمير المؤمنين » .
(٣) ب : « ينقر » ، س : « ييقر » ويقال : نقر الرجل ينقره ، أي عابه ووقع فيه .

أوجسب شكراً، ولا أعظم عندي يداً من وكيع، لقد أدرك بشأري، وشفاني من عندوتي، ولكن أمير المؤمنين أعظم وأوجسبُ عليَّ حقاً، وإن النصيحة تلزمني لأمر المؤمنين؛ إن وكيعاً لم يجتمع له مائة عنان قط إلا حدث نفسه بغدرة؛ خامل في الجماعة، نابه في الفتنة، فقال: ما هو إذاً ممن نستعين به - وكانت قيسٌ تزعمُ أن قتيبة لم يخلع - فاستعمل سليمانُ يزيد ابن المهلب على حرب العراق، وأمره إن أقامت قيسُ البيعة أن قتيبة لم يخلع فيترع يداً من طاعة، أن يُقيد وكيعاً به. فتغدر يزيد، فلم يعط عبد الله ابن الأهم ما كان ضمن له، ووجه ابنه مخلد بن يزيد إلى وكيع.

* * *

رجع الحديث إلى حديث علي. قال علي: أخبرنا أبو مخنف عن عثمان بن عمرو بن محسن، وأبو الحسن الخراساني عن الكرماني، قال: وجه يزيد ابنه مخلداً إلى خراسان فقدم مخلدٌ عمرو بن عبد الله بن سنان العسكي، ثم الصنابحي^(١)، حين دننا من مرو، فلما قدمها أرسل إلى وكيع أن القسي، فأبى، فأرسل إليه عمرو، يا أعرابي أحمق جلفاً جافياً، انطلق إلى أميرك فتلقه. وخرج وجوه من أهل مرو يتلقون مخلداً، وتناقش وكيع عن الخروج، فأخرجته عمرو الأزدي، فلما بلغوا مخلداً نزل الناس كلهم غير وكيع ومحمد بن حمران السعدي وعباد بن لقيط أحد بني قيس بن ثعلبة، فأنزلوهم، فلما قدم مرو حبس وكيعاً فعذب به، وأخذ أصحابه فعذبهم قبل قدوم أبيه.

قال علي عن كليب بن خلسف، قال: أخبرنا إدريس بن حنظلة، قال: لما قدم مخلد خراسان حبسني، فجاءني ابن الأهم فقال لي: أتريد أن تنجو؟ قلت: نعم، قال: أخرج الكتب التي كتبها القسقعاع بن خلسف العبسي وخرم بن عمرو المرّي إلى قتيبة في خلع سليمان، فقلت له: يا ابن الأهم،

(١) ب: «الصدابي».

إيساي تسخّذ عن ديني ! قال : فدعا بطومار وقال : إنك أحسن . فكاتب عبد الملك قد مات ، وسليمان باعث هذا المَزُونِيَّ على خراسان فاخلعه . فقلت : يا بن الأهمم ، تُهْلِكُ اللهَ ونفسك ! والله لئن دخلتُ عليه لأعلمنَّه أنك كتبتها .

* * *

وفي هذه السنة شَخَّصَ يزيدُ بنُ المهلبِ إلى خراسان أميراً عليها ، فذكر عليُّ بن محمد ، عن أبي السريِّ المروزيِّ الأزديِّ ، عن عمه ، قال : وليَ وكيعُ خراسانَ بعد قتلِ قُتَيْبَةَ تسعةَ أشهرٍ أو عشرة . وقدم يزيدُ بنُ المهلبِ سنة سبعٍ وتسعين .

١٣١٣/٢

قال عليُّ : فدكّرَ المفضلُ بنُ محمدٍ عن أبيه ، قال : أدنى يزيدُ أهلَ الشامِ وقومًا من أهلِ خراسان ، فقال نهارُ بنُ تَوْسِعَةَ :

وما كُنَّا نُؤْمَلُ من أميرٍ	كما كُنَّا نُؤْمَلُ من يزيدٍ
فأخطأَ ظنُّنا فيه وقدمًا	زهدنا في معاشرَةِ الزهيدِ
إذا لم يُعطينا نصفًا أميرٌ	مشينًا نحوهُ مثلَ الأسودِ
فمهلاً يا يزيدُ أنبِ إلينا	ودعنا من معاشرَةِ العبيدِ
نجيُّ فلا نرى إلاَّ صدودًا	على أنا نُسلم من بعيدي
ونرجعُ خائبينَ بلا نوالٍ	فما بالُ التجهُّمِ والصدودِ !

قال عليُّ : أخبرنا زيادُ بن الربيع ، عن غالب القطان ، قال : رأيتُ عمرَ بنَ عبد العزيز واقفًا بعرفات في خلافة سليمان ، وقد حجَّ سليمان عامئذ وهو يقول لعبد العزيز بن عبد الله بن خالد بن أسيد : العَجَبُ لأمير المؤمنين ، استعملَ رجالًا على أفضلِ ثغرٍ للمسلمين ! فقد بلغني عمن يقدم من التجار من ذلك الوجه أنه يُعطى الجاريةَ من جواريه مثل سهم ألف رجل . أما والله

ما اللهَ أراد بولايته - فعرفتُ أنه يعني يزيدَ والجهنية - فقلتُ: يشكر بلاءهم أيام الأزارقة .

قال : ووَصَلَ يزيدُ عبدَ الملك بن سلام السَّلْوِيَّ فقال :

ما زال سيِّبك يا يزيدُ بحويِّتي حتى آرتويتُ وجودكم لا يُنكرُ
أنتَ الربيع إذا تكونَ خصاصةً عاش السَّقِيم به وعاش المُقْتِرُ
عمت سَحَابَتُهُ جَمِيعَ بلادِكُم فرؤوا وأغدَقَهُم سَحَابُ مُمَطِرِ ١٣١٤/٢
فسقَاك رَبِّكَ حَيْثُ كُنتَ مَخِيلَةً رِيًّا سَحَابِيهَا تَرُوحُ وَتُبَكِّرُ (١)

* * *

وفي هذه السنة حجَّ بالناس سليمانُ بنُ عبد الملك ، حدثني بذلك أحمدُ ابن ثابت عن ذكَّره ، عن إسحاق بن عيسى ، عن أبي معشر .

وفيهما عزَّل سليمانُ طلحةَ بن داودَ الخُضْرِيَّ عن مكة ، قال الواقدي : حدثني إبراهيمُ بنُ نافع ، عن ابن أبي مُلَيْكَةَ ، قال : لما صدرَ سليمانُ ابنُ عبد الملك من الحجِّ عزَّل طلحةَ بن داودَ الخُضْرِيَّ عن مكة ، وكان عمَلُهُ عليها ستة أشهر ، وولى عبد العزيز بن عبد الله بن خالد بن أسيد ابن أبي العيص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف .

وكانت عمَّال الأمصار في هذه السنة عمالها في السنة التي قبلها إلا خراسان ، فإن عاملها على الحرب والخراج والصلاة يزيدُ بنُ المهلب .

وكان خليفته على الكوفة - فيما قيل - حرَّملة بن عمير اللخمي أشهرًا ، ثم عزَّله وولَّاهها بشير بن حسان النهدي .

(١) ب : « رِيًّا سَحَابِيهَا » .

ثم دخلت سنة ثمان وتسعين
ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

* * *

[خبر محاصرة مسلمة بن عبد الملك القسطنطينية]

فمن ذلك ما كان من توجيه سليمان بن عبد الملك أخاه مسلمة بن عبد الملك إلى القسطنطينية ، وأمره أن يقيمَ عليها حتى يفتحها أو يأتيه ، فشتابها وصاف . فذكر محمد بن عمر أن ثور بن يزيد حدثه عن سليمان بن موسى ، قال : لما دنا مسلمة من قسطنطينية أمر كل فارس أن يحمل على عجز فرسه مدين (١) من طعام حتى يأتي به القسطنطينية ، فأمر بالطعام فألقى في ناحية مثل الجبال ، ثم قال للمسلمين : لا تأكلوا منه شيئاً ، أغيروا في أرضهم ، وازدروا (٢) . وعمل بيوتاً من خشب ، فشتا فيها ، وزرع الناس ، وسكت ذلك الطعام في الصحراء لا يكتنه شيء ، والناس يأكلون مما أصابوا من الغارات ، ثم أكلوا من الزرع ، فأقام مسلمة بالقسطنطينية قاهراً لأهلها ، معه وجوه أهل الشام : خالد بن معدان ، وعبد الله بن أبي زكرياء الخزاعي ، ومجاهد بن جبر ، حتى أتاه موت سليمان فقال القائل :

* تحمّل مدينتي ومديني مسلمة *

حدثني أحمد بن زهير ، عن علي بن محمد ، قال : لما ولي سليمان غزاة الروم فنزل دابق ، وقدم مسلمة فهابه الروم ، فشخص إليون من أرمينية ، فقال لمسلمة : ابعث إلى رجلا يكلمني ، فبعث ابن هبيرة ، فقال له ابن هبيرة : ما تعدون الأحسن فيكم ؟ قال : الذي يملأ بطنه من كل شيء يجده ، فقال له ابن هبيرة : إننا أصحاب دين ، وبين ديننا طاعة

(١) المدي : مكياض ضخمة لأهل الشام ومصر .

(٢) ازدروا ، أي اتخلوا لأنفسكم زرعاً لكم ، وفي ب : « وازدروا » .

أمرائنا ؛ قال : صدقت ، كنا وأنتم نُقاتِل على الدين ونخصب له ، فأما اليوم فلإنا نُقاتِل على الغنابة والملئك ، نُعطيك عن كل رأس ديناراً . ١٣١٦/٢
 فرجع ابن هُبيرة إلى الروم من غده ، وقال : أبا أن يرَضى ، أتيتُه وقد تغدَّى وملاً بطنه ونام ، فانتسبه وقد غلب عليه البلغم ، فلم يدِر ما قلت .
 وقالت البطارقة لإليون : إن صرفت عنا مَسَلمة ملكناك . فوثقوا له ، فأتى مَسَلمة فقال : قد علم القوم أنك لا تصدقهم القتال ، وأنت تطاولم ما دام الطعام عندك ، ولو أحرقت الطعام أعطوا بأيديهم ، فأحرقه ، فقوى العدو ، وضاق المسلمون حتى كادوا يتهلكون ، فكانوا على ذلك حتى مات سليمان . قال : وكان سليمان بن عبد الملك لما نزل دابق أعطى الله عهداً ألا ينصرف حتى يدخل الجيش الذى وجهه إلى الروم القسطنطينية .

قال : وهلك ملك الروم ، فأتاه إليون فأخبره ، وضمن له أن يندفع إليه أرض الروم ، فوجه معه مسلمة حتى نزل بها ، وجمع كل طعام حولها وحصر أهلها (١) وأتاهم إليون فلنكوه (٢) ، فكتب إلى مَسَلمة يُخبره بالذى كان ، ويسأله أن يُدخل من الطعام ما يعيش به القوم ، ويصدقونه بأن أمره وأمر مَسَلمة واحد ، وأنهم فى أمان من السباء والخروج من بلادهم ، وأن يأذن لهم ليلة فى حمل الطعام ، وقد هبأ لإليون السفن والرجال ، فأذن له ، فما بقى فى تلك الحظائر إلا ما لا يُذكر ؛ حمل فى ليلة ، وأصبح إليون محارباً ، وقد خدعه خديعة لو كان امرأة لعيب بها ، فلقى الجند ما لم يلق جيش ؛ حتى إن كان الرجل لسيخاف أن يخرج من العسكر وحده ، وأكلوا الدواب والجلود وأصول الشجر والورق ، وكل شئ غير التراب ، وسليمان مقيم بدابق ، ونزل الشتاء فلم يقدر يمدهم حتى هلك سليمان .

* * *

[مبايعة سليمان لابنه أيوب ولياً للعهد]

وفى هذه السنة بسابع سليمان بن عبد الملك لابنه أيوب بن سليمان وجعلته ولى عهد ، فحدثني عمر بن شبة ، عن علي بن محمد ، قال : كان عبد الملك أخذ على الوليد وسليمان أن يبایعا لابن عاتكة ولروان بن عبد الملك

(٢) ب : « فكلوه » .

(١) ب : « حصرم » .

من بعده ، قال : فحدثني طارقُ بنُ المبارك ، قال : مات مروانُ بنُ عبد الملك في خلافة سليمانَ منصوره من مكة ، فبايع سليمان حين مات مروانُ لأيوبَ ، وأمسك عن يزيدَ وتربص به ، ورجا أن يهلك ، فهلك أيبوب وهو وليَّ عهده .

* * *

وفي هذه السنة فتحت مدينة الصقالية ، قال محمد بنُ عمر : أغارت برجان في سنة ثمان وتسعين على مسالمة بن عبد الملك وهو في قلعة من الناس ، فأمدّه سليمانُ بنُ عبد الملك بمسعدة - أو عمرو بن قيس - في جمع فسكرت بهم الصقالية ، ثم هزمتهم الله بعد أن قتلوا شراحيلَ بن عبد ابن عبدة (١) .

وفي هذه السنة - فيما زعم الواقدي - غزا الوليد بن هشام وعمرو بن قيس ، فأصيب ناسٌ من أهل إنطاكية ، وأصاب الوليدُ ناساً من ضواحي الروم وأسروا منهم بشراً كثيراً .

* * *

[غزو جرجان وطبرستان]

وفي هذه السنة غزا يزيدُ بن المهلب جرجانَ وطبرستان ، فذكرت هشامُ بن محمد ، عن أبي مخنف ، أن يزيد بن المهلب لما قدم خراسان أقام ثلاثة أشهر أو أربعة ، ثم أقبل إلى دِهستانَ وجرجانَ ، وبعث ابنه مخلداً على خراسان ، وجاء حتى نزل بدهستان ، وكان أهلها طائفة من الترك ، فأقام عليها ، وحاصر أهلها ، معه أهل الكوفة وأهل البصرة وأهل الشام وجوه أهل خراسان والري ، وهو في مائة ألف مقاتل سوى الموالى والمماليك والمتطوعين ، فكانوا يخرجون فيقاتلون الناس ، فلا يلبثهم الناس أن يهزموهم فيدخلون حصنهم ، ثم يخرجون أحياناً فيقاتلون فيشتد قتالهم . وكان جهنم وجمال ابنا زحر من يزيد بمكان ، وكان يكرهما ، وكان محمد بن عبد الرحمن بن أبي سبرة الجعفي له لسان وبأس ، غير أنه كان يُفسد نفسه بالشراب ، وكان لا يكثير غشيان يزيد وأهل بيته ، وكأنه

١٣١٨/٢

(١) ط : « شراحيل بن عبدة » ، والصواب ما أثبتته ، وهو أبو عامر الشعبي .

أيضاً حَجَّزَهُ^(١) عن ذلك مَا رَأَى من حُسْنِ أَثَرِهِمْ على ابْنِي زَحْرَجَتِهِمْ وَجَمَال . وكان إذا نادى المُنَادِي : يا خَيْلَ اللَّهِ ارْكَبِي وَأَبْشِرِي كان أول فارس من أهل العسكر يَبْدُرُ^(٢) إلى مَوْقِفِ البَأْسِ عند الرُّوعِ محمد بن عبد الرحمن بن أبي سَبْرَةَ ، فَنُودِيَ ذات يوم في الناس ، فبَدُرَ^(٣) الناس ابنُ أبي سَبْرَةَ ، فإنه لواقفٌ على تَلٍّ إذ مرَّ به عُمانُ بنُ المفضَّل ، فقال له : يا ابنَ أبي سَبْرَةَ ، ما قدرتُ على أن أسبقَكَ إلى المَوْقِفِ قَطًّا ، فقال : وما يُغْنِي ذلك عني ، وأنتم تُرَشِّحونَ غلمانَ مِدْحَج ، وتَسْجِهَلونَ حتى ذوى الأَسنانِ والتَّجاربِ والبِلاءِ ! فقال : أما إنك لَرِ تريد ما قبلنا لم نَعْدَلْ^(٤) عنك ما أنتَ له أهل .

قال : وخرج الناسُ فاقْتَتَلوا قتالاً شديداً ، فحمل محمد بن أبي سَبْرَةَ على تركيٍّ قد صدَّ الناسَ عنه ، فاخْتَلَمَا ضربتَيْنِ ، فثبتَ سيفُ التركيِّ في بَيْضَةِ ابنِ أبي سَبْرَةَ ، وضربَه ابنُ أبي سَبْرَةَ فَسَقَمَهُ ، ثمَّ أقبلَ وسيفُه^(٥) في يَدِهِ يَتَقَطَّرُ دَمًا ، وسيفُ التركيِّ في بَيْضَتِهِ ، فنظر الناسُ إلى أحسنِ مَنْظَرٍ رأوه من فارس ، ونظر يزيد إلى ائْتِلاقِ السَّيْفَيْنِ والسَّيْضَةِ والسِّلاحِ فقال : مَنْ هذا ؟ فقالوا : ابنُ أبي سَبْرَةَ ، فقال : لِي أبوه ! أيُّ رجلٍ هو لولا إِسْرَافُهُ على نَفْسِهِ !

وخرج يزيد بعد ذلك يوماً وهو يرتادُ مَسْكَانًا يَدْخُلُ منه على القوم ، فلم يَشْعُرْ بشيءٍ حتى هَجَمَ عليه جماعةٌ من التُّركِ - وكان معه وجوه الناسِ وفُرْسَانُهُمْ ، وكان في نحو من أربعمائة ، والعدوُّ في نحو من أربعة آلاف - فقاتلَهُمْ ساعةً ، ثمَّ قالوا ليزيد : أَيُّهَا الأميرُ ، انصَرِفْ ونَحْنُ نُقاتِلُ عنك ، فأبى أن يَفْعَلَ ، وغَشِيَ القِتالَ يومئذٍ بنفسه ، وكان كأحدهم ، وقاتلَ ابنُ أبي سَبْرَةَ وإبنا زَحْرَجَةَ والحِجْجَاجُ بنُ جارية^(٦) الحِشْمِيَّ وجُلَّ أصحابه ، فأحسنوا القِتالَ ، حتى إذا أرادوا الانصِرافَ جَعَلَ الحِجْجَاجُ بنُ جارية على

(١) ب : « فكانه إنما كان يحجزه » .
 (٢) ب : « فبادر » .
 (٣) ب : « فبادر » .
 (٤) ب : « ما عدلنا » .
 (٥) ب : « سيفه » بلون واو .
 (٦) ب : « سارية » .

الساقة ، فكان يُقاتِل مَنْ وراءه حتى انتهى إلى الماء ، وقد كانوا عَطِشُوا فَشَرِبُوا ، وانصَرَفَ عنهم العدو ، ولم يَظْفَرُوا منهم بشيء ، فقال سُهَيْبَانُ ابن صَفْوَانَ الحِشْعَمِيُّ :

١٣٢٠/٢ لولا ابنُ جاريةِ الأغرِّ جَبِينُهُ لَسُقِيَتْ كأساً مُرَّةَ المُتَجَرِّعِ
وَحَمَاكَ في فُرْسَانِهِ وخِيُولِهِ حتى وَرَدَتْ الماءَ غَيْرَ مُتَمَتِّعِ
ثم لآته ألح عليها^(١) وأنزل الجنود^(٢) من كلِّ جانبِ حولتها، وقطَّعَ عنهم
الموادَّ، فلمَّا جُهِدوا^(٣) ، وعَجَزُوا عن قتالِ المسلمين ، واشتدَّ عليهم
الحصار والبلاء، بعثَ صُؤْلُ دِهْقَانَ دِهْستانَ إلى يزيدَ: إني أصالحك على
أن تؤمِّنْتِي على نفسي وأهلِ بيتي ومالي، وأدفعَ إليك المدينة وما فيها وأهلها.
فصالحته ، وقبِلَ منه ، ووَقِّمَ له ، ودَخَلَ المدينةَ فأخذ ما كان فيها من
الأموالِ والكنوزِ ومن السَّبِي شَيْئاً لا يُحصَى ، وقتلَ أربعةَ عشرَ ألفَ
تُرْكيٍّ صَبْرًا ، وكتبَ بذلك إلى سليمانَ بن عبد الملك .

ثم خَرَجَ حتى أتى جُرْجانَ ، وقد كانوا يُصالحون أهلَ الكوفةِ على
مائة ألف ، ومائتي ألفٍ أحياناً، وثلثمائة ألف ، وصالحوهم عليها ، فلما أتاهم
يزيدُ استقبلوه بالصلح ، وهابوه وزادوه ، واستخالفَ عليهم رجلاً من الأزد
يقال له : أسدُ بنُ عبد الله ، ودخلَ يزيدُ إلى الإصبهبند في طَبْرَسْتَانَ
فكان معه الفَعْلَمَةُ يَقَطِّعون الشَّجَرَ ، ويُصلحون الطرقَ ، حتى انتهوا إليه ،
فنزَلَ به فحصره^(٤) وغَلَبَ على أرضه ، وأخذَ الإصبهبندَ يَعرِضُ على يزيدَ
الصلحَ ويريدُه على ما كان يُؤخِّدُ منه ، فإبَى رجاءً^(٥) افتتاحتها . فبعثَ
ذاتَ يومٍ أخاه أبا عُبَيْنةَ في أهلِ المِصرين^(٦) ، فأصعدَ في الجَبَلِ إليهم ،
وقد بعثَ الإصبهبندَ إلى الدَّيْلَمِ ، فاستجاشَ بهم ، فاقتتلوا ، فحارهم المسلمون
ساعةً وكشَفوهم ، وخرجَ رأسُ الدَّيْلَمِ يسألُ المُبارزةَ ، فخرجَ إليه ابن
١٣٢١/٢ أبا سَبْرَةَ فقتلَه ، فكانت هزيمتُهم حتى انتهى المسلمون إلى فَمِّ الشَّعْبِ ؛

- (١) ب : « عليهم وعليها » .
(٢) ب : « أجهدوا » .
(٣) ب : « رجال » .
(٤) ب : « وحصره » .
(٥) ب : « الحيلول » .
(٦) ب : « العسكر » .

فذهَبُوا لِيَصْعَعِدُوا فِيهِ ، وَأَشْرَفَ عَلَيْهِمُ الْعَدُوُّ يَرْشُقُونِهِمْ بِالنَّشَابِ ،
وَيَرْمُونَهُمْ بِالْحِجَارَةِ ، فَانْهَزَمَ النَّاسُ مِنْ فَمِّ الشَّعْبِ مِنْ غَيْرِ كَبِيرِ قِتَالٍ
وَلَا قُوَّةَ مِنْ عَدُوِّهِمْ عَلَى اتِّبَاعِهِمْ وَطَلْبِهِمْ ، وَأَقْبَلُوا بِرُكْبِ بَعْضِهِمْ بَعْضًا ،
حَتَّى أَخَذُوا يَتَسَاقَطُونَ فِي اللَّهْوِ ، وَيَتَدَهِنُ الرَّجُلُ مِنْ رَأْسِ الْجَبَلِ حَتَّى
نَزَلُوا إِلَى عَسْكَرِ يَزِيدَ لَا يَعْبَسُونَ بِالشَّرِّ شَيْئًا .

وَأَقَامَ يَزِيدٌ بِمَكَانِهِ عَلَى حَالِهِ ، وَأَقْبَلَ الْإِصْبَهَيْدَ يَكَاتِبُ أَهْلَ جَرْجَانَ
وَيَسْأَلُهُمْ أَنْ يَتَّبِعُوا بِأَصْحَابِ يَزِيدَ ، وَأَنْ يَتَّقَطَعُوا عَلَيْهِ مَادَّتَهُ وَالطَّرِيقَ فِيمَا بَيْنَهُ
وَبَيْنَ الْعَرَبِ ، وَيَعِدُهُمْ أَنْ يَكْفِيَهُمْ عَلَى ذَلِكَ ، فَوَثِقُوا بِمَنْ كَانَ يَزِيدُ
خَلْفَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ، فَقَتَلُوا مِنْهُمْ مَنْ قَدَّرُوا عَلَيْهِ ، وَاجْتَمَعَ بِقِيَّتِهِمْ
فَتَحَصَّنُوا فِي جَانِبِ ، فَلَمْ يَزَالُوا فِيهِ حَتَّى خَرَجَ إِلَيْهِمْ يَزِيدُ ، وَأَقَامَ يَزِيدٌ عَلَى
الْإِصْبَهَيْدِ فِي أَرْضِهِ حَتَّى صَالَحَهُ عَلَى سَبْعِمِائَةِ أَلْفِ دَرَاهِمٍ وَأَرْبَعِمِائَةِ أَلْفِ
نَقْدًا وَمِائَةِ أَلْفِ وَأَرْبَعِمِائَةِ حِمَارٍ مَوْقَرَةٍ زَعْفَرَانًا ، وَأَرْبَعِمِائَةِ رَجُلٍ ،
عَلَى رَأْسِ كُلِّ رَجُلٍ بُرْنُسٌ ، عَلَى الْبُرْنُسِ طَبِيئَسَانٌ وَلِجَامٌ مِنْ فِضَّةٍ
وَسَّرَقَةٌ (١) مِنْ حَرِيرٍ ، وَقَدْ كَانُوا صَالِحُوا قَبْلَ ذَلِكَ عَلَى مِائَةِ أَلْفِ دَرَاهِمٍ .
ثُمَّ خَرَجَ مِنْهَا يَزِيدٌ وَأَصْحَابُهُ كَأَنَّهُمْ فَلَّ ، وَلَوْلَا مَا صَنَعَ أَهْلُ جَرْجَانَ
لَمْ يَخْرُجْ مِنْ طَبَرِسْتَانَ حَتَّى يَنْفَتَحَهَا .

١٣٢٢/٢

وَأَمَّا غَيْرُ أَبِي مُحَمَّدٍ ، فَإِنَّهُ قَالَ فِي أَمْرِ يَزِيدَ وَأَمْرِ أَهْلِ جَرْجَانَ مَا حَدَّثَنِي
أَحْمَدُ بْنُ زُهَيْرٍ ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ مُحَمَّدٍ ، عَنْ كَلْبِ بْنِ خَتَّابٍ وَغَيْرِهِ ؛ أَنَّ
سَعِيدَ بْنَ الْعَاصِ صَالِحَ أَهْلِ جَرْجَانَ ، ثُمَّ امْتَنَعُوا وَكَفَرُوا ، فَلَمْ يَأْتِ
جَرْجَانَ بَعْدَ سَعِيدِ أَحَدٌ ، وَمَنَعُوا ذَلِكَ الطَّرِيقَ ، فَلَمْ يَكُنْ يَسْلُكُ طَرِيقَ
خُرَّاسَانَ مِنْ نَاحِيَتِهِ أَحَدٌ إِلَّا عَلَى وَجْهِ خَوْفٍ مِنْ أَهْلِ جَرْجَانَ ؛ كَانَ
الطَّرِيقُ إِلَى خُرَّاسَانَ مِنْ فَارِسَ إِلَى كَرْمَانَ ، فَأَوَّلَ مَنْ صَيَّرَ الطَّرِيقَ مِنْ
قَوْمِ قَتَيْبَةَ بْنِ مُسْلِمٍ حِينَ وُلِيَ خُرَّاسَانَ . ثُمَّ غَزَا مَصْقَلَةَ خُرَّاسَانَ أَيَّامَ
مَعَاوِيَةَ فِي عَشْرَةِ آلَافٍ ، فَأَصِيبَ وَجَنْدَهُ بِالرُّوْيَانَ ، وَهِيَ مَتَاخِمَةُ طَبَرِسْتَانَ

(١) السَّرَقَةُ : شِقَّةُ الْحَرِيرِ الْأَبْيَضِ .

فهلكوا في وادي من أوديتها ، أخذ العدو عليهم بمضاييقه ، فقتلوا جميعاً ، فهو يُسمى وادي مصقلة .

قال : وكان يُضرب به المشل حتى يرجع مصقلة من طبرستان ، قال عليّ ، عن كليب بن خلف العميّ ، عن طفيل بن مرداس العميّ ولادريس بن حسنظة : إن سعيد بن العاص صالح أهل جرجان ، فكانوا يجيئون أحياناً مائة ألف ، ويقولون : هذا صلحنا ، وأحياناً مائتي ألف ، وأحياناً ثلاثمائة ألف ؛ وكانوا ربما أعطوا ذلك ، وربما منعهوا ، ثم امتنعوا وكفروا فلم يُعطوا خراجاً ، حتى أتاهم يزيد بن المهلب فلم يُعازّه أحدٌ حين قدّمها ، فلما صالح صول وفتح البحيرة ودهستان صالح أهل جرجان عليّ صلح سعيد بن العاص . ١٣٢٣/٢

حدثني أحمد ، عن عليّ ، عن كليب بن خلف العميّ ، عن طفيل بن مرداس ، وبشر بن عيسى عن أبي (١) صفوان ، قال عليّ : وحدّثني أبو حفص الأزديّ عن سليمان بن كثير ، وغيرهم ؛ أن صولاً التركيّ كان ينزل دهستان والبحيرة - جزيرة في البحر بينهما وبين دهستان خمسة فراسخ ، وهما من جرجان مما يلي خوارزم - فكان صول يُغيّر عليّ فيروز بن قول ، مرزبان جرجان ، وبينهم خمسة وعشرون فرسخاً ، فيصيب من أطرافهم ثم يرجع إلى البحيرة ودهستان ، فوقع بين فيروز وبين ابن عم له يقال له المرزبان مُنازعة ، فاعتزله المرزبان ، فنزل البياسان ، فخاف فيروز أن يُغيّر عليه الترك ، فخرج إلى يزيد بن المهلب بخراسان ، وأخذ صول جرجان ، فلما قدّم عليّ يزيد بن المهلب قال له : ما أقدمك ؟ قال : خفت صولاً ، فهربت منه ، قال له يزيد : هل من حيلة لقتاله ؟ قال : نعم ، شيء واحد ، إن ظفرتُ به قتلته ، أو أعطى (٢) بيده ، قال : ما هو ؟ قال : إن خرج من جرجان حتى يتزل (٣) البحيرة ، ثم أتيتهُ ثم فحاصرته بها ظفرتُ به ، فاكتب إلى الإصبهيد كتاباً تسأله فيه أن يحتال

(١) ساقطة من ط (٢) ب : « وأعطى » . (٣) ب : « يترك » .

لصول حتى يقيم بجرجان ، واجعل له على ذلك جُعلًا ، ومنه ، فإنه يبعث بكتابتك إلى صول يتقربُ به إليه لأنه يعظمه ، فيتحوّل عن جرجان ، فيتزل البُحيرة .

فكتب يزيدي بن المهلب إلى صاحب طبرستان : إني أريد أن أغزو صولا وهو بجرجان ، فخذتُ إنْ بَلَغَهُ أني أريدُ ذلك أن يتحوّل إلى البحيرة فينزلها ، فإن تحوّل إليها لم أقدر^(١) عليه ؛ وهو يسمع منك^(٢) ويستصحك ، فإن حسبته العام بجرجان فلم يأت البُحيرة حملتُ إليك خمسين ألفَ مثقال ، فاحتل له حيلة ؛ تحبسه بجرجان ، فإنه إن أقام بها ظفرتُ به . فلما رأى الإصهيدُ الكتابَ أراد أن يتقرب إلى صول ، فبعث بالكتاب إليه ، فلما أتاه الكتابُ أمر الناس بالرحيل إلى البُحيرة وحمل الأطعمة ليتحصن فيها . وبَلَغَ يزيدي أنه قد سار من جرجان إلى البُحيرة ، فاعتزم على السير إلى الجرجان ، فخرج في ثلاثين ألفًا ، ومعه فيروزُ ابنُ قول ، واستخالف^(٣) على خراسانَ مخلد بن يزيدي ، واستخالف على سمرقند وكيس ونسَف وبُخارى ابنه معاوية بن يزيدي ، وعلى طخارستان حاتم بن قبيصة بن المهلب ، وأقبل حتى أتى جرجان ولم تكن يومئذ مدينة إنما هي جبال مُحيطَةٌ بها ، وأبوابٌ ومخارم ، يقوم الرجلُ على باب منها فلا يتقدم عليه أحدٌ — فدخلها يزيدي لم يعازه أحد ، وأصاب أموالًا ، وهرب المترزبان ، وخرج يزيدي بالناس إلى البُحيرة ، فأناخ على صول ، وتمثل حين نزل بهم :

فخرُ السيفِ وارتعشتُ يداهُ وكانَ بنفسِهِ وقِيَتِ نفوسُ

قال : فحاصرهم ، فكانَ يخرجُ إليه صولُ في الأيام فيقاتله ثم يرجع إلى حصنه ، ومع يزيدي أهل الكوفة وأهل البصرة . ثم ذكر من قصة جهنم ابن زحر وأخيه محمد نحوًا مما ذكره هشام ، غير أنه قال في ضربته التركي ١٣٢٥/٢ ابن أبي سبرة : فنسب سيف التركي في درقة ابن أبي سبرة .

(١) ب : « لم يقدر عليه » . (٢) ب : « منا » .

(٣) ب : « واستعمل » .

قال علي بن محمد ، عن علي بن مجاهد ، عن عنبسة ، قال : قاتل محمد بن أبي سبيرة الترك بجرجان فأحاطوا به واعتسروه بأسياهم ، فانقطع في يده ثلاثة أسياف .

ثم رجع إلى حديثهم ، قال : فكثروا بذلك - يعنى الترك - محصورين يخرجون فيقاتلون ، ثم يرجعون إلى حصنهم ستة أشهر ، حتى شربوا ماء الأحساء ، فأصابهم داءٌ يسمى السواد^(١) ، فوقع فيهم الموت ، وأرسل صول في ذلك يطلب الصلح ، فقال يزيد بن المهلب : لا ، إلا أن يستزل على حكمتي ، فأبى . فأرسل إليه : إني أصالحك على نفسي ومالي وثلاثمائة من أهل بيتي وخاصتي ، على أن تؤمنني فتنزل البهيرة . فأجابته إلى ذلك يزيد ، فخرج بماله وثلاثمائة من أحب ، وصار مع يزيد ، فقتل يزيد من الأتراك أربعة عشر ألفاً صبراً ، ومن على الآخرين فلم يقتل منهم أحداً . وقال الجند ليزيد : أعطنا أرزاقنا ، فدعا إدريس بن حنظلة العمي ، فقال : يا بن حنظلة ، أحص لنا ما في البهيرة حتى نعطي الجند ، فدخلكها إدريس ، فلم يتقدر على إحصاء ما فيها ، فقال ليزيد : فيها ما لا أستطيع إحصاءه ، وهو في ظروف ، فنحصى الجوالق ونعلم ما فيها ، ونقول للجند : ادخلوا فخذوا ، فن أخذ شيئاً عرفنا ما أخذ من الحنطة والشعير والأرز والسمسم^(٢) والعسل . قال : نعم ما رأيت ، فأحصوا الجوالق عند داء ، وصلّموا كل جوالق^(٣) ما فيه ، وقالوا^(٤) للجند : خذوا ، فكان الرجل يخرج وقد^(٥) أخذ ثياباً^(٦) أو طعاماً أو ما حسل^(٧) من شيء فيكتب على كل رجل ما أخذ ، فأخذوا شيئاً كثيراً .

١٣٢٦/٢

قال علي : قال أبو بكر الهذلي : كان شهر بن حوشب على خزائن يزيد بن المهلب ، فرفعوا عليه أنه أخذ خريطة ، فسأله يزيد عنها ، فأتاه بها ، فدعا يزيد الذي رفع عليه فشتمه ، وقال لشهر : هي لك ، قال : لا حاجة لي فيها ، فقال القطامي الكلبى - ويقال : سينان بن مكمل النميري :

(١) في القاموس : « السواد ، كغراب : داء يأخذ الإنسان والإبل والغنم من شرب الماء الملح »

(٢) ب : « والسمن » . (٣) ب : « على جوالق » .

(٤) ب : « وقال » . (٥) ر : « قد » . (٦-٦) ب : « وطعاماً وما » .

لقد باعَ شهرٌ دِينَهُ بِخَرِيْطَةٍ فَمَنْ يَأْمَنُ الْقُرَاءَ بَعْدَكَ يَا شَهْرُ؟!
أَخَذَتْ بِهِ شَيْئاً طَفِيْفاً وَيِعْتَهُ مِنْ ابْنِ جُونُبُوذٍ إِنَّ هَذَا هُوَ الْغَدْرُ

وقال مرة النخعي لشهر :

يا ابن المهلب ما أردت إلى امرئ لولاك كان كصالح القراء

قال عليّ : قال أبو محمد الشّقيّ : أصاب يزيدُ بنُ المهلب تاجاً بجرجان فيه جوهر ، فقال : أترون أحداً يزهد في هذا التاج ؟ قالوا : لا ، فدعا محمد بن واسع الأزديّ ، فقال : خذ هذا التاج فهو لك ؛ قال : لا حاجة لي فيه ، قال : عزمتُ عليك ، فأخذه ، وخرج فأمر يزيدُ رجلاً ينظر ما يصنع به ، فلقى سائلاً فدفعه إليه ، فأخذ الرجلُ السائل ، فأتى به يزيدُ ٢٢٧/٢ وأخبره الخبر ، فأخذ يزيدُ التاج ، وعوّض السائل ما لا كثيراً .

قال عليّ : وكان سليمانُ بن عبد الملك كلما افتتح قتيبةً فتشاحاً قال ليزيد بن المهلب : أما تترى ما يصنع الله على يدي قتيبة ؟ فيقول ابنُ المهلب : ما فعلتُ جرجانُ التي حالت بين الناس والطريق الأعظم ، وأفسدت قوميس وأبرشهر ! ويقول : هذه الفتوح ليست بشيء ، الشأنُ في جرجان . فلما ولي يزيدُ بنُ المهلب لم يكن له همة غير جرجان . قال : ويقال : كان يزيدُ بنُ المهلب في عشرين ومائة ألف ، معه من أهل الشام ستون ألفاً .

قال عليّ في حديثه ، عمن ذكر خبر جرجان عنهم : وزاد فيه عليّ ابن مجاهد ، عن خالد بن صبيح أن يزيدَ بنَ المهلب لما صالح صولاً طمع في طبرستان أن يفتتحها ، فاعتزم على أن يسيرَ إليها ، فاستعمل عبد الله بن المعتمر اليشكريّ على البياسان ودهستان ، وخلف معه أربعة آلاف ، ثم أقبل إلى أداني جرجان مما يلي طبرستان ، واستعمل على أندريستان أسد ابن عمرو - أو ابن عبد الله بن الرّبعة - وهي مما يلي طبرستان ، وخلفه في أربعة آلاف ، ودخل يزيدُ بلادَ الإصبهبذ ، فأرسل إليه يسأله الصلح ،

وَأَنْ يَخْرُجَ مِنْ طَبَرَسْتَانَ ، فَأَبَى يَزِيدٌ وَرَجَا أَنْ يَفْتَسِحَهَا ، فَوَجَّهَ أَخَاهُ
 ١٣٢٨/٢ أَبَا عُسَيْبَةَ مِنْ وَجْهِ ، وَخَالَدَ بْنَ يَزِيدَ ابْنَهُ مِنْ وَجْهِ ، وَأَبَا الْجَهْمَ الْكَلْبِيَّ مِنْ
 وَجْهِ ، وَقَالَ : إِذَا اجْتَمَعْتُمْ فَأَبُو عُسَيْبَةَ عَلَى النَّاسِ . فَسَارَ أَبُو عُسَيْبَةَ فِي أَهْلِ
 الْمِصْرَيْنِ وَمَعَهُ هُرَيْرٌ بْنُ أَبِي طَحْمَةَ . وَقَالَ يَزِيدُ لِأَبِي عُسَيْبَةَ : شَاوِرْ هُرَيْرًا
 فَإِنَّهُ نَاصِحٌ . وَأَقَامَ يَزِيدٌ مَعْسُكْرًا .

قَالَ : وَاسْتَجَاشَ الْإِصْبَهَيْدُ بِأَهْلِ جِيلَانَ وَأَهْلَ الدِّيْلَمِ ، فَأَتَوْهُ فَالْتَقَوْا
 فِي سَمْتِ جَبَلٍ ، فَانْهَزَمَ الْمُشْرِكُونَ ، وَأَتَبَعَهُمُ الْمُسْلِمُونَ حَتَّى انْتَهَوْا إِلَى قَمِّ الشَّعْبِ
 فَدَخَلَهُ الْمُسْلِمُونَ ، فَصَعَدَ الْمُشْرِكُونَ فِي الْجَبَلِ ، وَأَتَبَعَهُمُ الْمُسْلِمُونَ ، فَرَمَاهُمْ
 الْعَدُوُّ بِالنَّشَابِ وَالْحِجَارَةِ ، فَانْهَزَمَ أَبُو عُسَيْبَةَ وَالْمُسْلِمُونَ ، فَرَكِبَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا
 يَتَسَاقَطُونَ مِنَ الْجَبَلِ ، فَلَمْ يَسْتَبْتُوا حَتَّى انْتَهَوْا إِلَى عَسْكَرِ يَزِيدَ ، وَكَتَفَ
 الْعَدُوُّ عَنْ اتِّبَاعِهِمْ ، وَخَافَتَهُمُ الْإِصْبَهَيْدُ ، فَكَتَبَ إِلَى الْمَرْزُبَانَ بْنِ عَمِّ
 فَيْرُوزَ بْنِ قَوْلٍ وَهُوَ بِأَقْصَى جُرْجَانَ مِمَّا بِلَى الْبِيَّاسَانَ : إِنَّا قَدْ قَتَلْنَا يَزِيدَ وَأَصْحَابَهُ
 فَاقْتُلْ مَنْ فِي الْبِيَّاسَانَ مِنَ الْعَرَبِ . فَخَرَجَ إِلَى أَهْلِ الْبِيَّاسَانَ وَالْمُسْلِمُونَ
 غَارُونَ فِي مَنَازِلِهِمْ ، قَدْ أَجْمَعُوا عَلَى قَتْلِهِمْ ، فَكُتِلُوا جَمِيعًا فِي لَيْلَةٍ ، فَأَصْبَحَ
 عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْمُعْتَمِرِ مَقْتُولًا وَأَرْبَعَةُ آلَافٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ لَمْ يَسْجُ مِنْهُمْ أَحَدٌ ،
 وَقُتِلَ مِنْ بَنِي الْعَمِّ خَمْسُونَ رَجُلًا ، قُتِلَ الْحُسَيْنُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ وَإِسْمَاعِيلُ
 ابْنُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ شَمَّاسٍ . وَكَتَبَ إِلَى الْإِصْبَهَيْدِ يَأْخُذُ بِالْمَضَائِقِ (١) وَالطَّرِيقِ .
 وَبَلَغَ يَزِيدَ قَتْلُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْمُعْتَمِرِ وَأَصْحَابِهِ ، فَأَعْظَمُوا ذَلِكَ ، وَهَالَتَهُمْ ،
 ١٣٢٩/٢ فَتَفَزَّعَ يَزِيدُ إِلَى حَيَّانِ النَّبْطِيِّ . وَقَالَ : لَا يَمْنَعُكَ مَا كَانَ مِنْتِي إِلَيْكَ مِنْ
 نَصِيحَةِ الْمُسْلِمِينَ ، قَدْ جَاءَنَا عَنْ جُرْجَانَ مَا جَاءَنَا ، وَقَدْ أَخَذَ هَذَا بِالطَّرِيقِ ،
 فَأَعْمَلْ فِي الصَّلْحِ ؛ قَالَ : نَعَمْ ، فَأَتَى حَيَّانُ الْإِصْبَهَيْدَ فَقَالَ : أَنَا رَجُلٌ
 مِنْكُمْ ، وَإِنْ كَانَ الدِّينُ قَدْ فَرَّقَ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ ، فَإِنِّي لَكُمْ (٢) نَاصِحٌ ، وَأَنْتَ
 أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ يَزِيدَ ، وَقَدْ بَعَثَ يَسْتَمِدُّ ، وَأَمْدَادُهُ مِنْهُ قَرِيبَةٌ ، وَإِنَّمَا أَصَابُوا
 مِنْهُ طَرَفًا ، وَلَسْتُ آمِنٌ أَنْ يَأْتِيكَ مَا لَا تَقُومُ لَهُ ، فَأَرْحُ نَفْسَكَ مِنْهُ ، وَصَالِحَهُ

(١) ب : « المضايق » .

(٢) كذا في ب ، وفي ط : « فأنا لك » .

فإنك إن صالحته صير حده على أهل جرجان ، بغدرهم وقتلهم من قتلوا ، فصالحه على سبعمائة ألف - وقال على بن مجاهد : على خمسمائة ألف - وأربعمائة وقر زعفران أو قيمته من العيين ، وأربعمائة رجل ، على كل رجل برنيس وطيسان ، ومع كل رجل جام فضة وسرقة خنز وكسوة .

ثم رجع إلى يزيد بن المهلب فقال : ابعث من يحمل صلحهم الذي صالحتهم عليه ، قال : من عندهم أو من عندنا ؟ قال : من عندهم . وكان يزيد قد طابت نفسه على أن يعطيهم ما سألوا ، ويرجع إلى جرجان فأرسل يزيد من يحمل ما صالحهم عليه حيان ، وانصرف إلى جرجان ، وكان يزيد قد غرم حياناً مائتي ألف ، فخاف ألا ينصحه .

والسبب الذي له أغرم حيان فيه ما حدثني علي بن مجاهد ، عن خالد بن صبيح ، قال : كنت مؤدباً لولد حيان ، فدعاني فقال لي : اكتب كتاباً إلى مخلد بن يزيد - ومخلد يومئذ ببسخ ، ويزيد بمرو - فتناولت القيرطاس ، فقال : اكتب : من حيان مولى مصقلة إلى مخلد بن يزيد ، فغمزني مقاتل ابن حيان ألا تكتب ، وأقبل على أبيه فقال : يا أبت تكتب إلى مخلد وتبدأ بنفسك ! قال : نعم يا بني ، فإن لم يرض لقي ما لقي قتبية . ثم قال لي : اكتب ، فكتبت ، فبعث مخلد بكتابه إلى أبيه ، فأغرم يزيد حيان مائتي ألف درهم .

* * *

[فتح جرجان]

وفي هذه السنة فتح يزيد جرجان الفتح الآخر بعد غدرهم بجنده ونقضهم العهد ، قال علي ، عن الرهط الذين ذكروا أنهم حذروه بخبر جرجان وطبرستان : ثم إن يزيد لما صالح أهل طبرستان قصد لجرجان ، فأعطى الله عهداً ؛ لأن ظفر بهم ألا يقلع عنهم ، ولا يرفع عنهم السيف حتى يطحن بدمائهم ، ويختبر من ذلك الطحين ، ويأكل منه ،

فلما بلغ المرزبان أنه قد صالح الإصبهذ وتوجه إلى جرجان ، جتمع أصحابه وأتى وجاه ، فتحصن فيها ، وصاحبها لا يحتاج إلى عُدّة من طعام ولا شراب . وأقبل يزيد حتى نزل عليها وهم متحصنون فيها ، وحولها غياض فليس يُعرف لها إلا طريق واحد ، فأقام بذلك سبعة أشهر لا يتقدر منهم على شيء ، ولا يعرف لهم مسأتي إلا من وجه واحد ، فكانوا يخرجون في الأيام فيقاتلونه ويرجعون إلى حصنهم ، فبيناهم على ذلك إذ خرج رجل من عجم خراسان كان مع يزيد يتصيدُ ومعه شاكريّة له .

١٣٣١/٢

وقال هشام بن محمد ، عن أبي مخنف : فخرَج رجل من عسكره من طيبي يتصيد ، فأبصر وعلا يرقى في الجبيل ، فاتبعه ، وقال لمن معه : قفوا مكانكم ، ووكل في الجبيل يقتص الأثر ، فاشعر بشيء حتى هجم على عسكرهم ، فرجع يريد أصحابه ، فخاف ألا يهتدى ، فجعل يُخرق قباءه ويعقد على الشجر علامات ، حتى وصل إلى أصحابه ، ثم رجع إلى العسكر . ويقال : إن الذي كان يتصيد الهياج بن عبد الرحمن الأزدي من أهل طوس ، وكان منهوماً بالصيد ، فلما رجع إلى العسكر أتى عامر بن أنيم الواشجي صاحب شرطة يزيد ، فسأوه من الدخول ، فصاح : إن عندي نصيحة .

وقال هشام عن أبي مخنف : جاء حتى رفع ذلك إلى ابني زحر بن قيس ، فانطلقت به ابنا زحر حتى أدخلاه على يزيد ، فأعلمه ، فضمن له بضمان الجهنية - أم ولد كانت ليزيد - على شيء قد سماه .

وقال علي بن محمد في حديثه عن أصحابه : فدعا به يزيد فقال : ما عندك ؟ قال : أتريد أن تدخل وجاه بغير قتال ؟ قال : نعم ، قال : جمعنا لى ؟ قال : احتكيم ، قال : أربعة آلاف ، قال : لك دية ، قال : عجلوا لي أربعة آلاف ، ثم أنتم بعد من وراء الإحسان . فأمر له بأربعة آلاف ، ونسب الناس ، فانتدب ألف وأربعمائة ، فقال : الطريق لا يحمل هذه الجماعة لالتفاف الغياض ، فاختر منهم ثلاثمائة ، فوجههم ، واستعمل عليهم جهنم بن زحر .

١٣٣٢/٢

وقال بعضهم : استعمل عايهم ابنه خالد بن يزيد ، وقال له : إن غلبت على الحياة فلا تغلبن على الموت ، وإياك أن أراك عندى منهزماً ، وضم إليه جتهم بن زحر ، وقال يزيد للرجل الذى نددب الناس معه : متى تصل إليهم ؟ قال : غداً عند العصر فيما بين الصلاتين ، قال : امضوا على بركة الله؛ فإنى سأجهد على مناهضتهم غداً عند صلاة الظهر . فساروا ، فلما قارب انتصاف النهار من غد أمر يزيد الناس أن يشعلوا النار فى حطاب كان جمعه فى حصاره إياهم ، فصبره أكاماً ، فأضرموه ناراً ؛ فلم تنزل الشمس حتى صار حول عسكره أمثال الجبال من النيران ، ونظر العدو إلى النار ، فهتلتهم ما رأوا من كثرتها ، فخرجوا إليهم . وأمر يزيد الناس حين زالت الشمس فصلوا ، فجمعوا بين الصلاتين ، ثم زحفوا إليهم فاقتتلوا ، وسار الآخرون بقيّة يومهم والغد ، فهجموا على عسكر الترك قبيل العصر ، وهم آمنون من ذلك الوجه ، ويزيد يقاتل من هذا الوجه ، فاشعروا إلا بالتكبير من ورائهم ، فانقطعوا جميعاً إلى حصنهم ، وركبهم المسلمون ، فأعطوا بأيديهم ، ونزلوا على حكم يزيد ، فسبى ذراريهم ، وقتل مقاتلتهم ، وصلبهم فترسّخين عن يمين الطريق ويساره ، وقاد منهم اثني عشر ألفاً إلى الأندهرز - وادى جرجان - وقال : من طلبهم بثأر فليقتل ، فكان الرجل من المسلمين يقتل الأربعة والخمسة فى الوادى ، وأجرى الماء فى الوادى على الدّم ، وعليه أرحاء ليطحن بدماهم ، ولتبر يمينه ، فطحن واختبر وأكل وبسنى مدينة جرجان . وقال بعضهم : قتل يزيد من أهل جرجان أربعين ألفاً ، ولم تكن قبل ذلك مدينة ورجع إلى خراسان واستعمل على جرجان جتهم بن زحر الجعفى .

١٣٣٣/٢

وأما هشام بن محمد فإنه ذكّر عن أبي مخنف أنه قال : دعا يزيد جهم ابن زحر فبعث معه أربعمائة رجل حتى أخذوا فى المكان الذى دلّوا عليه وقد أمرهم يزيد فقال : إذا وصلتكم إلى المدينة فانتظروا ، حتى إذا كان فى السحر فكسروا ، ثم انطلقوا نحو باب المدينة ، فإنكم تجدونى وقد نهضت بجميع الناس إلى بابها ؛ فلما دخل ابن زحر المدينة أمهل حتى إذا كانت

الساعة التي أمره يزيد أن ينهضَ فيها مَشَى بأصحابه، فأخذَ لا يستقبل من أحراسِهِم أحداً إلا قَتَله . وكَبَّر، ففَرَّع أهلُ المدينة فزَعَا لم يَدْخُلْهُم مثله قطَّ فيما مضى ، فلم يرعهم إلا والمسلمون معهم في مَدِينَتِهِم يكَبِّرون فدُهِشوا، فألقَى اللهُ في قلوبِهِم الرعب، وأقبلوا لا يَدْرُونَ أين يتوجَّهون ! غيرَ أنَّ عصابةً منهم ليسوا بالكثير قد أقبلوا نحو جَهَنم بن زحَر ، فقَاتَلوا ساعةً ، فدُقَّت يدُ جَهَنم ، وصبر لهم هو وأصحابُهُ، فلم يُلْبِثُوهم أن قتلوهم إلا قليلاً . وسمع يزيدُ بنُ المهلب التَّكبيرَ، فوَتَّب في الناس إلى الباب ، فوجدوهم قد شَغَلَتْهُم جَهَنم بن زحَر عن الباب ، فلم يجِدْ عليه من يَمْنَعُهُ ولا مَنْ يَدْفَعُ عنه كبير دَفْع ، ففَتَّحَ الباب ودخَلَهَا من ساعته ، فأخْرَج من كان فيها من المُقاتِلَةِ ، فنَصَّب لهم الجُلُوعَ فترسَّخين عن يمين الطريق ويساره ، فصلَّبَهُم أربعةَ فراسخ ، وسَبَى أهلَهَا، وأصاب ما كان فيها .

١٢٣٤/٢

قال عليٌّ في حديثه ، عن شيوخه ، الذين قد ذكرتُ أسماءَهُم قبلُ ، وكتب يزيدُ إلى سليمان بن عبد الملك :

أما بعد، فإن الله قد فَتَّحَ لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ فَتْحاً عظيماً، وصنَّعَ لِلْمُسْلِمِينَ أَحْسَنَ الصَّنْعِ ، فَلِرَبَّنَا الْحَمْدُ عَلَى نِعْمِهِ وَإِحْسَانِهِ ، أظهر في خلافة أميرِ الْمُؤْمِنِينَ على جُرْجَانٍ وطَبَرِستان، وقد أعيدَا ذلك سابِورَ ذا الأكتاف وكِيسرى بن قباذ وكِيسرى بن هُرْمُز ، وأعيانَ الفاروقِ عمر بن الخطاب وعثمان ابن عفان ومَن بعدهما من خلفاءِ اللهِ، حتى فَتَّحَ اللهُ ذلكَ لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ؛ كرامةً من اللهِ له، وزيادة في نِعْمِهِ عليه . وقد صار عندي من خُمس ما أفاء اللهُ على المسلمين بعد أن صار إلى كلِّ ذِي حَقٍّ حَقُّهُ من الفِئَةِ والغَنِيمةِ ستةَ آلافِ ألف، وأنا حامل ذلك إلى أميرِ الْمُؤْمِنِينَ إن شاء اللهُ .

فقال له كاتبه المغيرة بنُ أبي قرَّة مولى بنى سَدُوس : لا تَسْكُتُ بِتسميةِ مال ، فإنك مِن ذلك بين أمرين : إما استسكَّرتَه فأمرَكَ بِحَمْلِهِ ، وإما سَخَّتَ نَفْسَهُ لَكَ به فسَوَّغَكَه فَتَكَلَّفْتَ الهديةَ ، فلا يأتيه من قبلك شيء إلا استقبله، فكأني بك قد استغرقت ما سميت

١٢٣٥/٢

ولم يقع منه موقعاً ، ويبقى المال الذي سميت مخلداً عندهم عليك في دواوينهم ، فإن وليّ والٍ بعده أخذك به ، وإن وليّ من يتحامل عليك لم يمرض منك بأضعافه ، فلا تمض كتابتك ، ولكن اكتب بالفتح ، سألته القدوم فتشافهته بما أحببت مشافهةً ، ولا تقصر ، فإنك إن تقصر عما أحببت أحرى من أن تكثر .

فأبى يزيد وأمضى . وقال : بعضهم كان في الكتاب أربعة آلاف ألف .

* * *

قال أبو جعفر : وفي هذه السنة توفى أيوب بن سليمان بن عبد الملك ، فحدثت عن عليّ بن محمد ، قال : حدثنا عليّ بن مجاهد ، عن شيخ من أهل الرّي أدركه يزيد ، قال : أتى يزيد بن المهلب الرّي حين فرغ من جرجان ، فبلغه وفاة أيوب بن سليمان وهو يسير في باغ أبي صالح على باب الرّي ، فارتجز راجزاً بين يديه فقال :

إن يك أيوب مَضَى لِشَانِهِ فَإِنَّ دَاوُدَ لَفِي مَكَانِهِ

* يقيمُ ما قد زال من سُلْطَانِهِ *

وفي هذه السنة فتحت مدينة الصقالبة .

وفيها غزا داود بن سليمان بن عبد الملك أرض الروم ، ففتح حصن المرأة مما يلي مطية .

وحج بالناس في هذه السنة عبد العزيز بن عبد الله بن خالد بن أسيد وهو يومئذ أمير على مكة ، حدثني بذلك أحمد بن ثابت ، عن ذكره ، عن إسحاق بن عيسى ، عن أبي معشر .

١٣٣٦/٢

وكان عمال الأمصار في هذه السنة هم العمال الذين كانوا عليها سنة سبع ، وقد ذكرناهم قبل ، غير أن عامل يزيد بن المهلب على البصرة في هذه السنة كان - فيما قيل - سفيان بن عبد الله الكندي .

ثم دخلت سنة تسع وتسعين

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

* * *

[وفاة سليمان بن عبد الملك]

فمن ذلك وفاة سليمان بن عبد الملك، توفى - فيما حدثت عن هشام، عن أبي مخنف - بدابق من أرض قنسرين يوم الجمعة لعشر ليال بقين من صفر، فكانت ولايته سنتين وثمانية أشهر إلا خمسة أيام.

وقد قيل: توفى لعشر ليال مضين من صفر. وقيل: كانت خلافته سنتين وسبعة أشهر وقيل: سنتين وثمانية أشهر وخمسة أيام.

وقد حدث الحسن بن حماد، عن طلحة أبي محمد، عن أشياخه، أنهم قالوا: استخلف سليمان بن عبد الملك بعد الوليد ثلاث سنين. وصلى عليه عمر بن عبد العزيز.

وحدثني أحمد بن ثابت، عن ذكره، عن إسحاق بن عيسى، عن أبي معشر، قال: توفى سليمان بن عبد الملك يوم الجمعة لعشر خلون من صفر سنة تسع وتسعين، فكانت خلافته ثلاث سنين إلا أربعة أشهر.

* * *

* ذكر الخبر عن بعض سيره :

١٣٣٧/٢

حدثت عن علي بن محمد، قال: كان الناس يقولون: سليمان مفتاح الخير، ذهب عنهم الحجاج، فولى سليمان، فأطلق الأسارى، وخلص أهل السجون، وأحسن إلى الناس، واستخلف عمر بن عبد العزيز، فقال ابن بيض:

حاز الخلافة والداك كلاهما من بين سُخْطَةِ سَاخِطِ أَوْطَاعِ
أَبْوَالِكَ ثُمَّ أَخْرَكَ أَصْبَحَ ثَالِثًا وَعَلَى جَبِينِكَ نُورُ مُلْكِ الرَّابِعِ
وقال علي: قال المفضل بن المهلب: دخلت على سليمان بدابق يوم

جمعة ، فدعا بثياب فلبسها ، فلم تُعجبه ، فدعا بغيرها بثياب خُضْرَ سُوسِيَّةَ بَعَثَ بِهَا يَزِيدُ بْنُ الْمُهَلَّبِ ، فَلَبِسَهَا وَاعْتَمَ وَقَالَ : يَا بْنَ الْمُهَلَّبِ ، أَعْجَبْتِكَ ؟ قُلْتُ : نَعَمْ ، فَحَسَسَرَ عَنْ ذِرَاعِيهِ ثُمَّ قَالَ : أَنَا الْمَلِكُ الْفَتِي ، فَصَلَّى الْجُمُعَةَ ، ثُمَّ لَمْ يَجْمَعْ بَعْدَهَا ، وَكَتَبَ وَصِيَّتَهُ ، وَدَعَا ابْنَ أَبِي نُعَيْمٍ صَاحِبَ الْخَاتَمِ فَخَتَمَهُ .

قال عليّ : قال بعضُ أهلِ العِلْمِ : إن سَليمانَ لبس يوماً حُلَّةَ خُضْرَاءَ وَعِمَامَةَ خُضْرَاءَ وَنَظَرَ فِي الْمِرْآةِ فَقَالَ : أَنَا الْمَلِكُ الْفَتِي ، فَاغْشِ بَعْدَ ذَلِكَ إِلَّا أُسْبِعَا .

قال عليّ : وَحَدَّثَنَا سُحَيْمُ بْنُ حَفْصٍ ، قَالَ : نَظَرْتُ إِلَى سَليمانَ جَارِيَةً لَهُ يَوْمًا ، فَقَالَ : مَا تَنْظُرِينَ ؟ فَقَالَتْ :

أَنْتَ خَيْرُ الْمَتَاعِ لَوْ كُنْتَ تَبْقَى غَيْرَ أَنْ لَا بَقَاءَ لِلْإِنْسَانِ
لَيْسَ فِيهَا عِلْمُهُ فِيكَ عَيْبٌ كَانَ فِي النَّاسِ غَيْرَ أَنَّكَ فَا ن ١٣٣٨ / ٢
فَسَنَفِضَ عِمَامَتَهُ .

قال عليّ : كَانَ قَاضِي سَليمانَ سَليمانُ بْنُ حَبِيبِ الْحَارِثِيِّ ، وَكَانَ ابْنُ أَبِي عَيْسَةَ يُقْصِّ عِنْدَهُ .

وَحَدَّثْتُ عَنْ أَبِي عُبَيْدَةَ ، عَنْ رُوْبَةَ بْنِ الْعَسْجَاجِ ، قَالَ : حَجَّ (١) سَليمانُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ ، وَحَجَّ الشُّعْرَاءُ مَعَهُ ، وَحَجَّجْتُ مَعَهُمْ ، فَلَمَّا كَانَ بِالْمَدِينَةِ رَاجِعًا تَلَقَّوهُ بِنَحْوِ مِنْ أَرْبَعِمِائَةِ أُسَيْرٍ مِنَ الرُّومِ ، فَقَعَدَ سَليمانُ ، وَأَقْرَبَهُمْ مِنْهُ مَجْلِسًا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْحَسَنِ بْنِ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِمْ ، (٢) فَقَدَّمَ بِيْطْرِيْقَهُمْ فَقَالَ : يَا عَبْدَ اللَّهِ ، أَضْرِبْ عُنُقَهُ (٢) ، فَقَامَ فَمَا أَعْطَاهُ أَحَدٌ سَيْفًا حَتَّى دَفَعَ إِلَيْهِ حَرَسِيَّ سَيْفَهُ فَضْرَبَهُ فَأَبَانَ الرَّأْسَ ، وَأَطْنَّ السَّاعِدَ (٣) ، وَبَعْضُ الْغُلِّ ، فَقَالَ سَليمانُ : أَمَّا وَاللَّهِ مَا مِنْ جُودَةِ السَّيْفِ

(١) الخبر في الأغاني ١٥ : ٣٤١ ، ٣٤٢ ، بسنده عن قتادة ، عن أبي عبيدة في كتاب

النقائض ، عن رُوْبَةَ بْنِ الْعَسْجَاجِ ؛ وَهُوَ أَيْضًا فِي النَّقَائِضِ ٣٨٣ .

(٢-٢) الأغاني : « وَعَلِيهِ ثُوبَانٌ مِصْرَانِ ، وَهُوَ أَقْرَبُهُمْ مِنْهُ مَجْلِسًا ، فَأَدْنَاؤُا إِلَيْهِ بِطَرِيقِهِمْ

وَهُوَ فِي جَامِعَةٍ ، فَقَالَ لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْحَسَنِ : قِمِّ فَاضْرِبْ عُنُقَهُ » . (٣) أطنه : قطعه .

جَادَتِ الضَّرْبَةَ ، وَلَكِنْ لِحَسَبِهِ^(١) ، وَجَعَلَ يَدْفَعُ الْبَقِيَّةَ إِلَى الْوَجْهِ وَإِلَى النَّاسِ يَقْتُلُونَهُمْ حَتَّى دَفَعَ إِلَى جَرِيرِ رَجُلًا مِنْهُمْ ، فَدَسَّتْ إِلَيْهِ بَنُو عَبَّسٍ سَيْفًا فِي قِرَابِ أَبِيئِضَ ، فَضَرَبَهُ فَأَبَانَ رَأْسَهُ ، وَدَفَعَ إِلَى الْفَرَزْدَقِ أُسِيرًا فَلَمْ يَجِدْ سَيْفًا ، فَدَسَّوْا لَهُ سَيْفًا دَدَانًا^(٢) مِثْنِيًا^(٣) لَا يَتَقَطَعُ ، فَضَرَبَ بِهِ الْأُسَيْرَ ضَرْبَاتٍ ، فَلَمْ يَصْنَعْ شَيْئًا ، فَمَضَحَكَ سَلِيانٌ وَالْقَوْمُ ، وَشَمِتَ بِالْفَرَزْدَقِ بَنُو عَبَّسٍ أَخْوَالَ سَلِيانَ ، فَأَلْقَى السَّيْفَ وَأَنْشَأَ يَقُولُ ، وَيَعْتَدِرُ إِلَى سَلِيانَ ، وَيَأْتِسِي بِنُبُوءِ سَيْفِ رِزْقَاءَ عَنِ رَأْسِ خَالِدِ :

١٣٣٩/٢

إِنْ يَكُ سَيْفٌ خَانَ أَوْ قَدْرٌ آتَى بِتَأْخِيرِ نَفْسٍ حَتْفُهَا غَيْرُ شَاهِدِ^(٤)
فَسَيْفُ بَنِي عَبَّسٍ وَقَدْ ضَرَبُوا بِهِ نَبَاً بِيَدَيْ رِزْقَاءَ عَنِ رَأْسِ خَالِدِ
كَذَلِكَ سُيُوفُ الْهِنْدِ تَنْبُو ظُبُسَاتِهَا وَتَقَطَعُ أحياناً مَنَاطَ الْقَلَائِدِ

وورقاء هو ورقاء بن زهير بن جديمة العبسي ، ضرب خالد بن جعفر بن كلاب ، وخالد مكب على أبيه زهير ، قد ضربه بالسيف وصرعه ، فأقبل ورقاء بن زهير فضرَب خالدًا ، فلم يصنع شيئًا . فقال ورقاء ابن زهير :

رَأَيْتُ زُهَيْرًا تَحْتَ كَلْكَلِ خَالِدِ فَأَقْبَلْتُ أَسْعَى كَالْعَجُولِ أَبَادِرُ^(٥)
فَشُلْتُ يَمِينِي يَوْمَ أَضْرَبُ خَالِدًا وَيُحْصِنُهُ مِنِّي الْحَدِيدُ الْمَظَاهِرُ^(٦)

وقال الفرزدق في مقامه ذلك :

أَيَعْجَبُ النَّاسُ أَنْ أَضْحَكَتْ خَيْرَهُمْ خَلِيفَةَ اللَّهِ يُسْتَسْقَى بِهِ الْمَطَرُ^(٧)
فَمَا نَبَا السَّيْفُ عَنْ جُبَيْنٍ وَلَا دَهْشٍ عِنْدَ الْإِمَامِ وَلَكِنْ آخَرَ الْقَدْرُ

- (١) في الأغاني : « فقال له سليمان : اجلس ، فوالله ما ضربته بسيفك ، ولكن بحسبك » ، وفي النقاظ : « والله ما هو من جودة السيف أجاد الضريبة ، ولكن بجودة حسبه وشرف مركبه » .
(٢) الددان ، السيف الكليل : وفي الأغاني : « فدست إليه القيسية سيفًا كليلا » .
(٣) ط : « متينًا » . (٤) ديوانه ١٨٦ .
(٥) الأغاني ١١ : ٧٤ . (٦) الأغاني : « ويمنحه مني الحديد » .
(٧) النقاظ ٣٨٤ ، الأغاني ١٥ : ٣٤٤ . وفيه : « أضحك الناس »

ولو ضربتُ على عمرو مقلدته لخرَّ جثمانه ما فوقه شعر^(١)
وما يعجلُ نفساً قبلَ ميتهَا^(٢) جمعُ اليدين ولا الصمصامةُ الذكْرُ ١٣٤٠ / ٢
وقال جرير في ذلك :

بسيفِ أبي رَعْوَانَ سيفِ مجاشعِ ضربتُ ولم تضرب بسيف ابن ظالم^(٣)
ضربتُ به عند الإمام فأرْعِشتُ يداك، وقالوا مُحدثٌ غيرُ صارِمِ

حدثني عبدُ الله بنُ أحمد ، قال : حدثني ، أبي قال : حدثني سليمان
قال : حدثني عبد الله بن محمد بن عسيبة ، قال : أخبرني أبو بكر بنُ
عبد العزيز بن الضمحاك بن قيس ، قال : شهد سليمانُ بنُ عبد الملك جنازةً
بدابقي ، فدُفنتُ في حقل ، فجعلَ سليمانُ يأخذ من تلك التربة فيقول :
ما أحسنَ هذه التربة ! ما أطيبها ! فما أتى عليه جمعةٌ - أو كما قال - حتى دُفن
إلى جنب ذلك القبر .

(١) لم يرد في النقاظ . وفي الأغاني : « ولو ضربت به عمراً مقلده » .

(٢) الأغاني : « وما يقدم » .

(٣) الأغاني ١٥ : ٣٤٣ ، وروى : « أن الفرزدق قال لسليمان : يا أمير المؤمنين ، هب لي
هذا الأسير ، فوهبه له فأعتقه ، وقال الأبيات التي تقدم ذكرها . ثم أقبل على رواته وأصحابه وقال :
كأنى بآبن المراغة وقد بلغه خبري ، فقال - وذكر البيتين - قال : فإلبشنا غير مدة يسيرة حتى جاءتنا
القصيدة وفيها هذان البيتان ، فعجبنا من فطنة الفرزدق » .

خلافة عمر بن عبد العزيز

وفي هذه السنة استُخلف عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم .

* ذكر الخبر عن سبب استخلاف سليمان إياه :

حدثني الحارث ، قال : حدثنا ابن سعد ، قال : حدثنا محمد بن عمر ، قال : حدثني الهيثم بن واقد ، قال : استُخلف عمر بن عبد العزيز بدابق يوم الجمعة لعشر مضين من صفر سنة تسع وتسعين .

قال محمد بن عمر : حدثني داود بن خالد بن دينار ، عن سهيل بن أبي سهيل قال : سمعت رجلاً بن حسيوة ، يقول : لما كان يوم الجمعة لبس سليمان بن عبد الملك ثياباً خضراً من خبز ، ونظر في المرأة ، فقال : أنا والله الملك الشاب ، فخرج إلى الصلاة ^(١) فصلى بالناس الجمعة ، فلم يرجع حتى وعك ، فلما ثقل ^(٢) عهد في كتاب كتبه لبعض بنيه وهو غلام ولم يبلغ فقلت : ما تصنع يا أمير المؤمنين ! إنه مما يحفظ الخليفة في قبره أن يستخلف على المسلمين الرجل الصالح . فقال سليمان : أنا أستخير الله وأنظر فيه . ولم أعزم عليه ؛ قال : فكث يوماً أو يومين ، ثم خرّقه ، فدعاني ، فقال : ما ترى في داود بن سليمان ؟ فقلت : هو غائب عنك بمسطنطينية وأنت لا تدري أحى هو أم ميت ! فقال لي : فن ترى ؟ قلت : رأيك يا أمير المؤمنين ، وأنا أريد أنظر من يذكر . قال : كيف ترى في عمر بن عبد العزيز ؟ فقلت : أعلمه والله خيراً فاضلاً مسلماً ؛ فقال : هو والله على ذلك ، ثم قال : والله لئن وليته ولم أولّ أحداً سواه لتكونن فتنة ، ولا يتركونه أبداً يلي عليهم إلا أن يجعل أحدهم بعده ، ويزيد بن عبد الملك غائب على الموسم ، قال : فيزيد ابن عبد الملك أجعله ^(٣) بعده ، فإن ذلك مما يسكنهم ويرضون به ؛ قلت : رأيك . قال : فكتب . ١٣٤١/٢

(١) ر : « مصلاه » .

(٢) ثقل ، أى لشدت مرضه .

(٣) بعدها في ب : « يومئذ » .

بسم الله الرحمن الرحيم . هذا كتابٌ من عبد الله سليمان أمير المؤمنين لعُمَرَ بن عبد العزيز^(١) ، إني قد وليتكَ الخلافةَ من بعدى ، ومن بعده يزيد بن عبد الملك ، فاسمعوا له وأطيعوا ، واتقوا الله ولا تختلفوا فيطمعَ فيكم . وختم الكتاب ، وأرسل إلى كعب بن حامد العبسيّ صاحب شُرطه فقال : مرُّ أهلَ بيتي فليجتمعوا ؛ فأرسل كعب إليهم^(٢) أن يجتمعوا فاجتمعوا ، ثم قال سليمانُ لرجاء بعد اجتماعهم : اذهبْ بكتابي هذا إليهم فأخبرهم أن هذا كتابي ، وأمرهم فليبايعوا من وليت فيه ؛ ففعل رجاء ، فلما قال رجاء ذلك لهم قالوا : ندخل فنسلم على أمير المؤمنين؟ قال : نعم ؛ فدخلوا فقال لهم سليمانُ في هذا الكتاب— وهو يشير لهم إليه وهم ينظرون إليه في يد رجاء ابن حسيوة — عهدى ، فاسمعوا وأطيعوا وبايعوا لمن سميتُ في هذا الكتاب ، فبايعوه رجلا رجلا ، ثم خرج بالكتاب محتوماً في يد رجاء بن حسيوة .

قال رجاء : فلما تفرقوا جاءني عمر بن عبد العزيز فقال : أخشى أن يكون هذا أسنداً إلى شيئا من هذا الأمر ، فأشددك الله وحرمتي ومودتي إلا أعلمتني إن كان ذلك حتى أستعفيه الآن قبل أن تأتي حال لا أقدر فيها على ما أقدر عليه الساعة . قال رجاء : لا والله ما أنا بمخبرك حرفاً ؛ قال : ١٣٤٣/٢ فذهب عمر غضبان .

قال رجاء : لقيني هشام بن عبد الملك ، فقال : يا رجاء ، إن لي بك حرمةً ومودةً قديمةً ، وعندى شكر ، فأعلمني هذا الأمر ، فإن كان إلى علمتُ ، وإن كان إلى غيري تكلمتُ ، فليس مثلي قصر به ، فأعلمني فلك الله على ألا أذكر من ذلك شيئاً أبداً . قال رجاء : فأبيت فقلت : والله لا أخبرك حرفاً واحداً مما أسير إلى .

قال : فانصرف هشام وهو قد يشس ، ويضرب^(٤) بإحدى يديه على الأخرى وهو يقول : فإلى من إذا نُحيت عني ؟ أتخرج من بني عبد الملك ؟ قال رجاء : ودخلتُ على سليمان فإذا هو يموت ، فجعلتُ إذا أخذته السكرة من

(١) بعدها في س : « ابن مروان » . (٢) ب : « شرطته » .
(٣) ب : « إليهم كعب » . (٤) ب : « وهو يضرب » .

سكّرات الموت حرّفته إلى القبلة ، فجعل يقول حين يُفئق : لم يأنِ لذلك بعدُ يا رجاء ، ففعلت ذلك مرّتين ، فلما كانت الثالثة قال : من الآن يا رجاء إن كنت تريد شيئاً ، أشهدُ أن لا إله إلاّ الله ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله . قال : فحرّفته ومات ؛ فلما غمّضته سجّيته بقطيفة خضراء ، وأغلقتُ الباب . وأرسلتُ إلى زوجته تقول : كيف أصبح ؟ فقلتُ : نائم ، وقد تغطّى ، فنظر الرسول إليه ^(١) مغطّىً بالقطيفة ، فرجع فأخبرها فقيلتُ ذلك ، وظننتُ أنه نائم ، قال رجاء : وأجلستُ على الباب من أثق به ، وأوصيته ألاّ يبرح حتى آتيته ، ولا يدخل على الخليفة أحد .

١٣٤٤/٢

قال : فخرجتُ فأرسلتُ إلى كعب بن حامد العبسيّ ، فجمعَ أهل بيت أمير المؤمنين ، فاجتمعوا في مسجد دابق ، فقلت : بايعوا ، فقالوا : قد بايعنا مرّة ونباع أخرى ! قلتُ : هذا عهد أمير المؤمنين ، فبايعوا على ما أمَرَ به ومن سُمي في هذا الكتاب المختوم ، فبايعوا الثانية ؛ رجلاً رجلاً . قال رجاء : فلما بايعوا بعد موت سليمان رأيتُ أني قد أحكمتُ الأمر ، قلت : قوموا إلى صاحبكم فقد مات ، قالوا : إنا لله وإنا إليه راجعون ! وقرأتُ الكتاب عليهم ، فلما انتهيت إلى ذكر عمر بن عبد العزيز نادى هشامُ بن عبد الملك : لانباعه أبدأ ، قلتُ : أضرب والله عنقك ، قم فبايع ، فقام يجرّ رجله .

قال رجاء : وأخذتُ بضبعتي عمر بن عبد العزيز فأجلستُه لما وقع فيه وهشام يسترجع على المنبر وهو يسترجع لما أخطأه ، فلما انتهى هشام إلى عمر قال عمر : إنا لله وإنا إليه راجعون ! حين صارت إلى لكرهته [إياها] ^(٢) ، والآخري يقول : إنا لله وإنا إليه راجعون ، حيث نُحييتُ عني .

قال : وغُسل سليمانُ وكفنَ وصلّي عليه عمرُ بن عبد العزيز ؛ قال رجاء : فلما فرغ من دفنه أتيتُ بمراكب الخلافة : البراذين والخيل والبغال ولكلّ دابة سائس ، فقال : ما هذا ! قالوا : مركب ^(٣) الخلافة ، قال :

(١) ب : « إليه الرسول » .

(٢) من ب .

(٣) ب : « مراكب » .

دأبى أوفتق لى ، وركيب دأبته . قال : فصرفت تلك الدواب^(١) ، ثم أقبل سائراً ، فقيل : منزل الخلافة ، فقال : فيه عيال أبى أيوب وفى فسطاطى كفاية حتى يتحولوا ، فأقام فى منزله حتى فرغوه بعد ؛ قال رجاء : فلما كان المساء من ذلك اليوم قال : يا رجاء ، ادع لى كاتباً ، فدعوتهُ وقد رأيتُ منه كلَّ ما سرتى^(٢) ، صنّع فى المراكب ما صنّع ، وفى منزل سليمان ؛ فقلتُ : كيف يصنع الآن فى الكتاب ؟ أيصنع نُسخاً ، أم ماذا ؟ فلما جلس الكاتب أملتى عليه كتاباً واحداً من فيه إلى يد الكاتب بغير نُسخة ، فأملى أحسن إملاء وأبلغه وأوجزه ، ثم أمر بذلك الكتاب أن يُنسخ إلى كلِّ بلد .

وبلغ عبد العزيز بن الوليد — وكان غائباً — موتُ سليمان بن عبد الملك ، ولم يعلم ببيعة الناس عُمر بن عبد العزيز ، وعهد سليمان إلى عمر ، فعقد لواء ، ودعا إلى نفسه ، فبلغته بيعة الناس عمر بعهد سليمان ، فأقبل حتى دخل على عمر بن عبد العزيز ، فقال له عمر : قد بلغنى أنك كنتَ بايعتَ من قبلك ، وأردتَ دخولَ دمشق ، فقال : قد كان ذلك ، وذلك أنه بلغنى أن الخليفة سليمان لم يكن عتقد لأحد ، فخفت على الأموال أن تُستهب ، فقال عمر : لو بويعت وقيمت بالأمر ما نازعتك ذلك ، ولقعدتُ فى بيتى ، فقال عبد العزيز : ما أحبُّ أنه ولى هذا الأمر غيرك . وبايع عمر بن عبد العزيز . قال : فكان بُرجى لسليمان بتوليته عمر بن عبد العزيز وترك ولده .

وفى هذه السنة وجّه عمر بن عبد العزيز إلى مسَلمة وهو بأرض الروم وأمره بالقُفول منها بمن معه من المسلمين ، ووجه إليه خيلاً عتاقاً وطعاماً كثيراً ، وحسّت الناس على معونتهم ، وكان الذى وجه إليه الخيل العتاق — فيما قيل — خمسمائة فرس .

وفى هذه السنة أغارت الترك على أذربيجان ، فقتلوا من المسلمين جماعةً ، ونالوا منهم ، فوجه إليهم عمر بن عبد العزيز بن حاتم بن النعمان الباهلى ،

(٢) ب : « يرف » .

(١) ر : « الخيول » .

فقتل أولئك الترك ، فلم ^(١) يُقْلت منهم إلا اليسير ، فقدم منهم على عمرَ
بُخناصرةَ بخمسين أسيراً .

وفيها عزل عمرُ يزيدَ بنَ المهلب عن العراق ، ووجهه على البصرة وأرضها
عدى بن أوطاة الفزاري ، وبعث على الكوفة وأرضها عبد الحميد بن عبد الرحمن
ابن زيد بن الخطاب الأعرج القرشي ، من بني عدى بن كعب ، وضم إليه
أبا الزناد ، فكان أبو الزناد كاتب عبد الحميد بن عبد الرحمن ، وبعث عدى
في أثر يزيد بن المهلب موسى بن الوحيه الحميري .

وحجَّ بالناس في هذه السنة أبو بكر محمد بن عمرو بن حزم ، وكان عامل
عمر على المدينة .

وكان عامل عمر على مكة في هذه السنة عبد العزيز بن عبد الله
ابن خالد بن أسيد ، وعلى الكوفة وأرضها عبد الحميد بن عبد الرحمن ،
وعلى البصرة وأرضها عدى بن أوطاة ، وعلى خراسان الجراح بن عبد الله .
وعلى قضاء البصرة إياس بن معاوية بن قرّة المُنزني ، وقد ولى فيما ذكر قبله
الحسن بن أبي الحسن ، فشكا ^(٢) ، فاستقصى إياس بن معاوية .

وكان على قضاء الكوفة - في هذه السنة فيما قيل - عامر الشعبي . وكان
الواقدي يقول : كان الشعبي على قضاء الكوفة أيامَ عمر بن عبد العزيز
من قبيل عبد الحميد بن عبد الرحمن ، والحسن بن أبي الحسن البصري على
قضاء البصرة من قبيل عدى بن أوطاة ، ثم إن الحسن استعفى من القضاء
عدياً ، فأعفاه وولّى إياساً .

(١) ابن الأثير « ولم » .

(٢) ر : « فشكى » .

ثم دخلت سنة مائة

ذكر الخبر عن الأحداث التي كانت فيها

فمن ذلك خروج الخارجة التي خرجت على عمر بن عبدالعزيز بالعراق .

* ذكر الخبر عن أمرهم :

ذكر محمد بن عمر أن ابن أبي الزناد حدثه ، قال : خرجت حرورية
بالعراق ، فكتب عمر بن عبد العزيز إلى عبد الحميد بن عبد الرحمن بن زيد
ابن الخطّاب عامل العراق يأمره أن يدعوهم إلى العمسّل بكتاب الله وسنة نبيه
صلى الله عليه وسلم . فلما أعدّار في دعائهم بعث إليهم عبد الحميد جيشاً
فهمزمتهم الحرورية ، فبلغ عمر ، فبعث إليهم مسّلمة بن عبد الملك في جيش
من أهل الشام جهّزهم من الرقة ، وكتب إلى عبد الحميد : قد بلغني ما فعل
جيشك جيش السوء ، وقد بعثت مسّلمة بن عبد الملك ، فخل بينه وبينهم .
فلقبهم مسّلمة في أهل الشام ، فلم ينشّسب أن أظهره الله عليهم .

* * *

[خبر خروج شوذب الخارجي]

وذكر أبو عبيدة معمر بن المثنى أن الذي خرج على عبد الحميد بن
عبد الرحمن بالعراق في خلافة عمر بن عبد العزيز شوذب - واسمه بسطام
من بني يشكر - فكان مخرجه بجوخي في ثمانين فارساً أكثرهم من ربيعة ،
فكتب عمر بن عبد العزيز إلى عبد الحميد ؛ ألا تحركهم إلا أن يسفكوا
دماً ، أو يفسدوا في الأرض ، فإن فعلوا فحلّ بينهم وبين ذلك ، وانظر
رجلاً صلياً حازماً فوجهه إليهم ، ووجه معه جنداً ، وأوصيه بما أمرتك به .
فعد عبد الحميد لمحمد بن جرير بن عبد الله البجلي في ألفين من أهل
الكوفة ، وأمره بما أمره به عمر ، وكتب عمر إلى بسطام يدعو ويسأله عن مخرجه ،
فقدم كتاب عمر عليه ، وقد قدم عليه محمد بن جرير ، فقام بإزائه لا يحرّكه

(١) ب : « يلبث » .

ولا يهتجه ، فكان في كتاب عمر إليه : إنه بلغني أنك خرجت غَضَبًا لله ولنبيته ،
ولست بأولى بذلك مني ، فهلم أناظرك فإن كان الحق بأيدينا دخلت فيما دخل
فيه الناس ، وإن كان في يدك نظرنا في أمرنا . فلم يحرك بسطام شيئاً ، وكتب
إلى عمر : قد أنصفت ، وقد بعثت إليك رجلين يُدارِسانك ويناظرانك - قال
أبو عبيدة : أحد الرجلين اللذين بعثتهما شوذب إلى عمر بمزج مولى بني
شيبان ، والآخر من صليبة بني يشكر - قال : فيقال : أرسلت نَفراً فيهم
هذان ، فأرسل إليهم عمر : أن اختاروا رجلين ؛ فاختروهما ، فدخلتا
عليه فناظراه ، فقالا له : أخبرنا عن يزيد لِمَ تَقْرَهُ خليفةً بعدك ؟ قال :
صيرته غيري ؛ قالوا : أفرأيت لو وليت مالا لغيرك ثم وكَلتَه إلى غير مأمون
عليه ، أتراك كنت أديت الأمانة إلى من ائتمسك ! قال : فقال : أنظِراني
ثلاثاً ، فخرجنا من عنده ، ونخاف بنو مروان أن يُخرج ما عندهم في أيديهم
من الأموال ، وأن يَخْلَع يزيد ، فدسوا إليه من سقاه سُمًّا ، فلم يلبث
بعد خروجهما من عنده إلا ثلاثاً حتى مات .

* * *

وفي هذه السنة أغزى عمرُ بن عبد العزيز الوليد بن هشام المُعَيَّطِيَّ وعمرو
ابن قيس الكِنْدِيَّ من أهل حِمص الصائفة .
وفيها شخصَ عمرُ بن هُبيرة الفَرَزَارِيَّ إلى الجزيرة عاملاً لعمَرَ عليها .

* * *

[خبر القبض على يزيد بن المهلب]

وفي هذه السنة حُمل يزيد بن المهلب من العراق إلى عمر بن عبد العزيز .
* ذكر الخبر عن سبب ذلك ، وكيف وصل إليه حتى استوثق منه :
اختلَف أهلُ السَّيَر في ذلك ، فأما هشام بن محمد فإنه ذكر عن
أبي مخنف أن عمر بن عبد العزيز لما جاء يزيد بن المهلب فنزل واسطاً ،
ثم ركب السفن يريد البصرة ، بعث عدى بن أرطاة إلى البصرة أميراً ، فبعث
عدى موسى بن الوجيه الحميري ، فلحقه في نهر معقل عند الجسر ، جسر

البصرة فأوثقه ، ثم بعث به إلى عمر بن عبد العزيز . فقدِم به عليه موسى ابن الوحيه ، فدعا به عمر بن عبد العزيز — وقد كان (١) عمر يَبغض يزيدَ وأهل بيته ، ويقول : هؤلاء جبابرة ، ولا أحبّ مثلهم ، وكان يزيد بن المهلب يَبغض عمرَ ويقول : إني لأظنه مرائياً ، فلما ولي عمر عرف يزيدُ أن عمرَ كان من الرياء بعيداً . ولما دعا عمر يزيدَ سأله عن الأموال التي كتب بها إلى سليمان بن عبد الملك ، فقال : كنتُ من سليمان بالمكان الذي قد رأيت ، وإنما كتبتُ إلى سليمان لأسمع الناسَ به ، وقد علمتُ أن سليمان لم يكن ليأخذني بشيء سمعت ، ولا بأمر أكرهه ، فقال له : ما أجد في أمرك إلا حبسك ، فاتق الله وأدِّ ما قبلك ، فإنها حقوقُ المسلمين . ولا يَسعني تركها ، فردّه إلى محبسه (٢) ، وبعث إلى الجراح بن عبد الله الحكمي فسرّحه إلى خراسان ، وأقبل مخلد بن يزيدَ من خراسان يُعطى الناسَ ، ولا يمرّ بكورة إلا أعطاهم فيها أموالاً عظيماً . ثم خرج حتى قدم على عمر بن عبد العزيز ، فدخل عليه فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : إن الله يا أمير المؤمنين صنّع لهذه الأمة بولاياتك عليها ، وقد ابتلينا بك ، فلا نكن أشقى الناس بولاياتك ، علّام تحبس هذا الشيخ ! أنا أتحمّل ما عليه ، فصالحني على (٣) ما إياه تسأل ، فقال عمر : لا . إلا أن تحمل جميع ما نسأله إياه ، فقال : يا أمير المؤمنين ، إن كانت لك بيّنة فخذ بها ، وإن لم تكن بيّنة فصدّق مقالة يزيد ، وإلا فاستحلفه . فإن لم يفعل فصالحه . فقال له عمر : ما أجد إلا أخذَه بجميع المال . فلما خرج تخلّد قال : هذا خيرٌ عندي من أبيه ، فلم يلبث مخلد إلا قليلاً حتى مات ، فلما أبا يزيد أن يؤدّي إلى عمر شيئاً ألبسه جبّة من صوف ، وحملته على جسمل ، ثم قال : سيروا به إلى دهلك ، فلما أخرج فمرّ به على الناس أخذ يقول : ما لي عشيرة ، ما لي يدّهب بي إلى دهلك ! إنما يدّهب إلى دهلك بالفاسق المرّيب الخارب ، سبحان الله ! أما لي عشيرة ! فدخل على عمر سلامة بن نعيم

(٢) ب ، س : « مجله » .

(١) س : « وكان » .

(٣) س : « عما إياه » .

الخولانيّ ، فقال : يا أمير المؤمنين ، ارْدُدْ يزيد إلى محبسه ؛ فلإني أخاف إن أمضيته أن ينتزعه قومه (١) ؛ فلإني قد رأيتُ قومه غَضِبُوا له . فردّه إلى محبسه ، فلم يزل في محبسه ذلك حتى بلغه مرض عمر .

١٣٥٢/٢

وأما غير أبي مخنف فإنه قال : كتب عمر بن عبد العزيز إلى عدىّ ابن أرتاة يأمره بتوجيه يزيد بن المهلب ، ودفعه إلى مَنْ بعين التمر من الجند ، فوجهه عدىّ بن أرتاة مع وكيع بن حسان بن أبي سُود التميمي مغلولاً مقيداً في سفينة ، فلما انتهى به إلى نهر أبان ، عرض لوكيع ناس من الأزد لينتزعوه منه ، فوثب وكيع فانتضى سيفه ، وقطع قلس السفينة ، وأخذ سيف يزيد ابن المهلب ، وحلّف بطلاق امرأته ليضربنّ عنقه إن لم يتفرقوا ، فناداهم يزيد بن المهلب ، فأعلمهم يمينا وكيع ، فتفرقوا ، ومضى به حتى سلّمه إلى الجند الذين بعين التمر ، ورجع وكيع إلى عدىّ بن أرتاة ، ومضى الجند الذين بعين التمر بيزيد بن المهلب إلى عمر بن عبد العزيز ، فحبسه في السجن .

* * *

[عزل الجراح بن عبد الله عن خراسان]

قال أبو جعفر : وفي هذه السنة عزل عمر بن عبد العزيز الجراح بن عبد الله عن خراسان ، وولاها عبد الرحمن بن نعيم القشيري (٢) ، فكانت ولاية الجراح بخراسان سنة وخمسة أشهر ، قدمها سنة تسع وتسعين ، وخرج منها لأيام بقيت من شهر رمضان سنة مائة .

* ذكر سبب عزل عمر إياه :

وكان سبب ذلك — فيما ذكر عليّ بن محمد عن كليب بن خلف ، عن إدريس بن حنظلة ، والمفضل عن جدّه ، وعليّ بن مجاهد عن خالد ابن عبد العزيز ؛ أن يزيد بن المهلب ولّى جهّم بن زحر جرجان حين شخص عنها ، فلما كان من أمر يزيد ما كان وجهه عامل العراق من العراق والياً على جرجان ، فقدم الولى عليها من العراق ، فأخذ جهّم فقيده وقيّد

١٣٥٢/٢

(١) ب : « أهله » .

(٢) هو عبد الرحمن بن نعيم الغامدي الأزدي ، وانظر ص ٥٦١ .

رهنًا قدموا معه ، ثم خرج في خمسين من اليمن يريد الجراح بخراسان ، فأطلق أهل جرجان عاملهم ، فقال الجراح بلهم : لولا أنك ابن عمي لم أسوغك هذا ، فقال له جههم : ولولا أنك ابن عمي لم آتتك - وكان جههم سلف الجراح من قبيل ابنتي حصين بن الحارث وابن عمه ، لأن الحكم وجعني ابنا سعد - فقال له الجراح : خالفت إمامك ، وخرجت عاصبًا ، فاغز لعلك أن تظفر ، فيصلح أمرك عند خليفتك . فوجهه إلى الحنّس ، فخرج ، فلما قرب منهم سارمتنكرًا في ثلاثة ، وخلّف في عسكره ابن عمه القاسم بن حبيب - وهو ختنته على ابنته أم الأسود - حتى دخل على صاحب الحنّس فقال له : أخلني ، فأخلاه ، فاعتزى ، فنزل صاحب الحنّس عن سريره وأعطاه حاجته - ويقولون : الحنّس مولى النعمان وأصاب مغنًا ؛ فكتب الجراح إلى عمر : وأوفد وفدًا ، رجلين من العرب ، ورجلا من المولى من بني ضبّة ، ويكنى أبا الصيداء واسمه صالح بن طريف ، كان فاضلًا في دينه . وقال بعضهم : المولى سعيد أخو خالد أو يزيد^(١) النحوي . فتكلم العربيان والآخر جالس ، فقال له ١٣٥٤/٢ عمر : أما أنت من الوفد ؟ قال : بلى ، قال : فما يمنعك من الكلام ! قال : يا أمير المؤمنين ، عشرون ألفًا من المولى يتغزون بلا عطاء ولا رزق ، ومثلهم قد أسلموا من أهل الدّمة يؤخذون بالجراح ، وأميرنا عصبى جاف يقوم على منبرنا ، فيقول : أتيتكم حفيًا ، وأنا اليوم عصبى ! والله لرجل من قومي أحب إلى من مائة من غيرهم . وبلغ من جفائه أن كُفّم درعه يبلغ نصف درعه ، وهو بعد سيف من سيوف الحجاج ، قد عمل بالظلم والعدوان . فقال عمر : إذن مثلك فليوفد .

وكتب عمر إلى الجراح : انظر من صلتى قبيلتك إلى القبلة ، فضع عنه الجزية . فسارع الناس إلى الإسلام ، فقبل للجراح : إن الناس قد سارعوا إلى الإسلام ، وإنما ذلك نفورًا من الجزية ؛ فامتحنهم بالختان .

فكتب الجراح بذلك إلى عمر ، فكتب إليه عمر : إن الله بعث محمدًا صلى الله عليه داعيًا ولم يبعثه خائنًا . وقال عمر : ابغون رجلا صدوقًا ،

(١) ب : « ويزيد » .

أسأله عن خراسان ، فقبل له : قد وجدته ، عليك بأبي مجلّز . فكتب إلى الجراح : أن أقبل واحمل أبا مجلّز وخلف على حرب خراسان عبد الرحمن بن نعيم الغامدي^(١) . وعلى جزيتها عبيد الله - أو عبد الله - بن حبيب .

فخطب الجراح فقال : يا أهل خراسان ، جئتم في ثيابي هذه التي على وعلى فرسي ، لم أصب من مالكم إلا حلية سني - ولم يكن عنده إلا فرس قد شاب وجهه ، وبغلة قد شاب وجهها ؛ فخرج في شهر رمضان واستخلف عبد الرحمن بن نعيم . فلما قدم^(٢) قال له عمر : متى خرجت ؟ قال : في شهر رمضان ، قال : قد صدق من وصفتك بالخفاء ، هلاً أقمت حتى تفتطير ثم تخرج ! وكان الجراح يقول : أنا والله عصبي عقي - يريد من العصبية . وكان الجراح لما قدم خراسان كتب إلى عمر : إني قدمت خراسان فوجدت قوماً قد أبطرتهم الفتنة فهم يتزؤون فيها نزواً ، أحب الأمور إليهم أن تعود ليمنعوا حق الله عليهم ، فليس يكفهم إلا السيف والسوط . وكرهت الإقدام على ذلك إلا بإذنك . فكتب إليه عمر :

١٣٥٥/٢

يا بن أم الجراح ، أنت أحرص على الفتنة منهم ؛ لا تضربن مؤمناً ولا معاهداً سوطاً إلا في حق ، واحذر القصاص فإنك صائر إلى من يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور، وتقرأ كتاباً لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها .

ولما أراد الجراح الشخص من خراسان إلى عمر بن عبد العزيز أخذ عشرين ألفاً . وقال بعضهم : عشرة آلاف من بيت المال . وقال : هي على سلفاً حتى أؤديها إلى الخليفة : فقدم على عمر ، فقال له عمر : متى خرجت ؟ قال : لأيام بقيين من شهر رمضان ، وعلى دين فاقضه ؛ قال : لو أقمت حتى تفتطير ثم خرجت قضيت عنك . فأدى عنه قومه في أعطياتهم^(٣) .

(١) ب : « العامري » .

(٢) ب : « خرج » .

(٣) ب : « وأعطى أعطياتهم » .

ذكر الخبر عن سبب تولية عمر بن عبد العزيز عبد الرحمن بن نعيم
وعبد الرحمن بن عبد الله القشيري خراسان

وكان سبب ذلك - فيما ذكر لي - أن الجراح بن عبد الله لما شكى .
واستقدمه عمر بن عبد العزيز ، فقدم عليه عزله عن خراسان لما قد ذكرت قبل .
ثم إن عمر لما أراد استعمال عامل على خراسان ، قال - فيما ذكر علي
ابن محمد عن خارجة بن مصعب الضبي وعبد الله بن المبارك وغيرهما : ابغوني
رجلا صدوقاً أسأله عن خراسان ، فقبل له : أبو مجلز لاحق بن حميد .
فكتب فيه ، فقدم عليه - وكان رجلا لا تأخذه العين - فدخل أبو مجلز على
عمر في جفّة^(١) الناس ، فلم يشبته^(٢) عمر . وخرج مع الناس فسأل عنه فقيل :
دخل مع الناس ثم خرج ، فدعا به عمر فقال : يا أبا مجلز ، لم أعرفك . قال :
فهلا أنكرتني إذ لم تعرفني ! قال : أخبرني عن عبد الرحمن بن عبد الله ، قال :
يكافي الأكفاء ، ويعادي الأعداء ، وهو أمير يفعل ما يشاء ، ويقدم إن وجد
من يساعده . قال : عبد الرحمن بن نعيم ، قال : ضعيف لين يحب العافية ،
وتأتي له ، قال : الذي يحب العافية وتأتي له أحب إلى ، فولاه الصلاة والحرب ،
ولتي عبد الرحمن القشيري ، ثم أحد بني الأعور بن قشير الخراج ، وكتب إلى
أهل خراسان : إني استعملت عبد الرحمن على حربكم وعبد الرحمن بن عبد الله
على خراجكم عن غير معرفة مني بهما ولا اختيار ، إلا ما أخبرت عنهما : فإن
كانا على ما تحبون فاحمدوا الله ، وإن كانا على غير ذلك فاستعينوا بالله ،
ولا حول ولا قوة إلا بالله .

١٣٥٧/٢

قال علي : وحدّثنا أبو السري الأزدي ، عن إبراهيم الصائغ ، أن عمر
ابن عبد العزيز كتب إلى عبد الرحمن بن نعيم :
أما بعد ، فكن عبداً ناصحاً لله في عباده ، ولا يأخذك في الله لومة لائم ؛
فإن الله أولى بك من الناس ، وحقه عليك أعظم ، فلا تولين شيئاً من أمر
المسلمين إلا المعروف بالنصيحة لهم والتوفير عليهم ، وأداء الأمانة فيما استرعيت ،

(١) جفة الناس : جماعهم . (٢) لم يشبته : لم يعرفه حق المعرفة .

وإياك أن يكون ميلك ميلاً إلى غير الحق ، فإن الله لا تخفى عليه خافية ، ولا تذهبن عن الله مذهباً ؛ فإنه لا ملجأ من الله إلا إليه .

قال عليّ ، عن محمد الباهليّ وأبي نهيك بن زياد وغيرهما : إن عمر بن عبد العزيز بعث بعهد عبد الرحمن بن نعيم على حرب خراسان وسجستان مع عبد الله بن صخر القرشيّ ، فلم يزل عبد الرحمن بن نعيم على خراسان حتى مات عمر بن عبد العزيز ، وبعد ذلك حتى قُتل يزيد بن المهلب ، ووجه مسلمة سعيد بن عبد العزيز بن الحارث بن الحكم ، فكانت ولايته أكثر من سنة ونصف ، وليها في شهر رمضان من سنة مائة ، وعزل سنة اثنتين ومائة ، بعد ما قتل يزيد بن المهلب .

قال عليّ : كانت ولاية عبد الرحمن بن نعيم خراسان ستة عشر شهراً .

* * *

أول الدعوة

قال أبو جعفر : وفي هذه السنة - أعني سنة مائة - وجه محمد بن عليّ بن عبد الله بن عباس من أرض الشراة ميسرة إلى العراق ، وجه محمد بن خنيس وأبا عكرمة السراج - وهو أبو محمد الصادق - وحياتن العطار خال إبراهيم ابن سلمة إلى خراسان ، وعليها يومئذ الجراح بن عبد الله الحكيم من قبيل عمر بن عبد العزيز ، وأمرهم بالدعاء إليه وإلى أهل بيته ، فلقوا من لقوا ، ثم انصرفوا بكتب من استجاب لهم إلى محمد بن عليّ ، فدفعوها إلى ميسرة ، فبعث بها ميسرة إلى محمد بن عليّ ، واختار أبو محمد الصادق لمحمد بن عليّ اثني عشر رجلاً ، نقيباً^(١) ، منهم سليمان ابن كثير الخزاعيّ ، ولاهز بن قريظ التميميّ ، وقحطبة بن شبيب الطائيّ ، وموسى بن كعب التميميّ ، وخالد بن إبراهيم أبو داود ، من بني عمرو بن شيبان بن ذهل ، والقاسم بن مجاشع التميميّ وعمران بن إسماعيل أبو النجم ، مولى لآل أبي معيط ومالك بن الهيثم الخزاعيّ وطلحة ابن رزيق الخزاعيّ وعمرو بن أعين أبو حمزة مولى خزاعة . وشبيل بن طهمان أبو عليّ الهرويّ ؛ مولى لبني حنيفة ، وعيسى بن أعين مولى خزاعة ؛ واختار سبعين رجلاً ، فكتب إليهم محمد بن عليّ كتاباً ليكون لهم مثلاً وسيرة يسرون بها .

١٣٥٨/٢

(١) س : « نقيباً » .

* * *

وحج بالناس في هذه السنة أبو بكر بن محمد بن عمرو بن حزم ، حدثني ١٣٥٩/٢
 بذلك أحمد بن ثابت عمّن ذكره ، عن إسحاق بن عيسى عن أبي معشر .
 وكذلك قال الواقدي .

وكان عمّال الأمصار في هذه السنة العمال في السنة التي قبلها ، وقد ذكرناهم
 قبل ما خلا عامل خراسان ؛ فإنّ عاملها كان في آخرها عبد الرحمن بن نعيم
 على الصلّاة والحرب ، وعبد الرحمن بن عبد الله على الخراج .

ثم دخلت سنة إحدى ومائة

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

* * *

[خبر هرب يزيد المهلب من سجنه]

فمن ذلك ما كان من هرب يزيد بن المهلب من حبس عمر بن عبد العزيز .

* ذكر الخبر عن سبب هربه منه وكيف كان هربه منه :

ذكر هشام بن محمد ، عن أبي مخنف ، أن عمر بن عبد العزيز لما كُتِم في يزيد بن المهلب حين أراد نفيه إلى دَهْلِك ، وقيل له : إنا نخشى أن ينتزعه قومه ، رده إلى محبسه . فلم يزل في محبسه ذلك حتى بلغه مرض عمر ، فأخذ يعمل بعد في الهرب من محبسه مخافة يزيد بن عبد الملك ؛ لأنه كان قد عذب أصحابه آل أبي عَقَيْلٍ - كانت أمّ الحجاج بنت محمد بن يوسف أخى الحجاج بن يوسف عند يزيد بن عبد الملك - فولدت له الوليد بن يزيد المقتول - فكان يزيد بن عبد الملك قد عاهد الله لئن أمكنه الله من يزيد بن المهلب ليقطن منه طابقاً فكان يخشى ذلك ، فبعث يزيد بن المهلب إلى مواليه ، فأعدوا له إبلا ؛ وكان مرض عمر في دَيْرِ سَمْعَانَ ، فلما اشتدّ مرض عمر أمر بإبله ، فأتى بها ، فلما تبين له أنه قد ثقُلَ نزل من محبسه ، فخرج حتى مضى إلى المكان الذي واعدهم فيه ؛ فلم يجدهم جاءوا ، فجزع أصحابه وضجروا ، فقال لأصحابه : أتروني أرجع إلى السجن ! لا والله لا أرجع إليه أبداً . ثم إن الإبل جاءت ، فاحتمل ، فخرج ومعه عاتكة امرأته ابنة الفرات ابن معاوية العامرية من بني البكاء في شقّ الحمل ، فضى .

١٣٦٠/٢

فلما جاز كتب إلى عمر بن عبد العزيز : إني والله لو علمت أنك تبقى ما خرجت من محبسى ؛ ولكني لم آمن يزيد بن عبد الملك . فقال عمر : اللهم إن كان يزيد يريد بهذه الأمة شراً فاكفهم شره ، واردد كيده في نحره . ومضى يزيد بن المهلب حتى مرّ بحدث الزقاق ، وفيه الهديل بن زُفر معه قيس ،

فأتبعوا يزيد بن المهلب حيث مرّ بهم ، فأصابوا طرّفاً من ثَمَكَلِه وعلِمَته من وصفائه ، فأرسل الهذيل بن زُفَرٍ في آثارهم ، فردّهم فقال : ما تطلبون ؟ أخبروني ، أتطلبون يزيد بن المهلب أو أحداً من قومه بتَبَلٍ ؟ فقالوا : لا ، قال : فما تريدون ؟ إنما هو رجل كان في إسرٍ ، فخاف على نفسه فهرب . وزعم الواقدي أن يزيد بن المهلب إنما هرب من سجن عمر بعد موت عمر .

* * *

[خبر وفاة عمر بن عبد العزيز]

وفي هذه السنة توفّي عمر بن عبد العزيز ، فحدّثني أحمد بن ثابت ، عمّن ذكره ، عن إسحاق بن عيسى ، عن أبي معشر ، قال : توفّي عمر بن عبد العزيز لخمس ليالٍ بقيين من رجب سنة إحدى ومائة .

وكذلك قال محمد بن عمر ، حدّثني الحارث ، قال : حدّثنا ابن سعد ، قال : أخبرنا محمد بن عمر ، قال : حدّثني عمرو بن عثمان ، قال : مات عمر بن عبد العزيز لعشر ليالٍ بقيين من رجب سنة إحدى ومائة .

وقال هشام عن أبي محنف : مات عمر بن عبد العزيز يوم الجمعة لخمس بقيين من رجب بدير سمعان في سنة إحدى ومائة ، وهو ابن تسع وثلاثين سنة وأشهر ، وكانت خلافته سنتين وخمسة أشهر . ومات بدير سمعان .

حدّثني الحارث . قال : حدّثنا محمد بن سعد ، قال : أخبرنا محمد بن عمر ، قال : حدّثني عمّي الهيثم بن واقد ، قال : ولدتُ سنة سبع وتسعين ، واستخلف عمر بن عبد العزيز بدابّيق يوم الجمعة لعشر بقيين من صفر سنة تسع وتسعين ، فأصابني من قسمه ثلاثة دنائير ، وتوفّي بخنصرة يوم الأربعاء لخمس ليالٍ بقيين من رجب سنة إحدى ومائة ، وكان شكّوه عشرين يوماً ، وكانت خلافته سنتين وخمسة أشهر وأربعة أيام ، ومات وهو ابن تسع وثلاثين سنة وأشهر ، ودفن بدير سمعان .

وقد قال بعضهم : كان له يوم توفّي تسع وثلاثون سنة ، وخمسة أشهر .

وقال بعضهم : كان له أربعون سنة .

وقال هشام : توفي عمر وهو ابن أربعين سنة وأشهر ؛ وكان يكنى أبا حفص وله يقول عُوَيْفُ القَوَافِي . وقد حضره في جنازة شهداها معه :

أَجْبِنِي أَبَا حَفْصٍ لَقَيْتَ مُحَمَّدًا عَلَى حَوْضِهِ مُسْتَبْشِرًا وَرَأَى كَأَنَّ
فَأَنْتَ امْرُؤٌ كَلْنَا يَدَيْكَ مُفِيدَةً شِمَالِكَ خَيْرٌ مِنْ يَمِينِ سِوَاكَ

وأمة أمّ عاصم بنت عاصم بن عمر بن الخطاب ، وكان يقال له : أشجّ بنى أمية ، وذلك أن دابة من دوابّ أبيه كانت شجته فقبل له : أشجّ بنى أمية .

حدّثني الحارث ، قال : حدّثنا ابن سعد ، قال : أخبرنا سليمان بن حرب ، قال : حدّثنا المبارك بن فضالة ، عن عبيد الله بن عمر ، عن نافع ، قال : كنتُ أسمع ابن عمر كثيراً يقول : ليت شعري من هذا الذي من ولد عمر ، في وجهه علامة ، يملأ الأرض عدلاً !

وحدّثت عن منصور بن أبي مزاحم ، قال : حدّثنا مروان بن شجاع ، عن سالم الأفتس . أن عمر بن عبد العزيز رحمته (٢) دابة وهو غلام بدهشق ، فأتيبت به أمه أمّ عاصم بنت عاصم بن عمر بن الخطاب ، فضمّته إليها ، وجعلت تمسح الدم عن وجهه (٣) . ودخل أبوه عليها على تلك الحال ، فأقبلت عليه تعذّله وتلومه ، وتقول : ضيّعت ابني ، ولم تضمّ إليه نخادماً ولا حاضناً (٤) يحفظه من مثل هذا ! فقال لها : اسكتي يا أمّ عاصم ، فطوباك إذ كان أشجّ بنى أمية !

١٣٦٣/٢

* * *

ذكر بعض سيره

ذكر على بن محمد أن كليب بن خلف حدّثهم عن إدريس بن حنظلة ، والمفضل ، عن جدّه ، وعلى بن مجاهد عن خالد : أن عمر بن عبد العزيز كتب حين ولي الخلافة إلى يزيد بن المهلب :

(١) الأغاني ١٧ : ١١٠ . (٢) س . « وضحته » .

(٣) ب : « من وجهه » . (٤) ب : « حاضناً ولا نخادماً » .

أما بعد ، فإن سليمان كان عبداً من عبيد الله أنعم الله عليه ، ثم قبضه واستخلفني ، ويزيد بن عبد الملك من بعدى إن كان ، وإن الذى ولانى الله من ذلك وقد رلى ليس على بهين ، ولو كانت رغبتى فى اتخاذاً أزواج واعتقاداً^(١) أموال ، كان فى الذى أعطانى من ذلك ما قد بلغ بى أفضل ما بلغ بأحد من خلقه ، وأنا أخاف فيما ابتليتُ به حساباً شديداً ، ومسألة غليظة ، إلا ما عافى الله ورحم ، وقد بايع من قبيلتنا فبايع من قبيلتك .

فلما قدم الكتاب على يزيد بن المهلب ، ألقاه إلى أبى عيينة ، فلما قرأه قال : لست من عماله ، قال : ولم ؟ قال : ليس هذا كلام من مضى من أهل بيته ، وليس يريد أن يسلك مسلكهم . فدعا الناس إلى البيعة فبايعوا^(٢) .
قال : ثم كتب عمر إلى يزيد استخلف على خراسان ، وأقبل ، فاستخلف ابنه مخلداً .

قال على : وحدثنا على بن مجاهد ، عن عبد الأعلى بن منصور ، عن ميمون بن مهران ، قال : كتب عمر إلى عبد الرحمن بن نعيم أن العجمل والعلم قريبان ، فكن عالماً بالله عاملاً له ، فإن أقواماً علموا ولم يعملوا ، فكان علمهم عليهم وبالاً .

قال وأخبرنا مصعب بن حيان ، عن مقاتل بن حيان ، قال : كتب عمر إلى عبد الرحمن :

أما بعد ، فاعمل عمل رجل يعلم أن الله لا يصلح عمل المفسدين .

قال على : أخبرنا كليب بن خلف ، عن طفيل بن مرداس ، قال : كتب عمر إلى سليمان بن أبى السرى ، أن اعمل خانات فى بلادك فن ربك من المسلمين فاقروهم يوماً وليلة ، وتعهدوا دوابهم ، فن كانت به علة فاقروهم يومين وليلتين ، فإن كان منقطعاً به فقروهم بما يصل به إلى بلده .

فلما أتاه كتاب عمر قال أهل سمرقند لسليمان : إن قتيبة غدر بنا ، وظلمنا وأخذ بلادنا ، وقد أظهر الله العدل والإنصاف ، فائذن لنا فليفيد^(٣) منا وقد

(١) ب وابن الأثير : « اعتقال » . (٢) ب : « فبايعوه » .

(٣) ب : « فليقدم » .

إلى أمير المؤمنين يشكون ظلماً متناً ، فإن كان لنا حق أعطيناه ، فإن بنا إلى ذلك حاجة . فأذن لهم ، فوجهوا منهم قوماً ، فقدموا على عمر ، فكتب لهم عمر إلى سليمان ابن أبي السرى :

١٣٦٥/٢

إن أهل سمرقند قد شكوا إلى ظلماً أصابهم : وتحاملا من قتيبة عليهم حتى أخرجهم من أرضهم ، فإذا أتاك كتابي فأجلس لهم القاضى ، فلينظر فى أمرهم ، فإن قضى لهم فأخرجهم إلى معسكرهم كما كانوا وكنتم قبل أن ظهر عليهم قتيبة .

قال : فأجلس لهم سليمان جُسه سبيع بن حاضر القاضى الناجى . فقضى أن يخرج عرب سمرقند إلى معسكرهم وينابذوهم على سواء ، فيكون صلحاً جديداً أو ظفراً عنوةً ، فقال أهل السغد : بل نرضى بما كان . ولا نجد حرباً . وقرأوا بذلك ، فقال أهل الرأى : قد خالطنا هؤلاء القوم وأقمنا معهم . وأمنونا وأمناهم ، فإن حكم لنا عدنا إلى الحرب ولا ندرى لمن يكون الظفر . وإن لم يكن لنا كنا قد اجتلبنا عداوة فى المنازعة . فتركوا الأمر على ما كان ، ورضوا ولم ينازعوا .

قال : وكتب عمر إلى عبد الرحمن بن نعيم يأمره بإقفال من وراء النهر من المسلمين بذواريتهم . قال : فأبوا وقالوا : لا يسعنا مَرُّو . فكتب إلى عمر بذلك ، فكتب إليه عمر : اللهم إني قد قضيت الذى الذى على ، فلا تغزُ بالمسلمين . فحسبهم الذى قد فتح الله عليهم .

قال : وكتب إلى عقبة بن زرعة الطائى—وكان قد ولاه الخراج بعد القشيرى : إنَّ للسلطان أركاناً لا يثبت إلا بها ، فالولى ركنٌ ، والقاضى ركنٌ ، وصاحب بيت المال ركنٌ ، والركن الرابع أنا ، وليس من تغور المسلمين ثغر أهمَّ إلى ، ولا أعظم عندى من ثغر خراسان ، فاستوعب الخراج وأحرزه فى غير ظلم ، فإن يك كسفاً لأعطياتهم فسبيل ذلك ، وإلا فاكتب إلى حتى أحمل إليك الأموال فتوفر لهم أعطياتهم .

١٣٦٦/٢

قال : فقدم عقبة فوجد خراجهم يفضل عن أعطياتهم ، فكتب إلى

عمر فأعلمه ، فكتب إليه عمر : أن أقسم الفضل في أهل (١) الحاجة .
 وحدثني عبد الله بن أحمد بن شَبْوَيْة : قال : حدثني أبي ، قال :
 حدثني سليمان . قال : سمعت عبد الله يقول عن محمد بن طلحة ، عن داود
 ابن سليمان الجعفي . قال : كتب عمر بن عبد العزيز (٢) :

من عبد الله عمر أمير المؤمنين إلى عبد الحميد . سلام عليك ؛ أما بعد ؛
 فإن أهل الكوفة قد أصابهم بلاء وشدّة وجور في أحكام الله وسنة خبيثة
 استنتها (٣) عليهم عمال السوء ، وإن قنّوا الدّين العدل والإحسان ، فلا يكوننّ
 شيء أهمّ إليك من نفسك ؛ فإنه لا قليل من الإثم . ولا تحمل خراباً على
 عامر ؛ ولا عامراً على خراب ؛ انظر الخراب (٤) فخذ منه ما أطاق . وأصلحه
 حتى يعمر . ولا يؤخذ (٥) من العامر إلا وظيفة الخراج في ريفك وتسكين لأهل
 الأرض . ولا تأخذنّ في الخراج إلا وزن سبعة ليس لها آيين ولا أجور
 الضرايين ، ولا هديّة النيروز والمهرجان (٦) . ولا ثمن الصّحف ؛ ولا أجور
 الفيوج (٧) ، ولا أجور البيوت ، ولا دراهم النكاح ؛ ولا خراج على من أسلم من
 أهل الأرض ؛ فاتبع في ذلك أمرى ؛ فإنني قد وليتكم من ذلك ما ولّاني الله ،
 ولا تعجل دوني بقطع ولا صاب ؛ حتى تراجعني فيه . وانظر من أراد من
 الذرية أن يحج . فعجل له مائة يحج بها . والسلام .

١٣٦٧/٢

حدثنا عبد الله بن أحمد بن شَبْوَيْة : قال : حدثني أبي ، قال : حدثنا
 سليمان ، قال : حدثني عبد الله ، عن شهاب بن شريعة المجاشعي ، قال :
 ألحق عمر بن عبد العزيز ذراريّ الرجال الذين في العطايا (٨) أقرع بينهم ،

(١) ب : « فوى » .

(٢) بعدها في ب : « كتاباً » .

(٣) ابن الأثير : « سنها » .

(٤) ب : « إل الخراب » .

(٥) النيروز : اسم أول يوم .

(٦) وعند القبط أول توت ، معرب « نوروز » .

أول الميزان .

(٧) الفيوج : جمع فيج ؛ وهو رسول الد

(٨) س : « العطاء » .

أصابته القرعة جعله في المائة ، ومن لم تُصِبه القرعة جعله في الأربعين ،
وقسم في فقراء أهل البصرة كل إنسان ثلاثة دراهم ؛ فأعطى الزمى خمسين
خمسين . قال : وأراه رزق الفطيم^(١) .

حدثني عبد الله ، قال : حدثنا أبي ، قال : حدثنا الفضيل ، عن عبد الله
قال : بلغني أن عمر بن عبد العزيز كتب إلى أهل الشام :

سلام عليكم ورحمة الله ، أما بعد ؛ فإنه من أكثر ذكر الموت قل
كلامه ، ومن علم أن الموت حق رضى باليسير ، والسلام^(٢) .

١٣٦٨/٢

قال علي بن محمد : وقال أبو مجلز لعمر : إنك وضعتنا بمنقطع التراب ،
فاحمل إلينا الأموال . قال : يا أبا مجلز : قلبت الأمر ، قال : يا أمير المؤمنين
أهو لنا أم لك ؟ قال : بل هو لكم إذا قَصَرْتُمْ خراجكم عن أعطيائكم ،
قال : فلا أنت تحمله إلينا ، ولا نحمله إليك ، وقد وضعت بعضه على بعض .
قال : أحمله إليكم إن شاء الله .

ومرض من ليلته فات من مرضه . وكانت ولاية عبد الرحمن بن نعيم
خراسان ستة عشر شهراً .

قال أبو جعفر : وفي هذه السنة توفي عمارة بن أكيمه الليثي ، ويكنى
أبا الوليد ، وهو ابن تسع وسبعين .

زيادة في سيرة عمر بن عبد العزيز ليست من كتاب أبي جعفر

إلى أول خلافة يزيد بن عبد الملك بن مروان

روى عبد الله بن بكر بن حبيب السهمي ، قال : حدثنا رجل في مسجد
الجُنَابِذِ ، أن عمر بن عبد العزيز خطب الناس بخُنَاصِرَةٍ ، فقال : أيها الناس ،
إنكم لم تُخَلِّقُوا عَبَثًا ، ولن تُتْرَكُوا سُدىً ؛ وإن لكم معاداً ينزل الله فيه
للحكيم فيكم ، والفصل بينكم ، وقد خاب وخسر من رحمة الله التي
وسعت كل شيء ، وحريم الجنة التي عرضها السموات والأرض . ألا واعلموا

(٢) ب : « السلام عليكم » .

(١) ب : « الفطر » .

أما الأمان غدأ لمن حذر الله وخافه ، وباع نافداً^(١) بياق ، وقليلاً بكثير ، ١٣٦٩/٢
 وخوفاً بأمان . ألا ترون أنكم في أسلاب الهالكين ، وسيخلفها بعدكم الباقون
 كذلك حتى ترد^(٢) إلى خير الوارثين ! وفي كل يوم تشيعون غادياً ورائحاً إلى
 الله قد قضى نحبته ، وانقضى أجله ، فتغيّبونه في صدع من الأرض ، ثم تدعون
 غير مؤسّد ولا ممهّد ، قد فارق الأحبة ، وخلع الأسباب ، فسكن التراب
 وواجه الحساب ، فهو مرتهنّ بعمله ، فقير إلى ما قدّم ، غنيّ عما ترك .
 فاتقوا الله قبل نزول الموت وانقضاء واقعه . وإيم الله إني لأقول لكم هذه المقالة ،
 وما أعلم عند أحد منكم من الذنوب أكثر مما عندي ، فأستغفر الله وأتوب إليه .
 وما منكم من أحد تبلغنا عنه حاجة إلا أحببت أن أسدّ من حاجته ما قدرت
 عليه ، وما منكم أحد يسعه ما عندنا إلا وددت أنه سدّ أي^(٣) ولحمي ، حتى
 يكون عيشنا وعيشه سواء . وإيم الله أن لو أردت غير هذا من الغصارة والعيش ،
 لكان اللسان مني به ذلولاً عالمًا بأسبابه ، ولكنه مضى من الله كتاب ناطق
 وسنة عادلة ، يدلّ فيها على طاعته ، وينهى عن معصيته .

ثم رفع طرف رداءه فبكى حتى شهق وأبكى الناس حوله ، ثم نزل فكانت
 إياها لم يخطب بعدها حتى مات رحمه الله^(٤) .

روى خلف بن تميم ، قال : حدثنا عبد الله بن محمد بن سعد ، قال : ١٣٧٠/٢
 بلغني أن عمر بن عبد العزيز مات ابن له ، فكتب عامل له يعزيه عن ابنه ،
 فقال لكاتبه : أجه عنى ، قال : فأخذ الكاتب يبري القلم ، قال : فقال
 للكاتب : أدقّ القلم ، فإنه أبقى للقرطاس ، وأوجز للحروف ، واكتب :
 بسم الله الرحمن الرحيم . أما بعد ، فإنّ هذا الأمر قد كنا وطننا أنفسنا
 عليه ، فلمّا نزل لم ننكره^(٥) ، والسلام .

روى منصور بن مزاحم ، قال : حدثنا شعيب — يعني ابن صفوان —
 عن ابن عبد الحميد ، قال : قال عمر بن عبد العزيز : من وصل أخاه
 بنصيحة له في دينه ، ونظر له في صلاح دنياه ، فقد أحسن صلته ، وأدّى واجب

(١) البيان والتبيين : « فائتا » . (٢) البيان : « تردوا » .

(٣) ط : « ساواني » . البيان : « إن يده مع يدي ، ولحمي الذين يلونني » .

(٤) البيان والتبيين ٢ : ١٢١ . (٥) ط : « نذكره » .

حقه ؛ فاتقوا الله ، فإنها نصيحة لكم في دينكم ، فاقبلوها ، وموعظة منجية في العواقب فالزموها . الرزق مقسوم فلن يغدر المؤمن ما قسم له ، فأجملوا في الطلب ، فإن في القنوع سعة وبلغة وكفافاً ، إن أجل الدنيا في أعناقكم ، وجهم أمامكم ، وما ترون ذاهب ، وما مضى فكأن لم يكن ، وكل أموات عن قريب ، وقد رأيتم حالات الميت وهو يسوق ؛ وبعد فراغه وقد ذاق الموت ، والقوم حوله يقولون : قد فرغ رحمه الله ! وعايتم تعجيل إخراجهم ، وقسمة تراثه ووجهه مفقود ، وذكره منسى ، وبابه مهجور ، وكأن لم يخاطب إخوان الحفاظ ، ولم يعمر الديار ، فاتقوا هول يوم لا تحسفر فيه مثقال ذرة في الموازين .

روى سهل بن محمود ؛ قال : حدثنا حرملة بن عبد العزيز ، قال : حدثني أبي ، عن ابن لعمر بن عبد العزيز ، قال : أمرنا عمر أن نشترى موضع قبره ، فاشتريناه من الراهب ، قال : فقال بعض الشعراء (١) :

١٣٧١/٢

أقولُ لما نعى النَّاعُونَ لى عمراً لا يبعَدَنَّ قِوَامُ العَدْلِ والِدَيْنِ
فَدَخَاذِرَ القَوْمِ باللحد الذى لحدوا بِدَيْرِ سَمْعَانَ قسطاسِ الموازينِ

روى عبد الرحمن بن مهدي ، عن سفيان ، قال : قال عمر بن عبد العزيز : من عمل على غير علم كان ما يفسد أكثر مما يصلح ، ومن لم يعد كلامه من عمله كثرت ذنوبه ، والرضا قليل ، ومُعَمَّوَلُ المؤمن الصبر ، وما أنعم الله على عبد نعمة ثم انتزعها منه فأعاضه مما انتزع منه الصبر إلا كان ما أعاضه خيراً مما انتزع منه ، ثم قرأ هذه الآية : ﴿ إِنَّمَا يُوفَى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ (٢) .

وقدم كتابه على عبد الرحمن بن نعيم :

لا تهلموا كنيسة ولا بيعة ولا بيت نار صلحتم عليه ، ولا تُحدِثَنَّ كنيسة ولا بيت نار ، ولا تجرّ الشاة إلى مذبحها ، ولا تحدوا الشفرة على رأس الذبيحة ، ولا تجمعوا بين الصلاتين إلا من عذر .

١٣٧٢/٢

روى عقان بن مسلم ، عن عثمان بن عبد الحميد ، قال : حدثنا أبي ،

(١) ابن الأثير : « يقال كثير عزة » . وهما من ثلاثة أبيات في الكامل ٢ : ٢٧٧ من غير نسبة .

(٢) سورة الزمر : ١٠ .

قال : بلغنا أن فاطمة امرأة عمر بن عبد العزيز قالت : اشتدّ علّزُهُ (١) ليلة .
فسهر وسهرنا معه ، فلما أصبحنا أمرت وصيفاً له يقال له مرثد ، فقلتُ له :
يا مرثد ، كن عند أمير المؤمنين ، فإن كانت له حاجة كنت قريباً منه . ثم
انطلقنا فضر بنا برعوسنا لطول سهرنا ، فلما انفتح النهار استيقظت فتوجهت إليه ،
فوجدت مرثداً خارجاً من البيت نائماً ، فأيقظته فقالت : يا مرثد . ما أخرجك ؟
قال : هو أخرجني ، قال : يا مرثد ؛ اخرج عني ! فوالله إني لأرى شيئاً ما هو
بالإنس ولا جان ، فخرجت فسمعت يتلو هذه الآية : ﴿ تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ
نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ
لِلْمُتَّقِينَ ﴾ (٢) ، قال : فدخلت عليه فوجدته قد وجه نفسه ، وأغمض عينيه ،
ولأنه لميت . رحمه الله (٣) .

(١) في اللسان : « العلز : شبه رعدة تأخذ المريض أو الحريص على الشيء ، كأنه لا يستقر

(٢) سورة القصص : ٨٣ .

(٣) في حاشية ب : « تم الفصل من الزيادة وعاد ترتيب أبي جعفر من ها هنا » .

خلافة يزيد بن عبد الملك بن مروان

وفيهما ولي يزيد بن عبد الملك بن مروان ، وكنيته أبو خالد ، وهو ابن تسع وعشرين سنة في قول هشام بن محمد ؛ ولما ولي الخلافة نزع عن المدينة أبا بكر ابن محمد بن عمرو بن حزم ، وولاهما عبد الرحمن بن الضحاك بن قيس الفهري ، فقدمها - فيما زعم الواقدي - يوم الأربعاء ليلال بقين من شهر رمضان فاستقضى عبد الرحمن سلمة بن عبد الله بن عبد الأسد الخزوي

١٣٧٣/٢

وذكر محمد بن عمر أن عبد الجبار بن عمارة حدثه عن أبي بكر بن حزم ، أنه قال : لما قدم عبد الرحمن بن الضحاك المدينة وعزلي ، دخلت عليه ، فسلمت فلم يقبل علي ، فقلت : هذا شيء لا تملكه قريش للأنصار^(١) ، فرجعت إلى منزلي وخفتة - وكان شاباً مقداماً - فإذا هو يبلغني عنه أنه يقول : ما يمنع ابن حزم أن يأتيي إلا الكيبر ، وإني لعالم بخيائته ؛ فجاءني ما كنت أحذر وما أستيقن من كلامه ، فقلت للذي جاءني بهذا : قل له : ما الحياة لي بعادة ، وما أحب أهلها ، والأمير يحدث نفسه بالخلود في سلطانه ، كم نزل هذه الدار من أمير وخليفة قبل الأمير فخرجوا منها وبقيت آثارهم أحاديث إن خيراً فخييراً وإن شراً فشرّاً ! فاتق الله ولا تسمع قول ظالم أو حاسد على نعمة .

فلم يزل الأمر يترق بينهما ، حتى خاصم إليه رجل من بني فيهر وأخر من بني النجار - وكان أبو بكر قضى للنجاري على الفهري في أرض كانت بينهما نصفين ، فدفع أبو بكر الأرض إلى النجاري - فأرسل الفهري إلى النجاري وإلى أبي بكر بن حزم ، فأحضرهما ابن الضحاك ، فتظلم الفهري من أبي بكر بن حزم ، وقال : أخرج مالي من يدي ، فدفعه إلى هذا النجاري ، فقال أبو بكر : اللهم غمراً ! أما رأيتني سألت أياماً في أمرك وأمر صاحبك ، فاجتمع لي على إخراجها من يدك ، وأرسلتك^(٢) إلى من أفتاني بذلك : سعيد بن المسيب وأبي بكر ابن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام ، فسألتهما ؟ فقال الفهري : بلتي ،

١٣٧٤/٢

(١) كذا في ب ، وفي ط : « الأنصار » .

(٢) ب : « فأرسلك » .

وليس يلزمى قولهما . فانكسر ابن الضحاك فقال : قوموا ، فقاموا ، فقال للفهرى :
تقرّ له أنك سألت منّ أفناه بهذا ، ثم تقول رُدّها علىّ ! أنت أزعنّ ، اذهب
فلاحقّ لك ؛ فكان أبو بكر يتقيه ويخافه ، حتى كلم ابن حيان^(١) يزيد أن
يُقيده من أبي بكر ؛ فإنه ضربه حدّين ، فقال يزيد : لا أفعل ، رجل اصطنعه
أهل بيتي ؛ ولكني أولئك المدينة . قال : لا أريد ذلك ، لو ضربته بسلطاني
لم يكن لي قوّدأ . فكتب يزيد إلى عبد الرحمن بن الضحاك كتاباً :

أما بعد ، فانظر فيما ضرب ابن حزم ابن حيان ، فإن كان ضربه في أمر
بين فلا تلتفت إليه ، وإن كان ضربه في أمر يختلف فيه فلا تلتفت إليه ،
فإن كان ضربه في أمر غير ذلك فأقده منه .

فقدم بالكتاب على عبد الرحمن بن الضحاك ، فقال عبد الرحمن : ١٣٧٥/٢
ما جئت بشيء ، أترى ابن حزم ضربك في أمر لا يختلف فيه ! فقال
عثمان لعبد الرحمن : إن أردت أن تحسن أحسنت ، قال : الآن أصبت
المطلب ، فأرسل عبد الرحمن إلى ابن حزم فضربه حدّين في مقام واحد ، ولم
يسأله عن شيء . فرجع أبو المغراء^(٢) بن حيان وهو يقول : أنا أبو المغراء بن
الحيان ، والله ما قربت النساء من يوم صنع بي ابن أبي حزم ما صنع حتى يوي
هذا ، واليوم أقرب النساء !

* * *

[مقتل شوذب الخارجي]

قال أبو جعفر : وفي هذه السنة قُتِل شوذب الخارجي .

* ذكر الخبر عن مقتله :

قد ذكرنا قبل الخبر عمّا كان من مراسلة شوذب عمر بن عبد العزيز
لمناظرته في خلافه عليه ، فلما مات عمر أحبّ - فيما ذكر معمر بن المنثني -
عبد الحميد بن عبد الرحمن أن يحطّي عند يزيد بن عبد الملك ، فكتب إلى

(٢) ط : « المغزا » .

(١) هو عثمان بن حيان المريّ

محمد بن جرير يأمره بمحاربة^(١) شوذب وأصحابه ، ولم يرجع رسولا شوذب ، ولم يعلم بموت عمر ، فلما رأوا محمد بن جرير يستعد للحرب : أرسل إليه شوذب : ما أعجلك^(٢) قبل انقضاء المدة فيما بيننا وبينكم ! أليس قد تواعدنا إلى أن يرجع رسولا شوذب ! فأرسل إليهم محمد : إنه لا يسعنا ترككم على هذه الحالة - قال غير أبي عبيدة : فقالت الخوارج : ما فعل هؤلاء هذا^(٣) إلا وقد مات الرجل الصالح .

قال معمر بن المثنى : فبرز لهم شوذب ، فاقتتلوا ، فأصيب من الخوارج نفر ، وأكثروا في أهل القبلة القتل ، وتولوا منهزمين . والخوارج في أعقابهم تقتل حتى بلغوا أخصاص الكوفة ، ولبثوا إلى عبد الحميد ، وجرح محمد بن جرير في استه ، ورجع شوذب إلى موضع فأقام ينتظر صاحبيه ، فجاءه فأخبراه بما صار عليه عمر ، وأن قد مات . فأقر يزيد عبد الحميد على الكوفة ، ووجه من قبيلة تميم بن الحباب في ألفين ، فراسلهم وأخبرهم أن يزيد لا يفارقهم على ما فارقهم عليه عمر ، فلعنوه ولعنوا يزيد ، فحاربهم فقتلوه وهزموا أصحابه ، فلجأ بعضهم إلى الكوفة ورجع الآخرون إلى يزيد ، فوجه إليهم نـسـجـدة بن الحكم الأزدي في جمع فقتلوه ، وهزموا أصحابه ، فوجه إليهم الشحاج بن وداع في ألفين ، فراسلهم وراسلوه ، فقتلوه ، وقتل منهم نفراً فيهم هندبة اليشكري ، ابن عم بسطام - وكان عابداً - وفيهم أبو شبيب مقاتل ابن شيبان - وكان فاضلاً عندهم - فقال أبو ثعلبة أيوب بن خولى يرثيهم :

تَرَكَنا تَمِيمًا فِي الْغُبَارِ مُلْحَبًا تَبَكَّى عَلَيْهِ عِرْسُهُ وَقَرَائِبُهُ
وَقَدْ أَسْلَمَتْ قَيْسُ تَمِيمًا وَمَالِكًا كَمَا أَسْلَمَ الشَّحَّاجَ أَمْسِ أَقَارِبُهُ
وَأَقْبَلَ مِنْ حَرَّانَ يَحْمِلُ رَايَةَ يَغَالِبُ أَمْرَ اللَّهِ وَاللَّهُ غَالِبُهُ
فِيَاهُذِبَ لِلهَيْجَا ، وَيَاهُذِبَ لِلندَى ، وَيَاهُذِبَ لِلخَضِيمِ الْأَكْدِّ يُحَارِبُهُ !
وَيَاهُذِبَ كَمَنْ مُلْحَمٌ قَدْ أَجَبْتَهُ^(٥) وَقَدْ أَسْلَمْتَهُ لِلرَّمَّاحِ جَوَالِبُهُ

(١) ابن الأثير : « بمناجزة » . (٢) اب : « ما أعجلكم » . (٣) ر : « ما فعلوا » .

(٤) ط : « صادراً » . ب : « صارا » . (٥) ابن الأثير : « كم من ملجم » .

وكان أبو شيبانَ خيرَ مُقاتِلٍ يُرَجَى وَيَخْشَى بِأَسْهُ من يَحَارِبُهُ
فَفَازَ وِلايَ اللهِ بِالْخَيْرِ كُلِّهِ وَخَدَّمَهُ بِالسَّيْفِ فِي اللهِ ضَارِبُهُ
تَزَوَّدَ مِنْ دُنْيَاهُ دِرْعًا وَمِغْفَرًا وَعَضْبًا حُسَامًا لَمْ تَخُنْهُ مَضَارِبُهُ
وَأَجْرَدَ مَحْبُوكَ السَّرَاةِ كَأَنَّهُ إِذَا انْقَضَ وَافِي الرِّيشِ حُجْنٌ مَخَالِبُهُ

١٣٧٨/٢

فلما دخل مسلمة الكوفة شكَا إليه أهلُها مكانَ شوذب ، وخوفهم منه
وما قد قتل منهم ، فدعا مسلمة سعيد بن عمرو الخرشى - وكان فارساً - فعقد
له على عشرة آلاف ، ووجهه إليه (١) وهو مقيم بموضعه ، فأناه ما لا طاقة له به .
فقال شوذب لأصحابه : مَنْ كان يريد الله فقد جاءته الشهادة ، ومن كان
إنما خرج للدنيا فقد ذهبت الدنيا ، وإنما البقاء في الدار الآخرة ؛ فكسروا
أعماد السيوف (٢) وحملوا ، فكشفوا سعيداً وأصحابه مراراً ؛ حتى خاف الفضيحة
فدمر أصحابه ، وقال لهم : أَمِنْ هذه الشرذمة لا أبالكم تفرون ! يا أهل
الشأم يوماً كأيامكم !

قال : حملوا عليهم ، فطحنوهم (٣) طحناً لم يقوامهم أحداً ، وقتلوا بسطاماً
وهو شوذب وفرسانه ، منهم الريان بن عبد الله اليشكري ، وكان من المحبتين (٤) ،
فقال أخوه شمر بن عبد الله يرثيه :

وَلَقَدْ فَجَعْتُ بِسَادَةِ وَفَوَارِسِ
إِعْتَاقَهُمْ رَبِّبُ الزَّمَانِ فَغَالَهُمْ
كَمِيدًا تَجَلْجَلُ فِي فَوَادِي حَسْرَةٍ
وَفَوَارِسِ بَاعُوا الْإِلَهَ نَفُوسَهُمْ
وقال حسان بن جعدة يرثيهم :

يَا عَيْنُ أَدْرِي دُمُوعًا مِنْكَ تَسْجَامًا
فَلَنْ تَرَى أَبَدًا مَا عِشْتَ مِثْلَهُمْ
وَأَبِكِي صَحَابَةَ بِسْطَامٍ وَبِسْطَامَا
أَتَقَى وَأَكْمَلَ فِي الْأَحْلَامِ أَحْلَامَا

(٢) ب : « سيوفهم » .

(٤) ط : « المحبتين » . وأخبت إلى ربه ،

(١) س : « إليهم » .

(٣) ط : « فطحنهم » ، وما أثبتته من ب .

أى الظمان .

بِسَبَبِهِمْ قَدْ تَأَسَّوْا عِنْدَ شِدَّتِهِمْ . ١٣٧٩/٢
 وَلَمْ يُرِيدُوا عَنِ الْأَعْدَاءِ إِحْجَامًا
 حَتَّى مَضَوْا لِلَّذِي كَانُوا لَهُ خَرَجُوا
 فَأُورْثُونَا مَنَارَاتٍ وَأَعْلَامًا
 إِنِّي لَا أَعْلَمُ أَنْ قَدْ أَنْزَلُوا غُرْفًا
 مِنَ الْجَنَانِ وَنَالُوا ثُمَّ خُدَّامًا
 أَسْقَى الْإِلَهَ بِإِلَادَا كَانَ مَضْرَعُهُمْ
 فِيهَا سَحَابًا مِنَ الْوَسْمِيِّ سَجَامًا

* * *

[خبر خلع يزيد بن المهلب بن عبد الملك]

قال أبو جعفر : وفي هذه السنة لحق يزيد بن المهلب بالبصرة ، فغلب عليها ، وأخذ عامل يزيد بن عبد الملك عليها عدى بن أرتاة الفزاري ، فحبسه وخلع يزيد بن عبد الملك .

* ذكر الخبر عن سبب خلعه يزيد بن عبد الملك وما كان من أمره وأمر يزيد في هذه السنة :

قد مضى ذكرى خبر هرب يزيد بن المهلب من محبسه الذي كان عمر بن عبد العزيز حبسه فيه ، ونذكر الآن ما كان من صنيعه بعد هربه في هذه السنة — أعني سنة إحدى ومائة .

ولما مات عمر بن عبد العزيز بويع يزيد بن عبد الملك في اليوم الذي مات فيه عمر ، وبلغه هرب يزيد بن المهلب ، فكتب إلى عبد الحميد بن عبد الرحمن يأمره أن يطلبه ويستقبله ، وكتب إلى عدى بن أرتاة يعلمه هربه ، ويأمره أن يتهيأ لاستقباله ، وأن يأخذ من كان بالبصرة من أهل بيته .

فذكر هشام بن محمد ، عن أبي مخنف ، أن عدى بن أرتاة أخذهم وحبسهم ، وفيهم الفضل وحبيب مروان بن المهلب ، وأقبل يزيد بن المهلب حتى مر بسعيد بن عبد الملك بن مروان ، فقال يزيد لأصحابه : ألا نعرض لهذا فتأخذه فنذهب به معنا ! فقال أصحابه : لا بل امض بنا ودعه . وأقبل يسير حتى ارتفع فوق القسطنطانية ، وبعث عبد الحميد بن عبد الرحمن هشام ابن مساحق بن عبد الله بن مخزومة بن عبد العزيز بن أبي قيس بن عبدود بن

نصر بن مالك بن حيسل بن عامر بن لؤي القرشي، في ناس من أهل الكوفة من الشرط ووجوه الناس وأهل القوة، فقال له: انطلق حتى تستقبله فإنه اليوم يمر بجانب العديب. فشى هشام قليلا، ثم رجع إلى عبد الحميد، فقال: أجيئك به أسيراً أم آتيك برأسه؟ فقال: أي ذلك ما شئت، فكان يعجب لقوله ذلك من سمعه، وجاء هشام حتى نزل العديب، ومرت يزيد منهم غير بعيد، فاتقوا الإقدام عليه، ومضى يزيد نحو البصرة، ففيه يقول الشاعر:

وسارَ ابنُ المهلبِ لم يُعْرَجْ وَعَرَسَ ذُو القَطِيفَةِ من كِنَانِهِ
وَيَاسِرَ والتِّيَاسِرُ كانَ حَزْماً ولم يَقْرَبْ قُصُورَ القُطَطَانَةِ

ذو القطفية هو محمد بن عمرو^(١)، وهو أبو قطفية بن الوليد بن عتبة بن أبي معيط، وهو أبو قطفية؛ وإنما سمي ذا القطفية، لأنه كان كثير شعر اللحية والوجه والصدر. ومحمد يقال له ذو الشامة.

١٣٨١/٢

فلما جاء يزيد بن المهلب انصرف هشام بن مساحق إلى عبد الحميد، ومضى يزيد إلى البصرة، وقد جمع عدى بن أرطاة إليه أهل البصرة وخذق عليها، وبعث على خيل البصرة المغيرة بن عبد الله بن أبي عقيل الثقفي. وكان عدى بن أرطاة رجلاً من بني فزارة. وقال عبد الملك بن المهلب لعدى بن أرطاة: خذ ابني حميداً فاحبسه مكاني، وأنا أضمن لك أن أردت يزيد عن البصرة حتى يأتي فارس، ويطلب لنفسه الأمان^(٢) ولا يقربك^(٣) فأبى عليه، وجاء يزيد ومعه أصحابه^(٤) الذين أقبل فيهم^(٥)، والبصرة محفوفة بالرجال، وقد جمع محمد بن المهلب— ولم يكن ممن حبس— رجالاً وفتية من أهل بيته وناساً من مواليه، فخرج حتى استقبله، فأقبل في كتيبة تهول من رآها، وقد دعا عدى أهل البصرة، فبعث على كل خمسين من أحماسها رجلاً، فبعث على خمسين الأزدي المغيرة بن زياد بن عمرو العتكي، وبعث على خمسين بني تميم محرز بن حمران السعدي من بني منقر، وعلى خمسين بكر بن وائل عمران بن عامر

(١) وهو، أي عمرو، وفي ط: « وأبو قطفية »، وهو خطأ.

(٢) ب: « الأمان لنفسه ».

(٣) ب: « ولا يفرك ».

(٤) س: « وجاء يزيد وأصحابه ».

(٥) س: « هم ».

ابن مسمع من بنى قيس بن ثعلبة. فقال أبو منقر - رجل من قيس بن ثعلبة - :
 إن الراية لا تصلح إلا في بنى مالك بن مسمع ، فدعا عدى نوح بن شيبان
 ابن مالك بن مسمع ، فعقد له على بكر بن وائل ، ودعا مالك بن المنذر بن
 الجارود ، فعقد له على عبد القيس ، ودعا عبد الأعلى بن عبد الله بن عامر
 القرشي ، فعقد له على أهل العالية - والعالية قريش وكنانة والأزد وبجيلة وخنثم
 وقيس عيّلان كلها ومزينة - وأهل العالية بالكوفة يقال لهم ربّع أهل المدينة
 وبالْبصرة^(١) خمس أهل العالية ، وكانوا بالكوفة أحماسًا ، فجعلهم زياد بن
 عبيد أرباعًا .

١٣٨٢/٢

قال هشام عن أبي مخنف : وأقبل يزيد بن المهلب لا يمرّ بخيل من خيلهم
 ولا قبيلة من قبائلهم إلا تنحّوا له عن السبيل^(٢) حتى يمضى ، واستقبله المغيرة
 ابن عبد الله الثقفي في الخيل ، فحمل عليه محمد بن المهلب في الخيل ، فأفرج
 له عن الطريق هو وأصحابه ، وأقبل يزيد حتى نزل داره ، واختلف^(٣) الناس
 إليه ، وأخذ يبعث إلى عدى بن أوطاة أن ادفع^(٤) إلى إخوتي وأنا أصالحك
 على البصرة ، وأخلك وإياها حتى آخذ لنفسى ما أحبّ من يزيد بن عبد الملك ،
 فلم يقبل منه ، وخرج^(٥) إلى يزيد بن عبد الملك حمّيد بن عبد الملك بن
 المهلب ، فبعث معه يزيد بن عبد الملك خالد بن عبد الله القسريّ وعمر بن
 يزيد^(٦) الحكميّ بأمان يزيد بن المهلب وأهل بيته ، وأخذ يزيد بن المهلب
 يعطى من أتاه من الناس ، فكان يقطع لهم قطع الذهب وقطع الفضة ، قال
 الناس إليه ، ولحق به عمران بن عامر بن مسمع ساخطًا على عدى بن أوطاة
 حين نزع منه رايته ، راية بكر بن وائل ، وأعطاه ابن عمه ، ومالت إلى يزيد
 ربيعة وبقية تميم وقيس وناس بعد ناس^(٧) ؛ فيهم عبد الملك ومالك ابنا مسمع
 ومعه ناس من أهل الشام ، وكان عدى لا يعطى إلا درهمين درهمين ، ويقول :

١٣٨٣/٢

(٢) ابن الأثير : « عن طريقه » .

(٤) ب وابن الأثير : « أن أبعث » .

(٦) ب : « زيد » .

(١) س : « والبصرة » .

(٣) ابن الأثير : « فاختلف » .

(٥) ب : « فسار » .

(٨) ب : « من الناس » .

لا يحلّ لي أن أعطيكم من بيت المال درهمًا إلا بأمر يزيد بن عبد الملك ،
ولكن تبلّغوا بهذا^(١) حتى يأتي الأمر في ذلك^(٢) . فقال الفرزدق في ذلك :

أظنُّ رجالَ الدرهمينِ يسوِّفُهُمُ إلى الموتِ آجالٌ لهمُ ومصارِعُ^(٣)
فأحزَمُهُمُ من كان في قعرِ بيتهِ^(٤) وأيقنَ أنَّ الأمرَ لا شكَّ واقعُ^(٥)

وخرجت بنو عمرو بن تميم من أصحاب عدى ، فترلوا الميربد ، فبعث
إليهم يزيد بن المهلب مولى له يقال له دارس ؛ فحمل عليهم فهزمهم ، فقال
الفرزدق في ذلك :

تفرقتِ الحمراءُ إذ صاحَ دارسٌ ولم يصبروا تحتَ السُّيوفِ الصَّوارِمِ^(٦)
جزى اللهُ قيساً عن عدى ملامةً ألا صبروا حتى تكونَ ملاحِمُ

وخرج يزيد بن المهلب حين اجتمع له الناس . حتى نزل جبانة بني يشكر
— وهو المنصف^(٧) فيما بينه وبين القصر — وجاءته بنو تميم وقيس^(٨) وأهل الشام ،
فاقتتلوا هنيئةً ، فحمل عليهم محمد بن المهلب ؛ فضرب مسور بن عباد
الحبطي بالسيف فقطع أنف البيضة ، ثم أسرع السيف إلى أنفه^(٩) ، وحمل
على هريم بن أبي طلحة من بني نهشل بن دارم . فأخذ بمنطقته ، فحذفه عن
فرسه^(١٠) ؛ فوقع فيما بينه وبين الفرس ، وقال : هيهات هيهات ! عمك أثقل من
ذلك . وانهمزوا ، وأقبل يزيد بن المهلب إثر القوم يتلوهم حتى دنا من القصر ،

(١) ابن الأثير : « بهذه » . (٢) ب : « بذلك » .

(٣) ديوانه ٥١٦ ، وروايته : « إلى قدر آجالهم » .

(٤) الديوان : « من قرَّ في قعر بيته » .

(٥) الديوان : « وأيقن أن العزم لا بد واقع » .

(٦) ديوانه ٧٧٨ ، والر رواية فيه :

تصدَّعتِ الجعراءُ إذ صاحَ دارسٌ ولم يصبروا عندَ السُّيوفِ الصَّوارِمِ

جزى اللهُ قيساً عن عدى ملامةً وخصَّ بها الأدنينَ أهلَ الملامِ

همُّ قتلوا مولاهم وأميرهم ولم يصبروا للموتِ عندَ الملاحِمِ

(٧) ابن الأثير : « النصف » . (٨) ابن الأثير : « فلقية قيس وقيم » .

(٩) ب : « في أنفه » . (١٠) حذفه عن فرسه ، أى رماه عنه .

فقاتلوهم وخرج إليه عدىّ بنفسه فقتل من أصحابه الحارث بن مصرف الأودى - وكان من أشرف أهل الشام وفرسان الحجاج - وقتل موسى بن الوجيه الحميرى ثم الكتلاعى ، وقتل راشد المؤذن ، وانهزم أصحاب عدىّ ، وسمع إخوة يزيد وهم في محبس عدىّ الأصوات تدنو ، والنشاب تقع في القصر ، فقال لهم عبد الملك : إني أرى النشاب تقع في القصر ، وأرى الأصوات تدنو ، ولا أرى يزيد إلا قد ظهر ، وإني لا آمن من مع عدىّ من مضر ومن أهل الشام أن يأتونا فيقتلونا قبل أن يصل إلينا يزيد إلى الدار ، فأغلقوا الباب ثم ألقوا عليه ثياباً . ففعلوا فلم يلبثوا إلا ساعة حتى جاءهم عبد الله بن دينار مولى ابن عمر^(١) ، وكان على حرس عدىّ - فجاء يشتد إلى الباب هو وأصحابه ، وقد وضع بنو المهلب متاعاً على الباب ، ثم اتكوا عليه ، فأخذ الآخرون يعالجون الباب ، فلم يستطيعوا الدخول ، وأعجلهم الناس فخلّوا عنهم .

١٣٨٥/٢

وجاء يزيد بن المهلب حتى نزل دار سلم بن زياد بن أبي سفيان إلى^(٢) جانب القصر^(٣) ، وأتى بالسلالم ، فلم يلبث عثمان أن فتح القصر ، وأتى بعدىّ ابن أرطاة ، فجىء به وهو يتبسّم ، فقال له يزيد : لم تضحك ؟ فوالله إنه ليسبغني أن يمنعك من الضحك خصلتان : إحداهما الفرار من القتل الكريمة حتى أعطيت يديك إعطاء المرأة بيدها ، فهذه واحدة ، والأخرى أني أتيت بك تُنكَلُ كما يتل^(٤) العبد الآبق إلى أربابه ، وليس معك مني عهد ولا عتق ، فما يؤمنك أن أضرب عنقك ! فقال عدىّ : أما أنت فقد قدّرت على ، ولكني أعلم أن بقائي بقاؤك ، وأن هلاكى مطلوب به من جرته يده ؛ إنك قدرأيت جنود الله بالمغرب ، وعلمت بلاء الله عندهم في كل موطن من موطن الغدر والنكث ، فتدارك فلستتتك وزلتك بالتوبة واستقالة العثرة ، قبل أن يرمى إليك البحر بأواجه ، فإن طلبت الاستقالة حينئذ لم تُفعل ، وإن أردت الصلح وقد أشخصت القوم إليك وجدتهم لك مباعدين ، وما لم يشخص القوم إليك فلم

(١) ط : « عامر » ، وانظر الفهرس .

(٢) ط : « سالم » ، وانظر الفهرس .

(٣) ب وابن الأثير : « إلى جنب » .

(٤) يتل ، أى يقاد .

يمنعوك شيئاً طلبت فيه الأمان على نفسك وأهلك ومالك .

١٣٨٦/٢

فقال له يزيد : أما قولك : إن بقاءك بقاى ؛ فلا أبقانى الله حسوة طائر مذعور إن كنت لا يبقينى إلا بقاءك ؛ وأما قولك : إن هلاكك مطلوب به من جرته يده ؛ فوالله لو كان فى يدي من أهل الشام عشرة آلاف إنسان ليس فيهم (١) رجل إلا أعظم منزلة منك فيهم ، ثم ضربت أعناقهم فى صعيد واحد ، لكان فراق إياهم وخلاف عليهم أهول عندهم وأعظم فى صدورهم من قتل أولئك ، ثم لوشئت أن تهدر لى دماؤهم ، وأن أحكم فى بيوت أموالهم ، وأن يجوزوا لى عظيماً من سلطانهم ، على أن أضع الحرب فيما بينى وبينهم لفعلوا ؛ فلا يخفين عليك أن القوم ناسوك لو قد وقعت أخبارنا إليهم ، وأن أعمالهم وكيدهم لا يكون إلا لأنفسهم ، لا يذكرنك ولا يحلفون بك . وأما قولك : تدارك أمرك واستقله وافعل وافعل ؛ فوالله ما استشرتك ، ولا أنت عندي بواد ولا نصيح ؛ فما كان ذلك منك إلا عجزاً وفضلاً ؛ انطلقوا به ، فلما ذهبوا به ساعة قال : ردوه ، فلما رد قال : أما إن حبسى إياك ليس إلا لحبسك بنى المهلب وتضييقك عليهم فيما كنا نسألك التسهيل فيه عليهم ، فلم تكن تألوما عسرت وضيقت وخالفت ؛ فكأنه لهذا القول حين سمعه أمين على نفسه ، وأخذ عدى يحدث به كل من دخل عليه .

١٣٨٧/٢

وكان رجل يقال له السميدع الكندي من بنى مالك بن ربيعة من ساكنى عُمان يرى رأى الخوارج ، وكان خرج وأصحاب يزيد وأصحاب عدى مصطفون فاعتزل ومعه ناس من القراء ، فقال طائفة من أصحاب يزيد وطائفة من أصحاب عدى : قد رضينا بحكم السميدع . ثم إن يزيد بعث إلى السميدع فدعاه إلى نفسه ، فأجابته ، فاستعملوا يزيد على الأبلّة ، فأقبل على الطيب والتخلّق والنعيم ، فلما ظهر يزيد بن المهلب هرب رهوس أهل البصرة من قيس وتميم ومالك بن المنذر ، فلحقوا بعبد الحميد بن عبد الرحمن بالكوفة ، ولحق بعضهم بالشام ، فقال الفرزدق :

فدائه لِقَوْمٍ مِنْ تَمِيمٍ تَتَابَعُوا
أَحْكُمُ حَرُورِيٍّ مِنَ الدِّينِ مَارِقٍ
إلى الشَّامِ لِمَ يَرْضُوا بِحُكْمِ السَّمِيدِ (١)
أَضَلُّ وَأَغْوَى مِنْ حِمَارٍ مُجَدِّعٍ
فأجابه خليفةُ الأقطع .

وَمَا وَجَّهُوهَا نَحْوَهُ عَنْ وِفَادَةٍ
وَلَكِنَّهُمْ رَاحُوا إِلَيْهَا وَأَذَلَّجُوا
وَلَا نُهْزَةَ يُرْجَى بِهَا خَيْرٌ مَطْمَعٍ
بِأَقْرَعِ أَسْتَاهِ تَرَى يَوْمَ مَقْرَعٍ
وَهُمْ مِنْ حِذَارِ الْقَوْمِ أَنْ يَلْحَقُوا بِهِمْ
لَهُمْ نَزْلَةٌ فِي كُلِّ خَمْسٍ وَأَرْبَعٍ

وخرج الحواري^(٢) بن زياد بن عمرو العتكي يريد يزيد بن عبد الملك هارباً من يزيد بن المهلب ، فلقى خالد بن عبد الله القسري وعمرو بن يزيد الحكمي ومعهما حميد بن عبد الملك بن المهلب قد أقبلوا من عند يزيد بن عبد الملك بأمان يزيد بن المهلب ، وكل شيء أراه ، فاستقبلهما ، فسألاه عن الخبر ، فخلا بهما حين رأى معهما حميد بن عبد الملك ، فقال : أين تريدان ؟ فقالا : يزيد بن المهلب ، قد جئناه بكل شيء أراه ، فقال : ما تصنعان بيزيد شيئاً ، ولا يصنعه بكما ؛ قد ظهر على عدوه عدى بن أرتاة ، وقتل القتلى وحبس عدياً ، فارجعا أيها الرجلان . ويمرّ رجل من باهلة يقال له مسلم بن عبد الملك ، فلم يقف عليهما ، فصابحاه وسألاه ، فلم يقف عليهما ، فقال القسري : ألا تراه فتجلده مائة جلدة ! فقال له صاحبه : غرّبه عنك ، وأملاً لينصرف .

١٣٨٨/٢

ومضى الحواري بن زياد إلى يزيد بن عبد الملك ، وأقبلا بحميد بن عبد الملك معهما ، فقال لهما حميد : أنشدكما الله أن تخالفا أمر يزيد ما بُعثتما به ! فإن يزيد قابل منكما ؛ وإن هذا وأهل بيته لم يزالوا لنا أعداء ، فأنشدكما الله أن تقبلا مقاتلته ؛ فلم يقبلا قوله ، وأقبلا به حتى دفعاه إلى عبد الرحمن بن سليم^(٣) الكلبي . وقد كان يزيد بن عبد الملك بعثه إلى خراسان عاملاً عليها . فلما بلغه خلع يزيد بن عبد الملك كتب إليه : إن جهاد من خالفك أحب إلى

(١) ديوانه ٥٠٨ ، وفيه : « فدى لرويس من تميم » .

(٢) ابن الأثير : « المغيرة » . (٣) ط : « سليمان » ، وانظر الفهرس .

من عملي على خراسان، فلاحاجة لي فيها ، فاجعلني ممن توجهني إلى يزيد بن المهلب ، وبعث بمحميد بن عبد الملك إلى يزيد ، ووثب عبد الحميد بن عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب على خالد بن يزيد بن المهلب ، وهو بالكوفة وعلى حمّال بن زحر الجعفي ، وليسا ممن كان ينطق بشيء إلا أنهم عرفوا ما كان بينه وبين بنى المهلب ، فأوثقهما وسرّحهما^(١) إلى يزيد بن عبد الملك ، فحبسهما جميعاً ، فلم يفارقوا السجن حتى هلكوا فيه . وبعث يزيد بن عبد الملك رجلاً من أهل الشام إلى الكوفة يسكتونهم ، ويثنون عليهم بطاعتهم ، ويمتدّونهم الزيادات منهم القسّاطي بن الحصين ، وهو أبو الشرقي ، واسم الشرقي الوليد ، وقد قال القسّاطي حين بلغه ما كان من يزيد بن المهلب :

لَعَلَّ عَيْنِي أَنْ تَرَى يَزِيدًا يَقُودُ جَيْشًا جَحْفَلًا شَدِيدًا
تَسْمَعُ لِلأَرْضِ بِهِ وَكَيْدًا لَا بَرَمًا هِدًا وَلَا حَسُودًا
وَلَا جَبَانًا فِي الوَغَى رِعْدِيدًا تَرَى ذَوِي النَّجَاحِ لَهُ سُجُودًا
مُكْفَّرِينَ خَاشِعِينَ قُودًا وَأَخْرِبِينَ رَحْبُوا وَفُودًا
لَا يَنْقُضُ العَهْدَ وَلَا المَعْهُودًا مِنْ نَفَرٍ كَانُوا هِجَانًا صِيدًا
تَرَى لَهُمْ فِي كُلِّ يَوْمٍ عِيدًا مِنَ الأَعَادِي جَزْرًا مَقْصُودًا

ثم إن القسّاطي سار بعد ذلك إلى العمقر حتى شهد قتال يزيد بن المهلب مع مسلمة بن عبد الملك ، فقال يزيد بن المهلب : ما أبعد شعر القسّاطي من فعله !

ثم إن يزيد بن عبد الملك بعث العباس بن الوليد في أربعة آلاف فارس ، جريدة خيل ، حتى وافقوا الحيرة يبادر إليها يزيد بن المهلب ، ثم أقبل بعد ذلك مسلمة بن عبد الملك وجنود أهل الشام ، وأخذ على الجزيرة وعلى شاطئ الفرات ، فاستوثق أهل البصرة ليزيد بن المهلب ، وبعث عماله على الأهواز وفارس وكيرمان ، عليها الجراح بن عبد الله الحكمي حتى انصرف إلى عمر بن

(١) ابن الأثير : « سيرهما » .

عبد العزيز ، وعبد الرحمن بن نعيم الأزدى فكانه على الصلاة . واستخلفه يزيد بن عبد الملك عبد الرحمن القشيري على الحجاج ، وجاء مدرك بن المهلب حتى انتهى إلى رأس المفازة ، فدرس عبد الرحمن بن نعيم إلى بني تميم أن هذا مدرك بن المهلب يريد أن يلتقي بينكم الحرب ، وأنتم في بلاد عافية وطاعة وعلى جماعة ، فخرجوا ليلا يستقبلونه ، وبلغ ذلك الأزد ، فخرج منهم نحو من ألبي فارس حتى لحقوهم قبل أن ينتهوا إلى رأس المفازة ، فقالوا لهم : ما جاء بكم؟ وما أخرجكم إلى هذا المكان؟ فاعتلوا عليهم بأشياء ، ولم يُقروا لهم أنهم خرجوا ليتلفوا مدرك بن المهلب ، فقال لهم الآخرون ، بل قد علمنا أن تخرجوا لتلحقوا صاحبنا ، وما هو ذا قريب ؟ فما شئتم .

ثم انطلقت الأزد حتى تلقوا مدرك بن المهلب على رأس المفازة ، فقالوا له : إنك أحب الناس إلينا ، وأعزهم علينا ، وقد خرج أخوك وناذره ، فإن يظهره الله فإنما ذلك لنا ، ونحن أسرع الناس إليكم أهل البيت وأحقه بذلك ؟ وإن تكن الأخرى فوالله مالك في أن يغشانا ما يعرنا فيه من البلاء راحة . فعزم له رأيه على الانصراف ، فقال ثابت قطننة ، وهو ثابت بن كعب ، من الأزد من العتيك :

١٣٩١/٢

ألم تر دوسراً منعت أخاها	وقد حشدت لتقتله تميم
رأوا من دونه الزرق العوالي	وحياً ما يباح لهم حريم
شئومتها وعمران بن حزم	هناك المجذ والحسب الصميم
فما حملوا ولكن نهنتهم	رماح الأزد والعز القديم
رددنا مدركاً بمرد صدق	وليس بوجه منكم كلوم
وحيل كالقдах مسومات	لدى أرض مغانيها الجميم
عليها كل أضيده دوسرى	عزيز لا يفر ولا يريم
هم تستعتب السفهاء حتى	تري السفهاء تردعها الحلوم

قال هشام : قال أبو مخنف : فحدثني معاذ بن سعد أن يزيد لما استجمع له البصرة ، قام فيهم فحمد الله وأثنى عليه ، ثم أخبرهم أنه يدعوهم إلى كتاب الله وسنة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم ، ويحث على الجهاد ، ويزعم أن جهاد أهل الشام أعظم ثواباً من جهاد الترك والديلم .

قال : فدخلت أنا والحسن البصرى وهو واضح يده على عاتقي ، وهو يقول : انظر هل ترى وجه رجل تعرفه ؟ قلت : لا والله ، ما أرى وجه رجل أعرفه ، قال : فهؤلاء والله الغنّاء^(١) ، قال : فضينا حتى دنونا من المنبر . قال : فسمعت يذکر كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم ، ثم رفع صوته^(٢) ، فقال : والله لقد رأيتك والياً ومولى^(٣) عليك ، فما ينبغي لك ذلك . قال : فوثبنا عليه ، فأخذنا بيده وفه وأجلسناه ؛ فوالله ما نشك أنه سمعه ؛ ولكنه لم يلتفت إليه ومضى في خطبته .

قال : ثم إنا خرجنا إلى باب المسجد ، فإذا على باب المسجد النضر بن أنس ابن مالك يقول : يا عباد الله ، ما تنعمون من أن تجيبوا إلى كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم ! فوالله ما رأينا ذلك ولا رأيناه منذ ولدتم إلا هذه الأيام من إمارة عمر بن عبد العزيز ، فقال الحسن : سبحان الله ! وهذا النضر بن أنس قد شهد أيضاً .

قال هشام : قال أبو مخنف : وحدثني المثني بن عبد الله أن الحسن البصرى مرّ على الناس وقد اصطفوا صفين ، وقد نصبوا الرايات والرماح ، وهم ينتظرون خروج يزيد ، وهم يقولون : يدعوننا يزيد إلى سنة العُمريين ، فقال الحسن : إنما كان يزيد بالأمس يضرب أعناق هؤلاء الذين ترون ، ثم يسرّح بها إلى بني مروان ، يريد بهلاك هؤلاء رضاهم . فلما غضب غضبة نصب قصباً ، ثم وضع عليها خيراً ، ثم قال : إني قد خالفتهم فخالقوهم . قال هؤلاء : نعم . وقال : إني أدعوكم إلى سنة العُمريين ، وإن من سنة العُمريين أن يوضع قيد في رجله ، ثم يردّ إلى محبس عمر الذي فيه حبسه ، فقال له ناس من أصحابه

(١) ط : « الأعتاء » ، والصواب ما في الأصول .

(٢) ابن الأثير : « وكان حسن البصرى يسمع ، فرفع رأسه » .

(٣) ط : « مولياً » تحريف .

من سمع قوله : والله لكأنك يا أبا سعيد راض عن أهل الشام ، فقال : أنا راض عن أهل الشام قبحهم الله وبرحهم ! أليس هم الذين أحلوا حرم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يقتلون أهله ثلاثة أيام^(١) وثلاث ليال ! قد أباحوهم^(٢) لأنباطهم وأقباطهم ، يحملون الحرائر ذوات الدّين ، لا يتناهون عن انتهاك حرمة . ثم خرجوا إلى بيت الله الحرام ، فهتدوا الكعبة ، وأوقدوا النيران بين أحجارها وأستارها ، عليهم لعنة الله وسوء الدار !

١٣٩٣/٢

قال : ثم إن يزيد خرج من البصرة ، واستعمل عليها مسرّوان بن المهلب ، وخرج معه بالسلاح وبيت المال ، فأقبل حتى نزل واسطاً ، وقد استشار أصحابه حين توجه نحو واسط ، فقال : هاتوا الرأى ، فإن أهل الشام قد نهضوا إليكم ، فقال له حبيب ، وقد أشار عليه غير حبيب أيضاً فقالوا : نرى أن تخرج وتزل بفارس ، فتأخذ بالشعاب وبالعقاب ، وتدنو من خراسان ، وتناول القوم ، فإن أهل الجبال ينفضون إليك وفي يدك الصّلاع والحصون . فقال : ليس هذا برأى ، ليس يوافقنى هذا ؛ إنما تريدون أن تجعلونى طائراً على رأس جبل . فقال له حبيب : فإن الرأى الذى كان ينبغي أن يكون فى أول الأمر قد فات ، قد أمرتك حيث ظهرت على البصرة أن توجه خيلاً عليها أهل بيتك حتى ترد الكوفة ، وإنما هو^(٣) عبد الحميد بن عبد الرحمن ، مرت به فى سبعين رجلاً فعجز عنك ؛ فهو عن خيلك أعجز فى العدة ، فنسبق إليها أهل الشام وعظماء أهلها يرون رأيك ، وأن تلى عليهم أحبّ إلى جلسهم من أن يلى عليهم أهل الشام ، فلم تطعنى ، وأنا أشير الآن برأى ؛ سرح مع أهل بيتك خيلاً من خيلك عظيمة فتأق الجزيرة ، وتبادر إليها حتى ينزلوا حصناً من حصونها^(٤) ، وتسير فى أثرهم ، فإذا أقبل أهل الشام يريدونك لم يدعوا جنداً من جنودك بالجزيرة ؛ ويقبلون إليك فيقيمون عليهم ، فكأنهم حابستهم عليك^(٥) حتى تأتيهم فيأتيك من الموصل من قومك ، وينفض إليك أهل العراق وأهل الثغور ، وتقاتلهم فى أرض ربيعة^(٦) السمر ، وقد جعلت العراق كله وراء ظهرك .

١٣٩٤/٢

- (١) ابن الأثير : « ثلاثاً » .
 (٢) ابن الأثير : « أباحوهم » .
 (٣) ابن الأثير : « بها » .
 (٤) ابن الأثير : « حصونهم » .
 (٥) ابن الأثير : « حابستهم عليك » .
 (٦) ابن الأثير : « ربيعة » . وفى ط :

« ربيعة » تحريف .

فقال : إني أكره أن أقطع جيشي وجندي . فلما نزل واسيطاً أقام بها أياماً يسيرة .

* * *

قال أبو جعفر : وحجّ بالناس في هذه السنة عبد الرحمن بن الضحّاك ابن قيس الفهريّ ، حدّثني بذلك أحمد بن ثابت ، عمّن ذكره ، عن إسحاق ابن عيسى ، عن أبي معشر . وكذلك قال محمد بن عمر .

وكان عبد الرحمن عامل يزيد بن عبد الملك على المدينة ، وعلى مكة عبد العزيز بن عبد الله بن خالد بن أسيد . وكان على الكوفة عبد الحميد ابن عبد الرحمن ، وعلى قضائها الشعبيّ ، وكانت البصرة قد غلب عليها يزيد ابن المهلب ، وكان على خراسان عبد الرحمن بن نعيم .

ثم دخلت سنة اثنتين ومائة

[ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث]

فمن ذلك ما كان فيها من مَسِير العباس بن الوليد بن عبد الملك ومسلمة ابن عبد الملك إلى يزيد بن المهلب بتوجيه يزيد بن عبد الملك إياهما لحربه .

١٣٩٥/٢

وفيهما قتل يزيد بن المهلب ، في صَفَر .

ذكر الخبر عن مقتل يزيد بن المهلب

ذكر هشام ، عن أبي مخنف : أن مُعَاذ بن سعيد حدثه أن يزيد بن المهلب استخلف على واسط حين أراد الشخصوص عنها للقاء مسلمة بن عبد الملك والعباس ابنة معاوية ، وجعل عنده بيت المال والخزائن والأسراء ، وقدّم بين يديه أخاه عبد الملك ، ثم سار حتى مرّ بفَمّ النيل^(١) ، ثم سار حتى نزل العَقْر . وأقبل مسلمة يسير على شاطئ الفرات حتى نزل الأنبار ، ثم عقد عليها الجسر . فعبر من قبَل قرية يقال لها فارط ، ثم أقبل حتى نزل على يزيد بن المهلب ، وقد قدّم يزيد أخاه نحو الكوفة ، فاستقبله العباس بن الوليد بسُوراً ، فاصطفقوا ، ثم اقتتل القوم ، فشدّ عليهم أهل البصرة شدة كشفوهم فيها ، وقد كان معهم ناس من بنى تميم وقيس ممن انهزم من يزيد بالبصرة ، فكانت لهم جماعة حسنة مع العباس ، فيهم هُرَيْم بن أبي طَحْمَةَ المجاشعي . فلما لنكشف أهل الشام تلك الانكشافات ، ناداهم هُرَيْم بن أبي طَحْمَةَ : يا أهل الشام ، الله الله أن تُسَلِمونا ! وقد اضطهرهم أصحاب عبد الملك إلى نَهْر^(٢) فأخذوا ينادونه : لا بأس عليك ؛ إن لأهل الشام جَوَلَةٌ في أول القتال ، أتاك الغوث .

١٣٩٦/٢

(١) ابن الأثير : « سار على فم النيل » .

(٢) ابن الأثير : « النهر » .

قال : ثم إنَّ أهل الشام كَرَّوا عليهم ، فكُشِف أصحاب عبد الملك وهزُموا ، وقَتِل المنتوف من بَكْر بن وائل ، مولى لهم ، فقال الفرزدق يحرِّض بكر بن وائل :

تُبَكِّي على المنتوفِ بكرُ بنُ وائلٍ وتَنهَى عن ابْنِي مِسمعٍ من بَكاهُمَا (١)
غلامينِ شَبَّابٍ في الحروبِ وأدركا كِرَامَ المساعِي قبلَ وصلِ لحاهُمَا (٢)
ولو كانَ حَيًّا مالِكُ وابنُ مالِكِ إذا أوقَدُوا نارينِ يعلو سَنَاهُمَا
وابنا مسمع : مالك وعبد الملك ابنا مسمع ، قتلهم معاوية بن يزيد بن المهلب فأجابه الجعدي بن درهم مولى من هَمْدان (٣) :

نُبكي على المنتوف في نصر قومِهِ ولَسنا نُبكي الشائدينِ أباهُمَا
أرادَ فِناءَ الحَيِّ بكرِ بنِ وائلٍ فعزَّ نعيم لو أصيبَ فِناهُمَا
فلا لقيًا روحاً منَ اللهِ ساعةً ولا رَقَاتٍ عينا شَجِي بَكاها
أفي الغِشِّ نُبكي إنْ بَكينا عليهما وقد لقيًا بالغِشِّ فينا رَداهُمَا ١٣٩٧/٢

وجاء عبد الملك بن المهلب حتى انتهى إلى أخيه بالعقر ، وأمر عبد الله ابن حيان العبدى ، فعبر إلى جانب الصِّرَّة الأقصى - وكان الجسر بينه وبينه - ونزل هو وعسكره وجمع من جموع يزيد ، وخذق عليه ، وقطع مسلمة إليهم الماء وسعيد بن عمرو الخرشبي ، ويقال : عبر إليهم الرضاح ، فكانوا يلزأتهم . وسقط إلى يزيد ناس من الكوفة (٤) كثير ، ومن الجبال ، وأقبل إليه ناس من الثغور ، فبعث على أرباع أهل الكوفة الذين خرجوا إليه ورُبِع أهل المدينة عبد الله بن سفيان بن يزيد بن المغفل الأزدي ، وبعث على ربع مذحج وأسد النعمان بن إبراهيم بن الأشتر النخعي ، وبعث على رُبِع كندة وربيعة محمد

(١) الكامل للمبرد : ٢١٩ : ٢٢٠ .

(٢) الكامل : « غلامان » ، وبعده في الكامل :

ولو قَتِلًا من جذمِ بكرِ بنِ وائلٍ لكانَ على الناعيِ شديدنا بَكاها

(٣) كذا في ط ، وفي ابن القيراني ٣١ : « والجعد بن درهم مولى سويد بن غفلة » .

(٤) ابن الأثير : « من أهل الكوفة » .

ابن إسحاق بن محمد بن الأشعث ، وبعث على ربيع تميم وهممدان حنظلة بن عتاب بن ورقاء التميمي ، وجمعهم جميعاً مع المفضل بن المهلب .

قال هشام بن محمد ، عن أبي مخنف : حدثني العلاء بن زهير ، قال : والله إنا لجلوس عند يزيد ذات يوم إذ قال : ترون أن في هذا العسكر ألف سيف يُضرب به ؟ قال حنظلة بن عتاب : إي والله وأربعة آلاف سيف ، قال : إنهم والله ما ضربوا ألف سيف قط ، والله لقد أحصى ديواني مائة وعشرين ألفاً ، والله لوددت أن مكانهم الساعة معي من بخراسان من قومي .

١٣٩٨/٢

قال هشام : قال أبو مخنف : ثم إنه قام ذات يوم فحرضنا ورغبنا في القتال ثم قال لنا فيما يقوله : إن هؤلاء القوم لن يردّهم عن غيبتهم إلا الطعن في عيونهم ، والضرب بالمشرفية على هامهم . ثم قال : إنه قد ذكر لي أن هذه الجراذه الصفراء - يعني مسلمة بن عبد الملك - وعافر ناقة ثمود ؛ يعني العباس ابن الوليد ، وكان العباس أزرق أحمر ، كانت أمه رومية - والله لقد كان سليمان أراد أن ينفيه حتى كلمته فيه فأقره على نسبه ؛ فبلغني أنه ليس همتها إلا التماسي في الأرض ، والله لو جاء أهل الأرض جميعاً وليس إلا أنا ، ما برحت العرصة حتى تكون لي أو لهم . قالوا : نخاف أن تعنينا كما عنانا عبد الرحمن ابن محمد ، قال : إن عبد الرحمن فضح الذمار ، وفضح حسبه ، وهل كان يعدو أجله ! ثم نزل .

قال : ودخل علينا عامر بن العَمَيْشَل - رجل من الأزد - قد جمع جمعاً فأناه فبايعه ؛ فكانت بسعة يزيد : تبايعون على كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم ، وعلى ألا تطأ الجنود بلادنا ولا يبيضتنا ، ولا يعاد علينا سيرة الفاسق الحجاج ، فمن بايعنا على ذلك قبلنا منه ، ومن أبي جاهدناه ، وجعلنا الله بيننا وبينه ، ثم يقول : تبايعونا ؟ فإذا قالوا : نعم ، بايعهم .

وكان عبد الحميد بن عبد الرحمن قد عسكر بالثخيلة ، وبعث إلى المياه فبثتها فيما بين الكوفة وبين يزيد بن المهلب ، لئلا يصل إلى الكوفة ، ووضع على الكوفة مناظر وأرصداً لتحبس أهل الكوفة عن الخروج إلى يزيد ، وبعث

١٣٩٩/٢

عبد الحميد بعثاً من الكوفة عليهم سيف بن هانيّ الهمدانيّ حتى قدموا على مسلمة ، فألطفهم مسلمة ، وأثنى عليهم بطاعتهم ، ثم قال : والله لقلّ ما جاءنا من أهل الكوفة . فبلغ ذلك عبد الحميد ، فبعث بعثاً هم أكثر من ذلك ، وبعث عليهم سبيرة بن عبد الرحمن بن مخنف الأزديّ ، فلما قدم أثني عليه ، وقال : هذا رجل لأهل بيته طاعة وبلاء ، ضمّوا إليه من كان ها هنا من أهل الكوفة . وبعث مسلمة إلى عبد الحميد بن عبد الرحمن فعزله ، وبعث محمد بن عمرو بن الوليد بن عقبة - وهو ذو الشامة - مكانه . فدعا يزيد بن المهلب رءوس أصحابه فقال لهم : قد رأيتُ أن أجمع اثني عشر ألف رجل ، فأبعثهم مع محمد ابن المهلب حتى يبيتوا مسلمة ويحملوا معهم البراذع والأكف والزبيل لدفن خندقهم ، فيقاتلهم على خندقهم وعسكرهم بقية ليلتهم . وأمدّه بالرجال حتى أصبح ، فإذا أصبحتُ نهضتُ إليهم أنا بالناس . ففناجزهم ، فإني أرجو عند ذلك أن ينصرنا الله عليهم .

قال السَّمِيدِع : إنا قد دعوناهم إلى كتاب الله وسنة نبيّه محمد صلى الله عليه وسلم ، وقد زعموا أنهم قابلوا هذا منا ، فليس لنا أن نمكر ولا نغدر ، ولا نريدهم بسوء حتى يردّوا علينا ما زعموا أنهم قابلوه منا .

قال أبو رؤبة - وكان رأس طائفة من المرجثة ، ومعه أصحاب له : ١٤٠٠/٢
صدّق ، هكذا ينبغي . قال يزيد : ويحكم ! أتصدّقون بني أمية ؟
أنهم يعملون بالكتاب والسنة ، وقد ضيّعوا ذلك منذ كانوا ! إنهم يقولون لكم : إنا نقبل منكم ، وهم يريدون ألاّ يعملوا بسلطانهم إلا ما تأمروناهم به ، وتدعونهم إليه ؛ لكنهم أرادوا أن يكفّوكم عنهم ؛ حتى يعملوا في المكر ، فلا يسبقوكم إلى تلك ، ابدءوهم بها ، إني قد لقيت بني مروان فوالله ما لقيت رجلاً هو أمكر ولا أبعد غوراً من هذه الجرادة الصّفراء - يعني مسلمة - قالوا : لا نرى أن نفعل ذلك ، حتى يردّوا علينا ما زعموا أنهم قابلوه منّا . وكان مروان بن المهلب وهو بالبصرة يحثّ الناس على حرب أهل الشام ، ويسرّح الناس إلى يزيد ، وكان الحسن البصريّ يثبّط الناس عن يزيد ابن المهلب .

قال أبو مخنف : فحدثني عبد الحميد البصرى ، أن الحسن البصرى كان يقول فى تلك الأيام :

أيها الناس ، الزموا رحالتكم ، وكفتموا أيديكم ، واتقوا الله مولاكم ، ولا يقتل بعضكم بعضاً على دنيا زائلة ، وطمع فيها يسير ليس لأهلها بياق ، وليس الله عنهم فيما اكتسبوا براص ؛ إنه لم تكن فتنة إلا كان أكثر أهلها الخطباء والشعراء والسفهاء وأهل التسيه والخيلاء ، وليس يسلم منها إلا المجهول الخفى والمعروف التقى ، فن كان منكم خفياً فليزم الحق ، وليحبس نفسه عما يتنازع الناس فيه من الدنيا ، فكفاه والله بمعرفة الله إياه بالخير شرفاً ؛ وكفى له بها (١) من الدنيا خلتاً؛ ومن كان منكم معروفاً شريفاً ، فترك ما يتنافس فيه نظراؤه من الدنيا إرادة الله بذلك ، فواهاً لهذا ما أسعده وأرشداه وأعظم أجره وأهدى سبيله ! فهذا غداً - يعنى يوم القيامة - القرير عيناً ، الكريم عند الله مآباً . فلما بلغ ذلك مروان بن المهلب قام خطيباً كما يقوم ، فأمر الناس بالحد والاحتشاد ، ثم قال لهم :

١٤٠١/٢

لقد بلغنى أن هذا الشيخ الضال المرأى - ولم يسمه - يشبط الناس ، والله لو أن جاره نزع من خوص داره قصبه لظل يرعف أنفه ؛ أينكر علينا وعلى أهل مصرنا أن نطلب حقنا (٢) ، وأن ننكر مظلمتنا ! أما والله لسيكفرن عن ذكرنا وعن جمعه إلينا سقاط (٣) الأبله وعلوج فرات البصرة - قوماً ليسوا من أنفسنا ، ولا من جرت عليه النعمة من أحدنا - أولأنحين عليه مبرداً خشناً .

فلما بلغ ذلك الحسن قال : والله ما أكره أن يكرمنى الله بهوانه . فقال ناس من أصحابه : لو أرادك ثم شئت لمنعناك ، فقال لهم : فقد خالفتكم إذا إلى ما نهيتكم عنه ! أركم ألا يقتل بعضكم بعضاً مع غيرى ، وأدعوكم إلى أن يقتل بعضكم بعضاً دونى ! فبلغ ذلك مروان بن المهلب ، فاشتد عليهم وأخافهم وطلبهم حتى تفرقوا . ولم يدع الحسن كلامه ذلك ، وكف عنه مروان بن المهلب .

(١) ط : « به » .

(٢) ط : « خيرنا » .

(٣) سقاط : جمع ساقط ؛ وهو اللثيم فى حبه ونسبه .

وكانت إقامة يزيد بن المهلب عند أجمع هو ومسلمة ثمانية أيام ، حتى إذا كان يوم الجمعة لأربع عشرة خلت من صفر ، بعث مسلمة إلى الوضاح أن يخرج بالوضاحية والسفن حتى يحرق الجسر ، ففعل . وخرج مسلمة فعبى جنود أهل الشام ، ثم ازدلف بهم نحو يزيد بن المهلب ، وجعل على ميمنته جبلة بن مخزوم الكندي ، وجعل على يسرته الهذيل بن زفر بن الحارث العامري ، وجعل العباس على ميمنته سيف بن هاني الهمداني ، وعلى يسرته سويد بن القعقاع التميمي ومسلمة على الناس ، وخرج يزيد بن المهلب ، وقد جعل على ميمنته حبيب بن المهلب ، وعلى يسرته المفضل بن المهلب ، وكان مع المفضل أهل الكوفة وهو عليهم ، ومعه خيل لربيعه معها عدد حسن ، وكان مما يلي العباس بن الوليد .

١٤٠٢/٢

قال أبو مخنف : فحدثني الغنوي - قال هشام : وأظن الغنوي العلاء ابن المنهال - أن رجلاً من الشام خرج فدعا إلى المبارزة ، فلم يخرج إليه أحد ، فبرز له محمد بن المهلب ، فحمل عليه ، فاتقاه الرجل بيده ، وعلى كفه كف من حديد ، فضربه محمد فقطع كف الحديد وأسرع السيف في كفه ، واعتنق فرسه ، وأقبل محمد يضربه ، ويقول : المنجّل أعود عليك . قال : فذكر لي أنه حيّان النبطي .

١٤٠٣/٢

قال : فلما دنا الوضاح من الجسر أهب فيه النار . فسطع دخانه ؛ وقد اقتتل^(١) الناس ونشبت الحرب ، ولم يشتد القتال ، فلما رأى الناس الدخان ، وقيل لهم : أحرق الجسر انهزموا ، فقالوا ليزيد : قد انهزم الناس . قال : وممّ انهزموا ؟ هل كان قتال ينهزم من مثله ! فقبل له : قالوا : أحرق الجسر فلم يثبت أحد ، قال : قبهم الله ! بتق دُخْن عليه فطار . فخرج وخرج معه أصحابه ومواليه وناس من قومه ، فقال : اضربوا وجوه من ينهزم ، ففعلوا ذلك بهم ، حتى كثروا عليه ، فاستقبلهم منهم مثل الجبال ، فقال : دعوهم ، فوالله إني لأرجو ألا يجمعني الله وإياهم في مكان واحد أبداً ؛ دعوهم يرحمهم الله ، غمّ عدا في نواحيها الذئب ، وكان

(١) ابن الأثير : « وقد أقبل » .

يزيد لا يحدث نفسه بالفرار ، وقد كان يزيد بن الحكم بن أبي العاص — وأمه ابنة الزبير بن العاص — أتاه وهو بواسط قبل أن يصل إلى العترة ، فقال (١) :
 إِنَّ بَنِي مَرْوَانَ قَدْ بَادَ مُلْكُهُمْ فَإِنْ كُنْتَ لَمْ تَشْعُرْ بِذَلِكَ فَاشْعُرْ
 قال يزيد : ما شعرت . قال : فقال يزيد بن الحكم بن أبي العاص الثقفي :
 فَعِشْ مُلْكًا أَوْ مِتْ كَرِيمًا وَإِنْ تَمَتَّ (٢) وَسَيْفُكَ مَشْهُورٌ بِكَفِّكَ تَعْدِرِ
 قال : أمّا هذا فعسى .

ولما خرج يزيد إلى أصحابه واستقبلته الهزيمة ، فقال : يَا سَمِيدَ ع ،
 أَرَأَيْتَ أَمْ رَأَيْتَ ؟ أَلَمْ أَعْلَمْكَ مَا يَرِيدُ الْقَوْمُ ! قال : بلى والله ، والرأي كان رأيك ،
 وأنا إذا معك لأزايك ، فررتي بأمرك ؛ قال : إمّا لا فانزل ، فنزل في أصحابه ،
 وجاء يزيد بن المهلب جاء فقال : إن حبيبا قد قتل .

١٤٠٤/٢

قال هشام : قال أبو مخنف : فحدثني ثابت مولى زهير بن سلمة
 الأزدي ، قال : أشهد أني أسمع حين قال له ذلك ، قال : لا خير في العيش
 بعد حبيب ! قد كنت والله أبغض الحياة بعد الهزيمة ؛ فوالله ما ازددت له
 إلا بغضا ، امضوا قداما . فعلمنا والله أن قد استقتل ؛ فأخذ من يكره القتال
 ينكص ، وأخذوا يتسللون ، وبقيت معه جماعة حسنة ، وهو يزدلف ، فكلما
 مرّ بخييل كشفها ، أو جماعة من أهل الشام عدلوا عنه وعن سنن أصحابه ،
 فجاء أبو ربيعة المرجعي ، فقال : ذهب الناس — وهو يشير بذلك إليه وأنا
 أسمع — فقال : هل لك أن تنصرف إلى واسط ؛ فإنها حصن فتنزها وبأيتك
 مدد أهل البصرة ، وبأيتك أهل عُمان والبحرين في السفن ، وتضرب خندقا ؟
 فقال له : قبّح الله رأيك ! أليبي تقول هذا ! الموت أيسر عليّ من ذلك ، فقال
 له : فإني أتخوف عليك لما ترى ، أما ترى ما حولك من جبال الحديد ! وهو
 يشير إليه ، فقال له : أما أنا فما أباليها ؛ جبال حديد كانت أم جبال نار ،
 اذهب عنا إن كنت لا تريد قتالا معنا . قال : وتمثل قول حارثة بن بدر الغداني
 — قال أبو جعفر أخطأ هذا ؛ هو للأعشى — :

(١) ابن الأثير : « فقال له » . (٢) ابن الأثير : « فمش » .

أَبِالموتِ خَشْتَنِي عُبَادُ وَإِنَّمَا رَأَيْتُ مَنَائِمًا النَّاسِ يَشْقَى ذَلِيلُهَا
فَمَا مِيتَةٌ إِنْ مَتَّهَا غَيْرَ عَاجِزٍ بَعَارٍ إِذَا مَا غَالَتِ النَّفْسُ غُولُهَا

وكان يزيد بن المهلب على برذون له أشهب ، فأقبل نحو مسلمة لا يريد غيره ؛ حتى إذا دنا منه أدنى مسلمة فرسه ليركب ، فعطف عليه خيول أهل الشام ، وعلى أصحابه ، فقتل يزيد بن المهلب . وقتل معه السميدع ، وقتل معه محمد بن المهلب . وكان رجل من كلب من بني جابر بن زهير بن جناب الكلبي يقال له القححل بن عيَّاش لما نظر إلى يزيد قال : يا أهل الشام ، هذا والله يزيد ، والله لأقتلنه أو ليقتلنني ، وإن دونه ناساً ، فمن يحمل معي يكفيني أصحابه حتى أصل إليه ؟ فقال له ناس من أصحابه : نحمل نحن معك ، ففعلوا ، فحملوا بأجمعهم ، واضطربوا^(١) ساعة ، وسطع الغبار ، وانفرج الفريقان عن يزيد قتيلاً ، وعن القححل بن عيَّاش بأخر رمق . فأوى إلى أصحابه يريهم مكان يزيد ؛ يقول لهم : أنا قتلته ، ويوى إلى نفسه إنه هو قتلي . ومرو مسلمة على القححل بن عيَّاش صريعاً إلى جنب يزيد ، فقال : أما إنني أظن هذا هو الذي قتلتني . وجاء برأس يزيد مولى لبني مرة ، فقيل له : أنت قتلته ؟ فقال : لا ، فلما أتى به مسلمة لم يعرف ولم ينكر ، فقال له الحواري بن زياد ابن عمرو العتكي : مر برأسه فليغسل ثم ليعمم ، ففعل ذلك به ، فعرقه ، فبعث برأسه إلى يزيد بن عبد الملك مع خالد بن الوليد بن عقبة بن أبي معيط .

١٤٠٦/٢

قال أبو مخنف : فحدثني ثابت مولى زهير ، قال : لقد قتل يزيد وهزم الناس ، وإن المفضل بن المهلب ليقاتل أهل الشام ما يدرى بقتل يزيد ولا بهزيمة الناس ؛ وإنه لعلني برذون شديد قريب من الأرض ، وإن معه محففة أمامه ، فكلما حمل عليها نكصت وانكشفت وانكشفت ، فيحمل في ناس من أصحابه حتى يخالط القوم ثم يرجع حتى يكون من وراء أصحابه ، وكان لا يرى منا مكشفتاً إلا أشار إليه بيده ألا يلتفت ليُقبِل القومُ بوجوههم على عدوهم ، ولا يكون لهم همٌّ غيرهم .

(١) ابن الأثير : « فاقتلوا » .

قال : ثم اقتتلنا ساعة ؛ فكأنى أنظر إلى عامر بن العَمَسِيْسْتَل الأزدى . وهو يضرب بسيفه ، ويقول :

قد عَلِمْتُ أُمَّ الصَّبِيِّ المولودِ أَننى بِنَصْلِ السَّيْفِ غَيْرُ رَغْدِيدٍ
قال : واضطربنا والله ساعة ، فانكشفت خيل ربيعة ؛ والله ما رأيتُ عند
أهل الكوفة من كبير صبر ولا قتال . فاستقبل ربيعة بالسيف يناديهم : أى
معشر ربيعة ، الكرة الكرة ! والله ما كنتم بكُشف ولا لثام ، ولا هذه لكم بعادة ،
فلا يؤتبن أهل العراق اليوم من قبلكم . أى ربيعة ، فدتك نفسى ، اصبروا
ساعة من النهار .

قال : فاجتمعوا حوله : وثابوا إليه (١) ، وجاءت كُويْنْتك (٢) .

قال : فاجتمعنا ونحن نريد الكرة عليهم ، حتى أتى ، فقبل له :
ما تصنع ها هنا وقد قتل يزيد وحبيب ومحمد ، وانهمز الناس منذ طويل ؟
وأخبر الناس بعضهم بعضاً ، فتفرقوا ومضى المفضل ، فأخذ الطريق إلى واسط ،
فأرأيت رجلاً من العرب مثل منزلته كان أغشى للناس بنفسه ، ولا أضرب
بسيفه ، ولا أحسن تعبئة لأصحابه منه .

قال أبو مخنف : فقال لى ثابت مولى زهير : مررت بالخنديق ، فإذا عليه
حائط ، عليه رجال معهم النبل ، وأنا مجفّف ، وهم يقولون : يا صاحب
التجفاف ، أين تذهب ؟ قال : فما كان شىء أثقل علىّ من تجفّافى ،
قال : فما هو إلا أن جرّتهم ، فنزلت فألقيته لأخفّف عن دابّتى . وجاء أهل
الشام إلى عسكر يزيد بن المهلب ، فقاتلهم أبو رؤبة صاحب المرجئة ساعة
من النهار حتى ذهب عظمهم ، وأسر أهل الشام نحواً من ثلثمائة رجل ،
فسرحهم مسلمة إلى محمد بن عمرو بن الوليد فحبسهم . وكان على شرطه
العُريان بن الهيثم . وجاء كتاب من يزيد بن عبد الملك إلى محمد بن عمرو :
أن اضرب رقاب الأَسْرَاء ، فقال للعُريان بن الهيثم : أخرجهم عشرين عشرين ،
وثلاثين ثلاثين . قال : فقام نحواً من ثلاثين رجلاً من بنى تميم ، فقالوا :

١٤٠٧/٢

(١) ابن الأثير : « فرحموا إليه » .

(٢) كذا فى ط .

نحن انهزمنا بالناس ، فاتقوا الله وابدءوا بنا ، أخرجونا قبل الناس ، فقال لهم العُريان : اخرجوا على اسم الله ، فأخرجهم إلى المصطبة ، وأرسل إلى محمد بن عمرو يخبره بإخراجهم ومقاتلتهم ، فبعث إليه أن اضرب أعناقهم .

قال أبو مخنف : فحدثني نَجِيحُ أبو عبد الله مولى زهير ، قال : والله إنى لأنظر إليهم يقولون : إنا لله ! انهزمنا بالناس ، وهذا جزاؤنا ، فما هو إلا أن فرغ ٤٠٨/٢ منهم ، حتى جاء رسول من عند مسلمة فيه عافية الأسراء والنهي عن قتلهم . فقال حاجب بن ذُيَّان من بني مازن بن مالك بن عمرو بن تميم :

لَعَمْرِي لَقَدْ خَاضَتْ مَعِيطُ دِمَاعِنَا بِأَسْيَافِهَا حَتَّى انْتَهَى بِهِمُ الْوَحْلُ
وَمَا حُمِلَ الْأَقْوَامُ أَعْظَمَ مِنْ دَمٍ حَرَامٍ وَلَا دَخَلَ إِذَا التَّمَسَّ الدَّخْلُ^(١)
حَقَنْتُمْ دِمَاءَ الْمُصْلَتِينَ عَلَيْكُمْ^(٢) وَجُرُّ عَلَى فُرْسَانِ شَيْعَتِكَ الْقَتْلُ
وَقَى بِهِمُ الْعُرِيَانُ فُرْسَانَ قَوْمِهِ فَيَا عَجَبًا أَيْنَ الْأَمَانَةُ وَالْعَدْلُ

وكان العُريان يقول : والله ما اعتمدتُهم ولا أردتُهم حتى قالوا : ابئدُ بنا ، أخرجنا ، فما تركت حين أخرجتهم أن أعلمتُ المأمور بقتلهم ، فما يتقبل حُجَّتَهم ؛ وأمر بقتلهم ، والله على ذلك ما أحبّ أن قتيل من قومي مكانهم رجلٌ ولئن لاموني ما أنا بالذي أحفل لاأمتهم ، ولا تكبر على .

٤٠٩/٢ وأقبل مسلمة حتى نزل الحيرة ، فأتى بنحو من خمسين أسيراً ، ولم يكونوا فيمن بعث به إلى الكوفة ، كان أقبل بهم معه ، فلما رأى الناس أنه يريد أن يضرب رقابهم ، قام إليه الحصين بن حماد الكلبي فاستوهبه ثلاثة : زياد بن عبد الرحمن القشيري ، وعتبة بن مسلم ، وإسماعيل مولى آل بني عقيل بن مسعود ، فوهبهم له ، ثم استوهب بقيتَهم أصحابه ، فوهبهم لهم ، فلما جاءت هزيمة يزيد إلى واسط ، أخرج معاوية بن يزيد بن المهلب اثنين وثلاثين أسيراً كانوا

(١) في الحاشية : « اللعل بالذال معجمة : الحقد ، وبغير معجمة : الحفر في الأرض » .

في يده ، فضرب أعناقهم : منهم عدى بن أرطاة ، ومحمد بن عدى بن أرطاة ومالك وعبد الملك ابنا مسمع وعبد الله بن عزرة البصرى ، وعبد الله بن وائل ، وابن أبي حاضر التميمى من بنى أسيد بن عمرو بن تميم ، وقد قال له القوم : ويحك ! إنا لا نراك إلا نقتلنا ؛ إلا أن أباك قد قتل ، وإن قتلنا ليس بنافع لك في الدنيا ، وهو ضارك في الآخرة ؛ فقتل الأسارى كلهم غير ربيع بن زياد بن الربيع ابن أنس بن الريثان ، تركه ، فقال له ناس : نسيته ؟ فقال : ما نسيته ؛ ولكن لم أكن لأقتله ؛ وهو شيخ من قومي له شرف ومعروف وبيت عظيم ، ولست أتهمه في وُدِّ ، ولا أخاف بغيته . فقال ثابت قطنه في قتل عدى بن أرطاة :

مَا سَرَّنِي قَتْلُ الْفَزَارِيِّ وَابْنِهِ عَدِيٌّ وَلَا أَحْبَبْتُ قَتْلَ ابْنِ مِسْمَعٍ
وَلَكِنهَا كَانَتْ مُعَاوِيَ زَلَّةً وَضَعْتُ بِهَا أَمْرِي عَلَى غَيْرِ مَوْضِعٍ

ثم أقبل حتى أتى البصرة ومعه المال والخزائن ، وجاء المفضل بن المهلب ، واجتمع جميع آل المهلب بالبصرة ، وقد كانوا يتخوفون الذى كان من يزيد ، وقد أعدوا السفن البحرية ، وتجهزوا بكلّ الجهاز ، وقد كان يزيد بن المهلب بعث وداع بن حُميد الأزدى على قسندابيل أميراً ، وقال له : إني سائر إلى هذا العدو ، ولو قد لقيتهم لم أبرح التعرصة حتى تكون إلى أولهم ، فإن ظفرت أكرمتك ، وإن كانت الأخرى كنت بقسندابيل حتى يقدم عليك أهل بيتي ، فيتحصنوا بها حتى يأخذوا لأنفسهم أماناً ، أما إني قد اخترت لأهل بيتي من بين قومي ؛ فكن عند حسن ظني ، وأخذ عليه أيماناً غلاظاً ليسناصحن أهل بيته ، إن هم احتاجوا ولجئوا إليه ، فلما اجتمع آل المهلب بالبصرة بعد الهزيمة حملوا عيالاتهم وأموالهم في السفن البحرية ، ثم لجئوا في البحر حتى مروا بهرم ابن القرار العبدى - وكان يزيد استعمله على البحرين - فقال لهم : أشير عليكم ألا تفارقوا سفنكم ، فإن ذلك هو بقاءكم ، وإني أتخوف عليكم إن خرجتم من هذه السفن أن يتخطفكم الناس ، وأن يتقربوا بكم إلى بنى مروان . ففضوا حتى إذا كانوا بجيال كرمان خرجوا من سفنهم ، وحملوا عيالاتهم وأموالهم على الدواب .

وكان معاوية بن يزيد بن المهلب حين قدم البصرة قدمها ومعه الخزانين وبيت المال ؛ فكأنه أراد أن يتأمر عليهم ، فاجتمع آل المهلب وقالوا للمفضل : أنت أكبرنا وسيدنا ، وإنما أنت غلام حديث السن كبعض فتیان أهلك ، فلم يزل المفضل عليهم حتى خرجوا إلى كثرمان ، وبكرمان فلول كثيرة ، فاجتمعوا إلى المفضل ، وبعث مسلمة بن عبد الملك مدرك بن ضب الكلبی فی طلب آل المهلب وفي أثر الفل^(١) . فأدرك مدرك المفضل بن المهلب ، وقد اجتمعت إليه الفلول بفارس فتبعهم ، فأدركهم في عتابة ، فعطفوا عليه ، فقاتلوه واشتد قتالهم إياه ، فقتل مع المفضل بن المهلب النعمان بن إبراهيم بن الأشتر النخعي ومحمد بن إسحاق ابن محمد بن الأشعث ، وأخذ ابن صول ملك قهستان أسيراً ، وأخذت سرية المفضل العالية ، وجرح عثمان بن إسحاق بن محمد بن الأشعث جراحة شديدة ، وهرب حتى انتهى إلى حلوان ، فدل عليه ، فقتل وحمل رأسه إلى مسلمة بالحيرة ، ورجع ناس من أصحاب يزيد بن المهلب ، فطلبوا الأمان ، فأومنوا ؛ منهم مالك بن إبراهيم بن الأشتر ، والورد بن عبد الله بن حبيب السعدي من تميم ، وكان قد شهد مع عبد الرحمن بن محمد موطنه وأيامه كلها ، فطلب له الأمان محمد بن عبد الله بن عبد الملك بن مروان إلى مسلمة بن عبد الملك عمه وابنة مسلمة تحته - فأمنته ، فلما أتاه الورد وقفه مسلمة فشمته قائماً ، فقال : صاحب خلاف وشقاق ونفاق ونيفار في كل فتنة ، مرة مع حائك كندة ، ومرة مع ملاح الأزدي ؛ ما كنت بأهل أن تؤمن ؛ قال : ثم انطلق . وطلب الأمان لمالك بن إبراهيم بن الأشتر الحسن بن عبد الرحمن بن شراحيل - وشراحيل يلقب رستم الحضرمي - فلما جاء ونظر إليه ، قال له الحسن بن عبد الرحمن الحضرمي : هذا مالك بن إبراهيم بن الأشتر ، قال له : انطلق ، قال له الحسن : أصلحك الله ! لم لم تشتمه كما شتمت صاحبه ! قال : أجلتكم عن ذلك ، وكنتم أكرم علي من أصحاب الآخر وأحسن طاعة . قال : فإنه أحب إلينا أن تشتمه ، فهو والله أشرف أباً وجداً ، وأسوأ أثراً من أهل الشام من الورد بن عبد الله ؛ فكان الحسن يقول بعد أشهر : ما تركه إلا حسداً من أن يعرف

٤١١/٢

٤١٢/٢

(١) الفل : الجماعة المنهزمون .

صاحبنا ، فأراد أن يُرينا أنه قد حقره . ومضى آل المهلب ومن سقط منهم من الفُلول حتى انتهوا إلى قنடைيل ، وبعث مسلمة إلى مدرك بن ضبّ الكلبي فردّه ، وسرح في أثرهم هلال بن أحوز التميمي ، من بني مازن بن عمرو بن تميم فلحقهم بقنடைيل ، فأراد آل المهلب دخول قنடைيل ، فنعهم وداع بن حميد . وكتبه هلال بن أحوز ، ولم يبين آل المهلب^(١) فيفارقهم ، فتبين لهم فراقه لما التقوا وصدقوا ، كان وداع بن حميد على الميمنة ، وعبد الملك بن هلال على الميسرة وكلاهما أزدى ، فرفع لهم راية الأمان ، فقال إليهم وداع بن حميد وعبد الملك ابن هلال ، وارفض عنهم الناس فخذوهم . فلما رأى ذلك مروان بن المهلب ذهب يريد أن ينصرف إلى النساء ، فقال له المفضل : أين تريد ؟ قال : أدخل إلى نساتنا فأقتلن ، لئلا يصل إليهن هؤلاء الفساق ، فقال : ويحك ! أقتل أخواتك ونساء أهل بيتك ! إنا والله ما نخاف عليهن منهم . قال : فردّه عن ذلك ، ثم مشوا بأسيا فمهم ، فقاتلوا حتى قتلوا من عند آخرهم^(٢) ، إلا أبا عيينة ابن المهلب ، وعثمان بن المفضل فإنهما نَجّوا ، فلحقا بخاقان ورتبيل ، وبعث بنساتهم^(٣) وأولادهم إلى مسلمة بالحيرة ، وبعث برؤوسهم إلى مسلمة ، فبعث بهم مسلمة إلى يزيد بن عبد الملك ، وبعث^(٤) بهم يزيد بن عبد الملك إلى العباس بن الوليد بن عبد الملك ، وهو على حلب ، فلما نُصبوا خرج لينظر إليهم ، فقال لأصحابه : هذا رأس عبد الملك ، هذا رأس المفضل ، والله لكانه جالس معي يتحدثني .

١٤١٣

وقال مسلمة : لأبيعن ذريتهم وهم في دار الرزق ، فقال الجراح بن عبد الله^(٥) : فأنا أشتريهم منك لأبرّ يمينك ، فاشترهم منه بمائة ألف ، قال : هاتها ، قال : إذا شئت فخذها ، فلم يأخذ منه شيئاً ، وخلي سبيلهم ، إلا تسعة فتية

١٤١١

(١) ابن الأثير : « وكان هلال بن أحوز لم يبين آل المهلب » .

(٢) أصاف ابن الأثير : « وهم المفضل وعبد الملك وزيد ومروان بنو المهلب ، ومعاوية ابن يزيد بن المهلب ، والمنهال بن أبي عينية بن المهلب ، وعمرو والمغيرة ابنا قبيصة بن المهلب ، وحملت رؤوسهم وفي أذن كل واحد رقعة فيها اسمه » .

(٣) ابن الأثير : « وبعث هلال بن أحوز بنساتهم » .

(٤) ابن الأثير : « فسيرهم » .

(٥) بعدها في ابن الأثير : « الحكى » .

منهم أحداث بعث بهم إلى يزيد بن عبد الملك ، فقدم بهم عليه ، فضرب رقابهم ، فقال ثابت قُطْنَةُ (١) حين بلغه قتل يزيد بن المهلب يرثيه :

ألا يا هند طالَ علىَّ ليلي وعاد قصيرُهُ ليلاً تماماً
 كأنني حين حَلَقْتِ الشَّرياً سُقِيتُ لُعَابَ أَسْوَدٍ أَوْ سَمَاماً
 أَمَرٌ عَلَى حُلُوِّ العيشِ يَوْمٌ مِنْ الأَيَّامِ شَيْبِنِي غَلاماً
 مُصَابُ بَنِي أبِيكَ وَغَيْبُ عَنْهُمْ فلم أَشْهدهمُ وَمَضُوا كراماً
 فلا واللهِ لَا أنسى يزيداً ولا القَتلى التي قُتِلتْ حَراماً
 فعلىَّ أنْ أبُو بأخيك يوماً يزيداً أَوْ أبوةً به هِشاماً
 وَعَلَى أَنْ أقودَ الخيلَ شُعْناً شَوَازِبَ ضُمراً تَقِصُّ الإِكاماً
 فأصْبِحُهنَّ حَمِيرَ من قَريب وعكاً أَوْ أرْعُ بهما جُداماً
 وَتَسْقِي مَدْحِجاً والحىَّ كلباً منَ الدِّيفانِ أنفاساً قَواماً
 عشائِرنا التي تبغى علينا تُجربُنا زَكَاً عاماً فعاماً
 ولولاهمُ وما جَلَبُوا علينا لأصبحَ وَسَطَناً مَلِكا هُمَاماً

وقال أيضاً يرثي يزيد بن المهلب :

أبى طُولُ هذا اللَّيْلِ أَنْ يَتَصَرَّماً وَهَاجَ لَكَ الهَمُّ الفُؤادَ المُتَمِّماً
 أَرِقْتُ وَلَمْ تَأْرُقْ مَعِي أمُّ خالِد وَقَدْ أَرِقْتُ عَيْنَايَ حَوْلَ مُجْرَمِماً
 على هَالِكٍ هَدَّ العَشيرةَ فَقَدُهُ دَعَتْهُ المَنايا فاستجابَ وَسَلِّماً
 على مَلِكٍ يا صَاحِبَ بِالعَقْرِ جَبْنَتُ كَتائِبِهِ وَاسْتَوَرَّدَ المَوتَ مُعَلِّماً

١٤١٥/٢

(١) في ابن الأثير : « قطننة ؛ بالنون ؛ وهو ثابت بن كعب بن جابر العتكي الأزدي أصيبت عينه بخراسان ، فجعل عليها قطننة ، فمرف بذلك ؛ وهو يشتهر بثابت قطنة ، بالباء الموحدة وهو خزاعي ، وذلك عتكي » .

أصيب ولم أشهد ولو كنتُ شاهداً
 وفي غير الأيام يا هندُ فاعلمي
 فعلى إن مالت بي الريح ميلةً
 أمسلم إن يقدرُ عليك رماحنا
 وإن نلقَ للعباس في الدهر عشرةً
 قصاصاً ولانعدو الذي كان قد أتى
 ستعلم إن زلت بك النعل زلةً
 من الظالم الجاني على أهل بيته
 وإنا نعطفون بالحلم بعد ما
 وإنا لحلالون بالثغر لا نرى
 نرى أن للجيران حاجاً وحسرةً
 وإنا لنقرى الضيف من قمع الدرى
 وراحت بصرادٍ ملثٌ جليده
 أبونا أبو الأنصار عمرو بن عامر
 وقد كان في غسان مجد يعده

١٤١٦/٢

* * *

[ولاية مسلمة بن عبد الملك على العراق وخراسان]

فلما فرغ مسلمة بن عبد الملك من حرب يزيد بن المهلب ، جمع له (٢)
 يزيد بن عبد الملك ولاية الكوفة والبصرة وخراسان في هذه السنة ، فلما ولّاه
 يزيد ذلك ، ولّى مسلمة الكوفة ذا الشامة محمد بن عمرو بن الوليد بن عقبة بن
 أبي معيط ، وقام بأمر البصرة بعد أن خرج منها آل المهلب — فيما قيل —
 شبيب بن الحارث التميمي ، فضبطها ، فلما ضمت إلى مسلمة بعث عاملاً

١٤١٧/٢

(٢) ابن الأثير : « له أخوه » .

(١) ابن الأثير : « أحضرت » .

عليها عبد الرحمن بن سليم الكلبى : وعلى شُرطتها وأحداثها عمر بن يزيد التميمى ، فأراد عبد الرحمن بن سليم أن يستعرض أهل البصرة . وأفضى ذلك إلى عمر بن يزيد ، فقال له عمر : أتريد أن تستعرض أهل البصرة ولم تَمُن حصناً بكويفة ، وتدخل من تحتاج إليه ! فوالله لو رماك أهل البصرة وأصحابك بالحجارة لتخوفت أن يقتلونا ؛ ولكن أنظرنا عشرة أيام حتى نأخذ أهبة ذلك . ووجه رسولا إلى مسلمة يخبره بما هم به عبد الرحمن ، فوجه مسلمة عبد الملك ابن بشر بن مروان على البصرة ، وأقرّ عمر بن يزيد على الشرطة والأحداث .

* * *

[ذكر استعمال مسلمة سعيد خدينة على خراسان]

قال أبو جعفر : وفي هذه السنة وجه مسلمة بن عبد الملك سعيد بن عبدالعزيز ابن الحارث بن الحكم بن أبي العاص ، وهو الذى يقال له سعيد خدينة — وإنما لقب بذلك — فيما ذكر — أنه كان رجلاً ليناً سهلاً متنعماً^(١) ، قدم خراسان على بختيه معلقاً سكيناً فى منطقتة^(٢) ، فدخل عليه^(٣) ملك أبقر، وسعيد متفضل فى ثياب مصبغة ، حوله^(٤) مرافق مصبغة ، فلما خرج^(٥) من عنده قالوا له : كيف رأيت الأمير ؟ قال : خدينية ، لمتته سكينية ؛ فلقب خدينة وخدينة هى الدهقانة ربة البيت ، وإنما استعمل مسلمة سعيد خدينة على خراسان لأنه كان ختنه على ابنته ، كان سعيد متزوجاً بابنة مسلمة .

ولما ولى مسلمة سعيد^(٦) خدينة خراسان ، قدم إليها قبل شخوصه سورة ابن الحرّ من بنى دارم ، فقدمها قبل سعيد — فيما ذكر — بشهر ، فاستعمل شعبة بن ظهير النهشلى على سمرقند ، فخرج إليها فى خمسة وعشرين رجلاً من أهل بيته ، فأخذ على أمل ، فأتى بخارى ، فصحبه منها مائتا رجل ، فقدم

(١) ف : « منما » .

(٢) ب : « منطقة » .

(٣) ح : « على » .

(٤) ابن الاثير : « وحوله » .

(٥) ح : « خرجوا » .

(٦) ب : « سعيداً » .

السُّعْد ، وقد كان أهلها كفروا في ولاية عبد الرحمن بن نعيم الغامدي ، ووليها ثمانية عشر شهراً ، ثم عادوا إلى الصلح ، فخطب شعبة أهل السُّعْد ، ووبَّخ سكانها من العرب وعيَّرتهم بالخبثن ، فقال (١) : ما أرى فيكم جريحاً ، ولا أسمع فيكم أنةً . فاعتذروا إليه بأن جبتنوا عاملهم علباء بن حبيب العبدى ، وكان على الحرب . ثم قدم سعيد ، فأخذ عمال عبد الرحمن بن عبد الله القشيري الذين وُلُّوا أيام عمر بن عبد العزيز فحبسهم ، فكلمهم فيهم عبد الرحمن بن عبد الله (٢) القشيري ، فقال له سعيد : قد رُفِعَ عليهم أن عندهم أموالاً من الخراج . قال : فأنا أضمنه ، فضمن عنهم (٣) سبعمائة ألف ، ثم لم يأخذه بها .

١٤١٩/٢

ثم إن سعيداً رفع إليه - فيما ذكر على بن محمد - أن جهم بن زحر الجعفي وعبد العزيز بن عمرو بن الحجاج الزبيدي والمنتجع بن عبد الرحمن الأزدي والقعقاع الأزدي وُلُّوا ليزيد بن المهلب وهم ثمانية (٤) ، وعندهم أموال قد اختانوها من فيء المسلمين . فأرسل إليهم ، فحبسهم في قهْنْدُزْمَرُو ، فقيل له : إن هؤلاء لا يؤدُّون إلا أن تبسط عليهم . فأرسل إلى جهم بن زحر ، فحمِّل على حمار من قهْنْدُزْمَرُو ، فرأوا به على الفيض بن عمران ، فقام إليه فوجاً أنفه ، فقال له جهم : يا فاسق ، هلاً فعلت هذا حين أتوتني بك سكران قد شربت الخمر ، فضربتك حدًّا ! فغضب سعيد على جهم فضربه مائتي سوط ، فكبَّر أهل السوق حين ضرب جهم بن زحر ، وأمر سعيد بجهم والثمانية الذين كانوا في السجن فدُفِعُوا (٥) إلى ورقاء بن نصر الباهلي ، فاستعفاه فأعفاه .

١٤٢٠/٢

وقال عبد الحميد بن دثار - أو عبد الملك بن دثار - والزيير بن نشيط مولى باهلة ، وهو زوج أم سعيد خديجة : ولنا محاسبتهم ، فولاهم فقتلوا في العذاب جهماً ، وعبد العزيز بن عمرو والمنتجع ، وعذبوا القعقاع وقوماً حتى أشرفوا على الموت . قال : فلم يزالوا في السجن حتى غزتهم الترك وأهل السُّعْد ، فأمر سعيد بإخراج

(١) ابن الأثير : « وقال » . (٢) ب : « عبد الله بن عبد الرحمن » .

(٣) ح : « عليه » .

(٤) ابن الأثير : « في ثمانية نفر » .

(٥) ب : « فرفعوا » ، ابن الأثير : « فسلوا » .

مَنْ بَقِيَ مِنْهُمْ ، فَكَانَ سَعِيدٌ يَقُولُ : قَبَّحَ اللَّهُ الزُّبَيْرَ ، فَإِنَّهُ قَتَلَ جِهْمًا !

وفى هذه السنة غزا المسلمون السَّعْدَ والتُّرِكَ ، فَكَانَ فِيهَا الرَّقْعَةُ بَيْنَهُمْ بِقَصْرِ الْبَاهِلِيِّ .

وفيهما عزل سعيد خديجة شعبة بن ظُهَيْرٍ عن سمرقند .

ذكر الخبر عن سبب عزل سعيد شعبة وسبب هذه الرقعة وكيف كانت :

ذكر علي بن محمد ، عن الذين تقدم ذكرى خبره عنهم ، أن سعيد خديجة لما قدم خراسان ، دعا قومًا من الدَّهَاقِينَ ، فاستشارهم فيمن يوجه إلى الكُورِ ، فأشاروا إليه بقوم من العرب ، فولَّاهم ، فشكوا إليه : فقال للناس يومًا وقد دخلوا عليه : إني قدمت البلد ، وليس لي علم بأهله ، فاستشرت فأشاروا^(١) علي بقوم ، فسألت عنهم فحمدوا ، فولَّيتهم ، فأخرج عليكم لما أخبرتموني عن عمالي . فأثنى عليهم القوم خيرًا ، فقال عبد الرحمن بن عبد الله القشيري : لو لم تُخرج^(٢) علينا لكففت^(٣) ، فأما إذ حرَّجت علينا فإنك شاورت المشركين فأشاروا عليك بمن لا يخالفهم وبأشباههم^(٤) : فهذا علمنا فيهم .

١٤٢١/٢

قال : فاتكأ سعيد ثم جلس ، فقال : ﴿ خُذِ الْعَصَا وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴾ ، قوموا .

قال : وعزل سعيد شعبة بن ظهير عن السَّعْدِ ، وولَّى حربها عثمان بن عبد الله بن مطرف بن الشَّحِيرِ ، وولَّى الخراج سليمان بن أبي السَّريِّ مولى بني عُوَافَةَ ، واستعمل على هَرَاةَ معقل بن عروة القشيري ، فسار إليها . وضعف الناس سعيداً وسمَّوه خديجة ، فطمع فيه الترك ، فجمع له خاقان الترك ،

(٢) ح : « تخرج » .

(١) ب : « أشار » .

(٣) ب : « لكففتا » .

(٤) ب : « ولا بأشباههم » .

ووجههم إلى السغد ، فكان على الترك كورصول ، وأقبلوا حتى نزلوا قصر الباهلي .

وقال بعضهم : أراد عظيم من عظماء الدهاقين أن يتزوج امرأة من باهلة ، وكانت في ذلك القصر . فأرسل إليها يخطبها . فأبت ، فاستجاش ورجا أن يسبوا من في القصر ، فيأخذ المرأة ، فأقبل كورصول حتى حصر أهل القصر ، وفيه مائة أهل بيت بذراريهم ، وعلى سمرقند عثمان بن عبد الله^(١) وخافوا أن يبطئ عنهم المدد ، فصالحوا الترك على أربعين ألفاً ، وأعطوهم سبعة عشر رجلاً رهينة ، وندب عثمان بن عبد الله الناس ، فانتدب المسيب بن بشر الرياحي وانتدب معه أربعة آلاف من جميع القبائل ، فقال شعبة بن ظهير : لو كان ها هنا خيول خراسان ما وصلوا إلى غايتهم^(٢) .

١٤٢٢/٢

قال : وكان فيمن انتدب من بني تميم شعبة بن ظهير النهشلي وبلعاء بن مجاهد العنزى ، وعميرة بن ربيعة أحد بني العسجيف — وهو عميرة الثريد — وغالب بن المهاجر الطائي — وهو عم أبي العباس الطوسي — وأبوسعيد معاوية بن الحجاج الطائي ، وثابت قطننة ، وأبو المهاجر بن دارة من غطفان ، وحليس^(٣) الشيباني ، والحجاج بن عمرو الطائي ، وحسان بن معدان الطائي ، والأشعث أبو حطامة وعمرو بن حسان الطائيان . فقال المسيب بن بشر لما عسكروا : إنكم تقدمون على حلبة الترك ، حلبة خاقان وغيرهم ، والعيوض إن صبرتم الجنة ، والعقاب النار إن فرتم ، فن أراد الغزو والصبر فليقدم .

فانصرف عنه ألف وثلثمائة ، وسار في الباقيين ، فلما سار فرسخاً قال للناس مثل مقالته الأولى . فاعتزل ألف ، ثم سار فرسخاً آخر فقال لهم مثل ذلك ، فاعتزل ألف . ثم سار — وكان دليلهم الأشهب بن عبيد الخنظلي — حتى إذا كان على فرسخين من القوم نزل فأتاهم ترك خاقان ملك قبي فقال : إنه لم يبق ها هنا دهقان إلا وقد باع الترك غيري ، وأنا في ثلثمائة مقاتل فهم معك ، وعندى الخبر ، قد كانوا صالحوهم على أربعين ألفاً ؛ فأعطوهم سبعة عشر رجلاً ؛ ليكونوا رهناً

١٤٢٣/٢

(١) بمدح في ب : « ابن مطرف » .

(٢) ب : « إغاثتهم » .

(٣) ط : « جليس » ، بالجيم ، تحريف .

في أيديهم^(١) حتى يأخذوا صلحتهم ؛ فلما بلغهم مسيركم إليهم قتل الترك من كان في أيديهم من الرهائن .

قال : وكان فيهم نهشل بن يزيد الباهلي فنجا لم يقتل ، والأشهب بن عبيد الله الحنظلي . وميعادهم أن يقاتلوهم^(٢) غداً أو يفتحوا القصر ، فبعث المسيب رجلين : رجلاً من العرب ورجلاً من العجم من ليلته على خيولهم ، وقال لهم : إذا قرئتم فشدوا دوابكم بالشجر ، واعلموا علم القوم . فأقبلوا في ليلة مظلمة ؛ وقد أجرت^(٣) الترك الماء في نواحي القصر ؛ فليس يصل إليه أحد ، ودنوا من القصر ؛ فصاح بهما الربيفة ، فقالا : لا تصح وادع لنا عبد الملك ابن دثار ، فدعاه فقالا له : أرسلنا المسيب ، وقد أتاكم الغياث ، قال : أين هو ؟ قال : على فرسخين ؛ فهل عندكم امتناع ليلتك وغداً ؟ فقال : قد أجمعنا على تسليم^(٤) نساتنا وتقديمهم للموت أمامنا ؛ حتى نموت جميعاً غداً . فرجعوا إلى المسيب ، فأخبراه فقال المسيب للذين معه : إني سائر إلى هذا العدو ، فمن أحب أن يذهب فليذهب ، فلم يفارقه أحد ؛ وبايعوه على الموت .

فسار وقد زاد الماء الذي أجروه حول المدينة^(٥) تحصيناً ، فلما كان بينه وبينهم نصف فرسخ نزل ، فأجمع على بيانهم ؛ فلما أمسى أمر الناس فشدوا على خيولهم ، وركب فحثهم على الصبر ، ورغبهم فيما يصير إليه أهل الاحتساب والصبر ، وما لهم في الدنيا من الشرف والغنيمة إن ظفروا ، وقال لهم : اكمسوا^(٦) دوابكم وقودوها^(٧) ، فإذا دنوتم من القوم فاركبوا ، وشدوا شدة صادقة وكبروا ، وليكن شعاركم : يا محمد ؛ ولا تتبعوا مولياً ، وعليكم بالدواب فاعقروها ، فإن الدواب إذا عقرت كانت أشد عليهم منكم ، والقليل الصابر خير من الكثير الفشل ؛ وليست بكم قلة ، فإن سبعمائة سيف لا يضرب بها في عسكر إلا أوهنوه وإن كثر أهله .

(١) ب : « بأيديهم » . (٢) ح : « يقاتلوهم » ، ابن الأثير : « يقاتلوا » .

(٣) ب وابن الأثير : « أخذت » .

(٤) ح : « تسليح » ، ابن الأثير : « على تقديم نساتنا إلى الموت » .

(٥) ح : « الذي أحرقه المدينة » .

(٦) الكمام : شيء يجعل على فم البعير ؛ وكم البعير : شد فاه بالكمام في هياجه لتلا يمض أويأكل .

(٧) كذا في ب ، وفي ط : « قودوهم » .

قال : وعبأهم وجعل على الميمنة كثير بن الدَّبوسى ، وعلى الميسرة رجلا من ربيعة يقال له ثابت قُطْنة . وساروا حتى إذا كانوا منهم على غلوتين كبيروا وذلك فى السحر ، وثار الترك . وخالط المسلمون العسكر ، ففقروا الدواب ، وصابروهم الترك ، فجال المسلمون وانهزموا حتى صاروا إلى المسيب ، وتبعهم الترك وضربوا عَجْزُ دابة المسيب فترجل رجال من المسلمين ، فيهم البسخريّ أبو عبد الله المرأى ، ومحمد بن قيس الغنوى - ويقال : محمد بن قيس العنبرى - وزياد الأصهبانى ، ومعاوية بن الحجاج ، وثابت قطنة . فقاتل البسخريّ فقطعت^(١) يمينه ، فأخذ السيف بشماله فقطعت ، فجعل يذب بيديه حتى استشهد . واستشهد أيضاً محمد بن قيس العنبرى أو الغنوى وشبيب بن الحجاج الطائى .

١٤٢٥/٢

قال : ثم انهزم المشركون ، وضرب ثابت قُطْنة عظيماً من عظمائهم ، فقتله ، ونادى منادى المسيب : لا تتبعوهم^(٢) ؛ فإنهم لا يدرون من الرعب ، اتبعتموهم أم لا ! واقصدوا القصر ، ولا تحملوا شيئاً من المتاع إلا المال ، ولا تحملوا من يقدر على المشى .

وقال المسيب : مَنْ حمل امرأة أو صبيّاً أو ضعيفاً حسبةً فأجره على الله ، ومن أبى فله أربعون درهماً ، وإن كان فى القصر أحدٌ من أهل عهذكم فاحملوه . قال : فقصدوا جميعاً القصر ، فحملوا مَنْ كان فيه ، وانتهى رجلٌ من بنى فُقيم إلى امرأة ، فقالت : أغشنى أغائك الله ! فوقف وقال : دونك وعجز الفرس ، فوثبت فإذا هى على عَجْز الفرس ؛ فإذا هى أفرسٌ من رجل ، فتناول الفقيمى بيد ابنها ، غلاماً صغيراً ، فوضعه بين يديه ، وأتوا ترك خاقان ، فأنزلهم قصره وأتاهم بطعام ، وقال : الحقوا بسمرقند ، لا يرجعوا فى آثاركم . فخرجوا نحو سمرقند ، فقال لهم : هل بقى أحد ؟ قالوا : هلال الحريرى ، قال : لأسلمه ، فأتاه وبه بضع وثلاثون جراحة ، فاحتمله ، فبرأ ، ثم أصيب يوم الشعب مع الجنيد .

قال : فرجع الترك من الغد ، فلم يروا فى القصر أحداً ، ورأوا

(٢) ط : « تتبعهم » ، وما أثبت من ب .

(١) ب : « حتى قطعت » .

قتلاهم ، فقالوا : لم يكن الذين جاءوا من الإنس ، فقال ثابت قطنة :

١٤٢٦/٢	غَدَاةَ الرُّوعِ فِي ضَنْكِ المَقَامِ - عَلَى الأَعْدَاءِ فِي رَهَجِ القِتَامِ أَحَايِ حَيْثُ ضَنَّ بِهِ المُحَايِ (١) أَذُوهُمْ بِذِي شُطْبِ جُسَامِ كَكْرُ الشَّرْبِ آتِيَةَ المُدَامِ تَجَلَّتْ لَأ يَضِيقُ بِهَا مَقَايِ وَضْرَبِي قَوْنَسَ المَلِكِ الهِمَامِ أَمَامَ التَّرِكِ بَادِيَةَ الخِدَامِ ! أَبِي بِشْرِ كَقَادِمَةِ الحِمَامِ	فَدَتْ نَفْسِي فَوَارِسَ مِن تَمِيمِ فَدَتْ نَفْسِي فَوَارِسَ أَكْنَفُونِي بِقَصْرِ البَاهِلِيِّ وَقَدْ رَأُونِي بَسِينِي بَعْدَ حَطَمِ الرُّمَحِ قُدَمَاءُ أَكْرُ عَلَيْهِمُ اليَحْمُومَ كَرًّا أَكْرُ بِهِ لَدَى العِمْرَاتِ حَتَّى فَلَوْلَا اللهُ لَيْسَ لَه شَرِيكَ إِذَا لَسَعَتْ نِسَاءُ بَنِي دِنَارِ فَمَنْ مِثْلُ المَسِيَّبِ فِي تَمِيمِ
--------	---	---

وقال جرير يذكر المسيب :

١٤٢٧/٢	كَانَتْ لغيرِكُمْ مِنْهُنَّ أَطْهَارُ (٢) إِذْ مَازَنْتُمْ لَأ يُحَمِي لَهَا جَارُ (٣) وَلَا زُرَارَةَ بِحَمِيهَا وَوَزَارُ	لَوْلَا حِمَايَةَ يَرْبُوعِ نِسَاءِكُمْ حَايِ المَسِيَّبِ وَالخَيْلَانِ فِي رَهَجِ إِذْ لَأ عِقَالَ يُحَايِ عَن ذِمَارِكُمْ
--------	---	---

قال : وعور تلك الليلة أبو سعيد معاوية بن الحجاج الطائي ، وشلت يده ، وقد كان ولي ولاية قبيل سعيد ، فخرج عليه شيء مما كان بقى عليه ، فأخذ به ، فدفعه سعيد إلى شداد بن خليد الباهلي ليحاسبه ويستأديه (٤) فضيق عليه شداد ، فقال : يا معشر قيس ، سرت إلى قصر الباهلي وأنا شديد البسطة ، حديد البصر ؛ فعورت وشلت يدي ، وقاتلت مع من قاتل

(١) ابن الأثير : « حيث ضرب به » .

(٢) ديوانه ١٩٨ .

(٣) الديوان : « أزمان شبة لا يحى ونمار » .

(٤) ابن الأثير : « ويستأذنه » .

حتى استنقذناهم بعد أن أشرفوا^(١) على القتل والأسر والسبي ، وهذا^(٢) صاحبكم يصنع بي ما يصنع^(٣) ، فكفّفوه عني ، فخلّاه .

قال : وقال عبد الله بن محمد عن رجل شهد ليلة قصص الباهليّ قال : كنا في القصر ، فلما التقوا ظننا أن القيامة قد قامت لما سمعنا من همّسّاهم القوم ووقع الحديد وصهيل الخيل . ١٤٢٨/٢

[ذكر الخبر عن غزو سعيد خدينة السُّغْد]

وفي هذه السنة قطع سعيد خدينة نهر بلخ وغزا السُّغْد^(٤) ، وكانوا نقضوا العهد وأعانوا الترك على المسلمين .

* ذكر الخبر عما كان من أمر سعيد والمسلمين في هذه الغزوة :

وكان سبب غزو^(٥) سعيد هذه الغزوة — فيما ذكر — أن الترك عادوا إلى السُّغْد ، فكلم الناس سعيداً وقالوا : تركت الغزو ، فقد أغار الترك ، وكفر أهل السُّغْد . فقطع النهر ، وقصد للسُّغْد ، فلقية الترك وطائفة من أهل السُّغْد فهزموهم المسلمون ، فقال سعيد : لا تتبعوهم ؛ فإن السُّغْد بستان أمير المؤمنين وقد هزمتوهم ؛ أفريدون بوارهم ! وقد قاتلم يا أهل العراق الخلفاء غير مرة فهل أباروكم^(٦) ! .

وسار المسلمون ، فانتهوا إلى وادٍ بينهم وبين المرج ، فقال عبد الرحمن ابن صبيح : لا يقطعن هذا الوادى مجفّف ولا راجل ، وليعبر من سواهم . فعبروا^(٧) ، ورأتهم الترك ، فأكنوا كميناً ، وظهرت لهم خيل المسلمين فقاتلوهم ، فانهزوا الترك فأتبعوهم حتى جازوا الكمين ، فخرجوا عليهم ، فانهزم المسلمون حتى انتهوا إلى الوادى ، فقال لهم عبد الرحمن بن صبيح : سابقوهم ، ولا تقطعوا فإنكم إن قطعتم أبادوكم . فصبروا لهم حتى انكشفوا عنهم ، فلم يتبعوهم ، فقال ١٤٢٩/٢

- (١) ب وابن الأثير : « ما أشرفوا » .
 (٢) ب : « فهذا » .
 (٣) ح : « صنع » .
 (٤) ب وابن الأثير : « الصغد » .
 (٥) ح : « غزوة » .
 (٦) ابن الأثير : « أبادوكم » .
 (٧) ب : « فساروا » .

قوم : قُتِلَ يومئذ شُعْبَةُ بن ظُهَيْرٍ وأصحابه ، وقال قوم : بل انكشف الترك منهم يومئذ منهزمين ، ومعهم جمع من أهل السُّعْدِ . فلما كان الغد ، خرجت مسلحة للمسلمين - والمسلحة يومئذ من بني تميم - فما شعروا إلا بالترك معهم ، خرجوا عليهم من غيضة وعلى خيل بني تميم شعبة بن ظُهَيْرٍ ، فقاتلهم شعبة فقتل ؛ أعجلوه عن الركوب . وقتل رجل من العرب ، فأخرجت جاريته حينئذ ، وهي تقول : حتى متى أعدت لك مثل هذا الخضاب ، وأنت تختضب بالدم ! مع كلام كثير ، فأبكت أهل العسكر . وقتل نحو من خمسين رجلا ، وانهزم أهلُ المسلحة ، وأتى الناس الصريخ ، فقال عبد الرحمن بن المهلب العدوي : كنت أنا أول من أتاها لما أتانا الخبر ، وتحببني فرس جواد ، فإذا عبد الله بن زهير إلى جنب شجرة كأنه قنفذ . والنشأ ؛ وقد قتل ، وركب الخليل بن أوس العبشمي - أحد بني غالم ، وهو شاب - ونادى : يا بني تميم ، أنا الخليل ؛ إلى ! فانضمت^(١) إليه جماعة - فحمل بهم على العدو ، فكفّوهم ووزعهم عن الناس حتى جاء الأمير والجماعة ، فانهزم العدو ، فصار الخليل على خيل بني تميم يومئذ ، حتى ولي نصر بن سيار ؛ ثم صارت رياسة بني تميم لأخيه الحكم بن أوس .

وذكر علي بن محمد، عن شيوخه؛ أن سورة بن الحرّ قال لحیان : انصرف ١٤٣٠/٢
يا حیان ، قال : عقيرة الله أدعها وانصرف قال : يا نبطي قال : أنبط
الله وجهك !

قال : وكان حیان النبطي يكي في الحرب أبا الهياج ، وله يقول الشاعر :

إِنَّ أبا الهَيَّاجِ أَرِيحِيُّ لِلرَّيْحِ فِي أَثْوَابِهِ دَوِيُّ

قال : وعبر سعيد النهر مرتين ، فلم يجاوز سمرقند ، نزل في الأولى بإزاء العدو ، فقال له حيان مولى مصقلة بن هبيرة الشيباني : أيها الأمير ، ناجز أهل السُّعْدِ ، فقال : لا ، هذه بلاد أمير المؤمنين ، فرأى دخانا ساطعا ، فسأل عنه فقيل له : السُّعْدُ قد كفروا ومعهم بعض الترك . قال : فناوشهم ، فانهزموا

(١) ابن الأثير : « فاجتمع » .

فألحوا في طلبهم ، فنادى منادى سعيد : لا تطلبوهم ؛ إنما السغد بستان أمير المؤمنين ، وقد هزمتموهم ، أفتريدون بوارهم ا وأنتم يا أهل العراق قد قاتلتم أمير المؤمنين غير مرّة ، فعفا عنكم ولم يستأصلكم ورجع ، فلما كان العام المقبل بعث رجالاً من بني تميم إلى ورغسسر ، فقالوا : ليتنا تلقى العدو فنطاردهم — وكان سعيد إذا بعث سرية فأصابوا وغنموا^(١) وسبوا ردّ ذراري السبي وعاقب السريّة ، فقال الهجريّ وكان شاعراً :

سريت إلى الأعداء تلهو بلعية وأيزك مسلولٌ وسيفك مُغمّدٌ ١٤٣١/٢
وأنت لمن عاديت عرس خفيةً وأنت علينا كالحسام المهنّد
فلله در السغد لما تحزّبوا^(٢) ويا عجباً من كيدك المترددا

قال : فقال سورة بن الحرّ لسعيد — وقد كان حفظ عليه ، وحقد عليه قوله : «أنبط الله وجهك» — : إن هذا العبد أعدى الناس للعرب والعمال ، وهو أفسد خراسان على قتيبة بن مسلم ، وهو واثب بك ، مفسد عليك خراسان ؛ ثم يتحصن^(٣) في بعض هذه القلاع . فقال : يا سورة^(٤) لا تُسمعن هذا أحداً . ثم مكث أياماً ، ثم دعا في مجلسه بلبس ، وقد أمر بذهب فسحق ، وألقى في إناء حيان فشربه ، وقد خلط بالذهب ، ثم ركب ، فركب الناس أربعة فراسخ إلى باركث ؛ كأنه يطلب عدواً ، ثم رجع فعاش حيان أربعة أيام ومات في اليوم الرابع ، فنقل سعيد على الناس وضعفه ، وكان رجل من بني أسد يقال له إسماعيل منقطعاً إلى مروان بن محمد ، فذكر إسماعيل عند خدينة ومودته لمروان ، فقال سعيد : وما ذاك المِلَط ! فهجاه إسماعيل ، فقال :

زَعَمْتَ خُدَيْنَةَ أَنِنِي مِلَطٌ.^(٥) لِيخْدِينَةَ المرآةَ والمُشَطُّ
وَمَجَامِرٌ وَمَكَاحِلٌ جُعِلتْ وَمَعَازِفٌ وَبَخْدَهَا نُقَط

(١) ابن الأثير : « أوزنوا » .

(٢) ح : « تحربوا » .

(٣) ب : « نتحصن » .

(٤) ابن الأثير : « فقال سعيد : لا أسمعن هذا أحداً » .

(٥) المِلَط : الذي لا يعرف له نسب ولا أب .

أَفَدَاكَ أَمْ زَغَفُ مُضَاعَفَةٌ وَمُهَنْدٌ مِنْ شَأْنِهِ الْقَطُّ
 لِمُقَرَّرِيسٍ ذَكَرٍ أَحَى نِقَةٍ لَمْ يَغْذُهُ التَّائِيثُ وَاللَّقَطُّ
 أَغْضِبْتَ أَنْ بَاتَ ابْنُ أُمَّكُمْ بِهِمْ وَأَنْ أَبَاكُمْ سَقَطُ
 إِنِّي رَأَيْتُ نِبَالَهُمْ كُسَيْتٌ رِيَشَ اللُّوَامِ وَنَبْلَكُمْ مُرْطُ
 وَرَأَيْتُهُمْ جَعَلُوا مَكَاسِرَهُمْ عِنْدَ النَّدَى وَأَنْتُمْ خِلْطُ

[عزل مسلمة عن العراق وخراسان]

وفي هذه السنة عَزِلَ مسلمة بن عبد الملك عن العراق وخراسان وانصرف إلى الشام .

* ذكر الخبر عن سبب عزله وكيف كان ذلك :

وكان سبب ذلك - فيما ذكر على بن محمد - أن مسلمة لما ولى ما ولى من أرض العراق وخراسان لم يرفع من الخراج شيئاً ، وأن يزيد بن عاتكة أراد عزله فاستحيا منه ، وكتب إليه أن استخلف على عملك ، وأقبل .

١٤٣٣/٢

وقد قيل إن مسلمة شاور عبد العزيز بن حاتم بن النعمان في الشخوص إلى ابن عاتكة ليزوره ، فقال له : أمن (١) شوق بك إليه ! إنك لطرُوب ، وإن عهدك به لقريب ، قال : لا بد من ذلك ، قال : إذا لا تخرج من عملك حتى تلقى الوالى عليه ، فشخص ؛ فلما بلغ دُورين لقيه عمر بن هبيرة على خمس (٢) من دوابّ البريد ، فدخل عليه ابن هبيرة ، فقال : إلى أين يا ابن هبيرة ؟ فقال : وجهنى أمير المؤمنين في حيازة أموال بنى المهلب . فلما خرج من عنده أرسل إلى عبد العزيز فجاهه ، فقال : هذا ابن هبيرة قد لقينا كما ترى ، قال : قد أنبأتك ، قال : فإنه إنما وجهه لحيازة أموال بنى المهلب ، قال : هذا (٣) أعجب من الأول ؛ يصرف عن الجزيرة ، ويرجّه في حيازة أموال

(٢) ح : « في خمسين » .

(١) ف : « من » .

(٣) ب : « فإن هذه » .

بنى المهلب ، قال : فلم يلبث أن جاءه عزل ابن هبيرة عماله والغلظة عليهم فقال الفرزدق :

رَاحَتْ بِمَسْلَمَةَ الرِّكَابُ مُودِّعًا فَارَعَى فَزَارَةَ لَا هُنَاكَ الْمَرْتَعُ^(١)
عُزَلَ ابْنُ بَشْرِ بْنِ عَمْرٍو قَبْلَهُ وَأَخُو هَرَاةَ لِمِثْلِهَا يَتَوَقَّعُ^(٢)
وَلَقَدْ عَلِمْتُ لَنْ فَزَارَةَ أُمِرْتُ أَنْ سَوْفَ تَطْمَعُ فِي الْإِمَارَةِ أَشْجَعُ
مَنْ خَلَقَ رَبِّكَ مَا هُمْ وَلِمِثْلِهِمْ فِي مِثْلِ مَا نَالَتْ فَزَارَةَ يَطْمَعُ^(٣)

يعنى^(٤) بابن بشر عبد الملك بن بشر بن مروان ، وبابن عمرو محمداً ذا الشامة بن عمرو بن الوليد ، وبأخي هراة سعيد خذينة بن عبد العزيز ، كان عاملاً لمسلمة على خراسان .

١٤٣٤/٢

وفي هذه السنة غزا عمر بن هبيرة الروم بأرمينية ، فهزموهم وأسر منهم بشراً كثيراً قيل سبعمائة أسير .

[بدء ظهور الدعوة]

وفيهما وجهه — فيأذكر ميسرة — رسالته من العراق إلى خراسان وظهر أمر الدعوة^(٥) بها ، فجاء رجل من بني تميم يقال له عمرو بن بجير بن ورقاء السعدي إلى سعيد خذينة ، فقال له : إن ها هنا قوماً قد ظهر منهم كلام قبيح ، فبعث إليهم سعيد ، فأتى بهم ، فقال : من أنتم ؟ قالوا : أناس من التجار ؟ قال : فما هذا الذي يحكي عنكم ؟ قالوا : لا ندري ، قال : جئتم دعاء ؟ فقالوا :

(١) ديوانه ٥٠٩ ، وفيه : « ومضت لسلمة » .

(٢) الديوان : « نزع ابن بشر » .

(٣) موضعه في الديوان :

إِنَّ الْقِيَامَةَ قَدْ دَنَتْ أَشْرَاطُهَا حَتَّى أُمِّيَّةٌ عَنِ فَزَارَةَ تَنْزِعُ

(٥) ب : « فظهر أمر الدعاء » .

(٤) ف : « ويعنى » .

إن لنا في أنفسنا وتجارتنا شغلا عن هذا ، فقال : مَنْ يعرف هؤلاء ؟ فجاء أناس من أهل خراسان ، جلّتهم ربيعة واليمن ، فقالوا : نحن نعرفهم ، وهم علينا إن أتاك منهم شيء تكرهه ، فحلتى سبيلهم .

[ذكر خبر قتل يزيد بن أبي مسلم بإفريقية]

وفيهما - أعمى سنة اثنتين ومائة - قتل يزيد بن أبي مسلم بإفريقية وهو وال عليها . ١٤٣٥/٢
* ذكر الخبر عن سبب قتله :

وكان سبب ذلك أنه كان - فيما ذكر - عزم أن يسير بهم^(١) بسيرة الحجاج بن يوسف في أهل الإسلام الذين سكنوا الأمصار ، ممن كان أصله من السواد من أهل الذمة ، فأسلم بالعراق ممن ردّهم إلى قرأهم^(٢) ورساتيهم ، ووضع الجزية على رقابهم على نحو ما كانت تؤخذ منهم وهم على كفرهم ، فلما عزم^(٣) على ذلك تأمروا في أمره ، فأجمع^(٤) رأيهم - فيما ذكر - على قتله فقتلوه ، ولوا على أنفسهم الذي كان عليهم قبل يزيد بن أبي مسلم ؛ وهو محمد بن يزيد مولى الأنصار ، وكان في جيش يزيد بن أبي مسلم ، وكتبوا إلى يزيد بن عبد الملك : إنا لم نخلع أيدينا من الطاعة ؛ ولكن يزيد بن أبي مسلم سامنا ما لا يرضى^(٥) الله والمسلمون ، فقتلناه ، وأعدنا عاملك .
فكتب إليهم يزيد بن عبد الملك : إني لم أرض ما صنع يزيد بن أبي مسلم ، وأقرّ محمد بن يزيد على إفريقية .

وفي هذه السنة استعمل عمر بن هبيرة بن معبنة بن سكين بن خديج بن مالك بن سعد بن عدى بن فزارة على العراق وخراسان .
وحجّ بالناس في هذه السنة عبد الرحمن بن الضحاك ؛ كذلك قال أبو معشر والواقدي .

(١) ب وابن الأثير : « فيهم » . (٢) ف : « قرأهم » .

(٣) ح : « عمروا » ، ابن الأثير : « فلما عزم يزيد » .

(٤) ب : « وأجمع » . (٥) ب وابن الأثير : « يرضاه » .

وكان العامل على المدينة عبد الرحمن بن الضَّحَّاك ، وعلى مكة عبد العزيز
ابن عبد الله بن خالد بن أسيد . وعلى الكوفة محمد بن عمرو ذو الشامة ،
وعلى قضائها القاسم بن عبد الرحمن بن عبد الله بن مسعود ، وعلى البصرة
عبد الملك بن بشر بن مروان ، وعلى خراسان سعيد خُذَيْنة ، وعلى مصر أسامة
ابن زيد .

ثم دخلت سنة ثلاث ومائة
ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

[عزل سعيد خدينة عن خراسان]

فيمّا كان فيها من ذلك عزل عمر بن هبيرة سعيد خدينة عن خراسان ، وكان سبب عزله عنها - فيما ذكر على بن محمد عن أشياخه - أن الهجشمر بن مزاحم السلمي وعبد الله بن حمير الليثي قدما على عمر بن هبيرة ، فشكواه فعزله ، واستعمل سعيد بن عمرو بن الأسود بن مالك بن كعب بن وقدان بن الحريش^(١) بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة ، وخدينة غاز^(٢) يباب سمرقند ، فبلغ الناس عزله ، فقفل خدينة ، وخلف بسمرقند ألف فارس ، فقال نهار بن توسعة :

فمن ذا مبلغ فتیان قومي^(٣) بآن النبيل ريشت كل ريش
بآن الله أبدل من سعيد سعيداً لا المخنث من قريش
قال : ولم يعرض سعيد الحرشي لأحد من عمال خدينة ، فقرأ رجل عهده فلحن فيه ، فقال سعيد : صه ، مهما سمعتم فهو من الكاتب ، والأمير منه برىء ، فقال الشاعر يضعف الحرشي في هذا الكلام :

تبدلنا سعيداً من سعيد لجد السوء والقدر المتاح

قال الطبري : وفي هذه السنة غزا العباس بن الوليد الروم ففتح مدينة^(٤) يقال لها رسالة .

وفيها أغارت الترك عن اللان .

(١) ب : « فدان بن الحريش » . (٢) ابن الأثير : « كان » .
(٣) ب وابن الأثير : « فهل من مبلغ » . (٤) بعدها في ف : « منها » .

وفيهما ضُمَّت مكة إلى عبد الرحمن بن الضحَّاك الفهريّ ، فجمعت له مع المدينة .

وفيهما وليّ عبد الواحد بن عبد الله النضريّ ، الطائف وعزل عبد العزيز بن عبد الله بن خالد بن أسيد عن مكة .

وفيهما أمر عبد الرحمن بن الضحَّاك أن يجمع بين أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم وعثمان بن حيان المريّ ، وكان من أمره وأمرهما ما قد مضى ذكره قبل .

وحجّ بالناس في هذه السنة عبد الرحمن بن الضحَّاك بن قيس الفهريّ ، كذلك قال أبو معشر والواقدي .

١٤٣٨/٢

وكان عامل يزيد بن عاتكة في هذه السنة على مكة والمدينة عبد الرحمن بن الضحَّاك ، وعلى الطائف عبد الواحد بن عبد الله النضريّ (١) . وعلى العراق وخراسان عمر بن هبيرة ، وعلى خراسان سعيد بن عمرو الحرشيّ من قبيل عمر بن هبيرة ، وعلى قضاء الكوفة القاسم بن عبد الرحمن بن عبد الله بن مسعود ، وعلى قضاء البصرة عبد الملك بن يعلى .

[استعمال ابن هبيرة سعيداً الحرشيّ على خراسان]

وفيهما استعمل عمر بن هبيرة سعيد بن عمرو الحرشيّ على خراسان .

* ذكر الخبر عن سبب استعماله الحرشيّ على خراسان :

ذكر عليّ بن محمد عن أصحابه أن ابن هبيرة لما ولي العراق ، كتب إلى يزيد بن عبد الملك بأسماء من أبلت يوم العقر ، ولم يذكر الحرشيّ ، فقال يزيد بن عبد الملك : لم يذكر الحرشيّ ؟ فكتب إلى ابن هبيرة : ولّ الحرشيّ خراسان . فولاه ، فقدم الحرشيّ على مقدمته الجبش بن مزاحم السلميّ سنة ثلاث ومائة ، ثم قدم الحرشيّ خراسان ، والناس بإزاء العدو ، وقد كانوا نكبوا ، فخطبهم وحشّهم على الجهاد ، فقال : إنكم لا تقاتلون عدو الإسلام بكثرة

(١) ب : « البصري » ، ف : « النصري » .

ولا بعدة ، ولكن بنصر الله وعز الإسلام ، فقولوا : لا حول ولا قوة إلا بالله .
وقال :

فَلَسْتُ لِعَامرٍ إِنْ لَمْ تَرَوْنِي أَمَامَ الْخَيْلِ أَطَعَنُ بِالْعَوَالِي (١)
فَأَضْرِبُ هَامَةَ الْجَبَّارِ مِنْهُمْ بَعْضُ الْحَدُودِ بِالصِّمَالِ (٢)
فَمَا أَنَا فِي الْحُرُوبِ بِمُسْتَكِينٍ وَلَا أَخْشَى مُصَاوَلَةَ الرَّجَالِ
أَبِي لِي وَاللَّيْ مِنْ كُلِّ ذَمٍّ وَخَالِي فِي الْحَوَادِثِ خَيْرُ خَالِ
إِذَا خَطَرْتُ أَمَامِي حَيْ كَعْبٍ وَزَافَتْ كَالْجِبَالِ بَنُو هِلَالِ

[ارتحال أهل السغد عن بلادهم إلى فرغانة]

وفي هذه السنة ارتحل أهل السغد عن بلادهم عند مقدم سعيد بن عمرو
الخرشيّ فلحقوا بفرغانة ، فسألوا ملكها معونتهم على المسلمين .

* ذكر الخبر عما كان منهم ومن صاحب فرغانة :

ذكر عليّ بن محمد عن أصحابه ، أن السغد كانوا قد أعانوا الترك أيام
خُديبة ، فلما وليهم الخرشىّ خافوا على أنفسهم ، فأجمع عظماءهم على
الخروج عن بلادهم ، فقال لهم ملكهم : لا تفعلوا ، أقيموا واحملوا إليه خراج
ما مضى ، واضمنوا له خراج ما تستقبلون ، واضمنوا له عمارة أرضيكم (٣) والغزو
معه إن أراد ذلك . واعتذروا بما كان منكم ، وأعطوه رهائن يكونون في يديه .
قالوا : نخاف ألا يرضى ، ولا يقبل منّا ، ولكننا نأتي خُجُندة . فنستجير
ملكها ، ونرسل إلى الأمير فنسأله الصفح عما كان منا . ونوثق له ألا يرى أمراً
يكرهه ، فقال : أنا رجل منكم ، وما أشرتُ به عليكم كان خيراً لكم ، فأبوا ،
فخرجوا إلى خُجُندة ، وخرج كارزنج وكشيين وبسياركت وثابت بأهل
إشتيخسن ، فأرسلوا إلى ملك فرغانة الطار يسألونه أن يمنّهم وينزلهم

(١) ابن الأثير : « نطن » . (٢) حودث ، أى جل .

(٣) ح : « أرضكم » ، ابن الأثير : « الأرض » .

مدينته. فهم أن يفعل، فقالت له أمه: لا تدخل هؤلاء الشياطين مدنيتك، ولكن فرغ لهم رستاقاً يكونون فيه، فأرسل إليهم: سموا لي رستاقاً (١) أفرغه لكم، وأجأوني أربعين يوماً - ويقال: عشرين يوماً - وإن شئتم فرغت لكم شعب عصام بن عبد الله الباهلي - وكان قتيبة خلفه فيهم - فقبلوا شعب عصام. فأرسلوا إليه (٢): فرغه لنا، قال: نعم، وليس لكم علي (٣) عقد ولا جوار حتى تدخلوه؛ وإن أتتكم العرب قبل أن تدخلوه لم أمنعكم، فرضوا؛ وفرغ لهم الشعب.

وقد قيل: إن ابن هبيرة بعث إليهم قبل أن يخرجوا من بلادهم يسألهم أن يقيموا، ويستعمل عليهم من أحبوا، فأبوا ونخرجوا إلى خُجَندة وشعب عصام من رستاق أسفرة - وأسفرة يومئذ ولي عهد ملك فرغانة بلاذا، وبيلاذا أنوجور ملكها.

وقيل: قال لهم كارزنج: أخيركم ثلاث خصال، إن تركتموها هلكتم: إن سعيداً فارس العرب، وقد وجه على مقدمته عبد الرحمن بن عبد الله القشيري (٤) في حماة أصحابه، فبيئته فاقتلوه؛ فإن الحرشى إذا أتاه خبره لم يفرحكم، فأبوا عليه، قال: فاقطعوا نهر الشاش، فسلوهم ماذا تريدون؟ فإن أجابوكم وإلا مضيتم إلى سوياب، قالوا: لا، قال: فأعطوهم.

١٤٤١/٢

قال: فارتحل كارزنج وجلنج بأهل قبي، وأبار بن ماخنون وثابت بأهل إشتبخن، وارتحل أهل يياركت وأهل سسكت بألف رجل عليهم مناطق الذهب مع دهاقين بزماجن، فارتحل الديواشني بأهل بسنجيكت إلى حصن أبغزر، ولحق كارزنج وأهل السغد بخجندة.

* * *

تم الجزء السادس من تاريخ الطبرى

ويليه الجزء السابع، وأوله: ذكر حوادث سنة أربع ومائة

(١) بعدها في ابن الأثير: «تكونون فيه حتى»، (٢) ب: «وقالوا له». (٣) ح: «عنى». (٤) ب، ح: «القشري».

فهرس الموضوعات

السنة السادسة والستون

- ذكر الخبر عن الكائن الذى كان فيها من الأمور الجليلة . ٥ - ٣٨
ذكر الخبر عن أمر المختار مع قتلة الحسين بالكوفة . ٣٨ - ٦٦
ذكر الخبر عن البيعة للمختار بالبصرة . . . ٦٦ - ٧١
ذكر الخبر عن بعث المختار جيشه للمكرّ بابن الزبير . ٧١ - ٧٥
ذكر الخبر عن قدوم الخشبيّة مكة وموافاتهم الحج . ٧٥ - ٧٧
ذكر الخبر عن حصار بنى تميم بخراسان . . . ٧٧ - ٨٠
شخص لبراهيم بن الأشتر لحرب عبيد الله بن زياد . ٨١ - ٨٢
ذكر أمر الكرسيّ الذى كان المختار يستنصر به . . . ٨٢ - ٨٥

* * *

السنة السابعة والستون

- ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث . . . ٨٦
خبر مقتل عبيد الله بن زياد ومن كان معه من أهل الشام . ٨٦ - ٩٢
ذكر الخبر عن عزل القبايع عن البصرة . . . ٩٣
ذكر خبر قتل مصعب المختار بن أبى عبيد . . . ٩٣ - ١١٦
خبر عزل عبد الله بن الزبير أخاه المصعب . . . ١١٧ - ١١٨
أخبار متفرقة ١١٨

* * *

السنة الثامنة والستون

- ذكر الخبر عما كان فيها من الأمور الجليلية ١١٩
 ذكر الخبر عن رجوع الأزارقة من فارس إلى العراق ١١٩ - ١٢٧
 ذكر الخبر عن مقتل عبد الله بن الحرّ ١٢٨ - ١٣٨
 أخبار متفرقة ١٣٨ ، ١٣٩

* * *

السنة التاسعة والستون

- ذكر خبر قتل عبد الملك سعيد بن عمرو ١٤٠ - ١٤٨
 أخبار متفرقة ١٤٨ ، ١٤٩

* * *

السنة السبعون

- ذكر ما كان فيها من الأحداث ١٥٠

* * *

السنة الحادية والسبعون

- ذكر ما كان فيها من الأحداث ١٥١
 خبر مسير عبد الملك بن مروان لحرب مصعب بن الزبير ثم قتله ١٥١ - ١٦٢
 ذكر الخبر عن دخول عبد الملك بن مروان الكوفة ١٦٢ - ١٦٥
 ذكر خبر ولاية خالد بن عبد الله على البصرة ١٦٥ ، ١٦٦
 خطبة عبد الله بن الزبير بعد مقتل مصعب ١٦٦

* * *

السنة الثانية والسبعون

- ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث الجليلية . . . ١٦٨ - ١٧٣
 خروج أبي فُدَيْكٍ الخارجيِّ وغلبته على البحرين . . . ١٧٤
 خبر توجيهِ عبد الملك الحجاج لقتال ابن الزبير . . . ١٧٤ ، ١٧٥
 أمر عبد الله بن خازم السُّلَميِّ مع عبد الملك . . . ١٧٦ - ١٧٨
 فصل في ذكر الكتاب من بدء أمر الإسلام . . . ١٧٨ ، ١٧٩
 أسماء من كتب للنبيِّ صلى الله عليه وسلم . . . ١٧٩
 أسماء من كان يكتب للخلفاء والولاة . . . ١٧٩ - ١٨٦

* * *

السنة الثالثة والسبعون

- ذكر الكائن الذي كان فيها من الأمور الجليلية . . . ١٨٧
 خبر مقتل عبد الله بن الزبير . . . ١٨٧ - ١٩٣
 أخبار متفرقة . . . ١٩٣ ، ١٩٤

* * *

السنة الرابعة والسبعون

- ذكر ما كان فيها من الأعمال الجليلية . . . ١٩٥
 ذكر الخبر عن حرب المهلب للأزارقة . . . ١٩٥ - ١٩٩
 عزل بكير بن وشاح عن خراسان وولاية أمية بن عبد الله عليها . . . ١٩٩ - ٢٠١
 أخبار متفرقة . . . ٢٠١ ، ٢٠٢

* * *

السنة الخامسة والسبعون

- ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث ٢٠٢
 ولاية الحجاج على الكوفة وخطبته في أهلها ٢٠٢ - ٢٠٩
 ذكر الخبر عن ثورة الناس بالحجاج بالبصرة ٢١٠ - ٢١١
 نفي المهلب وابن مخنف الأزارقة عن رامهرمز ٢١١ - ٢١٥
 ذكر الخبر عن تحرك صالح للخروج وما كان منه في هذه السنة ٢١٥

* * *

السنة السادسة والسبعون

- ذكر الخبر عن خروج صالح بن مسرح وعن سبب خروجه ٢١٦ - ٢٢٣
 خبر دخول شبيب الكوفة وما كان من أمره مع الحجاج ٢٢٤ - ٢٥٦
 نقش الدراهم والدنانير بأمر عبد الملك بن مروان ٢٥٦
 أخبار متفرقة ٢٥٦

* * *

السنة السابعة والسبعون

- محاربة شبيب عتاب بن ورقاء وزهرة بن حوية وقتلهما ٢٥٧ - ٢٦٧
 ذكر الخبر عن دخول شبيب الكوفة مرة ثانية ٢٦٧ - ٢٧٩
 ذكر الخبر عن مهلك شبيب ٢٧٩ - ٢٨٤
 خروج مطرف بن المغيرة على الحجاج وعبد الملك ٢٨٤ - ٣٠٠
 ذكر الخبر عن وقوع الخلاف بين الأزارقة ٣٠٠ - ٣٠٨
 ذكر الخبر عن هلاك قطرى وأصحابه ٣٠٨ - ٣١١

ذكر الخبر عن مقتل أمية بن عبد الله بن خالد بن أسيد . ٣١١ - ٣١٧

أخبار متفرقة ٣١٧ ، ٣١٨

* * *

السنة الثامنة والسبعون

ذكر الخبر عن الكائن في هذه السنة من الأحداث الجليلة . ٣١٧

ذكر الخبر عن العمال الذين ولاهم الحجاج خراسان وسجستان

وذكر السبب في توليته مَنْ ولاه ذلك وشيئاً منه . ٣١٧ - ٣٢١

أخبار متفرقة ٣٢١

* * *

السنة التاسعة والسبعون

ذكر ما كان فيها من الأحداث الجليلة ٣٢٢

ذكر الخبر عن غزو عبید الله بن أبي بكره رُتبيل . ٣٢٢ - ٣٢٤

أخبار متفرقة ٣٢٤

* * *

السنة الثمانون

ذكر الأحداث الجليلة التي كانت في هذه السنة ٣٢٥

ذكر خبر غزو المهلب ما وراء النهر ٣٢٥ ، ٣٢٦

تسيير الجنود مع ابن الأشعث إلى رُتبيل ٣٢٦ - ٣٢٩

أخبار متفرقة ٣٢٩ ، ٣٣٠

* * *

السنة الحادية والثمانون

- ذكر ما كان فيها من الأحداث ٣٣٠
 ذكر الخبر عن مقتل بجير بن ورقاء بخراسان ٣٣٠ - ٣٣٤
 ذكر الخبر عن خلاف ابن الأشعث على الحجاج ٣٣٤ - ٣٤١
 أخبار متفرقة ٣٤١

* * *

السنة الثانية والثمانون

- ذكر الخبر عن الكائن فيها من الأحداث ٣٤٢
 ذكر خبر الحرب بين الحجاج وابن الأشعث بالزاوية ٣٤٢ - ٣٤٥
 وقعة دير الجماجم بين الحجاج وابن الأشعث ٣٤٦ - ٣٥٠
 ذكر الخبر عن وفاة المغيرة بن المهلب ٣٥٠ - ٣٥٢
 ذكر الخبر عن سبب انصراف المهلب عن كَيْس ٣٥٢ ، ٣٥٣
 ذكر خبر وفاة المهلب بن أبي صفرة ٣٥٤ ، ٣٥٥
 أخبار متفرقة ٣٥٥ ، ٣٥٦

* * *

السنة الثالثة والثمانون

- ذكر الأحداث التي كانت فيها ٣٥٧
 خبر هزيمة ابن الأشعث بدير الجماجم ٣٥٧ - ٣٦٥
 هزيمة ابن الأشعث وأصحابه في وقعة مسكن ٣٦٦ - ٣٨٣
 ذكر خبر بناء مدينة واسط ٣٨٣ ، ٣٨٤
 أخبار متفرقة ٣٨٤

السنة الرابعة والثمانون

- ذكر ما كان فيها من الأحداث ٣٨٥
 خبر قتل الحجاج أيوب بن القريّة ٣٨٥ ، ٣٨٦
 خبر فتح قلعة نيزك بإذغيس ٣٨٦ — ٣٨٨
 أخبار متفرقة ٣٨٨

* * *

السنة الخامسة والثمانون

- ذكر ما كان فيها من الأحداث ٣٨٩
 خبر هلاك عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث ٣٨٩ — ٣٩٣
 عزل يزيد بن المهلب عن خراسان ٣٩٣ — ٣٩٧
 غزو الفضل بإذغيس وأخرون ٣٩٧ ، ٣٩٨
 خبر مقتل موسى بن عبد الله بن خازم بالترمذ ٣٩٨ — ٤١٢
 عزم عبد الملك بن مروان على خلع أخيه عبد العزيز ٤١٢ ، ٤١٣
 خبر موت عبد العزيز بن مروان ٤١٣ — ٤١٦
 بيععة عبد الملك لابنيسه : الوليد ثم سليمان ٤١٦ ، ٤١٧
 أخبار متفرقة ٤١٧

* * *

السنة السادسة والثمانون

- ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث ٤١٨
 خبر وفاة عبد الملك بن مروان ٤١٨
 ذكر الخبر عن مبلغ سنه يوم توفى ٤١٩

- ٤١٩ ذكر نسبه وكنيته
 ٤٢٢ - ٤١٩ ذكر أولاده وأزواجه
 ٤٢٣ خلافة الوليد بن عبد الملك
 ٤٢٤ ولاية قتيبة بن مسلم على خراسان من قبيل الحجاج
 ٤٢٦ - ٤٢٤ ذكر ما كان من أمر قتيبة بخراسان في هذه السنة
 ٤٢٦ أخبار متفرقة

* * *

السنة السابعة والثمانون

- ٤٢٧ ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث
 ٤٢٨ ، ٤٢٧ خبر إمارة عمر بن عبد العزيز على المدينة
 ٤٢٩ ، ٤٢٨ خبر صلح قتيبة ونيزك
 ٤٢٩ خبر غزو مسلمة بن عبد الملك أرض الروم
 ٤٣٣ - ٤٢٩ خبر غزو قتيبة بيكنند
 ٤٣٣ أخبار متفرقة

* * *

السنة الثامنة والثمانون

- ٤٣٤ ذكر ما كان فيها من الأحداث
 ٤٣٤ خبر فتح حصن طوانة من بلاد الروم
 ٤٣٦ ، ٤٣٥ ذكر عمارة مسجد النبي صلى الله عليه وسلم
 ٤٣٧ ، ٤٣٦ ذكر غزو قتيبة نومشكث وراميشنه
 ٤٣٧ ذكر ما عمل الوليد بن المعروف
 ٤٣٨ ، ٤٣٧ أخبار متفرقة

* * *

السنة التاسعة والثمانون

- ٤٣٩ . . . ذكر الخبر عن الأحداث التي كانت فيها
 ٤٣٩ خبر غزو مسلمة أرض الروم
 ٤٤٠ ، ٤٣٩ خبر غزو قتيبة بخارى
 ٤٤٠ خبر ولاية خالد القسري على مكة
 ٤٤١ أخبار متفرقة

* * *

السنة التسعون

- ٤٤٢ . . . ذكر الخبر عن الأحداث التي كانت فيها
 ٤٤٤ — ٤٤٢ خبر فتح بخارى
 ٤٤٥ خبر صلح قتيبة مع السفد
 ٤٤٧ — ٤٤٥ غدر نيزك
 ٤٤٧ خبر فتح الطالقان
 ٤٥٣ — ٤٤٨ . . . هرب يزيد بن المهلب وإخوته من سجن الحجّاج

* * *

السنة الحادية والتسعون

- ٤٥٤ ذكر ما كان فيها من الأحداث
 ٤٦١ — ٤٥٤ تتمه خبر قتيبة مع نيزك
 ٤٦٤ — ٤٦١ خبر ولاية قتيبة شومان وكيسّ ونسف
 ٤٦٥ ، ٤٦٤ ولاية خالد بن عبد الله القسري على مكة
 ٤٦٧ — ٤٦٥ أخبار متفرقة

* * *

السنة الثانية والتسعون

- ذكر الأحداث التي كانت فيها
 ٤٦٨
 فتح الأندلس ٤٦٨

* * *

السنة الثالثة والتسعون

- ذكر الأحداث التي كانت فيها
 ٤٦٩
 صلح قتيبة ملك خوارزم شاه وفتح خام مجرد ٤٦٩ — ٤٧٢
 غزو قتيبة سمرقند ثم فتحها ٤٧٢ — ٤٨١
 فتح طليطلة ٤٨١
 ذكر خبر عزل عمر بن عبد العزيز عن الحجاز ٤٨١ ، ٤٨٢
 أخبار متفرقة ٤٨٢

* * *

السنة الرابعة والتسعون

- ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث ٤٨٣
 غزو قتيبة الشاش وفرغانة ٤٨٣ — ٤٨٥
 ولاية عثمان بن حيان المرّي على المدينة ٤٨٥ — ٤٨٧
 ذكر الخبر عن مقتل سعيد بن جبير ٤٨٧ — ٤٩١
 أخبار متفرقة ٤٩١

* * *

السنة الخامسة والتسعون

- ذكر الأحداث التي كانت فيها
 ٤٩٢
 بقية الخبر عن غزو الشاش ٤٩٢ ، ٤٩٣
 أخبار متفرقة ٤٩٣ ، ٤٩٤

* * *

السنة السادسة والتسعون

٤٩٥	ذكر الأحداث التي كانت فيها
٤٩٦ ، ٤٩٥	ذكر الخبر عن موت الوليد بن عبد الملك
٤٩٩ — ٤٩٦	ذكر الخبر عن بعض سيره
٥٠٤ — ٥٠٠	فتح قتيبة كاشغر وغزو الصين
٥٠٦ ، ٥٠٥	خلافة سليمان بن عبد الملك
٥٢٢ — ٥٠٦	خبر مقتل قتيبة بن مسلم
٥٢٣ ، ٥٢٢	أخبار متفرقة

* * *

السنة السابعة والتسعون

٥٢٤	ذكر الخبر عما كان في هذه السنة من الأحداث
٥٢٩ — ٥٢٤	ولاية يزيد بن المهلب على خراسان
٥٢٩	أخبار متفرقة

* * *

السنة الثامنة والتسعون

٥٣٠	ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث
٥٣١ ، ٥٣٠	خبر محاصرة مسلمة بن عبد الملك القسطنطينية
٥٣٢ ، ٥٣١	مبايعة سليمان لابنه أيوب ونيماً للعهد
٥٤١ — ٥٣٢	غزو جرجان وطبرستان
٥٤٥ — ٥٤١	فتح جرجان
٥٤٥	أخبار متفرقة

* * *

السنة التاسعة والتسعون

- ٥٤٦ ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث .
 ٥٤٦ ذكر الخبر عن وفاة سليمان بن عبد الملك
 ٥٤٩ ، ٥٤٨ ذكر الخبر عن بعض سيره
 ٥٥٣ — ٥٥٠ خلافة عمر بن عبد العزيز .
 ٥٥٤ ، ٥٥٣ أخبار متفرقة

* * *

السنة المائة

- ٥٥٥ ذكر الخبر عن الأحداث التي كانت فيها
 ٥٥٦ ، ٥٥٥ خبر خروج شوذب الخارجي
 ٥٥٨ — ٥٥٦ خبر القبض على يزيد بن المهلب .
 ٥٦٠ — ٥٥٨ عزل الجراح بن عبد الله عن خراسان
 ذكر الخبر عن سبب تولية عمر بن عبد العزيز عبد الرحمن بن
 نعم وعبد الرحمن بن عبد الله القشيري خراسان ٥٦١ ، ٥٦٢
 أول الدعوة ٥٦٢
 أخبار متفرقة ٥٦٣

* * *

سنة إحدى ومائة

- ٥٦٤ ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث
 ٥٦٥ ، ٥٦٤ خبر خروج يزيد بن المهلب من سجنه
 ٥٦٦ ، ٥٦٥ خبر وفاة عمر بن عبد العزيز
 ٥٧٠ — ٥٦٦ ذكر بعض سيره
 ٥٧٣ — ٥٧٠ زيادة في سيرة عمر بن عبد العزيز ليست من كتاب أبي جعفر .

- خلافة يزيد بن عبد الملك بن مروان ٥٧٤ ، ٥٧٥
 مقتل شوذب الخارجي ٥٧٥ — ٥٧٨
 خبر خلع يزيد بن المهلب يزيد بن عبد الملك ٥٧٨ — ٥٨٩
 أخبار متفرقة ٥٨٩

* * *

سنة اثنتين ومائة

- ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث ٥٩٠
 ذكر الخبر عن مقتل يزيد بن المهلب ٥٩٠ — ٦٠٤
 خبر ولاية مسلمة على العراق وخراسان ٦٠٤ ، ٦٠٥
 خبر استعمال مسلمة سعيد خذينة على خراسان ٦٠٥ — ٦٠٧
 ذكر الخبر عن سبب عزل سعيد شعبة وسبب هذه الواقعة
 وكيف كانت ٦٠٧ — ٦١٢
 ذكر الخبر عن غزو سعيد خذينة السغد ٦١٢ — ٦١٥
 عزل مسلمة عن العراق وخراسان ٦١٥ ، ٦١٦
 بدء ظهور الدعوة ٦١٦ ، ٦١٧
 ذكر خبر قتل يزيد بن أبي مسلم بإفريقية ٦١٧
 أخبار متفرقة ٦١٧ ، ٦١٨

* * *

سنة ثلاث ومائة

- ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث ٦١٩
 عزل سعيد خذينة عن خراسان ٦١٩
 أخبار متفرقة ٦١٩ ، ٦٢٠
 استعمال ابن هبيرة سعيد بن عمر الحرشي على خراسان ٦٢٠ ، ٦٢١
 خبر ارتحال أهل السغد عن بلادهم إلى فرغانة ٦٢١ ، ٦٢٢

رقم الإيداع	١٩٧٩/٤٨٧٨
الترقيم الدولي	ISBN ٩٧٧ - ٢٤٧ - ٨٤٣ - ٩

١/٧٩/٣٤٢

طبع بمطابع دار المعارف (ج.م.ع.)

Dhakhā'ir Al-'Arab

30

Tārīkh At-Ṭabari

Par

Abi Ja'far Mohammad ibn Jarir At-Ṭabari

Tome. VI

Edition Critique

Par

Mohammad Abul Fadl Ibrahim

SERAGELDIN
IS00233



DAR AL-MAAREF